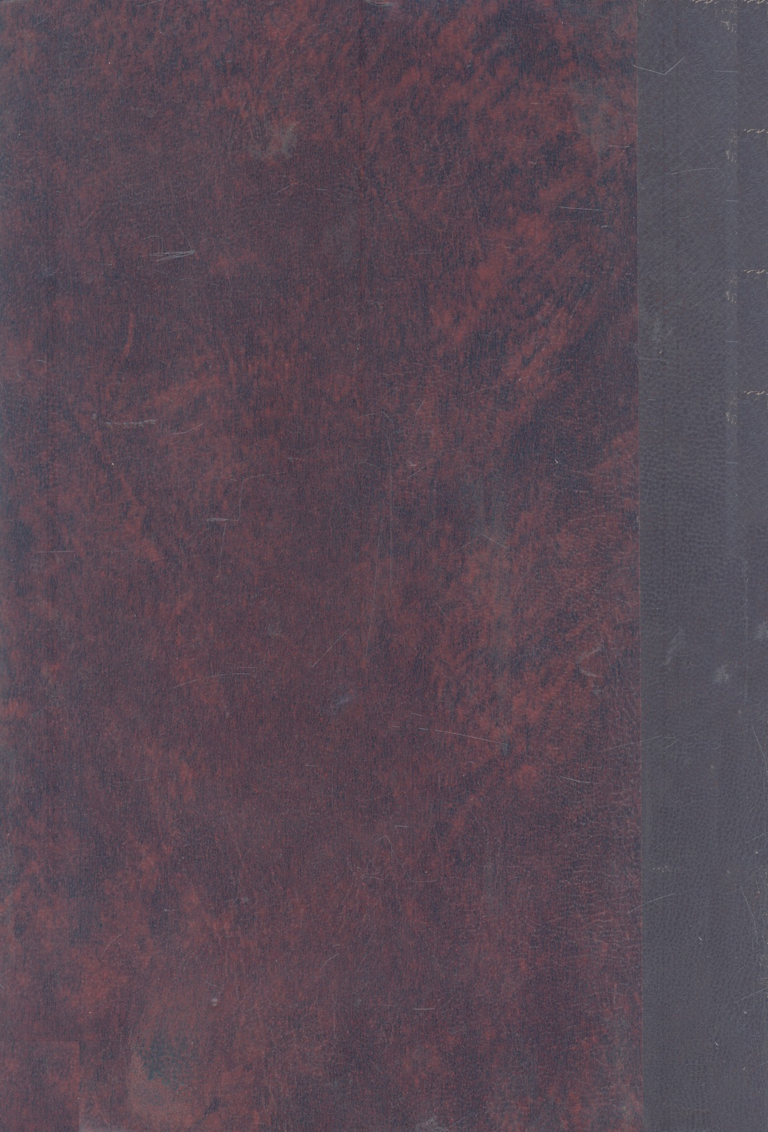
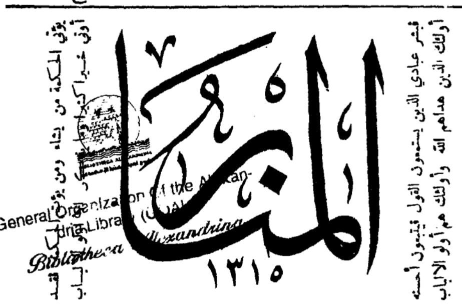




قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ شعبان ١٣٣٤ — ٨ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ ه ش ٣٠ يونيو ١٩١٦

فاتحة السنة التاسعة عشرة للمنار



سبحانك اللهم وبحمدك أنت المحمود على كل حال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، قوي المحال عظيم النوال ، تعطي من تشاء ولو بغير سؤال ، وتحوّل ما شئت من حال الى حال ، قوة بعد ضعف ، وغنى بعد فقر ، وعز بعد ذل ، وكل ضد يعقبه ضد ، فما رفع الله شيئا الا وضعه ، ولا وضع شيئا الا رفعه ، وكل شيء عنده بمقدار (١٣ : ١٢ إنّ الله لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّرُوا ما بأنفُسِهم وإذا أرادَ اللهُ بقومٍ سوءًا فلا مَرَدَّ له وما لهم من دُونِهِ من والٍ)

نحمدك اللهم بالغدوّ والآصال ، ونصلي ونسلم على محمد خاتم رسلك وآله

وصحبه خير صحب وآل ، وعلى من تقدمه وتقدمهم من النبيين والمرسلين، ومن تأخر عنهم من الصديقين والشهداء والصالحين ، واهدنا اللهم صراطهم المستقيم في الدنيا من الاخلاق والاعمال ، (١٤ : ٢٣ مِن قَبل أنْ يأتيَ يوم لا بَيع فيه ولا خِلال)

أما بعد فان المنار يذكر قراءه على رأس عامه التاسع عشر ، بأن يعتبروا بما نزل بأقوى أمم البشر ، من آثار عزته تعالى وقوته ، ومظاهر عدله وحكمته ، الدالة على انه هو الذي يغير ولا يتغير، ويبدل ماشاء بماشاء ولا يتبدل، وأن الامن من مكره غرور ووبال، والقنوط من رحمته كفر وضلال، وأن القوة لا تغلب الحق ، ولكنها قد تكون بالحق وللحق. ومن الحق،وان الحق ليس بمجرد دعوى اللسان، ولا بمجرد ما يجري عليه الناس من عرف واصطلاح ، فحق الملك وسياسة العباد ، لا يجب أن يورث عن الآباء والاجداد ، وانما أحق الناس بأمر الناس ، من كان أنفعهم للناس ، واقامة سنن الله تعالى في الاجتماع (١٣:١٨ أَنزل من السماء ماءً فسالتْ أوديةٌ بقدَرها فاحتملَ السيلُ زَبَدًا رابيًا، ومما يُوقدون عليه في النار ابتغاءَ حِليةٍ أو متاعٍ زَبدٌ مثلهُ،كذلك يضربُ اللهُ الحقَّ والباطلَ، فأما الزبدُ فيذهبُ جُفاءً وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الارضِ ، كذلك يضربُ الله الامثال)

ثم يذكرهم على عادته بما طرأ على سير الاصلاح ، بعد أن خفتت أصوات المعارضة في جميع الاقطار، وهو شيء حدث في هذه الديار ، ذلك بأن فيها كغيرها أناسا اغترّوا بمظاهر القوة المادية، فاحتقروا قُوى العقائد والفضائل الروحية ، وفتنوا بتقليد الاقوياء بما هو من آفات القوة

ومفاسدها ، لا من أسبابها ولا من محامدها ، كالسرف في الزينة والترف ، والانغماس في الشهوات واللذات ، وأعجب أمرهم أن منهم من يدعون الدعوة الى الاصلاح ، والصعود بالضعفاء الى مستوى الاقوياء أولئك هم الملاحدة المتفرنجون ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، وانما حجتهم على عامة المسلمين ، سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للامراء والحاكمين ، وذمهم بعصبية الدين ، وان لهؤلاء الملاحدة لقوةً من غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يعتزون بها ، وإن منهم من يكيد للمؤمنين مكايد لا يفطنون لها ، وان للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها ، وانما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه ، فاذا قذف عليه دمغه ، وان بقاء الباطل لا إلى زوال (٤٠ : ٢٥ وما كيد الكافرين الا في ضلال)

قد كان ملاحدة قطرنا هذا أجبن ملاحدة المسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر ، على كونهم أجرأهم على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ أفراد منهم منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد ، بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ، ومنهم من الف كتبا أو رسائل في ذلك ، ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لاجل التعاون على تشكيك الناس في الإسلام وجذبهم الى الإلحاد ، والطعن في عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا سيما الآداب والاحكام الخاصة بالنساء . وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس ، وبث الوساوس ، وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس ، وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه ، والتنويه بالجديد والترغيب فيه ، وان لهم لأنصارا في القصور والدواوين ، وفي المدارس واكبر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييد

حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كفوا به أقلام من تصدّى لاحباط بعض دسائسهم من أهل الحق، وانهم ليختلبون ألباب المختبلين من الشبان والشابات، بما ينمقون من زخرف الشبهات ، (٢: ٢٠٣ ومن الناس من يُعجبُكَ قوله في الحياة الدنيا ويُشهدُ اللهَ على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام ٢٠٤ واذا تولى سعى في الارض ليُفسد فيها ويهلك الحرْث والنسلَ والله لا يحب الفساد)

فبهذا قد وجب على أهل الاصلاح أخذ الاهبة لجهاد جديد ، هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عُزْلٌ وهؤلاء الملاحدة مسلحون ، وأولئك ضعفاء متفرقون ، وهؤلاء أقوياء مجتمعون، وأولئك غافلون متواكلون، وهؤلاء أيقاظ حذِرون، فاذا جاهد أهل الاصلاح أباطيلهم بمثل ما يجاهدون به الحق، من الاجتماع والتعاون والحزم ، كانوا حزبَ الله الغالبين (ولينصُرَنَّ اللهُ مَن ينصُرُهُ إن اللهَ لقويٌّ عزيز ٤٠ : ٥١ إنّا لننصُرُ رسلَنا والذين آمنوا في الحياةِ الدنيا ويومَ يقومُ الاشهادُ ٥٢ يومَ لا ينفعُ الظالمين معذرتُهم ولهمُ اللعنةُ ولهم سوء الدار)

إن هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الازهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ماداموا يدعون الاسلام بألسنتهم، بل لا يعدمون هنالك أولياء وأنصاراً لهم ، لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الاعمال ، من رابطة التناسب والاتصال، ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركناً في الازهر ركيناً، وإنهم بذلك أوشكوا ان يحدثوا فيه حدثاً مبيناً، ولكنهم لم يصيبوا به الا خذلاناً وفشلا مهيناً، ولان كلا منهما يؤثر المنافع الخاصة، ويتوسل اليها بما في يده من المصالح العامة ، ولان اكثر الازهريين ، لا يُعنون بالنظر في مكتوبات المتفرنجين ، وما كل من ينظر فيها، يفهم المراد منها ، وما

كل من يفهم أن فيها طعناً على الدين يهتم بالدفاع عنه ، وما كل من يهتم منهم بذلك يقدر عليه ، وما كل من يقدر عليه يقوم به .— لأجل ذلك كله لايحسب هؤلاء الملاحدة للازهريين حسابا ، وقد يكذّب الازهر ظنهم فيه كِذّابا، وانما يخافون من رجال الاصلاح سواءكانوا من الازهر أو من غير الازهر لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم ، وتقليم أظفارهم، ولأن كل مايزعمونه ويتقربون به الى الامة من السعي الى ترقيتها وتمدينها ، قدسبقهم اليه طلاب الاصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقوّمات الامة ومشخصاتها ، و إنما أركانها الدين و اللغة و العادات و الازياء ، وهم يحاولون هدم ذلك كله بلااستثناء.

واضرب لهم مثلا ماقاله أحد الظرفاء مفاكها للاستاذ الامام — وهو في مرض موته — قال: ان طريقتك في تفسير القرآن قد أضرت الامة أعظم الضرر! قال الاستاذ لماذا ؟ قال لانها أبانت للناس أن الدين موافق للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى انه عقبة في سبيل ترقينا في دنيانا. فمن هذه الجملة التي عبر قائلها عن خدمة الاستاذ الامام العليا للدين وللمسلمين، ينجلي لنا رأي هؤلاء الملاحدة في الاصلاح و المصلحين (١٤ :٢٧ يثبّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) ·

من أجل هذا كانت مدرسة الدعوة والارشاد قذى في أعينهم، وشجى في حلوقهم، وطخا على قلوبهم، وما زالوا يكيدون لها ، حتى حالوا دون أعظم اعانة كانت تنتظرها ، وقد كان أشدهم سعيا وسعاية ، أشدهم استهزاء بالدين وزراية، ذلك الذي كلما عنّ مطعن يلوي عنقه ويهزأ كتافه،

ويُنغض رأسه ويثني أعطافه، ويتبسم ساخرا ، او يُغرب ضاحكا — ذلك الذي يعلم رئيسه الآن، أنه يأكل لحم الخنزير جهرا في نهار رمضان، ولو زدنا في وصفه لعرفه كثير من الناس، وانما الغرض بيان الصفات والاعمال وعلى هذه الشاكلة كل اولئك الضّلال، الذين لم يرضوا بسكوت المسلمين لهم على الضلال ، حتى تصدوا للعدوان والصيال ، (١٤ : ٥٨ وقد مكروا مكرَهم وعند الله مكرُهم ، وان كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال)

فهم على ماهم ،(٤٧ : ٣١ ولو نشاء لأَرَيناكهم فلعَرَفتهم بسيماهم، ولتعرفنّهم في لحن القول) وفيما يوجهون اليه القوة والحول ، فمنهم من يحاول هدم الاسلام ، بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن، ومنهم من يبتغي التشكيك فيه بنشر آراء الماديين، من القدماء والاوربيين، ومنهم من يصد عن محجته، بتفضيل ماعرفوا من القوانين على ماجهلوا من شريعته، ومنهم من ينفر عما حرِمَه من آدابه الروحية والاجتماعية، تلذذا بما حرّمه من الشهوات الضارة والعادات البهيمية ، ومنهم من هم أقصر من هؤلاء نظرا ، وأظلم بصيرة وأفسد ذوقا، وهم الذين يحتقرون مشخصات أمتهم (كالجبة والعمامة) ويهزؤن بها ، ويرغّبون في الاستعاضة بالازياء الغربية عنها، ويتوهمون أنهم قد عرجوا بذلك الى مستوى من فلسفة الذوق والجمال، لا يعرفه الا من حلق في جو الخيال الى أوج الكمال ، كمخترِعات الازياء الجديدة (المُودَه) من ربات الغنج والدلال، ولو عقلوا ماتجره هذه الفلسفة النسائية أو الصبيانية من الخزي والنكال ، أو قرؤا وفهموا ماقاله الدكتور سنوك الهولندي في خطبته في مستقبل الاسلام، لودوا لوكانوا من ربات الحجال، راجعين عن مذهب السفور ومخالطة نسائهم للرجال، وانما يلوذ هؤلاء وأولئك بخلابة

المقال (٢: ٢١١ زُيِّنَ للذين كفروا الحياةُ الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة، والله يرزق من يشاء بغير حساب)

وجملة القول انا بعد ان فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين، قد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين، يواليه أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين، فاذا ترك هؤلاء وشأنهم، وسكت لهم أهل الحق على ما ينفثون من سموم أباطيلهم، تعظم جرأتهم، وتنتشر دعوتهم، وتكبر فتنتهم، وليس الاستظهار عليهم بالامر العسير، فان حجتهم داحضة، وغواياتهم متناقضة، وغاياتهم متعارضة، ويخافون الردة الصريحة، ان تحرمهم احترام الامة وبعض مناصب الحكومة، فالجريء منهم على التصريح بالكفر على رءوس الاشهاد قليل، وانما يصرحون غالبا بما يظنون أنه يحتمل التأويل، كزعمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام، أقرّ العرب على بعض عباداتهم الوثنية لاجل استمالتهم كما فعل بعض الباوات، وهذا من أقبح البهتان، فان ما أقره الاسلام من مناسك الحج كان من شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام، فهو الذي بنى بمساعدة ولده اسماعيل البيت العتيق، وطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود، وأذن في الناس بالحج فلبوه من كل فج عميق ومن دعائه عليه الصلاة والسلام، (١٤: ٣٥ رَبِّ اجعلْ هَذا البلدَ آمِناً واجنبني وَبَنِيَّ أن نَعبدَ الاصنام)

هذا وإن سواد المصريين الاعظم يغار على دينه، ويذب عنه بشماله ويمينه، حتى ان أكثر المتعلمين فى المدارس المتفرنجة والافرنجية، ليتعصبون له عصبية سياسية اجتماعية، لا يشعر بمثلها المتعلمون في المعاهد الدينية، فهم يمقتون من يجعل نفسه داعية للكفر، ويلفظونه كما تلفظ النخامة

من الفم، ويعلمون أن ماينتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عندالاوربيين ،
والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين، ليس بالغرض الصحيح الذي
يعذرون فيه ، ولاالعمل المفيد للدنيا فيساعدهم من لا يؤمن بالآخرة
عليه، فهم لا يجدون في الاسلام ولافي رؤسائه تلك الاسباب التي حملت
بعض كتاب أوربة وجمعياتها السياسية ، على مجاهدة الكنيسة ورجالها
والطعن في نفس النصرانية ، فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم
العقلية والكونية ، وأوجب الفنون والصناعات المدنية ، وأخرج
البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية ، وأما رجال الدين
الرسميين في مصر فلا مجال لاتهامهم بعصبية دينية ، ولا بمقاومة الحرية
العلمية ولا العملية ، أنى وشيخ الازهر ومفتي الديار المصرية ، وشيخ
مشايخ طرق الصوفية ، قد اشتركوا في جمع الاعانة لجمعية الصليب
الاحمر ، حتى فرضها الاول على جميع أصحاب الرواتب في الجامع الازهر،
وحضروا ما كانوا يتحامون من المحافل ، في معاهد التمثيل والفنادق ،
وقد حضر المفتي حفلة الصلاة على روح لورد كتشنر في هذه الايام ،
كما حضر الصلاة على روح بطرس باشا منذ أعوام ، فلم يبق لهؤلاء
الملاحدة ما ينقمونه من هؤلاء العلماء، الا عدم مشايعتهم إياهم على السفور
ومخالطة النساء، ولعلهم لا يرضونه منهم الا أن يغيروا هذه الازياء (٣:٧
رَبَّنا لا تُزِغ قلوبَنا بعدَ اذ هديتَنا وهَبْ لنا من لدُنك رحمةً انك أنت
الوهّاب ٨ربنا انك جامعُ الناسِ ليومٍ لاريب فيه ان الله لا يُخلِف الميعاد)

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

السنة وصحتها والشريعة ومتانتها

رد على دعاة النصرانية بمصر

تمهيد في بيان حالنا مع المبشرين

لا يزل دعاة النصرانية (المبشرون) يطعنون على الاسلام بما ينشرون من الرسائل والمقالات ، وانني أتعمد ترك قراءة ما يصل الي من مجلاتهم ورسائلهم حتى لا أفتح على نفسي باب الرد عليهم ، اذ رد الشبهات الموجهة الى الاسلام انما يجب على من علمه وجوبا كفائيا ، وقد كنت أكره الرد عليهم لولا ذلك وان كانوا يظنون أنه من مقاصد المنار ومشروع الدعوة والارشاد الذي اكبروا أمره ، على أنه لم ينلهم منه أذى بقول ولا فعل ، وجميع الطلبة في دار الدعوة والارشاد من قسم المرشدين الذين يُعدُّون لارشاد العوام لمقاومة الشرور والمعاصي الفاشية فيهم ، فقد كثرت في هذه البلاد جناياتهم في الانفس والاموال والزروع ، وفشا فيهم السكر والقمار والفحش ، نعم ان من مقاصد المنار رد الشبهات عن الاسلام مقاومة للشك والتشكيك فيه ، وإنما أكره الجدل ، وأكره تعمد مناقشتهم أو فتح بابها عليَّ لأنهم هم الذين يتعرضون لها وينتفعون بها ، وما أكثرت من محاجة أهل الكتاب في سنتي المنار الاخيرتين الا في التفسير اذ اتفق بلوغي فيه الى سورتي النساء والمائدة المدنيتين ، وأكثر ما في القرآن من محاجة أهل الكتاب في هاتين السورتين وأقله فيما قبلهما . على ان فيه أيضا ما أوجبه الاسلام من إنصافهم والعدل فيهم ، وبيان مودة النصارى منهم . وقد انتهينا من ذلك ، ووصلنا الى تفسير السور المكية التي خوطب بها المشركون وقلما يذكر فيها أهل الكتاب الا في سياق بيان سنة الله تعالى في الرسل وأممهم .

لهذا كنا نظن أن باب محاجة أهل الكتاب يكون مقفلا في المنار الى ماشاء الله ، ولكن مجلة المبشرين العربية (الشرق والغرب) نشرت في العدد الذي صدر منها في أول الشهر الماضي (ابريل) مقالة عنوانها (السنة وصحتها) طعنت فيها على السنة

النبوية وزعمت أن طعنها يوجب الريب في الشريعة وترك العمل بها، وأنها لا قيمة لها في نفسها ، وقد جاءتنا المجلة فلم نفتحها، ثم علمنا بتلك المقالة فلم نقرأها ، ثم رأينا لهذه المقالة تأثيرا سيئا في المسلمين حتى إن منهم من نقلها عن المجلة وطبع كثيرا من نسخها بمطبعة الجلاتين ووزعت على الناس ووصلت الينا نسخة منها ، واقترح علينا كثيرون أن نرد عليها فوجب شرعا اجابة طلبهم

ومما أكد وجوب الرد ما رأيناه في المقالة من مطالبة ثلاث مئة مليون من أهل السنة بالجواب عنها ! فلا ندع لهم مجالا أن يقولوا للمسلمين إنه لم يستطع أحد من علمائكم أن يدافع عن سننكم وشريعتكم ، ولا أن يرد شيئا من حججنا عليها !

فها نحن أولاء نرد عليهم رداً يعلمون ويعلم الناس به أنهم لم يتحروا الامانة فيما نقلوا من كتبنا، ولم يفهموا ما قرؤا منها وما نقلوا عنها ، وأن طعنهم في أبي هريرة رضي الله عنه خطأ ، وأنه لو صح لم يترتب عليه بطلان الثقة بالسنة ، ولاما رتبوه على ذلك من عدم وجوب طاعة الشريعة ، وانما قصاراه أنهم افتجروا دعاوى نسبوها الى الاسلام ، وردوا عليها بما لا يصلح أن يكون ردا

وقد رأينا أن ننقل كلامهم برمته على ما فيه من الركاكة واللغو والضعف ، واطلاق بعض الكلم على غير المعاني التي نطلقها عليها ، ولكن لا نناقشهم في شيء من الالفاظ لذاتها ، ولا في العبارة من حيث ضعفها ، بل في المسائل والمعاني ، وقد كان الغرض الاول من نقل عبارتهم بنصها، وعدم تلخيص مسائلها والرد عليها، أن لا يتوهم أحد منهم أو من غيرهم أننا تصرفنا في التلخيص تصرفا يخل بالمعنى المراد، أو حذفنا منه ما لا يمكن ردّه بنقض ولا انتقاد، واستتبع ذلك بيان أن القوم لا يوثق بنقلهم ولا بفهمهم ، ومن المعلوم بالضرورة أنهم ليسوا كالفلاسفة الذين يبحثون في المسائل لأجل استبانة الحق في ذاته ، وانما يتحرون بالبحث ما يرون فيه سبيلا للطعن والاعتراض، ومجالا للتشكيك واثارة الشبهات، كما يعلم مما يأتي

﴿ الجملة الاولى من مقدمة الطاعن ﴾

افتتح طاعنهم مقالته بجملة تتضمن عدة دعاوى هذا نصها :

« ان صحة الشريعة قضية لا بد لكل مسلم سني من التسليم بها وذلك متوقف على صحة السنة . فاذا ارتاب أحد في صحة السنة فليس ثمة داع منطقي يوجب إطاعة الشريعة لأن جانبا قليلا منها فقط يتوقف على القرآن ، والجانب الاكبر يتوقف على السنة التي اجتمعت في الاحاديث . فاذا ثبت الريب في هذه الاحاديث تزعزعت أركان الشريعة وأركان تابعيها من حنفي ومالكي وشافعي وحنبلي . وعددهم لا يقل عن ثلاث مئة مليون من الاتباع » اه

نلخص هذه الجملة من كلامه في ثلاث قضايا ونبين ما فيها

القضية الاولى

﴿ زعمه اذا ارتاب أحد في السنة ينتفي وجوب طاعة الشريعة ﴾

هذه القضية بديهية البطلان فان الاطلاق في جزاء الشرط يدل على ان المراد من القضية الشرطية ان ارتياب فرد من الافراد في صحة السنة يستلزم انتفاء وجوب اتباع الشريعة على جميع الافراد . وانما المعقول الموافق للمنطق ان ارتياب الفرد أو ظنه أو علمه يترتب عليه ما يستلزمه في حق نفسه ولا يكون ذلك مؤثرا في غيره ممن لم يرتب ارتيابه أو لم يعلم علمه ، وكذلك ارتياب الافراد الكثيرين . وقد ارتاب بعض علماء أوربة الاحرار في وجود المسيح عليه السلام وزعموا أنه شخص خيالي — أو متخيل — لم يوجد « كما زعم بعض المؤرخين مثل ذلك في هوميروس شاعر أساطير اليونان — فهو استلزم ارتياب أولئك المرتابين فيه انتفاء إيمان مئات الملايين من المسلمين والنصارى وغيرهم بوجوده عليه السلام ؟

القضية الثانية

﴿ زعمه ان أكثر الشريعة يتوقف على الاحاديث ﴾

هذه القضية غير مسلمة فان الشريعة عندنا تشمل العقائد والعبرة فيها بالدلالة القطعية وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الاسلام ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين ، وإثبات الالوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين العقلية ، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتياب في بعضها . وكذلك أصول العبادات

كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أحاديث الآحاد. وما ثبت من احكام العبادات بأحاديث الآحاد ولم يجمع عليه أئمة العلم فلا تتوقف عليه صحة الاسلام وان كان صحيحا في نفسه ، وانما هو مزيد كمال في علم السنة . وأما أحكام الشرع في المعاملات فأ كثرها مأخوذ من القواعد والاصول وكذا الفروع الواردة في القرآن إما بالنص وإما بدلالة النص وفحواه، ومن القياس الذي توسع فيه بعضهم كالحنفية فالشافعية ،والمصالح العامة التي توسع المالكية والحنابلة. وأقلها من حديث الآحاد . وما بقي من أركان الشريعة بعد العقائد والاحكام العملية الا الاخلاق والآداب ، وجميع ما ورد في الاحاديث من الحكم والفضائل والآداب فهو مستمد من القرآن الحكيم وشرح له ،بل السنة كلها بيان القرآن لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل اليهم) وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها وصفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقولها: كان خلقه القرآن .

وقد اختلف العلماء في أحكام السنة التي لا تستند الى نص من القرآن فقيل إنها بوحي من الله تعالى وان الوحي لا ينحصر في القرآن ولكن للقرآن مزايا ليست لغيره من وحي الله الى خاتم رسله ولا الى الرسل قبله ، أعظمها إعجازه والتعبد بتلاوته. وقيل ان الله تعالى أذن لرسوله بأن يحكم ويشرع برأيه واجتهاده

ومن تأمل كثيرا من الاحكام التي استدلوا عليها بالسنة وحدها يرى لها مآخذ من القرآن كتحريم الجمع بين المرأة وبين عمتها أو خالتها في الزواج وكتحريم الاكل والشرب فى آنية الذهب والفضة ،وقد بينا ذلك في المنار ، كما بينا تفاوت الافهام في الغوص على درر القرآن ، وأين أفهام الناس كلهم فيه من فهمه عليه الصلاة والسلام ، وقد ثبت مع ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يقضي في المسائل السياسية والادارية باجتهاده ، ويستشير فيها أصحابه

القضية الثالثة

﴿ زعمه أنه اذا ثبت الريب في الاحاديث تزلزلت أركان الشريعة ﴾

هذه القضية غير مسلمة أيضا وفيها إجمال وإبهام . فاذا أراد بثبوت الريب في

الاحاديث ما أفادته جملته الاولى من ارتياب بعض الافراد ولو واحدا — فقد بينا ان هذا لايترتب عليه الا ما يستلزمه الارتياب في نفس المرتاب وحده ، واذا أراد ارتياب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع الاحاديث فهذا ماوقع ولن يقع ولا يعقل أن يقع، وسنشرح ذلك على وضوحه في نفسه، فإن فرضنا جدلا انه يقع فانما يترتب عليه حينئذ الاكتفاء في الدين بما في القرآن والسنة العملية المنقوله بعمل مئات الالوف وألوف الالوف منذ العصر الاول ككيفية الصلاة والصيام والحج وغير ذلك وبما ثبت بالاجماع والقياس الصحيح ، ولا ينقص من كتب الشريعة حينئذ الا الاحكام والحكم التي ثبتت بأحاديث الآحاد وحدها كما بيناه في الكلام على القضية الثانية

وبهذا وذاك يظهر لك بطلان قوله « تزعزعت أركان الشريعة وأركان تابعيها » فان أراد بأركان الشريعة أصول العقائد وقضايا الايمان التي يكون بها المرء مؤمنا فقد علمت انه لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد ، وان أراد أركان الاسلام الخمسة فكذلك ، فان معرفة هذه الاركان لا تتوقف على ثبوت الاحاديث الواردة فيها فانها مجمع عليها معلومة من لدين بالضرورة، سواء صح ما ورد فيها من الحديث أم لم يصح ، على انه صحيح ولله الحمد، وإن أراد بأركان الشريعة أو أركان تابعيها أصولها المستمدة منها عند الأئمة الاربعة فقوله أظهر بطلانا فان هذه الاركان أربعة — الكتاب والسنة والاجماع والقياس — وما ألحق بها عند بعضهم كالمصالح والاستحسان ، فالاحاديث جزء من السنة التي هي ركن من هذه الاركان ، فالارتياب في هذا الجزء لايوجب الارتياب في الجزء الآخر منها وهو ماثبت بالتواتر عملا أو قولا ، فكيف يوجب الارتياب في القرآن وكله متواتر ، وفي الاجماع والقياس ؟

قلنا ان ارتياب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع أحاديث الآحاد ما وقع وان يقع ولا يعقل ان يقع . وبيان ذلك ان المعهود من البشر في كل زمان ومكان ان يصدقوا خبر كل مخبر — لان الاصل الغالب في أخبار الناس الصدق — الا اذا وجدت علة في الخبر أو المخبر تقتضي الارتياب ، كأن يكون الخبر غير معقول أو يكون المخبر معروفا بالكذب . على أننا نرى الناس يصدقون أكثر أخبار الجرائد

السياسية والشركات البرقية على كثرة ما عرفوا من كذبهما ، واعتقادهم أن لاصحابهما أهواء سياسية يحاولون تأييدها بالحق وبالباطل . فاذا كان هذا شأن البشر في أمثال هذه الاخبار التي تحوم حولها الشبهات في أنفسها وفي سيرة رواتها ، فكيف يعقل ان يرتابوا في صحة جميع الاحاديث التي صححها حفاظ المحدثين بعد نقد متونها وإقامة ميزان الجرح والتعديل لكل فرد من أفراد رواتها ، وقد علم أنهم لا يقبلون في الاحتجاج حديثا منقطع الاسناد ولا حديثا في رواته مجهول أو أحد ثبت عليه الكذب أو سوء الحفظ أو النسيان أو مخالفة الثقات الاثبات في روايته ؟

ها أنتم أولاء تصدقون أخبار أناجيلكم الاربعة وغيرها من كتبكم وليس عندكم سند متصل لشيء منها ، وقد اختلف علماؤكم ومؤرخوكم في كتابها وفي اللغات التي كتبت بها ، وفي التواريخ التي كتبت فيها ، فلم يتوفر لكم فيها شيء من النقد والتمحيص الذي توفر لنا في نقل الحديث، أفتعقلون مع هذا أن نرتاب في تصديق جميع الاحاديث التي نقلت لنا بدقة لم يعهد لها البشر نظيرا في تاريخهم القديم ولا الحديث — وأنتم ترون أنفسكم وسائر البشر يصدقون أكثر ما يروى لهم بلا سند ولا بحث في رواته ، بل كثيرا ما يصدقون أخبار من ثبت عليهم الكذب مرارا كثيرة، كرواة البرقيات والجرائد ؟

﴿ الجملة الثانية من كلام الطاعن ﴾

قال: « وسنثبت في الفصول التالية ان من السهل اثبات الشبهات الملقاة على تلك الأحاديث . ونحن مثبتون في هذا الفصل وهن الاعتماد على بعض الصحابة التي تتوقف مئات من الاحاديث على شهادتهم حتى قامت عليها الشريعة ومنها نشأت السنة، على ان البخاري الذي اشتهر بنقد رجال الحديث لم يخطر له ان يرتاب في صدق الصحابة لانهم كانوا في نظره معصومين من الكذب ، وهذا يدلك على ضعف حجته ، فقد ثبت بوجه لا يقبل الشك ان أبا هريرة وابن عباس لم يكونا ممحصين في رواية الاحاديث . وغرضنا الآن ان نبين أن الريب في أحاديث أبي هريرة تسرب الى نفوس معاصريه ونفوس الذين جاؤا بعده ومع ذلك فقد نقل

عنه البخاري الاحاديث بالمئات فتداولتها ألسنة المجتهدين الذين اسسوا المذاهب الاربعة وبنوا عليها نظامهم الشرعي »

أقول نلخص هذه الجملة في قضايا تابعة في العدد لما تقدم ونبين ما فيها من الخطإ والاباطيل

القضية الرابعة

﴿ زعمه وهن الاعتماد على رواة المئات الاحاديث من الصحابة كأبي هريرة ﴾

هذه القضية باطلة فانها توهم القارئ ان الكاتب يثبت في هذا الفصل مطاعن في عدالة عدة من الصحابة الذين رووا المئات الكثيرة من الاحاديث — حتى اذا ما قرأ الفصل كله لم يجد فيه الا روايات في واحد منهم — وهو أبو هريرة رضي الله عنه — ويرى ان هذه الروايات لا تسقط عدالته كما نبسطه في هذا المقال. وهذا مما يؤيد قولنا ان هؤلاء الناس يكتبون ما لا يفهمون لانهم اعتادوا الجرأة على إلقاء المطاعن من غير تفكير ولا روية ، فهم ينقضون ما يبنون ولا يشعرون

القضية الخامسة

﴿ زعمه أن البخارى لم يخطر بباله الارتياب في صدق الصحابة لاعتقاده عصمتهم ﴾

هذه القضية باطلة أيضا لا لانها حكم بعموم السلب ، على شيء يتعلق بالقلب لا يعلمه الا الرب ، فان مثل هذا الكاتب لا يناقش في مثل هذا التعبير لانه لا يفرق بينه وبين القول بأن البخاري لا يتهم أحدا من رواة الصحابة بالكذب ، ولا بغيره من العلل القادحة في الرواية، وانما نريد بيان بطلان زعمه ان البخاري كان يرى أن رواة الصحابة معصومون . والصواب انه كان يرى ويقول إنهم عدول صادقون لا معصومون ، وما قال هذا القول هو وغيره من نقاد المحدثين الا بعد تتبع تاريخهم كغيرهم من الرواة ، وقد نقل عنه الطاعن ما أراد أن يسقط به عدالة أبي هريرة وشيئاً من تمحيصه لما يرويه، فالبخاري كان أعلم من الطاعن بكل ما قيل في أبي هريرة وبما رواه أبو هريرة ولم يره مسقطا لعدالته، ولو رآه مسقطا لها لما روى عنه في صحيحه . وقد كان البخاري من أئمة أهل السنة الذين لا يقولون بأن أحدا

من البشر معصوم من الكذب الا الانبياء عليهم السلام . وصدق الرواية لا يتوقف على العصمة والا لما قبل أحد من البشر قول أحد بعد تبليغ أنبيائهم الوحي . وانما يكتفى في تصديق الرواية بالعلم بعدالة الراوي وجودة حفظه وضبطه لما يرويه ، ولم ينقل عن أحد من مؤرخي البشر ونقلة الاخبار مثلما نقل عن البخاري من شدة التحري في كتابه الجامع الصحيح ، فليأتنا هذا الطاعن بمثله أو بما يقرب منهم من علمائهم ؟ كيف وكتبهم المقدسة تنسب الكذب وغيره من كبائر المعاصي الى الانبياء برأهم الله تعالى وصلى الله عليهم وسلم، وهؤلاء المبشرون وأهل نحلتهم لايقولون بعصمة الانبياء دع عصمة ناقلي كتبهم بغير أسانيد متصلة ولكنهم يقبلون ما عزي اليهم . وسنشير الى المقابلة بين رجالنا ورجالهم في هذا المقال ، ولا حاجة الى تفنيد قوله بضعف حجة البخاري الذي بناه على زعمه أن البخاري يعتقد عصمة الصحابة ، فهو ساقط في نفسه وأضعف منه وأسقط ما بناه عليه

القضية السادسة

﴿ زعمه أن الائمة الاربعة أسسوا مذاهبهم على مارواه البخاري عن أبي هريرة ﴾

هذه القضية الباطلة تدل على مبلغ علم المبشرين الناشرين لهذا المقال وعلى درجة تحريهم وصدقهم فيما يقولون وينقلون

الحافظ البخاري متأخر عن الائمة الاربعة أدرك رابعهم الامام أحمد ابن حنبل وتلقى الحديث عنه. وقد جاء في تهذيب التهذيب عن العقيلي أن البخاري لما ألف كتابه الصحيح عرضه على علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل (وكلهم من كبار شيوخه) وغيرهم فامتحنوه وكلهم قال : كتابك صحيح الا أربعة أحاديث . قال العقيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة . والشاهد في هذا النقل أن البخاري أخذ عمن أدرك من الأئمة الاربعة ولم يأخذ أحد منهم عنه شيئا ، ولم يكن أحد من المجتهدين يقلد أحدا في رواية ولا دراية ، وانما يأخذ كل منهم بما صح عنده من الرواية

ولد الامام أبو حنيفة سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ وولد الامام مالك سنة ٩٣ وتوفي

سنة ١٧٩ وولد الامام الشافعي سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٠٤ وولد الامام احمد ١٦٢ وتوفي ٢٤١ وولد الامام محمد بن اسماعيل البخاري سنة ١٩٤ وتوفي سنة ٢٥٦ وقد رحل من بلاده لطلب العلم سنة ٢١٠ أي بعد وفاة الامام الشافعي ببضع سنين وبعد وفاة مالك باحدى وثلاثين سنة و بعد وفاة أبي حنيفة بستين سنة

فكيف اجاز لهذا الطاعن في السنة والشريعة دينه وعقله أن يقول ان الائمة الاربعة أخذوا عن البخاري مارواه من الاحاديث عن أبي هريرة وبنوا عليه نظامهم الشرعي؟ وكيف توهم أنه جاء بعلوم وحقائق تزعزع هذه الشريعة التي هي أثبت من الجبال الرواسي؟ أبمثل هذه الدعاوى المخترعة تهدم الحقائق الثابتة؟

***

﴿ الجملة الثالثة من كلام الطاعن ﴾

الشبهات في أبي هريرة

الشبهة الاولى

(١) قال الطاعن: الارتياب العام في أبي هريرة (بشهادة نفسه) حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله ...عن أبي هريرة قال « ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة » ولولا آيتان من كتاب ما حدثت حديثا...ان إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وأن أبا هريرة كان يلزم رسول الله (صلعم) بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون.
(البخاري جزء أول كتاب العلم صفحة ٣٧) وكتب في الحاشية ما نصه:
(جاء في الاصابة لابن حجر جزء ٧ : ٢٣ قوله « انكم تزعمون ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله » وقد علل هذا الاكثار برواية غريبة) اه كلام الطاعن

الجواب عن هذه الشبهة

استدل الطاعن بهاتين الروايتين على ما سماه الارتياب العامّ في أبي هريرة، ويفهم من هذا أنه يوهم قارئ مقالته أن جميع أهل عصره أو أكثرهم كان يرتاب في صحة روايته. وهذه دعوى باطلة، ولفظ الناس يصدق بالقليل والكثير قال الله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) روي في التفسير

المأثور أن الذي قال ذلك هو نعيم بن مسعود قال ان أبا سفيان يجمع لكم الجيش الخ وقيل ان القائل ركب عبد القيس . فالناس اسم جنس يطلق على الواحد كما يقال : فلان يركب الخيل . وان لم يركب الا فرسا واحدا ، ويطلق على الكثير .

وقد ثبت أن بعض الصحابة أنكروا اكثار أبي هريرة من التحديث كما هو صريح هذا الحديث الذي اختصره الطاعن من البخاري • وقد صرح في رواية أخرى له بزيادة «ويقولون ما للمهاجرين والانصار لا يحدثون مثل حديثه» ووجه الانكار أن أبا هريرة من متأخري الصحابة فينبغي ان يكون أقل سماعا منهم . ومن المعلوم بالبداهة المتفق عليه من العقلاء الذي يقضون به في محاكمهم ان الاستنكار والاستغراب في مثل هذا لا يقتضي الاتهام بالكذب ، وأن التهمة لا تقتضي بمجردها سلب العدالة ، لان من التهم ما يبنى على شبهات وأوهام ، ومنه ما هنا

وقد أجاب أبو هريرة عن الاكثار هنا بأنه كان يلزم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكاد يفارقه اذ لا تجارة له كالمهاجرين ولا حرث له كالانصار فيشغله هذا أو ذاك ، فكان بهذه الملازمة يسمع ما لا يسمعون ويحفظ ما لا يحفظون . ويضاف الى هـذا الجواب أنه حدث بما سمعه وبما رواه ، وأجوبة أخرى سيأتي بيانها — وأجاب عن أصل التحديث بالآيتين الدالتين على وجوب اظهار العلم وحرمة كتمانه ، وهما قوله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله) الى قوله (التواب الرحيم) وقد حذف ذلك الطاعن

وأما الرواية الثانية وهي ما نقله الطاعن في الحاشية عن الاصابة لابن حجر فهي رواية أخرى لهـذا الاثر نفسه رواهما البخاري عن الاعرج (عبد الرحمن بن هرمز) عن أبي هريرة، وقال الطاعن انه علل الاكثار برواية غريبة؛ أي علل كثرة تحديثه بعلة غريبة أي عند الطاعن، ولم يذكر هذه العلة! وهي عين العلة التي في الرواية الاخرى مع زيادة تعد من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته — ولذلك لم يذكرها الطاعن وهي : فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فقال« من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئا سمعه مني » فبسطت بردة علي

حتى قضى حديثه ثم قبضتها اليّ فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئا سمعته منه بعد. وروى هذا الحديث احمد ومسلم والنسائي وغيرهم من طرق. وقد فهم أبو هريرة من الحديث عموم السلب المطلق وصدق عليه ذلك ، وان كان لفظ الحديث يحتمل تقييد العموم بما يقوله صلى الله عليه وسلم مدة بسط الرداء . وسنذكر بعض ماقاله الائمة النقاد في حفظ أبي هريرة ، ولم يروعنه في الصحيح انه نسي شيئا حدث به الا حديث « لا عدوى » فانه أنكره بعد ان روى ما يدل على ثبوت العدوى، (*) ولعله كان من مراسيله لا من سماعه ، فلا يتعارض مع قوله انه ما سمع شيئا ونسيه أي بعد مسألة الرداء ، أو كان من سماعه قبل بسط الرداء

الشبهة الثانية

(٢) قال الطاعن : تهمة أبي هريرة بالكذب (بشهادة نفسه) : « عن أبي الرزين قال خرج الينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته فقال : ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله لتهتدوا وأضل ألا واني أشهد لسمعت رسول الله (صلعم) يقول اذا انقطع شسع أحدكم فلا يمشي في الاخرى حتى يصلحها » (جزء ٤ : ٤٤٠) (لا يخفى ما في هذا من الضعف)

(٣) ونقل ابن حجر عن احمد بن حنبل (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) قوله « قيل له ا كثرت فقال لو حدثتكم بما سمعت لرميتموني بالقشع أي الجلود » وقد أردف هذا بشكوى أخرى وهي قوله « أ كثر علينا أبو هريرة »

(٤) نقل ابن حجر عن عائشة (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) ما يأتي : قالت عائشة لأبي هريرة « إنك تحدث بشيء ما سمعته » فأجابها أبو هريرة بما مؤداه انها كانت مهتمة بزينتها فلم تسمع ما سمعه هو

(٥) عبدالله بن عمرو بن العاص جاء في كتاب أخبار مكة للازرقي صفحة ١٣٥ قوله : حدثنا أبو الوليد ... عن عبيدالله بن سعد انه دخل مع عبدالله بن عمرو ابن العاص المسجد الحرام والكعبة محرقة حين ادبر جيش الحصين بن نمير والكعبة تتناثر حجارتها فوقف ومعه ناس غير قليل فبكى حتى اني لا نظر الى دموعه تحدّر

*) راجع ص ٧٨١ م ١٨ أي مجلد سنة المنار الماضية

كلا في عينيه... فقال يا أيها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم انكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت الله ربكم لقلتم ما من أحد أكذب من أبي هريرة »

(٦) عبدالله بن عمر. جاء في الترمذي جزء ١ صفحة ٢٨١ قوله : حدثنا ابن عمر ... فقال ان رسول الله (صلعم) أمر بقتل الكلاب الا كلب صيد أوكلب ماشية. قيل له إن أبا هريرة كان يقول أو كلب زرع . فقال ان أبا هريرة له زرع » (ولا يخفى ما في هذا من التقريع اللطيف)

(٧) — عن الاصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ . كان أبو هريرة قد روى حديثا عن الصلاة لم يعجب مروان فسأل عبد الله بن عمر فقال عبدالله : لقد أكثر أبو هريرة . فقالوا له أتنكر شيئا مما يقولون ؟ فقال لا ولكن أجرأ وجبنا . وبلغ ذلك أبا هريرة فقال : ما ذنبي ان كنت حفظت ونسوا ؟

ولا نظن قوله « أجرأ وجبنا » من قبيل الازدراء فان ابن عمر ما كان ينسب الجبن الى نفسه . اما الجرأة التي نسبها الى ابي هريرة فمعناها التهجم والتحدي . ولعل في هذا ما يميط لنا اللثام عن مصادر الاحاديث فانه يدلنا على عظم الاستسلام الى رواة الاحاديث غير المدققين . والارجح ان عبد الله لم يكن ليجسر على مقاومة أبي هريرة وإنما جاهر برأيه بلهجة الازدراء

(٨) جاء في الاصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ ان مروان استاء من كلمة قالها أبو هريرة فاتهمه بالاكثار من الرواية وأردف ذلك بقوله : انما قدم أبو هريرة قبل وفاة رسول الله ... بيسير. فقال أبو هريرة : قدمت ورسول الله ... بخيبر وانا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقمت حتى مات »

[ملاحظة — كان محمد في خيبر في سنة سبع هجرية أي قبل موته بنحو أربع سنوات ، فالحادثة المذكورة هنا تبين ان معاصري أبي هريرة أنفسهم كانوا يرون المدة قصيرة جدا لا تعلل إكثاره من رواية الاحاديث التي كان يستشهد بها كلما شاء]

اه كلام الطاعن بحروفه وإشاراته ورموزه وحذفه من الروايات وغلطه فيها وهو كثير، ومنه قوله « أتنكر شيئا مما يقولون » وصوابه « مما يقول » يعني أبا هريرة، وقوله « أجرأ وجبنا » وصوابه « اجترأ وجبنا » ولعل هذا الخطأ من الطبع لا من

تحريف الناقل ، ولكن بعض غلطه من سوء الفهم قطعا كقوله بعد الحديث الذي عزاه إلى أحمد : وقد أردف هذا بشكوى أخرى الخ والصواب ان هذه الزيادة ليست من حديث أحمد . ومنه ما فهمه من كلام ابن عمر

الجواب عن هذه الشبهة

نقول — (أولا) ليس في هذه الروايات التي أوردها الطاعن تصريح من أحد بأن أبا هريرة قد ثبت عليه الكذب

— وثانيا — إن التهمة لاتثبت الا بالبينه والدليل ، باتفاق الشرائع والقوانين وعرف أهل العقل والعدل من البشر أجمعين ، ولم يقم أحد دليلا ولا بينة على أن أبا هريرة كذب ، وإنما عرض لبعض الصحابه شبهة في رواية أبي هريرة ، ولو ثبتت الشبهه وظلت مجهولة وسببها خفيا لصح أن تجعل علة لعدم إلحاق روايته برتبة الصحيح احتياطا ، ولكن سبب الشبهه معروف وهو لا يقتضي سلب العدالة ولا عدم الثقه بالروايه

— وثالثا — ان لتلك الشبهه سببين (أحدها) خاص بكثرة الروايه وفيه ورد أكثر الروايات ، وحاصلها أن مدة صحبته للنبي ﷺ ثلاث سنين وأشهر وهي لا تتسع للأحاديث الكثيرة التي كان يرويها (والثاني) خاص ببعض متون الاحاديث ، وهي التي كان يتوقع التكذيب بها ، أو الايذاء أو القتل إذا حدث بها ؛ لانها من أخبار الفتن التي أخبره بها النبي ﷺ قبل وقوعها ، وهي ما يسميه النصارى بالنبوات ، ولما عرف أهل الحديث سبب الشبهه ظهر لهم أنها لاتدل على أدنى طعن في عدالة أبي هريرة ، وبيان ذلك من وجوه

أسباب كثرة حديث أبي هريرة

لكثرة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أسباب استخرجناها من عدة روايات

(أحدها) أنه قصد حفظ أقوال الرسول ﷺ وضبط أحواله لاجل أن يستفيد منها ويفيد بها الناس ، ولاجل هذا كان يلازمه ويسأله ، وكان أكثر الصحابه لايجترءون على سؤاله الا عند الضرورة ، وقد ثبت انهم كانوا يسرون إذا جاء بعض

الاعراب من البدو واسلموا لانهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم . ومن الدلائل على هذا السبب مارواه عنه البخاري قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال « لقد ظننت أن يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث » وما رواه أحمد عن أبي بن كعب: ان أبا هريرة كان جريآ على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره.

(ثانيها) انه كان يلازم النبي صلى الله عليه وسلم ويتبعه حتى في زيارته لنسائه وأصحابه ليستفيد منه ولو في أثناء الطريق ، فكانت السنين القليلة من صحبته له كالسنين الكثيرة من صحبة كثير من الصحابة الذين لم يكونوا يرونه صلى الله عليه وسلم الا في وقت الصلاة أو الاجتماع لمصلحة يدعوهم اليها أو حاجة يفزعون اليه فيها ، وقد صرح بذلك لمروان، وكما سنبين ذلك في كلامنا على الشاهد السابع من شواهد الطاعن

وأخرج البغوي بسند جيد — كما قال الحافظ ابن حجر — عن ابن عمر انه قال لأبي هريرة : أنت كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه. وفي الاصابة عنه انه قال: أبو هريرة خير مني وأعلم بما يحدث، وعن طلحة بن عبيد الله : لا أشك ان أبا هريرة سمع من رسول الله (ص) مالم نسمع

(ثالثها) انه كان جيد الحفظ قوي الذاكرة ، وهذه مزية امتاز بها أفراد من الناس كانوا كثيرين في زمن البداوة وما يقرب منه اذ كانوا يعتمدون على حفظهم، ومما نقله التاريخ لنا عن اليونان أن كثيرين منهم كرهوا بدعة الكتابة عند ما ابتدؤا يأخذونها وقالوا ان الانسان يتكل على مايكتب فيضعف حفظه، واننا نفاخر بحفاظ أمتنا جميع الامم وتاريخهم ثابت محفوظ ، قال الامام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره . وقال البخاري مثل ذلك الا أنه قال عصره بدل دهره . وأعظم من ذلك ما رواه الترمذي عن عمر (رض) انه قال لابي هريرة : أنت كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظنا لحديثه

(رابعها) بشارة النبي صلى الله عليه وسلم له بعدم النسيان كما ثبت في حديث بسط الرداء المتقدم وهو مروي من طرق متعددة في الصحاح والسنن

(خامسها) دعاؤه له بذلك كما ثبت في حديث زيد بن ثابت عالم الصحابة

الكبير (رض) عند النسائي . وهو ان رجلا جاء الى زيد بن ثابت فسأله فقال له زيد: عليك بأبي هريرة فاني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ندعو الله ونذكره اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس الينا فقال « عودوا للذي كنتم فيه » قال زيد فدعوت أنا وصاحبي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمّن على دعائنا ، ودعا أبو هريرة فقال: إني أسألك مثل ماسأل صاحباي وأسألك علما لا يُنسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «آمين» فقلنا يارسول الله ونحن نسألك علما لاينسى . فقال « سبقكم بها الغلام الدوسي »

(سادسها) انه تصدى للتحديث عن قصد لانه كان يحفظ الحديث لاجل ان ينشره ، وا كثر الصحابة كانوا ينشرون الحديث عند الحاجة الى ذكره في حكم أو فتوى او استدلال ، والمتصدي للشيء يكون اشد تذكرًا له ويذكره بمناسبة وبغير مناسبة لانه يقصد التعليم لذاته ، وهذا السبب لازم للسبب الاول من اسباب كثرة حديثه

(سابعها) انه كان يحدث بما سمعه وبما رواه عن غيره من الصحابة كما تقدم فقد ثبت عنه انه كان يتحرى رواية الحديث عن قدماء الصحابة فروى عن أبي بكر وعمر والفضل بن العباس وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة وبصرة الغفاري، أي انه صرح بالرواية عن هؤلاء ، ومن المقطوع به ان بعض أحاديثه التي يصرح فيها باسم صحابي كانت مراسيل لانها في وقائع كانت قبل اسلامه ، ومراسيل الصحابة حجة عند الجمهور ، وقد روى أيضا عن كعب الاحبار وهو من علماء يهود أسلم في أيام أبي بكر وقيل في ايام عمر ، ووثقه المحدثون ولكن روى البخاري عن معاوية انه قال فيه : ان كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب . ولم يرو البخاري في صحيحه شيئا لكعب. وقد كان في نفسي شيء من رواية كعب قبل ان أرى ما قاله فيه معاوية، وأعلم ان كثيرًا من الناس يتهمونه بالكذب. ثم رأيت للحافظ ابن كثير كلاما في ذلك

فمن تدبر هذه الاسباب لم يستغرب كثرة رواية أبي هريرة ولم ير استنكار افراد من أهل عصره لها موجبا للارتياب في عدالته وصدقه ، اذ علم أن سبب

ذلك الاستنكار ، عدم الوقوف على هذه الاسباب ،

على أن جميع ما أخرجه البخاري في صحيحه له ٤٤٦ حديثا بعضها من سماعه وبعضها من روايته عن بعض الصحابة ، وهي لو جمعت لأمكن قراءتها في مجلس واحد لأن أكثر الاحاديث النبوية جمل مختصرة. فهل يستكثر عاقل هذا المقدار على مثل أبي هريرة او من هو دونه حفظا وحرصا على تحمل الرواية وادائها فيجاري هذا الطاعن في الشريعة على الطعن في الامام البخاري لتخريجها ؟ ؟ كيف وهذا الطاعن لا يوثق بنقله ولا بفهمه ولا بقصده الى بيان الحقيقة بل نعلم علم اليقين أنه يريد التشكيك والطعن لان هذا هو عمله الذي يعيش له وبه ؟

سبب استنكار بعض حديث أبي هريرة

قال الطاعن في الشاهد الثاني عن ابي رزين أن أبا هريرة قال على مسمع منه « ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعزى هذا الى (جزء٤: ٤٤٠) ولم يذكر اسم الكتاب وظاهر عزوه الشاهد الذي قبله الى البخاري أنه يعني ان هذا في البخاري أيضا، وانما نعرفه من رواية مسلم. وذكر في الشاهد الثالث انه قال لوحدثتكم بما سمعت لرميتموني بالقشع . وصوابه : لو حدثتكم بكل ماسمعت، وذكر في الشاهد الخامس عن كتاب أخبار مكة للازرقي أنه قال حين رأى الكعبة محرقة بعد انصراف جيش الحصين بن نمير : يا أيها الناس لو أن أبا هريرة أخبركم انكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت ربكم — لقلتم ما من أحد اكذب من ابي هريرة. يعني لو حدثهم قبل إحراق بني امية للكعبة بذلك لكذبوه لان الخبر مما يستبعد تصديقه . فعلم من قوله انه كان يعلم بهذا الحدث قبل وقوعه لانه سمعه من الرسول (ص) ودليل هذا انه قرنه بخبر مثله في بعده عن الوقوع ولم يكن قد وقع وهو انهم سيقتلون ابن نبيهم يعني الحسين عليه السلام وقد وقع ذلك بعد وفاته رضي الله عنه

كان أبو هريرة يعلم ان كثيرا من الناس لا يصدقون الروايات التي تستبعد عقولهم وقوعها، وان كانت جائزة في نفسها، فيتوقع أن يكذبوه اذا هو حدث بها، ويظنون أنه عزاها الى الرسول لاجل قبولها ، وكان يعتقد ان بني أمية يقتلونه اذا هو حدث بكل ماسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم عن احداثهم ومفاسدهم، وهذا

هو مراده بقوله الذي رواه عنه البخاري في صحيحه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين من العلم فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم . — يشير الى عنقه

قال الحافظ في الفتح : وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الاحاديث التي فيها تبيين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح خوفا على نفسه منهم ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان . يشير الى خلافة يزيد بن معاوية لانها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة . وستأتي الاشارة الى شيء من ذلك في كتاب الفتن . اه

وقد وفى الحافظ بوعده هذا في شرح حديث أبي هريرة في أوائل كتاب الفتن من صحيح البخاري وهو قوله لسعيد بن العاص ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية: سمعت الصادق المصدوق يقول « هلكة أمتي على يدي غلمة[1] من قريش — وفي رواية أحمد والنسائي « ان فساد أمتي على يدي غلمة سفهاء من قريش» فقال مروان : لعنة الله عليهم غلمة . فقال أبو هريرة : لو شئت ان أقول بني فلان وفلان لفعلت . أي ولم يكن مروان يعلم حين لعنهم أنهم قومه وأبناؤه ولكن أبا هريرة هو الذي يعلم ولم يصرح .

وذكر الحافظ في شرحه لهذا الحديث حديثا آخر له من المرفوع في بيان معناه أخرجه علي بن معبد وابن أبي شيبة عنه وهو « أعوذ بالله من امارة الصبيان — قالوا وما امارة الصبيان ؟ قال — ان أطعتموهم هلكتم في دينكم وان عصيتموهم أهلكوكم في دنياكم »

فتبين بهذا أن الأحاديث التي كان يتوقع أبو هريرة تكذيب بعض الناس له فيها هي ما كان من هذا النوع ، وظهر بهذا أن ما أورده الطاعن من الشواهد على اتهامه بالكذب لا يفيد شيء منه اثبات التهمة . وقد بينا آنفا أن رواية أبي

---

(١) هو جمع غلام ولم يقولوا غلمة مع كونه القياس استغناء عنه بغلمة كما في الفتح وفي رواية اغيلمة تصغير غلمة . والغلام الصبي من حين يولد ان يحتلم قال الحافظ وقد يطلق الصبي والغليم بالتصغير على الضعيف العقل والتدبير والدين ولو كان محتلما وهو المراد هنا فان الخلفاء من بني أمية لم يكن فيهم من استخلف وهو دون البلوغ وكذا من أقروه على الاعمال اه المراد منه

رزين عند مسلم والرواية التي عزاها الى أحمد وهي من طريق يزيد بن الاصم عن أبي هريرة ورواية عبد الله بن سعد عند الازرقي — كلها صريحة في أن أبا هريرة كان يعتقد أو يظن أن بعض الناس يكذبونه في بعض أحاديث الفتن إذا هو حدث بها قبل وقوعها لغرابة موضوعها .

بقي من شواهد الطاعن أربعة (أحدها) قول عائشة له: انك لتحدث بشيء ماسمعته. وقد عزا الحافظ هذا الى تخريج ابن سعد وكتابه ليس في أيدينا فلاندري أذكر سببه بعينه أم لا، والظاهر من جواب أبي هريرة أنها أنكرت حديثا رواه لانها لم تسمعه هي من النبي (ص) ومثل هذا وقع لها في أحاديث غير واحد من الصحابة لهذه العلة كارتيابها في حديث المعراج وفي حديث الرؤية في الآخرة وفي حديث عبد الله ابن عمرو في موت العلماء واتخاذ الرؤساء الجهال الذين يضلون و يضلون، ففي صحيح مسلم أن عروة بن الزبير سمع هذا الحديث من عبد الله بن عمرو فأخبر به خالته عائشة فأعظمت ذلك وأنكرته وقالت له : أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ على أنها هي التي أرسلته اليه ليأخذ عنه الحديث قال « قالت لي عائشه : يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌّ بنا الى الحج فالقه فسائله فانه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا » ثم انها مع هذا ومع ما تعلم و يعلم كل الصحابة من و رع عبد الله وعدالته قد ارتابت في هذا الحديث و بقيت مرتابة فيه مدة حول كامل — قال عروة : فلما كان قابل (أي العام الذي بعد ذلك العام) قالت له: ان ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكر لك في العلم قال فلقيته فساءلته فذكره لي نحو ما حدثني به مرته الاولى . فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه الا قد صدق اراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص . والجواب المشهور عند العلماء في مثل هذه المسألة ان من حفظ حجة على من لم يحفظ

(ثانيها) حديث عبد الله بن عمر في قتل الكلاب ، نقله الطاعن عن الترمذي وهو في صحيح مسلم وسنن النسائي وابن ماجه ايضا . وقد قال العلماء ان مراد ابن عمر بقوله « ان لأبي هريرة زرعا » هو أن أبا هريرة كان محتاجا الى معرفة حكم اتخاذ الكلب للزرع لان له زرعا فسأل عن ذلك وحفظه وعمل به . ويؤيد هذا

و يفند زعم الطاعن أنه يريد التقريع ما صح عن ابن عمر من تفضيل أبي هريرة على نفسه وتقدم بعض كلامه في ذلك ، ومنه الشاهد الآتي الذي عده الطاعن تكذيبا لابي هريرة وهو عين التصديق والتعديل — وهو — :

(ثالثها) مانقله عن الاصابة — وهو الشاهد السابع — من ان مروان سمع من ابي هريرة حديثا لم يعجبه الخ ما تقدم ، وقد حرف الطاعن الرواية . وهذا نصها :

وروينا في فوائد المزكي تخريج الدارقطني من طريق عبد الواحد بن زياد عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رفعه « اذا صلى احدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه » فقال مروان : أما يكفي أحدنا ممشاه الى المسجد حتى يضطجع على يمينه ؟ قال لا . فبلغ ذلك ابن عمر فقال : أكثر أبو هريرة . فقيل لابن عمر هل تنكر شيئا مما يقول ؟ قال لا ولكنه اجترأ وجبنا اه بحروفه (١)

وعبارة المبشر الطاعن توهم ان ما أورده هو نص ما في الاصابة ولعله يريد بقوله في الحديث « لم يعجب مروان » ابهام القارئ أن موضوع الحديث قبيح أو منكر أدبا . ثم انه فسر الجرأة التي وصف ابن عمر بها أباهريرة بالتهجم والتحدي. وهذا من أكبر الجرأة على القول بغير علم فالتحدي معناه المباراة والمعارضة ولا محل له هنا ، فالطاعن أثبت بهواه معنى غير صحيح ، ونفي معنى صحيحا ، وهو وصف ابن عمر نفسه بالجبن ، والمراد به كما تقدم في بيان السبب الاول من أسباب كثرة حديث أبي هريرة انه كان جريئا على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم وكان أكثر الصحابة يهابون سؤاله فلا يكادون يسألونه الا لضرورة * فهذا معنى قول ابن عمر اجترأ وجبنا . وهو قد صرح هنا بأنه لا ينكر شيئا من قول أبي هريرة . ولكن القسيس المبشر يريد أن يقنعنا مع هذا التصريح بأنه أنكر كلامه و كذبه !! وقد فسر ابن الاثير « اجترأ وجبنا » بقوله : يريد انه أقدم على الاكثار من الحديث عن النبي (ص) وجبنا نحن عنه فكثر حديثه وقل حديثنا اه

هذا وان هذا الحديث عن أبي هريرة مطعون في سنده فان راويه عبد الواحد ابن زياد ليس ثقة فيما يرويه عن الاعمش عن أبي صالح كما صرح به الذهبي في

(١) يراجع نقل الطاعن لهذا الحديث وتحريفه في ص ٣٦

الميزان وذكر هذا الحديث من منا كيره عنه

وأما جملة التحدي التي كتبها الطاعن بغير فهم فهي مصحفة عليه من أثر في الاصابة عن عبد الله بن عمر. قال الراوي : كان ابن عمر اذا سمع أبا هريرة يتكلم قال : انا نعرف ما تقول ولكنا نجبن وتجتري . أي نجبن عن كثرة التحديث وتجترئ أنت عليه. فيكون هذا بمعنى رواية عبد الواحد على الوجه الذي فسرها به ابن الاثير . ولكن كلمة تجتري صحفت في طبعة الهند للاصابة هكذا «نحتزي» ولعل الطاعن رآها في طبعة مصر مصحفة أيضا بفعل من التحدي أو ما يقرب منه، وأنى له ان يعرف الاصل ؟

وهذا يثبت قولنا ان هذا الطاعن يكتب ما لا يفهم وانه لاثقة بنقله ولا بفهمه، ومن الغريب انه ترجى أن يكون هذا التفسير الباطل لتلك الكلمة المحرفة من تلك الرواية المنكرة أصلا للطعن في جميع الاحاديث لا لتكذيب أبي هريرة وحده فقال « ولعل في هذا ما يميط لنا اللثام عن مصادر الاحاديث فانه يدلنا على عظم الاستسلام الى رواة الاحاديث غير المدققين ، والارجح ان عبد الله لم يكن ايجسر على مقاومة أبي هريرة وانما جاهر برأيه بلهجة الازدراء » اهـ

فليهنأ المسلمون بهذا الطاعن بشريعتهم بمثل هذا الخبط والخلط والتحريف والدعاوي المضحكة . ومن ذا الذي لا يضحك من ادعاء هذا المبشر أن عبد الله ابن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين القرشي ما كان يجسر على تخطئة أبي هريرة الدوسي الضعيف ؟

كان ينبغي لك أيها القس المحترم أن تلمّ قبل تصديك لتشكيك المسلمين في دينهم ، وتهجمك على الطعن بشريعتهم ، أن تلمّ قليلا بتاريخهم ، فاننا نرى عوام نصارى بلادنا العربية يعلمون كخواصهم ان حرية النقد واستقلال الرأي عند الصحابة رضي الله عنهم قد بلغت أوج الكمال ، وان أرقى الاوربيين حرية كالانكليز لم يبلغوا درجتهم في ذلك ، انهم يعلمون ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كانت تخشى بأسه ملوك الارض وتهابه الانس والجن كان يقول الكلمة على المنبر في المسجد الجامع فتخطئه بها المرأة أو الأعرابي فيعترف بخطئه اذا كان

مخطئاء فهل يقال في هؤلاء أن أعظمهم مكانة في العلم والشرف لايجسر أن يصرح برأيه في تخطئة أضعفهم ؟؟ على انه كان يكفيك ان تفهم شاهدك الآتي — وهو —

(رابعها) ما نقله عن الاصابة محرفا ناقصا كالذى قبله — وهو الشاهد الثامن — ونحن ننقله بنصه ليقابله القراء بما نقله[1] ويروا درجة أمانته . قال الحافظ :

« وأخرج ابن سعد من طريق الوليد بن رباح : سمعت أبا هريرة يقول لمروان حين أرادوا ان يدفنوا الحسن عند جده : تدخل فيما لا يعنيك . — وكان الامير يومئذ غيره — ولكنك تريد رضا الغائب . فغضب مروان وقال ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة الحديث وانما قدم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير . فقال أبو هريرة قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقمت معه حتى مات و(كنت) أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحج، فكنت أعلم الناس بحديثه، وقد والله سبقني قوم بصحبته فكانوا يعرفون لزومي له فيسألونني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، ولا والله لا يخفى علي كل حديث كان بالمدينة ، وكل من كانت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة، ومن أخرجه من المدينة أن يساكنه. قال فوالله ما زال مروان بعد ذلك كافًّا عنه »

فخلاصة هذه الرواية أن مروان بن الحكم غضب لانكار أبي هريرة عليه أمرا كان لاهل بيته (بني أمية) فيه سياسة — والدولة دولتهم — فلم يجد كلمة يشفي بها غيظه الا قول بعض الناس : أكثر أبو هريرة ، فلما بين له أبو هريرة سبب اكثاره أذعن له ولم يعد الى مثل ذلك ، أليس من العجائب أن يعمد هذا القس المبشر الى هذه الرواية فيحرفها ليستدل بها على كذب أبي هريرة أو تكذيب الناس له ، وما هي الا حكاية لشبهة الاكثار التي فندها أبو هريرة وأجبنا نحن عنها بما استنبطناه من مجموع الروايات المبينة لاسبابها وهي سبعة ؟

وجواب ابي هريرة يدل على جرأته وعلى سعة حرية العرب حتى في عهد معاوية أيضا ، فانه ذكر لمروان نفي النبي (ص) لوالده الحكم ، وسيأتي بيان ذلك

(١) براجع نقل الطاعن لهذا في ص ٣٦

﴿ الجملة الرابعة من كلام الطاعن ﴾

(شبهات أخرى في أبي هريرة)

قال : « ١ جاء في مجموعة الرسائل للغزالي في كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول صفحة ٣٢ قوله : « أقلد جميع الصحابة ولا أستجيز خلافهم برأيي إلا ثلاثة نفر أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة بن جندب ... وأما أبو هريرة كان يروى كلما سمع من غير أن يتأمل في المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ »

« اقتبس كولد زيهر هذا القول في كتابه (الظاهرية) صفحة ٧٩ ولكن يدون إشارة إلى القيد المذكور ، فأبو حنيفة لم يرتب في وثائق أبي هريرة ولكنه ارتاب في قيمة أحاديثه باعتبارها أركانا للشريعة »

« ٢ حلقة أبي حنيفة : على أن ارتياب أبي حنيفة وأتباعه في قبول كلام أبي هريرة كان مبنياً على ارتيابهم في وثائقه . فقد نقل المسعودي في كتاب الحيوان أنه وقع خلاف بين بضعة من رجال الافقاه في جامع ببغداد ، فأنكر الحنفيون الاستشهاد بأبي هريرة لاشتباههم في صدق روايته ، وكان الخليفة هارون الرشيد في جانب الفريق المرتاب » اه

هذا ماقاله الطاعن بنصه على مافيه من الغلط والتحريف والايهام من وجوه :

(منها) أن مجموعة الرسائل ليست للغزالي وإنما هي رسائل لكثير ممن قبله وبعده

(ومنها) أن كتاب المؤمل في الرد إلى الأمر الاول ليس للغزالي كما توهمه عبارته

(ومنها) أن قوله « أقلد جميع الصحابة» الخ منقول في كتاب المؤمل عن أبي حنيفة. وظاهر عبارة الطاعن انه للغزالي لأنه هو الذي سبق ذكره في كلامه . ولهذا يتعجب من يرى لاحق كلامه وذكره فيه لأبي حنيفة

(ومنها) أن الأصل (يروى كل ما سمع) لا (كلما سمع) كما كتب الطاعن والفرق بينهما معروف لكل من له إلمام بالعربية

(ومنها) أنه أورد شبهة واحدة ، وإنما عقد العنوان لشبهات متعددة ، ولكنه قسم هذه الشبهة إلى قسمين (احدهما) ادعاؤه ان ابا حنيفة لا يحتج بالاحاديث التي يرويها ابو هريرة (والثانية) ان اتباعه كذلك لا يحتجون بها

ولعلنا لو راجعنا عبارة حياة الحيوان لاستخرجنا من نقله لها بالمعنى الذي اراده اغلاطا وتحريفات اخرى ، والغرض من هذا بيان ماقلناه اولا من انه لا يوثق بنقله ولا بفهمه، مع القطع بأنه يقصد الطعن لتشكيك المسلمين في الاسلام لا تمحيص الحقيقة ، ولكن بعض خطئه مما لا يهتدي عاقل الى تعليله ، كنسبته كتاب المؤمل ومجموعة الرسائل الى الغزالي !!

أما الجواب عن هذه الشبهة فهي أن أبا حنيفة لم يطعن في رواية أبي هريرة بهذه العبارة ولا بغيرها ولم يتهمه بالكذب ، وهذه العبارة التي فسرها الطاعن بهواه لا بما تدل عليه في عرف الفقهاء لا تنهض حجة له ، فالتقليد عند علماء الشرع هو العمل برأي المقلَّد (بفتح اللام) لا بروايته ، لا خلاف بين المذاهب في هذا . فأبو حنيفة يقول في هذه الرواية عنه انه يقدم رأي الصحابي على رأيه — أي رأيه الذي يستنبطه من الكتاب أو السنة بالقياس — الا رأي هؤلاء الثلاثة ، وعلل ذلك بقوله « أما أنس فاختلط في آخر عمره وكان يفتي من عقله وانا لا أقلد عقله ، واما أبو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير ان يتأمل في المعنى ومن غير ان يعرف الناسخ والمنسوخ » فقد صرح بأنه كان يروي ماسمعه وهذا ينفي اتهامه بأنه يكذب،وصرح بأنه ماكان يقصد من الرواية استنباط الاحكام منها بالتأمل في معاني الاحاديث والبحث عن الناسخ والمنسوخ منها ليقدم الاول عند التعارض ، وحاصل ذلك انه راو غير مستنبط فيؤخذ بروايته لا برأيه وفهمه . وهذا صحيح فان ابا هريرة كان يقصد بحفظ الحديث اولا روايته والاهتداء به بنفسه، وثانيا نشر السنة وايصالها الى الناس ليهتدوا بها بحسب اجتهادهم عملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة فى خطبة حجة الوداع اذ قال « ليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو اوعى له منه » وفى رواية « رب مبلَّغ اوعى من سامع » وكلتاهما فى البخاري وغيره . وفى معنى هذا الحديث مارواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت مرفوعا « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »

والرواية الاخرى عن أبي حنيفة وهي الاشهر انه قال : أقلد من كان من القضاة

المفتين من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعبادلة الثلاثة ولا أستجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر . — وذكرهم — والمراد بالعبادلة الثلاثة عبد الله بن مسعود وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر . وقد ترك الطاعن نقل هذه الرواية من كتاب المؤمل ، لانها أظهر في المراد الذي بيناه ، وأبعد عن التحريف الذي ادعاه .

وما زعمه من رد الحنفية الاستشهاد بحديث أبي هريرة لاشتباههم في صدق روايته اعتمادا على حكاية محرفة نسبها الى حياة الحيوان فهو باطل ، وهذه كتب الحنفية في الحديث والفقه تكذب هذه الدعوى ، وصاحب الدار أدرى . ومذهب السواد الاعظم من الفقهاء المجتهدين ان رأي الصحابة ليس بحجة في الشريعة سواء كانوا فقهاء مستنبطين أو رواة ناقلين ، وانما الحجة في الرواية اذا صحت .

خلاصة الطعن في أبي هريرة والاجوبة عنه

ينحصر طعنه في أبي هريرة في ثلاثة أشياء — ١ — استكثار بعض الصحابة لروايته، وقد بينا أسبابها المزيلة لاستغرابها، — ٢ — توقع أبي هريرة لتكذيب بعض الناس له اذا هو صرح بكل ما سمعه ، وقد بينا ان هذا خاص بما سمعه من أخبار الفتن التي اسرّ اليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا كثيرا منها ، ومثله في ذلك حذيفه ابن اليمان ، وقد ذكر كل منهما بعض ما سمع تصريحا أو تلويحا فوقع كما قالا فكان من دلائل النبوة التي لاتحتمل التأويل — ٣ — ان الحنفية لا يحتجون بروايته وإنهم يعتقدون انه كان كاذبا — وهذه دعوى باطلة تكذبها الالوف من كتب المذهب والملايين من أتباعها

ويعارض هذه الشبهات الباطلة إجماع أئمة الفقه ومنهم الاربعة المشهورون على الاحتجاج بما صح عندهم من أحاديث أبي هريرة المرفوعة — وكذا المرسلة عند الجمهور — وثناء كثير من الصحابة ومن بعدهم على سعة حفظه وجودة ضبطه ، وقد ذكرنا بعضها

ومن الغريب ان أبا هريرة اغضب مروان بن الحكم الاموي — الذي كان أمير المدينة ثم صار أمير المؤمنين — وعرض أمامه تعريضا يقرب من التصريح بأن عشيرته هي التي تفسد على المسلمين أمرهم ، ولم يجد مروان كلمة يقولها فيه الا حكاية

قول من قال : أ كثر أبو هريرة . ولما جبهه بتذكيره بنفي النبي صلى الله عليه وسلم لوالده (الحكم) من المدينة لم يعد الى تلك الكلمة ولا غيرها ، ولو وجد فيه مطعنا لما قصر في التشنيع عليه به

وقد ورد ان مروان امتحنه لعله يعثر عثرة يؤاخذه بها. قال الحافظ في الاصابة : وقال أبو الزعيزعة كاتب مروان : أرسل مروان الى أبي هريرة فجعل يحدثه وكان اجلسني خلف السرير ا كتب ما يحدث به ، حتى اذا كان في رأس الحول أرسل اليه فسأله وأمرني ان أنظر فما غير حرفاً عن حرف . اه

فياليت شعري ماذا كان يقول هذا الطاعن لو نقل أن أبا هريرغير أو بدّل أو زاد أو نقص في الاحاديث التي حدث بها مروان — واذاً لعاقبه مروان وشهر به حتى لا يقبل أحد حديثه — أو لو طعن في دينه وإيمانه غير مروان ؟ بل ماذا يقول هو وسائر دعاة النصرانية لو نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم طرده كما طرد المسيح عليه السلام بطرس وسماه شيطانا وهو كبير تلاميذه ورسله؟ ففي الفصل ١٦ من انجيل متى انه طوبه وجعله الصخرة التي يبني عليها كنيسته وقال له (١٩ واعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ماتحله على الارض يكون محلولا في السموات (قال متى) ٢٠ حينئذ أوصى تلاميذه ان لا يقولوا لأحد انه يسوع المسيح ٢١ من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه انه ينبغي ان يذهب الى أورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم ٢٢ فأخذه بطرس اليه وابتدأ ينتهره قائلا حاشاك يارب

٢٣ فالتفت وقال لبطرس اذهب عني ياشيطان ، أنت معثرة لي لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس)

فهذه الشهادة على بطرس وهذا اللقب كان على رواية متى بعد تلك المنحة والخصوصية التي خصه بها ، فهل نسختها أم يجوز الجمع بينهما ؟ نحن نجل حواريي المسيح ولا نؤمن بهذه الرواية حتى نحتاج الى الجوب عنها . وفي متى (١٤ : ٣١) ان المسيح قال لبطرس أيضا « ياقليل الايمان » وفي ١٧ : ٢٠ وصف التلاميذ كلهم

بعدم الإيمان وانه ليس لهم منه ولا مثل حبة خردل . ومثل هذه الشهادة متعددة في غيره من الاناجيل . حتى ان منها ما جاء بصيغة المستقبل كقوله لهم بعد ما رأوا آية إطعام خمسة آلاف من خمسة ارغفة « انكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون » (يوحنا ٦: ٣٦) وكما وصفهم بعدم الايمان وصفهم بأنهم أشرار ، روى ذلك لوقا في (١١ :١٣) من انجيله

ثم ياليت شعري لو وصف النبي صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بمثل هذين الوصفين — أو لو وصف بذلك في كتاب الله المجيد — ماذا كان يقول فيه وفي روايته هذا المبشر المحترم والقس الجدل الذي وضعته جمعيته في أشهر البلاد الاسلامية بالعلم لينصّر المسلمين فيها؟ وهل يقبل منا أن نقول له لماذا تقبل رواية تلاميذ المسيح بلا سند مع وصف المسيح لهم بما ذكر وهو المعصوم من الخطأ — ولا تسمح لنا بقبول رواية أبي هريرة ولم يجرحه من دون المسيح بمثل ذلك ؟ (للرد بقية)

التعريف بكتابي

منازل السائرين ومدارج السالكين

وترجمة مؤلفيهما

(بيان وجه الحاجة الى تحرير التصوف ومكانة الكتابين والشيخين منه)

علماء الاسلام أربعة أصناف : أهل الأثر والمتكلمون والصوفية والفقهاء . والتفسير مشترك بينهم ففي كل صنف منهم مفسرون . ونقول باعتبار آخر : ان علماء الاسلام صنفان علماء الاثر وغيرهم ، أو علماء المنقول وعلماء المعقول ، ومن كل صنف مفسرون وفقهاء . ولا يكاد يكون الأثري متكلما ، وقد يكون صوفيا في النادر . والأثري الفقيه اذا احتج بالقياس فانما يحتج بما كانت علته ثابتة في الكتاب أو السنة

ثم إن علم الأثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا

بالآخر، فمن اتقن علم الرواية بحفظ الأثر أو الحديث وضبطه ومعرفة رواته وعلله والتمييز بين الصحيح وغيره منه ولم تكن له دراية تامة بفهمه والاستنباط كان جل النفع بعلمه لغيره ، وهو اذا خاض في معاني الحديث بغير استعداد تام للفهم فانه ربما يَضل ويُضل كثيرا ، وفي مثـله ورد الحديث الصحيح « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه» رواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت . وفي معناه حديث « نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلَّغ أوعى من سامع » رواه احمـد والترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود . وأما من لم يتقن عـلم السنة من المتكلمين والفقهاء والصوفية فضلالهم وإضلالهم أشد

وقد وجد في كل طائفـة علماء أعلام خدموا الاسلام أجل خدمة ، فصالحو المتكلمين خدموه بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، على ان بعض الشبه والبدع ما جاءت الا من علمهم المبتدع ، وانما ينتفع بعلمهم من جمع بينه وبين علم السنة.

وصالحو الصوفية خدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتربية الاخلاق والآداب ، ولكن البدع التي حدثت من قبلهم أكثر وأرسخ من سائر البدع التي حدثت في الاسلام ، وسبب ذلك الجهل بالسنة .

والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والاحكام المدنيـة والسياسية والتأديبية ، وقد جنى الجاهلون بالسنن منهم على الاسلام جناية عظيمة بما أحـدثوا بأقيستهم البعيدة عن نصوص الشريعة ومقاصدها من الاحكام الكثيرة المنافية ليسر الدين ورفع الحرج منه

تفرق المسلمون بهذه العلوم الى فرق وأحزاب كثيرة كل ينتحل مذهبـا ينتصر له ويدافع عنه ، فكانت جناية الخلاف على الاسلام وأهله أشد ضررا مما أخطأ به كل فريق منهم . وقد رد بعضهم على بعض ردودا كان يعدها كل منهم من التعصب أو من باب « من جهل شيئا عاداه » والحق انه قلما يخلو ردّ طائفة على أخرى من ذلك. ومنشأ الخطإ والضرر الاكبر هو التزام مذهب والرد على مخالفه ، فان هذا هو اتباع الهوى، وأهله هم أهل الاهواء، وان سموا أنفسهم بأفضل الاسماء

أما أهل الحق الذين لا يدخلون في عموم (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فهم الذين يجعلون كتاب الله تعالى وما بينه من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فوق الخلاف، بل هو الحكم العدل في الخلاف، لانه تعالى أخبرنا انه أنزل الكتاب (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم — فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

وأجدر هؤلاء المهديين ببيان التحقيق الذي يزيل الخلاف من كان جامعا بين المنقول والمعقول غير متعصب لمذهب من المذاهب التي تعزى الى أفراد العلماء . ولم نر في هذا الصنف أوسع علما وأنهض حجة وأقوى عارضة من شيخ الاسلام احمد ابن تيمية، وتلميذه الامام المحقق محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم أوابن قيم الجوزية، فقد جمع الله لكل منهما بين الرسوخ في علوم السنة حفظا وفهما واستحضارا واستنباطا وبين التمكن من سائر العلوم التي دونت بالعربية ومذاهب الفرق وأدلتها ، فبينا في كتبهما الممتعة ما أخطأ فيه الذين انحرفوا عن الكتاب والسنة من أهل هذه المذاهب، وقد كان ابن تيمية السابق الى تحرير تلك المسائل، وتلاه ابن القيم فكان الموضح المكمل لها ، والمستدرك المدرك لما فاته منها

وأهم ما انفرد به ابن القيم فيما نعلم الاطالة بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم بشرحه لكتاب [منازل السائرين] لشيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي

الصوفية ثلاث: صوفية الارزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق، وبدع الفريقين المقلدين يعرفها كل من له إلمام بالسنة والفقه . وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رءوس الفقهاء والمتكلمين ، فهم في الحقيقة علماء حكماء ، ولكن ضل بما دخل في الاسلام من باب فلسفتهم الروحية، أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية ، من إلهية وطبيعية ، وسبب ذلك ما بيناه آنفا من جهل بعض شيوخهم بالسنة النبوية، فمن أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشريعة ، وجعل الامر الكوني القدري كالامر

الشرعي في كون كل منهما يجب الرضاء به والاذعان والاستسلام له ، ومن مفاسد هذه الأصل قولهم «من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم » ومن مفاسده الرضاء بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الافراد وحقوق الأمة . ومن مفاسده الجبر وسلب الاختيار وناهيك بما يتبعه من المفاسد والمضار

ومن أصول الضلالة التي دخلت من ذلك الباب جعل الذوق والحال من قبيل دلائل الشريعة وأصولها ، بل هو عند كثير من غلاتهم الركن الاعظم المقدم على كل ما يعارضه ، ومن فروع هذا الاصل ما ابتدعوه من الاذكار والاوراد والسماع وتعظيم القبور وجعلوه من شعائر الاسلام فان عمدتهم فيه انهم ذاقوا ما أثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة في الآخرة ، ومن أمثالهم «من ذاق عرف» وجهلوا ان مثل هذا الذوق حاصل للكفار فيما يأتونه في عبادتهم من الاغاني والاناشيد وآلات الطرب ، وما يشاهدونه في معابدهم ومقابرهم من الصور والتماثيل التي وضعت لسلفهم من النبيين والكهنة وغيرهم من الصالحين عندهم ، فاذا كانت العبادة تشرع بالذوق ، فقد هضم حق الوحي وهدم أساس الشرع

ومن أصول تلك الضلالات دعوى ان للدين ظاهراً وباطناً مخالفاً لما يفهما الجمهور منه ، وهذه الضلالة من ابتداع زنادقة الباطنية وقد كانت سببا لارتداد كثير من المسلمين فكونت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية البهائية والأزلية وغيرهم

ومنها أصل الاصول عند غلاتهم ، وهو ما يعبرون عنه بوحدة الوجود بالمعنى الذي يمثله الكتاب المسمى (بالانسان الكامل) وأمثاله وهذا الاصل مخالف لنصوص القرآن الصريحة ، ولنصوص السنة الصحيحة ، وفيه مفاسد كثيرة جداً ، ولكن من الناس من يفهم وحدة الوجود على غير هذا الوجه .

قد افتتنت كل فرقة انشقت من جماعة المسلمين وأهل كل مذهب خالفوا السنة وما جرى عليه سلفها الصالح بفتنة تأويل ما يخالف مذاهبهم وآراءهم من آيات الكتاب العزيز ومتون الاحاديث ، حتى انهم ليؤولون السنن العملية أو يعارضونها بروايات قولية شاذة أو منكرة ، وغلاة الصوفية أبرع الفرق في التأويل وأشدهم اسرافاً

فيه بعد الباطنية الذين يشتبهون بهم كثيرا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون في التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكناية ، بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الاشارة وباب الرموز ، ولذلك نرى كلامهم ممزوجا بالآيات والاحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التي تدل عليها في اللغة ، ولاجله ترى كلامهم مقبولا عند الجماهير من غير تأمل ولا تفكر ، حتى ان المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص أو يبتدع في الدين ما لم يكن في الصدر الاول

فمن تدبر ما ذكرنا علم ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا في علم الكتاب والسنة أتم الرسوخ ، وعارفا بالتصوف معرفة علم وذوق وعمل ، وقد ادخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين العارفين الذائقين المفسرين المحدثين — شيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي الانصاري ، ومحقق الاسلام ابن القيم الدمشقي — فالاول عالم أثري غلب عليه التصوف ، والثاني صوفي ذائق غلب عليه علم السنة ، جمع الاول زبدة التصوف جمعا موجزا في كتابه [منازل السائرين] وشرحه الثاني وبين ماله وما عليه في كتابه [مدارج السالكين] وها نحن أولاء ننقل من كتب العلماء ترجمة وجيزة لكل من الشيخين ، ونقفي عليها بالتعريف بكل من الكتابين :

﴿ ترجمة شيخ الاسلام الهروي ﴾

جاء في حوادث سنة ٤٨١ من كتاب (شذرات الذهب) ما نصه :

وفيها توفي أبو اسماعيل شيخ الاسلام الانصاري الحنبلي عبد الله بن محمد بن علي الهروي الصوفي القدوة الحافظ أحد الاعلام ، توفي في ذي الحجة وله ثمانون سنة وأشهر

سمع من عبد الجبار الجراحي وأبي منصور محمد بن منصور الازدي وخلق كثير وبنيسابور من أبي سعيد الصيرفي واحمد السليطي صاحبي الاصم ، وكان قذى في أعين المبتدعة وسيفا على الجهمية . وقد امتحن مرات . وصنف عدة مصنفات ، وكان

شيخ خراسان في زمانه غير مدافع ، قاله في العبر

ومن شعره

سبحان من أجمل الحسنى لطالبها   حتى اذا ظهرت في عبده مدحا

ليس الكريم الذي يعطي لتمدحه   ان الكريم الذي يثني بما منحا

وجاء في أول حرف العين من (الكواكب الدرية) في طبقات الصوفية للمناوي :

«عبدالله بن محمد بن علي شيخ الاسلام ابو اسماعيل الانصاري الهروي الحافظ العالم العارف الصوفي صاحب [منازل السائرين] كان اماما في التفسير والحديث ، حسن السيرة[1] في التصوف والعربية والتاريخ والانساب وغير ذلك. وكان لا يخاف في الله لومة لائم ولذلك ....[2] في هلاكه مرارا فحفظ منهم . وكان آية في التذكير والوعظ. مات سنة احدى وثمانين وأربعمائة» اه

وذكره الحافظ الذهبي في كتاب العلو وجعل عنوانه «شيخ الاسلام الانصاري» ولقبه بالامام الكبير، على كونه لم ينقم منه سوى تأليفه لكتاب المنازل وقال فيه ما نصه:

« كان ابو اسماعيل آية في التفسير، رأسا في التذكير، عالما بالحديث وطرقه ، بصيرا باللغة ، صاحب أحوال ومقامات ، فياليته لا ألف كتاب المنازل ففيه اشياء منافية للسلف وشمائلهم، قيل انه عقد على تفسير (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) ثلاث مئة وستين مجلسا . وقد هدد بالقتل مرات ليقصر من مبالغته في إثبات الصفات ، وليكف عن مخالفيه من علماء الكلام ، فلم يرعو لتهديدهم، ولا خاف من وعيدهم ، ومات في سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، وله خمس وثمانون سنة ، سمع من عبد الجبار الجراحي وابي سعيد الصيرفي وطبقتهما »

﴿ ترجمة محقق الاسلام ابن القيم ﴾

قال العلامة السيد نعمان خير الدين ابن الآلوسي البغدادي في كتابه (جلاء العينين) :

العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي

(١) لعله سقط شيء من هنا (٢) ههنا كلمة ممحوة في الاصل لعلها : سعى علماء الكلام

ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر النحوي الاصولي المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية. قال في الشذرات : بل هو المجتهد المطلق . قال ابن رجب : ولد شيخنا سنة احدى وتسعين وستمائة ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه وتفنن في كافة علوم الاسلام وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين واليه فيه المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك، وبالفقه والاصول والعربية وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام والتصوف . حبس مدة لانكاره جد الرحيل الى قبر الخليل، وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى ، ولم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان ، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله. وقد امتحن وأوذي مرات وحبس مع شيخه شيخ الاسلام تقي الدين في المرة الاخيرة بالقلعة منفردا عنه ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ ؛ وكان في مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكر ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الاذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والخوض في غوامضهم وتصانيفه ممتلئة بذلك؛ وحج مرات كثيرة وجاور بمكة، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته؛ وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة وأشياء من تصانيفه غيرها ، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه والى أن مات وانتفعوا به . قال القاضي برهان الدين الزرعي: وما تحت أديم السماء أوسع علما منه، ودرس بالصدرية وأم بالجوزية ، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جدا في أنواع العلوم وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره

فمن تصانيفه: تهذيب سنن أبي داود وايضاح مشكلاته. وسفر الهجرتين. ومراحل السائرين . والكلم الطيب . وزاد المسافرين ، وزاد المعاد أربع مجلدات ، وهو كتاب جليل . وكتاب نقد المنقول . وكتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ثلاث مجلدات . وكتاب بدائع الفوائد مجلدان . النونية الشهيرة بالشافية الكافية . الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة . حادي الارواح الى بلاد الافراح . ونزهة المشتاقين . وكتاب الداء والدواء. وكتاب مفتاح دار السعادة مجلد ضخم غريب

الاسلوب . واجتماع الجيوش الاسلامية . وكتاب الطرق الحكمية . وكتاب عـدة الصابرين وكتاب اغاثة اللهفان . كتاب الروح . وكتاب الصراط المستقيم . والفتح القدسي . والتحفة المكية . والفتاوى ، وغير ذلك . توفي ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير بعد ان صلي عليه بمواضع عديدة ، وكان قد رأى قبل موته شيخه تقي لدين في النوم وسأله عن منزلته فأشار الى علوها فوق بعض الاكابر ، ثم قال له : وأنت كدت تلحق بنا ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة ، رحمهم الله تعالى . انتهى باقتصار

مكانة كتاب منازل السائرين

جاء في كشف الظنون ما نصه :

(منازل السائرين) أوله « الحمد لله الواحد الاحد » الخ . وهو لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن (علي أبو) اسماعيل الانصاري الهروي الحنبلي الصوفي المتوفى سنة ٤٨١ إحدى وثمانين وأربعمائة . وهو كتاب في أحوال السلوك قال فيه : هذه المقامات يجمعها رتب ثلاث : الاولى اخذ المريد في السير ، الثانية دخوله في الغربة ، الثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة الى عين التوحيد . الفه حين سأله جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين الى الحق من أهل هراة فأجاب ، ورتبه لهم فصولا وأبوابا ، وجعله مائة مقسومة على عشرة أقسام ، كل منها يحتوي على عشرة مقالات ،

« وقد شرحه جماعة منهم الشيخ كمال الدين عبد الرزاق الكاشي المتوفى سنة ٧٣٠ ثلاثين وسبعمائة لغياث الدين محمد بن رشيد الدين محمد بن محمد بن طاهر الوزير ، أوله « الحمد لله الذي خص العارفين بمعرفة ما لا يعرفه الا هو » الخ . وذكر الكاشاني ان النسخ كانت مختلفة وألفاظها متباينة حتى ساق اليه القدر نسخة مقروءة على المصنف موشحة بإجازة بخطه ، قال وهو كتاب فاق على كل ما صنف في هذه الطريقة . وشرحه المولى شمس الدين محمد البنادكاني الطوسي المتوفى سنة ٨٩١ احدى وتسعين وثمانمائة وهو شرح ممزوج بالفارسية سماه (تسنيم المقربين في شرح منازل السائرين) وشرحه محمود بن محمد الدركزيني المتوفى سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة سماه (تنزل السائرين) ولاحمد بن ابراهيم الواسطي المتوفى سنة ٧١١ احدى عشرة وسبعمائة شرح نافع

« ولشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ احدى وخمسين وسبعمائة شرح سماه (مدارج السالكين) وهو شرح مبسوط . وعلق عليه أبو طاهر محمد بن احمد الفيشي المتوفى سنة ٧٤٧ سبع وأربعين وسبعمائة ؛ وترجمه الشيخ مصلح الدين المعروف بابن نور الدين المتوفى سنة ٩٨١ احدى وثمانين وتسعمائة بالتركية؛ واختصرته الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية وسمته(الاشارات الخفية في المنازل العلية) وشرحه الشيخ الامام عبد الغني التلمساني . وشرحه أيضا الشيخ الامام سليمان بن علي بن عبدالله التلمساني الصوفي لمتوفى سنة ٦٩٠ تسعين وستمائة بأمر الشيخ الزاهد ناصر الدين أبي بكر بن فليح وهو شرح أوله « الحمد لله الذي روحنا بالحمد » الخ اه

مكانة كتاب مدارج السالكين

مصنفات ابن القيم في كتب علماء الاسلام نادرة ، وكتاب مدارج السالكين في كتب ابن القيم نادرة ، فاذا كان كل كتاب منها ممتازا بتحقيق واحاطة في مباحث العلوم فلا يستغني عنه بغيره في الجملة ، فكتاب المدارج أولى بأن لا يستغنى عنه بغيره في الجملة ولا في التفصيل. ذلك بأن مباحث كل كتاب من تلك الكتب قد توجد مجملة أو مفصلة في كتبه الاخرى أوكتب شيخه وغيرهما من المحققين. وأما مباحث لمدارج فما يوجد منها في تلك الكتب قليل جدا، فهو الكتاب الذي قد انفرد بتحرير علوم الصوفية ، ووزنها بميزان الكتاب العزيز والسنة النبوية ، وما كان عليه صفوة المسلمين في الصدر الاول . قدر الله تعالى أن يجمع مباحثها له امام من أكبر أئمتهم المعتدلين في أوجز عبارة، وألطف اشارة، يعز على غيره الحكم لها وعليها ، بل يقل في االناس من يفهم الغايات التي ترمي اليها ، وانما أحجم غير ابن القيم من علماء السنة الاعلام عن شرح كتاب المنازل بمثل ما شرحه به ، أو إنشاء كتاب مستقل في موضوعه ، لان الصوفي القح منهم — وهو قليل — لا يرجى منه احسن مما جاء به الهروي ، والبعيد عن التصوف منهم لا يفهم رموزهم ومقاصدهم، ولا يدرك أحوالهم وأذواقهم ، فهو اما أن يحكم عليهم بالتضليل ، أو يعذرهم بضرب من التأويل ؛ ألم تر الى الحافظ الذهبي كيف تمنى لو لم يؤلف الانصاري كتاب المنازل ، ولو لم

يكن من أكبر علماء التفسير والحديث ، ومقاومي الجهمية وغيرهم من أهل التعطيل والتأويل ، لضلاله بهذا الكتاب تضليلا

اذا كان لكتاب المدارج عيب يوقيه من العين فعيبه أن اكثر ما فيه من الاحاديث غير معزو الى مواضعه من دواوين السنة ، خلافا لعادة مؤلفه وأمثاله كأن العدوى سرت الى مصنفه من كتب التصوف ، ولكن لم يصل فعلها فيه الى ايراد الاحاديث الموضوعة ، أو الاستدلال بالاحاديث المنكرة والضعيفة، فان هذا لا يأتي من أثري محقق مثل ابن القيم

وجملة ما نقول في هذا الكتاب أنه أفضل ما عرفنا وسمعنا به من كتب التصوف والاخلاق الدينية ، وقد فند ما ذكرنا وما لم نذكر من دخائل كتب التصوف وبدعها فهو غاية الغايات في هذا الباب، والله أعلم بالصواب . والحمد لله الذي وفقنا لطبعه ونشره ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ؟

أعظم معركة بحرية بين أعظم أساطيل العالم

نشرت الحكومة الانكليزية في ٣ يونيو ١٩١٦ بلاغا رسميا في مصر هذا نصه: كما نشر في المقطم وغيره :

أعلنت وزارة البحرية البريطانية أنه بعد ظهر يوم الاربعاء في ٣١ مايو حاول الاسطول الالماني الاكبر أن يخترق نطاق الحصر البحري الذي ضربناه على المانيا فجاء من جهة بحر كاتغات قاصدا دخول البحر الشمال وكان هذا الاسطول مؤلفا من أساطيل الدردنوطات والطرادات الكبرى والطرادات والمدمرات الخ

فانبرى له أسطول من الطرادات البريطانية الكبرى تعززه الطرادات والمدمرات واحتدم القتال بين الفريقين وأسفرت المعركة عن خسارة عظيمة من الجانبين

وبعد مدة وجيزة وصل أسطول الدردنوطات البريطانية الى مكان المعركة فكف العدو عن القتال وعادت بوارجه قاصدة الموانئ الالمانية

وقد اغرقت البوارج الالمانية التالية وهي

بارجة دردنوط من طرز « كيزر » نسفت نسفا و بارجة أخرى من الطرز عينه أغرقت بنار المدافع

أما الطرادت الالمانية الثلاثة الكبرى التي قاتلت في المعركة (و بينها الطراد العظيم لتزوف والطراد العظيم درفلنجر على ما يظن) فقد نسف واحد منها وعطل الثاني ووقف عن الحركة وروئي الثالث مصابا بعطل كبير

وروئي طراد الماني من الطرادات الخفيفة وهو يغرق ، ومما يجدر ذكره أن الالمان اعترفوا بضياع ثلاثة من طراداتهم الخفيفة وهي فرونلوب وفسبادن و بومرن وغرقت ست مدمرات المانية ونطحت غواصة المانية فاغرقت

هذه الخسارة التي أرسل القائد العام للاسطول البريطاني خبرها كما رؤيت ولكن ثلاث بوارج ألمانية من البوارج الكبرى أصيبت بعطب كبير والمرجح أن العدو أصيب بخسارة أخرى لم يستطع اسطولنا رؤيتها بسبب صعوبة الرؤية من جراء الاحوال الجوية

والظاهر أن المعركة دارت في آخر الامر والبوارج الالمانية تجد في السير وقد ساقها البريطانيون أمامهم من السكو الى مصب نهر الالب

أما خسارة الاسطول البريطاني فهي من الطرادات الكبرى « كوين ماري » و « انـفيتجابل » و « وأنفنسبل » ومن الطرادات « دفنس » و « بلاك برنس » وهذه البوارج الخمس أغرقت، والطراد «واريور » وقد تعطل فتركناه وشأنه، ومن المدمرات «تبراري» و «تريبولنت» و «فرنشون» و «وسبرهوك» و « أردنت» وثلاث مدمرات أخرى ضاعت . ولم يغرق للبريطانيين شيء من بوارج الدردنوط ولا من الطرادات الخفيفة

وقد وقع عبء القتال قبل وصول الاسطول البريطاني الاكبر على قسم من أسطول الطرادات الكبرى البريطانية فقاتل هذا القسم أسطول العدو الاكبر وأصيب بالخسارة المتقدمة وهو يقاتل أسطولا يفوقه كثيرا في قوة البوارج وعددها اه

وقد شرح كل من المقطم والاهرام هذا البلاغ شرحا صرحا فيه بأن الطرادت الكبرى التي غرقت من نوع الدردنوط أيضا وقد آثرنا شرح الاهرام للخسائر وهذا نصه

خسائر الالمان

جاء في البلاغ البريطاني ان الالمان فقدوا بارجتين من طراز « كيزر »[1] احداهما نسفت نسفاً والاخرى اغرقت بنار المدافع

ومحمول كل بارجة من هذه البوارج ٢٤٧٠٠ طن وهي من بوارج الدردنوط لالمانية وسلاحها ١٠ مدافع قطر ١٢ بوصة و ١٤ مدفعا قطر ٦ بوصات و١٢ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٤ ثقل ٢٤ رطلا وهي لمقاومة الطيارات وفيها ٥ انابيب للطوربيد (الواحدة ٢٠ بوصة) مغمورة بالمياه ٤ منها في جانبها وواحدة في المؤخرة

وقد بنيت بوارج الدردنوط الالمانية التي من طراز « كيزر » (لقب الامبراطور) سنة ١٩١٢ — ١٩١٣ وعددها خمس وهي « كيزر » و « فردريك درجروس » و « كيزرين » و « برنس رجنت لويتبولد » و « كوينج البرت » فاذا كانت اثنتان قد دمرتا على ما جاء في البلاغ يكون الباقي عند الالمان من هذا الطراز ثلاث

وليس عند الالمان أكبر من هذه البوارج سوى ثلاث محمول الواحدة منها ٢٨ الف طن وهي « ارزتس فردريك الثالث » و « ارزاتس ورث و « T » وأربع محمول الواحدة ٢٥ الف طن وهي « إرزاتس براندنبرج » و « كوينج » و « جروس كورفوست » و « مرجراف »

وأما الطرادات الالمانية التي يقول البلاغ ان منها لتزوف ودرفلنجر فهي من طرادات القتال الكبرى وليس لدى ألمانية منها سوى ثلاثة وهي « در فلنجر » و « لتزوف » و « أرزاتس هرثا » ومحمولها ٢٨ ألف طن وسلاحها ٨ مدافع قطر ١٢ بوصه و ١٢ مدفعا قطر ٦ بوصات و١٢ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٥ أنابيب للطوربيد (٢٢ بوصة) مغمورة بالمياه أربعة منها في الجوانب وواحدة في المؤخرة

أما الطرادات الثلاث التي يعترف الالمان بضياعها فهي

١ — بومرن ومحمولها ١٢٢٠٠ طن وسلاحها ٤ مدافع قطر ١١ بوصة و ١٤ مدفعا قطر ٧ر٦ بوصة و ٢٠ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٤ ثقل رطل واحد (أي ثقل

(١) المنار : تعريب كيزر قيصر ، والالمان يطلقون لقب قيصر على عاهلهم كالروس

مقذوفها) وأربع مدافع رشاشة و ٦ أنابيب للطور بيد مغمورة بالمياه في جوانبها وفي المقدمة والمؤخرة . وللالمان من هذا الطراز أربع بوارج أخرى وهي « دنشلند » و « هنوفر » و « شلسويج هولستين » « و شلسين »

٢ — فرونلوب وهوطراز صغير محموله ٢٧١٤ طنا وسلاحه ١٠ مدافع قطر ٤ بوصات و ١٠ مدافع ثقل رطل و ٤ مدافع رشاشة وأنبوبان للطور بيد مغموران تحت الماء

٣ — « وستفالن » وهي دردنوط كبيرة ومن طراز « نساو » ومحمولها ١٨٠٠ طن وسلاحها ١٢ مدفعا قطر ١١ بوصة و ١٢ قطر ٦ بوصات و ١٦ ثقل ٢٤ رطلا و ٦ انابيب للطور بيد في المقدمة والمؤخرة والجانبين مغمورة تحت الماء

ولالمانيا من هذه الطراز أربع بوارج فقط وهي [وستفالن . ونساو . و بوزن . ورينلاند]

وخسر الالمان عدا ما تقدم ست مدمرات لم تذكر أسماؤها

هذه خسارة الاسطول الالماني ولا نستطيع تقدير خسارة الانفس لعدم التحقق من عدد البوارج والطرادات التي اغرقت تماماً بمن فيها على انا اذا سلمنا بأنه لم يغرق سوى بومرن وفرونلوب ووستفالن وهي الثلاث التي اعترف الالمان انفسهم بضياعها فلا تقل خسارتهم في الرجال عن الف رجل في وستفالن و ٨٠٠ في بومرن و ٢٥٠ في فرونلوب (أي ٢٠٥٠)

***

خسارة البريطانيين

أما خسارة الاسطول البريطاني فاذا بحثنا فيها فانما نذكر أمورا صحيحة اعتمادا على البلاغ الذي لدينا فلا وجه للحدس والتخمين ولا للظن والشك وهذا بيان الخسائر على ماجاء في البلاغ وقد ذكرنا سلاحها منذ يومين فلانعود الى ذكره اليوم

	محمولها	سرعتها	عدد
	طن	عقدة	رجالها
كوين ماري	٢٨٠٠٠	٢٨	١٠٠٠

	محمولها طن	سرعتها عقدة	عدد رجالها
انديفا تجبل	١٨٧٥٠	٢٥	٧٩٠
انفنسبل	١٧٢٥٠	٢٦	٧٨٠
دفنس	١٤٦٠٠	٢٣٫٥	٨٥٠
بلاك برنس	١٣٥٥٠	٢٢٫٦٥	٧٠٤
وريور	١٣٥٥٠	٢٢٫٩	٧٠٤
			٤٨٢٨

والبارجة كوين ماري هي من احدث الدردنوطات الكبرى . ولا يوجد أ كبر منها في الاسطول البريطاني من حيث المحمول سوى ثلاث قطع وهي البارجة « ثيجر » ومحمولها ٢٨ الف طن والبارجة « وورسبيت » والبارجة « فليانت » والبارجة « كوين اليزابث » ومحمول كل منهما ٢٧٥٠٠ طن على ان « كوين ماري » تمتاز عن الثلاث بوارج الاخيرة بسرعتها فهي تجتاز ٢٨ عقدة في الساعة بينما « كوين اليزابث » و « وورسبيت » و « فليانت » سرعة الواحدة منها لا تزيد على ٢٥ عقدة مثل « كوين ماري » وقد كانت البارجة « كوين ماري » من فرقة الطرادات الكبرى في الاسطول الاكبر

ويظهر ان عبء القتال في هذه المعركة وقع على الاسطول البريطاني الذي كان في البحر الابيض المتوسط وهو الآن في البحر الشمالي فان الطرادات [انديفا تجبل] و [انفنسبل] و [دفنس] و [بلاك برنس] و [وور يور] جميعها كانت من هذا الاسطول ولضباط هذه البوارج اصدقاء عديدون في الاسكندرية و بور سعيد والسويس وغيرها من موانئ البحر المتوسط سيحزنون لما أصابهم و يأسفون أشد الاسف لفقدهم. وقد ظل (بلاك برنس] مدة طويلة في مياه البحر الاحمر وخليج السويس بعد شبوب هذه الحرب واسر جملة بواخر من بواخر الاعداء في أوائلها

أما المدمرات الانكليزية التي غرقت وهي [فرتشون] و [سباروهوك] و [اردنت] و [تيبراري] فهذه جميعها من المدمرات الاوقيانوسية وقد بنيت عام

١٩١٣ وطول الواحدة منها ٢٦٠ قدما ومحمولها ٩٣٥ طنا وسرعتها ٢٧ ، ٣ عقدة في الساعة وسلاحها ٣ مدافع قطر ٤ بوصات وانبوبان للطوربيد وعدد رجال الواحدة منها مئة رجل

ولعل الثلاث المدمرات الاخرى التي ضاعت ولم يذكر اسمها في البلاغ من نوعها أيضا فتكون خسارة البريطانيين من الرجال في المدمرات نحو ٧٠٠ اه شرح الاهرام

[المنار] ظاهر البلاغ الرسمي ان خسارة الاسطول الانكليزي أكبر من خسارة الاسطول الالماني . وقد ورد في البرقيات ان الالمان تبجحوا وافتخروا بهذه المعركة وخطب قيصرهم خطبة قال فيها الآن ألقينا الرعب في أعماق قلوب أعدائنا. ثم وردت برقيات أخرى بأن خسارة الالمان كانت أعظم مما ورد في البلاغ الانكليزي وفي بلاغاتهم الرسمية . وقد قال ناظر البحرية البريطانية إنه جازم بأن خسارة العدو لم تكن أقل من خسارتهم وان لم يسهل بيان ذلك بالتفصيل . وصرح هو وغيره بما لا مراء فيه وهو ان الاسطول البريطاني لا يزال صاحب السلطان الاعلى على البحار

المنار

الدعوة الى انتقاده

جرت عادتنا بأن ندعو قراء المنار في أول كل سنة الى انتقاد ما يرونه منتقدا فيه بالشروط التي ذكرنا بيانها ، ونعني بقراء المنار هنا كل من اطلع عليه وقرأ شيئا فيه لا المشتركين خاصة ، ونعد بأن ننشر كل ما يكتب الينا في ذلك بشروطه وأهم الشروط ان ينتقد القارئ للكلام ما يراه خطأ ويبين ذلك بالدليل من غير استطراد ولا تطويل

حجم المنار في هذه السنة

ذكرنا في الجزء الماضي أن قلة الورق اضطرتنا الى ان نجعل كل جزء من أجزاء هذه السنة ثمانية كراريس (ملازم) واننا اذا ظفرنا في أثناء السنة بورق كاف نجعل السنة اثنى عشر شهرا فيكون حجم مجلد هذه السنة من سني الحرب كمجلد التي قبلها

مباحث هذا الجزء

ضاق هذا الجزء عما وعدنا به فيما قبله من كتابة مقالة في حال المسلمين الاجتماعية وحال أغنيائهم وسائر أصنافهم في التعاون على الاعمال النافعة ، وسننشر المقالة ان شاء الله في الجزءين الثاني والثالث



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ١٥ رمضان ١٣٣٤ — ٢٣ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ش ١٥ يوليو ١٩١٦

العصبية الجنسية التركية

(وعاقبة قتل نابغي العرب بسوريه)

لعلنا قد سبقنا جميع الكتاب الى بيان خطر العصبية الجنسية على الدولة العثمانية في عصر الدستور فاننا أشرنا الى ذلك في أول مقالة كتبناها عند حدوث الانقلاب واعلان الدستور اذ كان جميع العثمانيين يصفقون طربا ويحسبون انهم نالوا السعادة صفوا من كل كدر ، آمنين من كل خطر . تلك المقالة التي جعلنا عنوانها (عيد الامة العثمانية بنعمة الدستور والحرية) ونشرناها في (ج ٦ م ١١) الذي صدر في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ (٢٨ يوليو و ١٥ تموز) أي بعد اعلان الدستور بأربعة أيام . وقد جاء فيها بعد بيان مزايا هذه النعمة ما نصه :

« ان امامنا عقبات كثيرة (منها) ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين الحرية الجميلة التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهيمون بها شغفا (ومنها) ما هو أقرب الى الوقوع — كالنزاع بين الاحرار المستقلين ، وبين المتعصبين والمقلدين ،

(ومنها) مسألة الجنسية العثمانية ، وما يقف في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، فمن المطالب بالنظر في ذلك ؟ »

ثم أنشأنا بعد شهر مقالة أخرى نشرناها في (ج ٧ م ١١) أوضحنا فيها خطر اختلاف الاجناس وشدة الحاجة الى تكوين جنسية عثمانية تتحد فيها جميع الاجناس والملل ، وبينا ان الواجب على أحرار الترك وعقلائهم ان يبدؤا بالدعوة الى ترك العصبية الجنسية (اللغوية) ولا سيما زعماء جمعية الاتحاد والترقي منهم ، لان دعوتهم هي التي يرجى ان تسمع ويستجاب لها . ثم كررنا الكتابة في ذلك كثيرا

وقد رأى الاتحاديون عقب الانقلاب باظهار الرغبة في الوحدة العثمانية وكراهة العصبية الجنسية فحمدنا ذلك لهم كتابة وخطابة . ولكنهم ما عتموا ان نزعوا ثوب الرياء الشفاف بعد ان استقرت سلطتهم ، فنبذوا الجنسية العثمانية وراء ظهورهم ، ونهضوا بالجنسية التركية بغلو واسراف وعجلة خارجة عن طور العقل . فنصحنا لهم أولا بالكتابة وبينا لهم أن تحويل العربي عن عربية والألباني عن ألبانيته والارمني عن أرمنيته والرومي عن روميته مما يستحيل في هذا العصر ، وانه لو كان ممكنا لعذرناهم في محاولة تتريك جميع الشعوب العثمانية سياسة لادينا

ثم قصدت الى الاستانة للسعي الى منع التفرق بين العرب والترك وتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد فيها ، ونشرت في جرائدها مقالات (العرب والترك) المعروفة لقراء المنار فجعلتها تمهيدا للسعي في الوفاق ومنع سريان التفرق الجنسي ، اذ بينت فيها ضرورة اتحاد هذين العنصرين مع محافظتهما على لغتهما ، وانه يجب أن يكونا كعنصري الهواء أو الماء في تكوينهما لحقيقة واحدة — اعني الجنسية السياسية العثمانية — وبينت فيها أسباب الخلاف ومثاراتها في الاستانة وما أخطأت به وزارات الدولة وجرائد العاصمة وجمعياتها في ذلك فنقم العرب منها . فكان اول من شكر لي هذا السعي واهتم به ووعد ببذل نفوذه لتلافي الخلاف حسين حلمي باشا الصدر الاعظم في ذلك العهد ، وكان من سوء الحظ ان اجل صدارته لم يطل ، فصرت أراجع في هذه المسألة طلعت بك ناظر الداخلية الذي كانت — ولا تزال — ازمة الحكومة بيده فكان يعدني بتخصيص وقت للبحث معي في هذه المسألة

وانقضت السنة التي قضيتها في الآستانة ولم يف بوعده ، على انه وفى لي بعدة جلسات في داره وفي الباب العالي للنظر في المسألة الاخرى — أي مشروع العلم والارشاد ، ولكن لم يكن لذلك ثمرة

وقد علمت في اواخر ايامي في الآستانة ان الاتحاديين قد صمموا على حل مسألة الجنسيات بالقوة القاهرة وانهم بدأوا بالتنكيل بالارنؤط وسيتلوهم الارمن والعرب والاكراد . وقد كان هذا احد الباعثين لي على تلك الحملات الشديدة التي حملتها على جمعية الاتحاد والترقي في المنار، والباعث الثاني هو الديني ولا ابحث فيه الآن

لم اكن انا الذي قاومت الجمعية بالكلام وحدي بل كانت المقاومة لهم بالقول والعمل على اشدها في الآستانة وسائر بلاد الترك حتى آلت الى تسلل الالوف من جمعيتهم، ثم الى قيام الاحزاب في مجلس الامة عليهم، ثم الى تأييد الجيش لحزب الحرية والائتلاف في اسقاط وزارتهم ، ومما يجب ان يذكر انهم اعترفوا في اثناء ذلك الجهاد و بعده بأنهم كانوا يريدون تتريك جميع عناصر الدولة وانهم رجعوا عن ذلك

ولما عادت الوزارة اليهم باغتيال ناظم باشا ناظر الحربية في الباب العالي والقبض على كامل باشا الصدر الاعظم فيه هالنا الامر وخفنا من وقوع الفوضى في الآستانة والدولة في حال حرب مع البلقان غلبت فيه على أمرها ، ولكن وزارة كامل باشا لم يكن لها حزب يؤيدها، اذ كان حزب الحرية والائتلاف غير متفق معها، ثم عقدت الوزارة الاتحادية الصلح وأنشأت تعقد مع الدول الكبرى الاتفاق تلو الاتفاق على جعل البلاد العثمانية مناطق نفوذ اقتصادي لهن، وتقترض عشرات الملايين منهن ،و بدأت بالعراق العربي فاعترفت للانكليز فيه بما طلبوا من النفوذ والحقوق، فانكرنا ذلك عليهم أشد الانكار، ولم يمنعهم ذلك طبعا من الاتفاق مع فرنسة على نفوذها في سورية الخ

على أننا لما رأينا البلقانيين قد انتصروا على الدولة في الحرب حتى كادوا يستولون على الآستانة علمنا ان الخطر على الدولة أقوى وأسرع مما كنا نخشى ، وان الدولة اذا كانت قد عجزت عن حفظ الروملي وهو سياج الآستانة وحصنها امام البلقان، ومعظم قوتها الحربية هنالك و باقيها على حدود الروس، فلابد أن تعجز بالاولى عن الدفاع عن بلادنا العربية اذا هجمت عليها دولة قوية، اذ ليس في بلادنا حصون ولا سلاح، وكان

هذا الامر منبها لكثير من أهل الغيرة والفهم من العرب الى ما سبقهم بعض أذكياء الترك الى الدعوة اليه وهو وجوب جعل ادارة الدولة من نوع اللامركزية لان ذلك ادعى الى عمران كل قطر واستعداده للدفاع عن نفسه عند عجز المركز العام عن الدفاع عنه

تأسس حزب اللامركزية بمصر في أثناء حرب البلقان وسرت دعوته في المملكة العثمانية كلها ولم يكن للحكومة الاتحادية وجه للشكوى منه لانه حزب عثماني يحاول الوصول الى غايته من الطريق القانوني الذي ينتهي الى مجلس الامة ، وتأسست في أثناء ذلك الجمعية الاصلاحية في بيروت باذن الحكومة فشذت في موضوع ما طلبته من تعيين مستشارين ومراقبين للحكومة من الاجانب وأنكرنا عليها شذوذها في المنار ، ثم أنشئت جمعية أخرى في البصرة صارح رئيسها طالب بك النقيب حكومة الاتحاديين بالانكار بل بالعداء ، وقد كادت الجمعية له فحاولت اغتياله فلم تظفر، ثم حاسنته وكلفته السعي للتوفيق بينها و بين الامير ابن سعود فبذل جهده في ذلك

ثم تعلقت رغبة كثير من أذكياء العرب بعقد مؤتمر عربي في باريس لاظهار مطالب العرب الاصلاحية للعالم كله، وعهدوا بذلك الى حزب اللامركزية فعقد المؤتمر وحضره مندوبون من البلاد العربية والجمعيات العربية واختير لرياسته السيد عبد الحميد الزهراوي أحد مندوبي حزب اللامركزية، وكان المؤتمر في غاية الاعتدال في مباحثه وقراراته

حينئذ اهتمت جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها بأمر العرب وأوفدت مندوبا من زعمائها الى باريس للاتفاق مع رئيس المؤتمر على إجابة العرب الى ما يطلبونه من الاصلاح المعقول، وعقدا ذلك الاتفاق المشهور، ثم قرر مجلس الوكلاء وصدرت الارادة السلطانية ببعض مواد ذلك الاتفاق مع الوعد بأن تعطى العرب حقوقا أخرى بالتدريج ، وكل ذلك مدوّن في كتاب (المؤتمر العربي الاول) ونشر في المنار وفي الجرائد العربية المشهورة . ولكن ما تقرر من ذلك لم يرض جمهور المطالبين بالاصلاح من العرب ، وقد عده أكثرهم خديعة مؤقتة من الاتحاديين، وكان فريق منهم أشهرهم الزهراوي وعبد الكريم قاسم الخليل يرجحون اخلاص الاتحاديين وعزمهم على ارضاء العرب دائما . وقد كان من اظهار الاتحاديين الميل الى العرب أن صار أكبر زعمائهم كطلعت بك يحضرون الاحتفالات التي يقيمها أعضاء المنتدى الادبي في الآستانة

هذه خلاصة ما كان من أمر الخلاف والوفاق بين العرب والترك أو الاتحاديين منهم خاصة قبل هذه الحرب، فلما وقعت الحرب بين الدول الكبرى وعلم طلاب الاصلاح من العرب أن دولتهم تريد أن تستفيد منها وتوقعوا أن تدخل فيها، كفوا جميعاً عن المطالبة بالاصلاح، وأظهروا الميل الى تأييدها في كل ما تقرره وان لم يعتقدوا أنه الصواب، حذرا من المنازعات الداخلية، وقد حبذنا عملهم هذا بمقالة نشرناها في جريدة الاهرام التي صدرت في سادس ذي القعدة ١٣٣٢ (١٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) أي قبل دخول الدولة في الحرب، ثم في منار ذي الحجة أي بعد دخول الدولة في الحرب. وقد قلنا في أول تلك المقالة وهي خطاب لمسلمي سورية ما نصه:

« ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والهمة، في الاخلاص والطاعة للدولة، وبذل الانفس والاموال والثمرات لها، والكف المؤقت عن طلب الاصلاح منها، وتقديركم الحال الحاضرة قدرها، حتى انكم ساهمتم في هذا أرقى أمم الارض التي سكتت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية » الخ

وماذا جرى بعد ذلك ؟ ولى الاتحاديون جمال باشا أحد زعمائهم منصب القيادة العامة في سورية فأظهر الميل التام الى العرب وصار يقرب اليه أذكياء المتعلمين منهم ويحثهم على الاستمساك بعروة عربيتهم وعثمانيتهم معا، فصدقوه وازدادوا حماسة ورغبة في بذل دمائهم وأموالهم في سبيل الدولة، حتى اذا ماتم له ما أراد من الاختبار، نزع عنه ثوب الرياء والمكر، ولبس لهم جلد النمر، وقتلهم تقتيلا، ونكل بهم وبغيرهم تنكيلا

جاءتنا الاخبار في العام الماضي بأن جمال باشا شنق في بيروت احد عشر شابا من خيار شبان المسلمين منهم النابغة محمد المحمصاني وأخوه وعبد الكريم قاسم الخليل الذي كان رئيس المنتدى الادبي في الاستانة ثم اتصل بالاتحاديين وجعل جل سعيه اقناع العرب بالاخلاص لهم — فلم نصدق الخبر الا بعد ان وصل الى مصر بعض الفارين من الشنق وبعض الاسرى من الجيش واثبتوا لنا الخبر. ولكننا مع ذلك لم نكتب كلمة انكار على جمال باشا ولا على شيعته لاجل العلة التي أشرنا اليها آنفا

ثم تواترت الانباء بشنق اناس آخرين من دمشق وغيرها بتهمة السياسة وقتل آخرين بالرصاص ونفي بيوت كثيرة الى الاناضول، فثبت عندنا حينئذ ان

الاتحاديين اغتنموا فرصة الاحكام العرفية في البلاد، والقبض على الارزاق والاعناق، لاجل القضاء المبرم على النهضة العربية واكراه العرب بالقوة القاهرة على ترك لغة أمتهم ودينهم ، وعدم المطالبة بحق من حقوقهم. ولكن الثابت في سنن الاجتماع وتاريخ الامم ان هذه الطريقة من الاضطهاد تؤدي الى ضد مايراد منها . وقد كنا قلنا من قبل ان الاسلام قد امات العصبية الجنسية في بلاد العرب الحضرية فلا يقدر على احيائها أحد الا حكومة الاستانة ، ويمكننا ان نقول الآن انها قد كونت الجنسية العربية الجديدة وجعلتها خالدة، لانها زرعتها في البدو والحضر وسقتها بالدم، وبالدم استقل من استقل من جميع الامم، وكنا نخاف منهم هذه العجلة في هذه الايام، لئلا تجيء منافية لمصلحة الاسلام، إذ يخشى ان تكون هذه القسوة في اضطهاد العرب في سورية سببا ليأس الامة العربية كلها من الدولة وجزمهم بأنه يستحيل عليهم ان يحافظوا على وجودهم تحت سيادتها ، وان يحمل ذلك عرب الجزيرة على الخروج عليها ، خوفا ان يحل بهم شرمما حل بغيرهم، فان الترك يحاربون اليمن وعسير ونجد منذ قرون فكل حكامها الحاضرين قد قوتلوا ، وأمير مكة لا ينسى لهم مافعله معه وهيب بك قبل هذه الحرب اذحاول الفتك به وسلب امتياز الشرفاء من الحجاز وجعله كولايات الشام، ولما ظهر عليه الامير اظهرت الدولة الاستياء مما حصل ونسب الى الدفتردار . واسترضى الصدر الاعظم الشريف بالاعتراف له بجميع حقوق امراء مكة التي كانت في عهد السلطان سليم، ولكن الشريف يعرف ظواهر هذه الامور وبواطنها ، بل لا يخفى على أحد من العقلاء ان الدفتردار لا يجرأ على احداث أمر كبير في الحجاز بدون أمر رئيسه (الوالي) وان الوالي لايجرأ عليه بدون أمر الاستانة ، وأوامر الآستانة في عهد الاتحاديين قسمان — أوامر الجمعية وهي الحاكمة ، وأوامر الحكومة وهي المنفذة، على انه يقيس وفاء الحكومة بما كتبه اليه الصدر الاعظم على وفائها العرب بالاتفاق الذي عقد مع رئيس المؤتمر العربي وما قررته في مجلس الوكلاء وصدرت به الادارة السلطانية من المطالب العربية

كان يجب على دولة الاتحاديين في هذا الوقت ان تتودد للعرب أكثر مما كانت تتودد اليهم بعد حرب البلقان، وان تتم بالفعل ما بدأ به أنور باشا من استمالة

امراء الجزيرة بالكتابة . وذلك بارسال السلاح والذخيرة والضباط من العرب اليهم لاجل ان يكونوا ذخرا لها اذا استظهر الروس عليها في الاناضول ، فاذا كان مثل انكلترة وألمانية تحسب الحساب لوصول أعدائها الى بلادها وتعد الآلات والجيوش لاجل الدفاع عنها ، أفليس الترك أجدر بذلك وهم لولا الالمان لم يستطيعوا حربا في ميدان ما من ميادين هذه القتال ، وحسبهم انهم فقدوا بحرب البلقان كل ما كان عندهم من ذخيرة وسلاح ، وهل يوجد لهم ملجأ يلجئون اليه اذا غلبوا في بلادهم الا العرب وبلاد العرب، بل العرب وبلاد العرب هي الملجأ للاسلام. ولذلك جاء في الحديث الصحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » وأنى يبالي بالاسلام وعز الاسلام ، من ينشرون في دار سلطنتهم امثال كتاب [قوم جديد] و[صوك كتاب] التي يفضلون فيها زعانفهم الغاوين، على الخلفاء الراشدين، وعلى من دونهم من الاولياء الكرام ، ومن فوقهم من الانبياء حتى خاتمهم عليهم الصلاة والسلام

وأما العرب الذين أوجد الله بهم الاسلام ، فانهم أجدر الناس بالغيرة على المسلمين ودار الاسلام ، ولولا ذلك لما سكتوا على الضيم كل هذا الزمان، ونخشى ان يكون قد زال ما كانوا يحذرون ، ويئسوا من كل خير كانوا يرجون ، فيبدو للمنافقين ما كانوا يحذرون ، كما نخشى ان تكون عاقبة ذلك لغيرهم وهم لا يشعرون

انما يحرص سواد المسلمين الاعظم على حياة هذه الدولة لانه يهم كل مسلم أن يكون للاسلام دولة مستقلة قوية وهي امثل دول المسلمين في ذلك، وان كانت لا تقوم بدعوة الاسلام ولا تحيي علومه ولا تحمي شعوبه ولا أفراده ممن يريد بهم سوءا . ولكن لا يرضي أحدا من المسلمين ان تجني على لغة القرآن ، وان تضطهد العرب وتذلهم وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » (رواه ابو يعلى من حديث جابر بسند صحيح) وهذا الحديث من معجزات النبي (ص) ظهرت في هذا الزمان ظهورا بينا. فان الدولة قد تعرضت لخطر الزوال وفقد الاستقلال غير مرة، وانما كان يقيها منه تنازع أوربة على اقتسامها ، فاذا زال التنازع بزوال التوازن عقب هذه الحرب زالت الدولة بزواله ، وأ كبر المصائب على الاسلام حينئذ ان تعد بلاد العرب تابعة لها، ومعدودة فيما يقسم بين الغالبين من تراثها، اذ

يكون المسلمون حينئذ أدنى حالا من اليهود ، اذ يزول استقلالهم الديني والسياسي وهم في فقر مدقع لا يستطيعون معه عملا ، ولا توجد بقعة في الارض تمثل استقلال الاسلام غير بلاد العرب . ولولا جعل جزيرة العرب تحت سيادة الدولة العثمانية بعضها بالاسم وبعضها بالفعل لما تسنى لها ان تجعل نفسها دولة الخلافة ويعترف لها الناس والدول بذلك

فجملة القول أن مصلحة المسلمين عامةأن تكون بلاد العرب قوية بنفسها ، غير محتاجة الى قوة من خارجها لحمايتها ، (وقد بينا ذلك مرارا) ولاخطر في ذلك على الدولة اذا كان فيها من جرائيم الحياة ما يكفي لبقاء استقلالها ، وانما الخطر كل الخطر في إضعاف العرب وجعل بلاد العرب عالة على غيرها، وستظهر الايام صدق هذا الكلام ، ونسأله تعالى أن يكون بما فيه عز الاسلام .

(حاشية) كتبنا هذه المقالة لجزء الشهر الماضي فلم يتيسر نشرها فيه. ثم جاءنا روتر بنبأ اظهار أمير مكة الشريف حسين الاستقلال في الحجاز وسنفصل القول فيه في الجزء التالي لهذا ان شاء الله

حكم الصيام

وجناية تاركيه على أنفسهم وعلى المسلمين والاسلام

الصيام عبادة روحية جسدية، قد شرع لما فيه من المنافع الشخصية والاجتماعية ، فهو يروّض الاجساد ، كما تعطش الزروع وتضمر الجياد ، فيفني الرطوبات والموادّ الرواسب فيها ، التي تصلّب الشرايين وتعيق حركة الدم فيها ، و يعيد المِعدَ المصابة بالتمدّد الى تقلصها وتغضنها ، حتى قال بعض الاطباء ان صيام شهر واحد (كرمضان) يصلح ما أفسده التمدد طول العام ، و يمرن المرء على احتمال الجوع والعطش بالاختيار، فيسهلان عليه اذا ألجأه اليهما الاضطرار، في سفر أو سجن أو مجاعة أو قتال ، و يشعر الاغنياء المترفين بحاجة الفقراء المعوزين ، و يساوي بينهم في هذه العبادة وآثارها كما يساوي بينهم في سائر شعائر الدين

وهو فوق ذلك المربي الاعظم للارادة ، وانما يتفاضل أعاظم الرجال بما في الارادة من قوة العزيمة ، فلولاها لما استسهل صعب ، ولا ثبت شجاع في حرب ، ولما أقدم المصلحون على تغيير المنكرات ، ولاسيما مقاومة الظلم والاستبداد ، ولما ثبت عامل على عمل حتى يتقنه ، ولما صبر ذو مصاب على مصابه حتى يأمن خطره ، ولما احتفظ أمين بالامانة، الا بقدر ما يخاف في الدنيا من عقوبة الخيانة ، وناهيك بأمانة الاعراض ، والمحافظة على شرف النساء

وهو فوق ذلك مراقبةٌ لله عز وجل ، وتقرب اليه بما يرضه من تزكية النفس ، وتوجه الى الكمال الاعلى ، والحياة الروحية الفضلى ، حياة النبيين والصديقين ، بل الملائكة المقربين

ان الصائم المسلم هو الذي يحكم سلطان الارادة بقانون الايمان على هوى النفس فيمنعها من التمتع بأعظم الشهوات شأنا عندها ، فينال منه الجوع والطعام بين يديه ، ويبرح به الظمأ والماء البارد أمام عينيه ، ويشتد شوقه الى ملامسة زوجه وهي منه على طرف الثمام وحبل الذراع، فيعرض عن كل ذلك ويتركه بوازع الايمان ، ابتغاءً لمرضاة الله تعالى وتحصيلا للفوائد التي شرع لها الصيام

ألم تر أن الذي يربي ارادته ويحكمها في أشد شهواته وأقواها مدة شهر كامل في كل عام على الاقل جدير بأن لا تنازعه نفسه أكل شيء من أموال الناس بالباطل ولا العبث بشيء من أعراضهم ؟ أو ليس الذي يقدر على ترك أعظم ضروريات الحياة مما أحلّ الله له وقرب منه متناوله يكون أقدر على ترك ما حرّم الله عليه من جنسها ومما هو أدنى منها، وأجدر بأن يغلب هوى النفس الذي يغريه بها؟ بلى! وإن من الامثال الاسلامية المشهورة في بعض الاقطار « ان الذي يزكي لا يسرق» وهذا أمر معقول كسابقه ، فان الذي يخرج المال من جيبه أو صندوقه طائعا مختارا ويؤتيه الفقراء والمساكين ويضعه في غير ذلك من المصارف الشرعية لوجه الله وابتغاء مرضاته بنفع عباده — جدير بأن لا يعصي الله تعالى بتكلف سرقة مال غيره وهو يعلم أن ذلك سبب لسخط الله تعالى ، ولو كان لا يبالي بسخط الله ولا برضوانه بل يؤثر عليه حب المال لحفظ ماله في صندوقه ولم يخرج زكاته فذلك أسهل من إحراز المال بالسرقة

علل الله تعالى فرض الصيام علينا ، بأنه هو الذي يعدنا و يؤهلنا للتقوى ، فقال (كُتِبَ عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وانما التقوى ملكة يقدر صاحبها بوازعها النفسي على اتقاء كل ما يدنس نفسه و يدسيها من ترك واجب ، أو اقتراف محظور ، ولذلك قالوا انها عبارة عن القيام بالواجبات وترك المحرمات ، وهذه الملكة كسائر الملكات ، تكتسب بالاعمال النفسية والبدنية التي يقوى بها سلطان الارادة على نزعات الاهواء كما سبق القول . وقد فطن لهذا بعض حكماء الغرب فقال في كتاب صنفه في (تربية الارادة) انه لا مربي للارادة كالصيام ، ولأجل هذا شرع في جميع الاديان

ان أحق الناس بتحصيل هذه الملكة و بسائر فوائد الصيام الروحية والاجتماعية والجسدية من جمعوا بين حُكم الله وحكمته فيه ورعوا ذلك حق رعايته ، فالاسلام علمٌ وتربية ، بنيا على أساس الحكمة والفلسفة ، وذلك نص قوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا و يزكيكم و يعلمكم الكتاب والحكمة و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) وقد يستفيد كثير من الناس حكمة العبادة ويجنون ثمرتها ، وان لم يتلقوا بالتعليم أن ذلك هو المصلحة التي شرعت لاجلها ، كما يستفيد بعض الناس من شيء يأكله أو يشربه ، فيكون من حيث لا يدري شفاء من مرض ألم به، أولئك هم الذين أخلصوا دينهم لله فكان لهم من العلم بكل عبادة انها ترضي الله تعالى وان تركها يؤدي الى سخطه واستحقاق عذابه

ومن الناس من يؤدي العمل تقليدا ومجاراة لمن نشأ فيهم فيكون عادة له كسائر العادات الشخصية والاجتماعية ، لاينوي به قربة، ولا يشعر له بفائدة، ولا يفكر في حكمة الشارع فيه، فلا يكون لصيامه أثر كبير في عباداته ولا معاملاته ولا عاداته ، قد يصوم ولا يصلي، وقد يصوم و يصلي وهو مصر على المعاصي،فهو الذي يصدق على صيامه ما قاله بعض الاوربيين في تعريف الصيام، من أنه عبارة عن تغيير مواعيد الطعام ، بجعلها في الليل بدلا من النهار ، وانما كمال الصيام بجعله جنة ووقاية من جميع الآثام ، قال صلى الله عليه وسلم « الصيام جُنَّة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل اني صائم اني صائم » رواه

الشيخان في الصحيحين وأصحاب السنن الاربعة. والرفث صريح الكلام في الوقاع أو ما يتحدث به الزوجان في تلك الحال، والصخب الجلبة والصياح، فاذا كان مثل هذا مما يمنع في الصيام، فما شأن اقتراف كبائر الآثام؟ على أن مثل هذا الصائم خير من تارك الصيام ولاسيما المجاهر به، فاذا كان مثله كمن يبني قصرا ويهدم مصرا، فان مثل تاركي الصيام من امثاله الفساق كمثل من يهدمون القصور والامصار

***

يترك الصيام في هذه البلاد أناس كثيرون من طبقتين أو ثلاث طبقات، تتفق وتختلف في بعض الاعمال والصفات: طبقة تحوت الغوغاء الارذلين؛ وطبقة أسرى الشهوات المترفين، وطبقة أدعياء المدنية المقلدين، فأما أولئك التحوت السفهاء فانهم لا يشعرون بقيمة لانفسهم يشاركون بها سائر طبقات الامة في شعائرهم الدينية، دع ما هو أرقى من ذلك كالشعور بما يجب من شكر رب العالمين الرحمن الرحيم والتقرب اليه والاستعداد للرضوان الاكبر في دار الكرامة عنده، وغاية ما ورثوه من تقاليد الاديان التي كان عليها آباؤهم الاولون والآخرون تعظيم بعض الموتى ذوي الاضرحة التي خذلت سنة الدين بتشريف بنائها، وجعلها مساجد يصلى اليها ويطاف بها، وبناء القباب عليها — واحتفالات الموالد التي هي أعياد ومواسم يحشر الناس اليها بجوار تلك القباب، وزيارة الجماهير للمقابر في ليالي الاعياد وجمع رجب وأيام أخرى من السنة، يرحل فيها الى القرافات النساء والرجال والاطفال، مشاة حفاة وركبانا على الحمير والجمال، وما في ذلك من المنكرات الكثيرة المعروفة

وأما هؤلاء المترفون (فمنهم) ملاحدة المتفرنجين الذين هم شر على الامة من كل عدو لها (ومنهم) أسرى الشهوات الذين ليس لهم من قوة الارادة ما يقدرون به على مغالبة الهوى وعصيان داعي اللذة، أو حبس النفس على عمل شاق، وهم أشد الناس حاجة الى الصيام، فان هذا الافراط في الترف يضعف البدن كما يضعف النفس. واذا كثر هؤلاء في أمة فقدت الاستعداد لدفع الاعداء عنها، وللقيام بالاعمال المتعبة التي ترقي بها الامم والثبات عليها، وتقضي عليها أن تكون مستعبدة لغيرها، وأي عار على الفتى الجذع، أو الكهل والشيخ الذي لم يدركه الهرم، اكبر من عار

الاعتراف بعدم الطاقة على احتمال الجوع والعطش بضع عشرة ساعة يعدّ له بعدها الشراب المبرد وألوان الطعام الفاخرة؟ أيها الجذع الناشيء ، أيها الكهل القارح ، أولى لك فأولى ، وغير هذا كان بك أولى ، كان أولى بك أيها الفتى أن تفخر بالتربية على صفات الرجولية ، واعتياد القشف الاختياري في المعيشة ، ومنه أن لا تسرف في النعيم المباح في ليالي رمضان ، وأن تصوم من كل شهر عدة أيام ، كان أولى بك أيها الكهل أن تكون قدوة صالحة لولدك وأولاد المسلمين ، في المحافظة على شعائر الدين ، وعلى الآداب والاعمال ، التي يبلغون بها درجة الكمال ، وأهمها ركوب الصعب ، واكتساب ملكة الصبر ، وتوطين النفس على مصارعة الحوادث ، ومقارعة الكوارث ، ألا وان الصيام جد الصيام أول مقدماتها ، وأيسر وسائلها

وأما أدعياء المدنية المقلدون فهم الذين يفطرون جهرا ليقول فيهم غير المسلمين والمنافقون من المسلمين انهم « متمدنون » وهذه الطبقة اخسّ الطبقات فلا ينتحل لها عذر ولا يوجه اليها برهان .

عذر الملحد المارق عند نفسه في ترك الصيام أنه فقد الباعث الديني ، ولم يترجح عنده باعث تهذيبي ، وعذر المترف الشهواني عند نفسه ، عجزه عن كبح جماح لذاته ، لتحكم الهوى فيها ، وضعف الوازع الديني عنها ، والجهول السافل من نحوت الناس له عذر هذين الفريقين وعذر آخر وراءهما — وهو انه لا يخطر في باله ولا يصل علمه الى ما يعلمه كثير من أفرادهما من معنى كون الصيام ركنا للدين الذي ينسب اليه ، وشعارا للامة التي هو منها ، وان العاقل الذي يرى لنفسه قيمة في الوجود يرى شرفه بشرفها ، وذله بمهانتها ، وانه مطالب دينا وعقلا بحقوق لها عليه ، وان دين الامة من مقوّمات وجودها ، فمن فاته الايمان الباعث على اقامة أركانه لاجل سعادة الآخرة ، لم يسقط عنه احترام شعائره التي هي أقوى روابط الامة؟ فبهذا العلم يؤاخذ و يطالب كل من أوتي نصيبا منه ، وترتفع المؤاخذة عمن كان نصيبه منه الجهل المطلق حتى ان نفسه لا تتوجه الى طلبه ، ومنهم من يعتذر بأن الصيام يضره وان كانوا أصحاء الاجسام ، بترك ما اعتادوا من النظام في مواعيد الطعام ، والصواب ان ما يتوهمون من الضرر في ذلك هو عين النفع ، لان التزام تلك العادات أضعف أبدانهم

وأنفسهم ، حتى صار تغييرها يؤلمهم أو يضجرهم ، وانما هذا الالم والضجر عرضان لمرض الترف ، والصيام علاج له لا « مضاعفة »

اذا صح أن يكون في الالحاد عذر للملحد، وفي ضعف الارادة عذر للمترف ، وفي تغيير العادة ايلام للمهفهف ، فياليت شعري بم يعذر نفسه أو يعتذر عنها من يجاهر منهم بالفطر ؟ المجاهرة بالذنب شر من ارتكاب الذنب ، لان ارتكابه سرا يجعل ضرره قاصرا على من اقترفه، وأما المجاهرة به فضررها يتعدى المذنب الى غيره،لانه يكون قدوة سيئة لمن كان مستعدا لاقتراف ذلك الذنب تجرئه على اقترافه. ولان في الجهر به اذا كان من الشعائر الملية — كالصيام — احتقارا للملة والامة التي ينسب المفطر اليها ، واضعافا لرابطة قوية من الروابط التي تمتاز بها الامة على غيرها

ها هنا يضحك القارئ من هؤلاء الملحدين ، لا تضحكوا الا على أنفسكم بل ابكوا عليها ان كنتم تعقلون: يقولون ان الملحد ليس من أهل الملة ولا من أفراد الامة فيرمى بهذا اللوم و يطالب بالاعتذار عن عمل لا يراه واجبا عليه، وانه يعد الجهر بالافطار في رمضان من الشجاعة الادبية والاسرار به من الضعف والنفاق. ونقول: كيف يصدق هذا الكلام على ملاحدة بلادنا وكلهم منافقون يدعون الاسلام ويلتزمون من احكامه وشعائره وعادات أهله ما لا ينافي أهواءهم ، ولا يعارض شهواتهم ، كالاحكام والشعائر وكذا العادات المتعلقة بالزواج والموت والاعياد ، ويخضعون لشريعته في أحكام الزواج والارث ، فاذا ادعى أحدمنهم الشجاعة المعنوية بهتك شعار الصيام،فقل له كذبت في دعواك، فان كنت شجاعا فصرح على رءوس الاشهاد بالردة عن الاسلام واترك كل ماهو اسلامي ، ولا تتزوج نساء المسلمين ولا تأكل تراثهم ، ولا تتول الاعمال والوظائف الخاصة بهم بدعوى أنك منهم . وأما اخفاء معصية الافطار فليست مع صحة العقيدة من النفاق، بل من اخفاء العيوب والعورات

قد يقول بعضهم ان الاسلام جنسية اجتماعية كجنسية اللغة وجنسية النسب ، وان العقائد الدينية والعبادات البدنية من الشؤون الشخصية التي يجب ان يكون الناس أحرارا فيها ، ولا ينبغي ان يتوقف عليها تحقق الجنسية بعد ان ينالها صاحبها بالوراثة أو بتسمية نفسه مسلما

ونحن نقول أن هذا الكلام مغالطة بديهية البطلان فان الاسلام في الحقيقة دين وهو جنسية لمن يدينون الله به ولو في الظاهر كاقامة أركانه من صلاة وصيام وزكاة وحج وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، فهو من حيث هو دين لا تحقق له الا بصحة العقيدة وما يتبعها من الاعمال، ومن حيث هو جنسية يتحقق بالتزام شعائره وأحكامه الظاهرة الا ما يقع من الاخلال بها شذوذا كما كان المنافقون يعملون في الصدر الاول. فمن لا يؤمن بما جاء رسوله ولا يقيم شيئا من أركانه فلا حظ له من جنسيته ، فكيف اذا كان مع هذا مجاهرا بهدم هذه الاركان بلا خوف من الله ولا احترام لاهل هذه الجنسية .

على أن كل منتم الى جنس يجب عليه ان يعد جميع من يشاركونه فيها اخوانا له، وان يحترم كل ما يشترك فيه معهم من مقومات الجنسية ومشخصاتها، والا كان عاقا لها، مستحقا للطرد والابعاد عنها ، بدلا من مشاركة أهلها في منافعها الصورية والمعنوية، وهؤلاء المجاهرون بالفطر في رمضان لا يشعرون بمعنى الاخوة الاسلامية العامة ، ولا يقومون بشيء من حقوقها ، كما انهم لا يحترمون الشعائر والاعمال التي لا تعرف الجنسية الاسلامية الا بها .

الحق أقول : ان لبعض الذين يفطرون في رمضان عذرا طبعيا، ولا يحمد عذر طبعي الا ان يكون شرعيا ، (كعذر المريض والمسافر والعاجز عن الصيام لهرم مثلا) ولكن لا عذر لاحد في الجهر بالافطار ، لانه احتقار للاسلام واهانة لاهله، لا تصدر اختيارا الا من عدو له ولهم ، أو ممن لا شعور له بمعنى الامة والملة وشرفهما كبعض الكناسين والزبالين — لا كلهم — وكم يوجد من أمثالهم في المتعلمين المتفرنجين الذين يظنون أنهم ممتازون في الامة بارتقائهم في الشؤون الاجتماعية، وأنهم يشعرون من ذلك بما لا يشعر به الجمهور ، وان الخير للامة ان تكون مثلهم في ترك أركان الدين وامتهان شعائره والاهتمام بالتمتع بالشهوات، وحسبهم شرفا وارتقاء ما يتوهمون من عد غير المسلمين لهم من « المتمدنين » أو « المتنورين » ! ويا شقاء أمة يكثر فيها أمثال هؤلاء المفتونين ، فانها لا ترتقي بهم الا الى أسفل سافلين

حال المسلمين الاجتماعية

ومطالبة الاغنياء وسائر الطبقات منها [1]

١

الانسان عالم اجتماعي لا يصل فرد من أفراده ولا شعب من شعوبه الى كماله المقدر له الا بالاعمال الاجتماعية التي يتعاون عليها أفراد العشيرة وأهل البلد والوطن وسائر الناس ، وعلى قدر هذا التعاون يكون اقرب من الكمال الاجتماعي والبعد عنه، فالامم بالافراد والافراد بالامم ، فهنيئا للامة التي تتنسم بسعي أفرادها غارب العز والسيادة، وتتنسم ريح القوة والسعادة، و « ياويح الرجل الذي ليس أمة » [2] وما كل جمع كبير يستحق أن يسمى أمة ، لولا سعة المجاز في الكلام ، كقولنا في صور الناس وتماثيلهم هذا فلان وهذا فلان

المسلمون جمع كبير يطلق عليه اسم « الامة الاسلامية » بحسب صورته أو باعتبار ما كان عليه وان كان لا يقوم بالاعمال الاجتماعية التي تتحقق بها مقومات الامم ومشخصاتها ، وتحفظ بها مصالحها ومنافعها ، وللمنار مقالات كثيرة في بيان هذا الموضوع يطلب أقدمها عهدا من المجلد الاول منه. ومن أشهرها مقالة في المجلد التاسع عنوانها (حال المسلمين في العالمين ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين) كان لها تأثير في الشرق والغرب ، وترجمها بالتركية أحد فضلاء الآستانة وطبعها في رسالة مستقلة باللغتين

وقد نطلق على المسلمين اسم الامة باعتبار ما نرجو أن تؤول اليه حالهم، فباعتبار ان ذلك الاستعمال من مجاز الكون بينا غير مرة في تلك المقالات أن الاصلاح الاسلامي ينحصر في كلمة « تكوين الامة » اذ لا أمة في الحقيقة ، وباعتبار أن ذلك الاستعمال من مجاز الأول يتسع مجال الاطلاق . وكثيرا ما بنينا الكلام على تحقق الرجاء ، وصرحنا بأن الامة قد ولدت ولادة جديدة ، وأنها الآن في سن الطفولة ، وان ما تتصدى له من الاعمال الاجتماعية انما كان صغيرا وعرضة للفشل في الاكثر لانه من

---

(١) هذه المقالة الموعود بها (٢) هذه الكلمة لشيخنا الاستاذ الامام

قبيل أعمال الاطفال ، وقد شرحنا هذا الموضوع في مقالات نشرت في المجلد الثاني وغيره (* وذكرنا في المجلد الرابع أمثلة لطفولية الامة ، وقد حدث بعد ذلك ما هو أعظم منها، وناهيك بسقوط جريدة اللواء العربية وأختيها الفرنسية والانكليزية، وموت مصطفى كامل باشا مؤسسهن بأموال الامراء والاغنياء غارقا في الدين، وبيع أثاثه ورياشه بالمزاد، ثم سقوط جريدة المؤيد وموت صاحبها غارقا في الدين أيضا ، ثم سقوط (الجريدة) وهي جريدة حزب كبير من الاغنياء

فهذه أكبر الجرائد التي أسسها المسلمون في مصر، وكان لكل منهـا شركة وحزب ورأس مال مؤلف من ألوف الجنيهات وأنصار من أغنياء الامة وأصحاب الاقلام فيها ، وقد بينا وجه العبرة في شأن هذه الجرائد بعد موت الاولى وتبريح الداء بالأخريين في ترجمة الشيخ علي يوسف من المجلد السابع عشر (ص ٦٩)

وما لي لا أذكر وأذكر في هـذا المقام بتلك الفاتحة الوجيزة للمنار التي كانت أول ما كتب منه ، ونحمد الله تعالى أنهـا كانت صورة مصغرة له ، قد ارتسمنا مارسمناه له فيها فلم نخرج عنه ، وقد أشرنا فيها الى سوء حال المسلمين ورغبة سوادهم الاعظم عن ما تقصد اليه بانشاء المنار من الجد والاصلاح ؛ والى وجود أفراد تنبهت أنفسهم لاصلاح الخلل، وتوجهت هممهم لمداواة العلل، والى أن الغرض من انشاء المنار ان يكون لسان حال هؤلاء وحادي ركبهم في سبيل التجديد المطلوب. ثم ظهر لنا ان رجاءنا في هذه الفئة كان أكبر منها في نفسها

تيسر لنا بهذا المنار أن نختبر حال المسلمين اختبارًا لا يكاد يتيسر بوسيلة أخرى، وقد كان هذا الاختبار الطويل والعلم التفصيلي مؤيدا لما كنا عليه قبلهما من الوقوف بين الخوف والرجاء وترجيح الامـل على اليأس ترجيحا يبعث على الجهاد والثبات على العمل ، وهو ما صرحنا به في فاتحة المنار في العدد الاول للسنة الاولى

كان موضوع ذلك الامل الاول من أيقظتهم حوادث الزمان ، وأثرت في قلوبهم آثار حكيم مصر وحكيم الافغان ، ومن على مشربهما من دعاة الاصلاح ،

---

*)راجع مقالة (طفوليـة الامة وما فيهـا من الحيرة والغمة)في ص ٧٣٧ م ٢ ومقالة (الحيرة والغمة ومناشئهما في الامة) في ص٧٥٣م٢

ثم زاد عدد هؤلاء المحبين للاصلاح بتأثير المنار ، ومنهم صاحب الرسالة التي نشرناها في آخر الجزء الماضي فاستتبعت كتابة هذا المقال، فهو قد اشترك في المنار منذ أنشئ وكان تلميذا في المدارس، وقد اشرب قلبه حب الاصلاح، فهو فيه على علم ووجدان واخلاص، ولكنه على علمه وسعة اختباره لما في هذا البلاد من الفسق وفساد الاخلاق، أقوى منا رجاء في مسلميها وفي غيرهم، واننا نخشى ان يضعف ويضمحل هذا الرجاء أو يزول ويحل محله اليأس اذا رأى أن رسالته لم تؤثر، ودعوته لقومه لم تجب، فأحببنا أن نذكره بما أشرنا اليه آنفا مما نشرنا في خوالي السنين ، ونؤيده بما في معناه من بيان حقيقة حال المسلمين ، لعله يذهب بغرور المبالغ في التفاءل ، ويمسك رمق الرجاء على المهوي الى اليأس ، وينفخ نسمة الرجاء في اليائس ، فنقول :

ان في المسلمين كثيرا من بقايا الفضائل الموروثة ، التي هي تعد من دلائل الحياة الاجتماعية ، وكثيرا من الرذائل والامراض الروحية الموروثة والحادثة التي هي سبب ماحلّ بدولهم وأممهم من الرزايا التي يئن منها كل من شعر بها بقدر شعوره ، وقد استيقظ في بعضهم هذا الشعور منذ مئة سنة أو أكثر ، وتصدى بعض حكامهم و بعض أفرادهم الى إصلاح ما فسد ، وتجديد ما اخلولق و بناء ما انهدم ، كما بينا ذلك في فاتحة المجلد السابع عشر ، وانما لم يفلح أحد منهم لان الحكام القادرين على تنفيذ الاصلاح لا يعرفون طريقه ، والافراد الذين يعرفون كنه الاصلاح لا يقدرون على تنفيذه

إنما تنهض الامة بالاصلاح اذا وجد الاستعداد في الجمهور، ووجد الزعيم القادر على استخدام ذلك الاستعداد ، ويمكن بيان هذا الاستعداد العظيم بكلمة واحدة من اصطلاح كتاب الجرائد وغيرهم من المعاصرين وهي (التضحية) وما التضحية الا بذل الاموال والانفس في سبيل المصلحة العامة وهو ما يعبر عنه القرآن بكلمة الجهاد

ما قام أمر اجتماعي عظيم كالدين والدولة الا ببذل المال والنفس فمن لم يبذل في سبيل دينه أو دولته ووطنه ما يحتاجان اليه من مال أو نفس فلا دين له ولا دولة ولا وطن ، ولذلك جعل الله تعالى هذا الجهاد آية الايمان بمثل قوله (٤٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

الله أولئك هم الصادقون)

نحن لسنا بصدد إصلاح يحتاج فيه الى بذل النفس ، والتعرض لإراقة الدم ، وانما الاصلاح الذي أسس له المنار ثم مدرسة الدعوة والارشاد اصلاح علمي تهذيبي يقوم بالمال ، وانما أنشأنا هذه المقالة لبيان حال من دعاهم ذلك المخلص الغيور في رسالته الى النهوض بمشروع الدعوة والارشاد ومساعدة المنار

الا وان الاغنياء أول من يخطر بالبال ، في كل مقام يذكر فيه بذل المال ، وان أكثر اغنياء بلادنا بل أمتنا كلها أغبياء سفهاء الاحلام ، مسرفون في الفسق ، بخلاء حتى بما وجب من الحق ، أشحة على الخير ، لايكاد يخرج المال من أيديهم الا على مائدة قمار ، أو في حانة خمار ، أو لبغي وقواد ، أو رشوة لحاكم شرير ، أو تزلفا الى سلطان او أمير أو مدير ، فأكثر ما بذله أغنياؤنا في هذا العصر للجمعيات الخيرية أو المدارس أو جمعية الهلال الاحمر أو جمعية الصليب الاحمر فهو رياء ، وتزلف للحكام والامراء ، وهذا مما يعلمه الكاتب وغير الكاتب علما ضروريا أو كالضروري .

وأما غير الفساق المرائين من الاغنياء فهم كسائر الناس ، والناس فيما نحن بصدده فريقان : فريق لايرجى منه خير للاسلام بل يخشى شره ، وفريق قلما يرجى الخير من غيره . فأما الفريق الاول فثلاثة أصناف : ملاحدة المتفرنجين ، ومنافقو المعممين ، وتحوت الفقراء الجاهلين ، الذين لايكادون يفقهون حديثا ، ولا يعقلون للامة والملة معنى ، وقد بينا في فاتحة هذه السنة من الجزء الاول ان من أولئك الملاحدة والمنافقين من تصدى لمقاومة مدرسة الدعوة والارشاد ، بنفث سموم السعاية لمنع إعانة وزارة الاوقاف وغير الاوقاف ، كما سعى أمثالهم وأقتالهم من قبل في الجمعية الخيرية الاسلامية ، حتى زعموا أنها تمد مهدي السودان بالمال لقتال مصر والدولة البريطانية

وأما الفريق الثاني وهو الوسط في شؤونه العقلية أو النفسية ، أو شؤونه الاجتماعية أو المعاشية . فيتألف من أصناف يقل فيها الغنى الموسع ، كما يقل فيها الفقر المدقع ، والاغنياء منه ثلاثة أصناف :

صنف تربى تربية اسلامية بحسب ما عليه جمهور المسلمين في القرون الاخيرة من مزج السنن بالبدع ، والخرافات بالحقائق ، فهم لا يفقهون من بذل المال في سبيل

البر الابناء مسجد ولوفي مكان تزيد فيه المساجد على حاجة المصلين ، (وإنما يكون هذا من الخير اذا لم يبن المسجد على قبر أحد من الصالحين، والا كان صاحبه ملعونا على لسان خاتم النبيين) — أو وقف أرض تنفق غلتها على تشييد القبور والبناء عليها أو حولها وما يكون من المواسم عندها في الاعياد وجمع رجب ، وكل ذلك من المعاصي وبدع الضلالة المنكرة التي لا يجوز الوقف عليها وان تضمنت إطعام بعض الفقراء الطعام المبتدع لاجلها ، فهذا الصنف قلما يرجى منه الآن فائدة للاعمال الاصلاحية كمشروع الدعوة والارشاد

وصنف آخر تربى أفراده على التفرنج ولكن لم يكونوا كجماهير المتفرنجين الذين لاحظ لهم من حياتهم الا تقليد الافرنج في عاداتهم الخاصة بالزينة والطعام والشراب والتمتع باللذة واللهو واللعب كتربية الكلاب والسير بها والركوب معها، بل أودع في نفوسهم الميل الى الاقتداء بهم في بذل المال للمنافع العامة، لا رياء للجمهور، ولا تزلفا لحاكم أو أمير، بل لان ذلك عندهم من اللذات النفسية، أو الشرف والكمال الانساني ، وبهذا ارتفعوا عن جمهور الاغنياء الاغبياء السفهاء ، ولعل هذه البلاد لا تخلو من افراد منهم ، ومن عساه يوجد منهم فقد يبذل المال للمساعدة على تعليم الموسيقى والتصوير أو الالعاب الرياضية ، وقلما يحفل بالإصلاح الديني العلمي الا ان كان له نزعة دينية أو تهذيبية ، وأنى لجماعة الدعوة والارشاد بالاهتداء الى مثل هذا واقناعه بأن مقصدها الاول من مدرستها بث المرشدين في انحاء البلاد لتعليم العوام ما يزجرهم عن المعاصي والمنكرات ، ويزكيهم من أدران البدع والخرافات ، حتى تستفيد المدرسة من مساعدته ؟

وصنف ثالث هم الوسط الصحيح وهم الذين أوتوا نصيبا من التربية الدينية والعلم الاسلامي الصحيح ، ونصيبا من حال هذا العصر وما يحتاج اليه المسلمون فيه من الاصلاح، والغنيّ في هذا الصنف أندر منه في سائر الاصناف ، والرجاء في مثله لمساعدة الدعوة والارشاد ، أقوى وأشد منه في سائر الناس ،الا أن يغلبه على دينه وعقله البخل الفاحش والشح المطاع، وإيثار وعد الشيطان بالفقر على وعد الله بالمغفرة والاخلاف، واذا كان الصنفان المذكوران قبل هذا — وهما كالطرفين له — مما يصعب

اقناع افرادها بوجوب المساعدة على الاصلاح الديني العلمي فهذا الصنف لايحتاج الى اقناع ، ولا يخفى عليه وجود ما يوجد منه في البلاد ،

ومن اغنياء هــذا الصنف من غلب عليهم الترف ودب الى دينهم الوهن ، فضعفت غيرتهم على اسلامهم الديني ، دون اسلامهم الاجتماعي والسياسي ، فهم يودون اصلاح حال المسلمين ، ويعتقدون أن ذلك لايرجى الا من طريق الدين ، وإنما يودون أن ينهض بالاصلاح غيرهم ، ولا تسمو بهم الهمة الى المساعدة عليـه باموالهم ولا بانفسهم

تلك أصناف الاغنياء ، الذين يصح أن يتعلق بهم الرجاء ، بما في أنفسهم من هدي الدين أو علو الهمة ، أو العناية بامر الامة ، وقد علم أن من يوجد في هــذه البلاد منهم قليل ، وان الرجاء في هذا القليل ضعيف .

فلم يبق من فريق المعتدلين الذين يرجى رفدهم الا المستورون الذين لا يقدرون على مساعدة الاصلاح الا بما يوفرون من كسبهم بالاقتصاد في النفقة اللائقة بامثالهم ، كصاحب الرسالة التي دعتنا الى كتابة هذا المقال ، ولا غناء في مساعدة هذا الصنف الا اذا كثر أفراد الباذلين منه ، وفاقا للقاعدة المقررة : [القليل من الكثير كثير] وما أظن أن الظفر بهذا الكثير عندنا ميسور ،

فعلم مما شرحناه أن من يرجى منهم بذل شيء من فضول أموالهم في سبيــل الاصلاح الديني والاجتماعي قليلون ، وان ما يرجى بذله من هؤلاء القليلين في بلادنا قليل لاغناء فيه ، لان اكثر الانفس أحضرت الشح ، واستحوذ عليها الصغار والذل ، وكذبت وعد الله بالاخلاف على المنفق ، وصدقت وعد الشيطان له بالفقر . ثم إن بذل المال الكثير في هذه السبيل انما يصدر عن عرفان ووجدان — عرفان بالمصلحة فيه وشدة الحاجــة اليها ، ووجدان ايمان راسخ تنال به سعادة الدنيا والآخرة ، أو وجــدان شرف باذخ تنال به سعادة الاولى فقط ، على ان باعث الشرف وباعث الايمان ، قد يتلاقيان ويتصافحان ، وانني أوضح هذا المقام بأمثال ، أشير بها الى أعظم من رجوت هنا من الرجال

كان أرجى أغنياء مصر عندي لمشروع الدعوة والارشاد ثلاثة أصرح باسم

واحد منهم وهو رياض باشا تغمده الله برحمته، ذلك الرجل الذي انفرد في كبراء مصر وأغنيائها بأنه لم يكن يخيب فيه رجاء، ولا يفوته مساعدة عمل من أعمال الخير، ولو عرف كنه مشروع الدعوة والارشاد لما اكتفى بالتبرع له بمئة جنيه، وانما عرف منه انه مدرسة خيرية ، فنفحه بمثل ما نفح به مدرسة محمد علي الصناعية ، وهي المدرسة التي تولى رياسة جمع الاعانات لها ، على ان الخديو وارث ملك محمد علي التي أنشئت المدرسة احياء لاسمه وتذكارًا لمرور مئة سنة على ملكه لم ينفحها بأكثر من ذلك . فهذا عذر رياض باشا في عدم صدق رجائي كله في مساعدته لهذا العمل

وأما اللذان لا أصرح باسمهما فقد كان رجاؤنا في أحدهما اكبر من رجائنا في رياض باشا، وهو أوسع منه ثروة، وفهم من كنه المشروع ما لم يفهمه، بل قال فيه كلامًا يؤثر ويدوّن له، (منه) انه طالما فكر فيه ، وتعجب من احجام المسلمين عن القيام به الى اليوم ، وانه يود لو يكون عضوا عاملا فيه ، وانما يمنعه من وضع يده في أيدي أعضاء ادارته عدم ثقته بثباتهم، اللهم الا واحدًا منهم ، وعلل ذلك بأن أهل بلادنا هذه يقولون ولا يفعلون، ويبدؤن بالاعمال ولا يثبتون، (ومنه) أن هذا العمل سيلقى صعوبات، وتوضع في طريقه العقبات ، وانه لا يقول هذا تثبيطا (أي) بل تنبيها ، ولا تنصلا من المساعدة فانه سيساعد بالمال ، ثم انه اكد هذا الوعد غير مرة لنا ، وذكره لغيرنا، وقد كان آخر عهدنا بالسعي لاستنجازه شهر رجب الماضي

وأما الثالث فهو غني معروف بالعلم والفضل والتدين، وقد كان منّانا أحد أصدقائه بأنه سيتبرع للمدرسة بمئة جنيه غير ما يفرضه على نفسه من الاشتراك السنوي ، وذكر لنا صديق آخر له عزمه على المساعدة من غير تحديد. وقد بلغنا ان ما يجب عليه من زكاة النقد كل سنة أضعاف ما يملكه صاحب الرسالة التي تتكلم في موضوعها، وقد ذكرناه في هذا العام بشدة حاجة المدرسة الى ما تنتظر من مساعدته لانقطاع اعانة الاوقاف عنها ، ونفاد ماقد جمع لها ، فاعتذر بما يعتذر به أكثر الناس في هذا العهد ، وهو العسرة التي جاءت بها هذه الحرب

فاذا كان وعد أرجى من نرجو من أغنى أغنيائنا ، واشتراك من يشترك في مثل هذا المشروع من أفضل فضلائنا، لا يوثق بهما ولا يتكل عليهما في استئجار دار

لمدرسة خيرية ، فهل يظن (م . ن) صاحب تلك الرسالة أن ماجاء به من النصيحة والتذكير يبسطان الايدي المغلولة ، وينبهان[1] الانفس المفسولة[2] ، فتتدفق الدنانير على مدرسة الدعوة والارشاد اليوم كما تدفقت على جمعية الصليب الاحمر بالامس ، وعلى جمعية الهلال الاحمر من قبل ؟ ان كان يظن ذلك فما نحن بظانين ، ولا نحن من فضل الله وحياة المسلمين بيائسين . ولكننا بعد طول الاختبار لانغتر بوعد واعد ، ولا بثبات متبرع ولاواهب ، وان كان هذا أو ذاك ، ممن اشتهروا بالسخاء ، فان أكثر أصحاب هذه المظاهر ، مصداق لقول الشاعر

يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما لكنها خطرات من وساوسه

كلا انه لا يرجى في هذا القطر جمع مال كثير بالتبرع يكون رأس مال لمدرسة كمدرستنا أو مدرسة دونها الا بنفوذ الامراء والحكام ، وقد كان بعض هذا ممكنا لنا من قبل ولم نطرق بابه ، وأما اليوم فلا يرجى كله ولا بعضه ، فأما سبب بذل المال تقربا الى الامراء والحكام فمعروف ، وأما إمساكه عن المصالح العامة فسببه ضعف الايمان ، وضعف وجدان الشرف وحب الكمال . والحرمان مما يولدان من المقاصد العالية والآمال العظيمة ، وليس في تربية الامة ما يحيي ذلك في نابتتها

هذا وانا بعد هذا البيان نقول لصاحب تلك الرسالة وغيره من أهل الغيرة ان هذا المشروع لا يرجى أن ينفذ بحسب نظامه المعروف الا اذا نجحنا فيما سعينا اليه في الآستانة ثم في مصر من تقرير اعانة له كبيرة ثابتة من وزارة الاوقاف فبهذا يستقر ويوثق بثباته واستمراره ويشتهر نفعه في الامصار والاقطار ، ويرجى بعد ذلك أن يتبرع له ويقف عليه العقار والاراضي كثير من أهل الخير ، ولا سيما بعد أن يتخرج في مدرسته من يحسنون القيام بما فرضه الله تعالى على المسلمين بقوله : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) فاذا ظفرنا باعانة ثابتة من وزارة الاوقاف فذاك ، والا جعلنا المدرسة خارجية ، وأنفقنا عليها مما آتانا الله من كسب ومساعدة أهل المروءة والاخلاص مهتدين بقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدِر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لايكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا)

---

[1]) للتنبيه هنا معنيان أحدهما جعل الخامل نبيه الشان وثانيهما ايقاظ الناعس
[2]) المفسول الضعيف الخامل الذي لامروءة له

السنة وصحتها والشريعة ومتانتها

رد على دعاة النصرانية بمصر

٢

﴿ تتمة واستدراك — استنكار المتأخرين لبعض متون أبي هريرة ﴾

قد علم مما تقدم أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه راوية ثقة عدل وانه من نوابغ البشر في الحفظ والضبط لما يحفظ وقوة الذكر (الذاكرة) وعلم أيضا أنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الانكار أو مظنته لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم ببعض المغيبات التي تقع بعده؛ ويزاد على ذلك أن بعض تلك المتون غريب في نفسه، ولو انفرد بمثله غير صحابي لعدّ من العلل التي يتثبت بها في روايته، كما هو المعهود عند نقاد الحديث أهل الجرح والتعديل، ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبي هريرة كما رأى القراء في [دروس سنن الكائنات] للدكتور محمد توفيق صدقي، وأول كلمة طرقت سمعي في ذلك كانت من تلميذ مسلم في مدرسة غير اسلامية ببلاد الشام، وكان ذلك في أوائل العهد بطلبي للعلم. ومن عرف ترجمة أبي هريرة معرفة تامة يجزم بعدالته وبراءته من الكذب على أحد من الناس، بله الكذب على رسول الله (ص) الذي روى هو وغيره عنه انه قال «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وقد صرحوا بأن هذا الحديث متواتر

ولعل قراء المنار يتذكرون ما علقته على كلام محمد توفيق صدقي في حديث الذباب — وتطرقه فيه الى الارتياب في رواية أبي هريرة — اذ بينت بالايجاز انه لا مجال للطعن في أبي هريرة نفسه وأن حديث الذباب وأمثاله مما يستبعد أن يكون مسموعا من النبي (ص) لا يظهر علة نقلها عن أبي هريرة الا اذا أحصيت تلك

الروايات ولا سيما ما انفرد به ابو هريرة منها ، ودُقق النظر في أسانيدها ومتونها ، وما يمكن طروءه من الاحتمالات فيها ، وامهات هذه الاحتمالات أربعة :

(أحدها) أن يكون في رجال السند الى أبي هريرة من هو مجروح وان صُحح

(ثانيها) أن يكون ذلك الحديث أو الأثر مرويا عنه بالمعنى وقد وقع الغلط من أحد الرواة في فهمه فنقله كما فهمه

(ثالثها) أن يكون ما روي حديثا رأيا لأبي هريرة أو غيره ممن روى عنه وعده بعض الرواة حديثا لاجتهاده بأن مثله لا يقال بالرأي ، فما قاله العلماء من أن قول الصحابي اذا كان لا يقال مثله بالرأي له حكم المرفوع الى النبي (ص) لا يصح على إطلاقه ، والناس يتفاوتون في فهم ذلك ، فما يعده بعضهم منه لا يعده الآخر منه ؛

(رابعها) ان يكون رواه عن أهل الكتاب بالسماع ممن أسلم منهم ككعب الاحبار أو رآه في كتبهم وهو مما لا مجال للرأي فيه فيعده من قبيل المرفوع من يأخذ ذلك القول قاعدة عامة ؛ وقد ثبت ان أبا هريرة روى عن كعب الاحبار وأن معاوية قال في كعب الاحبار انهم كانوا يبلون (أي يختبرون) عليه الكذب، وقد تقدم ذلك في هذا المقال نقلا عن البخاري ، وانني كنت أسيء الظن في روايات كعب الاحبار قبل أن أرى ماوراه البخاري عن معاوية فيه، وكذا وهب بن منبه.

ثم انني بعد كتابة ما تقدم وقبل طبعه رأيت في تفسير سورة النمل من تفسير الحافظ ابن كثير بعد ذكر عدة روايات عن الصحابة في قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام ما نصه :

« والاقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه الى هذه الامة من أخبار بني اسرائيل من الاوابد والغرائب والعجائب مما كان ومما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة » اه

فجملة القول في هذه الاحاديث المشكلة اذا كانت مرفوعة الى النبي (ص) أو موقوفة على أحد رواة الصحابة (رض) أبي هريرة أو غيره ان يدقق النظر في أسانيدها أولا فاذا كان في الاحتجاج ببعض رجالها مقال كفينا أمرها وكذا اذا

كان فيها انقطاع أو ارسال، والا نظرنا في غير ذلك من الوجوه التي يكون بها المخرج كغلط الرواة بسبب النقل بالمعنى أو غيره من الاسباب ، وأدهى الدواهي أن يكون الحديث مأخوذاً عن بعض أهل الكتاب بالقبول ولم يعز اليه . ولا يغرنك قولهم ان مراسيل الصحابة حجة وان الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع . فاذا ثبت ان أبا هريرة مثلا كان يروي عن كعب الاحبار وأن الكثير من أحاديثه مراسيل فالواجب أن يتروّى في كل غريب لم يصرح فيه بالسماع من النبي (ص) فاذا كان من الاسرائيليات أو ما في معناها احتمل ان يكون قد رواه عن كعب وكان هذا الاحتمال علة مانعة من ترجيح اسناد كلام الى النبي (ص) يوقع في الاشكال .

لا يتسع هذا الموضع لتحرير هذا البحث بالتفصيل ولكننا نذكر أهل العلم بحديث يرون فيه اكبر عبرة في هذا المقام وهو حديث الجساسة الذي حدّث به تميم الداري رسول الله (ص) واخرجه مسلم في صحيحه مرفوعا من طرق يخالف بعضها بعضا في متنه ، فهذا الخلاف في المتن علته من بعض رواة الصحيح ولا يظهر حمله على تعدد القصة ، ثم ان رواية الرسول (ص) له عن تميم الداري إن سلم سندها من العلل هل تجعل الحديث ملحقا بما حدث به النبي (ص) من تلقاء نفسه فيجزم بصدق اصله ، قياسا على اجازته (ص) اوتقريره للعمل اذ يدل حله وجوازه؟ الظاهر لنا ان هذا القياس لا محل له هنا ، والنبي (ص) ما كان يعلم الغيب فهو كسائر البشر يحمل كلام الناس على الصدق اذا لم تحف به شبهة، وكثيرا ما صدق المنافقين والكفار في احاديثهم، وحديث العرنيين واصحاب بئر معونة مما يدل على ذلك ، وانما كان يعرف كذب بعض الكاذبين بالوحي او ببعض طرق الاختبار او اخبار الثقات ونحو ذلك من طرق العلم البشري، وانما يمتاز الانبياء على غيرهم بالوحي، والعصمة من الكذب وما كان الوحي ينزل الا في امر الدين ومايتعلق بدعوته وحفظه وحفظ من جاء به، وتصديق الكاذب ليس كذبا . وحسبك ان تتأمل في هذا الباب عتاب الله لرسوله إذ أذن لبعض المعتذرين من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وما علله به، وهو قوله (عفا الله عنك لِمَ اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلمَ الكاذبين)

واذا جاز على الانبياء المرسلين ان يصدقوا الكاذب فيما لا يخل بأمر الدين ولا

يترتب عليه حكم شرعي ولا شيء ينافي منصب الرسالة ، افلا يجوز على من دونهم ان يصدقوا الكاذب في اي خبر لا تقوم القرينة على كذبه فيه ؟ ومن صدق شيئا يجوز أن يحدث به من غير عزو الى من سمعه منه . ولكن هذا كان قليلا في الصدر الاول من الاسلام، فقد ظل المسلمون عدة قرون ينقلون كل شيء بالرواية وإن كان بيت شعر او كلمة مجنون

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان الاحاديث المشكلة الصحيحة الاسناد قليلة فما رواه ابو هريرة منها قليل من قليل، وما انفرد به منه اقل ذلك القليل ، ولا يتوقف على شيء منها اثبات اصل من اصول الدين ، والحمد لله رب العالمين

﴿ الجملة الخامسة الخاتمة لكلام الطاعن ﴾

﴿ استنتاجه من جماة دعاويه أن الشريعة لاقيمة لها في نفسها ولا في روايتها ﴾

قال بعد سرد ما تقدم عن الشبهات على رواية ابي هريرة ما نصه :

هذا هو الرجل الذي وضع مع ابن عباس اساس الشريعة . ولكن ما هي قيمتها ؟ ان السؤال مهم جدا، ويطلب الجواب عليه من الثلاث مئة مليون سني الموجودين في العالم . اه بحروفه

اشتملت هذه الخاتمة على دعوى باطلة ، واستفهام إنكاري تهكمي ، ووجه هذا السؤال فيها الى ثلاث مئة مليون سني (١) أي الى كل فرد من أفراد أهل السنة الذين يسكنون في جميع الاقطار ، ويتكلمون بعشرات من اللغات ، ولماذا ؟ لان السؤال مهم جدا في نظر القسيس المبشر المتصدي هو وجمعيته لتنصير كل هؤلاء المسلمين بعد عجزهم عن هذا السؤال المهم جدًّا !! بخ بخ

الجواب عن الدعوى

هذه الدعوى ظاهرة البطلان عند المسلمين وعند من له أدنى إلمام بشريعتهم

(١) قد اشتهر منذ عشرات من السنين ان المسلمين ثلاث مئة مليون وأول أوربي اشتهر عنه هذا القول عاهل ألمانية غليوم الثاني ، والظاهر ان أهل السنة وحدهم صاروا يبلغون هذا العدد كما قالت مجلة الشرق والغرب ، وثم عشرات الملايين من الشيعة وغيرهم

وتاريخهم من النصارى وغيرهم ، سواء أراد بأساس الشريعة أصول أدلتها التي تستنبط منها — وهو الاقرب — أو أصول مقاصدها وهي العقائد والاحكام والآداب، ونستغني عن بيان ذلك بما قلناه في مسألة أركان الشريعة الذي فندنا به القضية الثالثة من قضايا الجملة الاولى من مقاله (راجع ص ٢٨ ج ١) ثم نقول :

إن أبا هريرة وابن عباس ما وضعا أساس الشريعة ولا أركانها ، ولا أصولها ولا فروعها ، وانما رويا لنا كغيرهما من الصحابة الكرام الكثير الطيب من سنة الرسول ، وهي ثابتة الاسس والاصول

وقد بينا أن البخاري خرج لابي هريرة ٤٤٦ حديثا في صحيحه ، ونقول هنا انه خرج فيه لابن عباس ٢١٧ حديثا . وهذا القدر من روايتهما للاصول الموصولة من الاحاديث لم ينفردا به وانما شاركهما في رواية الكثير منه غيرهما ، ولو أحصينا ما انفرد بروايته أبو هريرة وحده من أحاديث الاحكام الشرعية لرأيناه قليلا جدا، وعلمنا انه لو لم يروه لما نقصت كتب الاحكام شيئا كثيرا ، وان ما عسى أن تنقصه يمكن أن يعرف حكمه من قواعد الشريعة الثابتة وأصولها القطعية ، كقاعدة رفع الحرج والعسر، واثبات اليسر وترجيحه، وقاعدة كون الاصل براءة الذمة، وكون الاصل في كل الخبائث والمضرات الحرمة ، وفي كل الطيبات الحل ، وكون الضرورات تبيح المحظورات ، وغير ذلك مما لامجال لتفصيله في هذا الرد

﴿ قيمة الشريعة الاسلامية ﴾

الجواب عن الاستفهام التهكمي

لا أرى شبها لسؤال القس الطاعن عن قيمة الشريعة الاسلامية الا السؤال عن الشمس ما فائدتها للدنيا ؟ وعن العافية ما فائدتها للناس ؟ وعن الماء والهواء ما فائدتهما للنبات والحيوان ؟ سواء كان السؤال سؤال انكار وتهكم أو سؤال استفهام ، وإننا نجيب عن هذا السؤال بجواب مجمل وجيز، لان التفصيل لا يأتي الا بتصنيف كتاب كبير ، فنقول :

(١) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ثبتت نبوة من جاء بها

بالبرهان العقلي العلمي الثابت الدائم، وملخصه أنه رجل أمي نشأ بين قوم أميين بلغ الكهولة ولم يقرأ كتابا ، ولم يكتب سطرا ولا حرفا ، ولا قال شعرا ولا ارتجل خطبة ، ولا رأس قبيلة ولا ساس قرية ، ولا انتحل كهانة ولا عرافة ، ولا عرف شيئا من شرائع الامم واديانها - ثم قام في سن الكهولة بدعوى النبوة ،وأيد دعواه بكتاب اشتمل على اخبار الغيب الماضية والمستقبلة، وسنن الله في الدين والمدنية، وعلى أصح علوم العقائد الالهية، المؤيدة بالبراهين العقلية والعلمية ، وأصلح علوم الاخلاق والفضائل النفسية ، والعبادات الجامعة بين المنافع الروحية والجسدية ، وأعدل قواعد الشرائع السياسية والمدنية الخ ثم انه اجتث بهداية هذا الكتاب جراثيم الوثنية ، وطهر الامم من الخرافات التقليدية واخلاق الجاهلية ، فكان للناس بذلك دين كامل وشريعة عادلة وأمة مؤلفة من جميع الشعوب والقبائل ، ودولة احيت الحضارة وامتدت من المشرق الى المغرب في جيل واحد

فكان مثل محمد النبي الامي صلى الله عليه وسلم كمثل رجل جاء بلدا مصابا بالاوبئة المجتاحة والامراض المعضلة، وادعى انه طبيب وايد دعواه بكتاب في الطب والعلاج طهر به ذلك البلد كلها من الامراض والاوبئة ، فأصبح أهله متمتعين بكمال الصحة والعافية

فكما يجزم كل عاقل بأنه يستحيل على غير الكامل في علم الطب أن يؤلف كتابا في الطب يزيل بالعمل به الاوبئة ويشفي المرضى — كذلك يستحيل بالاولى أن يقدر رجل أمي على الاتيان بأخبار الغيب وعلوم الدين والشرائع والآداب فيصلح بها أديان أمم كثيرة وآدابها وأخلاقها وأحكامها وسياستها ، الا أن يكون نبيا مؤيدا بوحي الله وعنايته العليا ، بل يستحيل صدور مثل هذه العلوم والأعمال من واحد أو من جماعة تعلموا جميع علوم البشر وعلوم الأديان في أعلى مدارس هذا العصر الجامعة . دع إعجاز القرآن ببلاغته وأسلوبه وسائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة الجامعة بين هداية الدين الالهي الحق ، وبين ثمرات عقول العلماء المجتهدين ، الواقفين على مصالح البشر وما يقوم به العدل بينهم ، وما سواها فاما ديني محض لا مجال فيه لعقل ولا راي ، واما

وضعي ناقص لا يحترم في السر كما يحترم في الجهر

(٣) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي تواتر كتابها تواترا حقيقيا ، ورويت سنتها رواية متصلة الاسناد ، ودُوّن تاريخ رواتها تدوينا مبنيا على ركني النقد والتمحيص ، الذي يميز به بين الصحيح وغير الصحيح ،

(٤) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي حررت البشر وأعتقتهم من رق رؤساء الدين ، الذي أرهق الغابرين ، فلم تجعل لأحد سيطرة روحية على أحد ، فليس فيها كهنة ولا قسيسون يمتازون بمناصبهم الدينية على غيرهم ، أو توقف اقامة شيء من أمر الدين عليهم ، وإنما خوطب البشر بها على سواء ، فهم يتفاضلون فيها بعلومهم وأعمالهم الكسبية ، لا بمناصبهم الموروثة ولا أنسابهم الشريفة ،

(٥) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي أعتقت البشر من رق الملوك المستبدين الذين انتحلوا لانفسهم حق الحكم بمحض الهوى والارادة ، وحق وضع الشرائع والقوانين بالذات أو بالنيابة ، وحق الامتياز في الحقوق الشرعية على غيرهم من أفراد الامة ، فجعلت أمر الامة شورى بين أهل الحل والعقد ، من أهل العلم والرأي ، الذين يولون عليها من يرونه أصلح لتنفيذ شريعتها ، ولم تجعل للخلفاء أو السلاطين ، امتيازا على أحد من الفقراء والصعاليك ، لا في حكم من الاحكام المدنية ، ولا في عقوبة من العقوبات الجزائية ، وقد وافقتها بعض الامم في بعض هذه الاصول أو اقتبستها منها ، بعد أن ترك المتغلبون على المسلمين اقامتها ، ولكن لم يبلغ احد شأوها الى هذا اليوم ، وإنما صار بعضهم أقرب اليها ، ممن يسمون أنفسهم أهلها .

(٦) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ساوت بين اهلها المؤمنين بها ، و بين الكافرين بها اذا تحاكموا اليها ، سواء كانوا من اهل ذمتها ، او من الاجانب المعاهدين لحكومتها ، او الحربيين الداخلين في امان احد من اهلها ، فلا فرق في احكامها القضائية بين أبناء الرسول وامراء المؤمنين ، و بين أضعف أهل الكتاب أو الوثنيين ، ونحن نرى أرقى الافرنج وأشهرهم بالعدل يميزون أنفسهم على غيرهم ، فلا يرون المصري والهندي مساويا للانكليزي ، ولا الاسيوي مساويا للامريكي

(٧) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي رفعت شأن النساء وأعطتهن

حقوق الاستقلال التام في التصرف بأموالهن ، وساوت بينهن وبين أزواجهن في جميع الحقوق بالمعروف، الا رياسة المنزل وزعامة الاسرة ، وان كلمة وجيزة من كلمات القرآن الحكيم في ذلك لأبلغ من كثير من الاسفار التي ألفت في المطالبة بحقوق النساء أو ما يسمونه تحرير المرأة ، الا وهي قوله عز وجل

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

وهذه الدرجة التي أعطيت للرجل بحق—وهي رياسة البيت— لانه أقدر على الكسب والحماية ، والمطالب بجميع النفقة ، تشبه الرياسة العامة فيما شرع فيها من الشورى كما يدل عليه قوله عز وجل في مسألة ارضاع الولد وفطامه(فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فلا جناح عليهما) وقد اهتدى كثير من الامم ببعض هدي هذه الشريعة في هذه المزية ولم يبلغ أحد منها شأوها ، ولكن أهلها قصروا في إقامتها ، حتى صاروا حجة عليها عند من يجهلها

(٨) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي وضعت للحرب نظاما حرم فيه العدوان والتمثيل والتخريب . وقتل من لا يقاتل من النساء والشيوخ والاطفال والمنقطعين للعبادة،فجعلتها ضرورة تتقدر بقدرها، وأمرت بالجنوح للسلم أن جنح العدوّ لها ، وقد بين المنار فضلها في ذلك على قوانين أوربة وفضل أهلها في حروبهم على الاوربيين في مقالة نشرت في مجلد السنة الماضية. وقد انصفنا أحد حكماء الافرنج بقوله « ماعرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب »

فأين منها شريعة التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهي التي أوجبت في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشتراع استعباد جميع أفراد الشعب المسالم الذي يختار الصلح على الحرب ، وقتل جميع ذكور الشعب الذي يحارب عند الظفر به وجعل جميع نسائه وأطفاله وما يملكه غنائم — هذا اذا كان من المدن البعيدة جدا عن شعب التوراة التي لا يسهل عليه سكناها؛ وأما الشعوب القريبة التي يسهل عليه امتلاك بلادهم فهذا نصها فيهم « ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما »

(٩) هذه هي الشريعة الوحيدة التي فرضت على الاغنياء نصيبا معلوما مما يزيد من أموالهم عن نفقاتهم يصرف لإعانة الفقراء والمساكين العاجزين عن كسب يكفيهم ، ولمساعدة الغارمين على ما يحملون من الغرامات للاصلاح بين الناس ، ولابناء السبيل الذين يسيحون في الارض فتنفد نفقاتهم قبل عودتهم الى أوطانهم ، ولغير ذلك من المصالح العامة ، ولو أقام المسلمون في هذا العصر هذا الركن كما كان يقيمه سلفهم الصالح لما وجد فيهم فقير مهين ، ولكانت حالهم الاجتماعية أفضل من حال أرقى الأمم ، ولكان السائحون منهم لاكتشاف مجاهل الارض وخرت بقاعها والاعتبار بأحوال الامم فيها أكثر من سائحي غيرهم من الامم ، اذ حثهم الله في كتابه العزيز على السياحة النافعة بمثل قوله في سورة الحج (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) وقوله في سورة المؤمن (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) وقوله في سورة آل عمران (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) الخ

(١٠) أن هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع الالهية ، وحكمة ذلك أن الله تعالى قد أكمل بها الدين الحق ، فجعلها جامعة بين مصالح الروح والجسد ، ومنح الامة حق الاجتهاد واستنباط الاحكام ، بما وهب لها من فضيلة الاستقلال ، بعد أن أعدها لذلك بسنة الارتقاء ، وبهذين كانت موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان ، خلافا لما يجنيه عليها الصديق الجاهل ، وما يتجناه عليها العدو العاقل ، وقد بيناهذه المسألة في التفسير وفتاوى المنار ومقالاته مرارا ، كمقالات المصلح والمقلد ، والفتاوى الباريزية ، وتفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وتفسير (اليوم أكملت لكم دينكم) وتفسير (لاتسألوا عن أشياء ان تُبْدَ لكم تسؤكم) وطالما فندنا شبهات المنكرين لذلك

فهذه بعض مميزات هذه الشريعة التي يعرف قيمتها المنصفون من غير أهلها . فان أمكن لهذا المجادل فيها أن يشكك أهلها فيها بما زعمه من ارتياب بعض الناس في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أو بغير ذلك من الدعاوي (ولن يمكن) فلا يجني من ذلك الا انصراف ثلاث مئة مليون سني ربما يتبعهم زهاء ثلاثين مليونا من الشيعة

وسائر الطوائف الاسلامية عن الايمان بأن المسيح عليه السلام رسول الله المعصوم وكلمته التي ألقاها الى مريم الطاهرة البتول، الى مثل اعتقاد ملاحدة الاور بيين من الانكليز وغيرهم كمؤلف كتاب (نشوء فكرة الله) ومؤلف كتاب (اضرار تعليم التوراة والانجيل) وغيرهم من الماديين الذين يطعنون فيه وفي أمه الطاهرة ، ويزعمون ان آداب انجيله مفسدة للبشر لانها تعلم الناس الذل بالخضوع لكل سلطة وإن كانت أجنبية جائرة ، وادارة الخدين لكل من يريد صفعهما ، وتدفعهم الى الفقر بتحريم الادخار والاهتمام بالمستقبل وحرمان الاغنياء من ملكوت السماء.. (مت١٩: ٢٣)

لو كان الشك في الشريعة الاسلامية يفضي الى تنصر الشاك فيها حتما لكان للطاعن المشكك فيها — وهو داعية لدينه — عذر ظاهر في التشكيك ، ولكن لا تلازم بين الامرين ، بل علمنا بالتجارب والاختبار أن اكثر الذين يمرقون من الاسلام يكونون ملاحدة معطلين ، وأن الافراد القلائل من المسلمين الذين دخلوا في النصرانية لايكاد يوجد واحد منهم كان مسلما حقا ثم صار نصرانيا ظاهرا و باطنا ، بل هم في الغالب من العوام الفقراء الكسالى الذين يظهرون النصرانية للمبشرين لاجل أن يطعموهم ، وهم على جهلهم بحقيقة الاسلام لا يفضل أحد منهم تقاليد النصرانية على ماعرف من تقاليد قومه، وقلما يفتح لاحد منهم باب للرزق عند المسلمين الا ويفرّ اليه مفضلا له على الارتزاق بالنفاق ، وطالما سعوا الى ذلك وطرقوا له الابواب وكلما فتح لاحدهم باب منها تاب وأناب، فأين هؤلاء الغوغاء ممن يدخلون في الاسلام من كبراء الانكليز وفضلائهم وغيرهم من نصارى الغرب والشرق كاللورد هدلي

قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : ان المسلم لا يمكن أن يصير مسيحيا — وعلل ذلك بقوله — لان الاسلام مسيحية وزيادة ، أي يتضمن الايمان بالمسيح (ص) وبما جاء به بالاجمال ، والايمان بمحمد (ص) وبما جاء به بالتفصيل. وعللناه نحن بأن دين الله واحد في أصوله من التوحيد والاخلاص والفضيلة ، الا أنه سار كسائر الشؤون المتعلقة بالبشر على سنة النشوء والارتقاء فكان كماله في آخره (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فالمسلم

ينظر الى ملة كل من نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كما ينظر الانكليزي الى القوانين التي كان عليها قومه في القرن السادس عشر والسابع عشر — الى القرن العشرين ، ولكنه لا يترك ما ارتقى اليه من القوانين المناسبة لحال زمنه هذا الى ما ارتقى عنه من قوانين القرون الخالية، ولا يعدّ نفسه بما ارتقى اليه قد خرج عن كونه انكليزيا . وكذلك المسلم يؤمن بجميع الانبياء وبحقية أديانهم وشرائعهم ومناسبتها لازمانهم وبأن الشريعة المحمدية كانت هي الخاتمة المتممة المكملة الناسخة ، والمسلمون يعظمون جميع الرسل (لا نفرّق بين احد من رسله) ولكنهم يتبعون الاخير منهم

وانا نرى المبشرين يحاولون اقناع المسلمين بدلالة القرآن على تفضيل عيسى على محمد عليهما الصلاة والسلام، ولو تم لهم هذا لما أفادهم شيئا ، فان المسلمين لا يفرقون بين الرسل من حيث انهم رسل ، وانما فضل الله بعضهم على بعض بكثرة المزايا ودرجة انتفاع البشر برسالتهم ، وقد فضَلَهُم خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعموم بعثته وإكمال الدين المطلق بما جاء به وكثرة من اهتدى به ؛ ونعتقد أن عيسى لم يبعث الا الى خراف إسرائيل الضالة كما قال عن نفسه (مت ١٥ : ٢٤) ولو فرضنا ان عيسى أفضل بما امتاز به في خلقه وخصائصه لما كان ذلك موجبا لترك الثابت عندنا من شريعة محمد صلى (ص) العامة المكملة الخاتمة الناسخة لما قبلها الى ما لم يثبت عندنا من شريعته الخاصة المنسوخة ، وعلماء الاصول منا يفضلون ابراهيم على موسى وعيسى (ص) ولكنهم لا يقولون انه كان يجب على بني اسرائيل ترك شريعة التوراة الى ما خالفها من شريعته كما أن من يفضل محمد علي باشا الكبير على أحفاده بخصائصه الفطرية لا يرى ذلك موجبا لترك قوانينهم الى قوانينه ، على أن القاعدة عندنا أنه قد يوجد في المفضول من المزايا مالا يوجد في الفاضل كما يفضل بعض أحفاد محمد علي جدهم بالعلم وبعض الاخلاق والاعمال

الحق أقول لكم أيها المبشرون المحترمون ان مجادلاتكم وطريقتكم في دعوة المسلمين الى دينكم قد جاءت الى اليوم بضد ما تريدون وتريد جمعياتكم ، فهي تزيد المسلمين استمساكا بدينهم وبعدا عن دينكم ، وأكبر ضررها الديني في

المسلمين أنها حملت كثيرا منهم على ضد ما يجب عليهم شرعا من حب سيدنا عيسى وأمه وحواريه والثناء عليهم بما اثنى الله تعالى ورسوله (ص) فان كثيرا من العوام صاروا يعتقدون مما يسمعون منكم و يقرءون أو يقرأ عليهم من كلامكم ضد ما يقرره الاسلام من كون الرسل اخوة يجب الايمان بهم وحبهم جميعا ، بل أرى هذا التأثير قد دب الى خواص المتعلمين على الطريقة الافرنجية حتى المشهورين منهم بالتساهل الديني

ومن العجيب ان واحدا من كبار هؤلاء علما ورتبة صرح أمامي بأنكم بغضتم اليه المسيح ... فقلت له لا ينبغي لمثل سعادتك ان يسترسل مع وجدانه الى هذا الحد ، ولا يخفى عنك ان بغض المسيح عليه السلام كفر ، فقال ان هذا قد ثبت في نفسه ولا يستطيع دفعه

أيها المبشرون المحترمون انكم تريدون تشكيك الناس في الشريعة الاسلامية بالطعن في عدالة أبي هريرة ، وقد علمتم ان الطعن في أبي هريرة لو كان صادقا ماحط من قدر هذه الشريعة شيئا فكيف وهو باطل ، ولو لم يخلق أبو هريرة لما نقصت الشريعة شيئا، ولكن كثيرًا من المسلمين المتعلمين على المنهج الافرنجي يرون ان أكبر الشبهات على الاسلام، ما أتى القرآن والرسول (ص) به على المسيح وأمه عليهما السلام ، حتى انني قلت منذ سنين ان أقوى الحجج للمسيح شهادة القرآن له، وأقوى الشبهات على القرآن شهادته للمسيح، فهل رأيتم قول القرآن فيه (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) قليلا حتى طمعتم باقناع المسلمين بأن يقولوا كلمة أكبر من ذلك، ورأيتم قوله فيه (وأيدناه بروح القدس) قليلا أيضا فطمعتم بأن نقول فيه كما تقولون وان لم نعقل ذلك ولم يقم عليه برهان مبين

أيها المبشرون الغيورون انكم تعلمون أن اشتغال الناس بالفلسفة المادية والمدنية المادية قد فتن كثيرا من المسلمين بملاحدة الاوربيين الماديين الذين مرقوا من النصرانية وطعنوا فيها أشد الطعن لان تعاليم الاناجيل أشد التعاليم وأقساها على الماديين اذ هي روحانية محضة ، وأما الاسلام فهو دين وسط ، جامع بين حقوق الروح وحقوق الجسد ، فلا تؤثر فيه دعوة النصرانية، لانه كما تقدم مسيحية وزيادة،

وانما يخشى على الجاهلين بحقيقته من تيار المادية، وحرية الشهوة الحيوانية، فمدارسكم الافرنجية الدينية منها وغير الدينية ، هي التي تكفل لكم التشكيك في الاسلام، لا الطعن في أبي هريرة ولا ابن عباس ، فتعالوا نتعاون على مجاهدة هذه التعاليم المادية، التي كانت آفتها شديدة على الاسلامية ولكنها على النصرانية أشد، ودليل ذلك انها لم تمنع كثيرا من المتعلمين الباحثين من ترك النصرانية الى الاسلام ، وان الملاحدة منا أقل من الملاحدة منكم

ما رأيت كلاما لاحد من الاوربيين المستشرقين في الاسلام والمسلمين بني على الخبرة والمعرفة ككلام الدكتور سنوك الهولندي، وقد بين في خطبته التي ألقاها منذ سنين في مدرسة كليفورنية الجامعة في الولايات المتحدة أن القضاء على الاسلام الديني بالتبشير المسيحي محال ، وان المسلمين لن يكونوا نصارى أبداً، وان طريقة اللاتين في بث التعليم المادي في المسلمين، افعل في زلزال الاسلام من طريقة البروتستانت في بث دعوة الدين ، واعتبروا مع هذا ما ترونه من تفضيل أكثر المسلمين للانكليز والامريكان على اللاتين

انا لا أخاف على المسلمين من مجلاتكم ولا من كتبكم ورسائلكم ، وانما أخاف على المسلمين من الفلسفة المادية والمدنية الشهوانية ، ومن منافقيهم وعباد الشهوات منهم ، فهم الذين يجنون على دينهم ودنياهم، وانما أوصيكم بأن تتجنبوا فيما تقولون في مجامعكم التبشيرية، وما تطبعون في رسائلكم وصحفكم الدورية، كل ما يثير العصبية، ويخدش المودة الوطنية ، (٥ : ٥٢ لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم فينبئكم فيما كنتم فيه تختلفون ١٧: ٨٤ قل كلٌّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا)

المجمع اللغوي المأمول

دعوة الى هذه الامنية وخطوة جديدة على ذكرى بلوغ المقتطف سن الاربعين من حياته المفيدة

طالما تشوفت انفس أهل العلم والادب من المشتغلين بالتصنيف والانشاء والترجمة بلسان العرب الى انشاء مجمع لغوي للتعاون على خدمة اللغة العربية بالطرق التي تقتضيها حال هذا العصر. وطالما تحدثوا بهذا في أنديتهم وسمارهم. وكثر ما هموا ولم يفعلوا، وما اقدموا ثم احجموا، وما بدأوا ثم لم يثبتوا. وقد كان عدم تيسر المكان اللائق بهذا العمل من الموانع العائقة لكثير من الذين تمنوه وتحدثوا بشأنه عن مواصلة المذاكرة فيه ومعاودة الاجتماع لاجله. فلما انشأ الاساتذة المتخرجون من مدرسة دار العلوم ناديهم منذ سنين قليلة تعلقت آمال كثير من الناس بهم، وكان اختيارحفني بك ناصف رئيسا لناديهم، مقويا للرجاء فيهم، ثم ماعتم هذا النادي ان خبت ناره، واطفئت انواره، ولكن بعد ترك حفني بك لادارته، ومغادرته مدينة القاهرة مرتقيا في منصبه

لاح لنا أمس بارق أمل جديد، عسى أن نصل في نوره الى ما نريد، فيكون ذلك من بركات المقتطف المفيد

صدر الجزء الاول من مجلة المقتطف في مثل هذا اليوم – أول مايو –[١] من سنة ١٨٧٦ فتم له امس أربعون سنة. وقد كان مما يخطر ببال كثير من أهل العلم وانصار النهضة العربية ان يجعلوا هذا اليوم عيداً للمقتطف يحتفلون به الاحتفال اللائق بخدمته للعلوم والفنون بهذه اللغة الشريفة التي لا حياة لنا الا بحياتها العلمية والفنية ولكن الحرب الاوربية العامة جعلت العالم كله في مأتم ولا تكون المآتم اعياداً

وقد كان في مقدمة الذين شعروا بوجوب الاحتفال بالمقتطف صديقنا الاديب الخطيب الشهير اسماعيل بك عاصم المحامي وقد رأى ان ما يمنع من اقامة الاحتفالات

(١) كتبت هذه المقالة في أول شهر مايو الموافق ٢٨ جمادى الآخرة ونشرت في المقطم وله كتبت، ثم في المقتطف ولاجله أنشئت، وكان المنار موقوفا لعدم الورق ولم يتيسر نشرها في الجزء الماضي منه

العامة، لايمنع من اجتماع خاص لتهنئة خاصة، فأعد أمس في داره الزاهية مأدبة لصاحبي المقتطف دعا اليها صاحب الدولة رئيس الوزارة حسين رشدي باشا وصاحب المعالي عدلي باشا يكن وزير المعارف وصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وصاحبي السعادة يحيى باشا ابراهيم رئيس الاستئناف الاهلي واحمد زكي باشا كاتب سر مجلس النظار وحضرة صاحب العزة احمد بك لطفي السيد مدير دار الكتب السلطانية (١) وبعض اصحاب المجلات العربية المشهورة

انتظم عقد هذه الجماعة عشاء في تلك الدار، المتألقة بالانوار فكانت سامراً علمياً من أرقى السمار، افتتحها حضرة صاحب الدعوة بهذه الابيات

يابدوراً قد تجلى في سما العليا سناكم
حاكت الافلاك داري حين حياها نداكم
فاقبلوا مني دعاء اسعد الله مساكم

وبعد مسامرات كان جلها في مناقب العرب وما سبق لهم من ترقية العلوم والفنون تحلقوا حول تلك المائدة، فأصابوا مما طيف عليهم به من ألوانها الفاخرة، ثم نهض الداعي الوفي الكريم فألقى خطبة نفيسة في الثناء على المقتطف المفيد، وعلى منشئيه الفيلسوفين الكبيرين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر، بين فيها خدمته الجليلة للعلم والعربية وذكر انه انشئ في بيروت ثم جذبته مصر اليها، وذكر مقالتين نشرتا في الجزء الاول كانتا كالمرآة التي تجلى فيها كماله - مقالة في عمل الزجاج ومقالة في القمر وتشكله منذ يبدو هلالا الى ان يكون بدراً كاملا (قال) وكذلك كان المقتطف فانه كالزجاج في صفائه وبهائه، وهو كالقمر بدأ هلالا ثم صار بدراً كاملا واسأل الله حفظه من المحاق

ثم ذكر بدء معرفته لمنشيء المقتطف من زهاء ثلاثين سنة وذكر من فضلهما وأخلاقهما ماهو معروف، وأشار في خطابه الى ما سبق من احتفاله المشكور ببلوغ مجلة المنار عشر سنين، وذكر المنار في سياق الاستدراك على وصف المقتطف بالسبق في

---

(٢) انما ذكرنا الالقاب الرسمية لهؤلاء الكبراء مخالفين لسنة المنار لان المقالة كتبت للمقتطم كما تقدم

خدمة العلوم. ثم قام كاتب هذه السطور فاستأذن الوزير الاكبر بالقاء كلمة في الموضوع هذه خلاصتها :

ورد في الحديث الشريف « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » وقد رأيت صديقنا الفاضل اسماعيل بك عاصم استدرك على وصفه المقتطف بأنه المجلة العربية الوحيدة التي قامت بما قامت به من خدمة العلم فذكر المنار وقرنه بالمقتطف وقال ان للمقتطف فضيلة السبق ، وذكر انني اعترف له بذلك ، كما اعترف لابن معط ابن مالك ، اذ قال في فاتحة الالفية :

وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميلا

نعم انا اعترف للمقتطف بالسبق والتبريز في العلم، وأزيد على ذلك الاعتراف بأني قد استفدت من المقتطف من أول عهدي بطلب العلم ولا أزال استفيد منه . انني لما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام وذلك أول عهدي بطلب العلم رأيت أستاذنا الشهير الشيخ حسيناً الجسر مشتركا في المقتطف ومواظباً على قراءته، فكانت تلك أول معرفتي بالمقتطف وصرت استعيره بعد ذلك واقرأه، فاستفدت من مباحثه فوائد عقلية وصحية واجتماعية ،ولا أزال اعتمد على ما يكتبه في معرفة أطوار التجدد العلمي العصري

ان المقتطف في نظري مدرسة جامعة سيارة يستفيد منها العالم العربي في كل بلد يقرأ فيه. فان الذين يتعلمون مبادئ العلوم العصرية باللغة العربية، يحتاجون الى الوقوف على ما يتجدد فيها بالبلاد الغربية . ولا سبيل الى هذا الا بالاطلاع على الكتب والمجلات الاوربية التي تصدر في كل عام وهذا لا يتيسر الا لبعض الاغنياء المتقنين لبعض لغات العلوم الاوربية — فالمقتطف يلخص لنا في كل شهر ما لا يستغني عنه قراء العربية

من حق المقتطف على الامة العربية ان تحتفل به في الوقت المناسب ونرجو ان يكون ذلك على رأس الخمسين من حياته النافعة

احتفل فريق من المصنفين ببلوغ مطبعة المعارف سن العشرين في خدمة الصناعة واتقانها فاذا جرينا على سنتهم كان علينا ان نقيم للمقتطف عشرات من

الاحتفالات . كان على مروجي الصناعة ان يقيموا للمقتطف مثل هـذا الاحتفال لا لأن له مطبعة أخرجت للناس من المطبوعات النافعة ما لم يخرجه غيرها فحسب، بل لان للصناعة باباً في المقتطف فهو مرشد الى ترقيتها بجميع فروعها. وكان على المجتهدين في ترقية الزراعة ان يقيموا له احتفالا آخر لان للزراعة باباً فيه مثل باب الصناعة ، ومثل هذا يقال في كل علم وفن، ولكن صديقنا اسماعيل بك عاصم جمع لنا في هذه الليلة صورة مجملة لما يجب على الامة مفصلا

ان أكبر منقبة للمقتطف ومنشئيه انهما حجة اللغة العربية على من يتوهمون أنها لا تتسع لجميع العلوم العصرية ولا يسهل تعليمها بها . فهذان العالمان الكبيران تعلما العلوم باللغة العربية واشتغلا بالكتابة والتأليف فيها مدة اربعين سنة فأفادا العلم ما لم يفده أحد من المتعلمين منا باللغات الاجنبية

هذا ملخص ما قلته . ثم ألقى أحمد زكي باشا خطبة نفيسة في فضل المقتطف ومنشئيه في خدمة العلم باللغة العربية افتتحها بما هو معروف في الفقه الاسلامي من تقسيم الواجب الى فرض عين وهو ما يطلب من كل فرد من الافراد كالصلاة والصيام ، وفرض كفاية وهو ما اذا قام به بعض الافراد سقط الطلب عن الباقين (كالفنون والصناعات التي لا يستغني الناس عنها في معايشهم) . وقال ان صاحبي المقتطف هما اللذان قاما بفرض الكفاية من خدمة العلوم والفنون [1] . ثم ذكر أول عهده بالمقتطف وانه أرسل اليه سؤالا الى بيروت ثم عهده برؤية منشئيه وما يحمد من صحبته لهما

وقام أيضا الشاب النجيب اميل افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء فأثنى على المقتطف وذكر انه تلميذ لتلاميذ منشئيه العلامتين وذكر ان والده وهو استاذه الاول كان تلميذهما وكذلك كان اساتذته في المدرسة الكلية من تلاميذهما

ثم قام صاحب مجلة المفتاح الغراء توفيق افندي عزوز فخطب خطبة اثنى فيها على المقتطف بما هو أهله وذكر استفادته منه كغيره وقال ان منشئيه العلامتين

(١) ان ما يجب على المسلمين وجوبا كفائيا لا يسقط عنهم بقيام غير المسلمين به بل يأثمون بتركه وان كان من الواجبات المعاشية كالطب والصناعات

الفاضلين قد افادا بأخلاقهما كما أفادا بمجلتهما فهما باتفاقهما وتكافلهما واخائهما قدوة صالحة لهذه الامة التي تشكو من التفرق والاختلاف وقلة الثبات ما هو أعظم عائق لها عن القيام بالاعمال النافعة

وبعد ذلك قام العلامة الدكتور فارس نمر فألقى خطاباً بليغا قال في فاتحته إنه بلسانه ولسان شريكه واخيه الدكتور صروف يشكر أولا لسعادة اسماعيل بك عاصم عنايته بهذه الدعوة ويعتب عليه انه جعلها بصورة احتفال ومما قاله:

« ان حضرة رب هذه الوليمة شرف ادارتنا منذ بضعة أيام وهنأنا بمرور أربعين عاماً على مجلتنا المقتطف ودعانا الى تناول الطعام مع جماعة من علماء مصر وأرباب المجلات العربية الذين دعاهم احتفالا بذلك فأبنا لحضرته ان الوقت لا يصلح للاحتفالات ولا خدمتنا تستحق هذه العناية ولكن ابت مكارمه ومكارمكم أيها السادة الا ان تخصونا بالنصيب الاوفر من محاسن هذه الليلة وان تتحفونا بهذا المدح الذي لا نستحقه فلحضرة صديقنا الفاضل صديق العلم والادب رب هذه الدار ولدولة الوزير الكبير رئيس الوزراء وللمعالي وزير المعارف والفضيلة مفتي الديار المصرية ولسعادة رئيس الاستئناف الاهلي ولسعادة سكرتير مجلس النظار وسائر الذين تكرموا بالثناء على المقتطف وذكروه بالخير ولبوا هذه الدعوة اكراما له جزيل الشكر من هذين العاجزين

ثم قال: «ان المقتطف وان كان قد انشىء في القطر السوري فقد كان معظم انتشاره في القطر المصري وقد لقي من أعاظم مصر أعظم عضد وأرحب صدر حتى ان وزير مصر الشهير المرحوم رياض باشا كان يكاتبه منذ بدء انشائه ولما نقلناه من سورية الى مصر رحب به رحمه الله كما رحب به الوزير الكبير شريف باشا والعالم المرحوم شفيق بك منصور وغيرهم من أعاظم مصر وأكابر علمائها . والامل وطيد ان خدمة المقتطف على ما بها من الضعف تجد من تأييدكم أيها السادة ما يقويها ويزيدها اضعافاً مضاعفة بمؤازرة سائر المجلات والجرائد العربية في عصر مولانا السلطان المعظم الذي حق لنا ان نباهي به سلاطين الشرق والغرب معاً على حبه للعلم واكرامه للعلماء ورغبته في اعلاء منار الادب وغيرته على نشر المعارف وجوده في سبيل التربية

أدامه الله للامة العربية فخراً وأدامكم للغة العربية ذخراً

ثم دارت بعد ذلك المذاكرة في مسائل علمية ولغوية أفضت الى الكلام في شدة الحاجة الى انشاء مجمع لغوي في مصر فقال احمد لطفي بك السيد مدير دار الكتب السلطانية ان احمد زكي باشا كان قد اقترح عليّ ان اخصص مكاناً من دار الكتب لذلك . واني اجبت الى ذلك فلديّ الآن في المكتبة مكان لائق كانت الجرائد ذكرت انا فرشناه واعددناه لراغبات المطالعة من السيدات وليس عندنا سيدات يغشين دار الكتب للمطالعة فنعد لهنّ مكاناً

فسر جميع الحاضرين بهذا وقابلوه بالثناء ورأوا ان قد زالت به عقبة من عقبات الشروع في تأسيس المجمع اللغوي الذي بينا مكانته من النفوس في أول هذه المقالة وزادهم سروراً ما رأوه من ارتياح الوزير الاكبر ووزير المعارف للشروع في تأسيس المجمع اللغوي بدار الكتب السلطانية . وأرجو ان نبشر قراء العربية في مقال آخر بتأسيس هذا المجمع بالفعل

وقد امتد هذا السمر المفيد الى منتصف الليل فانصرف السامرون مثنين على رب المنزل اطيب الثناء

جمال باشا السفاك

كان جمال باشا من آحاد الضباط الكثيرين المنتمين الى جمعية الاتحاد والترقي فلم يلبث ان ترقى فوق الهام والرءوس الى مقام الزعماء على حين قد تدهور أمير الألاي صادق بك عن منصة الزعامة العليا لها وسقط كثير من الضباط وغيرهم من مكاناتهم العالية . وانما ترقى جمال بك ببراعته وجرأته على سفك دماء خصوم الجمعية، فهو الذي دبر مكيدة المذبحة الاولى في أدنه اذ كان واليا لها بعد الدستور، وهو الذي قتل الجم الغفير من كبراء الآستانة المخالفين للجمعية عقب اغتيال محمود شوكت باشا ، ولاجل هذا اختارته الجمعية لقيادة فيلق سورية بعد الحرب على كونه لا يزال ناظرا للبحرية ، وما سمعنا في أخبار دولة من الدول أن أحد وزرائها يعطي

وظيفة دون الوزارة في بلاد بعيدة عن العاصمة فيكون فيها عدة سنين في أشد أوقات الحاجة الى قيامه بشؤونها وناهيك بوزيري الحربية والبحرية في وقت الحرب ، ولكن زعماء الجمعية يأخذون المناصب العليا بعلومهم في الجمعية لا بخدمتهم للدولة

نعم ان الجمعية اختارت جمال باشا لأجل ان يتم تنفيذ ما توعدت به سورية من بضع سنين في جريدتها طنين وعبرت عنه (بالدشّ البارد) وإنما كانت مذبحة الكرك وتعذيب العرب برضخ رؤوسهم بالصخور هي الرشة الاولى من هذا (الدش) واننا — على علمنا بهذا الانذار وبما هو أشد منه وأوضح وعلى ذكرنا بعض تلك النذر في مقالات (العرب والترك) وغيرها في المنار — قد ارتبنا في أول خبر بلغنا عن شنق جمال باشا لبعض نابتي المسلمين في بيروت . ولا يزال أكثر المصريين يكذبون أخبار التقتيل والنفي التي تكررت بل تواترت . وقد ظفرت جريدة المقطم ببيان لجمال باشا نفسه نشرته في اليوم السابع من شهرنا هذا يصرح فيه بعمله ويحتج له . وهذا ما نشرته :

(بيان من جمال باشا)

نشر جمال باشا القائد العثماني في سورية البيان التالي بامضائه في ٥ رجب سنة ١٣٣٤ الموافق ٧ مايو سنة ١٩١٦ وهذا هو نصه العربي كما نشر بحروفه — :

لما جرى القصاص على بعض الاشخاص المنتسبين الى الحزب المتشكل في مصر والممالك العثمانية تحت تمويه عنوان « حزب اللامركزية » والذين حوكموا في ديوان الحرب العرفي بعاليه كنت كتبت في البيان الذي نشرته في أوائل اوغستوس سنة ١٣٣١ ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق اعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلا

ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب المفيد الذي ألقي القبض عليه أخيراً بعد ان ذكرنا في البيان فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقائهم الآخرين قد نورّ المسألة من جميع اطرافها وسيق الى ديوان حرب عاليه الاشخاص الذين ظهر ان لهم علاقة في هذه المسألة بدرجات متفاوتة مع من تبين

ان لهم دخلا في المساعي الخائنة بتنفيذهم ترتيبات الجمعية وتشبثاتها وأعمالها . وفي ختام التحقيقات والمحاكمات التي أجراها الديوان العرفي في عاليه صدرت الاحكام المقتضاة بحق المظنون فيهم من الموقوفين والفارين كل على حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمعية التي غايتها ومقصدها سلخ سورية وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية وجعلها امارة مستقلة . فحكم على شفيق بن احمد مؤيد العظم والامير عمر بن الامير عبد القادر . وعمر بن مصطفى حمد . ورفيق بن موسى رزق سلوم . ومحمد بن حسين الشنطي . وشكري بن بدري علي العسلي ، وعبد الغني بن محمد العريسي . وعارف بن محمد الشهابي . وتوفيق بن احمد البساط . وسيف الدين بن ابي النصر الخطيب ، والشيخ احمد بن حسين طباره . وعبد الوهاب ابن احمد الانكليزي ، وسعيد بن فاضل عقل . و بترو باولي . وجرجي بن موسى الحداد . وسليم ابن محمد سعيد الجزائري . وعلي بن محمد حاجي عمر . ورشدي بن احمد الشمعة ، وامين لطفي بن محمد حافظ . وجلال ابن سليم البخاري . بالاعدام لثبوت اشتراكهم في هذه التشبثات بالدرجة الاولى و بصورة فعلية . وعلى من تبين دخولهم في الدسيسة بصورة فرعية . سالم بن مصطفى مظلوم بالاعتقال بالقلعة خمس سنين وتوفيق بن محمد الناطور و يوسف بن نجيب سليمان بعشر سنين ، وحسين بن خليل حيدر بخمس عشرة سنة ، وعلى رياض ابن رضا الصلح بنفي مؤبد . وعلى الامير طاهر بن أحمد الجزائري بعشر سنين في الكريك . وعلى الذين مع كونهم لم يفهموا المقصد والتشبث الحقيقي وثبت وجود مساع لهم مع هذه الجمعية بصورة محسوسة اما بسائق الجهل أو التصلف وانه لم يوجد عليهم وثائق تنور وجدان الهيئة الحاكمة وتثبت مجرميتهم واشتراكهم وهم رضا الصلح وأسعد حيدر باعادتهما الى منفاهما . وأعطي القرار بمنع محاكمة وبراءة

كل من محمد أفندي كامل الهاشم ، ابراهيم القاسم . سامي العظم . الشيخ جمال الدين الخطيب . عبد الحميد معلم الرسم . محيي الدين فريحه . البيطار حسين صبري . رشدي الغزي . عاصم بسيسو الغزي . عزت الاعظمي ، مصطفى الكيلاني . عبد الرحيم حنون ، الدقتور حسام الدين . نجيب شقير . الشيخ فتح الله . الدقتور أحمد قدري سليم الطيارة . جميل الحسيني . المفتي سعيد أفندي الباني . سليم الشمعة ،

سليم البخاري.فائز الخوري . رشيد الخشيمي . عمر الاتاسي . البكباشي على رضا . الدقتور أمين قازماء سعيد عدوه . الدقتور عبد الحفيظ. اليوز باشي جميل . فريد باشا اليافي .عثمان العظم

ومن الذين صدر بحقهم حكم الاعدام وهم شفيق المؤيد . الامير عمر . شكري العسلي . عبد الوهاب الانكليزي. رشدي الشمعة. رفيق رزق سلوم،جرى اعدامهم هذا الصباح في الشام . والآخرون جرى اعدامهم في بيروت، وسائر المجرمين صار سوقهم الى منفاهم وحبوسهم وعلى هذه الصورة تقرر اذاً في سورية وفلسطين السكون والامن المحتاج اليهما الى الابد

وها أنا ذا انشر الآن من الوثائق المهمة التي كانت اساساً لهذه التحقيقات ما يكشف الغطاء عن حزب اللامركزية الحقيقي وسينشر كتاب حاو جميع الوثائق على حدة مع اعترافات المجرمين المهمة وتاريخ صغير لهذه المسألة

ومن امعان النظر في هذه الوثائق يفهم أولا: ان هؤلاء الاشخاص قد ضحوا بلا تردد جميع ما لديهم من المقدسات الدينية والوطنية لقاء منافعهم الخسيسة والمادية. ان هؤلاء الاشخاص قد اشركوا مساعيهم ونفوذهم وقدرتهم اعداء الدولة وسعوا في اعداد الطاعة في الداخل تجاه تجاوزات الاعداء في الخارج

ومما هو جدير بالتقدير ان ادارة هذه التشبثات لم تتسع بالنظر لما جبل عليه العنصر العربي النجيب من الصداقة والطاعة والصلابة الدينية العارية عن شوائب الظنون والشكوك بأسرها، بل حصرت بين بعض اشخاص مسلمين ومسيحيين لاأهمية لهم ولايكاد يتجاوز عددهم المائتين من المحكوم عليهم حديثاً وقديماً وجاهاً وغياباً

و بناء على الصلاحية التي تخولني اياها المادة الثانية من القانون المؤرخ في ١٤ مايو سنة ١٣٣١ المتضمن التدابير التي ينبغي للجهة العسكرية التوسل بها في وقت النفير العام ضد الخارجين على الحكومة واجرآتها فاني ساع في ابعاد اولئك الاشخاص الذين يتخذون حقوق الدولة ومقدساتها ملعبة في سبيل منافعهم الشخصية مع من لهم علاقة معهم من اسرهم وعائلاتهم من قريب أو بعيد الى بعض ولايات الاناضول . وقد اتخذت الاسباب الكافلة لإعاشة هذه العائلات ورفاهيتهم في

المحال التي ينفون اليها تحت عناية الحكومة السنية وعاطفتها، وسيعطون هناك أراضي وأملاكا قيمتها تعادل أملاكهم وأراضيهم التي يملكونها في سورية . واني أوصي جميع الاهلين في سورية وفلسطين بالسكينة والطمأنينة. على انه من الآن فصاعدا لم يبق محل لاجراء التعقيبات والابعاد الى الولايات العثمانية في حق احد مطلقا مالم تظهر وثائق قوية تدل على خيانته

قومندان الفيلق الرابع وناظر البحريه

أحمد جمال

[المنار] كل ما احتج به جمال باشا لسفك الدماء واجلائه الناس عن أوطانهم أباطيل . وقد قتل بعد من ذكرهم هنا عددا ليس بقليل، منهم السيد عبدالحميد الزهراوي الشهير ، وأول أباطيله تسمية القتل برأيه ورأي ديوانه العرفي قصاصاً ! وانما القصاص في شرع الله أن يقتل الجاني بمن قتله بغير حق . ومعناه في اللغة يدل على المساواة والمماثلة .

ثم انه يقول ان التهمة الموجبة للقتل والنفي هي الاشتراك في جمعية غايتها جعل العراق وسورية وفلسطين مملكة مستقلة بعد سلخها من راية الدولة ، ونحن نعتقد بطلان هذه التهمة بأدلة كثيرة (منها) أن الحزب الذي جعله أصلا لتهمة التي رمى بها هؤلاء الناس له برنامج معروف مطبوع ينطق بكذب تلك التهمة (ومنها) أن هؤلاء الذين اعترف الباشا بقتلهم في هذا البيان لايوجد فيهم الا واحد أو اثنان من الداخلين في هذا الحزب (ومنها) اننا نعلم باختبارنا لبعضهم واختبار من نثق به للآخرين انهم لا يجمعهم رأي ولا مودة ولا سكنى ولا معرفة فكيف يتفقون مع ذلك على أمر عظيم كالذي اتهموا به؟ وانما الجرم الاكبر الذي يجمعهم وبه استحقوا العقاب هو أنهم من أذكياء العرب الذين يقولون بوجوب محافظة قومهم على لغتهم وأن يكون لهم حظ من مشاركة الحكومة في ادارة بلادهم، وان لبعضهم ذنوبا سابقة لا يغفرها الاتحاديون كاهانة شفيق بك لطلعت بك، والسعي لعدم اقراض أوربة للاتحاديين عشرات من الملايين، يضيعونها وتبقى البلاد رهينة بها للدائنين ، وتوثيق أعضاء المنتدى الادبي في الاستانة عرى الاخاء بين طلبة العرب في مدارس الحكومة فيها ، واهانتهم لصاحب جريدة اقدام التركية في نشر تلك المقالة التي قال فيها كاتبها ان الطريقة المثلى للتنكيل بعرب الجزيرة اغراء بعضهم بقتال بعض بالمال « لان العرب تبيع كل شيء بالمال حتى العرض والناموس »

ثم انه يصرح بأنهم أخذوا بالظن فلم تثبت عليهم تلك التهمة باليقين ، ولو ثبتت لماجاز قتل أحد منهم بها شرعا ولا قانونا لانها عبارة عن رأي سياسي لم يدع قاتلهم انهم شرعوا في تنفيذه بالخروج على الدولة في أثناء النفير العام الذي حكمهم بقانونه . وكيف يعقل أن يقوم نفر قليل كهؤلاء بالخروج على الدولة والسواد الاعظم من قومهم يخالفهم فيه باعتراف جمال باشا نفسه والدولة تحكم بلادهم بالاحكام العرفية القاسية وجميع شبان الامة وكهولها جنود مسلحون بين يديها ؟ ويا ليت شعري ما تلك المنافع المادية الخسيسة التي ضحى أولئك الاذكياء الفضلاء دينهم ووطنهم لاجلها ؟ ان كانت ما ذكره من غاية جمعيتهم المزعومة، فتلك غاية سياسية عالية لامادية خسيسة ، وان كانت غيرها فما هيه ؟

باب المراسلة والمناظرة

الكتب المعزوة الى غير مصنفيها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فكثيرا ما طبعت كتب ونسبت الى أكابر علماء الاسلام - وهم برآء منها - إما غلطا وإما قصدا، لتكون نافقة في البيع أو لإدخال أشياء في دين الاسلام ليست منه ، ولا يكون لقائلها من ثقة المسلمين به ما يؤهله قبول قوله عندهم ، فيختبئ وراء اسم أحد الأئمة المقبولين عند المسلمين ، وينحله كتابه ، وذلك لما ضاق بالزنادقة الامر وحصرت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معروفة ، وبين فيها الصحيح من غيره ، فلم يتمكنوا من وضع الاحاديث عليه كما كانوا يفعلون في أول الاسلام قبل تدوين الحديث ، ومفسدة هذه الكتب ظاهرة للعيان

رأيت كل هذا فعزمت بحول الله تعالى وقوته على بيان الاغلاط الواقعة في نسبة بعض الكتب المطبوعة الى غير أهلها نصيحة للمسلمين ، وتزكية لأئمة الدين ، وخدمة للتأريخ ، فكلما عثرت بشيء منها نشرته في مجلة المنار الغراء

ثم اني لا أقصد ببياني هذا طعنا في أحد من طابعي هذه الكتب فلا يحرجنهم ذلك فانما قصدي بها وجه الله تعالى والله الموفق لا هادي الا هو

(١) من الكتب الدخيلة الموضوعة قصدا كتاب يسمى (سر العالمين) [١] ألفه أحد الزنادقة من الفرقة الباطنية ، ونحله حجة الاسلام أبا حامد الغزالي رضي الله عنه ، وأدخل فيه كثيرا من عقائد الباطنية التي كان الغزالي أشد أعدائها ، ومن أكثر العلماء ردا على معتقديها ، وأدخل فيه كثيرا من علوم السحر ، ثم أراد أن

---

(١) طبع في الهند ثم طبع في مصر سنة ١٣٢٧

يحقق نسبة الكتاب الى الغزالي فصار دائما يحيل في بعض المسائل على كتب الغزالي كالاحياء والرد على الباطنية وغيرهما، ويقول «فيما كتبناه في كتاب كذا» أو نحوه، ويذكر كتابا من تصانيف الغزالي، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يفضحه ويبين كذبه كرامة للغزالي وغيرة على حجة الاسلام فانه قال في صحيفة (٨٣) من الطبعة المصرية « أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب» الخ وهذا كذب فاضح . فان أبا العلاء المعري مات سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، أي قبل أن يولد الغزالي بسنة أو سنتين ، فانه ولد سنة خمسين وقيل سنة احدى وخمسين وأربعمائة، فليحذر الناس من الثقة بهذا الكتاب وأمثاله فهي مفسدة للدين ، وليتق الله طابعوها ولا يغرروا بعامة المسلمين ، وليتحر أحدهم صحة نسبة الكتاب الى المنسوب اليه

(٢) ومن الكتب المنسوبة قصدا للنفاق كتاب يسمى (كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان) [١] نسب الى الامام الجليل شمس الدين ابن القيم رضي الله عنه ، وهو كتاب لا بأس به فيه فوائد أدبية ، ونكتب بلاغية، فصيح العبارة ، ويظهر أن مؤلفه كان من الكتاب المنشئين ، لا العلماء المحققين — أمثال إمامنا ابن القيم — فان له في بعض المسائل تحقيقات واختيارات سخيفة لا يقولها من شام للعلم بارقة

لو لم يكن لشمس الدين ابن القيم بين أيدينا كتب غير هذا لقلنا كاتب يتسخف ويظن أنه محقق، وأحمق يتكايس ويظن أنه عاقل، ولكن كتب ابن القيم تنادي بقوة نظره، ودقة بحثه، وكثرة علمه، وبعد غوره ، ولله دره من امام جليل ، وحاش لله أن يقول في اعجاز القرآن كما قال مؤلف هذا الكتاب فانه قال في صحيفة (٢٥٥) بعد أن حكى الاقوال في وجه الاعجاز مانصه : « قال المصنف عفا الله عنه: والاقرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيف والتحريف والزيادة والنقصان» فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن» هذا اختياره وحكاية مثل هذا تغني عن رده وضرب الامثال على بطلانه [٢]

(١) طبع أيضا في مصر سنة ١٣٢٧ (٢) المنار: مزية حفظ القرآن من التغيير لم تظهر الا بمرور الزمن ، فلا يتحدى النبي (ص) بها العرب

وأغرب من هذا القول قوله في الصحيفة نفسها بعد أسطر : «وقال قوم اعجازه من جهة أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة قائمة بالذات وأن العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له ولاتيان بمثله أو بمثل بعضه كلفوا ما لا يطاق ومن هذه الجهة وقع عجزهم وهذا القول أيضا حسن » هذا كلامه بنصه واني أترك للقارئ فهم معنى التحدي بالصفة القديمة فذلك مما يقصر عقلي عن دركه

وقد اتصل بي أن النسخة الخطية التي طبع عنها هذا الكتاب كانت نسبته فيها الى ابن القيم مكتوبة عليها بخط جديد غير خط الاصل فقيل لطابعه لا تنسبه لابن القيم فلعل كاتب هذه لم يتحر النسبة خصوصا وان الكتاب غير معروف في كتب ابن القيم ، فأبى ونسبه اليه، فحسبنا الله ونعم الوكيل

(٣) ومما يلحق بهذا وان لم يكن منه تماماً ما وقع في مختصر البخاري للزبيدي المسمى « التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح » فقد كتب على طرته في النسخ المطبوعة بالمطبعة الاميرية والمطبوعة بالمطبعة الخيرية والمطبوعة بالمطبعة الميمنية مانصه « للحسين بن المبارك الزبيدي » وهذا غلط فان مؤلفه هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨٩٣ هجرية . وأما الحسين بن المبارك الزبيدي فشيخ ذكره المؤلف نفسه في خطبة كتابه في اسناده الى البخاري ، وبين المؤلف وبينه ثلاثة شيوخ. والغريب أن كاتب الحواشي التي بهامش النسخة الاميرية ذكر في أول صحيفة منها اسم المؤلف على الصواب ، فلا أدري كيف كتب هذا وغفل عما في طرة الكتاب . وأما المطبعتان الاخيرتان فتبعتا المطبعة الاميرية من غير تحرّ ولا نظر . وحصل مثل هذا في نسخة شرح الشرقاوي عليه الذي طبع بالمطبعة الميمنية فانهم طبعوا بهامشه المتن ونسبوه في طرته الى الحسين بن المبارك الزبيدي مع أن الشارح في أول الخطبة ذكر اسم المؤلف على الصواب انتهى

كتبه

ابو الاشبال

عفا الله عنه

دعوة اللجنة التحضيرية

(لمشروع جمعية آداب اللغة العربية بلندن)

تتشرف اللجنة التحضيرية لمشروع « جمعيــة آداب اللغة العربية » بلندن بتوجيه نظركم الى منافع هذا العمل المسطورة بايجاز في (ذيل) هذا الـكتاب آمـلا من غيرتـكم التعضيد المادي والادبي قدر جهدكم حتى اذا اجتمعت الاعانات الضامنة للنجاح منكم ومن أمثالـكم أبرز المشروع الى حيز الوجود في القريب العاجل تحت رعاية « الجمعية الملوكية الأسيوية » التي هي من أعظم الهيئات العلميــة الباحثة في آداب الشرق · ولا يخفى على حضرتـكم المظهر الجليل والفائدة الكبرى من تحقيق هذه الامنية في أ كبر عواصم العالم. وقد لاحظنا أن للمعضدين ميولا مختلفة ما بين عامل أدبي أو علمي أو وطني أو ديني ، فلعلكم مدفوعون بعامل أو ا كثر من هذه العوامل لخدمة آداب اللغــة الفصيحة العربية ، والسعي في نشرها بواسطة هــذه الجمعية الدولية التي تعمل اللجنة على تأسيسها وتوطيد دعائمها .

هذا ولو أن الظروف الحاضرة الاستثنائية ربما عدت غير ملائمة، الأن فلاح مثل هذا العمل كما تبين لنا بعد درسه يستدعي بذل مجهولات كثيرة تستغرق زمنا غــير وجــيز فمن الصواب اذن عدم التأجيل . فحبــذا لو ظفرنا بموازرتكم لنا ، فجلائل الاعمال أنما تقوم بمساعي الجماعة وتساند الافراد ؟

رئيس اللجنة التحضيرية   كاتب سر اللجنة

د . س . مرجليوث   احمد زكي أبو شادي

(مقاصد الجمعية)

(١) أن تخدم آداب اللغة العربية بجميع الوسائل التي تسمح بها مالية الجمعية

(٢) أن تشجع تعلم العربية السليمة في بريطانيا العظمى وأن تنمي في أعضاء الجمعية ملكة الترجمة من والى العربية وسواها من اللغات حبا في الفائدة العامة .

(٣) أن تكون واسطة تعارف بين الناطقين بالضاد في بريطانيــا العظمى والمستعربين بها ، وكذلك بينهم وبين علماء العربية في جميع أقطارهــا وبين المستعربين في الممالك الاخرى لتبادل المنفعة الادبية . اهـ

مصابنا بالزهراوي والكيلاني

فجعتنا الجرائد المصرية في يوم واحد بنعي الصديقين الوفيين المصلحين السيدين الجليلين عبد الحميد الزهراوي شهيد بني الاتحاديين ، ومحمد وجيه الكيلاني شيخ اسلام الفيلبين . جاءتنا بذلك في أثر تلك الانباء التي شقت المرائر ، واستنفدت الدموع من المحاجر ، أنباء تقتيل جمال باشا لصفوة أبناء سورية وأركان النهضة الاجتماعية فيها ، فالآن الآن قد صار الفؤاد في غشاء من نبال ، فاذا اصابته سهام أخرى تكسرت النصال على النصال

خسرت أمة الاسلام وديار الشام وحزب الاصلاح بالزهراوي والكيلاني رجلين من أفضل رجال العصر عقلا وذكاء وأخلاقا وعلما وأدبا واهتماما بالمصالح العامة، وتقديما لها على المصالح الخاصة ، وبهذه المزايا تنهض الامم ، وبفقدها تسقط في مهاوي العدم

نبت كل منهما في بيت من أكرم بيوتات القطر السوري شرفا وسؤددا وعلما ومجدا ، وتربى كل منهما في نشأته الاولى تربية علمية دينية ، وأوتي نصيبا من العلوم والفنون العصرية ، واختبر حال الزمان وأهله ، وعرف شدة حاجة بلاده الى التأليف بين المختلفين فيها بالاديان والمذاهب والآراء والمشارب ، فكانا ركنين من أركان الوفاق ، وعاملين من أنفع عوامل الاصلاح ،

فهذا ما اتفق معنا فيه هذان الصديقان الكريمان . وأما ما اختلفت فيه نشأتهما وسيرتهما فهو ان السيد الزهراوي قد تمرس بالسياسة في حداثته فغلبته على الاشتغال بغيرها مما كان مستعدا له كالتوسع والتصنيف في الفلسفة وعلوم الاخلاق والاجتماع ، فكان أفضل مايرجى نفعه فيه ما وصل اليه من انتخاب أهل بلاده إياه نائبا عنهم في مجلس المبعوثين . ولا أقول ثم تعيين الحكومة إياه عضوا في مجلس الاعيان ، لان هذا قد كان بعد جعل الاتحاديين مجلس الامة بقسميه آلة لجعل ما تقرره جمعيتهم قوانين نافذة ، وأعمالا منسوبة الى الامة ، وكان الغرض منه خديعته وخديعة العرب به ، الى أن تسنح الفرصة لتنفذ ما قررته الجمعية من قبل من التنكيل

بالعرب والفتك بزعمائهم كما أشرنا اليه في موضع آخر وسنعود الى بيانه

وأما السيد الكيلاني فقد تخرج بالاعمال الادارية الشرعية فكان من موظفي مشيخة الاسلام في الآستانة ، وبهذا وما سبق من مزاياه كان أفضل من يختار لما اختير له من جعله شيخا للاسلام في جزائر الفيلبين، وكان يتقي شر السياسة بالمداراة حتى أنه لما عرج على مصر في ذهابه الى الفيلبين تجاهل معرفة المنار وصاحبه، وهو على مذهبه الاصلاحي ومشربه ، لانه كان يرجو المساعدة من الخديو وحكومته ، وكان الخديو مغاضبا لصاحب المنار من بضع سنين . وقد اخبرني بعد ذلك انه كان يفضل طلب المنار من صديقنا السيد محمد بن عقيل المقيم في سنغافوره على طلبه من مصر ، وانه قد تجدد له من الحاجة اليه في منصبه الجديد مالم يكن يعلمه من قبل. وسنعود الى الكلام في سيرة هذين الصديقين ان شاء الله .

مسألة الازياء والعادات

من مشخصات الامم

زي الامة من مشخصاتها ينبغي لها أن تحافظ عليه وتحترمه وتحتقر من يحتقره كما تحترم العلم الذي هو شارة حكومتها، فالعلم لا يحترم لشكله ولا للونه أو ألوانه، وليس من العقل ولا من الحكمة أن تذم الاعلام أو تمدح لشكلها أو ألوانها، وكذلك أزياء الامم من حيث هي أزياؤها ، ولكن بين الزي والعلم فرقا واحدا وهو أن الزي يقصد به من المنفعة ما لا يقصد بالعلم ، فاذا اشترك مع العلم في أن كلا منهما مشخص للامة مهما يكن شكله ولونه وصفته فانهما يفترقان في أن بعض الازياء لا تفي بما يقصد بها من وقاية الجسم من أذى الحر أو البرد أو سهولة القيام بالاعمال العسكرية والصناعية والزراعية .

ومن الناس من يرجع في اختيار الازياء الى مراعاة الذوق والجمال ، ولكن هذا ليس له قاعدة ثابتة ، وانما يستحسن جماهير الرجال في كل أمة ما يختاره كبراؤها وحكامها ، وانما يُعنى بالذوق والجمال في الزي النساء وهن في كل آونة يستحدثن

زيا جديدا يبطلن به ما كان قبله مستحسنا ، ولا يرجع ذلك الى فضيلة في زي اليوم على زي أمس تثبت بدليل علمي أو عقلي . وانما فائدة الجديد لمن جذب الانظار الى السابقات اليه ، وفائدته المالية لتجار الانسجة وصناعة الخياطة لاتخفى ، ويقابل ربح هؤلاء من الازياء خسارة المسرفات فيها، فكم من بيوت خربت بمثل هذا الاسراف

من أكبر جنايات الافراد على أمتهم أن يحتقر أحد منهم زيها ، ويستبدل به زي أمة أخرى تقليدا وتفضيلا لها ، فاذا كان بعض أزيائها ضارا بها ، فالواجب في استبدال غيره به أن يكون برأي أهل الحل والعقد فيها ، الذين يراعون في التغيير المنفعة دون التقليد الذي يبث في الامة الشعور بمهانتها وتفضيل غيرها عليها . وقد وفينا هذا الموضوع حقه من البيان في المنار وقبل المنار في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي كتبناه في عهد طلب العلم ، واقتبسنا منه نبذا في المنار اذ طرقنا باب هذا البحث مرارا .

ولست أبحث الآن في أزيائنا هل يحسن تغيير شيء منها وكيف ينبغي أن يكون التغيير ، وانما أريد أن أقول ان بعض الافرنج ينفرون من أزياء الشرقيين ويكرهون أن يأكل في مطاعمهم الخاصة بهم وبالاغنياء المتفرنجين منا من لا يلتزم عاداتهم وآدابهم في الطعام، ومنهم من يرى ان كل من لا يلبس الزي الافرنجي لا ينبغي أن يأكل في تلك المطاعم ، ولهم في ذلك أعذار ومآرب ، وقد روت جريدة (وادي النيل) الاسكندرية أن اثنين من المعممين دخلا مطعما افرنجيا فطردا منه لانهما معممان ، وقالت في لومهما انه لا يبعد ان يكونا ذهبا منه الى آخر مثله لعله يقبلهما . وأشارت أيضا الى انتقاد صاحب المطعم الافرنجي . أما نحن فاننا نخص باللوم فريقين من أمتنا : فريق الذين يتصدون لمؤاكلة الافرنج في مطاعمهم، وهم لا يلتزمون آدابهم وعاداتهم . ومنهم من لا يلتزم الآداب الاسلامية التي هي أرقى الآداب ، وفريق المتفرنجين الذين يحتقرون زيّ أمتهم وعاداتها وآدابها ، يستبدلون بها غيرها تقليدا للاغيار وتفضيلا لهم على أنفسهم، ويكونون آلة لإضعاف مشخصات أمتهم ومقوماتها وهم لا يشعرون ماوراء ذلك كما يشعر به غيرهم. ومن أراد أن [يع]رف رأي الافرنج في ذلك فليقرأ خطبة الدكتور سنوك المستشرق الهولندي في

الاسلام ومستقبله التي ألقاها في جامعة كولومبيا من الولايات المتحدة ، وقد نشرنا ترجمتها في المجلد السابع عشر من المنار مع تعليق طويل عليها (١) ومن أراد أن يعرف قيمة هؤلاء المتفرنجين فى نفس الافرنج فليقرأ ما كتبه في شأنهم لورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة)

من أهان أمته باحتقار شيء من مقوّماتها أو مشخصاتها بازاء احترام مايقابل ذلك من أمة أخرى فقد احتقر نفسه أشد الاحتقار ، وما قيمة الرجل الذي ليس له أمة محترمة في نفسه ، ومن ذا الذي يكرم من يحتقر نفسه باحتقار أمته * ومن لم يكرم نفسه لم يكرم *

اذا ما أهان امرؤ نفسه　　فلا أكرم الله من يكرمه

يجب على كل من أوتي نصيباً من الفهم أو حظا من الشرف أن يقاوم جهد طاقته كل ما فيه احتقار لأمته مهما يكن رأي المحتقر وقصده ، ومن ذلك ان لا يأكل احد من المصريين في مطعم يهين اصحابه مصريا لزيه أو عادته أو غير ذلك ، ولا ان يشتروا شيئا من تاجر يهين مصريا ، ويجب على أمثال هؤلاء ان يبذلوا جهدهم لمنع الاهانة عن أمتهم وإغنائها عن معاملة كل من يقصر في احترامها ، وانما يتيسر هذا بتعاضد الاندية والجمعيات الادبية والشركات التجارية

كانت شركات البواخر الافرنجية في الخط الذي بين الهند وخليج فارس وشط العرب تحتقر المسافرين فيها من العرب والفرس ولا تسمح لهم بالاكل على مائدة الدرجة الاولى فلما أنشأ تجار العرب في بومبي شركة البواخر العربية زال ذلك الاحتقار و بطلت تلك المعاملة

واتفق لي منذ بضع عشرة سنة أني دخلت مطعما سوريا في القاهرة وقت العشاء وجلست الى مائدة من موائده فطلب رجل انكليزي أن أترك تلك المائدة لانه يجلس اليها للطعام ولا يحب ان يأكل مع شيخ أزهري ، فلم أبال بطلبه ، فطلب من صاحب المطعم ذلك فاعتذر اليه بأنه لا يمكنه ذلك . وقد سألت عن اسم الرجل وعمله وذكرت ذلك لصديقي مستر متشل أنس الذي كان وكيلا لنظارة المالية

(١) راجع ص ٢٠١ و ٢٦٨ م ١٧

وقتئذ فاستاء من ذلك وكتب كتابا الى رئيس ذلك الرجل في مصلحة السكة الحديدية كلفه فيه ان يلزمه الاعتذار الي، واخذت الكتاب بنفسي وعدت راضيا مكرما

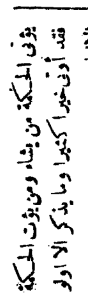
ولا يخفى على عاقل أن ما نحتاج الى اقتباسه من علوم أوربة وفنونها وصناعاتها لا يقتضي هذا التفرنج الذي نذمه ولا يأتي من طريقه بل ينافيه، لان التفرنج تقليد في الازياء والعادات يحدث التفرق في الامة وانحلال روابطها، واقتباس العلم النافع والعمل الرافع يجب أن يكون بطريق الاستقلال لا التقليد، وان تراعي فيه حاجة الامة في العمل ويقصد به ترقية ثروتها وعزة دولتها، ولم نر هؤلاء المتفرنجين من الترك والمصريين ساروا على ذلك الدرب ووصلوا الى هذه الغاية، بل هم الذين نسفوا ثروة بلادهم وقطعوا روابطها حتى وصلت الى ماهي عليه، وليس في بلادهم شيء من العمران الا وقد كان بعمل الاجانب ومعظم فائدته لهم، وانما سار على ذلك شعب اليابان الذي شرع في اقتباس الفنون الاوربية بعد الترك والمصريين منا، فكان طلاب العلوم منهم في أوربة يتلقون العلوم العملية، اذ يتلقى الطلاب منا العلوم النظرية والسياسية، وكانوا مثال الجد والعمل والاقتصاد، اذ كان أكثر طلابنا مظهر الفسق والسرف والفساد

واليك من العبرة هذا المثال : كان بعض الاوربيين والاوربيات مع بعض اليابانيين في بلاد اليابان فخلع ياباني نعله في المجلس ، فأنكر عليه ذلك بعض الاوربيين لان خلع النعال أو الجلوس بغير نعلين مستهجن في عاداتهم ولا سيما حيث يوجد النساء. فقال الياباني : انا ياباني لا أوربي وهذه البلاد يابانية لاأوربية فبأي حق تطالبوننا باتباع عاداتكم في بلادنا والواجب عكسه؟ أوقال كلاما بهذا المعنى. فهذه هي الوطنية لا ما يتشدق به المتفرنجون الذين لا يعقلون عاقبة ما يأتون ومايدعون

قلنا ان اقتباس الفنون النافعة من الغربيين — وكذا ما يستلزمه من اعترافنا بجهلنا وبحاجتنا الى علمهم — لا يعد احتقارا للامة بل اصلاحا ، ونقول أيضا اننا في حاجة الى الإصلاح في كثير من العادات الضارة ، وأن ذلك لا يعد احتقارا للامة وطالما كتبنا في ذلك . ومن أبواب المنار الواسعة باب (البدع والخرافات والتقاليد والعادات) وانما الواجب أن نعتمد في هذا الاصلاح على شريعتنا وهي أكمل الشرائع وآداب ديننا وهي أكمل الآداب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر سلخ شوال ١٣٣٤ ـ ٦ السنبلة (ص٣) ١٢٩٤ هـ ش ٢٩ أغسطس ١٩١٦

آراء الخواص في المسألة العربية

(واستقلال الشريف في الحجاز)

في ليالي رمضان وأيام عيد الفطر تيسر لي أن أعرف من آراء أهل العلم والرأي بمصر في المسألة العربية واستقلال الشريف أمير مكة في الحجاز ما لم يكن يتيسر في وقت آخر من السنة ، لكثرة التزاور في هذه الليالي والأيام ، وتوسع الناس فيها بالكلام كتوسعهم بالطعام ، وقد جرت فيها بيننا وبين كثير من أساتذة الأزهر والمدارس العليا وكبار القضاة والمحامين والأطباء وغيرهم من أهل الرأي مذاكرات

ومحاورات طويلة في هذه المسألة جديرة بأن تنشر وتدون لأنها ربما كانت أهم مسائلنا الحاضرة ، ووقائع تاريخنا التي نحفظها لأعقابنا الآتية ، فرأينا أن ننشر في المنار أطول محاورة منها وأجمعها للمقاصد ، ثم نلخص في الخاتمة صفوة الآراء كلها ، وبذلك تتم الفائدة من تلك الأحاديث بغير تكرار ولا عبث وهذه المحاورة كانت بيننا وبين أستاذ معروف باعتدال الفكر واستقلال الرأي ، وقد وقعت في اليوم الثاني بعد عيد الفطر ، وها هي ذي - ونعبر عن الاستاذ بحرف ذ وعن نفسنا بحرف ر :

ذ - ما رأى الاستاذ في استقلال الشريف أمير مكة بالحجاز ، فاني رأيت كثيراً من إخواننا ومعارفنا لا يعد ذلك أمراً ذا بال ، ومنهم من لم يصدق أخبار الجرائد ، حتى ان أخانا الشيخ .أ. قال لي في إحدى ليالي رمضان عقب نشر البلاغ الرسمي عن استقلال الشريف إنه لا يعرف أحداً صدّق هذا الخبر من قبل ، وإنه هو لم يصدقه أيضاً إلا بعد نشر البلاغ الرسمي ، وإن من الناس من لا يصدق البلاغ الرسمي نفسه ! وما أظن ان الاستاذ على رأى هؤلاء ، ولا انك تقول إن هذا الامر ليس بذي بال

ذ - صدقت ، ان هذا الامر لذو بال ، وانه قد شغل مني البال وهيج البلبال . وانني مخالف لهؤلاء الناس الذين أصبحوا لا يهتمون بشيء من الاشياء ، ولا يصدقون من الانباء الا ما يلذ لهم ، ولا يقبلون من الآراء الا ما يوافق أهواءهم ، ولذلك راج بينهم رأى تلقوه بالقبول ، وهو ان الشريف لم يعلن الاستقلال الا لضرورة انقاذ البلاد من المجاعة التي أوقعها فيها الحصر البحري أو كاد ، فقد امتنع بذلك وصول الاقوات اليها من مصر والسودان والهند وجل قوتها من هذه البلاد ، حتى قيل ان أردب القمح صار في مكة ببضعة جنيهات ، فعذر الشريف في اظهار دعوى الاستقلال جلي ظاهر ، وهو لا يزال مخلصاً للحكومة التركية في الباطن وليس له غرض في ايجاد حكومة عربية ، ولا طمع في خلافة قرشية ، ولولا ذلك لقاتلته الدولة هذا هو الرأى الرائج في البلد

أما أنا فلا أجزم بقبول هذا الرأى ولا برده ، وان كان معقولا في نفسه ، لأني أعلم أنه قد وجد في علم السياسة مسألة تسمى المسألة العربية ، ولكن لم أقف على

كنهها ومبلغ قوتها ، ولا على مكانها من الشريف ومكان الشريف منها ، وأعلم أيضاً أن الحجاز ليس فيه الاستعداد المطلوب لانشاء دولة ، ولا القوة التي يتوقف عليها استقلال الخلافة ، وحياة أهله موقوفة على الدولة التي تملك التصرف في البحار والدولة ذات السيادة على بلاد الشام ، فاذا منع عنه القوت من هنا وهناك مات أهله جوعاً، ثم إن المشهور أن أمراء جزيرة العرب وزعماءها متحاسدون متباغضون « بأسهم بينهم شديد » ولولا سيطرة الدولة العثمانية عليهم لأفنى بعضهم بعضاً . والشريف - إذا كان يأمن بطش الدولة الآن فهو لايجهل انها إذا بقي لها استقلالها بعد هذه الحرب أمكنها الانتقام منه وإزالة امارة الحجاز وجعله ولاية عثمانية محضة . واذا زال استقلالها وفرضنا انه أمن على استقلاله من صاحب عسير وصاحب نجد فانه ليس بالذي يكون الملك المستقل الذي يطلبه العرب ، ولا بالذي يجدد الخلافة الاسلامية التي يحرص على استقلالها جميع مسلمي الارض ، لان الاستقلال بأمر الملك والخلافة يتوقف على الثروة والقوة وأين هما من الحجاز وأين الحجاز منهما ؟

فلهذه الأفكار تراني مضطرباً في هذه المسألة ، وأنا أعلم أن عند (السيد) من أخبار هذه المسألة والاختبار فيها ماليس عندي ولا عند أحد من المصريين ، فهو أعلم منا بشؤون جزيرة العرب وشؤون أمرائها ، وأعلم منا بظاهر الحركة العربية وباطنها وأحوال أحزابها وجمعياتها . كما أنه أوسع منا علما بأحوال الدولة العلية وأوسع اختباراً لها وأكثر تنبؤاً لما يتجدد من أخبارها ، يعترف له بهذا من يقرأ بروية وامعان ما يكتبه في هذه المسائل في مجلته ، وانني أود أن أقف على ماعنده في مسألة الحجاز من رأي ورواية بالتفصيل ، وقد تعرضت لهذا غير مرة فلم تسكن حالة المجلس أو الوقت مما يسمح للسيد بالافاضة في ذلك ، فعسى أن نستفيد الآن ما فاتنا من قبل

د - لم أنس ان باب الحديث في هذه المسألة قد فتح بيننا مرتين قبل هذه المرة، فكان الكلام فيها وجيزاً لضيق وقته ، على أن الحديث شجون ، والانسان يتذكر في وقت ما ينساه في آخر ، فاذا ذكره محدثه تذكر ، وانني لا أبخل على الاستاذ بما عندي في هذه المسألة من رأي أو خبر أرى فيها فائدة له ، فاذا حدثته بشيء لم يره كافيا فله أن يستزيدني من الحديث بالسؤال عما يريد منه ، ولا بأس

بإعادة شيء مما كنا ألممنا به من قبل ؛ وابدأ ببيان ما عندي في مسألة استقلال الشريف فأقول :

ان الشريف لم يدع ملكا ولا خلافة فلا كلام لنا في ذلك وما ذكرته لي من الرأي الذي دار بين كثير من المصريين في سبب استقلاله في الحجاز وتلقوه بالقبول قد سمعته من غيرك أيضاً . وهو رأي كما قلت معقول ، وعذر الشريف فيه مقبول ، ولاسيما ان كان الاستقلال صورياً كما تظنون ، فانه مسؤول عند الله وعند الناس عن إنقاذ سكان حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ من الهلاك ، وازالة الموانع التي منعت أكثر المسلمين من الحج إلى بيت الله الحرام ، ولا سبيل إلى هذا وذاك إلا بإزالة الحصر البحري عن ثغور الحجاز ، الذي كان سببه وجود الجنود التركية فيها ، فان دولة انكلترة كانت صرحت باستثناء سواحل الحجاز من الحصر البحري الذي ضربته على جميع السواحل العثمانية ؛ وسمحت بنقل الاقوات من الهند وغيرها إلى تلك البلاد المقدسة . ثم انها لما علمت بارسال أنور باشا لكثير من الجنود التركية إلى الحجاز منعت إرسال الاقوات اليه لان الجنود يستفيدون منها ، وقد كان من المستغرب تموينها لبعض بلاد أعدائها ولكن تموينها لجيوشها غير معقول ، وإنما المعقول ضده ، ولولا احترامها للبلاد المقدسة لضربت سواحلها بمدافع أسطولها وجعلتها من ميادين الحرب أيضا ، ولكن إزالة الشريف أمير مكة للسبب الذي أوجب الحصر ، ومنع القوت والحج ، مناواة للدولة التركية أو الاتحادية لانه قصد لقتال جنودها ، ورفع سيادتها عن البلاد التي هو أميرها ، فالشريف قد اضطر إلى الاستقلال بالامر في الحجاز ونبذ سيادة هذه الحكومة الاتحادية ظهرياً ونحن نخالف من يرى من المصريين ان هذا الاستقلال صوري وانه كان بالتواطؤ بينه وبين الدولة ، ومن يرى أنه لايزال مخلصاً لهذه الحكومة وأنها هي راضية عن فعله وعاذرة له فيه ، لأننا نعلم أن ازالة منع القوت ومنع الحج ليس هو الباعث على هذا الاستقلال ولكنه من لوازمه ، وهنالك بواعث وأسباب أخرى له سنلم بها في حديثنا

ذ - اذاً لماذا لم تجرد الدولة جيشاً لقتاله ؟ ولماذا حاصر هو الجيش التركي حصاراً ولم يناجزه القتال ؟

د — أما الشريف فيمنعه دينه من الاقدام على سفك الدم فى أرض الحرمين الشريفين من غير ضرورة ملجئة لا مندوحة عنها، وأما الدولة فالمانع لها من إرسال جيش جديد لقتاله إما العجز وإما العقل، أما العجز فهو الآن غير بعيد ، لأن جنود الدوله متفرقون فى عدة ميادين من أوربة وعدة ميادين فى الاناضول وإيران والعراق وسورية وسيناء فهى لا تستغنى عن جيش كبير يصلح ماعطل من سكة حديد الحجاز ويبقى قسم منه فى مواضع متفرقة من الطريق لحمايتها ، ويسير قسم منه لانقاذ حامية المدينة ثم الزحف منها إلى مكه مع حفظ طرق مواصلاته من مركز تموينه وإمداده فى الشام إلى مكه . وأما العقل فيقتضى عدم التصدى لقتال الشريف الآن حتى فى حال القدرة وانتفاء العجز ، لأن قتاله يضعف الدولة فى الميادين الاخرى ، وربما يستتبع خروج عرب الجزيرة كلهم أو جلهم عليها، فيتسع الخرق على الراقع ، والسكوت عنه لا يضر الدولة الآن ،فان انتهت الحرب بظفرها مع أحلافها أمكنها أن تتصرف فى الحجاز بما تشاء، وإذا انكسرت مع أحلافها فلا معنى لاهتمامها بأمر استقلال الحجاز ، اذ يفرق المنتصرون حينئذ شمل وحدتها ، ويخشى أن يزيلوا ما كان من استقلالها ، بل المعقول أن يتمنى كل مسلم من ترك الدولة كربها أن تسلم بلاد الحجاز وسائر بلاد العرب من الوقوع تحت تصرف الحلفاء المنتصرين فى هذه الحالة ، ولولا أن الدولة فى أيدى الاتحاديين لرجحنا أن العقل يمنعها من قتال الشريف إن لم يمنعها العجز، وأما الاتحاديون فقد جعلوا من أصول سياستهم إضعاف العرب حتى لا يكون لهم حقوق مع الدولة إن بقيت ، ولا استعداد للاستقلال بأنفسهم إن سقطت ؛ ولسان حالهم مع العرب فى هذه الحالة يقول :

اقتلونى ومالكا واقتلوا مالكا معى

وقد سمع من أفواههم كثير من طلاب الاصلاح من العرب مايدل على مثل هذا من مقاصدهم عند ما كانوا يتكلمون معهم فى حقوق العرب فى الدولة ، وفى أحوال أخرى ، ألا ترى أنهم اتخذوا حالة الحرب ذريعة لتنفيذ مقاصدهم فى العرب ، فكان المعقول أن يثبتوا لعرب الولايات صدق وعودهم بالاصلاح ويفوا لهم بعهودهم التى عقدوها مع السيد الزهراوى عقب عقد المؤتمر العربى ، ويزيدوهم على ذلك من

الاصلاحات الداخلية ما يملكون به قلوبهم كما ملكوا أبدانهم وأموالهم فاستعملوها في هذه الحرب كما شاؤا ، وفي أمثالنا العربية « عند الشدائد تذهب الاحقاد » ولكن امثالنا لا تصدق على طباعهم وأخلاقهم ، بل تضادها وتناقضها ، فالشدائد كانت عندهم مظهرة للأحقاد في أقبح مظاهرها وأشنع مناظرها، فبعد أن جندوا جميع شبان سورية والعراق وفرقوهم في الميادين البعيدة عن بلادهم كالدردنيل والبلقان والاناضول - وبعد أن صادروا الاموال والغلال في تلك البلاد ، طفقوا يقتلون أولي العلم والعرفان وكبار الضباط وسائر أرباب العقول والافكار في كل من القطرين (السوري والعراقي) وينفون الكبراء والاغنياء ، ويستولون على ديارهم وأموالهم.

وبعد أن رأوا مأربهم هذا قد تحقق بغير معارضة ولا مقاومة ولوا وجوههم شطر الحجاز ، لا لاجل الصلاة إلى المسجد الحرام ، ولا لاجل الطواف بين الركن والمقام، فانهم لم يكونوا من الطائفين ولا المصلين ،ولكن ليفعلوا في الحجاز مافعلوا في العراق والشام، حتى إذا تم لهم هذا الارب ،أجهزوا على بقية جزيرة العرب

ذ - إني أعلم أن السيد سيء الاعتقاد في دين هؤلاء الاتحاديين وفي سوء نيتهم ، وقد قرأت كل ما كتبه في السنين الخالية عنهم ،ولكنني رأيته قد سكت عن ذلك الطعن الشديد فيهم بعد حرب البلقان ، ثم تنسمت عطفه عليهم من بعض ما كتبه قبيل دخولهم هذه الحرب وفي أثنائها، وكنت أظن أنه كجمهور المصريين لم يصدق أخبار المقطم والاهرام ، عن فظائع جمال باشا في بلاد الشام ، حتى قرأت المقالة التي نشرتموها في الشهر الماضي فعلمت أنكم مصدقون لتلك الاخبار ، وتتوقعون أن يكون لها تأثير سيء في الحجاز وسائر جزيرة العرب

د - نعم إنني تركت تلك الحملات على الاتحاديين بعد حرب البلقان وفي أثناء هذه الحرب لان الحملة عليهم تعد حملة على الدولة ولا ينبغي ذلك في أثناء الحرب وإن كان بنية صالحة وبقصد الاصلاح كما بينت ذلك في المقالة التي نصحت بها بمثل هذا لمسلمي سورية قبيل دخول الدولة في الحرب ، ثم اني صدقت ما أتوه من التنكيل بالعرب في الشام ،لانه ثبت عندي بالتواتر فكتبت تلك المقالة وأطلعت عليها

بعض إخواننا قبل أن تجيئنا البرقيات بنبأ استقلال الشريف وإن نشرت بعد ذلك، ثم علمت بعد نشرها أن أنور باشا مازار سورية والحجاز في أوائل هذا العام إلا ليتولى بنفسه ارسال الجند والسلاح إلى الحجاز للقضاء على سلطة الشرفاء فيه . وان قيل انه جاء بصنيعه جمعيته الشريف علي حيدر من الآستانة إلى الشام أو المدينة ليجعله خلفا للشريف حسين أو أميراً للحجاز في المدينة فاذا صح هذا الخبر فالغرض الصحيح منه أن يضربوا الحديد بالحديد لما في ذلك من المفاسد الكثيرة التي يطلبونها، فاذا أمكن الشريف حيدر وأخيه الشريف جعفر أن يؤلبا بعض عرب الحجاز على الشريف حسين بمال الدولة الذي يؤيدان به نفوذهما سهل على قائد الجنود التركية بعد اضعاف عرب الحجاز أن يستبد بالنفوذ في الحجاز من غير خسارة تذكر، ولا صيت قبيح ينشر، ثم انهم بعد الفتك بالشريف حسين وأولاده يفتكون بالشريفين حيدر وجعفر، كما فتكوا بصديقي الشريف حيدر (عبد الكريم قاسم الخليل والسيد الزهراوي) إذ لولا وساطة هذا الشريف لما أمكن لعبد الكريم أن يقنع الزهراوي بالمجيء من باريس إلى الآستانة بعد أن أنذر المرة بعد المرة بأن في ذهابه إليها خطراً على حياته، ولم يكن الشريف ضامنا له الأمن على حياته فقط بل كان ضامنا له الاصلاح الذي وعد به الاتحاديون وأكثر مما وعدوا، وقد رغب إلي هو وعبد الكريم أن أكتب إلى الشريف حيدر كتاب شكر لحسن سعيه في هذه السبيل

إنني على ما أعلم من سوء نية الاتحاديين وخبث ما أضمروه للعرب قد كنت أحسنت الظن بأنور باشا عندما جاءنا المقطم بخبر زيارته لسورية والمدينة المنورة، ولعل الأسعاذ يتذكر أني قلت له حينئذ : إن أنور باشا ما جاء سورية وفلسطين والمدينة إلا ليصلح ما أفسده جمال باشا حتى لا يصل سوء تأثيره إلى جزيرة العرب، وليستعين بعرب الحجاز وغيرهم على هذه الحرب، فان أنور باشا هو الذي تولى في أول هذه الأزمة استمالة عرب الجزيرة بما كتبه إلى أمرائهم وزعمائهم من المكتوبات العربية، المزينة بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية، وقد اطلعت على صور بعض هذه المكتوبات العامة والخاصة، ومنها الكتاب الذي حمله رسول خاص إلى عدوهم الذي لم يعترفوا له بصفة رسمية قط - أعني السيد الادريسي - وهو يعظمه فيه ويبجله

و يظهر الثقة به ، ثم علمت فى هذه الأيام أنه كان طلب من الشريف أمير مكة المكرمة نجدة عربية لمساعدة حملة سيناء على مصر ، وان الشريف أرسل الحملة إلى المدينة المنورة وهى التى تحاصرها الآن ، فان الشريف لما رأى الجنود التركية ترسل إلى الحجاز بعشرات الألوف وتوزع فى مدنها وثغورها وهو يعلم كما نعلم وتعلم الدولة أن الحجاز ليس عليه أدنى خوف من الدول الأوربية ، فلم يبق لارسال الجنود اليه سبب يعقل - والدولة فى أشد الحاجة الى الجنود - إلا التنكيل بعربه والفتك بشرفائه اتماماً لبرنامج جمعية الاتحاد والترقى الذى يعرفه الشريف كما نعرفه ، وقد كانوا حاولوا البدء بالشريف قبل هذه الحرب إذ أرسلوا الضابط وهيب بك أحد غلاتهم المتحمسين خفية إلى الحجاز ، و بعد وصوله إلى مكة أظهر التقليد الرسمى الذى معه بولاية الحجاز وقيادة حاميتها ، وكان من أمر خذلان عسكره فى التحرش بقتال العرب ومحاولة الفتك بالشريف ماهو مشهور ، فلهذا تحولت الحملة الحجازية التى ألفت اجابة لطلب أنور باشا للقتال مع جنوده فى سيناء إلى حملة تحاصر جنوده فى المدينة المنورة وتقاتلهم إذا قاتلوها

ذ - إذا كان الشريف عالما من قبل بما تضمره جمعية الاتحاد والترقى للعرب عامة ، وله ولأهل بيته خاصة ، فلماذا كان ينصر الاتحاديين حتى انه حارب السيد الادريسى لأجلهم وكاد يحارب أمير نجد ابن السعود كذلك

د - لاأدرى متى عرف ذلك معرفة لاتحتمل التأويل ، وقد كان أولا يتأول للاتحاديين ويرجو صلاحهم حتى كان بعض رجال النهضة العربية يتهمونه بمشايعتهم وبكراهة السيد الادريسى أن يكون ذا سلطة فى عسير ، وينقل عنه وعن أهل بيته انهم يقولون انهم لايؤيدون الاتحاديين فيما تقوم به جمعيتهم من الأعمال وإنما يؤيدون الدولة نفسها فيما تقرره ويرون أن الاعتصام بها وإن جارت على العرب وغيرهم أرجح من مقاومتها ولو سراً لئلا تفضى المقاومة إلى التفرق الذى يضيع به العرب مع الترك ، وإن الطريقة المثلى لتلافى ما يرى ضاراً من أعمالها انما هى طريقة السعى لديها والاجتهاد فى اقناعها بضرر الضار ونفع النافع ، وهذا الرأى والمسلك لم يكن مرضيا عند الاحزاب السياسية العربية من كل وجه ، بل كانوا

برون انه يجب أن يكون الشريف أمير مكة مخلصاً للدولة ومؤيداً لها فيما صار فى حيز الأمور التنفيذية فقط إلا قتال العرب ، وأما مالم يصل إلى حيز التنفيذ فينبغى أن يكون حزبه فيه معارضاً لحزب الاتحاديين بعد ظهور عصبيتهم الجنسية وظلمهم للعرب ، ولكن نجله مبعوث مكة المكرمة كان مع سائر مبعوثى الحجاز من الاتحاديين ، وكذلك أخوه الشريف ناصر العضو فى مجلس الاعيان من حزبهم ولم يغن كل هذا شيئا ، ولا صد الاتحاديين من محاولة تنفيذ ما كانوا يضمرون الشريف الاكبر وأهل بيته ، وإنما يكرهون هذا الشريف وأولاده لأن لهم من النفوذ فى عرب الحجاز ماليس لغيرهم من الشرفاء ، قلت آنفاً اننا لاندرى متى عرف الشريف الأكبر حقيقة حالهم ويئس من صلاحهم ، وقد ظهر لنا أنه يئس من بقاء الدولة العثمانية أيضاً ولعله لولا هذا اليأس مانهض بهذا الأمر

ذ ـ ان من الناس من يرى ان الدولة ماسلمت من خطر اليأس وعظم الرجاء فيها إلا بدخولها فى هذه الحرب ، إذ صارت به ركنا من أركان أحد الحلفين المعظمين اللذين تتألف منهما الدول الأوربية الكبرى ومشايعاتها من الدول الصغرى ، وقد نقل إلينا المقطم ان من شروط محالفتها لألمانية ان لا تقبل هذه صلحاً إلا بشرط حفظ استقلالها ، والصلح لابد فيه من رضاء الفريقين وإن كان أحدهما مغلوباً ، فاستقلال الدولة العلية مضمون على كل حال ؛ فكيف يعقل أن ييأس منه الشريف وهو من أركان الدولة الذين هم أعلم منا بحالها وبشروط محالفتها التى منها ما ذكر

د — إذا كان فى الناس من يرى ان استقلال الدوله مضمون وان غلبت مع أحلافها فى هذه الحرب ، وكان أعداؤها هم المقررين لشرط الصلح ، فان فى الناس من يرى ان هذا الاستقلال قد زال بالفعل ، وان انتصر الالمان مع أحلافهم وتحكموا فى شروط الصلح ، أما بقاء استقلال الدوله بعد انكسارها وانكسار أحلافها فهو معقول ، وأما الرأى الذى يقابله فى الغرابة وهو زوال استقلالها فى حال انتصارها وانتصارهم فلأصحابه وجه جدير بالتأمل ، وهو أن الدولة قد غرقت فى بحر لجىّ من الديون وخسرت أكثر الشبان العاملين فى المملكة ، وأفقرت الامة كلها بمصادرة أموالها واستنزافها بأسماء متعددة ، وكان عجز ميزانيتها قبل حرب البلقان وهذه

الحرب الثاني أفقرناها وأفقرتنا أمتها يسد باقتراض الملايين في كل عام ؛ وقد زادت ديونها الآن زيادة كبيرة حتى صار ربا الديون يستغرق معظم الميزانية التي لابد أن تنقص عما كانت نقصاً فاحشا ، ومن البديهي أنها لا تجد بعد الحرب من يقرضها كما كانت تجد قبلها ؛ وليس أمامها من الأمم الغنية إلا الامة الالمانية وقد ذهبت قروض الحرب لدولتها ودول أحلافها بمعظم ثروتها ، فلن تقرض دولة وصلت ماليتها إلى حد الافلاس مائلم به شيئا إلا إذا جعلت مالية الدولة وجميع موارد الثروة في المملكة تحت تصرف دولتها يديرها رجال الالمان الماليون والفنيون — فاذا تدبرنا هذا وعلمنا أيضا أن الدولة قد جعلت حربيتها وبحريتها في أيدي الالمان وجعلت تعلم لغتهم إجباريا في جميع مدارس المملكة الاميرية وغيرها ، وتذكرنا أن الالمان يملكون عشرين كيلو متر على جانبي سكة حديد بغداد في خط يمتد من ضفاف البوسفور إلى بغداد ، فأي استقلال يكون للدولة بعد قبض الالمان على إدارة المالية والحربية ، والمعادن والمناجم مع امتلاك هذه الاراضي الواسعة التي تضاهي مساحة مملكتهم ؟

كان لبعض الالمان المقيمين في بلجيكة قبل الحرب ملعب أو ملاعب للكرة يلعب فيها أهل البيت والعيال ، فلما اقتحم الجند الالماني بلاد البلجيك المضمون استقلالها منهم ومن سائر الدول الكبرى ظهر أن ملعب الكرة إنما بني بطريقة فنية هندسية ليكون مركزاً للمدافع الضخمة المكتوم خبرها عن غير أركان الحرب من الالمانيين ، وان المسافة بين الملعب وبين الحصون البلجيكية هي مسافة مرمى تلك المدافع التي دمرت تلك الحصون . فاذا كنا قد استفدنا من عبر هذه الحرب أن ملعب الكرة لعيال ألماني في زمن السلم كان خطراً على الدولة التي ملك الألماني في بلادها ذلك الملعب مع أن دولته ضامنة لاستقلالها ، فهل نتصور أن تسلم من الخطر دولة يملك الالمان التصرف في جميع قواها المالية والحربية والعلمية والفنية ، ويملكون في قلب مملكتها تلك الالوف من الاميال التي هي محل العمران المنتظر فيها ؟

ولدينا عبرة أكبر من هذه العبرة وأظهر وهي ما نقله الينا المقتطف في جزء مارس من هذه السنة من مقالة لكونتس ورك (الاميرة الانكليزية) عنوانها (ملك الانكليز وأمبراطور الالمان) قالت فيها عن الملك ادوارد ما نصه :

« وزارني مرة قبل وفاته بثلاثة أشهر لتناول الشاي عندي ؛ وتكلم عن الادارة الألمانية فقال « لو كانت بلادنا تدار كما تدار ألمانيه لاستفدنا فائدة كبيرة وياحبذا لو حكمنا الألمان المدة الكافية لاصلاح إدارتنا » قال ذلك وصمت قليلا ثم قال وهو يضحك « ولكن المصيبة أنهم إذا أتوا ليحكمونا تعذر علينا الخلاص منهم » وهذا آخر حديث جرى لي معه لأني لم أره بعد ذلك » اه واستدلت الاهرام بهذا الحديث على أن الملك لم يكن يضمر العداء لألمانية . وإثبات هذه القضية هو الذي كتبت لاجله المقالة

فاذا كان هذا الملك السياسي العظيم يقول إن دولته التي هي أعز الدول وأعظمها دهاء وتدبيراً يتعذر عليها الخلاص من الالمان إذا دخلوا عاصمتها لتنظيم الادارة وهي في جزيرة يحميها أقوى أسطول عرفته البحار منذ خلقها الله تعالى ، فهل يتيسر للدولة العثمانية الضعيفة الخلاص منهم بعد ماذكرنا من تصرفهم المنتظر بعد الحرب إن كان لهم الظفر ، وما تصرفهم فيها الآن بقليل ؟

هذا وإن علة الحرب الحقيقية هي التنازع الاستعماري ولم يبق في البلاد القابلة للاستعمار مايشبع مطامع ألمانيا ويتسع مجاله لشعبها الكثير ، وفنونها وصناعاتها إلا البلاد العثمانيه ، وقد كانت دول الاحلاف تعارضها في استعمارها الاقتصادي مع إبقاء الدوله العثمانيه على استقلالها السياسي الصوري ، فاذا انتصرت في هذه الحرب لم يبق لها معارض من الترك ولا من الاوربيين.

ذ ــ والله ان هذا الكلام معقول في نفسه ، ولكن لا يعقل أن يجهله الاتحاديون فكيف رضوا إذاً بموالاة الألمان ؟ أيعقل أن يكون في يد أناس ملك عظيم فيبذلوا دماءهم وأموالهم لاجل إضاعته ؟

د ــ لو كان رجال البيت السلطاني وكبراء علماء الدوله وسروانها من قدماء الوزراء والاعيان هم الذين قرروا بالتشاور بينهم القتال مع ألمانية وتحكيمها في الدوله لكان هذا السؤال أكثر اتجاهاً ، والجواب عنه متعسراً ولاأقول متعذرا . أما وزعماء الاتحاديين هم القائمون بذلك وهم أوشاب لا تعرف لكثير الاسرائيلي الاصل منهم أنساب وصلوا إلى ما وصلوا اليه من الاستبداد بهذا الملك بمساعدة اليهود

الجرمانيين — فالجواب سهل والناس فيهم رأيان يؤخذ من كل منها جواب

سبب تسليم الاتحاديين الدولة للالمان

(الرأي الأول) رأي سمع كثيراً من خصومهم، وهو انهم جماعة من طلاب المال والثروة علمهم أعلم البشر بطرق تحصيلها — وهم اليهود — كيف يكونون من أغنى أهل العصر بسلب ثروة هذه الدولة ثم بيعها لدولة الألمان الغنية ، ويستشهد أصحاب هذا الرأي على صحته بأنهم لو كانوا يريدون بقاء الدولة وتعزيزها لبدءوا عملهم فيها بوضع ماليتها على أساس ثابت يكثر به الدخل ويقل الخروج، ولو أرادوا ذلك لكانوا أقدر الناس عليه بمساعدة أساتذتهم واخوانهم من اليهود الاصليين والدونمه (الذين منهم جاويد بك الذي جعلوه ناظر المالية وفوضوا اليه عقد القروض) ولكنهم اغتنموا فرصة ماسموه (حركة الارتجاع) فعزلوا السلطان عبد الحميد ونهبوا من أمواله وجواهره وتحفه ما تقدر قيمته بالملايين الكثيرة ، وقد حدثني الثقات من أهل الآستانة انهم كانوا يدخلون قصر (يلدز) فيملؤن جيوبهم من تحفه المرصعة بالجواهر حتى ان بعض ضباطهم رؤي بعد امتلاء جيوبه يضع العلب والمسدسات المرصعة وأمثالها في حذائه الطويل (جزمة السواري) ثم اغتنموا فرصة وصول جيش البلغار إلى شطالجه فسلبوا ما هو أعظم من ذلك من جواهر ملوك آل عثمان وتحفهم المحفوظة في قصر قسطنطين إذ زعموا انهم انما يريدون اخراجها من مأمنها وارسالها إلى الاناضول لئلا يدخل البلغار الاستانة فيغنموها ، وقد عقدوا القروض بعشرات الملايين ولهم من كل قرض سمسرة مشهور أمرها وكثر الكلام في الاستانة فيها ، ثم إن ما يصل إلى الخزينة منها يتصرفون فيه بضروب من التصرف منها النفقات السرية التي لا تذكر في الميزانيـة وأعظمها ما يخصص للحربيـة والداخليـة ، وهم يشترون السـلاح والذخائر والثياب والاحذية للعسكر بثمن ويقيدونه في دفاتر الحربية بثمن آخر فيربحون من ذلك مبالغ كبيرة ، والدليل على هذا أنهم أنفقوا في نظارة الحربية خمسين مليوناً من الجنيهات قبل حرب البلقان ثم كان أهم أسباب انكسار جيش الدولة في البلقان قلة الذخائر وقلة الطعام وسائر ما يتوقف عليـه القتال وقد أذكرتنا مصادرتهم للأمة في هذه الايام بما كانوا

يصادرون به الأغنياء منذ صار أمر الدولة فى أيديهم — إذ كانوا يهددون كل غنى بالانتقام منه لانه من الحزب الحميدى الارتجاعى إلا أن يفتدى نفسه بما يناسب مقدار ثروته ، فأخذوا من على رضا باشا الذى كان ناظر الحربية فى العهد الحميدى مئتى ألف ليرة ومن زهدى باشا ٣٠ أو ٤٠ ألف ليرة وعلى ذلك فقس ، ثم انهم فرضوا على كل من دخل جمعيتهم دفع اثنين فى المئة من جميع دخله وذلك فوق مافرضه الله من الزكاة على الاغنياء فيما فضل عن نفقاتهم وبلغ النصاب وحال عليه الحول ، ثم ان الالوف من الذين انتسبوا إلى الجمعية كانوا يكتمون عنهم مايمكن كتمانه من دخلهم ، ومما لايمكن كتمان شيء منه رواتب موظفى الحكومة وقد دخل كلهم أوجلهم فى الجمعية ، وقد باعوا البوسنه والهرسك وطرابلس الغرب بعدة ملايين

فالذين يعرفون سيرتهم هذه بالتفصيل يعتقدون أن زعماء الجمعية لا هم لهم من حياتهم إلا جمع الثروة وهم لايضمنون بقاء الدولة لهم ولذريتهم من بعدهم فلذلك باعوها للالمان بهذه الصفة التى استعملوا فيها جميع قوى الدولة فى قتال أعدائهم ، وستكون كذلك فى أيدى الالمان ان انتصروا يستعملون نفوذ الاتحاديين وقوتهم على السلطان ودولته فى استعمار المملكة العثمانية ويؤيدون الاتحاديين على خصومهم السياسيين من الترك والعرب إلى أن تنشب براثنهم فى كل شيء ويستغنون عن الاستفادة من اسم الدولة ونفوذها الدينى ويأمنون معارضة الدول فيصرحون بازالة هذا الاستقلال الصورى الخادع

(الرأى الثانى) رأى أصدقاء الاتحاديين — وهو مبنى على رواية لا يكاد يعرفها إلا قليل منهم ، سنذكرها فى بيان هذا الرأى ـ وهو أنهم لم يبيعوا المملكة بيعاً ولم يفرطوا بشيء من حقوقها ، وكل ماأخذوه من الاموال الجمعيه قصدوا به ان تكون الجمعيه غنية لتتمكن بقوة الثروة من الفوز على خصومها من رجال العهد القديم المحافظين على التقاليد العتيقة المنافية لما يريدون من التجديد المدنى للدولة والامه ، وخصومها من الاحزاب السياسيه المخالفه لها فى مذهبها السياسى والاجتماعى كفتريك العناصر ونحو ذلك ، وأما ماأعطى لبعض زعماء الجمعيه كالدكتور ناظم وأحمد رضا فهو تعويض عما خسروا فى سبيل الجمعيه ، وما عدا ذلك كسمسرة القروض والامتيازات

فهو قانونى. ولما رأوا أن الدوله ضعيفة فقيرة لا يرجى ان تنهض بنفسها، والأمة التركية جاهلة متعصبة للقديم ولا سيما إذا كان من أمر الدين فلا يرجى ان يكون نهوض الدوله من قبلها ، ولا يمكن ترقيتها هى أيضاً من قبل الدوله والدوله كلاهما على هذه الحاله - لما رأوا ان الدوله والأمة كما ذكر جزموا بأن العلاج الوحيد للدوله التركية والأمة التركية هو أن تتولى دوله أوربية قوية تنظيم الدوله وترقية الأمة وجعلهما كالدول الأوربية والأمم الاوربية من كل وجه ، ولم يجدوا دولة من الدول العظمى ترضى بأن تقوم بهذه الخدمة للترك إلا ألمانية - وهي ارقاهن علماً وقوة عسكرية - فما زالوا يخطبون ودها حتى عقدوا معها اتفاقاً سرياً قبل هذه الحرب بسنين على تكوين دوله تركية جديدة على طراز الحكومات الجرمانية تكون تابعة للاتحاد الجرماني فى السياسة الخارجية والحروب وغيرها مما لم نعلم تفصيله ، وإنما نعلم منه بالاجمال إن الترك يكونون من الألمان بمنزله أبناء عمهم المجر من النسبة ، ولذلك تكثر جرائدهم من المقابلة بين الترك والمجر وتتساءل عما قدم أولئك وأخرهم وهم من أصل واحد !

ومن المعلوم بالبداهة ان مثل هذا الاتفاق لايمكن تنفيذه بصفة رسمية إلا إذا صدق عليه مجلس الأمة من المبعوثين والأعيان ، وان الاتحاديين ما كانوا يجرءون على عرضه على المجلس خوفاً من انتقاض أكثر أفراد حزبهم عليهم وانضمامهم إلى الأحزاب المعارضة وبذلك يقضى عليهم قضاء لامرد له ، فكانوا يمهدون السبيل إلى جعل مثل هذا رسمياً بأعمال كثيرة لا تتم عادة إلا فى سنين كثيرة، لأن السواد الاعظم من الأمة يراه خطراً بل قضاء على استقلال الدوله وعلى دين الأمة ، وقد كان المعارضون فى المجلس أقوياء ومعظم الامة على مذهبهم ولذلك أسقطوا الاتحاديين وانتزعوا منهم السلطة ، ولكن حزب الحرية والائتلاف الذى انتزعها لم يطل أمرها ولا تيسر له أن يكفل وزارتى الشيخين مختار باشا وكامل باشا ، فلذلك تيسر للاتحاديين بقوة ثروتهم وتكافلهم ومساعدة اليهود وألمانيه لهم أن يعودوا إلى انتزاع السلطة من وزارة كامل ؛ ومن الغريب ان انكلتره وروسيه وفرنسه المعارضات لسياسة ألمانيه فى الدوله لم ينصرن الاحزاب المعارضه للاتحاديين ولا وزارتى مختار

باشا وكامل باشا فكان هذا ضعفا منهن من حيث هو رجحان للسياسة الالمانية في الدولة ، وقد كان الميالون الى تفضيل مودة انكلترة ومن عساه يكون معها من الدول على مودة المانية وأحلافها أكثر عددا وأرسخ في الدولة قدما ، ولكنهم خذلوا بخذل الدول التي يميلون اليها للدولة في حرب البلقان .

والكلام في إيضاح هذا الرأي بتفصيل المسائل التي تتعلق به يطول فنكتفي منه بما لانخرج به عن موضوعنا ، وملخصه أن الاتحاديين متفقون مع الالمان من قبل هذه الحرب بسنين على وضع زمام الدولة بأيديهم ليرقوها بعلومهم وفنونهم العسكرية وغيرها فكانت هذه الحرب وسيلة لتنفيذ ذلك الاتفاق السري الذي كان يظن أنه لايمكن تنفيذه الا بعد تمهيد السنين الطوال له كما قلنا آنفا . واني قد سمعت خبر هذا الاتفاق السري في الآستانة إذ كنت فيها سنة ١٣٢٨ ممن يظن اطلاعهم على مثل ذلك وهم قليل ، والمخالفون منهم للاتحاديين كانوا يظنون أن تنفيذه مستحيل ولهذا كنت جازما عند وقوع الحرب بأن الدولة ستدخل فيها قطعا اذ كان سفير الانكليز في الآستانة ورجال حكومته في لندن يظنون أن بين زعماء الاتحاديين خلافا في ذلك وان بعضهم يميل اليهم والى أحلافهم — كما علمنا ذلك من الكتاب الابيض بعده فكان خداعهم للاحلاف في هذه الحال وخداعهم لفرنسة قبله إذ أقرضتهم عشرات الملايين مما يفخرون به وما هم في هذا الفخر بملومين

مكان زعماء الاتحاديين من الدين

ذ — يظهر أن زعماء الاتحاديين قد أوتوا حظا عظيما من الذكاء فكيف خفي عنهم ماقررت من الخطر على الدولة في تسليم أزمة أمورها الالمان ، وكيف خفي عنهم الفرق بين الترك والمجر حتى ظنوا أنهم يمكن أن يكونوا من الالمان بمنزلة المجر من النمسة ؟ ألم يعلموا أن المجر يشاركون النمسويين بأعظم المقومات الاجتماعية وهو الدين فلا يمكن أن يكون الترك المتعصبون في الاسلام الذين تمثل دولتهم الخلافة الاسلامية متحدين بالالمان المتعصبين في دينهم المجدين في تنصير المسلمين في مستعمراتهم الافريقية ومنع انتشار الاسلام فيها كما علم ذلك من الاوراق التي اكتشفها الانكليز هذا العام في نواحي الحكام الالمان بذلك : وقد تذكرت بها كلاما لقيصر الالمان في هذا

المعنى فنشرته الجرائد منذ سنين أظن أنه فى الحث على اتفاق مبشرى الألمان البروتستنت مع الكاثوليك على تنصير المسلمين (١

د ـ اعلم أيها الاستاذ أن زعماء الاتحاديين الذين كلامنا فيهم ملاحدة لا يدينون دين الاسلام ولا غيره ، وهذا ثابت من أقوالهم وأفعالهم يعرفه جماهير العلماء والكبراء فى الآستانة وغيرها وجميع السياسيين فى أوربة ، وهم يتمنون خروج الشعب التركى من الاسلام ولو بالتدريج الممكن الى الوثنية بشرط أن يبقى تركيا ، لانهم يظنون أن الاسلام هو العلة المانعة من مساواته للشعب المجرى وغيره من الشعوب الاوربيه . ويشاركهم فى هذا الرأى غيرهم من ملاحدة الترك . ولما كنت فى الآستانة نشرت جريدة (إقدام) الشهيرة ـ وكانت معارضة للاتحاديين ـ مقالة فى المقابلة بين الترك والمجر ، وتساءلت عن سبب ما بينهما من الفرق فى العلم والمدنية مع الاتفاق فى النسب ، ورغبت الترك فى التشبه بالمجر وسلوك طريقتهم والاتحاد بهم .. وقد رغبت يومئذ الى السيد الزهراوى رحمه الله تعالى فى كتابة رد عليها يقال فيه إن أعظم الفروق بينهما الدين واللغة فهل تنصح الترك بأن يتركوهما معا ليكونوا كالمجر فى كل شىء أو يتركوا الدين الاسلامى أو

١) المنار : اننا نشرنا فى ص ٧٢٠ م ٧ انه كتب الينا من بعض المستعمرات الالمانيه أن ألمانيه تكره الناس هنالك على التنصر وتغرى العداوة بين العرب المهاجرين الى تلك المستعمرة وبين الاهالى لان العرب أشد تمسكا بالاسلام وجذبا اليه ، وجعلنا هذا العمل مرشدا الى تفضيل انكلترة على ألمانية ثم نشرنا فى ص ٧٩٩ منه أنه كتب الينا من دار السلام ان حكومتها الالمانية هدمت مسجدين للمسلمين وتضطهد العرب وتمنعهم من ركوب السيارت الحسنة . ومن الغريب أن وكالة ألمانيه السياسيه بمصر بلغتنا بعد نشر ماذكر ببضعة أشهر أنها كتبت الى دار السلام تسأل حكومتها عن حقيقة ماعزى اليها وأنها أجابت بأن منع العرب من ركوب المركبات لا أصل له ، وأن هدم المسجد كان بطلب المسلمين لبعده عن بيوتهم ، وأن الحكومه بدلتهم به مكانا آخر قريبا وأعطتهم مالا وافراً . ولكنها لم تكذب خبر التنصير بالاكراه الذى نشر فى جزء آخر.

اللغة التركية لاجل ذلك ؟ فقال ان الحكومة لا ترضى بنشر مثل هذا . وكان الاتحاديون يتقربون الى الاوربيين بالالحاد وبمكاشفتهم باعتقادهم أن البقاء على الاسلام مانع من ترقي الترك . واجتهدوا في استمالة نصارى السوريين اليهم بهذ وبايهامهم أن العرب المسلمين لن يتفقوا معهم لتعصبهم الديني

أما مذهب الاتحاديين السياسي فهو انشاء دولة تركية محضة متحدة بالتحالف الجرماني ، وان الترك لا يمكن أن يندغموا في الجرمان بسبب هذا الاتحاد بحيث يفنون فيهم لأن المحافظة على اللغة التركية تمنع من فناء الشعب التركي المؤلف من عشرات الملايين في الشعب الألماني أو غيره

ذ ـ أين عشرات الملايين من الترك والمشهور انهم لا يكادون يبلغون في الدولة ستة ملايين ؟

د ـ انهم يعدون مسلمي القوقاس وتركستان منهم ويظنون انهم سيأخذون هذه البلاد بقوة ألمانية ، وأنهم لا بد أن يكرهوا جميع الشعوب العثمانية على ترك لغاتهم إلى اللغة التركية حتى العرب وبذلك يكون لهم امبراطورية كبيرة منظمة على النمط الألماني ، ومن أمانيهم في هذا الخيال أن يملكوا مع الألمان الشرق أو العالم كله ، وأما الخلافة الاسلامية فيستخدمون نفوذها الديني في سياسة وحروبهم إلى أن يتم لهم افناء الأمة العربية وتكثير النابتة التركية التي يربونها الالحاد وتحريف الاسلام عن أصله بجعل القرآن تركياً وتفسيره بمثل ما رأيناه كتاب (قوم جديد) وغيره من كتبهم ، ويستغنوا عن مخادعة المسلمين والاستفادة منهم باسم الخلافة والاسلام ، فعند ذلك ينبذونها نبذ النواة ، ويجعلون يوم إلغائها عيداً من الأعياد ، فحاجتهم اليها مؤقتة كحاجة أحد ظرفاء السوريين إلى البرنيطة

ذ ـ بعيشك فكهنا بخبر برنيطة هذا السوري الظريف لعله يدفع عني الرعب الذي كاد يساورني من تصور هذا الخيال التركي الاتحادي الغريب

د ـ هو الدكتور . . قال انه يلبس البرنيطة لأنها تزيد في ربحه وفي احترامه كما ثبت له ذلك بالتجربة ، وإنه يتمنى أن يستغني عنها ، وقد وعد أصدقاءه بأن يدعوهم عندما يثبت عنده ذلك الاستغناء إلى احتفال عظيم حتى إذا ما انتظم

اجتماعهم يوقد ناراً يحرق بها البرنيطة أمامهم ويرثيها بأحسن مما رثى به الفارياق حماره ، ويسمى ذلك الاحتفال احتفال احراق البرنيطة

ذ - أود أن تخبرني ببعض ما لديك من الدلائل التي لا تحتمل التأويل على كفر زعماء الاتحاد ، فإن بعض مايدل على ذلك قد يحتمل التأويل ، وهذه مسألة لا يجوز الأخذ فيها إلا باليقين

د - إن ما عندي في ذلك كثير جداً إذا أردت بسطه ودفع ما يمكن أن يورد عليه من الشبهات فلا يتم لي ذلك إلا بتأليف سفر كبير ، وإذا أردت أن أحصي في هذا الباب جميع ماأعلم من أقوالهم وأفعالهم المنافية للدين ، وما نشروه في كتبهم الجديدة وصحفهم من العبارات المنفرة عن الاسلام أو الدالة على مذهبهم السياسي الذي ذكرته آنفاً - فلا بد لي من تأليف عدة أسفار ، ولا بد أن تكون قد قرأت ماترجمناه من كتاب (قوم جديد) في - ص ٥٣٩ - ٥٤٤ م ١٧ - سنة ١٣٣٢ من المنار [1] ورأيت كيف حرف فيه القرآن وجعل الصيام والصلاة والحج والزكاة والعمل بكتب فقه الأئمة الأربعة هو دين قدماء المسلمين الذين يعبر عنهم بكلمة (قوم عتيق) وصرح بعدم جواز العمل بتلك الكتب وعلل ذلك بأنها مملوءة بالنفاق والشقاق ، وبين في مقابل ذلك أركان دين (قوم جديد) وهي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد مالا وبدناً والسعي لاعداد لوازم الحرب بالاتحاد تحت راية الخلافة الاسلامية العثمانية . وصرح بكفر جميع المسلمين من رعايا دول النصارى والذين تحت حمايتهم ، وبأن المسلمين الحقيقيين هم الذين حاربوا في البلقان « تحت إمرة أنور ورضا وأسعد وجاويد ورؤف صلى الله تعالى عليهم وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة » ثم صرح بأن عدد الذين ينتمون الى الجمعية في حرب البلقان لا يتجاوز مئة ألف وهم المسلمون الحقيقيون قال « أما الباقون فكانوا من المرتدين المنتمين إلى الائتلاف (أي حزب الحرية والائتلاف) والبطر كخانات ، وهو يفضل أنور وطلعت وجمال وغيرهم

(١) نشر المقطم مقالة لبعض العرب العثمانيين في هذه السنة ذكر فيها بعض الجمل من هذا الكتاب فظن بعض الناس ان ذلك قول مخترع ، وقد ذكر هذا الكتاب في الجزء الثاني من منار سنة ١٣٣٢ الذي صدر في يناير سنة ١٩١٤

من زعماء الجمعية على الخلفاء الراشدين وجميع الأئمة والأولياء الصالحين ، بل هو يقدس جميع الترك التابعين لهؤلاء الزعماء بمثل ما تراه فى تلك النبذة المترجمة منه (ص ٥٤ م ١٧) فانه بعد مخاطبته للترك بأن الله قدسهم وبأن تعظيمهم لخلفاء العرب ووضع أسمائهم فى المساجد بعد إذلالا لخلفاء الترك «الذين قدستهم الأحاديث النبوية بزعمه ، وبعد إنكاره عليهم تعظيم الأولياء من العرب كالجيلانى والبدوى وغشهم للترك بأنه سيخرج من العرب مهدى ، بعد تفصيل هذا وزعمه إنه تحقير للترك قال « أما سمعتم الآية (والعاديات ضبحا) فان الله قدس بهذه الآية الجيوش التركية ، فخيول هذه الجيوش هى أشرف وأقدس أضعافاً مضاعفة من شرافة وقداسة رؤساء وأشراف الشعوب الأخرى الذين تقدسونهم وتحترمونهم » اهـ وليس هنالك رؤساء شعوب كثيرة يحترمهم الترك بل رؤساء شعب واحد وهو الشعب العربى — الذين ذكر انهم يعلقون أسماءهم فى المساجد وهم : النبي ﷺ والخلفاء الراشدون الأربعة والحسن والحسين رضوان الله عليهم .

وقد جعل الاتحاديون عبيد الله افندى مؤلف هذا الكتاب مدرساً فى جامع آيا صوفية لينشر هذه الأفكار فى شهر رمضان وجعلوا حوله الجلاوزة والشرطة (البوليس والضابطة) يحمونه من اعتداء المسلمين عليه ، ولكن من يطعن فى جمعيتهم أو بعض زعمائهم فلا جزاء له إلا القتل اغتيالا أو صبرا أو بمحاكمة قضائية أو عرفية ،

ذ — ان مؤلف هذا الكتاب مجنون أو معتوه ، وتحريفه القرآن أشد تشويهاً وأظهر بطلاناً من تحريف الباطنية ، فكيف يظن هو وزعماء الاتحاديين أن مسلمى الأتراك يتلقونه بالقبول فيؤثر فى نفوسهم ؟

د — حقاً ان هذا الرجل يكاد يكون مجنوناً ، ويحتمل أن يكون سبب غلوه هذا عن خبث ودهاء ، والذى يظهر لى أن لهم فى مثله غرضين (أحدهما) فتح باب الجرأة لملاحدة الترك على التصريح بالكفر قولا وكتابة ليكون مجال القول عندهم واسعاً فى الطعن فى النبي ﷺ وفى الخلفاء الراشدين وأئمة آل البيت النبوى وأئمة الفقه والصوفية ، ولهم كتاب آخرون سلكوا غير هذه الطريقة فى هذا الباب كالدكتور عبدالله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) التركية وأحد مؤسسى

جمعية الاتحاد والترقي الأولى فانه يترجم بالتركية مطاعن (كايتاني) المؤرخ الايطالي في النبي ﷺ ونشر كتابه في هذه السيرة التي شوه جمالها وانتقص كمالها ببهتانه وسوء تأويله ، فكان له رواج وتأثير قبيح عند طلبة مدرسة الطب وغيرهم في الآستانة (والغرض الثاني) نشر ذلك بين عوام الترك الذين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه لعلمهم بأنهم يقبلون كل كلام يقرأ عليهم في كتاب ، وتؤيد فيه المسائل بما يسند إلى الله ورسوله من الآيات والاحاديث مهما تكن محرفة ، والكلام في هذه المسألة يطول فأكتفي منه في هذا المجلس الذي طال عليك بروايتين عن علماء الاستانة وبعض القضاة الاتحاديين (الرواية الأولى) كان اسماعيل حقي المناسترلي (رحمه الله تعالى) من أشهر علماء الترك في الآستانة وهو الذي ترجم (الرسالة الحميدية) بالتركية ، وكان واعظا في جامع (آياصوفية) ومدرساً في دار الفنون (المدرسة الجامعة التركية) وهو الذي صلى بالسلطان محمد رشاد إماماً الجمعة في (قصوه) عند زيارته لها ، وكان الاتحاديون بعد الدستور جعلوه عضواً في مجلس الاعيان وجعلوا ولده كاتب السر لطلعت بك ، فكان جمهور علماء الآستانة يصفونه بالنفاق بدعوى أنه مال إلى الاتحاديين وأنه لا ينكر عليهم فيظن العوام أنه راض عنهم ، ولكن هذا الشيخ الكبير العالم الذي عرفته حق المعرفة ووثق بي كان لا يعبر عن الاتحاديين في الحديث معي بداره إلا بلقب «الملاحدة» وقد سألني عن رأيي في فطين افندي: أمسلم هو أم زنديق ملحد؟ فقلت: ما الذي أثار هذه الشبهة في نفسك حتى شككت في إيمان رجل من أهل العلم؟ فقال: يا سيدي يظهر لنا أن الجمعية تثق به ثقة تامة . فهذا العالم الجليل المختبر لهم حق الاختبار كان يعتقد أنهم لا يثقون ثقة تامة بمؤمن مسلم أما فطين افندي هذا فهو من (الصفطاه) طلاب العلوم الدينية وقد عني بالعلوم الرياضية فصار مديراً للمرصد الفلكي الذي أنشيء في ضواحي الآستانة وهو ذو همة ونشاط ، وظني فيه أنه كان يريد استخدام نفوذ الجمعية لبعض المقاصد التي يراها نافعة فيخدمها لهذا خدماً نافعة ويقوم أنه قد يقوم بعض اعوجاجها كما يعلم من الواقعة التي أقصها عليك:

لقيت فطين افندي مرة يتكلم مع (الدكتور ناظم) المرخص المسئول للجمعية وأعظم رجالها نفوذاً فيها ، فلما أقبلت عليهما قال الدكتور هذا فلان يحكم بيننا ، ثم قص علي أنه اختلف مع الدكتور في مسألة مهمة قال: الدكتور يقول إنه يستحيل علينا

الترقى المطلوب إلا إذا نبذنا كل قديم، اتبعنا خطوات فرنسه (؟) فى تجديد شباب الدولة والملة (أى الأمة) وأنا أقول اننا محتاجون إلى اقتباس الفنون عن الاوربيين عامة لا عن فرنسه خاصه لأجل ترقية صناعتنا وحربيتنا وماليتنا ، وأما الامور المعنويه كالآداب والفضائل والشرائع فاننا نقتبسها من ديننا وما عندنا فيه أكمل مما عند غيرنا وهو خير لنا ، ولكن الدكتور قال إن هذا كله قد صار رثاً باليالا ينفع فلابد من التجديدفى كل شيء ، هذا ملخص حديثهما ولاحاجة إلى بيان ماأبدت به رأى فطن افندى بل أقول لك إننى أكبرته من ذلك اليوم ، ولكن العبرة فى شك الشيخ اسماعيل حقى فى عقيدته لأنه رأى أن زعماء الجمعية يثقون به وإن لم يعرف درجة هذه الثقة ، وقد عرفت رأى جمهور علماء الآستانة فى اسماعيل حقى هذا ، وكذلك رأيت كثيراً من المتدينين يعتقدون أن زعماء الجمعيه كلهم ملاحدة لادين لهم ، ومن هؤلاء كثيرون كانوا محافظين على الانتساب إلى الجمعية يرون أن فى هذا خيراً لهم أو مصلحة للدولة والأمه ، ومنهم ألوف تركوها إلى حزب الحرية والائتلاف .

(الروايه الثانيه) لما جئت بيروت عائداً من الهند إلى مصر من طريق العراق وسوريه زارنى قاض من قضاة الترك الاهليين ببيروت اسمه (شوكت بك) كان كثير اللهج بالجامعه الاسلاميه وإيهام مسلمى بيروت وغيرهم أن الاتحاديين يرمون بسهامهم إلى هذه الجامعه ، وكان ذلك فى عهد وزارة مختار باشا والناس يجاهرون بلعن الاتحاديين ولا سبيل إلى استمالتهم اليهم إلا بايهامهم انهم يخدمون الاسلام ويجتهدون فى جمع كلمة أهله ، فكان أول حديث شوكت بك معى — بعد مجاملة السلام — السؤال عن مسلمى الهند وإظهار الاهتمام بشأنهم . وانتقل من ذلك إلى مسألة الجامعه الاسلاميه ومايزعمه من ميل الاتحاديين إليها ، فقلت له : ان فاقد الشيء لا يعطيه ، فاذا كان الاتحاديون أنفسهم ملاحدة غير مسلمين إلا فى الاسم فقط فكيف يقومون بهذه الخدمه فى الاسلام . قال : إن الحكم عليهم جميعهم بالالحاد فيه مبالغه ولعل الملحدين منهم لايزيدون عن ثلاثين فى المائه قلت : الظاهر أنك أسوأ ظنا منى فيهم ، فأنا أعنى بمن حكمت عليهم بالالحاد زعماءهم لاجميع من انتمى إلى الجمعيه ، فان لى أصدقاء كثيرين ممن دخلوا فى هذه الجمعيه لا ريب عندى فى إسلامهم ولا فى

صلاحهم ، منهم من تركها بعد العلم بحقيقة حالها ومنهم من يرى من المصلحة العامة أو الخاصة بقاءه فيها ، وقد صرح لي بذلك كثير منهم . وذكرت له إنني اختبرت أكبر أولئك الزعماء بنفسي في الآستانة ووقفت على ما كان من اختبار أصدقائهم وغير أصدقائهم لهم ، وذكرت له رأي الزعيم الاكبر الدكتور ناظم الذي ذكرته في الروايه الاولى قال نعم إن الزعماء لادين لهم «دين سز» ولكن مسألة الجامعة الاسلامية تفيد الدولة فائدة سياسيه عظيمه فهم لذلك يهتمون بأمرها، قلت: إنني أعلم انهم يشتغلون بتأسيس جامعه تركيه لا اسلاميه عامه وقد بثوا دعاتهم لهذه الجامعه في القوقاس وتركستان ... ولو كانوا يريدون الجامعه الاسلاميه لاعتنوا بتعليم اللغه العربيه ونشرها ولكنهم مجتهدون في إماتتها، وكيف يتعارف المسلمون بغير لغة يتفاهمون بها . إنني طفت كثيراً من ممالك الهند فلم أدخل بلداً منها إلا ووجدت فيه كثيرين يتكلمون معي بالعربيه ، ولا يكاد يوجد فيها أحد يعرف التركيه ، ولا توجد داعية تحفزهم لتعلمها، وأما اللغه العربيه فداعية تعلمها الدين ، وهي تزداد في هذه الايام انتشاراً في الهند وجاوه إلخ

(خلاصة المحاورة وفصل الخطاب فيها)

ذ — لقد أطلت عليك وأخذت حظاً عظيما من وقتك ، وقد اقتنعت مما سمعت منك بأن هؤلاء الاتحاديين ملاحدة لايدينون بدين وأنهم مغرورون يسوّل لهم الغرور أنهم يستطيعون أن يهدموا بناء هذه الدوله وهذه الأمة ثم يبنونهما بناء آخر زينه لهم اليهود ووضع رسمه لهم الالمان ، وأن ذلك يتم لهم في سنين معدودات ، ولذلك لم يسلكوا طريقة التدريج التي مضت بها سنة الله في خلق الارض والسموات ، وأحب أن تلخص لي كلامك بجمل مختصرة

د — : (١) إن الشريف أمير مكة المكرمه يعتقد أن الاتحاديين ملاحدة يكيدون للدين الاسلامي على مالهم فيه من المنافع السياسيه والماليه فمثلهم كمثل المعتصم في حصن لعدوّ له وهو يرى أنه لابد له من تركه ويخشى أن يصير إلى عدوه فهو على انتفاعه ببنائه وبما فيه من الخيرات يضع الالغام تحته لينسفه عند ارادة تركه

(٢) انه يعلم أيضاً انهم أشد الناس عداوة للعرب وان بغضهم لهم أشد من بغضهم للروم والارمن لسببين ، أحدهما انهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ،

وثانيهما أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عددا ، وأنه قد وجد فى بلادهم الحضرية كثير من أصحاب المعارف العصرية والافكار النيرة وما زالت بواديهم والبلاد التى هى أقرب إلى البداوة ذات بأس شديد وقوة حربية لا يستهان بها . فلا يتم لهم ما يتخيلونه من تأسيس دولة تركية لادين لها لأمة تركية محضة إلا إذا أبادوا هذا الشعب العربى الكبير الناصر للاسلام ، ولذلك عقدوا النية على تتريك بلاده الخصبة المتصلة بالقوة القاهرة وعلى إذلال أهل الجزيرة العربية الاشداء باضعافهم ونزع السلاح منهم وإلقاء العداوة بينهم ، وجعل بلادهم المقدسة تحت سلطة عسكرية اتحادية لادين لها حتى لا يستطيعوا أو يقوموا بعمل دينى ولا دنيوى

(٣) أن الشعب التركى غيور على الاسلام وشديد التعصب له وقد عرف عنه من المبالغة فى التعصب مالم يعرف مثله عن العرب ولكن خضوعه للقوة التى تسود عاصمة بلاده أتم من خضوع سائر الشعوب العثمانية ؛ بل هو شعب لا يعمل الا بالقوة العسكرية ولا تعمل به الا القوة العسكرية ، وقد غلب حزب ملاحدة الاتحاديين حزب العلماء وجميع الاحزاب السياسية العثمانية بقوة الجند والمال كما علم من كلامنا السابق ، فلم يعد الشريف يرجو من اسقاط قوة الاتحاديين أعداء الاسلام والعرب بقوة الاحزاب التركية ماكان يرجوه من قبل ، فانحصر وجوب مقاومتهم فى العرب وحدهم

(٤) أن الشريف يعلم كما يعلم العارفون وكل من له إلمام بأحوال الدولة ان ملاحدة الاتحاديين قد سلبوا سلطان الدولة وخليفتها نفوذه وجميع حقوقه حتى ماهو مدون فى قانونهم الأساسى ، فأصبح المسلمون بغير امام شرعى لاحقوقى مستوف للشروط الشرعية ، ولا متغلب يطاع لضرورة جمع الكلمة ، وانما المتصرف فى الدولة جمعية الاتحاد والترقى الملحدة ، فالسلطان محمد رشاد لا نفوذ له الآن فى المملكة ولا فى قصره ، ويسميه أهل الآستانة (المهردار) الجمعية ؛ أى صاحب الختم الذى وظيفته أن يختم لها كل ماتأمر بختمه من الاوراق ، وهم لا يسمحون له بأن يختار رئيس الكتاب وأمين السر له حدثنى بمصر بك أحد سراة الآستانة الكبار عن رجل من أعضاء البيت السلطانى أنه كان بقرب السلطان فى حفلة قراءة المولد النبوى الشريف فى قصر (ضولمه بغجه) فرأى (الباشكاتب) قد جلس متكئا والسلطان منتصب بغاية الأدب خوفا منه

وكبر سنه فلما رآه السلطان قد اتكأ قال متبرماً : إذا كان هذا ... (نسيت اللقب القبيح الذي ذكره به) لايحترمني أفلايحترم حضرة فخر الكائنات صلى الله عليه وسلم؟

(٥) أن الشريف يعلم أن هؤلاء المتهورين قدعرضوا استقلال الدولة للزوال، وأن الخطر عليها في انتصار الالمان أشد من الخطر عليها في انتصار الحلفاء ، فان الظاهر أن الحلفاء يرضون باستقلال بلاد العرب ، ويظن أيضا أنهم يرضون بجعل الولايات التركية إمارة أو سلطنة تركية مستقلة ، فغاية انتقامهم من هذه الدولة أن يجعلوها أجزاء بعضها مستقل بنفسه تمام الاستقلال وبعضها مستقل تحت حماية بعض الدول، كالولايات الارمنية، الظاهر أنها تكون تحت حماية روسيه، ويقال أنهم لابد من أخذ شيء منها لأنفسهم وتختلف الاراء في مصير الآستانه . وليس هذا من موضوع حوارنا

(٦) أن ملاحدة الاتحاديين شرعوا في تنفيذ خطتهم باذلال العرب التي هي مقدمة أو علة لاذلال الاسلام كما ثبت في الحديث الصحيح عند أبي يعلى « إذا ذلت العرب ذل الاسلام » فبدؤا بالعراق والشام ثم مدوا براثنهم الى الحجاز ، فاضطر الشريف الى دفع شرهم عن العرب بمقاومتهم في الحجاز واستقلاله بالسلطة فيه من دونهم لمجموع ماتقدم من الأسباب .

ذ - يظهر مما قررته أنه لا يعد مقاومته للاتحاديين خروجا على السلطان ولا عداء للدولة نفسها لانه يرى انهم جانون على الدولة والسلطان قبل جنايتهم على العرب في الحجاز وغيره

د - نعم هذا هو الظاهر بل المتيقن ، ومن وقف على الحقائق يرى أن الشريف قام بأعظم خدمة للاسلام والمسلمين ، وذلك أنه لما رأى الخطر قد أحاط بالدولة كما هو واضح مما شرحته كان من الضروري أن يخاف وقوع القضاء بها فجأة فيكون حرم الله وحرم رسوله وسياجهما من جزيرة العرب مما يسقط بسقوطها، وتزول السلطة الاسلامية عنهما وعن غيرهما مدة فترة السقوط أو مدة أطول منها يكون الحرمان وغيرهما فيها من قبيل التراث الذي يحكم فيه الفاتحون بما يشاؤون . فهو باستقلاله هذا قد جعل الحجاز تحت سلطة اسلامية خالصة ، ويوشك أن يكون [illegible] مقدمة لدولة عربية اسلامية كبيرة ، وماذكره الأستاذ في أوائل حديثه [illegible]

أمراء جزيرة العرب وكونه يحول دون تأسيس دولة عربية عزيزة غير مسلم ؟ فالموادة بين أمراء الجزيرة وزعمائها لم تكن منذ قرون كثيرة خيراً منها الآن ، فلم يبق بين أحد منهم شيء من ذلك العداء إلا ما بين امام اليمن والسيد الادريسي ويرجى أن يقدر الشريف على تلافى ذلك وعقد اتفاق بين الجميع على قاعدة (اللامركزية)

وصفوة القول إن استقلاله هذا لا ضرر فيه على الدولة العثمانية ولا على الأمة التركية ، وإنما هو كبح لجماح هذه الجمعية الباغية على الاسلام والدولة والعرب ، فان سقطت الدولة فى هذه الحرب لم يكن استقلال أمير الحجاز أحد أسباب سقوطها وإن سلمت من الحرب ومن هؤلاء الملاحدة وعادت دولة اسلامية قوية لم يكن ما تقدم من استقلال الشريف مانعاً من العودة إلى الوفاق والاعتصام ، هذا ملخص ما عندى فى هذه المسألة ، فاذا كان لديك أسئلة أخرى فلتكن فى زيارة أخرى .

انتهت المحاورة مع الاستاذ بما ذكرنا من الاقناع وكذلك المحاورات الأخرى فى الجملة

فخلاصة ما وقفنا عليه من الآراء فى المسألة العربية واستقلال الشريف الأكبر أن المسلمين هنا لا يرتاحون إلى هذا الاستقلال إلا إذا أمكن أن يستتبع تأسيس دولة عربية قوية مستقلة تمام الاستقلال لا نفوذ فيها لدولة أجنبية يضعف استقلالها ، ولكن منهم من يشك فى امكان ذلك ومنهم من يشك فى سهولة حصوله دون امكانه ، ولكل منهم دلائل نظرية لا يتسع هذا الجزء لبسطها ان كان من الممكن نشرها

ثم ان كل فرد ممن تكلمنا معهم أنصف الشريف فى استحسان وقوفه بهذا الاستقلال عند حد منع الضرر عن أهل الحرمين وغيرهم من العرب عملا بما ثبت عنده من نية الاتحاديين بحيث كان استقلاله غير مضعف للدولة إلا بقدر ما يجنى عليها الاتحاديون إذا أرادوا الاستمرار على قتاله بجيوشها المنظمة وتيسر لهم ذلك ، فعمل الشريف يصدق عليه أنه إما ان ينفع نفعا عاما أو خاصا بالحجاز وإما أن لا يضر، ولا يوجد عاقل ينكر مثل هذا أو يذمه ، وكل مسلم عرف كنه سياسة الاتحاديين فى الاسلام صار عدواً لهم وأقدم أعدائهم فى هذا علماء الآستانة والمتدينون فيها وفى سائر بلاد الترك ، وما كان مسلمو العرب إلا متأخرين عنهم فى ذلك . وكل عربى مصرى أو غير مصرى عرف كنه سياستهم فى العرب صار عدواً لهم ، وأقدم من عرف ذلك السوريون المسلمون ثم غيرهم

منهم ومن العرب ، ولو كان المصريون يصدقون أخبار المقطم والأهرام عن فظائعهم في سوريه لأجمعوا على ذلك ، وقد انفتحت لهم أبواب أخرى للاقتناع . وما قلت لأحد منهم ان ما أتاه جمال باشا من التقتيل والتصليب والتغريب عن الوطن ثبت عندى من طريق الأسرى العثمانيين ومن طريق أمريكه وأوربه ، ثم من طريق الحجاز إلا قبلوه مذعنين ، ولعنوا جميع الاتحاديين ، وسيأتى يوم يصدق فيه الجميع هذه الاخبار ولعله ليس ببعيد .

السيد عبد الحميد الزهراوى

كان الشهيد السعيد نابغة من نوابغ السوريين ، لا يكاد يلزّ به فى مجموعة مزاياه قرين ، ماعرفت بلاده كنهه ، ولا قدرته قدره ، على انها لم تقصر فى تعظيمه وتكريمه ، وفى الاحتفال له والحفاوة به أيام سفره وأيام قدومه ، اذ عرف الجمهور منه فى أواخر سنىّ حياته كما كان يعرف الآحاد ، انه أحد أشراف البلاد المنصرفين لخدمة الأمة بكفاءة واستعداد ، من معرفة المصلحة وفصاحة اللسان ، وقوة الحجة وجرأة الجنان ، وما كان لعقل الجمهور أن يدرك كنه المزايا والفضائل التى بها كان الزهراوى فى حقيقة جوهره من الحكماء الربانيين ، والفلاسفة الاجتماعيين ؛ وإن قضت عليه الأيام بالانتظام فى سلك السياسيين ، تلك الفضائل التى عرفها له كل من عرفه من العقلاء المنصفين ؛ وهى استقلال الرأى وصدق القول وقوة الارادة والاخلاص فى العمل وإيثار الحق على الهوى ، وتوجيه الهم والهمة إلى المصالح العامة ، وترجيحها عند التعارض على المنافع الخاصة ، بل لم نعلم عنه انه اشتغل فى طور من أطوار حياته لمنافعه الخاصة ، وإنما نعلم عنه انه بدأ حياته العملية منذ بلوغ الرشد بانشاء (جريدة المنير) السرية التى كان يطبعها فى حمص بمطبعة الجلاتين ويوزعها فى البلاد السوريه سراً لخدمة جمعية الاتحاد والترقى الاولى والسعى معها لانقاذ الدولة من الادارة الحميديه المستبدة ، فعلق بالسياسة من ذلك الحين وظل مشتغلا بها طول حياته

كان بيننا وبين هذا الصديق العزيز تشابه فى النشأة والتربية ، ومشاكلة فى

الاستعداد والغريزة ، وتقارب الفكر والرأى ، تعارفنا به بالمكاتبه قبل اللقاء ، ثم كان بعد اللقاء كالمحبة والوداد ، لم يزدد بالمعاشرة إلا ثباتاً ورسوخا ، كان كل منا ميالا إلى الاشتغال بالاصلاح الدينى والاجتماعى وعلاقة ذلك بالسياسة لاتخفى ، ولكن تيسر لكل منا من أمر الاشتغال بالسياسة أو الاصلاح مالم يتيسر للآخر ، إذ كانت هجرتنا إلى مصر وهجرته إلى الآستانه

وفى سنة ١٣١٥ التى أنشأنا فيها المنار كان هو محرراً فى إدارة جريدة (معلومات) العربية فى الآستانه ، وكان مايكتبه فيها موافقا لمشرب المنار ، ووقع بيننا مايشبه المناقشة فى المسائل الاصلاحيه (راجع ص ٩٥٠ من الطبعه الثانيه لمجلد المنار الاول) ثم نفته أفكاره من الآستانه إلى وطنه ، وفى سنة ١٣١٩ كتب وهو فى دمشق الشام تحت المراقبة السياسيه رسائله الاصلاحيه الثلاث (الفقه والتصوف) التى نشرناأولها فى المجلد الرابع من المنار ثم قرظنافيه المجموع لما طبع على حدته فى مصر ، وقد كانت هذه الرسائل أشد مما كنا نكتبه فى موضوعها نقداً على سعة الحريه هنا وشدة الضغط هناك ، فهاجت عليه حملة العمائم فى دمشق ، وأشد ما أنكروا عليه فيها القول بالاجتهاد وبطلان التقليد ، فهيجوا عليه الحكومه فاعتقلته فى الشام ثم أرسل إلى الآستانه ، ولم يكن سبب ذلك التشديد عليه ، والاغضاء عمن اتهموا بالقول بالاجتهاد وابطال التقليد معه غيرة من الحكومه على الفقهاء والصوفيه ان يوجه اليهما انتقاد ، ولا مجرد الارضاء لعصبية الحشويه الجامدين فى الشام ، وإنما سببه الباطن انه كان نشر فى المقطم مقالة فى الخلافه بامضاء (ع . ز) وهو إمضاؤه الرمزى لكل ما كان ينشره بمصر ، وقد وجدت تلك المقالة معه عند القبض عليه وحاول تمزيقها . وقد أشار الاستاذ الامام إلى هذه الواقعه فى فصل (الاسلام اليوم) من كتاب (الاسلام والنصرانيه) وإننا نذكر عبارته هنا لما فيها من تأييد هذا الصديق الشهيد وهى :

ألم يسمع بأن رجلا فى بلاد اسلاميه غير البلاد المصريه كتب مقالا فى الاجتهاد والتقليد وذهب فيه إلى ماذهب إليه أئمه المسلمين كافه ، ومقالا بين فيه رأيه فى مذهب الصوفيه وقال انه ليس مما ننتفع به الاسلام بل قد يكون مما يرزىء به ، أومايقرب من هذا ، وهو قول قال به جمهور أهل السنه من قبله ، فلما طبع مقاله فى مصر تحت اسمه

هاج عليه حملة العمائم ، وسكنة الأثواب المباعب، وقالوا إنه مرق من الدين ، أو جاء بالافك المبين ، ثم رفع أمره إلى الوالى فقبض عليه وألقاه فى السجن ، فرفع شكواه إلى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله إلى العاصمة ليثبت براءته مما اختلق عليه بين يدى عادل لايجور ، ومهيمن على الحق لايحيف ، إلى آخر ما يقال فى الشكوى ، فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله ، فقد صدر الامر هنالك أيضاً بسجنه ، ولم يعف عنه إلا بعد شهر ، مع انه لم يقل إلا مايتفق مع أصول الدين ، ولا ينكره القارئ ، والكاتب ، ولاالآكل والشارب ، اه أرسل الرجل إلى الآستانه فاعتقلته السلطة الحميدية هنالك أشهراً ، بعد جعله تحت مراقبة الجواسيس زمناً ثم أرسل إلى بلده (حمص) ليكون مقيما فيها تحت المراقبة لا يبرحها (و يسمى مثله فى عرف الدولة الرسمى « مأمورا اقامة ») فبقى فيها إلى أن فرّ إلى مصر سنة ١٣٢٤ و بقى فيها يشتغل بالتحرير فى المؤيد ثم فى الجريدة إلى أن أعلن الدستور سنة ١٣٢٧ فعاد إلى سوريه فانتخب مبعوثا عن لواء حماه وكان من أمره فى المجلس و بعده ما كان .

لو كان الزهراوى من طلاب المنافع الشخصية لأمكنه أن ينال منها فى عهد عبد الحميد ما نال من كانوا دونه من أرباب الأفكار وحملة الاقلام الذين استمالهم السلطان عبدالحميد وأعوانه وغمروهم بالأموال والرتب وأوسمة الشرف ، ولم يكن جهاده القانونى للاستبداد الذى انقلبت إليه جمعية الاتحاد والترقى بعد الدستور بأضعف من جهاده للاستبداد الحميدى مع الجمعية فى إبان صلاحها ومع غير الجمعية أيضاً ، نصرها فى الأيام الاولى من عهد الدستور كانصرها قبله ، وجاهدها بعد أن صار أمر الدولة كله فى يدها ، ولو كان من طلاب المنافع الشخصية لنال بمسايرة الجمعية منها ما كان يعلم انه لاينال بمعارضتها ، وما كنت أرى - وأنا فى الآستانة - أحداً من المعارضين للجمعية يرى قوتها فوق ما كانت عليه إلا الزهراوى ، كان من أشدهم معارضة لحزب الجمعية فى المجلس وفى جريدة الحضارة التى أسسها فى الآستانة ، على كونه من أشدهم اقتناعا بقوة الخصم وبعداً عن الغرور بما كان يروى عن ضعفه ،

فجملة القول فيه أنه بدأ حياته بخدمة الامة والدولة وثبت على ذلك طول حياته ، وان جل عمله كان مع جمعية الاتحاد والترقى ؛ فهو بعد تلك المعارضة فى زمن الميعوثية

اعتقد أن الدولة صارت بيد الجمعية ، وأنه لا يوجد فى الأمة حزب يرجى أن ينتزعها منها ، فلم يبق من طريق لخدمة الدولة والامة الا طريقها ، وهذا الاعتقاد هو الذى حمله على قبول منصب الاعيان أخيراً كما سنبينه بالبرهان، وكان جزاؤه من الجمعية التى أفنى حياته فى خدمتها أن قتلته شر قتلة ، وأبقت جثته مصلوبة فى الشام ١٢ ساعة ، ليعلم كل عربى يراها أو يسمع خبرها كيف تكون عاقبة العربى العالم المفكر، والخطيب المؤثر ، والكاتب المحرر ، عند هؤلاء القوم الذين جعلوا من أصول سياستهم محو العربية من سوريه والعراق، وحتم العداوة على عرب الجزيرة وايقاع الشقاق الدائم بينهم الى أن يبيد بعضهم بعضا

كان قبول السيد الزهراوى لمنصب الاعيان من الحكومة الاتحادية مثاراً لاستياء جمهور طلاب الاصلاح ومحبي الاصلاح للامة العربية العثمانية وسببا لسوء الظن فيه وكثر القول بأنه تحول عن سيرته التى كان عليها طول عمره فآثر منفعته الشخصية على مصلحة أمته العربية ،فتحول ذلك الجمهور الذى كان ينوه به ويصفق له الى الخوض فيه ولو كان عقل الجمهور يدرك كنه تلك الفضائل التى وصفناه بها بحق لما صدق أن مثله يتحول بعد سن الخمسين من عمره الى ضد مانبت عليه من أول نشأته، وما الذنب على العامة فى ذلك وإنما الذنب ذنب خواص الاذكياء والمتعلمين الذين سارعوا الى الخوض فيه فتبعتهم العامه ، وكان يجب عليهم التروى والتثبت فى أمر هذا الحدث الجديد لهذا العامل المستقل هل هو عذر فيه واجتهاد أم لا ؟ ثم التثبت والتروى فى الطعن بمثل هذا الرجل منهم إن ثبت لهم أنه مجرم سياسى متعمد ، لا مجتهد مصيب أو مخطىء ، فان أول نتائج الطعن فى مثله — وقل ان يوجد مثله فى طهارة سيرته الشخصية والسياسيه — هى زوال ثقة الامة من زعمائها بقياس أنزه الصادقين على أخس المنافقين ، وما أولئك الطاعنون الا حاسد يذم من الزهراوى مايتمنى مثله لنفسه ، أو نفس ساء ظنه لسوء نيته وفعله، أو غيور شديد العصبيه ، قليل الرويه ، يبادر الى ارضاء حميته ، ولا يحسب حسابا لعاقبة قوله وعمله

لم يكن الزهراوى من أهل الاهواء الذين يجعلون مصلحة الامه والدوله تبعا

للاغراض ، وعرضة للعواطف والاحقاد ، بل كان يحب العمل المبني على القواعد المعقوله والرغائب المأموله ، فلما رأى أن الاتحاديين يحاولون إصابة أغراضهم الضارة بالامه العربيه وبوحدة عناصر الدولة ـ بقوة مجلس المبعوثين أحب أن يحاربهم بسلاحهم فكان من المؤسسين للحزب الحر المعتدل ثم لحزب الحريه والائتلاف الذى تكون من هذا الحزب الذى أكثر أفراده من العرب، ومن حزب الاهالى الذى أكثر أفراده من الترك ، وكان الزهراوى وكيل الرئيس فى هذا الحزب ، وقد ظفر هذا الحزب بالاتحاديين فجذب اليه الجم الغفير من مفكريهم وضباطهم ، ثم أسقط وزارتهم واستبدل بها وزارة مختار باشا التى لم تكن هى ولا وزارة كامل باشا التى جاءت بعدها ائتلافيه ولا اتحاديه ، وإنما كانتا على كراهتهما لسيرة الاتحاديين ، غير متعصبتين بعروة الائتلافيين ، ولا موافقتين لهم فى كل شىء ، ولذلك سهل على الاتحاديين اسقاط وزارة كامل باشا ، وقد أخطأ الائتلافيون بعدم جعل الوزارة من حزبهم

وقعت حرب البلقان فى أيام وزارة مختار باشا فا كسرت الدولة فيها وألفت وزارة كامل باشا التعدارك أمر الدولة بالصلح ، وفى أثناء ذلك جاء الزهراوى مصر قاصداً الذهاب الى الآستانه لقرب موعد فتح مجلس المبعوثين وقد أقنعناه بأن لا يستعجل السفر لما يخشى من وقوع الفتن بالآستانة ، وقد وقع ما كنا نتوقعه بهجوم الاتحاديين على الباب العالى وقتلهم ناظر الحربيه فيه واسقاطهم وزارة كامل باشا والقبض على أزمة الحكومه ، ولكن صاحبنا كان يصر على السفر ، يظن ظنا كاد أو كان يسميه يقينا بأن الاتحاديين لا يثبتون أسبوعا حتى تسقطهم الامه وتستبدل بهم غيرهم ، فأقنعناه بأن يصبر حتى تصدق الايام ظنه أو تكذبه ، وما اقتنع منا إلا بادلال الصداقة على أنه كان يرجع عن رأيه إلى رأى صديقه هذا كما نص على ذلك فى كتابه الآتى ، وإنما صرحت بهذا لأنه من مقدمات الحجه التى أذكرها بعد نشر ذلك الكتاب .

وفى أثناء حرب البلقان تأسس حزب اللامركزيه بمصر ولم يدخل هو فى الحزب ، لأنه لم يكن ينوى الاقامه بمصر ، وانما رشحه الحزب لرياسة المؤتمر العربى لمكانته العلميه والاجتماعيه ، وموافقته للحزب فى مقاصده الاصلاحيه ـ فانتخب رئيسا فى باريس ، وعقد معه الاتحاديون ذلك الاتفاق المشهور

كان فى مدة إقامته فى باريس أيام المؤتمر وبعدها يكاتب حزب اللامركزية ويعمل برأيه، ولم يسافر إلى الآستانة إلا بعد إذنه، فقد استشار الحزب فخيره بين مصر والاستانة، وكان هو يرجح الثانية والحزب يرجح الأولى، وكان يكتب من الآستانة إلى رئيس الحزب كل مايدور هناك فى مسألة اعطاء العرب حقوقهم من الاصلاح والوظائف، ويكتب إلى صديقه (كاتب هذا) مثل ذلك، وماوراء ذلك ما كان يكتمه عن البعض أو عن كل أحد كما يعلم من كتابه المطول الآتى.

كان من فضائل الزهراوى الشخصية التى تعد عيوباً فى السياسيين أنه لحسن نيته وصفاء سريرته يبالغ فى حسن الظن بكل أحد يظهر له إرادة الخير والحق، فلما قال له الاتحاديون انهم يعترفون بما كان من خطأهم فى تنفير العرب منهم وفى محاولتهم تتريك جميع العناصر العثمانية وانهم يرغبون فى اصلاح ماأفسدوا فى ذلك لتوقف تجديد قوة الدولة عليه ـ صدقهم فى ذلك لانه معقول عنده، وعد توجيههم منصب الاعيان إليه على ما كان من شدة معارضته لهم برهاناً على صدقهم، وصار يرى أنه ينبغى لطلاب الاصلاح المخلصين أن يمدوا أيديهم إليهم ويساعدوهم على الاصلاح، وانهم إذا أحجموا حل محلهم المنافقون وطلاب المنافع، وكان متفقاً مع صاحبه عبد الكريم الخليل على ذهاب صاحب المنار ورفيق بك العظم إلى الآستانه لهذا الغرض. أما أنا فكان يغلب على ظنى أن جعله من الأعيان أحبولة يريدون بها اصطياد المخلصين من طلاب الاصلاح فى خارج المملكة ليفتكوا بهم بعد جلبهم إليهم جملة واحدة؛ وأن وجوده وحده هنالك واق له، وفيه فوائد منها أنه تجربة للاتحاديين وحجة عليهم

قبل منصب الاعيان بتلك النية الصالحة من غير مشاورة للحزب ولا لأحد من أصدقائه، وإنما أخبرنا بما كان وبنيته فيه، فلمناه على تعجله، ولكن الحزب أجاز عمله، واتفق الرأى على أن يمضى فى هذه التجربة، وأن لا ينضم إليه أحد من المقيمين خارج المملكة، وكان أول ما كتبه إلىّ فى ذلك قوله من كتاب مؤرخ فى ٦ صفر سنة ١٣٣٢ (٦ يناير سنة ١٩١٤) ما نصه:

«أخوكم عين بعون الله وعنايته عضواً لمجلس الاعيان فبشرونى بأنكم راضون

من قبولي بها ، والله يشهد إنني إنما قبلت لاتمام العمل وتعلمون قلة الرجال عندنا يا أخي ، يعترضني بعض المعجلين فالامر في هذا متروك لحكمتكم وهمتكم . بل أرى ان تقديم شكر للصدارة يكون مؤيداً لاتمام العمل ، ومن الله سبحانه التوفيق »

وقد كتب الى الحزب بنحو هذا فأجيب طلبه لان غرض الحزب الاصلاح لا المشاغبة ولاعداوة الدولة ،ولكن لم يكن يحسن الظن بالاتحاديين أحد وقد دار بيننا وبين هذا الصديق في هذه المسألة وما يتعلق بها مكاتبات ومعاتبات لم تخل من عدة مغاضبات،وانني انشر الآن منها كتابا مطولا كتبه في ١٦ صفر سنة ١٣٣٢ وكتب في أعلاه « مكتوم كله عن كل أحد »وهذا نصه بعد العنوان

﴿ كتاب سري من السيد الزهراوي ﴾

سيدي الأخ الرشيد　　الولي الحميم الحميد

تحية من الله ومن أخيك ولا برحت المكرمات تحييك لقد عظم شوقي أيها الاخ ومضت الايام وأنا أمني النفس بقرب التلاقي وما زلت راجياً ذلك

يظهر يا عزيزي أن عتبك على تأخري هنا عظيم عرفت هذا من كتابك الى الاخ الاستاذ . . . ويظهر أن قطعك الكتاب عني عمد ، استنبطت هذا من طول مدة القطع ، وقد حملت هذا على كثرة عملك التي أعرفها ، ثم تذكرت ما أعهد من وفرة نشاطك والحمد لله ؛ وأن كثرة عملك مع تلك الوفرة من النشاط لاتقف في سبيل ماتعزم عليه ، فاستنتجت من هذا القياس - سامحني الله على رأي ابن حزم - أنك تعمدت عدم الدزم في الكتابة أو عزمت على عدم الكتابة وقد ظهرت هنا شائعة أن اللامركزيين في مصر مشمئزون من بقائي هنا ، وأنهم قطعوا علاقتهم بي ومكاتبتهم لي ، أنا لم أصدق هذه الشائعة وانما خشيت أن يكون بعض العجولين هناك يصرح ثمة مثل هذه التصريحات وكدت أخشى أن يكون . . . مثلا قد شاهد شيئا من تأففكم لتأخري فبنى على مشاهدته كلاما كتبه الى بعض معارفه هنا فشطر ههنا وخمس

هذه كلها ظنون واستغفر الله تعالى منها ،وأرجوكم مسامحتي عليها ، ومن الشرح يظهر لكم سر تقديمها بين يدي هذه التفاصيل المهمة التي جاء أوانها :

كنت قد فصلت لكم إذ جئت باريس كيف وجدت أمر مؤسسي فكرة المؤتمر فوضى وكيف تعبنا في ستر الأمر وإيجاد المؤتمر مرونقا بتوفيق من الله تعالى فوق المأمول، وبعد انقضاء المؤتمر تفرق الجمع الذي لفق تلفيقا، ثم بعد قليل نفد صبر البيروتيين فذهبوا إلى بلادهم عن طريق استانبول، وبقيت ياعزيزي وحدي أمثل الفكرة، وبقي خليل زينية وأيوب ثابت وهما لم يرشفا من مشرب الجامعة العربية ولا قطرة واحدة، حتى ولا من الجامعة السوريه، وإنما همهما بيروت وحدها لاشريك لها ولكن لأنهما متعلمان سايراني وسايرتهما وتوادينا جيداً حتى سفري؛ ولم يكن مثل هذا التواد ولا ربعه بينهما وبين رفقتهم البيروتيين المسلمين

لو عجلت تلك الأيام ورجعت على الفور إلى مصر لبقيت المسألة مقطوعة بتراء، إذاً يكثر استهزاء الأفراد والجماعات والأقوام بأشخاصنا وبجماعتنا وقومنا، لكن الله سبحانه سلم من هذا، وأقدرني على الصبر هنالك ممثلا الفكرة مدة خمسة أشهر - وما هي بالقليلة ولا الكثيرة - ونعمت المدة كانت، وقفت فيها على كثير، وعظم فيها اختباري لأوربا، وما أحوجنا إلى مثل هذا الاختبار - جئت بعد ذلك إلى استانبول لأرى ما جد فيها لأن المعرفة بالقديم لاتغني، والمعرفة عن بعد كثير من مآخذها غير صحيح، وما أضر العلم المبني على مأخذ غير صحيح

بعد وصولي بقليل عرفت كثيراً من الاحوال الحاضرة هنا، وبعد مدة أخرى عرفت اكثر وكدت أظنني اكتفيت وأحطت كل الاحاطه ولكن الآن تبين لي أنه لولا الصبر والتأني الاذان مكنني الفاطر سبحانه منهما لرجعت بمعرفة غير كافية ولذلك أصبحت لاأجسر أن أقول تمت إحاطتي وإنما أقول أصبحت يجوز لي أن أفصل وأشرح بشيء من الطمأنينه، وان تأخير هذا التفصيل والشرح كان أنفع وجاء اليوم في وقته.

الشرح ههنا يتعلق بثلاثة مواضيع (أو موضوعات) (١) أوربا والعثمانية (٢) الاتحاديون وغيرهم (٣) رجال الاصلاح الحقيقي وأبناء العرب هنا وفي الجهات الأخرى. واني أبدأ لكم بالاول نقصر البحث فيه وأشفع بالثاني وأخرت الثالث لطوله وطولته لتوقف التفاهم وكثير من أعمالنا على الاحاطة بهذه الحقائق المشروحة فيه

(أوربا والعثمانية) لقد كشفت أوربا آخر ستار من ستر السياسة في المسألة

العثمانية وقررت التداخل فى سائر شئونها وإنما لا يزالون مختلفين ببعض الاختلاف فى كيفية هذا التداخل وكميته وصورة توزيعه فيما بينهم ؛ وليس فى أوربا اليوم موضوع مقدم على هذا الموضوع ، ولا يمضى ثلاثة أشهر حتى تتمخض الليالى فتلد ذلك الشكل الجديد الذى يتفقون عليه ، والذى أظنه ان الدولة ستبقى بعد ذلك وتعيش أحسن مما كانت عائشة لأن بعض التداخل طب ولست مغالياً إذا ذهبت إلى أن الموت أقرب إليها مع عدم التداخل البتة منه مع شىء من ذلك ، فانا إذا قلنا بعدم التداخل البتة فحينئذ تخلق كل واحدة سببا لانشاب الحرب عليها فتؤخذ بداء السكتة دفعة واحدة .

الاتحاديون وغيرهم : الاتحاديون معروفون فمن غيرهم ؟ لا يوجد الآن حزب سياسى آخر إلا أن يكون خفياً ولم أشم شيئا من هذا ، وحينئذ لا نجد مقابل الاتحاديين إلا جماعات الأجناس كجماعات الروم وجماعات الأرمن وجماعات العرب

نعرف أن للروم جماعات وللارمن جماعات فهل للعرب مثل هذا ؟ هلم ننظر :

أولا ـ الروم كلهم جماعة واحدة يرأسهم البطرك ولكهلا يستبد ربطوه بمجلسين روحانى وجسمانى ، وهكذا الأرمن ، أما العرب فليس لهم مثل ذلك وثانياً الروم والأرمن لهم جمعيات سياسية منظمة مرتبة غنية وليس للعرب مثل ذلك ، اللهم إلا جماعتنا فى مصر وجماعتنا فى بيروت ، إذن غير الاتحاديين هم الروم والأرمن وجماعتنا فى مصر وجماعتنا فى بيروت .

فالاتحاديون هم أولياء الأمر مباشرة وهم اليوم يتسلحون بعزائم شديدة ماضية وناوون نية قاطعة أن يجددوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف ، و يشتهون أن يخلص اليهم العرب ويساعدهم فضلاؤهم فى هذا السبيل ، ويعترفون بخطيئاتهم الماضية وينوون أن لا يعودوا إلى مثلها بقدر الامكان ، أنا مؤمن بنياتهم وأقوالهم هذه كل الايمان لأدلة كثيرة ظهرت لى ، ولكننى مرتاب من جهة قابليتهم لتطبيق العمل على النية ، وعلى كل حال أرى أن عدم تركهم وعدم خيهم من تركهم ، ويرجى به أن تقوى قابليتهم ، فان شئتم أن تخطئونى بتحسين الظن إلى هذه الدرجة ـ كما أشرتم إلى ذلك فى كتاب ... فانى لا أخطئكم بالعجلة لأنى أجل رأيكم أكثر

من رأيى ، وإنما أرجو أن يكون فى خطأى شيء من البركة ، أرجو ذلك من مصداق قوله سبحانه « فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيرا » .

هذا وصف الاتحاديين بما هم عليه اليوم . أما الروم فقد قلوا فى المملكة وقصاراهم أن يحافظوا على ما بيدهم من امتيازات البطركية وحق المبعوثية وسيقل الالتفات اليهم ، وأما الارمن فهم اليوم آلة بيد روسية وسيتم لهم فى المبعوثية حظ قريب مما يأملون ، وأما نحن معشر العرب فان أخاكم الآن يعتبر ممثل جماعتنا وقد فصلت ما تم على يدى فى الكتاب الذى أرسلته الى الاخ الرفيق فى البريد الماضى وههنا سأزيد

(٣) رجال الاصلاح الحقيقى وأبناء العرب هنا وفى الجهات الأخرى :

ماأظنكم ـ استغفر الله ـ ماأعتقد أنكم فى حاجة الى بيان أن رجال الاصلاح الحقيقيين غير كثيرين ، وما أعتقد أنكم تعرفون منهم أكثر من ثلاثة أربعة ، أعنى برجال الاصلاح الحقيقيين من جمعوا فى موضوع الاصلاح بين صدق النظر وصدق العمل ، من كثرت تجاربهم ومرنت رويتهم وصحت عزيمتهم وشهد ماضيهم ، من كثر اختلاطهم بمختلف الطبقات ، ووقوفهم على متباين النزعات ، وصبرهم على متنوع العقبات ، من امتزجت روحهم بحب النظام الذى يحبه الله وكره الفساد الذى يكرهه الله ، وامتزجت سيرتهم بأخبار معامع الجهاد الاصلاحى . من اشربت أفكارهم فهم معنى الرابطة وأفئدتهم حبها وتعشقها . فنحن لقلة هؤلاء واقعون أمام حاجتين عظميين ـ الحاجة الى تكثيرهم ، والحاجة الى اشتغال هؤلاء مع من ليس من جنسهم وطبيعتهم . ثم نحن مع قلتهم وصعوبة اشتغالهم مع غيرهم أمام مشكلين عظيمين ، الاول السبات الذى الامة فيه والثانى الجشم الذى أوربا فيه

أترك تفصيل هذا الاجمال لحكمتكم وحسبناهى فى كل موضوع ، وآخذ الآن بحكاية حال أبناء العرب هنا لانكم علقتم الأمل مرارا على صنف منهم ههنا

العرب هنا ثلاثة أصناف : متاجرون ومتعلمون ومأمورون ، فالصنف الاول لا فى العير ولا فى النفير من جهة السياسة والاصلاح ، ثم هو فى غاية القلة ، والصنف الثانى أولاد فى ناشئة العمر لا يليقون للسياسة ولا تليق لهم ، والصنف الثالث أربعة

أقسام الضباط والمأمورون المنصوبون فى بعض الوظائف والمأمورون المتقاعدون المقيمون هنا والمأمورون المعزولون الذين جاءوا لينصبوا :

فأما الضباط فلا تجربة لهم فى هذه المسالك البتة والأولى عدم دخولهم فيها فان هذه التجربة القليلة التى سأقصها الآن زهدتنى فى كل سياسة يشترك فيها الضباط منا: ذلك أن ... ناقم اليوم على الحكومة فيشتهى لاجل هذا زعزعة الدولة ونسفها نسفا ، وهو لاجل ذلك ناقم على ائتلافنا مع الحكومة ومضاد له لانه على زعمه يؤخر حركات العرب، ولا أدرى ماهى حركات العرب وأين تسير وأين ترمى وهذا يجتهد أن يجمع حوله بعض أولئك الاولاد وينفرهم منا ومن صنيعنا ولكن لاينجح بحوله تعالى ، ومن جهة أخرى هو يحافظ على ظاهر الصداقة بيننا ، وقد أردت اختباره فوجدته يجنح إلى مصالحة أولياء الأمور وحينئذ يرضى من كل شيء فانظر ياعزيزى الى الذين يعدون أنفسهم فى مصاف رجالنا .

أما المأمورون المتقاعدون فمثلهم كمثل العجائز لايرضيهن شيء ولا يستطعن عمل شيء .. وأما المأمورون المنصوبون فلا هم لهم الا حفظ المنصب

وأما طلاب المأموريات فجياع مساكين لا يفهمون من الاصلاح الا المأمورية، إن جاءت فقد جاء الاصلاح وإن لم تجيء فقد منع الاصلاح ومن هذا التفصيل يظهر لك أن العاصمة فى حالتها الحاضرة ليس فيها أبناء عرب تستطيع جماعتنا أن تعتمد على أحدمنهم، أو أن تعمل صلة ورابطة مع أحد منهم، اللهم الا أن يكون (فلان وفلان) وكل ماأخبركم عنه (فلان) فهو سراب بقيعة جاءه أخوكم الظمآن فلم يجده شيئا . وبعض أولئك الاولاد يحسدون الشاب عبد الكريم وبعضهم لم يتمكن من إنالتهم أربا لأبيهم أو أخيهم أو ابن عمهم مثلا ، فمن هنا أكثروا عليه من قيل وقال وكله هراء وهواء

وأما العرب فى الجهات الأخرى فهم أهل سوريه وأهل العراق وأهل الجزيرة الخلص فالسوريون والعراقيون حضر قد ألفوا الذل وتعودوا الاستخذاء والاستكانة لايفهمون ولايريدون أن يفهموا ، لايساعدون ولاينوون أن يساعدوا، الايهبون ولا يروق لهم أن يوقظوا . وأما أهل الجزيرة الخلص فهم الاهل وقام الله الخير

وشد سواعدهم، أولئك يجب وصل الرابطة بهم من غير أن نقطعها من الحضر على قلة غنائهم . وقد فهمت من كتاب الأخ (فلان) كثيراً واستنبطت كثيراً ولو كان فى وسع البشر أن تتوزع أرواحهم على أمكنة متعددة لكانت روحى أوزاعاً على اليمن وعسير والحجاز ونجد وحضرموت ولكن نظرية الصوفية فى هذا الباب لا يمكن تطبيقها(١)

أنظر ياعزيزى أنا لازم لهنالك كما تشير ولازم الى هنا فان هنا محل عمل ليس بقليل ، فانى أرجو أن يكثر بوجودى هنا عدد رجالنا الذين يعتمد عليهم فان رضيت عن هذا الرأى فعليك عملان معجلان وعمل يمشى مع الزمان وأنا معك فيه على بعد المقر ، فالأول من المعجلين تبشيرى بتلغراف عن رضائك خاصة وهو الاهم ، ورضاء الرفاق عامة وهو مهم، والثانى منهما حملك الرفاق على تقديم تلغراف للصدارة يحبذون فيه هذا التعيين ويجعلونه دليل إقدامهم على تنفيذ الرغائب كلها بعبارة رقيقة تشويقيه ، أما الثالث فهو ماينينا من أمر إيجاد الرجال الذين يعتمد عليهم وتوزيعهم بقدر مايساعد الزمان والمكان لبث الاصلاح العلمى والعملى

وإن لم ترض عن هذا الرأى فاكتب الى مفصلا ومبينا كل جهة من جهات الموضوع ، وأنا من عهدت من يدع رأيه أخيرا الى رأى وليه . . .

هذه هى الخلاصة المفصلة وإليك خلاصة الخلاصة ، وهى أن اليأس لايجوز بحال من الاحوال ، ولكن الامة فى كل أطرافها ليست بحالة يعتمد عليها فى شىء وأنه مع هذا لايجوز اهمالها ، وكذا لا يجوز اهمال من يهدم أمر المملكة وتركهم وحدهم، وأنه لابد لنا من رجال ههنا، وأن أكثر مايتصرف به الرواة من الاخبار غير صحيح ، وإنى منتظر أمركم بسرعة ، وأن شوقى عظيم

والسلام على الأخ السيد صالح وجميع المعارف سلم الله تعالى الجميع ؟

عبد الحميد الزهراوى

---

(١) كنت كتبت الى الأخ الذى أشار اليه ثم اليه هو أن عرب الجزيرة هم صفوة العرب وأعظمهم استعداداً فان كان هنالك اصلاح عربى فيجب أن يكون لهم حظ منه، وأن نعنى بشأنهم أكثر من غيرهم

(المنار) من هذا الكتاب وكتب أخرى بمعناه يعلم رأى الرجل الذى بنى عليه اجتهاده ، ومنه أنه مؤمن بحسن نية الاتحاديين ، وتمنيهم الاتفاق مع العرب ، وبهذا كان يحاول إقناعنا ، ولم يكن يخفى هذا على الاتحاديين ، ولذلك نجزم بأنهم قتلوه لأنه من أنجب نجباء العرب لا لذنب آخر (والله عزيز ذو انتقام)

وإنما نشرت هذا الكتاب السرى من كتبه بنصه فلم أحذف منه إلا أسماء الأحياء ليكون حجة على فريقين من النـاس - فريق الذين قد يظنون أن الاتحاديين ما قتلوا مثل هذا السيد الجليل بعد أن رفعوه إلى مقام الأعيان إلا لأنهم عرفوا له ذنباً كبيرا كالخيانة للدولة أو الجمعية المتصرفة فى الدولة . وفريق الذين ظنوا أنه خان قومه العرب بتركه الدفاع عن حقوقهم بمنصب الأعيان الذى رشاه به الاتحاديون ، وإنما يتم ظهور هذه الحجة ، ببيان ما كان بينى و بين هذا الصديق الصدّيق من الصلة والرابطة

يرى قارىء كتابه أنه قال لى فيه عن نفسه « وأنا من عهدتَ من يدع رأيه أخيراً إلى رأى وليه » وقد أشرت إلى هذه الكلمة فى المقدمة التى قدمتها على هذا الكتاب وأقول إنه يعنى بهذا اننى إذا حتمت بعد المناقشة معه فى الموضوع وجوب تركه لمنصب الأعيان واشتغاله بعمل آخر فى غير الاستانة فانه يقبل ذلك .

وقد كانت طريقتنا فيما يختلف رأينا فيه أن يدلى كل منا بحجته ، فمن نهضت منا حجته قبلها الآخر ، فاذا لم ترجح إحدى الحجتين وكانت المسألة مما يترتب عليها عمل يرجع هو فى العمل إلى رأى أخيه . ويدل على مكانة هذا الاخ عنده جعله رضاءه عنه فى هذا الامر أهم من رضاء الحزب الذى كان سبب ذلك ، وهو صادق فى قوله هذا وقوله ذاك لا ريب عندى فى صدقه ، وما قلت هذا فى بيان كلمته إلا ليعلم المطلع عليه أن الرجل لو كان يكذب ويخدع لم يكن يكذب علىّ ولا يخدعنى ، ولو كان يفعل ذلك لحاول إرضائى بأنه يعامل الاتحاديين بمثل ما يعاملوننا به من الخلابة السياسية ليستفيد منهم فى طور ضعفهم وحاجتهم إلى استرضاء العرب بعض الحقوق ، وما كان يكتب إلىّ - وهو معتقد اننى ساخط عليه ، ومقصد ترك الكتاب اليه - انه مؤمن بحسن نية الاتحاديين وصدقهم فى هذه المرة ، ولكنه كتب

هذا وهو يعلم أنني أعده سذاجة منه وغلواً في حسن الظن

وأزيد على هذا انني عاتبته على بعض ماجاء في هذا الكتاب وغيره عتابا تقيها جاءت فيه كلمة جارحة فكتب إليّ رقعة أودعها كتابا قال فيها مانصه :

« كلمات بيننا »

«في كتابكم الأول كلمة لا أكتم عنكم أنها كسرت قلبي ، إذ لو كتمت هذ لكان خيانة للاخاء النظيف الصافي ،ذلك أنكم بنيتم على نظرية إغراقي بحسن الظن بالقوم أن هواء الآستانه طمس على عقلي وقلبي

«أخوكم ياعزيزي قد عرفتموه بعد أن كان عاش في هذا البلد سنين ،وعرفتموه في الاستانه نفسها ،فلولا ذلك لرجعت الى نفسي لأرى تغلغل أثر البوسفور فيها

« ولكن كما لم أكتمكم هذه الحقيقة أتحدث أمامكم بما من الله تعالى به من حمل حدتكم القلمية هذه على مايشبهها من حدتكم اللسانية التي تأنس بها أنسنا بحلمكم الذي هو أغلب وأصدق دلالة على كرم قلبكم. على انني أؤكد بشرفكم أن انكسار القلب الذي أشرت اليه كان آنياً وأعقبه تذكر حقيقتكم العالية .أما تأخير كتبنا فقد كان عاماً حتى شمل الوالد ، فلا تحملوه على ذلك السبب ولكن أبى كرمكم إلا يطيب القلب فأخصكم بشكر على هذا » اه

فمن كان بينهما مثل هذه الحرية في الخطاب والعتاب لا يغش أحدهما الآخر لو كان من دأبهما الغش . وأحمد الله تعالى انني لم أبتل بهذه الرذيلة ، وانني أبرىء منها صديقي الشهيد السعيد كما أبرىء نفسي.

هذا وانني لم أكتف بما دار بيني وبينه قدس الله روحه من المكاتبات في هذه المسألة بل دعوته إلى زيارتنا بمصر فأجاب ، وكنت أعقد معه مجلسين للمناقشة في كل يوم وليلة : مجلساً قبل النوم ومجلساً في الصباح . فرأيته بعد ذلك كله معتقداً أن الاتحاديين عازمون على إرضاء العرب ،وأنه يجب مسايرة العقلاء منهم على ذلك ، واننا ننال بهذا من الحقوق ما لا يرجى أن نناله بالسعي مع مجافاتهم

وقد وافقته على بقائه في منصب الاعيان والاستمرار على هذا السعي لانه إما أن ينفع وإما أن لا يضر

المشانق فى سورية ـ شنق الزهراوى

جاء فى جريدة الأهرام تحت هذا العنوان مانصه :

تلقت المقدمات التى يوثق برواتها أن السيد عبد الحميد الزهراوى حوكم فى دمشق أمام المجلس العسكرى فحكم عليه بالموت شنقا فشنق . ولربما خفف من لوعة الاسى عليه شنق من تقدموه من عظماء الأمة السورية وأمراء المسلمين على وجه التخصيص كالأمير عمر الجزائرى ابن الأمير عبد القادر وشفيق بك المؤيد من أكبر رجال سوريه ورشدى بك الشمعة من صفوة أعيانها وشكرى بك العسلى وعبد الوهاب بك ومحمد المحمصانى وسليم بك الجزائرى وعبد الغنى العريسى الخ ولكن الزهراوى كان يمثل طائفة خاصة وفكرة نابتة وحياة جديدة تتراوح بين طائفة علماء الدين الاسلامى وغيرها من الطوائف الراقية، والبحث فى شؤون طائفة الزهراوى فى سورية وبلاد العرب من المباحث الخطيرة الجليلة التى تبين الصلة بين الماضى والحاضر والقديم والحديث ،بل تظهر التدرج الذى كان ينتظر على يد أولئك الذين أزهقت الحبال أرواحهم، وأودت بعملهم وعلمهم ، وأماتت غرسهم قبل أن ينبت وبما نبت منه قبل أن يزهر ويثمر

فالمسلمون فى سوريا تأخروا عن إخوانهم النصارى واليهود والدروز فى طلب العلم . لأن القدماء من أكابرهم وأغنيائهم كانوا يعتقدون أن طلب العلم إنما يراد لطلب الرزق ،والوجيه الكبير المتوافر رزقه كان يعد من العار على أبنائه أن يطلبوا العلم للارتزاق « من شق القصبة » وضاعف فى ذلك أن المدارس كلها كانت نصرانية ، إما للأجانب وإما للمسيحيين الذين تأدبوا بآداب الاوربيين فحذوا حذوهم وساروا فى العلم سيرتهم .وقد لقيت هذه الفكرة تشجيعا من الحكومة بل ربما غرست الحكومة نفسها هذه الفكرة فى الصدور حتى يظل المسلمون على حالهم فلا يطلبون إصلاحا ولا يطالبون بحق، وليس للمسيحيين وسواهم ممن يتعلمون تأثير أو نفوذ لأنهم الاقلية ، ولهذا السبب لم يتمتع أحد من أبناء مسلمى سوريه بذلك الانعام الذى أنعم به ابراهيم باشا بن محمد على باشا على لبنان وسورية بأن يعلم طائفة

منهم في مدارس مصر العالية ، وانحصرت تلك النعمة حتى عهد الاحتلال بأبناء المسيحيين السوريين وحدهم

وظلت الحال على هذا المنوال ولا مدارس ولا مكاتب للمسلمين في سورية حتى أن دخل أوقاف المدارس والمكاتب فيها كان يجبى للآستانة إلى أن زاد احتكاك القوم بالأوربيين ورأوا بأعينهم ومسوا بأيديهم فائدة التعليم فطلبوه لأبنائهم إما في مدارس الأجانب في بلادهم ، وإما في مدارس الآستانة ، حتى ان بعض طلبة العلوم الدينية سعوا إلى ذلك سواهم أو ماشوهم في هذا السبيل ولكن على غير رغبة الحكومة وإرادتها ، فكانت تسبغ النعم على من يذم العلم وعلماء الأجانب كالشيخ النبهاني الشهير بذم مدارس النصارى .

ومن هؤلاء الطلبة الدينيين السيد عبد الحميد الزهراوي من أشراف حمص وسلالة بيوتها الكبيرة . بدأ علمه في بلده وأتمه في الآستانة ، وتعلم هناك من السفطاء الترك الاهتمام بالشؤون السياسية والاجتماعية ، فكان أول ظهوره برسالة ألفها في المعتقد الديني لم ترق في عيون مشايخ الطرق ، فسعوا به إلى السلطان عبد الحميد حتى نفاه وأقصاه إلى دمشق[1] ولكن الوسطاء توسطوا له – وكان الظلم في ذلك العهد يدفع بالوساطة خلافا لما نراه اليوم – فتركه حراً ، وأطلقه من كل قيد ، فعاد السيد الزهراوي إلى الآستانة واشترك بالمظاهرة الودية التي قام بها فريق من العلماء والكتاب أمام السفارة الانكليزية بعد انتصار الانكليز على البوير في الترنسفال ، فلم يغفر له ولرفاقه السلطان عبد الحميد تلك المظاهرة لا لأنهم هنأوا انكلترا بنصرها ، بل لأنهم مثلوا الأمة العثمانية والشعب ولم يكن يغضبه أمر كهذا الأمر ، حتى أن رقباء الصحف والمطبوعات (المكتوبجيه) حذفوا من قواميس اللغة كلمة (وطن) و (شعب) و (أمة) و (جمهور) الخ وما شاكل ذلك من الألفاظ ، فثار السلطان على أولئك المتظاهرين مدة ثم فرق شملهم وأرسل كل واحد منهم إلى جهة إلى أن تمكن السيد الزهراوي من الفرار إلى مصر كما فر قبله السيد عبد الرحمن الكواكبي وكل حر في تلك البلاد من عربي وتركي وغيرهم

[1]) «المنار» الصواب في هذه المسألة ما بيناه في هذا الجزء

ويمتاز الزهراوى وأمثاله من رجال الدين المصلحين على سواهم من المتعلمين أنهم خير صلة بين طوائف الشعب وفرقه فهم يحترمون التقاليد المقدسة لكل طائفة وهم فى الوقت ذاته يؤيدون المصلحين فى اصلاحهم، فقد كانت طائفة الاسماعيلية فى سوريه تجمع العشور والنذور وترسلها الى أغاخان فى الهندلان معتقدها ومذهبها يقضى عليها بذلك ، فحدث بعد إعلان الدستور ان هذه الطائفة الصغيرة جمعت ما تبلغ قيمته نحو عشرة آلاف ليرة فصادرتها الحكومة ولكن السيد الزهراوى الذى كان يومئذ من أعضاء مجلس النواب انتصر لتلك الطائفة وقاوم الحكومة وجاهد فى هذا السبيل حتى قرر مجلس النواب أن تنفق تلك الاموال فى تعليم تلك الطائفة ولا تصادر لخزانة الحكومة كما فعلت وزارة الداخلية ولكن القرار لم يتجاوز الورق

وكان السيد الزهراوى يقول باتحاد الطوائف العربية بعامل اللغة والمنفعة والاصل والسلالة فأنشأ جريدة الحضارة لهذا الغرض ، وكان من محررى جريدته رزق افندى سلوم الذى شنق فى دمشق وهو فتى من حمص كان قد ترهب ولكنه خلع ثوب الرهبنة وسار على آثار ،واطنه بحتة ووحد الاثنان كلمتهما فى هذا السبيل فكانهما جمعا لسانين دينيين على دعوة واحدة وطنية وكان الزهراوى ككل أديب فى بلاده اتحاديا بحتا على مذهب الاتحاديين الأولين الذين نالوا الدستور « للاتحاد والترقى والنجاح » ولكن لما ذهب أولئك الاتحاديون الأولون ومزق شملهم وخولفت مبادئهم ومذاهبهم اتفق مع الخوجة شكرى أفندى الذى توفى فى مصر منذ عهد قريب على تأليف حزب الاهالى ، ثم ضمت الفرق كلها وألف منها حزب الائتلاف على قواعد ومذاهب فرقة الاتحاد والترقى كما كانت هى عهد زعامة صادق بك واخوانه وأقرانه، إلى أن فشلوا فى مهمتهم، فوجه نظره شطر العرب حيث لا أحزاب ولا فرق بل مطالب اصلاحية قاعدتها انتفاع البلاد بما يجبى منها من الضرائب وباوقافها، فرأس المؤتمر العربى الذى عقد فى باريز ـ لانه لم يسمح لهم بعقده فى بلاد الدولة ـ وهناك كتب الوثيقة المشهورة مع مندوبى الاتحاديين وعاد الى الآستانة مع رسول الاتحاديين عبد الكريم قاسم الخليلى الذى كان أول المشنوقين فى سوريا والهادى الذى تلاه والشيخ أحمد طباره الذى حكم عليه بالاعدام ، فعين الزهراوى

في مجلس الأعيان إلى أن شنق

وما امتاز به هؤلاء جميعاً شدة عصبيتهم العربية ، وشدة عصبيتهم الجنسية العثمانية ، حتى كان الزهراوي يقول عند ذكر مطمع دولة من الدول في أملاك الدولة العثمانية « ان هذا ينال منا بعد أن تزهق أرواحنا » وله في ذلك مغاضبات شديدة مع أصدق أصدقائه (الصواب مع بعض معارفه لا أصدق أصدقائه)

نقول هذا لا تأبيناً للسيد الزهراوي بل بياناً للحقيقة عن تلك البلاد وأهلها وميول زعمائها الذين ذهبوا جملة للجزيرة إلا أنهم طلبوا إصلاحاً يقيهم البلاء واتقاء مطامع الطامعين في أرضهم وبلادهم ، حتى أن الشيخ أحمد طباره لما عاد من أوروبا غير منهج سياسته وبعد أن كان يتمضض لذكر المدنية الأوروبية أخذ يكتب ويحث أمته على الاقتباس من محاسنها فكان يكرر قوله : « إنا لا ننقذ بلادنا ووطننا الا بالسير على مناهجهم » تلك طائفة ذهبت اليوم ولكن لهذه الطائفة مذاهب ومبادئ إذا بقي في قومها وعشيرتها من يحبها ويعمل بها قد تكون نتيجتها خيراً وإلا فقد ذهبت الرؤوس وبقي القوم كالقطيع من الأغنام بدون راع تساق فتسير إلى حيث يراد منها لا الى حيث تريد لأنها بعد قطع رؤوسها باتت بلا إرادة

(المنار)

هذا ما نشر في جريدة الأهرام عند وصول نبأ شنق السيد الزهراوي إلى مصر وفي بعضه نظر أو إبهام ، تختلف فيه الافهام ، وقد رأينا من حق صديقنا رفيق رزق سلوم الذي ذكرته الاهرام في كلامها عن السيد الزهراوي أن نقول في نشأته كلمة وجيزة تحفظ في تاريخه ويظهر بها سبب شنقه وشنق جورج الحداد من شبان نصارى سوريه مع من شنق من زعماء المسلمين ونابغيهم بتهمة السياسة العربية

﴿ رفيق رزق سلوم المحامي ﴾

نبت هذا الفتى في بيت من أكرم بيوت الروم الارثوذكس في حمص وتلقى التعليم الابتدائي في إحدى مدارس الطائفة فيها ، ثم أرسل الى دير البلمند بالكورة (لبنان) فألبس لباس خدمة الدين ودخل مدرسة الدير الدينية ولكنه لم يخلق

مستعداً للرهبانية والخدمة الكنيسية ، وإنما خلق كبير الاستعداد للحياة الاجتماعية السياسية ، فلم يتم مدة المدرسة بل خرج منها ودخل المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت ، ثم سافر إلى الآستانة بعد الانقلاب العثماني فدخل أحد مدارسها الاعدادية ثم مدرسة الحقوق وقد أخذ الشهادة الدراسية منها واختار أن يكون محاميا

كان رفيق مريدا وتلميذا للزهراوي في أفكاره الاجتماعية ، عاشره فعلم منه وهو أنبغ رجل من أشرف بيت في حمص أن في مسلمي البلاد فئة تسعى للاصلاح الوطني سعيا لاشائبة فيه للعصبيات والاحقاد الدينية ، ولما جاء الاستانة بمساعدة الزهراوي رأى جميع طلبة المدارس الرسمية العالية وكلهم من المسلمين على هذا المشرب الذي شرب كأسه الأولى من يد الزهراوي فانتظم في سلك أعضاء المنتدى الأدبي وانتخب وكيلا للرئيس فيه ، وكان حظه من اللغة العربية أوفر من حظوظ جمهور إخوانه أعضاء المنتدى الذين لم يتعلموا شيئا في غير مدارس الدولة ، فكان خطيباً مفوهاً وشاعراً مؤثرا ، ورغبه السيد الزهراوي في الكتابة إنشاءاً وترجمة وكان يصحح له ما ينشره في جريدة الحضارة فحسنت كتابته

تمكنت النزعة العربية من نفس هذا الشاب المهذب بما كان يسقى غرسها في نفسه مما كان يسمعه من كلام مدرسي الترك وطلابهم في مدارس العاصمة من الحث على العصبية التركية ، وما يقولون في العرب والعربية ، وما كان يقرأ في جرائدهم وكتبهم ؛ وما يقف عليه من أخبار جمعياتهم ، فكان يقابل غلو متعصبي الترك بجنكيزخان وهلاكو خان المفسدين الذين دمرا المدنية العربية الاسلامية بنظم القصائد في مدح النبي العربي الأعظم ﷺ وإنشادها في احتفال المولد النبوي الشريف في المنتدى الأدبي ، فهذا هو السبب الحامل لجمال باشا السفاك الاتحادي على شنق رفيق رزق سلوم مع السيد الزهراوي واخوانه وأخدانه من مصلحي العرب ، ولا نعلم له ذنبا إلا هذا ، فانه قضى حياته السياسية كلها في الآستانة ، وكان على رأي أستاذه الزهراوي في وجوب السعي إلى ترقي العرب في حجر الدولة العثمانية . وكان جورج حداد على هذا المشرب أيضاً . ولكنه كان من أعضاء حزب اللامركزية ، وكفى بذلك ذنبا عند جمال باشا يقتضي القتل والصلب

البلاغ الانكليزى الرسمى

فى شأن العرب والسلطة الاسلامية

أرسل قلم المطبوعات البلاغ الآتى الى الجرائد فى القطر المصرى

مصر فى ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦

نشر فى لندن اليوم البلاغ التالى :

« منذ سنين والعرب المعذبون بسوء الحكم التركى ينتظرون اليوم الذى يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة وقد قاموا فى الماضى بثورات عديدة ضد الاستبداد التركى فى البلاد العربية

« وقد أدى سوء تصرف الحكومة الحاليه فى الآستانه وخضوعها التام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة فى حرب مشؤومة أوصلت الاحوال فيها الى حد النهاية ، فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء فى البلاد العربية أن الاوان قد آن لخلع النير التركى عن أعناقهم والمناداة باستقلالهم

« وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائما على العرب فى أمانيهم ولكن صداقتها التقليدية لتركيا اضطرتها فى الماضى الى البقاء على الحياد . أما الآن وقد انضمت تركيا الى صف الدول الوسطى فقد أصبحت بريطانيا العظمى حرة فى اظهار عطفها على أولئك العرب الذين انخرطوا فى جانب الحلفاء ضد العدو المشترك

« على أن بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها الثابته فى الابتعاد عن أية مداخلة فى الشؤون الدينيه ، وعلى بذل جهدها فى بقاء الاماكن المقدسه أمينه من كل طارىء خارجي

« ومن النقط التى لاتقبل التغيير والتبديل فى سياسة بريطانيه العظمى

هو أن تبقى هذه الاماكن المقدسه فى أيدى حكومه اسلاميه مستقلة

« ولا يخفى ان أحوال الحرب الحاضرة تلقى العقبات الكثيرة والاخطار فى سبيل الراغبين فى القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذى قام به شريف مكة بجعل

الأمل كبيراً في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن الحجاج في المستقبل من زيارة الاراضي المقدسة بسلام واطمئنان» اه

(المنار) قد أسمعتنا العاصمة البريطانية عدة أصوات في المسألة العربية و البلاد الاسلامية المقدسة كان أولها برقية لرويتر يؤكد فيها أن انكلترة لاتنوى أن تأخذ شيئاً من بلاد العرب ، ولا تسمح لأحد بالاعتداء على شيء من البلاد الاسلامية المقدسة . ثم دار في هذا المعنى وفي مسألة الخلافة كلام كثير بين أعضاء مجلس الاعيان والنواب ، ولكن لم يكن شيء من ذلك بلاغا رسمياً في معنى قطعى يوثق بعدم الرجوع عنه كالبلاغ الذي ننشره اليوم دون جميع ماسبقه مما هو جدير بأن يحفظ أيضاً وإن لم يبلغ درجة هذا البلاغ في الاعتبار

في هذا البلاغ تصريح قلما يصدر عن دولة ؛ وهو قد صدر عن أدق الدول في تحرير العبارات الرسمية وجعلها مقيدة لتغيرها بقيود قلما يستطاع التفلت منها مع بقائها هي في عالم الاطلاق . ألا وهو التصريح بأن من أصول السياسة البريطانية التي لاتقبل التغيير والتبديل بقاء الاماكن الاسلامية المقدسة في يد حكومة إسلامية مستقلة . ومعنى كون هذا لايقبل التغيير والتبديل أنه متفق عليه من جميع أحزاب الامة لا أنه رأى الحكومة الحاضرة ، أوحزبها ـ حزب الاحرار ـ وحده فيكون عرضة للرجوع عنه بتغير الوزارة أو تحولها إلى حزب المحافظين . وبهذا التفسير يظهر غلط الذين قالوا إنه لا يوجد في السياسة شيء لا يقبل التغيير والتبديل ، فيكون هذا النص لغواً لا معنى له حتى نغتر به . و قول هؤلاء حسبنا أنه لايتغير ولا يتبدل إلا بتغير رأى الامة الانكليزية كلها وهي أثبت الامم وأبطأها تغيراً وتحولا في كل شيء

على أن أهم ما في هذا التصريح فحواه لا نصه ، وأعنى بفحواه اعتراف الدولة البريطانية باستقلال الدولة الاسلامية التي تستولى على هذه البلاد إذا زالت سيادة الدولة العثمانية عنها بما يخشى أن يحل بها من قدر الله تعالى . فهو يتناول مسألة السلطة الاسلامية في هذه الحالة وهي أهم مايهم جميع مسلمي الارض ، وسنكتب فيها مقالا نبين فيه مايسمح لنا الوقت ببيانه إن شاء الله تعالى

الانتقاد على المنار

سيدى الأستاذ محرر « المنار »

اطلعت على دعوتكم الى نقد « المنار » وعلى فاتحة المجلد التاسع عشر فلم يسعنى إلا تحرير هذا الكتاب لفضيلتكم ورائدى الاخلاص وتعضيد ماينفع الناس .

فأما عن نقد « المنار » فحسبى أن أقول إن المجله التى كادت تبلغ ربع قرن من حياتها لابد وأن تكون قد جمعت من أسباب الحياة مافيه الكفايه وإن ما ألم بها أخيراً من العسر المالى الذى يرجع بعضه إلى أزمة الحرب ليس غير مجرد مرض عادى إذا عولج علاجاً ناجعاً عادت إلى المجله نضرتها السابقه ، وعندى أن هذا المرض محصور فى اضطراب إدارة المجله وفى عدم تمشيها مع الزمن بخلاف عادتها فى سالف السنين، ولبيان ذلك أقول ان إدارة المجلة على مايظهر لى كثيرة التساهل مع المشتركين فانى لا أتذكر أنى تلقيت أخيراً من حضرة مدير « المنار » طلباً بدفع الاشتراك كما هى عادة جميع المجلات الراقية عربية كانت أم أفرنجية . وقد كنت أباهى بشدة تدقيق فى حسابى ولكن شواغل الحياة متى تعددت أصابت الانسان بالنسيان وسلبته بعض نظامه مهما يكن يقظا ، فبت ولا أدرى بماذا أدين لكم . والنفقة التى تنفقونها فى سبيل تذكير كل مشترك مرة فى السنة بموعد تجديد اشتراكه لا يساوى شيئا فى جنب الفائدة المادية التى تحصلون عليها. ولولا أن هذه الطريقة الادارية ذات نتيجة محسوسة لما استمرت على اتباعها جميع الصحف المعتبرة زد على ماتقدم أن المجلة لاترسل الىّ بانتظام وهذا ضار بمصلحتها ، لأنى إذا كنت لاأتردد لحظة فى دفع ماتطلبون إلى دفعه حتى ولو استلمت عددا واحدا فقط منها فى السنة كلها معتمدا على جمع بقية الأعداد منكم متى عدت الى القاهرة ، فلا شك عندى أن كثيرين غيرى يتنصلون من الدفع بهذه الحجه فتكون خسارتكم حينئذ غير قليله . هذه نقطة جوهريه يحسن بسيادتكم النظر فيها لان نظام العمل من أقوى الدعائم لنجاحه .

مباحث المجلة فى تعريفكم ليست قاصرة على فلسفه الدين بل هى تشمل أيضا

شؤون الاجتماع والعمران ، ولكنكم قلما تطبقون ذلك . لا أنكر أنكم أحسنتم كثيراً بنشر المقالات الصحية المفيدة التي وضعها الدكتور توفيق صدقي ، كما أن لكم جولات رائقة في غير مباحث الدين ، ولكني لا أعرف لكم أبوابا ثابتة في كل عدد سوى باب تفسير القرآن ، بخلاف ما أشاهده في مثل «المقتطف» أو «رعمسيس» أو «الهلال» وبخلاف ما أشاهده في المجلات الدينية المسيحيه الراقيه التي تصدر بالانكليزية ، حتى كأن تلك المجلات الدينيه تخوض في كل علم وترمي إلى تطبيق العلم على الدين . ومثل هذا التطبيق في رأي بعض المفكرين تضليل . ولكني لا أرى ذلك إذا كان المطبق مخلصا في عمله ، لان رجل الدين متى اعتقد أن العلم هو أحد أركان الدين وجب عليه أن يجمع بينهما حتى يخلص المعتقدات الدينية من خرافات الجهلاء المدعين الذين يتاجرون باسمها أو يبنون شهرتهم الكاذبة على حسابها، وقد لاحظ كثيرون تحاشيكم ايضاح «المنار» بالصور حتى رسوم من توفوا من علماء الاسلام فعد ذلك دليلا على كره الاسلام للتصوير في العصر الحاضر أيضا

وأما عن دار الدعوة والارشاد التي تقصدون بها تربية أساتذة لتهذيب العامة ونشر المبادىء الأدبية النافعة والقضاء على أباطيل الأولين ، فلا يحاربها رجل بعيد النظر حتى ولا من أنكر ذات الخالق ، لاني إذا قلت أن الطبقة المتعلمة من الامة قد تجد من تعليمها العالي المبادىء الادبية الكافية لصيانة أخلاقها ولو كانت غير متدينة بدين سماوي ؛ فيصعب علي جداً أن أتصور جواز هذا الحكم على عامة الناس الذين لا تثمر مبادىء الالحاد بينهم إلا فوضى أدبية مريعة . فيجب إذن تعضيد رؤساء الاديان الذين يسيرون بها دائما إلى الامام وقصدهم التعليم والتربية : وإذا عد نفر من الناس أن صلاح العالم هو في القضاء على الأديان فلا أدري كم بعد مئات من السنين يتحقق هذا الحلم . فاذا فرضنا أن تحقيقه في حكم المستطاع — والناس كثيراً ما يختلفون حتى على البديهات . وفي خلال كل هذا الزمن يلبث الدين قرين اللغة من مشخصات الأمة ومظهر من مظاهرها — فحري بكل ذي وطنية صحيحه أن يمعن النظر في هذه المسألة الحيوية .

هذا وإني لا أذهب مذهب مكاتبكم الفاضل في خاتمة المجلد السابق بل لا

أملك فى حسن مستقبل الشرق ؛ ولكل أمة دور من صعود وهبوط ، ولا خوف عندي على مثل « المنار » أو « دار الدعوة والارشاد » فلابد أن يأتى وقت قريب يعطى فيه خليفة الامام محمد عبده حقه من الانصاف على ماخدم به الأمم الاسلاميه من الارشاد النافع حتى صارت فتاويه مرجع كل مصلح اجتماعى جرىء .

وبات « تفسير المنار » معدوداً أعظم تفسير القرآن الشريف لجمعه بين علوم السلف والخلف ، ولما تضمنه من خلاصة العلوم الحديثة التى يجب أن تكون هدى المفسر لكتاب يعد قانون الله الذى خلق الكون ودبره . فما العلوم الطبيعية إلا خلاصة ما وصل اليه العقل الانسانى فى درس سنن الكائنات بتدقيق وأمانة . لهذا كانت تفاسير القرآن التى خطها الجاهلون بهذه العلوم أولى بالتلف منها بالصيانة ، فانها عار العلم والدين معاً

فاسمح لى إذاً يا سيدى الأستاذ أن أهنئكم على استقبال « المنار » لسنة جديدة من سنى حياته المباركة ، راجياً أن تكون فاتحة رقى متواصل له ونجاح ثابت ونصرة الفضيلة والآداب

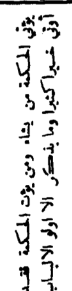
نادى مستشفى سانت جورج — أحمد زكى أبو شادى
بلندن — (طبيب)

(المنار) نشرنا رسالتكم برمتها وان كان موضوع باب الانتقاد على المنار خاصاً بانتقاد مسائله دون إدارته . ونشكر لكم تهنئتكم وثناءكم وكل ماكتبتم بمداد الاستقلال والاخلاص ، ولا أذكر ماعرض من الخلل على إدارة المنار ولاسيما إهمال التحصيل ، وأذكر من سببه خيانة بعض الوكلاء وتركى الاشراف عليها ، وتعدد من تولى أمرها منذ الانقلاب العثمانى الذى فتح لى أبواب الاسفار الى سورية ثم الآستانة ثم الهند وعمان والعراق ، والاشتغال بمشروع الدعوة والارشاد ، وستعود إلى الانتظام فى هذا العام إن شاء الله تعالى

وأما سبب قلة تنوع موضوعات المنار كتنوع غيره من المجلات فهو أن محرره واحد له أعمال كثيرة أخرى ومحرروها كثيرون . ولا يتسع هذا الجزء الخوض معكم فى سائر المسائل التى أودعتموها فى رسالتكم المفيدة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب





قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ ذي القعدة ١٣٣٤ — ٥ الميزان (خ ١) ١٢٩٥ هـ ش ٢٨ سبتمبر ١٩١٦

مناسك الحج

أحكامه وحكمه

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (سورة آل عمران – ٣: ٩٦)

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا (سورة البقرة ٢: ١٥٣)

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (سورة البقرة ٢ : ٩٣)

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم فيقول محمد رشيد بن علي رضا صاحب مجلة المنار: اني في شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٤ عزمت على أداء فريضة الحج في خدمة والدتي، وكنت أتمنى ذلك منذ سنين ولم يتيسر لي، لموانع بعضها من قبلها وبعضها من قبلي، وقد خطر لي قبل السفر من مصر بثلاث ليال أن أكتب شيئا مختصرا في أحكام المناسك وحكمها سهل العبارة، مأخوذا مما صح في السنة، مع الاشارة الى أقوى مسائل الخلاف، وأن أطبعهُ وأوزعهُ على

من أسافر بصحبتهم من الحجاج ،تعليما للجاهل، وتذكيرا للغافل، ولكن لم يتيسر لي الشروع فيه الا في منتصف النهار من اليوم الثاني والعشرين من الشهر — وموعد السفر ٢٤ منه —

﴿ الحج والعمرة ﴾

الحج أحد أركان الاسلام الخمسة ، وهو عبادة بدنية مالية ،والصلاة عبادة بدنية فقط وكذلك الصيام، والزكاة عبادة مالية فقط،ومعناه القصد الى بيت الله الحرام بمكة المكرمة لاداء النسك فيه وفيما جاوره من الاماكن الشريفة،وهذا النسك منهُ أركان وواجبات،وسنن مندوبات ومستحبات

والعمرة كالحج في أركانه وواجباته وسننه الا الوقوف بعرفة فانه ركن من الحج غير مشروع في العمرة، وتكون في أشهره وفي غير أشهره كما سيأتي . وهي واجبة عند بعض أئمة العلم وسنة عند الآخرين

ويجوز الجمع بين الحج والعمرة بأن ينويهما ويلبي الله تعالى بهما معا عند الاحرام ، ويسمى هذا [قرانا] وأن ينوي الحج وحده ويلبي به ثم يُدخل عليه العمرة ، ويسمى [إفرادا] وأن ينوي العمرة وحدها أو مع الحج ثم يتحلل منها بعد أداء أركانها ، ثم يحرم بالحج بمكة ، ويسمى هذا [تمتعا] لان صاحبهُ يتمتع بعد التحلل من احرامه بها بما يتمتع به غير المحرم من لبس الثياب والطيب وغير ذلك من محرمات الاحرام ، وعليه فدية وهي ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام اذا رجع من الحج أو اطعام ستة مساكين من أوسط طعامه ، ككفارة اليمين وزكاة الفطر

واختلف علماء السلف والخلف في الافضل ، وأقوى الاقوال في ذلك أن التمتع أفضل مطلقا أو لمن لم يسق [الهدي] الى الحرم .

و [الهدي] ما يهدى الى الحرم من الانعام ليذبح فيه تقربا الى الله تعالى، فمن ساقهُ من بلده أو طريقه فالأفضل له القران. وعلى هذا يكون التمتع هو الافضل والايسر لامثالنا — من الحجاج المصريين وغيرهم ممن لايسوق معهُ هديا— أن نحرم بالعمرة وحدها أومع الحج ثم نأتي بأركان العمرة كما يأتي بيانه، ثم نتحلل منها فنستبيح كل مايباح لغير المحرم، ونذبح شاة حتى اذا كان يوم [التروية]—وهو الذي قبل يوم عرفة— نحرم بالحج من مكة ؛ ولمن أحرم بالحج وحده أو بالحج والعمرة معا أن يتحلل بعمرة ثم يحرم بالحج كذلك

﴿ الاحرام والتلبية ﴾

لكل قطر من الأقطار مكان يسمى [ميقات الاحرام] لا يجوز تجاوزه بغير احرام لحاج ولا لمعتمر، وفي غيرها كقاصد الحرم للتجارة خلاف، فمتى بلغ الميقات أحرم عنده بأن ينوي الحج والعمرة أو أحدهما، ويلبي بما نواه بأن يقول: لبيك اللهم عمرة أو بعمرة، أو لبيك اللهم حجا، أو لبيك اللهم حجا وعمرة، أو بحج وعمرة. وتقدم أن الافضل لامثالنا الاحرام بالعمرة فقط. ومن أحرم احراما مطلقا قاصدا النسك الذي فرضهُ الله تعالى في حرمه من حيث الجملة جاهلاً هذا التفصيل صح احرامه، وعند اداء المناسك يأتي بواحد من الثلاثة التي ذكرناها. والاحرام بالمعنى الذي ذكرناه — وهو نية النسك من حج وعمرة فرض فيهما وهو ركن عند الجمهور وشرط على الراجح عند الحنفية

ويستحب الاغتسال للاحرام ولو لحائض ونفساء، وكذلك التطيب قبله، وأن يكون بعد صلاة إما صلاة فرض واما صلاة تطوع، وأن

يحرم في ثوبين نظيفين — وكونهما أبيضين أفضل — وفي نعلين لايستران الكعبين ، وان يكون أحد الثوبين ازارا يلف على النصف الاسفل من البدن والآخر رداءً يوضع على العاتق ويستر النصف الاعلى منه دون الرأس فان ستره حرام على الرجال. فلايجوز للمحرم لبس العمامة ولاغيرها مما يوضع على الرأس ولالبس القميص والقباء (القفطان) والبرنس والجبة والسراويل والخف والحذاء الذي يسمى الجزمة أو الكندرة . ولا ما في معنى ذلك من الثياب المفصلة المخيطة ومن لم يجد الازار والرداء أو النعلين لبس ماوجده، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب بعرفات يقول « السراويل لمن لم يجد الازار والخفان لمن لم يجد النعلين » ولا فدية عليه عند الشافعي وأحمد لانه لبس ذلك للضرورة فاذا زالت الضرورة في أثناء النسك بأن وجد الازار والنعلين وجب عليه نزع السراويل والخف ونحوهما، فان لم ينزعهما وجبت عليه الفدية وهي شاة يذبحها . وعند أبي حنيفة ومالك تجب عليه الفدية وان لبس ذلك للضرورة. ولا بأس بشد المنطقة أو الهميان الذي توضع فيه النقود في الوسط . ولا بأس بعقد الازار في وسطه أيضاً واذا كان يخاف سقوطه بغير عقد يتأكد العقد

والاصل في هذه المسألة حديث ابن عمر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يلبس المحرم من الثياب فقال « لا يلبس القميص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف الا أحد لا يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين . ولا تلبسوا شيئا من الثياب مسه الزعفران ولا الورس » هذا لفظ مسلم . وفي حديث ابن

عباس المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم لم يشترط في ترخيصه بلباس الخفين لمن لم يجد النعلين قطعهما . فبعض العلماء حمل هذا الاطلاق على حديث ابن عمر وقال لا بد من قطعهما ، وبعضهم قال أن حديث ابن عباس ناسخ لحديث ابن عمر لانه بعده

ولا يجب على الرجل كشف غير الرأس من بدنه ، ويجوز له أن يستظل بالمظلة (كالشمسية) وغيرها مما لا يمس رأسه ، ولكن يستحب له أن يعرض رأسه للشمس مالم يتأذ بذلك ، لان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يستظلون في الاحرام، وقد رأى ابن عمر رجلا ظالل عليه فقال له: ايها المحرم اضحَ لمن أحرمت له . أي أبرز للشمس لاجل من أحرمت له. يقال ضحِيَ الرجل يضحى ضحًى، وضحا يضحو ضحوّا وضحيا اذا برز للشمس أو أصابته الشمس .

وأما المرأة فلم ينهها النبي صلى الله عليه وسلم الا عن وضع النقاب على الوجه ولبس القفازين في اليدين فاحرامها في وجهها ويديها . والنقاب ما تستر به المرأة وجهها فلا يبدو منه الا محاجر العينين ومثله البرقع . قال العلماء فان سترت وجهها بشيء لا يمسه فلا بأس . وأما ستره عن الرجال بمظلة ونحوها فلا شبهة في جوازه ، و يجب اذا خيفت الفتنة من النظر . ومن أضره لباس الاحرام فله أن يتقي الضرر ولو بتغطية الرأس ومتى زالت الحاجة الى ذلك تركه

وأما التلبيـة فصيغتها المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لَبَّيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » وكان صلى الله عليه وسلم يلبي من حين يحرم يرفع بها

صوته ، فرفع الصوت سنة للرجل ، فيرفع المحرم صوته بحيث لا يجهد نفسه ، والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع نفسها وكذا جارتها

ومعنى التلبية المبالغة في إجابة دعوة الداعي الى الحج ، ولا يزال العرب يجيبون من يدعوهم الى شيء بكلمة لبيك ، وأول من دعا الناس بأمر الله الى هذه العبادة ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام . وذلك قوله تعالى له (وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) والرجال هنا جمع راجل وهو الماشي على رجليه ، أي يأتوك مشاة وراكبين على الرواحل الضامرة البطون التي تأتي من الفجاج والطرق البعيدة. فمعنى « لبيك اللهم » انني أجيب الدعوة الى هذا النسك خاضعا لامرك متوجها اليك مقيما لخدمتك المرة بعد المرة . والتلبية واجبة عند المالكية ومسنونة عند الجمهور

وهذه التلبية المأثورة هي العبادة القولية التي تتكرر من أول الاحرام بالنسك الى الانتهاء منه. ويستحب تجديدها بتجدد الشؤون والاحوال كالصعود والهبوط والركوب والنزول واجتماع الناس وتلاقي الرفاق

﴿ دخول مكة والطواف ﴾

يستحب الاغتسال لدخول مكة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل له ، وكان يبيت بـ[ذي طوى] وهو موضع عند الآبار التي يقال لها آبار الزاهر ، فمن تيسر له المبيت فيه والاغتسال فقد أصاب السنة . والافضل دخول مكة نهارا، وان يقصد المسجد الحرام توا، والافضل أن يدخل من باب بني شيبة، وروي في حديث ضعيف ان النبي (ص) كان يقول اذا رأى البيت (أي الكعبة المعظمة) « اللهمّ زد هذا البيت

تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرّفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا »وروي ان عمر رضي الله عنه كان اذا نظر الى البيت قال: اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام»

واعلم أن ما يذكر في المناسك من الدعاء والثناء وما يلقنه المطوفون للحجاج قلما يصح فيه حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه ماهو من أقوال الصحابة وغيرهم من سلف الامة .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع أصحابه يدعون الله تعالى ويثنون عليه في النسك بما يلهمهم الله تعالى فيقرهم على ذلك .فعلم من ذلك أن ما لم يصح عن النبي(ص) من ذلك لا يكلّفه أحد ولا يمنع منه ، ولكن لا يجعل شعارا عاما يلقنه كل الحجاج ويلتزمونه دائما بصفة خاصة،لان الشعائر لا تثبت الا بنص الشارع ، والظاهر ان الشارع ترك هذا الامر للناس ليدعو كل منهم ويثني بما يلهمه الله ويخشع له قلبه. ويسن أن يصلي بعد الطواف ركعتين

والثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد الحرام يبدأ بالطواف ، والطواف الاول من الحاج أو المعتمر يسمى طواف القدوم وهو واجب عند المالكية وسنة عند الائمة الثلاثة

ويراعي في الطواف شروط الصلاة كالوضوء وطهارة البدن والثياب وستر العورة لما رواه الشافعي والترمذي — واللفظ له — من حديث ابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم « الطواف بالبيت مثل الصلاة الا انكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم الا بخير »ووردت آثار في النهي عن كثرة الكلام في الطواف أي وان كان بخير لم تمس اليه

الحاجة ، لانه يشغل القلب عن الخشوع في هذه العبادة

ولما كانت الطهارة شرطا لصحة الطواف امتنع الطواف على الحائض والنفساء فهي تؤدي جميع أعمال الحج سواه فتتربص به الى أن تطهر ، ويبتدئ من الحجر الاسود : يستقبله ويستلمه ويقبله ان أمكن من غير إيذاء نفسه أو إيذاء احد بالمزاحمة والا اكتفى باستلامه بيده — أي مسحه بها — وتقبيلها فان لم يمكن أشار اليه بيده . ثم يشرع في الطواف فيجعل البيت عن يساره فيطوف به سبعة أشواط أي مرات . ويستلم من الاركان الركنين اليمانيين لانهما على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام دون الشاميين لانهما في داخل البيت

والركنان اليمانيان هما الجنوبيان ويسمى الذي فيه الحجر الاسود منهما [الركن الاسود] اذا ذكر وحده واذا ذكر الآخر وحده قيل الركن اليماني. والشاميان هما الشماليان فاذا ذكر كل منهما وحده قيل [الركن الشامي] وهو المقابل لبلاد الشام [والركن العراقي] وهو المقابل لبلاد العراق ، وانما يقال في تثنيتهما اليمانيان والشاميان من باب التغليب

هذا وإن في الحج ثلاثة أطوفة : طواف القدوم الذي ذكرناه ، وطواف الافاضة وهو ركن من أركان الحج باتفاق الائمة ووقته بعد الوقوف بعرفة ، وطواف الوداع وهو واجب عند الجمهور ومندوب عند المالكية . وللحاج وغيره أن يكثر من طواف التطوع ما استطاع

﴿ السعي بين الصفا والمروة ﴾

السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الجمهور ، وعند الحنفية واجب غير ركن ، ويشترط أن يكون بعد الطواف . وعند

المالكية يجب ذلك وليس بشرط ، ويجب عندهم الموالاة بينه وبين الطواف، وقال الجمهور انه سنة لا واجب. ويطلق على السعي اسم الطواف والتطوف كما ثبت في القرآن والاحاديث ، واختار الفقهاء اسم السعي للتفرقة بينه وبين الطواف بالبيت

وكيفيته أن يبدأ بالصفا فيصعد اليها ويستقبل البيت (الكعبة) فيهلل ويكبر ويدعو الله تعالى ثم ينزل ويذهب الى المروة فاذا انتهى اليها توجه الى جهة المسعى ليكون مستقبلا للبيت ويدعو الله تعالى كما دعاه عند الصفا ، فهذه مرة، ثم يعود الى الصفا ثم الى المروة الى أن يتم سبعة أشواط يرمل في ثلاثة منهن بين الميلين الاخضرين (وهما عمودان في جدار الحرم) والرَمل سرعة في السعي، ولا يشترط في السعي ما يشترط في الطواف من الطهارة ولكن يستحب ، ويجوز السعي راكبا وماشيا والمشي أفضل للقادر عليه .

روى مسلم وغيره من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال «أبدأ بما بدأ الله به (وفي حديثه عند النسائي « ابدؤا بما بدأ الله به ») فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى اذا رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : « لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : لا إله الا الله وحده . أنجزَ وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده » ثم دعا بعد ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة » — الحديث ، وفيه انه فعل في المروة كما فعل في الصفا . فينبغي ان يحفظ هذا وان يدعو الساعي بعده بما يفتح الله به عليه لنفسه وأهله واخوانه وأمته

(تذييه) ان المكان الذي كان يرقى النبي صلى الله عليه وسلم اليه على الصفا قد بني عليه والصعود اليه ليس شرطا لصحة السعي فمن وصل الى أسفل البناء هنالك وسعى ولم يصعده أجزأه ذلك ولكن الافضل ان يصعده لموافقة السنة في الصعود

﴿ الوقوف بعرفه ﴾

يخرج الحجاج من مكة يوم التروية (وهو الذي قبل عرفة ويسميه العوام بمصر والشام [يوم العرفة] ويسمون يوم عرفة [يوم الوقفة] محرمين لان من كان متمتعا يحرم في ذلك اليوم كاحرامه من الميقات ، والسنة أن يحرم كل واحد من المكان الذي هو نازل فيه، وله أن يحرم من خارج مكة ان كان غير مكي فان المكي انما يحرم من أهله ، والسنة أن يبيتوا بمنى ولا يخرجوا منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يسيروا منها الى [نمرة] عن طريق [ضب] من يمين الطريق وهو موضع في حدود عرفة بـ[بطن عرنة]. فيقيموا فيها الى الزوال ثم يسيروا منها الى بطن الوادي وهو الذي صلى النبي صلى الله عليه وسلم فيه الظهر والعصر قصرا وجمعا وخطب ، فيصليها الحجاج كذلك ويخطب بهم الامام . وهنالك مسجد يقال له مسجد ابراهيم بني في أول دولة بني العباس ثم يذهبون الى عرفات والعدول عن هذه الطريق الى طريق [المأزمين] ودخول [عرفة] قبل الزوال كلاهما مخالف للسنة ولكن لا يجب به شيء لانه ليس تركا لشيء من واجبات الاحرام .

ويقفون بعرفات الى غروب الشمس فاذا غربت خرجوا من بين العلمين أو من جانبيهما . ويجتهد الحاج في الذكر والدعاء في هذه العشية فهي أفضل الاوقات لهما وأرجاها للمغفرة والرحمة. ولم يعين النبي صلى الله عليه وسلم لعرفة دعاء ولا ذكرا ليجتهد كل انسان في ذلك بقدر معرفته وحسب حاجته . فيهلل ويكبر ويدعو ماشاء الله من الادعية الشرعية . ويسن الغسل يوم عرفة ، ولا يسن الصعود الى الجبل الذي هناك الذي يسمى جبل الرحمة ؛ – وهو جبل إلال – ولا دخول القبة التي فوقه التي يقال لها قبة آدم ولا الصلاة فيها. والسنة أن يفيضوا من عرفات

عند الخروج على طريق [المأزمين] فان النبي (ص) خرج منها على هذه الطريق لانه دخلها من طريق [ضب] فسنته في المناسك كسنته في الاعمال والمواسم ، اذا جاء من طريق رجع من أخرى ، كما كان يدخل المسجد من [باب شيبة] ويخرج بعد الوداع من [باب حرورة]

﴿ المبيت بِمُزْدَلَفَةَ ورميُ الجمار بمنى ﴾

يسن المبيت بمزدلفة بعد عرفة فهي المشعر الحرام الذي قال الله فيه (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) والوقوف عند [جبل قزح] أفضل، ثم يفيضون من المزدلفة بعد صلاة الفجر فاذا أتوا منى رموا [جمرة العقبة] بسبع حصيات ولا يرمون يوم النحر غيرها · وكيفية الرمي ان يستقبل الجمرة بحيث يكون البيت عن يساره و منى عن يمينه و يرفع يديه بالرمي و يكبر مع كل حصاة . وان شاء قال مع ذلك : اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا . و يستحب تكرار التلبية بين المشاعر كالذهاب من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى، ولم يصح في السنة التلبية في عرفة ولا مزدلفة ، فاذا شرع في رمي الجمرة استبدل التكبير بالتلبية — أي جعل التكبير للعيد بدلا من التلبية للحج ، لانه حينئذ يشرع في التحلل الذي تنتهي به المناسك . ومتى رمى جمرة العقبة نحر هديه ان كان معه هدي . وكل ما سيق من الانعام من الحل الى الحرم فهو هدي بالاتفاق ويسمى أضحية أيضا ، وأما ما يذبح يوم النحر في الحل فانه أضحية وليس بهدي . وأما ما يشترى في منى أو غيرها من أرض الحرم ويذبح فيها فهو ليس بهدي عند المالكية وعند الائمة الثلاثة يسمى هديا . ويقول عند نحر الابل وذبح غيرها : بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل مني كما تقبلت من ابراهيم خليلك .

﴿ الحلق أو التقصير ﴾

بعد رمي جمرة العقبة يحلق الرجل شعر رأسه أو يقصره بأن يقص منه مقدار الأنملة أو أقل أو أكثر ، وتقص المرأة ولا تحلق ولا تزيد على قدر الانملة . والحلق أو التقصير ركن من أركان الحج لا يتم الا به في مذهب الشافعي وعند جمهور

واجب لا ركن. و بالحلق أو التقصير يكون التحلل الاول من الاحرام فيحل به للمحرم ماكان محرما عليه بالاحرام الا النساء

و بعد هذا يأتي الحاج مكة فيطوف طواف الافاضة الذي هو طواف الركن كما تقدم فاذا طاف هذا الطواف حل له كل شيء مما ذكر حتى النساء

ثم يرجع الى منى فيرمي بقية الجمرات ، والافضل ان يرميها في أيام التشريق الثلاثة وله ان يرميها في يومين لقوله تعالى (واذكروا الله في أيام معلومات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى)

ويستحب في رمي الجمار ان يكون بعد الزوال وان يبدأ بالاولى وان يكبر مع كل حصاة · ويدعو فيطيل الدعاء . واذا قال في دعائه : اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا — فهو حسن

﴿ طواف الوداع ﴾

تقدم حكمه وينبغي ان يكون هذا الطواف آخر عهد حجاج الآفاق بمكة ليكون مسك الختام ٢

انتهت الاحكام ولم تشأ نشر [حكم المناسك واسرارها] في هذا الجزء من المنار لانها منشورة في [باب الفتوى] من المجلد السادس عشر فليرجع اليها من شاء في ص ٦٧٥

مدرسة دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٣

الدرن Tuberculosis

يراد بهذا الداء تكوُّن أجسام صغيرة في عضو أو أكثر من أعضاء الجسم (١) ويسمي الاطباء المحدثون هذه الجسيمات بالدرنات أو الدرن(٢) وهي تنشأ من باسيل اكتشفه العلامة الالماني كوخ سنة ١٨٨٢ ميلادية

أوصاف هذا الباسيل — هو عصيات مستقيمة أو منحنية قليلا طولها نحو ٣ ميكرونات وعرضها ٥و٠ من الميكرن، ذات أطراف مستديرة في كل منها نقطة لامعة أو أكثر ظن سابقا انها حبيبات للميكروب ، والحقيقة انه لايتوالد الا بالانقسام وهو عديم الحركة ولا أهداب له (خلافاً لماذهب اليه بعض الباحثين) ويعيش في الهواء وفي غيره من الغازات بل في الفراغ ، وأحسن حرارة تناسبه ما كانت درجتها ٣٧ سنتجراد ولكن نموه بطيء جدا

تركيب الدرن — تتكون كل درنة من خلايا تحيط بها تشبه كريات الدم البيضاء وفي داخلها خلايا تشبه خلايا البشرة وفي مركزها خلية أو أكثر كبيرة ذات نويات عديدة . وقد يوجد بين هذه الخلايا منسوج آخر دقيق جدا يؤلف بينها . ويوجد الميكروب بين هذه الخلايا أو فيها خصوصا حول الخلية المركزية الكبرى أوفيها كما في درن الحيوانات. وفي بعض الاحوال تكون هذه الخلية

---

(١) قد يصيب أي عضو من الجسم أو أي جزء منه وتكثر اصابته للرئتين ويقل للشغاف (الغشاء المحيط بالقلب) (٢) أصل معنى الدرن في اللغة الوسخ

معدومة وفي البعض الآخر تكون الخلايا البشرية كذلك معدومة فتتكون الدرنة من خلايا كالكريات البيضاء فقط . وقطر الدرنة الواحدة عادة مليمتر واحد أو اثنان . وتشاهد الدرنات في هذا المرض بوضوح في الرئتين أو الكبد أو الكليتين

وكلما كبرت الدرنة مات وسطها وذلك اما لعدم وصول أوعية الدم إليه أو لسموم الميكروب أو للسببين معاً، فاذا مات الوسط صار مصفراً وقوامه كالجبن وهذا الوسط الميت يزداد اتساعاً بينما محيط الدرنة يُغير على ما أحاط به من الانسجة وهلم جرا . وهذه الدرنات تنشأ بسبب تهيج العضو بالميكروب فتتكاثر الخلايا حوله بانقسامها الى عدة أقسام . وتهرع اليها الكريات البيضاء لمقاتلتها فتحيط بها فيصيبها ماذكر . وباجتماع هذه الدرنات بعضها مع بعض تتكون درنات كبرى فينشأ من ذلك أخرجة (جمع خراج) في العضو المصاب

وقد تتحول الدرنة الى مادة كلسية (جيرية) برسوب فسفات الكلسيوم فيها على الاكثر فيموت الباسيل و يشفى العليل

وهذه الدرنات تحدث تهيجاً في الاعضاء وقد يكثر حولها المنسوج الليفي الضام . ويجوز أن يغير هذا المنسوج على الدرنة ويطبق عليها فتضمر وتتناقص حتى تستحيل الى نقطة ليفية و بذلك يشفى الدرن أيضاً

أما اذا كانت قوى المريض ضعيفة فتلتهب الانسجة حول الدرنات وتزداد حالة العليل سوءاً فوق سوء ، وفي آخر الامر تتقيح الدرنات وما حولها و يشترك مع هذا الميكروب ميكروبات أخرى فتتكون أخرجة وكهوف كما يحصل كثيراً في رئة المسلولين

الاسباب — ميكروب هذا الداء منتشر كثيراً بين الناس و بعض الحيوانات. ولمعرفة كيفية العدوى به يجب أن نقسم البحث هنا الى مسئلتين : —

(الاولى) الاستعداد الشخصي : للوراثة تأثير عظيم في العدوى بهذا الداء فانه يغلب حدوث هذا المرض في أولاد المسلولين . ولا يتوهم أحد أن الذي ينتقل من الوالد الى ولده هو الميكروب بل استعداد خاص فقط اللهم الا في أحوال نادرة جداً، ولذلك كثيراً مايولد الولد في صحة لا بأس بها أو جيدة ثم يصاب بعد ذلك بالدرن

وهناك مهيئات كثيرة للعدوى تسبب نهاكة القوى فيضعف الشخص عن مقاومة الميكروب فيقهره ، وأهم هذه المهيئات (أ) الازدحام وفساد الهواء بأي سبب كان (ب) قلة الاغذية (ج) اجهاد قوى الجسم فوق طاقته بأي عمل كان ككثرة العدو أو الانهماك في الجماع أو في السهر أو جلد عميرة أو المطالعات الطويلة والمباحث العقلية العنيفة خصوصا اذا صاحبها الفقر وفساد الهواء (د) كثرة الحمل والولادة أو الارضاع (ه) كثرة التردد الى الأماكن الرطبة المظلمة التي يندر دخول الشمس فيها (و) الحمى التيفودية (ز) الاسراف في شرب الخمور (ح) البُوَال السكرى (ط) الزهري اذا أهمل حتى أفسد البنية

هذه هي المهيئات العامة وهناك مهيئات أخرى خاصة بالعضو المصاب ويسمونها بالمهيئات الموضعية مثل كثرة النزلات الشعبية أو الرئوية وتهييج الرئة ببعض الغازات أو بغبار بعض المعادن وغيرها كما يحصل في المصانع

وللعمر تأثير كبير أيضا في العدوى فترى ان الدرن كثيرا مايصيب الصغار ففي الاطفال تشاهد كثيرا إصابتهم بدرن السحايا أو البريتون أو الغدد اللمفاوية أو العظام أو المفاصل، وفي الشبان كثيرا مانشاهد الدرن الرئوي (وهو المسمى بالعربية السِّل أو الهُلاَس) وأما الاشخاص الذين عمرهم فوق الاربعين فتقل اصابتهم بالدرن ولا ينافي ذلك أنه يصيب الشيوخ أحيانا قليلة وفي تلك الحال يغلب أن تكون اصابتهم مزمنة أي ان المرض بدأ فيهم قبل الاربعين

(المسألة الثانية) مدخل الميكروب : يدخل الميكروب الجسم من طريق الجلد أو الرئتين أو القناة الهضمية

(أ) طريق الجلد وهو نادر الوقوع غير انه يشاهد أحيانا ثؤلول في أيدي المشرحين لجثث المسلولين ، وفي هذا الثؤلول توجد ميكروبات الدرن وقد تنتشر منه الى الرئتين أو غيرهما

وهناك درن يصيب الجلد يسميه الافرنج [لوبس Lupus] اخذا من كلمة لاتينية معناها [الذئب] لان هذا الداء يصيب كثيرًا الوجه فتتأكل أجزاء كثيرة منه تأكلا يشبه نهش الذئب . ولكن هذا الدرن الجلدي قل أن ينتشر

ميكروبه في الاحشاء . وهذا الطريق الجلدي غير مهم في الغالب

(ب) طريق الرئة وهو طريق مهم جداً . ولا يكفي لحصول الداء من هذا الطريق مجرد استنشاق بعض نفس المسلول أحيانا ، ولكن يحدث المرض اذا كثر الاختلاط بالمريض والقرب منه حتى يستنشق الانسان الهواء المشتمل على ذرات تخرج من صدر المسلول أثناء سعاله فتنتشر في الهواء المحيط به ، أما نفسه الهادئ فلا يوجد فيه الميكروب . واذا بصق المريض على الارض أو غيرها وجف البصاق تطايرت منه أجزاء فيها الميكروب وتكون خطرا شديدا على مستنشقيها

ويكثر وجود الذرات التي فيها الميكروب على بعد نصف متر من فم المصاب فاذا بعدت عنه مترا ونصف متر فقل أن يصيبك منها شيء

وهناك بعض الحيوانات الداجنة التي تصاب بالدرن كالببغاء وتكون أيضا سببا في العدوى بهذا الداء من هذا الطريق

ومن الحيوانات الاخرى الداجنة التي تكثر اصابتها به الخيل ويقل وجوده في الكلاب والقطط

(ج) طريق القناة الهضمية وهو أهم الطرق فان كثيرا من الحيوانات التي تؤكل يوجد فيها هذا الداء اذ انه كثيرا ما يصيب البقر والخنازير والدجاج والارانب وخنازير الهند ، أما المعز فقل أن تصاب به وكذلك الضأن

ولبن هذه الحيوانات يشتمل كثيرا على باسيل الدرن اذا أصيبت ضروعها به، ولما كانت معرفة الضروع المصابة عسيرة في أول الامر كان من الواجب اتقاء شرب اللبن الا بعد غليه مدة خمس دقائق على الاقل . وقد يوجد الميكروب في لحم هذه الحيوانات وأحشائها . ونظرا لانتشار الدرن في البقر يشاهد هذا الداء كثيرا في بطون الاطفال الذين يربون بلبنها . وقد دلت التجارب أن الحيوانات الصغيرة اذا ابتلعت ميكروب الدرن نفذ في جدر أمعائها وأصاب غدد المساريقا فينشأ عنه مرض هذه الغدد أو تدرن معوي أو بريتوني وقد يصل بعد مضي زمن الى أجزاء الجسم الاخرى فيصيب الغدد العنقية ويحدث داء الخنازير وقليلا ما يصيب رئتي الصغار . أما الشبان فاذا نفذ الميكروب خلال أمعائهم لم يصبها بشيء حتى يصل

إلى الرئتين فيحدث السل الرئوي . وهذا الفرق يشاهد أيضا بين الصغار والشبان اذا حقنوا بذرات من الكربون (الفحم) فتبقى في بطن الصغار وتصل الى رئة الكبار. ومن ذلك استدل بعض العلماء على أن الرئتين قد تصابان بالسل من طريق البطن اذا أكل الشخص لحما أو لبنا مصابا بل رجح هؤلاء العلماء أن اصابة الرئتين بالسل من هذا الطريق هي أكثر حدوثا من طريق التنفس

وفي أكثر الاحوال تكون الاصابة بالدرن موضعيــة في أول الامر يعني أنها تكون قاصرة على عضو واحد ومن ثم قد تنتشر تدريجيا الى الاعضاء الاخرى إما بسير الميكروب خلال الانسجة أو بسيره في الاوعيــة اللمفاوية . وهناك درن عام تصاب به فجأة أعضاء كثيرة من الجسم دفعة واحدة ولكن يكثر في مثــل هذا النوع أن يكون مسبوقا أيضا باصابة صغيرة موضعية كدرن الخصية مثــلا أو غدد العنق أو غير ذلك

ومما سبق يعلم أن أهم أنواع الدرن اثنان — الدرن العام والدرن الرئوي :

الدرن العام أو الدخني

سمي هذا النوع بهذا الاسم لان الدرنات تكون منتشرة في جميع أجزاء الجسم تقريبا وتشبه حبات الدخن اذا نثرت فيها

الاعراض — هذه الاعراض تكون في أول الامر مبهمة فيشتكي المريض من ضعف عام ونحافة واقهاء (فقد شهوة الطعام) وصداع وحمى وقد يوجد أثر من الزلال في البول وتسوء حال المريض شيئا فشيئا ثم تظهر أعراض أخرى تعين إصابة الرئتين ككثرة السعال والبصق أو يصاب الشخص بأعراض تعين إصابة البطن كالاسهال المتعاصي والمغص أو بأعراض أخرى تعين إصابة السحايا كالتشنجات والشلل. والمراد بذلك ان تكون أعراض انتشار الدرن في الاعضاء المذكورة أظهر من انتشارها في غيرها وان كانت كلها مصابة به

ويحصــل الموت في مدة تتراوح بين ٣ أسابيع الى ١٠ ولا يعلم باليقين أن أحدا أصيب بهذا الداء وشفي منه

المعالجة — عديمة الجدوى وانما تعالج الاعراض فقط ، ويعطى المريض السوائل المغذية و بعض المنعشات مع بعض مركبات الافيون لتسكين الألم والسعال، ومن المنعشات النافعة جدا النوشادر ، ويجب أيضا ان تكون سكنى المريض في الاماكن التي تكون طلقة الهواء وتتخللها الشمس كثيرا

الدرن الرئوي أو السّل

هذا الداء يصيب الرئتين بسبب تهييج باسيله لنسوجها فتتكون الدرنات ويلتهب ما حولها فيتصلب منسوج الرئة ثم يتقيح ويتحول الى تجاويف ممتلئة بمدة وصديد تسمى بالكهوف . ويكون ميكروب الدرن مصحوبا بميكروبات أخرى من الانواع البزرية غالبا اذا حدثت هذه التغيرات المذكورة أخيرا فانها تساعده في احداثها

الاعراض — سير هذا الداء مختلف فبعضه يكون سريعا والبعض الآخر يكون بطيئا فيمكث عادة من ستة أشهر الى بضع سنين

وأهم أعراضه السعال وضيق النفس والبصق الصديدي والنحافة الزائدة والحمى ونزف الدم من الصدر

وتبدأ هذه الاعراض بطرق مختلفة ، ففي كثير من الاصابات تبدأ بالسعال وبصق المخاط مع الصديد زمنا ما، وكثيرا ما يتوهم الشخص أن داءه من البرد فلا يعبأ به كثيرا في أول الامر ، وفي حالات أخرى تبدأ بالنزف الرئوي، وفي هذه الحالات قد يكون الشخص متمتعا بالصحة فيندهش بمفاجأة النزف الرئوي له بعد سعال خفيف فيخرج منه بضعة دراهم أو أوقية وقد يزيد الدم الى نصف لتر و بعد زمن تظهر باقي الاعراض ، وقد يعاوده النزف عدة مرات . وفي حالات قليلة يبدأ المرض بشكل التهاب رئوي أو التهاب بليوراوي مع انسكاب في الصدر . وهناك بعض الحالات التي تبدأ باضطراب في الجهاز الهضمي فيصاب الشخص بالاقهاء مع القيء المتكرر والنحافة ثم تتم باقي الاعراض المذكورة

مضاعفات هذا الداء

الجهاز التنفسي — يصاب بالتهاب الحنجرة، فيبح صوت المريض وفي بعض

الاحوال النادرة قد يكون ذلك أول مايلاحظ على المريض. ويصاب هذا الجهاز أيضا بالتهاب البليورا كما سبق مع الانسكاب المصلي أو الانسكاب الصديدي أو الدموي أو تخترق الرئة فيدخل الهواء في تجويف الصدر وبذلك يبطل تنفس الرئة المصابة

الجهاز الدوري — يصاب القلب بالضعف والتمدد في الاحوال المزمنة . وقد يصيب الدرن بعض شرايين الرئة فيفجرها ويحصل بسبب ذلك نزف شديد قد يكون سببا في الموت العاجل

الجهاز الهضمي — يصاب كما قلنا بالإقهاء والغثيان والقيء وعسر الهضم والاسهال وهو كثير الحصول في درجات المرض الاخيرة . وقد يصاب البريتون أيضا بالتدرن ، وقد تصاب الكبد والطحال والكليتان والامعاء بتغير مخصوص في أنسجتها يسمى عند الاطباء [الارتشاح الشمعي Waxy degeneration] ويشاهد أحيانا ناسور في الشرج بسبب هذا الداء أيضا

الجهاز العصبي — قد يصاب بدرن في السحايا

وقد تصاب أعضاء أخرى بالدرن فتزيد المرض شدة فوق شدته

نهاية المرض — يحصل الموت بهذا الداء بالطرائق الآتية : نهاكة القوى أو النزف أو اختراق الرئة أو التهاب السحايا أو انثقاب الامعاء أو التسمم البولي

الانذار — اذا اكتشف هذا الداء في أول درجاته فقد ينجح فيه العلاج ويشفي منه المريض غير أن أثر الدرنات يبقى في الرئة . وفي بعض الاحوال يسرع الموت الى المريض في أشهر قليلة وقد يمكث المصاب به عدة سنين قد تمتد الى الخمسين

المعالجة — لا يوجد دواء لهذا الداء محقق النفع ، وانما يتلخص العلاج في الكلمات الآتية : يوضع المريض في أصح الاهوية وأجودها وأكثرها تعرضا للشمس ، ويكثر من الراحة والنوم لتوفير قواه وكذلك يكثر من الاغذية الجيدة السهلة الهضم كاللبن والبيض والعسل واللحوم بأنواعها الى غير ذلك ، واذا اشتدت الحمى أو أصاب المريض الاسهال وجب عليه الاقتصار على الاغذية السائلة . وبالاختصار يجب اتباع جميع القوانين الصحيحة حتى تتقوى البنية فتغلب على المرض

ويعطى للمريض الادوية المقوية كزيت السمك والحديد (بشرط أن لا تكون حرارة المريض مرتفعة جدا) والزرنيخ والكينين وغير ذلك ، وهناك أدوية مطهرة للصدر يعرفها الاطباء فلا حاجة لذكرها هنا

ويجب أثناء المرض ان يبادر الطبيب بعلاج كافة الاعراض والمضاعفات بجميع الوسائل الممكنة السريعة التأثير حتى لا تنهك قوى المريض

الوقاية — تكون بما يأتي : —

(١) يتجنب المريض البصق على الارض أو في أي مكان يمكن أن يتصل منه الميكروب الى الاصحاء . ومن أحسن الوسائل أن يكلف المريض بالبصق في مباصق خاصة (منها ما يحمل في الجيب) ويوضع فيها محاول مطهر كحامض الفنيك بنسبة $\frac{1}{20}$ من الماء . واذا بصق في منديل وجب حرقه أو غليه غليا طويلا قبل أن يمسه أحد

(٢) يجب على كل شخص أن يتقي القرب من المريض حتى لا يكون في طريق الذرات التي تتطاير منه أثناء السعال وغيره ، فلا يجوز النوم معه في الفراش أو الجلوس بالقرب منه . ويجب على المريض أن يتحاشى الزواج خدمة لنفسه حتى لا تضعف قواه ولا يأتي بنسل ضعيف وخدمة للامة بعدم عدوى النساء وبعدم ايجاد ولد له يكون ضعيفا أو مصابا بالسل مثله

(٣) يجب تهوية الاماكن التي يسكنها المسلولون وتعريضها لشعاع الشمس كثيرا وتنظيفها دائما بالمحاليل المطهرة وغلي كل مافيها من أواني ومُلاآت وغيرها

(٤) يجب ان تتقي الامهات المسلولات ارضاع أبنائهن

(٥) يجب على الناس كافة طبخ لحوم الحيوانات طبخا جيدا وتقطيع اللحم الى قطع صغيرة مع اطالة مدة الغلي حتى تصل الحرارة إلى ماقد يكون في باطنها من ميكروب الداء، فقد ثبت أنه اذا زادت قطعة اللحم عن ستة أرطال فلا تكون درجة الحرارة في باطنها كافية لقتله. وكذلك يجب غلي اللبن غليا جيدا مدة [illegible] على الاقل . واذا علم أن حيوانا مصابا بالدرن وجب اجتنابه وتحاشي أكله أو شرب لبنه وابعاده عن الحيوانات الاخرى السليمة . وهناك طريقة لتمييز الحيوانات [illegible]

بالدرن عن غيرها ، وذلك باستعمال (التيو بركيولين) وسيأتي الكلام على ذلك تفصيلا. وليلاحظ عدم الغلو في غلي اللبن كأن يوضع في اناء مغلق وتطول مدة الغلي فانه قد ثبت أن ذلك يفسد بعض مواده الضرورية لحياة الجسم، فاذا اقتصر الشخص على شرب مثل هذا اللبن المبالغ في تعقيمه كالاطفال مثلا فقد يصاب بداء الكساح أو بالاسكر بوط ، فلذا يجب الاعتدال في تطهير اللبن

واذا خيف على الطفل من هذين الداءين فيحسن تغذيته بالاشياء الآتية مع اللبن وهي القشدة وزيت السمك وعصير البرتقال المحلى بالسكر أو بالعسل ومرق اللحم ، واذا كان للطفل بعض أسنان فلا بأس في اعطائه قليلا من الموز بعد عجنه ولو باليد النظيفة

(٦) يجب على كل شخص أن يتجنب كل ما ينهك القوى ويفسد الصحة كالسكنى في الاماكن الفاسدة الهواء أو الاهمال في الدخول الى الاماكن المكتظة بجماهير الناس كالمسارح و[دور الصور المتحركة] ونحو ذلك ويتجنب السهر الطويل واجهاد الجسم أو العقل وكثرة الجماع أو جلد عميرة وادمان الخمور ، وينبغي الاكثار من الرياضات البدنية مع الاعتدال واستنشاق الأهوية النقية – كالتي في الفلوات والبحار – وتعاطي الاغذية الجيدة السهلة الهضم والاكثار من النوم واتقاء شرب الدخان واستنشاق الغازات والابخرة المتصاعدة من النيران والمصانع وغيرها، وبالجملة فالواجب التزام قواعد الصحة كافة وعدم التهاون في شيء منها .

العرب والاسلام
والترك الاتحاديون

ان قراء المنار بعد الانقلاب العثماني يعلمون أن الجرائد الاسلامية الهندية أول من رمى الاتحاديين بالكفر والإلحاد ، وان المنار كان أول الصحف الاسلامية دفاعا عنهم ، ولما كثر الخلاف في أمرهم رحلنا الى الآستانة بعد تمهيد مع جمعية الاتحاد والترقي المركزية للقيام بمشروع الدعوة والارشاد في الآستانة وللسعي في التوفيق

بين الترك والعرب وكانت نواجم الخلاف والتخاصم قد نجمت وامتدت من العاصمة الى الولايات . وقد اقمت في الآستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا أزال أرى في كل سنة من الآيات ما يؤيده وتقنعني بأنني قد سبقت الى إدراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا الاجانب

ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه كالشيخ عبد العزيز جاويش لامكنني ان أنال في الآستانة من الاتحاديين أنفسهم ما لامطمع لعربي في نيل مثله ، فقد مناني الاتحاديون أعظم الاماني لانهم كانوا يظنون انني مدافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالكفر والالحاد وافساد هذه الدولة الا لان اسلامي سياسي يدور مع المنفعة الشخصية أنى دارت

ويعلم قراء المنار انني قد حملت على الاتحاديين بعد عودتي من الاستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم أحد بمثلها في الشدة ، كما يعلمون انني لم أكتب شيئا يذ في مصلحة الدولة العثمانية نفسها ، ولا شيئا ينافي الإخاء الديني بين العرب والترك ، فأنا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين . بل أعتقد أن كل ما كتبته كان خدمة للاسلام وللدولة ، وان الموافقين لي عليه من علماء الترك وجمهور المتدينين فيهم أضعاف الموافقين لي عليه من العرب ، لان الذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الالحادية من العرب قليلين جدا ولعلهم لم يكثروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب في سورية مصلوبين في أعظم مدنها عمرانا وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الاكبر أمير مكة المكرمة

وقد كتب بعض العرب العثمانيين من اسرى الحرب وغيرهم مقالات في مقاصد الاتحاديين وعداوتهم للعرب وللاسلام نشروها في المقطم والاهرام فظن كثير من المصريين انها مقالات مصنوعة افتجرها كتاب الجريدتين حتى ان منهم من لم يصدق ما نقل عن كتاب [قوم جديد] وكتاب [اتحاد اسلام] وانما لم يصدق هؤلاء هذه الاخبار لانهم لا يريدون ان يصدقوا ما لا يلذ لهم تصديقه ، ولو كانوا ذوي غيرة على الدولة والدين وحرص على بقائهما كحرصهم على انفسهم وراحة بالهم لتحروا وبحثوا عن أصل كل ما يقال في هذا الموضوع ليكونوا على بصيرة من أمر

أعظم الاشياء موقعا من أنفسهم وأهمها لديهم

كان مقصد الاتحاديين خفيا ثم عرف رويدا رويدا ، ثم اشتهر وتواترت أخباره في جميع الامم . واننا ننقل من ذلك عن جريدة الاهرام ما يأتي :

الاسلام والجامعة الطورانية

كيف يسعى الاتحاديون لملاشاة الحضارة الاسلامية (*)

كتب مراسل شركة [سنترال نيوز] الخاص يقول :

في خلال بضع السنوات الاخيرة بدت في بلاد تركيا طلائع حركة جديدة تعرف بنهضة « بني طوران » أو [الطورانية الحديثة] وغرضها هدم المدنية الاسلامية واحياء العصبية التركية على انقاضها والجمع بين العناصر التركية التترية والشعوب المنتمية اليها ومنها الامة البلغارية . أما القائمون بهذه الحركة فهم قوم مشهورون بعدائهم للاسلام وتعصبهم عليه، وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بذلك الكره بحجة ان الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية ويحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال

ومما يقولونه أيضا ان الاسلام لا محل له في المدنية ولا يمكن ان يعيش طويلا الا اذا أدخلت عليه تنقيحات عديدة تلائم المذاهب التركية القومية

ولهذه النهضة وجهتان احداهما أدبية والاخرى سياسية . فغاية الوجهة الاولى تمجيد الشعوب الطورانية ونشر تاريخها المجيد . وغاية الوجهة الثانية القضاء على العصبية العربية . فجنكيز خان هو في نظرهم نموذج الملوك ورجال السياسة فكل مملكة ينشئونها يجب ان تقوم على المثال الذي رسمه . وأما العرب في نظرهم فهم مصيبة على الاتراك . ولذلك يجب القضاء عليهم أو ادماجهم في العنصر التركي حتى ينسى العالم تاريخهم وتقاليدهم . أما لغتهم فلا بد من محوها واحلال اللغة التركية محلها في كل صقع وناد

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم الخميس ١٦ ذي القعدة — ١٤ سبتمبر

والغريب ان كتاب الاترك الحاليين الذين يدعون بأنهم وطنيون بكل معنى الكلمة ينشرون اليوم المقالات الضافية ويحثون أبناء قومهم على الطواف بجميع أنحاء السلطنة للمناداة بهذه البدعة الجديدة ومن أغرب مايروى من هذا القبيل ان أحد الاتراك طاف حديثا بسوريا وهو ينادي بهذه الضلالة

والحكومة الاتحادية تؤيد الآن جمعية «بني طوران» وتعززها بالاعانات المالية العديدة وتسمي تلك الاعانات «باعانات الملية التركية» وجميع كبار الاتحاديين أعضاء فيها وهم بعيدون عن الاسلام بعد الارض عن السماء. والمسلمون ينكرونهم لما يرون منهم من الاعتداء على حدود الشريعة الغراء

ولا يخفى ان الالمان هم الذين يؤيدون الاتحاديين في هذه السياسة الخرقاء فقد ثبت لهم الآن انهم لا يستطيعون اخضاع الاسلام لسياستهم ولا هم نجحوا في اثارة المسلمين الخاضعين لفرنسا وانكلترا على هاتين الحكومتين . فانقلب زعمهم العطف على الاسلام الى كره شديد له وأخذوا يعملون ضده مستعينين على ذلك بالجامعة الطورانية الجديدة . وقد علم العالم أجمع ماكان من أمر المنشورات الالمانية التي اكتشفها الجنرال [سمطس] في موشي والتي كان غرضها سحق الاسلام في المستعمرات الالمانية، ولذلك فألمانيا هي أكبر خطر على الاسلام مع انها تتظاهر بالغيرة على المسلمين

(*)

ليس من ينكر فضل الاسلام على العالم وما كان لمدنيته من الآثار الجيدة. أما الشعوب الطورانية فليس في التاريخ ما يدل على انها عملت عملا واحدا أفاد الانسانية بل بالعكس كانت جميع أعمالها تدميرا وتخريبا فالطورانيون لم يستنبطوا شيئا للمنفعة بل كانوا حيثما حلوا أخربوا معالم المدنية ومحوا آثارها واستعبدوا الشعوب التي يقهرونها بأساليب هي في غاية الهمجية

أما أدعاء دعاة الجامعة الطورانية بأن الاسلام قد حال دون نشوء المدنية التركية فغير صحيح . ولا يخفى ان المدنية العثمانية هي خليط من آثار المدنيات العربية والفارسية والبيزنطية والشعوب الطورانية التي لم تدخل في الاسلام لا مدنية لها على الاطلاق وانما هي استعارت شيئا من نمالة الحضارة الصينية ولو ان السلطنة العثمانية قد

اعتمدت على المدنية التركية لكانت قد أصبحت في خبر كان منذ أجيال عديدة لان المدنية التركية كما قلنا هي تخريبية لا تعميرية والشيء الوحيد الذي يفوق به الطوراني غيره هو الظلم والجور واضطهاد جميع العناصر التي لا تسبح بحمد الطورانية وتحمدل . وبسبب ذلك اعتقاده بأن جميع تلك العناصر وقفت حائلا بينه و بين تركمان آذر بيجان والقوقاز .

هذه رسالة شركة سنترال نيوز وقد نشرت الصحف الانكليزية كلها هـذه الرسالة و بسطت فيها الكلام بسطا ضافيا

الاسلام والطورانية الحديثة

ما يفعله الاتحاديون لمقاومة الاسلام (*)

نشرنا منذ بضعة أيام فصلا عن الاسلام والطورانية الحديثة ضمناه ما نشرته الصحف الانكليزية نقلا عن شركة « سنترال نيوز » الصحافية . وقد وقفنا الآن على مقالة ضافية في هذا الموضوع نشرتها مجلة الشرق الادنى فرأينا أن نورد خلاصتها لحضرات القراء قال الكاتب :

بدت طلائع الطورانية الحديثـة في الاستانة في عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتـد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة في جميع انحاء السلطة العثمانية . وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الاصلي الانفصال عن الاسلام ولها أغراض أخرى عديدة ينحصر أهمها في ما يأتي :

(١) جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام

(٢) ترقية الروح العسكري في الاتراك

(٣) انشاء علاقات تجارية وغيرها مع مسلمي اذربيجان وروسيا الاسيوية وروسيا الجنوبية

(*) نشرت في العدد الذي صـدر من الاهرام في يوم السبت ١٨ ذي القعدة – ١٦ سبتمبر

(٤) تطهير اللغة التركية من كل ماهو عربي أو فارسي

(٥) محو الجنسية العربية وادماجها في الجنسيات الاخرى

ويرمي القائمون بهذه الحركة الى جعل التركي يعتقد أنه تركي قبل كل شيء ومسلم بعد ذلك . ويقوم بمساعدة هذه النهضة جمعية « الملة التركية » التي تؤيدها الحكومة الاتحادية . بالاعانات المالية . ومن مبادئ هذه النهضة تربية الاجيال الحاضرة والمستقبلة على الروح الطوراني بانشاء مدارس طورانية بحتة . وبناء عليه يجب التوسع في تعليم التاريخ باللغة التركية وانشاء فرقة كشافة (سكوتس) من الاولاد الاتراك تحت إشراف أنور باشا . وقد أنشئت الآن هذه الفرقة وشرع الاولاد الذين فيها يتربون تربية عسكرية توطئة لدخولهم في الجيش . أما شارات الفرقة وراياتها فمأخوذة عن رموز ترجع الى ما قبل الاسلام . والاولاد الذين لهم أسماء عربية تستبدل أسماؤهم بأسماء تركية بحتة

ولهذه النهضة وجهة لغوية أيضا ولذلك أخذ زعماؤها يترجمون كثيرا من المؤلفات العلمية والتاريخية الى اللغة التركية البسيطة وقد كان في نيتهم أن يترجموا القرآن أيضا ولكن علماء الاسلام قاوموا تلك الفكرة بكل عزم وحالوا دون تنفيذها

ويعزى نشوء هذه النهضة الى عدة أسباب نذكر منها السببين الآتيين وهما :

(١) اللغة

لايخفى أن أحرف اللغة التركية مأخوذة عن الاحرف العربية والاصطلاحات التركية تزداد كل يوم تعقدا وصعوبة في نظر الطبقة الساذجة

(٢) كتاب المسيو [ليون كاهون] عن تاريخ الترك والمغول من أقدم الازمنة الى سنة ١٤٠٥ للميلاد وقدتوجت الا كاديمية الفرنسوية هذا الكتاب ، واتفق أن ناظم بك سكرتير جمعية الأتحاد والترقي العام قرأ هذا الكتاب فوضع أساسات النهضة الطورانية التي نحن بصددها

ولا شك أن نهضة كهذه ممـا تهم العالم الاسلامي قاطبة وتهم أيضا انكلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا اللواتي يحكمن على الملايين من المسلمين . والذي يشجع الاتحاديين على ترويج هذه النهضة اعتقادهم صحة النظرية التي ابتدعها [فمبيري] وهي

أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية . فالاتحاديون يقولون ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الاتراك « مسلمين ليفانتيين » وحال دون نشوء حضارتهم . على أن هذه الدعوى هي عكس الحقيقة تماما فان الاتراك الذين جاءوا أصلا من حدود الصين وانتشروا في مجاهل آسيا حتى ضفاف [الاوكسوس] لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لانهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لكل من يطلب معونتهم . ولم يحاول أحد من قواد الاتراك أن يخضع جميع القبائل التركية. نعم ان [جنكيز خان] كان يحلم بنشر سلطته عليها ولكنه لم يفعل . وقد اشتهر بأنه كان يقتبس عن الصين والعجم والعربية وبيزنطة وجرمانيا كل ما كان يروقه فيها من آثار الحضارة . ولا شك أن أهم ما اقتبسه هو الاسلام فالاسلام لم يحل دون نشوء الحضار التركية اذ لم يكن للاتراك حضارة خاصة بهم وكل ما لدى الاتراك من حضارة هو بفضل الاسلام ، ولما كان التركي مشهورا بروح الخضوع العسكري لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفا في قبضة الاسلام

ان العنصر الطوراني لم يشتهر بشيء من قوة الابتداع . وما تاريخه سوى تاريخ وتدمير. فقبائل [بوشي] أخربت مستعمرات بكتريا اليونانية. وقبائل [الهون] اجتاحت رومية الشرقية ورومية الغربية اجتياحا همجيا وقبائل [أفار] سعت لسحق الشعوب السلافية في مهدها، و[هولاكو] ردم أقنية بابل وجعل أخصب بقاع الدنيا بلادا قاحلة حتى الان، والعثمانيون أبادوا الحضارة البيزنطية التى ربوا عليها وا كتسبوا منها شيئا من العلم والمعرفة. هذه هي القبائل الطورانية التي تباهي « باتيلا » الذي كان نقمة الله على العالم، وجنكيزخان الذي سمى نفسه « غضب الله تعالى » ولما شرع الالمان يحاربون البلجيك وغيرها من دول أوروبا رأوا أن يقتبسوا أساليب جنكيز وأتيلا وتيمورلنك

***

ومما يدل على ان العقل التركي ليس عقلا مستنبطا انه لم يات بمستحدث في الاسلام. بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو. ولو كان مخلوقا مفكرا لرأيناه بعد انتحاله الاسلامية يزيد عليه أو ينقص منه ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك لعجز مخيلته عن الاختراع

امبراطورية تركية

ومما تسعى اليه نهضة الطورانية الحديثة انشاء أمبراطورية حربية واسعة الارجاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لرسيا أو لأية دولة اخرى. «أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها في الجنسية التركية المحضة لأنها خطر كبير على الجنسية التركية. ومن أمثلة الاتراك من هذا القبيل قولهم: واذا لم نعامل العرب كما نريد عاملونا بما نستحق» لذلك تراهم يسعون «لتتريك» العناصر العربية بحسب الاساليب البروسية

ومما يستحق الذكر أن جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير قال في كتاب حديث الفه ما يأتي: «أن بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين. ومما لامندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الاقطار العربية الى اقطار تركية لان الجيل العربي الحديث قد صار يشعر الآن بعصبيته وهو يتهددنا بنكبة عظيمة فيجب أن نحتاط للامر من الآن»

وكتب أحمد شريف بك مقالة في [طنين] جاء فيها ما يأتي: «لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما كأنهم ليسوا تحت حكم الاتراك. فمن واجبات [الباب العالي] أن يجعلهم ينسون لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الامة التي تحكمهم. فاذا أهمل الباب العالي هذا الواجب كان كمن يحفر قبره بيديه لأن العرب لن ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم. بل سيسعون لاسترجاع مجد مملكتهم واعادة ترميمها على انقاض دولة الاتراك»

وجاء في نبذة وزعها الاتراك في القوقاز. «ان العرب هم بلية علينا مع أن حصان التركي خير من أي نبي ظهر في العالم»

هذا وقد علقت مجلة الشرق الادنى على هذه المقالة بتوجيه نظر العالم الاسلامي الى الخطر الذي يتهددهم ان هم تباطأوا عن الاحتياط لدرء ذلك الخطر

منشور شريف مكة واميرها

نشرت الجرائد المصرية اليوميـة في آخر الشهر الماضي منشور شريف مكة وأميرها الذي وجهه الى العالم الاسلامي ، وانه لمنشور كتب بمداد الحكمة واصالة الرأي وشرف الغاية . وملخصه ان الشرفاء (أمراء مكة المكرمة) كانوا أول من اعترف بسلطة سلاطين آل عثمان الكرام لما كانت أحكام دولتهم قائمة على أساس الشرع الاسلامي حبا في الوحدة الاسلامية وكراهة للشقاق وتفرق الكلمة ، وان صاحب المنشور نفسه قد بالغ في الاستمساك بعروة الدولة حتى انه حمل بجنده من العرب على العرب وقاتلهم لاجل الدولة

ثم انتقل من ذلك الى سيرة فئة الاتحاديين الباغية فبين انها قد جنت على الدين والدولة والامة فانحرفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغيرت أحكام القرآن ، وحجرت على السلطان حتى منعته من التصرف بشؤون خاصته وقصره ، ونكلت بالامة ، فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود الذمة ، وخصت العرب بالاضطهاد فصلبت في الشام كثيرا من أهل العلم والرأي والفضل ، واستحلت مصادرة الاموال واخراج النساء المخدرات والاطفال من ديارهم وأموالهم ونفتهم الى بلاد الاناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعي . ثم ذكر تقحمهم بالدولة في هذه الحرب وتعريضهم اياها للخطر وما جنوه على البلاد بذلك ، وذكر ما حل بالحجاز من جراء ذلك وان الضيق قد بلغ بأهل الدرجة الوسطى الى بيع أثاثهم ثم بيع خشب بيوتهم حتى الابواب والسقف

ثم بين ان بلاد الحجاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاسد العامة التي اجترحها الاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لان الاتحاديين يتعمدون فساد هذا الدين ومحو هذه الامة العربية من لوح الوجود . وذكر ان الحامية التي وضعها الاتحاديون بمكة أرادت الانتقام من أهل البلاد فأطلقت قذائف مدافعها من حصن جياد على الحرم الشريف فأصابت بيت الله عز وجل وقتلت كثيرا من الطائفين والمصلين فيه

قوله وحسبنا برهانا على ما تكنه صدورهم نحو الدين والعرب رميهم للبيت العتيق الذي أضافته العزة الاحدية لذاتها السبحانية في قوله تعالى ﴿ وطهر بيتي للطائفين ﴾ وهي قبلة المسلمين وكعبة الموحدين بقنبلتين من قبل مدافعهم التي بحصن جياد أثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها وتمت احداهما فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة أذرع التهبت بنارهما أستار البيت حتى هرع الالوف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضجيج والنحيب واضطرهم الحال الى فتح باب البيت والصعود الى سطحه لاتمكن من اطفاء اللهيب، وما انتهى أمرهم بهذا حتى عززوا الاثنتين بثالثة في مقام ابراهيم، وهذا عدا ما وقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غالب مقذوفاتهم بالقنابل والرصاص، وما زالوا يقذفون الثلاثة والاربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تعذر على العباد القرب من البيت، وفي هذا من الاستخفاف والازدراء بالبيت وتعظيمه وحرمته ما نترك القول والحكم فيه أيضا لعموم المسلمين في مشارق الارض ومغاربها »

وهذا المنشور يؤيد ما شرحناه مرارا في المنار من سيرة هذه الجمعية الباغية في الدولة والامة، ومن اطلع عليه من قراء المنار يعجب اذ يرى أكثر مسائله في المحاورة التي نشرناها في الجزء الماضي، وسبب ذلك أنها حقائق يعرفها جميع خواص العثمانيين وكثير من عوامهم فكيف تخفى على أمير مكة المكرمة على مكانته في الذروة العليا من الامة والدولة، وأهل بيته منهم الاعضاء في مجلس المبعوثين كنجله الشريف عبد الله وفي مجلس الاعيان كأخيه الشريف ناصر

وقد أعجب أهل الفضل بنزاهة المنشور ومحافظته على كرامة الدولة العثمانية وسلاطينها العظام وكرامة الشعب التركي أيضا وحصره السيئات التي يشكو منها جميع العثمانيين وكل غيور على الدولة في سيرة الاتحاديين فيها

ومن حكم لروية والانصاف في سيرة الاتحاديين يستدل من موقفهم هذا المنشور الكثير من المطاعن التي قيلت فيهم على أن أخبارها قد بلغت حد التواتر بكثرة مصادرها فالشريف الاكبر لم يستمد ما ذكره في منشوره من الجرائد المصرية ولا الاوربية ولعله لم يطلع على شيء منها قبل كتابته، بل يستمد بيناته من الاقوال

والاعمال الرسمية . مثال ذلك ماذكره من الشواهد على جناياتهم على الدين وجرأتهم على هدم أركانه والعبث بأحكامه . فانه ذكر منه أمر سلطتهم العسكرية بالزام جنودهم المقيمة في الحجاز وغيره من الامصار الفطر في رمضان وأمرهم قاضي مكة بعدم الاعتداد بشهادة المسلمين بعضهم على بعض الا ماكتب منها في محكمته ، وأما أخبار فتكهم بأهل الفضل والنبل من مسلمي سورية تقتيلا وتصليبا ومصادرة الاموال ونفي النساء والاطفال فلا شك في أخذه إياه من الجرائد السورية الرسمية وغير الرسمية وان لم يصرح بذلك . ودليلي على ذلك ان أول كتاب جاءني من وكيل المنار في الحجاز قد نقل فيه عن تلك الجرائد اسماء من قتلوا وصلبوا في الشام من كبراء العرب ومنهم السيد الزهراوي وشفيق بك المؤيد وغيرهما

وقد تذكرت بهذا أنه لما ذكرت الجرائد المصرية أول نبإ عن صلب فضلاء العرب ببيروت وهم الاحد عشر الذين منهم النابغة محمد المحمصاني وعبد الكريم قاسم الخليل أرسل لي فؤاد الخطيب برقية من الخرطوم ذكر فيها ارتياعه واستفظاعه للخبر وشكه في صحته والرغبة الي في ارسال برقية اليه بيبان رأيي فيه وقال انه لا يثق به الا اذا كنت مصدقا له . فأرسلت اليه برقية قلت فيها انني لا أثق بشيء من ذلك . ثم جاءت جرائد أوربة فجرائد أمريكة تثبت الخبر ، وفي جرائد أمريكة العربية السورية نقل له عن جرائد سورية . ثم انني كنت مارا مرة بنظارة الحربية فرأيت فيها رجلا قد أسره الانكليز من سيناء فسألته عن بلده وعن أخبار سورية فقال انه من القدس ، وأخبرني بخبر الذين صلبوا في بيروت ، فقلت هل تعرفهم قال لا بل أعرف بعضهم بالاسم ، قلت ممن علمت بخبر شنقهم ؟ قال من جريدة القدس الرسمية . لاجل هذا قلت في المحاورة التي نشرت في الجزء الثالث ان خبر صلب من صلب في سورية قد ثبت عندي بالتواتر

لقيت أول من أمس صديقا لي من رجال القانون أعرف منه استقلال الرأي فتكلمنا في هذا الموضوع فقال انه يجب ان يجعل نفسه كالقاضي في هذه القضية فلا يحكم فيها . قلت بل يجب ان تجعل نفسك بمكان المؤرخ المنصف الذي يمحص الاخبار ، ثم يجزم بالنفي أو الاثبات ، فأنا لم أكن خصما للاتحاديين بل كنت صديقا

لهم قبل الدستور و بعده ، وكنت أول من دافع عنهم لما حملت عليهم جرائد المند الاسلامية ورمتهم بالكفر والالحاد، واسقاط خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد لاجل ابطال الحكم الاسلامي ، ولما شاع أمر خبثهم بالدين وتعصبهم على العرب وشرهم ثبت في الحكم عليهم وذهبت الى الآستانة فأقمت فيها سنة كاملة معهم ساعيا في خدمة الاسلام عامة وفي التأليف بين الترك والعرب وعلمت بالاختبار الطويل ان كل ما قيل فيهم دون الواقع كما بينته في المنار

وجملة القول ان منشور الشريف الذي كان قبل استقلاله في الحجاز أعظم الامراء العثمانيين هو أعظم الحجج على ملاحدة الاتحاديين ، كما أنه تأييد من سيد العرب لطلاب الاصلاح من العرب ، لانهم بنوا سعيهم على أساس المحافظة على الدولة العثمانية ، ومن قواعدهم ان لايكونوا سببا من أسباب ضعف الدولة ولا تمزيق وحدتها . وقد انسلخ من الدولة عدة ممالك وولايات بسوء سياسة الاتحاديين : البوسنة وهرسك وطرابلس الغرب وألبانية ومكدونية وكريت وجزائر الارخبيل الرومي ، - دع ولاية البصرة . ولولايات الارمنية والاناضولية التي ذهبت في هذه الحرب — ولم يكن العرب سببا في زوال شيء منها . فهذه أكبر حججنا على هؤلاء المخربين

باب المراسلة والمناظرة

حال المسلمين الاجتماعية

﴿ وفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

للفاضل الغيور — م . ن — صاحب الرسالة التي نشرت (في ج ١٠ م ١٨)

حضرة حكيم الاسلام السيد الامام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية !

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فلست صحفيا ولا من المشتغلين بالتحرير ولا يسع وقت فراغي كتابة المقلات ، وتنسيق العبارات ، فان في أعمالي اليومية اشغلا شاغلا . فان اكتب اليكم فانما اكتب مدفوعا بعامل القيام بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » التي عفا أثرها من بين المسلمين . اذ لولا صوت المنار الحي المرتفع الذي يدوي في الآفاق فيفتق أغشية الآذان ، ويرقق حجب القلوب ويفتح الاذهان ، ويوقظ النائم ، وينبه الغافل — لولا ذلك الصوت المنعش للنفوس المحرك للهمم ، لصح أن يقال ، ولا عتب في المقال : ان الامة الاسلامية شبح بلا روح

كتبت رسالتي الماضية في موضوع الدعوة والارشاد ولم يكن لي غرض سوى العمل بهذه الفريضة واقامة الحجة امام الله تعالى على المسلمين الذين تهاونوا فيه وفي كل عمل اسلامي . وانه وان لم يكن لدي كبير أمل في أن يقدم المسلمون في الحال ، ما يحتاج اليه المشروع من المال ، فقد كان رجائي عظيما في النجاح التدريجي الذي يؤدي الى النجاح التام . ولكني ما كنت أظن أن يكون نصيب هذه الدعوة الصمت والجمود اللذان يدلان على شدة ما تعاني الامة الاسلامية من أدوائها الاجتماعية .

لذلك حدثتني نفسي بعد طول الانتظار بأن أبعث اليكم بهذه الرسالة الثانية زيادة في التذكير ، وتأكيدا للانذار والتحذير ، ولأبين ان المسلمين غير معذورين في البقاء في هذه البؤرة النتنة ، وان وسائل النجاة والحياة في أيديهم والامر كله متعلق بمشيئتهم . وهذه هي الرسالة :

دعوت المسلمين في رسالتي الماضية لتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وما كنت لأدعوهم الا الى حق وأوضحت لهم خطورة الحالة التي نحن فيها وما كان لي أن أكذب . وأقمت لهم الدليل على أن المشروع كافل لاصلاح الحال ، وما كنت الا صادقا . وانتظرت ماذا يكون من أمر هؤلاء وأطلت الانتظار فألفيتهم صموا عن النداء ، واختاروا البقاء في الشقاء ، وما كنت مكرها لهم على ما تثاقلت عنه نفوسهم ولا اكراه في الحق

انه ليحزنني أن تخيب دعوتي وليس ذلك لانها صادرة مني فما هي الا صدى لاصوات صاحب المشروع ومن نصروه فيه من قبلي . وانما حزني وأسفي لحرمان الامة الاسلامية من الخير العظيم الذي كان ينتظرها ان هي أجابتها، ولكن ما حيلتي وقد دعوت ونصحت وما فرطت ، والامة أعرضت وجمدت واستكبرت . وقد فشلت دعوة الكثيرين من أهل الغيرة والاخلاص من قبل فلم ينقص إعراض الناس عنها من قدر الحق ولا من قيمة ما دعوا اليه شيئا، اذ الحق حي بذاته لا يضره أن يكفر الناس به كما لا يرفعه أن يغلوا فيه . وان في ضياع صوت أستاذنا العظيم في فضاء غفلة هذه الامة الجاهلة لعبرة وذكرى للمتشائمين المتسرعين

انه ليقع الانسان في الحيرة و يأخذه العجب لخيبة دعوة الحق بين المسلمين وفيها خيرهم وفلاحهم ونجاح دعوة الشر فيهم وفي اجابتها هلاكهم وشقاؤهم. فما أشد ظلمهم لاهل الحق الذين يغارون على الامة و يريدون لها الرشاد، وظلمهم لانفسهم باتباعهم أهل الضلال الذين يسعون في الارض بالفساد ! . ولقد ود المصلحون لو أن الامة عرفتهم فأنزلتهم منزلتهم وسمعت لقولهم واقتفت أثرهم فنهضت بهم . لا يسأل هؤلاء الامة أجرا على عملهم فالحق والعمل الصالح أعلا من أن يقوما بشيء من حطام الدنيا . وان أخذوا أجرا في الظاهر فليس هو في الحقيقة أجر وما هو من قبيل ثمن لشيء مباع ولكنه مال يسدون به عوزهم و يستعينون به على عملهم الذي يقيمون به لخير الامة وسعادتها . انما أجرهم على الذي فطرهم وهو وحده الذي يقدر عملهم ويكافئهم عليه في دار غير هذه الدار . أما أهل الباطل والضلال فهم ينفثون السم في النفوس والارواح بما ينشرون من رأي، ويدعون اليه من عمل؛ و يسلبون أموال الامة أجرا على هذه الضلالات، انهم لا يرجون عند الله ثوابا ولا بعد هذه الحياة حياة. فهم لذلك يحتالون على جمع المال بأي وسيلة تمكنهم منه، فهو غرضهم الذي اليه ينتهي الامل ، والسبب الوحيد الذي يحركهم للعمل . هؤلاء هم رسل الشهوات وأعوان الهوى وأولياء الشيطان، وأولئك هم دعاة الفضيلة وناصروا الحق وحزب الرحمن.

فيا ليت شعري أيّ الفريقين خير مقاما وأهدى سبيلا . ومن منهما أولى بالاتباع وأقوم عملا وأحسن قيلا ؟ فياخلف خير أمة أخرجت للناس أتستبدلون

الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ وتندفعون الى الاوهام والضلالات مختارين وتسلمون الى الشر؟

ودّ كثير من الناس لو يعرفون سبب هذا الجفاء بين المسلمين وأهل الحق والصلاح وهم المحبون الصادقون، وعلة هذه المودة بينهم وبين أهل الباطل والفساد وهم الاعداء الظاهرون. فانه لابد لذلك من سبب ومتى عرف السبب زال العجب.

ليس العيب الذي تقدم ذكره هو الوحيد في المسلمين. والا فلماذا يعادي هؤلاء المسلمون أنفسهم ويعطفون على أعدائهم؟ ولِمَ يعرضون عن مصالحهم ويسارعون الى هلاكهم؟ وما الذي حسَّن اليهم الباطل وبغضهم في الحق؟ وأي شيء سوّغ اليهم ارتكاب السيئات وترك الحسنات؟ ولاي سبب يصالحون الشيطان ويغضبون الرحمن؟ وما السبب الذي هبط بهذه النفس الانسانية الى درك الحيوانية؟

انه يوشك أن تكون جميع تصرفات المسلمين مخالفة للعقل والنقل وأحوالهم مرذولة غريبة الشكل. وانما هذه التصرفات والاحوال هي أعراض للمرض العامّ الذي سكن في جسم هذه الامة فأضعف قوتها الحيوية وأسدل الحجب على بصيرتها، فبحت ما ليس بالقبيح ورأت حسنا ما ليس بحسن. فمرض الامة هو سبب كل ما ننكر من ميولها وحركاتها وسكناتها. فاذا عرف المرض عرف السبب

المرض أو السبب هو كما قال السيد الامام هو ضعف استعداد الامة وحرمانها من الزعيم. وهو قول حق لا ريب فيه، اذ لو وجد الاستعداد والزعيم معا لنهضت الامة من كبوتها وحييت حياتها الطيبة وفارقها الشقاء، وزال عنها مانزل بها من البلاء، ولكن الى متى نسكت على هذا الضعف فينا ولا نباشر علاج أنفسنا؟ الآن وقد عرف كنه المرض الذي أصابنا وسبب الضعف الذي أنهك قوانا فمن السهل معرفة علاج هذه الحالة أيضا. إنه وقد أمكن تشخيص الداء فما علينا الا أن نصف الدواء.

لاعلاج لضعف استعداد الامة الا في أمر واحد وهو العلاج القديم الذي ثبت صلاحه وتأكد نجاحه وانتفع في كل زمان وفي كل مكان وسار على سننه الانبياء عليهم الصلاة والسلام في تبليغ رسالات ربهم عز وجل، وكذلك الصالحون من بعدهم. ذلك العلاج هو اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

ان الناس أفلحوا وسعدوا ما عملوا بهذه الفريضة وخابوا وشقوا ما أهملوها . فكما أن داءنا في تركها كذلك علاجنا في اقامتها . وقد جعل الله تعالى العمل بهذه الفريضة شرطا ضروريا لصحة الايمان وهي أعظم ما فرض العليم الحكيم على أتباع أنبيائه عليهم السلام ، فكانت ولا تزال اقامتها عنوانا على هداية الناس وسعادتهم، واهمالها دليلا على ضلالهم وخسرانهم واستحقاقهم للعنه « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

تركت الامة الاسلامية العمل بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » من عدة أجيال فنقدت بذلك قوتها الحقيقية التي كانت تحمي بها الاموال والاعراض والعقول والقلوب والاخلاق والدين من فتك الشهوات وهجمات الشياطين . وماذا يفعل الاعزل من السلاح ، في ميدان النزال والكفاح ؟ صار أفراد المسلمين بعد ذلك — وقد خفت صوت الامة وارتفع صوت الشهوات والهوى والشيطان ، كالعقد الذي تبعثرت حباته أوكذرات الرمال التي تتجاذبها الرياح والاهواء المختلفة فضل الناس في الفهم والرأي والعمل ولا منكر ولا مرشد ، وانحلت الرابطة وتفرقت الكلمة ، وتناكرت العقول والقلوب ، وضاعت الفضيلة ، وحلت محلها الرذيلة، واستبدل الجهل بالعلم ، وأوشك أن يكون الدين المعمول به عند الجماهير الآن مجموعة خرافات وأوهام وضلالات ، وبدع ومنكرات وتقاليد وعادات ، وبالجملة ان الحال قد تحول الى ما يرى كل انسان، وليس الخبر كالعيان. تلك عاقبة الذين نسوا حظا مما ذكروا به باهمالهم هذه الفريضة فتولدت بذلك في الامة الامراض والعلل، التي أضعفت استعدادها للفهم والعمل ، فضل فيها صوت المصلح ، وخابت دعوة الحق ، وما ربك بظلام للعبيد

وان تعجب فعجب أن يعتذر القادرون على الاصلاح عن اغفالهم ذلك الواجب العظيم باعراض الامة عن الحق والخير وانصراف عقول أفرادها وقلوبهم الى الباطل والشر، ونسوا ان الامة ما سقطت في هذه الهوة السحيقة ، الا بسبب اهمال هذه

الفريضة . كما غفلوا عن كونها أحوج الى الارشاد في هذه الحالة منها في سواها !

ان ما وقع من الامة من التفريط في جنب الله لا ينبغي أن يسئل عنه سواها وان عليها ان تتحمل وحدها أثقاله وتتجرع مرارته (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . فلا يصح أن يؤدي تفريط الامة في واجبها الى تفريط المؤمن في واجب « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي فرضه الله عليه ، ولا يسقط عنه الا بأدائه سواء استجاب له الناس أم لم يستجيبوا . ماكان ضعف استعداد الامة للحياة أو بعبارة ثانية ضعف قوتها الحيوية الذي هو نتيجة طبيعية لما كسبت أيديها كما تقدم ليغير من موقف المصلح أمامها ، فهو مطالب على الدوام بأن يصدع بالحق وان كان غريبا عن عقول وقلوب أكثر سامعيه، وان يقرر الحقيقة وان لم يفقهها الا نفر قليل منهم،ولدعوته مع ذلك حجة على الطائع والفاسق،وما الاخير لقلة استعداده بمعذور (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون* وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون* ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء* ما على الرسول الا البلاغ)

وقد دعا كثير من أنبياء بني اسرائيل قومهم الى الحق فكذبوهم وقتلوهم . وما كذبوهم وما قتلوهم الا لانهم لم يفقهوا دعوتهم أو لم يقبلوها. وكذلك كان شأن الناس مع كثير من المصلحين . فما من دعوة الى حق الا وصادفت في أول أمرها إعراضا عظيما ومقاومة كبيرة ممن جاءتهم ، حتى قيل انه لا أمل في قبولها . ومع ذلك لم يكن ذلك الاعراض وذلك التكذيب وتلك الشدائد لتؤثر في همة أولئك الهداة وعزمهم ، أو ترجعهم عن قصدهم ، فمن ذا الذي يجسر ان يقول ان عملهم كان لغوا لان الناس لم يكونوا مستعدين له ؟ كلا بل هو كل الحق والصواب وعين ما أمر الله به وأوجبه عليهم وهو سبب كل ما وجد وما يوجد من خير واصلاح في العالمين وعلة الحركة والحياة في الناس أجمعين .

ان كل دعوة لحق تصيب الغرض سواء أجيبت في الحال أم لم تجب وسواء أدرك الداعي نجاح دعوته في حياته ، أم حصل النجاح بعد وفاته، فهي محدثة أثرها على كل حال . فمثل الكلم الطيب والعمل الصالح وتأثيرهما في النفوس كمثل التفاعلات الكيماوية سواء بسواء ، فان التفاعل الكيماوي حاصل وان كان أحيانا

يسير ببطء تبعا لحالة المواد وطبيعتها وقوة تأثيرها بعضها في البعض الآخر. وكثيرا ما تجري الحوادث الكونية بحيث لاتدركها الابصار ولا تتناولها الحواس، فاذا مضت الايام أو الشهور أو السنون أو القرون فوجئ الغافلون بالنتائج الصغيرة أو الكبيرة التي نشأت عنها . وبالجملة انه كما ان لكل حركة أثرا في مجموع ما يحيط بها من الاشياء كذلك لكل كلمة طيبة أو كلمة خبيثة فعلها في ردع الناس عن الشر أو اغرائهم به . أفليس من الوجوب علينا الاكثار من الكلم الطيب دعوةً للخير ومقاومةً لدعوة الشر التي كثرت واستفحل أمرها ؟

ان الباطل عدو الحق كما أن الحق عدو الباطل . وهذه العداوة قديمة من عهد ان عرف حق وباطل وستبقى مستمرة الى ما شاء الله تعالى . فعلينا ان نفهم هذه الحقيقة ولا يطمعن أحد في التوفيق بين عدوين هما أكبر خصمين في الوجود. انه لا ضرر على الحق من هذه العداوة أو الخصومة التي لامفرّ منها ، فالباطل أضعف من ان يقف امام حق والحق أقوى من ان ينازل باطلا وما كان لباطل ان يوجد مع حق في ساحة فأين وجد حق لايوجد باطل وان الباطل ليتضاءل أمام أشعة الحق كلما اقترب منه كما تتضاءل الظلمة أمام الضوء . ان الحق ثابت بنفسه والباطل ساقط بذاته أو بعبارة أخرى ان حياة الحق مستقلة باستقلال الحق ولا حياة للباطل الا باستناده الى الحق فهو أشبه بالخيال منه بالحقيقة . انه لايغلب الباطل الا الحق فالباطل قوي ماغاب عنه الحق وكما انه لا سلطان لحق على حق كذلك لانفوذ لباطل على باطل وكما ان الباطل يذهب لقدوم الحق فانه لا يترك مكانه لباطل مثله . فيلزم مواجهة الباطل بالحق على الدوام فموت الباطل في قرب الحق منه وحياة الحق في خفاء الباطل. ان الحق حق ولايمكن ان يكون الاحقاء والباطل باطل ولا سبيل الى جعله حقا ، فلا بد من الخلاف والتصادم بينهما . ولما كانت مهمة الحق ازهاق الباطل ودأب الباطل الفرار من امام الحق والانتشار في الساحات التي لا سلطان له فيها ، وجب ان يتعقب الحق الباطل أينما حل وسار ، ليتم له الانتصار .

لا عيب في الحق وانما العيب فيمن يدعون انهم أهله اذا قصروا في القيام به ونصره ، والا فلم يخشى أهلُ الحق أهلَ الباطل وهؤلاء ضعفاء بضعف ما لديهم

من باطل ، وأولئك أقوياء بما لديهم من الحق ؟ لايجوز لاهل الحق ان يدعوا هؤلاء المبطلين آمنين مغرورين بزخرف الباطل مفتونين بظواهره الكاذبة حتى لا يكون ذلك اقرارا منهم لباطلهم ، بل ان الواجب اقلاق بالهم وقذفهم بالحق دائما بدون رأفة أينما ذهبوا أو حلوا أو وجدوا ، في غدوهم ورواحهم ، في نومهم ويقظتهم ، في أعمالهم وراحتهم ، الى ان يذهب نور الحق بظلمة الباطل ، ويعرفوا انهم لم يكونوا الا واهمين . ان نور الحق متى ظهر للناس لا يستطيعون نكرانه وان استطاعوا أنكاره فلا يقدرون على المجاهرة به . وان الاصرار على الباطل بعد أن يفضحه الحق قليل في الناس ، وانما يصر الا كثرون منهم على ما يصرون جهلا منهم وتوهما أنهم على حق، لاعذر في السكوت على الباطل فيجب أن لا يصد داعيا الى الحق صادّ مهما عظمت المهمة وبعدت الشقة. واذا بعد الناس عن الحق أوقل عدد الراغبين فيه منهم أو فقدوا في بعض الازمنة أو الامكنة فان ذلك لا يجعل الحق غير حق ، ولا ينبغي ان يكون مانعا من الدعوة اليه اذ الباطل لايصح ان يُرضى به على أي حال.

ان الحالة قاضية بتنبيه المسلمين الى الخطر المحدق بهم ، وأن يقال لهم في وجوههم بصوت جهوري: انكم في هوة انحطاط سحيقة تجب المبادرة الى انقاذ أنفسكم منها . ولا يمكن أن يقال لهم غير ذلك . ينبغي أن يقال للمسلمين : « يامعشر النساء ويامعشر الرجال أنتم على باطل وضلال. وأن تقاليدكم وعاداتكم التي تدينون بها وتحرصون غاية الحرص عليها انما هي من مخترعاتكم ومخترعات آبائكم ، وأن العقل ينكرها وشرع الله يتبرأ منها . وهذه القبور وما حوت من عظام والاشجار والاحجار لا يمكن أن تتخذ وسيلة الى العليم العلام ، ولا سببا لقضاء الحاجات أو شفاء الاسقام ، وهذه الافكار الفلسفية والنزعات المادية التي اتبعتم فيها سفهاء الافرنج بدعوى المدنية لم تكن الا نزغات شياطين . وهذا الفسق والفجور والعصيان من عمل الشيطان ولا يتفق مع رضاء الرحمن . وأن خطتكم التي تسيرون عليها الخطة عوجاء وهي سبب ما نزل بكم من البلاء . فارجعوا الى أصل الدين تكونوا من المهتدين » يجب أن يقال ذلك وماشاكله للمسلمين وأن يبين لهم مايقال تقريبا للعقول والافهام. فمن قام بذلك فقد قام بواجبه وليس عليه أن يبحث في مبلغ تأثير

كلامه في نفوسهم فليس عليه هداهم وانما الهدى هدى الله .

قد يفقه المسلمون القول ويدركون الغرض المقصود منه في الجملة فيهمون أن يفتحوا عيونهم للنظر ويتحركوا للعمل ولكن قد تغلبهم الشهوات فيعرضون ويوسوس لهم الشيطان فينكصون ، وعن اتباع الحق يعدلون . انهم عصوا لضعف استعدادهم ولكن ما حيلة الداعي وأمر استعدادهم بأيديهم ان شاؤا أصلحوه وان شاؤا زادوه ضعفا ؟ وما ذنبه والمرء لا ينفعه زجر زاجر ما لم يكن له من نفسه وازع (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ان الناس مسؤولون عن ضعف استعدادهم كما أنهم مسؤلون عن ضياع كلمة الحق بينهم.وان ضعف استعداد الامة ناشئ عما ارتكبته من السيئات،فيكفي منها الاقلاع عنها وعمل الصالحات ليبدلها الله تعالى من فضله حسنات . ما عذر هؤلاء المسلمين في هذا الانحطاط الذي انفردوا به وفيهم كتاب الله تعالى ، وأمامهم سنة رسوله (ص) و بين أيديهم آثار أهل الحق ورجال الاصلاح ، وتحت أنظارهم الامثال الحسية على قيمة العمل وعلو الهمم فيما يشاهدونه حولهم من المجهودات العظيمة التي تقوم بها الامم العزيزة القوية ؟ ان المريض وان اشتد به المرض قد يجد الى الشفاء سبيلا باتباع أوامر الطبيب والعمل بارشاده . فلماذا لا تطلب هذه الامة شفاءها في القرآن الذي ما فرط الله فيه من شيء ففيه شفاء للناس ؟ ولم لا تستوضح ما أشكل عليها من سنة الرسول (ص) والمأثور عن السلف الصالح ؟ كل ذلك ميسور لها سهل عليها . بل ما الذي يمنعها من الاصغاء لنداء أهل الحق والاصلاح الذين يمنّ الله تعالى بهم على المسلمين من وقت الى آخر رحمة بهم اذا اشتدت الحاجة اليهم وزاد الكرب وضاع اللب و بلغت الروح التراقي ؟ لقد رزق الله الامة الاسلامية من هؤلاء في أقل من نصف قرن ثلاثة أقطاب كل واحد منهم يكفي للنهوض بالامة واسعادها لو وجدوا منها سميعا وناصرا ومطيعا. انه قضى منهم اثنان وها هو ذا الثالث يترع بالحجة و يصدع بالحق تسعة عشر عاما فهل وزن قوله بميزانه وعرف له حتى الآن قدره؟ ان صوت المنار هو حجة الله الناطقة في الناس في هذا العصر وأنه وان ضاع حتى الآن بين أهل هذا الزمان فانه لا يضيع عند الله ولا في مستقبل الازمان

افلا ينظر المسلمون الى حالتهم ويرجعون الى أنفسهم ليجدوا أنهم ضلوا ضلالا بعيدا ! وهل شيء أدل على ضعف دينهم وانحلال قوتهم من قيام قسيس في هذين اليومين يطعن في السنة وأشهر رواتها وحملتها وينشر شبهته في مجلة سيارة ويدعو الى الرد عليها ثلثمائة مليون من المسلمين ؟

فأي برهان على فقر الامة من الرجال أقوى وأظهر من سكوت علمائها عن رد مزاعمه وابطال شبهاته سوى رجل الاصلاح الاوحد ناصر الاسلام السيد الامام ؟ ان القسيس ما كان ليتحدى برسالته صاحب المنار فهو يعرف من هو، وكان يتمنى طبعا لو لم يرد عليه بحرف واحد. فهل الامة كلها صاحب المنار؟ وهل عدم المسلمون وهم يعدون بمئات الملايين من يستطيع ابطال الشبهة ورد الفرية سواه؟ قد يكون ذلك صحيحا ويا للاسف وقد لا يكون صحيحا . ولكن الذي يلزم الاعتراف به هو ان الامة سكتت لمن ادعى انه هدم الاصل الثاني من اصول دينها وهو السنة النبوية وقد وقف أمامها يدعوا افرادها كافة الى الكلام، ويطلب منهم وهو فرد ضعيف الخروجَ جميعا الى الميدان ! فهل نصدق بعد هذا دعاوي من تصدروا لارشاد الامة وسموا أنفسهم رجال الدين وأئمته؟ وهل يغتر الغافلون بتظاهر أهل العمائم والفرجيات من علماء هذا الزمان بالتقوى والصلاح والغيرة على الدين والعمل لمصلحة المسلمين؟ ألا ليت شعري بماذا يعللون سكوتهم وقد وجب النطق واستنصر الحق؟ وباي شيء يؤولون اهمالهم فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهم اولى الناس باقامتها ؟ لا جواب على ذلك الا ان الهمم مصروفة الى غير تلك السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل

لم تفقد الامة الاسلامية استعدادها للعمل فقدا تاماً اذ هي لا تخلو من استعداد لقبول دعوة الخير الى حدماً والاّ لكانت شرّاً محضا . ولا يوجد في الكون محض شر وإلا لزال على الفور. فالذي نشكوه وعناه السيد الامام هو ضعف الاستعداد لا فقده تماما. وانما ترفض الامة الضعيفة الاستعداد دعوةَ الحق ولا تلبيها في وقتها لقصر في النظر وقلة في الفهم ، وضعف في القلب . وليست معذورة في ترك العمل لضعف استعدادها وحرمانها من الزعيم أو الزعماء كما تقدم ، فان ذلك الضعف وذلك الحرمان منها وهي التي ولدتهما كما تلد الام ولدها

ألا ان الاستعداد لا يوجد في الامة من نفسه ولا يوهب لها كما يوهب المتاع. ولكن الامة هي التي توجده بتمهيد الاسباب له كما ان وجود الزعماء تابع لحركة الحياة فيها ، فهم أبناؤها وهي التي تلدهم . فالامة هي التي توجد استعدادها كما تلد زعماءها، وقد يكون الزعيم موجودا وهي لا تراه لعلة في باصرتها أو بصيرتها فاذا زالت العلة بتقوية الاستعداد للاصلاح والتوجه لطلبه وجدته بين يديها وأمام عينيها

فالامر كله راجع الى الامة وهي التي عليها أن تحضر الدواء وهي التي عليها أن تتعاطاه . فهي المريض ومنها الطبيب . وبعبارة ثانية ان الامة متى وجد فيها الاستعداد للحياة أوجدت طبيبها واستعدت لقبول دوائه ، فهي المطالبة باعداد الطبيب أو الاطباء وهي المطالبة بتجهيز الدواء و باستعماله في مقاومة الداء . انها هي المطالبة وحدها باقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فان عجزت فقد عجزت عن الحياة ولا دواء ولا شفاء

لست أعني بهذا اني يئست من حياة هذه الامة ، بل مرادي أن أقول ان حياتها لاتكون الا في العمل بهذه الفريضة التي هي العلاج الوحيد لمرضها .

انه ماكان للسيد الامام وهو طبيب الامة الاوحد أن يباشر علاجها الا من هذا الطريق الطبيعي الامين ، وان يستعمل سلاحا لقطع عرق الفساد من أصوله غير ذلك السلاح الماضي . فلقد أحيا هذه الفريضة ونصرها بلسان المنار الذي أنشأه وبلسانه على منابر الخطابة وفي الجمعيات والحفلات وفي مجالسه العامة والخاصة وقد ربى المنار رجالا يحبون الاصلاح ولكنه على ارتفاع صوته وعظيم قوته المستمدة من قوة الحق لا يزال عدد من رباهم قليلا واستعدادهم ناقصا . ولا يدل ذلك على تقصير المنار بل هو علامة على استفحال الداء في جسم الامة. ولما رأى الرجل زاده الله علما وهدى أن تيار الفساد يشتد اشتدادا ، وأعوان الضلال وأولياء الشيطان يزدادون ازديادا ، أدرك أن الامر يقضي بتربية فئة من المسلمين تربية عملية أخلاقية دينية عصرية ليجعل منهم سدا امام ذلك السيل الجارف الذي ينذر بأمر خطير وشر مستطير . انه أراد بتأسيسه [جمعية الدعوة والارشاد] أن يهب الامة كنزا ثمينا لانفاد له لتأخذ منه على الدوام حاجتها من الرجال القادرين على اقامة

هذه الفريضة التي لاقوام لها بدونها .

انه كان حقيقا بالمسلمين وقد أصبحوا على حافة الهاوية ان يشتروا حياتهم باحياء هذا المشروع . ان الحياة أغلا من ان تقوّم بمال . فهل كثر على المسلمين ان يشتروا حياتهم بفلس لو قسّم على كل فرد منهم ما أصاب الفرد بارة واحدة ؟ انهم بخلوا بهذه الدريهمات ولذلك مات المشروع فماتت بموته آمال عظام. انه مات صدقا ولكن ذلك لا يفزعنا فسيخلقه الله خلقا جديدا وما ذلك عليه بعزيز . نعم مات المشروع بعد ان عاش أربع سنين عيشة مضطربة، ولكنه سيعود باذن الله تعالى على أيدي أناس آخرين جديرين باحراز فخر القيام به. انه مات ولكنه في الحقيقة لم يمت، فقد مات بشكله الذي انشئ عليه وعاد للحياة بعد تحوير في شكله الاول بقدر ما سمحت به الوسائل لصاحبه وسيبقى ما شاء الله تعالى حا كما على الامة بالضعف وللاستاذ بعلو الهمة والاخلاص. مات المشروع ليحيا المشروع . مات وحقيقة الامر انه حي لانه من الحق والحق لا يموت ابدا. ليكن مات في الظاهر ولكن صاحبه بفضل الله لم يمت وسيبقى بتوفيق الله تعالى بالرغم من حسد الحاسدين سيفا مسلولا فوق رقاب المفسدين ، وحجة لله تعالى على المجرمين ،

ليس غرضي الآن ان أعود فادعوكم الى نصرة المشروع وقد رفضتم الدعوة من قبل وما أغنتكم النذر ، وانما أدعوكم الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فانظروا ماذا أنتم صانعون . اني أطالبكم باقامة هذه الفريضة التي لا مجال فيها للتأويل ، ولا للقال والقيل ، انه في اقامة هذه الفريضة علاجكم الوحيد فلا يصح ان تتوانوا في طلبه والا فقدتم حياتكم .

ان الحالة وان اشتدت وتعاظمت لا يجوز ان ييأس باشتدادها المؤمنون ، فانه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

نعم أنكم قطعتم في سبيل الضلال شوطا بعيدا وسقطتم في مهواة الخيبة والخسران سقوطا شديدا ، وصرتم أحط أهل الشرق والغرب ، وضجت من أفعالكم الارض واستغاثت السماء وغضب الرب ، ولكن العلاج لازال ممكنا وطريق السلامة أراه مفتوحا آمنا . ولا يعوزكم الا السرعة في العمل ، قبل ضياع الامل . فان نار الشهوات

والهوى التي أحرقت أجسامكم وأرواحكم تكاد تأكل ما بقي من رمق فيكم ، فاحفظوا هذا الرمق وانجوا بأنفسكم والا هلكتم كما هلك من كان قبلكم وما أنتم بمعجزين .

يؤلمني انه اذا دعا المسلمين داع لا يعرفون من المقصود منهم بالكلام فكل ينتحل لنفسه الاعذار ويرى انه غير معني بقول ولا مكلف بعمل ! ذلك بأنه لا جامعة تجمعهم ولا سائل ولا مسؤول ! ولكن الله يعلم ورسوله وملائكته وأهل الحق يعلمون ان لا وظائف في الاسلام ولا رسوم ، فكل مسلم مخاطب بكلمة الحق مطالب بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والامة كلها متضامنة في مسؤولية الرضاء بالحالة الحاضرة ، وعلى ذلك فأنا أوجه خطابي الى الامة جميعها ، وأعني به كل فرد من أفرادها . واقصد بنوع خاص أهل العقل والفهم الذين لهم آذان يسمعون بها وقلوب يفقهون بها ، اني أدعو هذه الامة الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وأخاطب في شخصها المسلمين كافة صغيرهم وكبيرهم سواء منهم المعمم والمطربش ، الكبير والحقير ، الغني والفقير ، التاجر والصانع ، صاحب الملك والمزارع ، الخاصي والعامي ، البدوي والحضري ، العربي والعجمي ، اني اطالبكم جميعا باقامة هذه الفريضة فان أجبتم فان الله يعدكم من لدنه مغفرة وأجرا عظيما وان يرفع عنكم هذا البلاء ، ويفيض عليكم رزقا ورحمة من السماء ، وان تولوا فحسبكم ما أنتم فيه جزاء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

أدعوكم أيها المسلمون الى اقامة هذه الفريضة ولا أخيركم بين اجابة الدعوة ورفضها لانه ما كان لي أن أخيركم بين الصحة والاعتلال ، والهدى والضلال . ولكم فيما عدا ذلك أن تعدوا وسائل العمل بحسب ما يروق لكم . ولكن ذلك لا يمنعني أن أكرر النصح لكم بأن أقرب الطرق الى اقامتها على وجهها هو تنفيذ مشروع [الدعوة والارشاد] الذي دعوتكم الى تمضيده في رسالتي الماضية . فان كنتم في ريب منه فأتوا بمشروع خير منه أو مثله للقيام بهذا الواجب الاكبر ، وتخليص الامة من هذا الكرب العظيم ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاعلموا أن ما دعاكم اليه امامكم هو الحق المبين واني لم أكن في ترديد دعوته غير ناصح أمين .

نشرنا هذه الرسالة ومنشىء المنار قد ذهب الى اداء فريضة الحج فنوجه اليها نظر المسلمين ونخص صاحب (الانتقاد على المنار) ص ١٩٠ ج ٣ صالح رضا



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٤ — ٤ العقرب (خ٢) ١٢٩٥ ه‍ ش ٢٧ اكتوبر ١٩١٦

فوائد شتى (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالحديث الصحيح

قال السندي في حواشيه على فتح القدير من كتب الحنفية: الحديث حجة في نفسه، واحتمال النسخ لا يضر فان من سمع الحديث الصحيح فعمل به وهو منسوخ فهو معذور الى ان يبلغه الناسخ، ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح: لا يعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وفلان، فانما يقال له: انظر هل هو منسوخ أم لا. أما اذا كان الحديث قد اختلف في نسخه فالعامل به في غاية العذر، فان تطرق الاحتمال الى خطإ المفتي أقوى من تطرق الاحتمال الى نسخ ما سمعه من الحديث. قال ابن عبد البر: يجب على كل من بلغه شيء أن يستعمله على عمومه حتى يثبت عنده ما يخصصه أو ينسخه، وأيضا فان المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عده بعضهم احدا وعشرين حديثاً. واذا كان العامي يسوغ له الاخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال خطإ المفتي كيف لا يسوغ له الاخذ بالحديث اذا فهم معناه وان احتمل النسخ. ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من أبطل الباطل. وقد أقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الامة ولا يعرض احتمال الخطإ لمن عمل بالحديث وأفتى به بعد فهمه الا وأضعاف أضعافه حاصل لمن أفتى بتقليد من لا يعلم خطؤه من صوابه ويجري عليه التناقض والاختلال ويقول القول ويرجع عنه ويحكى عنه في المسألة عدة أقوال

وهذا كله فيمن له نوع أهلية أما اذا لم يكن له أهلية ففرضه ما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) واذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتبه له المفتي من كلامه أو كلام شيخه وان علا فلأن يجوز اعتماد الرجل على ما كتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالجواز ولو قدر أنه لم يفهم

(*) من جمع الشيخ أحمد شاكر بن الشيخ محمد شاكر والحواشي والعناوين من وضع صالح رضا

الحديث فكما لو لم يفهم فتوى المفتي يسأل من يعرفها فكذلك الحديث . انتهى كلام السندي ملخصا وقد أطال من هذا النفس العالي رحمه الله تعالى ورضي عنه

الفقه في الدين والاجتهاد

قال الامام تقي الدين ابن دقيق العيد من أئمة الشافعية في خطبة [شرح الالمام] كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته : ان الفقه في الدين منزلة لا يخفى شرفها وعلاها ، ولا تحتجب عن العقول طوالعها وأضواها ؛ وأرفعها بعد فهم كتاب الله المنزل ، البحث عن معاني حديث نبيه المرسل، اذ بذلك تثبت القواعد ويستقر الاساس ، وعنه يقوم الاجماع ويصدر القياس ، لكن شرط ذلك عندنا أن يحفظ هذا النظام ، ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام ، وتردُّ المذاهب اليه ، وتردُ الآراء المنتشرة حتى تقف بين يديه ، واما ان يجعل الفرع أصلا ويرد النص اليه بالتكلف والتحيل ، ويُحمل على أبعد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل ، ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والذلول، ويحتمل من التأويلات ما تنفر منه النفوس وتستنكره العقول، فذلك عندنا من أردأ مذهب وأسوأ طريقة، ولا نعتقد أنه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة ، وكيف يقع أمر مع رجحان منافيه ؟ وأنى يصح الوزن بميزان مالَ أحد الجانبين فيه ؟ ومتى ينصف حاكم ملكته غضبة عصبية ، وأين يقع الحق من خاطر أخذته العزة بالحمية الخ (الفتوى في الاسلام صحيفة ٤٤)

السؤال عما لم يقع

قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يمض به كتاب ولا سنة ، وكرهوا للمسؤل الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما أبيح للضرورة ، ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا يغنيهم ما مضى من الاجتهاد، واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » انتهى (الفتوى في الاسلام صحيفة ٤٥)

معنى حديث ان الله خلق آدم على صورته

سئل أحمد بن عطاء أبو عبد الله الروزبادي المتوفي سنة ٣٦٩ قال الحافظ ابن

عساكر وفي مروياته أحاديث وهم فيها وغلط غلطا فاحشا عن قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » فقال : ان لله جل ثناؤه خلق الخلق مرتبة بعد مرتبة ونقله من حال الى حال كما قال (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين — الى قوله — فتبارك الله أحسن الخالقين) وخلق آدم ليس على هذه الاحوال وانما خلق صورته كما هي ثم نفخ فيه من روحه فلأجله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اه (مختصر تاريخ ابن عساكر جزء ١ صحيفة ٣٩٤)

نشوء علم الفلسفة

قال الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ في آخر الكلام على الطبقة السادسة من طبقاتهم : وكان في زمان هؤلاء خلائق من أئمة الحديث ومن أئمة المقرئين كورش واليزيدي والكسائي واسمعيل بن عبيدالله المكي القسط ، وخلق من الفقهاء كفقيه العراق محمد بن الحسن وفقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم ، وخلق من مشايخ القوم كشقيق البلخي وصالح المري الواعظ والفضيل والدولة لهرون الرشيد والبرامكة ثم بعدهم اضطربت الامور وضعف أمر الدولة بخلافة الامين رحمه الله فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة الاوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الامة منه في عافية ؛ وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ؛ ان من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف ، وتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل ، ويمارى في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار وتقع في الحيرة . فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومضلات الاهواء ومجاراة العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم (تذكرة الحفاظ جزء ١ ص ٣٠٠)

كتاب المهذب للذهبي

وجدت بدار الكتب المصرية كتاب [المهذب] للذهبي بخطه وعلى ظهر المجلد

الاول مانصه بخطه رحمه الله تعالى „ المجلد الاول من كتاب المهذب في اختصار السنن الكبير تأليف الامام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي رحمه الله تعالى اختصار كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي غفر الله له،، وتحت ذلك بخطه رضي الله عنه أيضا ما نصه

„ قال ابن الذهبي : لم أختصر من أحاديث الكتاب شيئا بل اختصرت الاسانيد فان بها طالَ الكتابُ ، وبقيت من السند ما يُعرف به مَخرج الحديث وما حذفتُ من السند الا ما قد صح الى المذكور فاما متونه فأتيتُ بها الاّ في مَواضع قليلة جداً من المكرر قد أحذفها اذا قرُب البابُ من الباب وآتى ببعض المتنِ وقد تكلمت على كثير من الاسانيد بحسب اجتهادي والله الموفق، وقد رمزتُ على الحديث بمن خرّجه من الائمة الستة [خ م د ت س ق] ولم أتمم هذا فان فسح الله في الاجل طالعت عليه الاطراف لشيخنا أبي الحجاج الحافظ ان شاء الله تعالى، وهذا أمر بين هين كل من هو محدث فانه يقدِر على رَمز أحاديث الكتاب من الاطراف وما خرج عن الكتب الستة فقد بينت لك اسنادَه ومَخرجه فاكشف عليه أن شئت من كُتب الجرح والتعديل، فالرجال ثلاثة اما موثق مقبول واما مضعف غير حجة واما مجهول، لكن كل قسم من الثلاثة على مراتب في القوة واللين والجهالة،، انتهى . والنسخة نفيسة جدا كلها بخطه خمسة مجلدات تنقص الثاني والموجود منها أربعة وفق الله لنا من يطبعه وينشره آمين

كتاب الجمع بين الصحيحين

وجدت بدار كتب رواق الاروام بالازهر جزءً من الجمع بين الصحيحين للحميدي وهو السادس وقد أحببت نقل خاتمته لما فيها من النفائس قال رحمه الله تعالى : —

« تم جميع الكتاب بحمد الله وعونه ، نسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه انه ولي التوفيق وهو على كل شيء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل » ثم قال عقب ذلك

« وهذه الاصول تتصل بآخر ما في الصحيحين من مسند الصحابة رضي الله عنهم

وهو آخر ما قصدنا اليه من الجمع بين الصحيحين وتميز ما اتفقا عليه من المتون المخرجة فيهما وما انفرد به أحدهما منها مستقصى على شرطنا مرتبا على ما بدأنا به نبيناه مع الاختصار المعين على سرعة الحفظ والتذكار ، ولم يبق للباحث المجتهد الا النظر فيها والتفقه في معانيها ومراعاة حفظها واقامة الحجة بها، فالى هذا قصد المتقدمون من أئمة الدين في حفظ اسنادها للمتأخرين لتكون حاكمة بين المختلفين وشواهد صدق المتناظرين رضي الله عنهم أجمعين ووفق التابعين لهم باحسان الى يوم الدين . فأما اسنادنا في هذين الكتابين فقد روينا كتاب الامام أبي عبد الله البخاري بالمغرب عن غير واحد من شيوخنا بأسانيد مختلفة تتصل بأبي عبدالله محمد ابن يوسف بن مطر الفربري عن البخاري، ثم قرأته بمكة أعزها الله على المرأة الصالحة كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزي غير مرة لعلو اسنادها فيه كأنا قرأناه على أبي ذر عبد بن أحمد الهروي عن أبي الهيثم بن المكي بن محمد بن زُرّاع الكشميهني عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشير بن ابراهيم الفربري عن أبي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري رحمة الله عليه وأما كتاب الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فسمعناه بالفسطاط قراءة على الشيخ الصالح أبي عبدالله محمد بن الفرّج بن عبدالولي الانصاري وهو روايته عن أبي العباس أحمد بن الحسن الحافظ الرازي سمعه منه بمكة سنة ست وأربعمائة قال : ثنا أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه بن منصور الجلودي قال : أنا الفقيه أبو اسحق ابراهيم ابن محمد بن سفيان النيسابوري، قال: سمعته من الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنه

فصل

«وقد استشرف بعض الطالبين الى معرفة الاسباب الموجبة للاختلاف بين الائمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين مع اجماعهم على الاصل المتفق المستبين حتى احتيج الى تكلف التصحيح في طلب الصحيح وقرّبتُ على هذا الطالب معرفة بعض العذر في اختلاف المتأخرين لبعدهم عن المشاهدة وانما تعذّر عليه معرفة الوجه

في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم مع مشاهدتهم نزول التنزيل وأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وحرصهم على الحضور لديه والكون بين يديه والاخذ عنه والاقتباس منه ؛ وهذا الذي وقع لهذا الطالب الباحث قد وقع لمن قبله الخوض فيه والبحث عنه ، وخرج في هذا المعنى بعض الأئمة من علماء الامة فصلا رأينا اثباته ههنا (كذا)(1) هذا الشبه عن هذا الطالب الباحث وعن غيره ممن يخفى ذلك عليه و يتطلع الى معرفة الوجه فيه و بهذا الفصل يتصور (كذا) لك كل (2) صورة وقوع ذلك منهم وكيفية اتفاقه لهم، حتى كانه شاهده معهم»

وهذا أول الفصل المخرج في ذلك أوردناه بلفظ مصنفه رحمة الله عليه: «قال لنا الفقيه الحافظ أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد اليزيدي الفارسي رضي الله عنه في بيان أصل الاختلاف الشرعي وأسبابه»

سبب القول والفتيا بما يخالف القرآن أو السنة

« تطلعت النفس بعد تيقنها أن الاصل المتفق عليه المرجوع اليه أصل واحد لا يختلف وهو ماجاء عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اما في القرآن واما من فعله أو قوله الذي لا ينطق عن الهوى فيه لما رأت وشاهدت من اختلاف علماء الامة في ماسبيله واحدة وأصله غير مختلف فبحثت عن السبب الموجب للاختلاف ولترك من ترك كثيرا مما صح من السنن فوضح لها بعد التفتيش والبحث أن كل واحد من العلماء ينسي كما ينسى البشر ، وقد يحفظ الرجل الحديث ولا يحضره ذكره حتى يفتي بخلافه وقد يعرض هذا في آي القرآن

« ألا ترى أن عمر رضي الله عنه أمر على المنبر ألاّ يزاد في مهور النساء على عدد ذكره ميلا الى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على ذلك العدد في مهور نسائه حتى ذكرته امرأة من جانب المسجد بقول الله عز وجل (وآتيتم احداهن قنطارا) فترك قوله وقال: كل أحد أعلم منك حتى النساء. وفي رواية أخرى: امرأة أصابت ورجل أخطأ . علما منه رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان لم يزد

(1) ربما سقط من الاصل كلمة هي « لازالة » أو ما في معناها وان « هذا » محرف عن « هذه »
(2) لعل كلمة « كل » زائدة من النساخ

في مهور النساء فانه لم يمنع مما سواه والآية أعم، وكذلك أمر رضي الله عنه برجم امرأة ولدت لستة أشهر فذكره عليّ قولَ الله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) مع قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) فرجع عن الامر برجمها وهم أن يسطو بعيينة بن حصن اذ جفا عليه حتى ذكره الحر بن قيس بقول الله عز وجل (وأعرض عن الجاهلين) فأمسك عمر. وقال رضي الله عنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله مامات رسول الله ولا يموت حتى يكون آخرنا حتى قرئت عليه (انك ميت وانهم ميتون) فرجع عن ذلك، وقد كان علم الآية ولكنه نسيها لعظيم الخطب الوارد عليه فهذا وجه عمدته[1] (كذا) الخلاف للآية أو للسنة بنسيان لا بقصد

«وقد يذكر العامل الآية أو السنة لكن يتأول فيها تأويلا من خصوص أو نسخ أو معنىً ما، وان كان كل ذلك يحتاج الى دليل ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بالمدينة حوله عليه السلام مجتمعين، وكانوا ذوي معايش يطلبونها وفي ضنك من القوت فمن متحرف في الاسواق ومن قائم على نخله ويحضره عليه السلام في كل وقت منهم طائفة اذا وجدوا أدنى فراغ مما هم بسبيله، وقد نص على ذلك أبو هريرة رضي الله عنه فقال: ان اخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق وان اخواني من الانصار كان يشغلهم القيام على نخلهم وكنت أمرأ مسكينا أصحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على مِلءِ بطني. وقد قال عمر رضي الله عنه: ألهاني الصفقُ بالاسواق في حديث استئذان أبي موسى، فكان عليه السلام يُسأل عن المسئلة ويَحكم بالحكم ويأمر بالشيء ويفعل الشيء فيحفظه من حضره ويغيب عن من غاب عنه فلما مات عليه السلام وولي أبو بكر رضي الله عنه كان اذا جاءت القضية ليس عنده فيها نصٌّ سأل من بحضرته من الصحابة فيها فان وجد عندهم نصا رجع اليه والا اجتهد في الحكم فيها، ووجه اجتهاده واجتهاد غيره منهم رضي الله عنهم رجوع الى نص عام أو الى أصل اباحة متقدمة أو الى نوع من هذا يرجع الى أصل، ولايجوز أن يظن أحدأن اجتهاد أحد منهم هو أن يشرّع شريعة

(١) ربما كان الاصل « فهذا وجه ما عمدته الخلاف » الخ

باجتهاده أو يخترع حكما لا أصل له، حاشى لهم من ذلك، فلما ولي عمر رضي الله عنه فتحت الامصار وتفرق الصحابة في الاقطار فكانت الحكومة تنزل بمكة أو بغيرها من البلاد فان كان عند الصحابة الحاضرين لها نص حكم به والا اجتهدوا في ذلك — وقد يكون في تلك القضية نص موجود عند صاحب آخر في بلد آخر — وقد حضر المدني ما لم يحضر المصري وحضر المصري ما لم يحضر الشامي وحضر الشامي ما لم يحضر البصري وحضر البصري ما لم يحضر الكوفي وحضر الكوفي ما لم يحضر المدني

كل هذا موجود في الآثار وتقتضيه الحالة التي ذكرنا من مغيب بعضهم عن مجالسه عليه السلام في بعض الاوقات وحضور غيره ثم مغيب الذي حضر وحضور الذي غاب فيدري كل واحد منهم ما حضره ويفوته ما غاب عنه، وقد كان علم التيمم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالا : لا يتيمم الجنب ولو لم يجد الماء شهرين ، وكان حكم المسح على الخفين عند علي وحذيفة ولم تعلمه عائشة ولا ابن عمر ولا أبو هريرة على أنهم مدنيون، وكان توريث بنت الابن مع البنت عند ابن مسعود وغاب عن أبي موسى ، وكان حكم الاستئذان عند أبي موسى وأُبَيّ وغاب عن عمر ، وكان حكم الاذن للحائض في أن تنفر قبل أن تطوف عند ابن عباس وأم سلمة ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت، وكان حكم تحريم المتعة والحمر الاهلية عند علي وغيره ولم يعلمه ابن عباس، وكان حكم الصرف عند عمر وأبي سعيد وغيرهما وغاب ذلك عن طلحة وابن عباس وابن عمر ؛ وكذلك حكم اجلاء أهل الذمة من بلاد العرب كان عند ابن عباس وعمر فنسيه عمر سنين فتركهم حتى ذكر بذلك فذكره فأجلاهم. ومثل هذا كثير. فمضى الصحابة رضي الله عنهم على هذا

ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي ذكرنا فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون فتاويهم، لا تقليدا لهم، ولكن لانهم أخذوا ورووا عنهم، الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان في بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم، كاتباع أهل المدينة في الاكثر فتاوى ابن عمر، واتباع أهل مكة فتاوى ابن عباس، واتباع أهل الكوفة في الاكثر فتاوى ابن مسعود،

ثم أتى من بعد التابعين فقهاء الامصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتي وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام والليث بمصر فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد عن التابعين من أهل بلده وتابعوهم عن الصحابة رضوان الله عليهم في ما كان عندهم وفي اجتهادهم فيما ليس عندهم وهو موجود عند غيرهم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها. وكل من ذكرنا مأجور على ما أصاب فيه أجرين ومأجور فيما خفي عليه ولم يبلغه أجرا واحدا. قال الله تعالى (لِأُنذركم به ومن بلغ)

وقد يبلغ الرجل ممن ذكرنا نصان ظاهرهما التعارض فيميل الى أحدهما بضرب من الترجيحات ويميل غيره الى النص الذي ترك الآخر بضرب من الترجيحات أيضا كما روي عن عثمان في الجمع بين الاختين: أحلتهما آية وحرمتهما آية. وكما مال ابن عمر الى تحريم نساء أهل الكتاب جملة بقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ) وقال: لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربها. وغلب ذلك على الاباحة المنصوصة في الآية الاخرى ، ومثل هذا كثير

فعلى هذه الوجوه ترك بعض العلماء ما تركوا من الحديث ومن الآيات، وعلى هذه الوجوه خالفهم نظراؤهم فأخذ هؤلاء ما ترك أولئك وأخذ أولئك ما ترك هؤلاء ، لا قصدا الى خلاف النصوص ولا تركا لطاعتها كذا، ولكن لأحد الاعذار التي ذكرنا — إما من نسيان واما أنها لم تبلغهم واما لتأويل مّا واما لاخذ بخبر ضعيف لم يعلم الآخذ به ضعف رواته وعلمه غيره فأخذ بخبر آخر أصح منه أو بظاهر آية

وقد يشتبه بعضهم في النصوص الواردة الى معنى ويلوح له حكم بدليل مّا ويغيب كذا غيره . ثم كثرت الرّحل الى الآفاق وتداخل الناس وانتدبت أقوام لجمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وضمه وتقييده ، ووصل من البلاد البعيدة الى من لم يكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شيء منه ، وجمعت الاحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأولة في الحديث ، وعرف الصحيح من السقيم ، وزيف الاجتهاد المؤدي الي خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ترك عمله ، وسقط العذر عمن خالف ما بلغه من السنن ببلوغها اليه ، وقيام

الحجة بها عليه، فلم يبق الا العناد والتقليد

وعلى هذه الطريقة كان الصحابة رضوان الله عليهم وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث الايام الكثيرة طلبا للسنن والتزاما لها ، وقد رحل أبو أيوب من المدينة الى مصر في طلب حديث واحد الى عقبة بن عامر، وقد رحل علقمة والاسود الى عائشة وعمر ، ورحل علقمة الى أبي الدرداء بالشام ، وكتب معاوية الى المغيرة اكتب الي بما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثل هذا كثير.

(قال أبو عبد الله) فقد بينا والحمد لله وجه من ترك بعض الحديث والسبب الموجب للاختلاف وشفينا النفس مما اعترض فيها ورفعنا الاشكال عنها والله عز وجل المعين على البحث والهادي الى الرشد بمنه

وبهذا البيان الذي كشف به هذا الامام في هذا الفصل صورة الحال في أسباب الاختلاف الواقع بين الصحابة فمن دونهم صح للأئمة المتقدمين رضي الله عنهم أجمعين وجوب طلب التصحيح للنصوص الواردة في شرائع الدين، لتقوم الحجة بما صح منها على المختلفين، وقد قام الكل منهم في ذلك بما قدر عليه ، وانتهت استطاعته اليه ، الى أن انفرد بالمزية في الاجتهاد، والرحلة الى البلاد ، في جمع هذا النوع من الاسناد، بعد التتبع والانتقاد، الامامان أبو عبد الله البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنهما، فحازا قصب السبق فيه في وقتهما، ولفرط عنايتهما وبلوغهما غاية السعي والتشمير فيه قويت هممهما في الاقدام على تسمية كتابيهما بالصحيح، وعلم الله عز وجل صدقَ نيتهما فيه ومشقة قيامهما به وحسن انتقادهما له، فبارك لهما فيه ورزقهما القبول شرقا وغربا ، وصرف القلوب الى التعويل عليهما والتفضيل لهما، والاقتداء في شروط الصحيح بهما، وتلك عادة الله فيمن أحبه أن يضع له القبول في الارض كما جاء في الخبر الصادق عن المبعوث الحق صلى الله عليه وسلم، فهنيئا لهما ، ولمن اهتدى في ذلك بهداهما ، والواجب علينا وعلى من فهم الاسلام ، وعرف قدر ما حفظا من الشرائع والاحكام، أن يخلص الدعاء [1] لهما ، ولسائر الأئمة الناقلين اليهما والينا قواعد هذا الدين، وشواهد أحكام المسلمين. ونحن

(١) في نسخة الاصل « للدعاء »

نبتهل الى الله تعالى في تعجيل الغفران لهما ولهم ، وتجديد الرحمة والرضوان عليهما وعليهم ، وأن يبوّئ الكل منهم في أعلى درجات الكرامات ، من غرفات الجنات، وأن يوفقنا أجمعين للاقتداء بهم،والسلوك في سبيلهم،والدعاءاليه والى رسوله، والانقياد لمحكمات تنزيله، والتفقه في دينه ، والاخلاص في عبادته ، والانقطاع اليه ، وصدق التوكل عليه، حتى يتوفانا مسلمين مسلّمين، غير مبدلين ولا مغيرين، وأن يغفر لنا ولآبائنا ولجميع المسلمين.

تم الجزء السادس وبتمامه تم الكتاب . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه . وافق الفراغ من نسخه لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(س ١ - ٧) من صاحب الامضاء بأبي زعبل (من القليوبية)

استاذي الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو وقد علمنا وعلم الناس انكم حفظكم الله خليفة الاستاذ الامام في القيام بأمر الدين الخالص ودحض الباطل عنه ، فان العلم الدليل ، وليس العلم بالكمّ الطويل ، وقد طوحتني

المقادير الى بلدة ألعن بلاد الله تربة ، يسكنها قوم أحلامهم دقاق ، ودينهم نفاق ، يأخذون من العلم القشور ، ومن الاخبار الموضوعة ومن العقائد الخرافية ، فهم أشباه الرجال ولا رجال ، يكفرون من قال بالمعراج بالروح ، ومن أنكر وجود الجنة والنار ، ومن نفى رؤية الإله في الآخرة ، ومن منع رجوع الشمس بعد مغيبها عند إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم العير ، وعدم مجيء بيت المقدس بين يديه (ص) وعدم وجود الزناة وأكلة الربا بين مكة وبيت المقدس ورؤية النبي (ص) لهم ليلة الاسراء كل ذلك لحجج عنده من أن هذه عقائد لا تثبت الا بالقطع ، وبعض هذه الاشياء لم يجد (كذا) فيه دليل أصلا ، وبعضها قام عليه دليل غير يقيني مع قيام دليل العقل على خلافه ، ولما كنتم بارك الله فيكم أوقفتم أنفسكم على تحقيق مثل هذه المسائل نفعا للامة وخدمة للدين وقد شاهدنا غزارة علمكم وسعة فكركم وكثرة اطلاعكم ورسوخ ملكتكم العلمية التي قل ان توجد لاحد من معاصريكم — رجوت أن تكشف لي بقيتَ أبدا (؟) عن غطاء هذه المسائل وترجعها الى أصولها وتبرزها في صورتها الحقيقية غير مشوبة بخرافات المخرفين ، بأدلتها من العقل أو الكتاب أو السنة المتواترة أو المشهورة كما هو شأنكم في جميع المسائل ، لازلت ينتفع به الاسلام والمسلمون

تحريرا في يوم الثلاثاء ٥ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ كاتبه

ولدكم محمد عليوه

[المنار] يؤخذ من هذا الكتاب بضع مسائل ينبغي بيان الحق فيها ، وها نحن أولاء نتكلم عليها واضعين لكل واحدة منها عنوانا

﴿ ١ — تكفير المسلم بما لم يصح عنده من مسائل الدين ﴾

قد اعتاد الناس الجرأة على التكفير بغير علم حتى ان بعض المؤلفين في الفقه توسعوا في المكفرات فزادوا الناس جرأة على تكفير من يخالف مذاهبهم وتقاليدهم وان لم تكن من الدين في شيء . وقد بينا من قبل أن الاصل في ارتداد المسلم عن دينه هو جحده أو تكذيبه شيئا أو شكه في حقية شيء يعلم أن النبي (ص) جاء به من أمر الدين ، اذ يكون بذلك غير مؤمن بما جاء به الرسول (ص) ولما كان الجهل في

دار الاسلام غير عذر جهل العلماء أمور الدين قسمين [أحدهما] ما لا يعذر أحد في دار الاسلام بجهله وان كان عاميا وهو المجمع عليه المعلوم من أمر الدين بالضرورة كفرضية الصلاة والزكاة والحج وكتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن كالقتل والزنا وشرب الخمر والسرقة والكذب والخيانة . فمن جحد من هذا القسم شيئا كفر وعد مرتدا عن دين الاسلام . وانما يعذر بجهل بعض هذه المسائل من كان قريب عهد بالاسلام لم يمر عليه من الزمن بعد اسلامه ما يكفي لوقوفه على ذلك، ومن نشأ بعيدا عن دار الاسلام كشاهق جبل (كما يقولون)

[الثاني] ما شأنه أن لا يعرفه الا المشتغلون بعلم الدين من فروع المسائل وأصول الاحكام وأدلتها ، فهؤلاء العلماء يؤاخذون بحسب علمهم ، فمن جحد منهم شيئا من الدين يعلم أنه ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله أو أجمع عليه الصحابة ولم يكن متأولا في جحده كان بذلك مرتدا كما هو ظاهر

واما من جحد او أنكر شيئا مختلفا في أصله أو دليله أو في دلالة ذلك الدليل عليه لانه لم يصح عنده أو لمعارض رآه أرجح منه بضرب من التأويل فلا يعد مرتدا بذلك، ولكنه اذا انتهى به التأويل الى مخالفة جماعة السلف الصالح من أهل الصدر الاول عدّ مبتدعا وان كان موحدا مقيما لاركان الاسلام

ولم يكفر أهل السنة من أنكر خبر المعراج ولا من قال إنه كان الروح فقط بل قال بذلك بعض أهل السنة ولا من قال إن الجنة والنار لم يخلقا بعد وأنما يخلقان يوم القيامة ، ولا من قال ان المؤمنين لا يرون ربهم في الجنة، فقد قال بذلك جمهور من الجهمية والمعتزلة ولم يكفرهم علماء السلف به كما ترونه في أشهر كتب العقائد التي تدرس في الازهر وغيره من المدارس الاسلامية في جميع الاقطار

واذا كان لا يكفرون من ينكر أصل المعراج الا اذا انكر الاسراء المنصوص في القرآن ولا يكفرون من ينكر رؤية الباري تعالى في الآخرة المصرح بها في الاحاديث المتفق عليها فكيف يكفرون من ينكر رجوع الشمس للنبي (ص) بعد غروبها والحديث فيه غير صحيح أو ينكر مجئ بيت لمقدس الى الحجاز وكون المذنبين الذين رآهم النبي (ص) يعذبون كانوا موجودين باجسادهم بين مكة وبيت

المقدس ولا نص على هذا في كتاب ولا سنة وما عهدنا احدا من علماء المسلمين يجعله من عقائد الدين ، وسترى معنى ذلك في المسائل الآتية

﴿ ٢ – المعراج روحي أم جسدي ﴾

قد فصلنا القول في مسألة المعراج في المجلد الرابع عشر من المنار فيراجع في ص ٦٦٤ و٧٣٢ منه وفيه ان عمدة من قال ان المعراج كان في المنام حديث شريك عند البخاري

﴿ ٣ – رؤية النبي (ص) بيت المقدس ﴾

ان رؤية النبي (ص) لبيت المقدس ووصفه اياه للمشركين وهو بمكة ليس معناه ان بيت المقدس انتقل الى مكة وانما معناه أنه مُثل له كما مثلت له الجنة في عرض الحائط ولفظ الحديث في ذلك كما ورد في حديث جابر في الصحيحين أنه سمع رسول الله (ص) يقول «لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه» هذا نص حديث الشيخين ومعنى جلاه أظهره ، وقال بعض العلماء : معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته. قال الحافظ في الفتح: ووقع في حديث أم هانئ عند ابن سعد «فخيل الي بيت المقدس[1] فطفقت أخبرهم عن آياته» فان لم يكن مغيرا من قوله «فجلي» وكان ثابتا احتمل أن يكون المراد انه مثل قريبا منه كما قدم نظيره في حديث «أريت الجنة والنار» وتأول قوله «جيء بالمسجد»[2] أي جيء بمثاله – والله أعلم . ووقع في حديث شداد بن أوس ما يؤيد الاحتمال الاول ، ففيه « ثم مررت بعير لقريش » – فذكر القصة – ثم أتيت أصحابي قبل الصبح فأتاني أبو بكر فقال : أين كنت الليلة ؟ فقال « اني أتيت بيت المقدس » فقال انه مسيرة شهر فصفه لي ، قال « ففتح لي صراط كأني أنظر اليه لا يسألني عن شيء الا أنبأته عنه » اه المراد من عبارة الفتح . وأما لفظ حديث أم سلمة عند مسلم « فرفع الله لي بيت المقدس أنظر اليه » فيتفق مع

(١) خيل اليه بمعنى مثل له أي رأى خياله ومثاله . وفي رواية لها عند ابي يعلى وابن عساكر « فأتاه جبريل فصوره له في جناحه » (٢) أي في حديث ابن عباس الذي ذكره قبل ذلك وهو عند أحمد والنسائي والبيهقي وفيه انه جيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل

ماتقدم بمعنى انه رفع اليه مثاله، وقد غفل من زعم أن بيت المقدس نقل من مكانه الى مكة عما يترتب على ذلك من استحالة وجوده عند دار عقيل كما ورد في رواية ابن عباس لان وضع الجسم الكبير في المكان الصغير الذي لا يبلغ عشره محال، ومن كون وجوده بمكة يستلزم أن يراه جميع الناس ولو وقع ذلك لتواتر، ومن كون نقله يستلزم علم جميع أهله ومن حولهم به ولو وقع ذلك لتواتر نقله عنهم. وقد غفل من مال الى ترجيح ذلك اللفظ على ما هو أصح منه وأقرب الى المعقول عن كل ذلك واكتفى بأن هذا أبلغ في المعجزة وأن الله قادر عليه، وهو لم يكن مما وقع به من التحدي ولا ترتب عليه ايمان أحد. فهل يبطل الله تعالى سنته في الكون عبثا؟

وهذا التوجيه يحتاج اليه في رؤية بيت المقدس من اعتمد قول الجمهور ان الاسراء فقط أو الاسراء والمعراج معا كانا في حال اليقظة بالروح والجسد كمن قال ان ذلك رؤيا منامية أو مشاهدة روحية وقعت حال اليقظة، لأن سؤال قريش النبي (ص) أن يصف لهم بيت المقدس انما كان في اليقظة قطعا بغير خلاف

﴿ ٤ — رؤية النبي (ص) المذنبين يعذبون ﴾

اذا كانت رؤية النبي لبيت المقدس من قبيل الكشف الذي يحصل بادراك النفس للشيء بغير واسطة العينين أو بجعل الله تعالى مثال ذلك أمام العينين فالظاهر ان رؤية من رآهم يعذبون بذنوبهم من قبيل رؤية المثال بالاولى، لان بيت المقدس من عالم الشهادة وعذاب المذنبين بما روي في الحديث من عالم الغيب ليس له مكان في الدنيا يشاهد بين مكة وبيت المقدس. وكل ذلك من آيات الله التي أراه اياها في ليلة الاسراء. ومن هذا القبيل رؤيته الجنة والنار وهو يخطب كما روي في الصحيحين. وتعبيره عن ذلك في بعض الروايات بأنهما مثلتا له في الجدار. وقد وصفت الجنة في القرآن بقوله تعالى (كعرض السموات والارض) فهل تجتمع هي والنار في جدار المسجد؟ وورد أن من أولئك المعذبين من تثاقل رؤوسهم عن أداء الصلوات — والصلاة لم تكن شرعت — فقد تمثل له (ص) عذابهم قبل وقوعه بالنسبة الى أمته

ان رؤية البشر الروحية لبعض الموجودات الغائبة عن أبصارهم قد ثبتت بالتجارب الكثيرة في جميع الاقطار ، ومنها ما ثبت للدكتور شبلي شميل من علماء العصر الماديين، وقد ذكرنا في بعض مجلدات المنار خبره مع المريض الذي كان يعالجه ويسمع منه الاخبار الكثيرة عما يدركه بنفسه غائبا عن حسه كاخباره عن قريب له في الاسكندرية بأنه سافر منها الى القاهرة في القطار الذي يتحرك من الاسكندرية في ساعة كذا ثم إخباره بوصوله الى محطة القاهرة وركوبه العربة منها قاصدا دار المريض ثم بوصوله الى باب الدار ، وكان الامر كما قال

وأذكر مما وقع لي من ذلك في الصغر أني هربت مرة من الكتّاب واختبأت في بستان لجدتي أم والدتي وكنا نحن مصطافين في بستان لنا يبعد عن هذا البستان مسافة زهاء ربع ساعة وكانت جدتي في بستاننا فتمثلت لي خارجة منه حتى كأني أنظر اليها متتبعا خطواتها من أول الطريق الى آخره حتى إنني ناديتها عند ما وصلت الى مدخل بستانها وقبل أن تدخله ويقع بصري عليها فأجابتني وكنت أعتقد أنها تحمل الي ما يطيب لي أكله فكان كذلك . ومثل هذا كثير

ولكن ما يقع للانبياء من ذلك فوق ما يقع لبعض البشر كذلك المريض وبعض الصوفية وأكمل منه لانه يشمل عالم الغيب وما لا يصل اليه غيرهم من عالم الشهادة

(٥ — رجوع الشمس بعد غروبها أو وقوفها للنبي (ص))

يرى السائل تفصيل القول في هذه المسألة في ص ٧٠ من مجلد المنار التاسع وحسبك منه قولنا هنالك « ان مسألة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم قد ورد في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج ، وورد في رواية أقوى منها في مناقب علي كرم الله وجهه. وهذه الرواية وثقها الطحاوي في [مشكل الآثار] وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتعقبه في اللآلئ » فان شئت الزيادة وما قيل في الطعن في الرواية فارجع الى المجلد التاسع أو الى الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للامام الشوكاني

(٦ — وجود الجنة والنار)

ظواهر نصوص الكتاب العزيز والاحاديث الصحيحة المتفق عليها تدل على

أن الجنة والنار داري الجزاء للابرار والفجار هما عالمان مخلوقان ، ولا نرى ما يعارض هذه الظواهر من الدلائل العقلية ولا النقلية ، فان كان لدى السائل ما يعارض ذلك فيلذكره لنا لنبين رأينا فيه

﴿ ٧ – رؤية الباري سبحانه وتعالى في الآخرة ﴾

إن من أصول العقائد القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ان نعيم الآخرة قسمان روحاني وجسماني لان البشر لا تنقلب حقيقتهم في الآخرة بل يبقون بشرا أولي أرواح وأجساد ولكن الروحانية تكون هي الغالبة على أهل الجنة، فيكون النعيم الروحاني عندهم أعلى من النعيم الجسماني. ومن الثابت بالاختبار والتجارب أن العلماء الراسخين والحكماء الربانيين والفلاسفة الماديون [1] والرؤساء السياسيين كلهم يفضلون اللذات العقلية الروحية والحياة المعنوية، على اللذات المادية الجسدية، فترى أحدهم يزهد في أطايب الطعام، وكؤوس المدام ، و يتجافى جنبه عن مضجعه ، ذاهلا عن حقوق حليلته ؛ تلذذا بحل مشكلات المسائل واكتشاف أسرار الكون ، أو بالنفث في عقد السياسة ، وما تقتضيه أعباء الرياسة ؛ ألا وأن أعلى العلوم العقلية والمعارف الروحية في هـذه الدنيا هو معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بمظاهر أسمائه وصفاته في خلقه والوقوف على سننه وأسراره فيها، وكشف الحجب عما أودع فيها من الجمال والجلال، وفي النظام الذي قامت به من آيات الكمال، التي هي مجلى صفات بارئها منتهى الجمال والجلال والكمال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ،

وما زال أصحاب الهمم العالية من العلماء والحكماء يستدلون بما ظهر لهم من تلك السنن والآيات على كمال مبدعها ومبدئها ومصرفها ، وتتطلع عيون عقولهم الى كيفية صدور الوجود الممكن الحادث، (وهو مجموع هذه العوالم العلوية والسفلية) عن الوجود الازلي الواجب، ويهتمون بارتقاء الاسباب للوصول الى معرفة أول موجود ممكن منها، وكيف ابتدأت سلسلة الاسباب بعد ذلك بتحول البسائط وتولد بعضها من بعض ، قبل وجود هذه المركبات المعروفة من السماء والارض ، طمعا في معرفة حقيقة ذلك

(١) أي وكذا الفلاسفة الماديون. وهو استعمال بعيد بلينا اذا كان لما رفع خصوصية في السياق ككون الماديين هنا مظنة لمخالفة الروحيين . ويقابل هذا الاستعمال في نصب ما هو في مقام الرفع ما نصب على الاختصاص أو المدح والذم

الوجود الاعلى ، على عجزهم عن ادراك كنه أدنى هذه الموجودات السفلى ، وقد اختلف الحكماء في امكان وصول العلم البشري الى حقيقة الوجود الاول الازلي وكيفية صدور الموجودات الممكنة عنه - فقال بعضهم بامكان ذلك وتوقع حصوله في يوم من الايام ، وقال آخرون بأنه فوق استعداد الانام ،

والحق في ذلك ما هدانا اليه دين الله الحق، وهو أن ادراك أبصار الخلق له سبحانه وتعالى وإحاطة علمهم به من المحال الذي لا مطمع فيه (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ولكن العجز عن الادراك والاحاطة ، لا يستلزم العجز عما دون ذلك من العلم والمعرفة ، التي ترتقي الى الدرجة التي عبر عنها بالتجلي والرؤية ، فان كانت ظواهر الآيات في ذلك متعارضة ، فالاحاديث والآثار الصحيحة المبينة له جلية واضحة

انما وقع المراء بين المتكلمين والمتفلسفين وبين علماء الآثار في كلمة «الرؤية» فأثبتها أهل الأثر لدلالة ظواهر القرآن ونصوص الاحاديث عليها، ومنعوا قياس رؤية الباري تعالى على رؤية المخلوقات، بدعوى استلزامها التحيز والحدود وغير ذلك من صفات الاجسام، وقالوا اننا لا نبحث في كيفيتها كما اننا لا نبحث في كيفية ذاته ولا صفاته تعالى ، فاننا نجزم بأن له علما وقدرة وسمعا وبصرا ولكن علمه ليس كعلمنا ناشئا عن انطباع صورة المعلومات في النفس، ومكتسبا لها بالحواس أو الفكر، وكذلك قدرته وسائر صفاته، فنحن نجمع بين الايمان بالنصوص في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر شؤونه، و بين تنزيهه عما لا يليق به من مشابهة خلقه الممنوعة بدلائل النقل والعقل، كما قال عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

ونفاها أهل الكلام والفلسفة بناء على قياس الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق ودعوى منافاة الرؤية للتنزيه الذي هو أصل العقيدة وركنها الركين . ولكنهم لا يستطيعون انكار الحقيقة التي أثبتها أهل السنة والجماعة اذا عبر عنها بغير لفظ الرؤية كأن يقال ان أعلى نعيم أهل الجنة لقاء الله تعالى بتجليه عليهم تجليا يحصل لهم به أعلى ما استعدت له أنفسهم وأرواحهم من المعرفة ، وأن أعظم عقاب لاهل النار حجبهم عن ربهم وحرمانهم من هذا التجلي والعرفان، الخاص بدار الكرامة والرضوان،

فانهم لا يعتنون بتأويل مثل قوله تعالى في المتقين (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله في الكافرين (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) كما يعتنون بتأويل قوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بأن النظر معناه الانتظار والرجاء ، ومارد به بعضهم على بعض في الآية يطلب من الكشاف والبيضاوي وحواشيهما وسائر كتب التفسير ومن كتب الكلام وشروح الاحاديث

وكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمال تنازع

ومن غرائب جدلهم ان كلا منهم يستدل على مذهبه بطلب موسى عليه السلام رؤية ربه وقوله تعالى (لن تراني . .) الآية، فأهل السنة يستدلون على جواز الرؤية بسؤال الكليم اياها وعدم انكار الباري تعالى عليه هذا السؤال كما أنكر على نوح عليه السلام سؤاله نجاة ولده الكافر بناء على أنه من أهله الذين وعده بنجاتهم — و بتعليق الرؤية على جائز وهو استقرار الجبل ، والمعتزلة يستدلون بالآية على عدم الرؤية بعدم اجابة الكليم اليها وتعليقها على ما علم الله أنه لا يكون

واذا كانت الآيات التي استدل بها كل فريق ليست نصا قاطعا في مذهبه ففي الاحاديث المتفق عليها ما هو نص قاطع لا يحتمل التأويل في الرؤية وتشبيهها برؤية البدر والشمس في الجلاء والظهور وكونها لامضارَّة فيها ولا تضامَّ ولا ازدحام. وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري احد عشر حديثا في ذلك، وجمع ابن القيم في[حادي الارواح] ماورد في ذلك من الاحاديث فكان ثلاثين حديثا . قال الحافظ ابن حجر عند اشارته الى ذلك : وأكثرها جياد . وزاد ابن القيم ما ورد عن الصحابة والتابعين وأئمة علماء الامصار في ذلك وحملهم اياه على ظاهره مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، ولكن بعض مثبتي الرؤية من أهل السنة اختلفوا في معناها فكان بعض ما قالوه تأويلا أبعد من تأويل المنكرين

قال الحافظ في الكلام على تفسير (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) من شرح كتاب التوحيد من البخاري ما نصه: واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم يحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات ، وهو على وفق قوله في حديث الباب « كما ترون القمر » الا أنه منزه عن الجهة والكيفية وذلك

أمر زائد على العلم . وقال بعضهم ان المراد بالرؤية العلم ، وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الانسان نسبتها الى ذاته المخصوصة نسبة الإبصار الى المرئيات . وقال بعضهم: رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم الا أنه أتم وأوضح من العلم . وهذا أقرب الى الصواب من الاول اه

ثم ذكر ماتعقب به من قال ان المراد بالرؤية العلم. وانما قال في القول الاخير انه أقرب الى الصواب لمافيه من التفويض وعدم التحديد،وهذا المعنى هوالذي قال به الغزالي وأوضحه في كتاب المحبة من الاحياء بما يعهد من قرأ الاحياء من بيانه وفصاحته

هذا وان احصاء ما ورد في هذا البـاب مما استدل به على الرؤية اثباتا ونفيا من الآيات والاحاديث وسرد كلام المثبتين والنفاة وبيان الراجح منه والمرجوح يستغرق عدة أجزاء من المنار ، ولن يرضى ذلك منا أكثر القراء ، وجملة القول في المسألة ان الآيات القرآنية فيها ليس فيها نص قاطع لا يحتمل التأويل ، ولكن الاحاديث الصحيحة والحسنة صريحة في ذلك لا تحتمل التأويل ، والمرفوع منها مروي عن أكثر من عشرين صحابيا دع الموقوف والآثار ، ولم يرد في معارضتها شيء أصرح من حديث عائشة المتفق عليه عن مسرق قال قلت لعائشة (رض) يا أمتاه هل راى محمد (ص) ربه ليلة المعراج؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ! أين أنت من « ثلاث من حدثكهن فقد كذب » من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب» وفي رواية «فقد أعظم على الله الفرية » ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه كتم (أي أن النبي (ص) كتم شيئا من الدين) فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) — الآية — ولكن رأى جبريل في صورته مرتين . اه

وقد ذكر النووي في شرح مسلم ان عائشة لم تنف وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة الخ وذكر الحافظ في الفتح انه قال ذلك تبعا لابن خزيمة

ذاهلا عما ورد في صحيح مسلم الذي شرحه ، وذكر ان في حديث مسروق عنده زيادة عما ذكرناه من لفظ البخاري وهي :— قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت ألم يقل الله (ولقد رآه نزلةً أخرى) فقالت أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله (ص) عن ذلك فقال « إنما هو جبريل » الخ

فعلم من هذا ان عائشة تنفي دلالة سورة النجم على رؤية النبي (ص) لربه بالحديث المرفوع وتنفي جواز الرؤية مطلقا أو في هذه الحياة الدنيا بالاستدلال بقوله تعالى (لا تدركه الابصار) وقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ويعارض هذا الاستدلال انه ليس نصا في النفي حتى يرجح على الاحاديث الصريحة في الرؤية وقد قال بها بعض علماء الصحابة. وقال بعض العلماء ان عائشة ليست أعلم عندنا من ابن عباس الذي أثبت الرؤية للنبي ليلة المعراج، وفي هذا القول بحث فان ابن عباس استنبط اثبات الرؤية في الدنيا من الآيات وقد انفرد بذلك دون سائر الصحابة. وأما من روي عنهم إثبات الرؤية في الآخرة فليس فيهم أحد يقال انه أعلم من عائشة الا والدها الصديق وعلي المرتضى وزيدا بن ثابت وقد يذكر في طبقتها منهم العبادلة. ولكن الحديث عن أبي بكر وزيد بن ثابت في هذا الباب ضعيف وعن علي موضوع حتى ان ماروي عنها نفسها فيه أقوى سندا . ويقول النفاة لو رأى النبي (ص) ربه ليلة المعراج لما خفي نبأ ذلك عن عائشة مع ماعلم من حرصها على العلم ، وسؤالها اياه عن آية النجم؟ وقد يقول النفاة أيضا: لوكانت الرؤية في الآخرة عقيـدة يطالب المسلمون بالايمان بها لما جهلتها عائشة . ولكن هذا القول لا ينهض لمعارضة اثبات المثبتين لها بالاحاديث الصريحة ، وانما قصاراه أن يعد دليلا على أن المسألة من أمور الآخرة التي كان يذكرها النبي (ص) أحيانا لبعض الخواص اذ لا يضر العامة جهلها ، فلم يقصد أن تكون عقيدة يدعى اليها مع التوحيد .

وأحسن مايجاب به عن استنباط عائشة وأقواه عند المثبتين أن يقال أنها تريد به نفي الرؤية في الدنيا كما قال بذلك الجمهور ولا تقاس شؤون البشر في الآخرة على شؤونهم في الدنيا لان لذلك العالم سننا ونواميس تخالف سنن هذا العالم ونواميسه حتى في الامور المادية كالاكل والشرب والمأكول والمشروب. فماء الجنة غير آسن فلا يتغير كماء الدنيا بما

يخالطه أو يجاوره في مقره أو جوه، وخمرها ليس فيها غول يغتال العقل ولا يصدعون عنها ولا ينزفون ، ولبنها لا يعتريه فساد ولا تخالطه (ميكروبات) أمراض ، وكذلك فاكهتها وثمراتها هي على كونها أعلى وأشهى مما في الدنيا لا تفسد . قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء . وكذلك أمزجة أهلها ، هي أصح وأسلم من أمزجة أهل الدنيا حتى انهم يأكلون ويشربون فيكون هضمهم بالتبخر ورشح العرق ، ففي الحديث الصحيح انه جشاء ورشح لها ريح المسك . ولا عجب في ذلك فان علماء العصر الذين يظنون ان في كوكب المريخ أحياء عقلاء كالبشر يجزمون بأنهم لابد ان يكونوا أكبر منا أجساما وأسرع من الخيل العادية في حركتهم العادية ، هذا وعالم المريخ لا يعرف فيه من الحياة الروحانية العالية مثل ما ورد في حياة الجنة ، ولكن ما ذكره علماء العصر في شأنه يقرب تصور ما ورد في صفة الآخرة من الاذهان المقيدة بالمألوفات ، فان بعض الناس انما ينكرون أخبار الآخرة لانها مخالفة لما جدوا عليه من المألوفات، ولوانهم أخبروا بما اكتشف من أسرار الكون في هذا العصر كخواص الكهرباء والراديوم قبل ان يصير مشهودا مقطوعا به لما صدقوه،

قال الله عز وجل في بيان جزاء المؤمنين القائمين بأعمال الايمان حق القيام (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ووضح ذلك رسوله (ص) في حديث قدسي رواه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال (ص) « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وروى أهل الكتاب مثل هذا عن سيدنا عيسى (ص) فاذا ثبت لنا ان كل ما في دار الكرامة أعلى وأسمى مما في الدنيا حتى الاجسام وصفات الناس وغرائزهم وانه لا يشارك ما في الدنيا الا بالاسم، الذي عبر به لضرورة تقريب تلك المعاني الغيبية من الفهم ، فهل يصح بعد ذلك أن نعمد الى أعلى ماهنالك من الشؤون الالهية المعنوية فنشبهه بشؤون الدنيا فنجعل تجلي الرب سبحانه وتعالى لاولئك العباد المكرمين الذين رقاهم وكملهم وأهلهم لكمال معرفته تحيزا ومشابهة الخلق ؟ ونجعل ما يحصل لهم من ذلك التجلي من العلم الاكمل والمعرفة العليا التي تستغرق أرواحهم وجميع مشاعرها الظاهرة والباطنة إدراكا لكنهه عز وجل وإحاطة

علم به تعالى عن ذلك ؟ ثم نعذر أنفسنا على هذا الجهل بأن ذلك قد سمي رؤية ومعاينة ولا بد ان تكون الرؤية هنالك كرؤيتنا التي نعهدها هنا ؟

سبحان الله ! أيكون كل ماهنالك من أعيان المخلوقات وصفاتها وأحوالها مخالفا لماله اسمه منها هنا الا ما يتعلق بشأن الخالق عز وجل فهو الذي يجب ان يكون مشابها لشؤون المخلوقين بعضهم مع بعض ؟ أهذا هو المذهب الذي يدعي أصحابه اتباع المعقول ، ويسخرون من أهل السنة بزعمهم انهم جمدوا على بعض أحاديث الآحاد من المنقول؟ وهم الذين قد جمدوا على مادون ذلك من الالفاظ العربية التي استعملت في صفات الباري تعالى وشؤونه وأخبار عالم الغيب فتراهم يصرفونها عن معانيها ويعطلون مدلولاتها المقصودة لتوهمهم انها لاتكون صحيحة الا اذا كانت مدلولاتها في عالم الغيب كمدلولاتها في هذا العالم من كل وجه. ثم تحكموا فأثبتوا بعض صفات الباريء تعالى بدون تأويل كالعلم والقدرة والارادة وأوّلوا أكثرها كالكلام والرحمة والمحبة والغضب والرضا والعلو والوجه واليدين الخ وهذا عين التشبيه ، وهذا عين التعطيل — وأهل السنة يثبتون له تعالى كل ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) وينزهونه فيه كله عن مشابهة خلقه ولا يرون فرقا بين العلم والرحمة والكلام فكلها من صفات الكمال الثابتة له مع التنزيه — فعلمه ليس كعلم البشر منتزعا من صور المعلومات بالحس أو الفكر — وكلامه ليس كيفية عرضية تحصل بتموج الهواء بتأثير الصوت الذي يخرج من الفم — وكذلك سائر شؤونه تعالى ، فتجليه لخواص خلقه في دار كرامته ليس كظهور بعضهم لبعض ، وما يحصل لهم من رؤيته ومعرفته وسماع كلامه لا يشابه ما يكون من بعضهم لبعض ، واذا كنا قد عرفنا بالمشاهدة في عالم الحس ان إيقاد مصباح زيت الزيتون أو زيت البترول لا يشبه ايقاد مصباح الكهرباء بوجه من الوجوه ولا يشترط في الثاني ما يشترط في الاول — ونجزم بأن هذا الفرق لا يمكن ان يتصوره من لم يعرف الكهرباء البتة — فيجب علينا ان لا نستغرب ما هو أبعد من هذا الفرق بين عالم الغيب والشهادة في اختلاف الكيفية لحقيقة واحدة كالرؤية. ومن كان له حظ من معرفة الله تعالى في الدنيا لا يحتاج الى الامثال ، وحسب المحروم منها ان ينتفع بالامثال ، (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

مدرسة
دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٤

التيوبركيولين Tuberculin

زيادة الياء والنون في هذا اللفظ اللاتيني هي — كما قلنا — للدلالة على المادة أو الأصل الفعال في الدرن [Tubercle] أعني أنه اسم لخلاصة تستخرج من باسيل الدرن نفسه أو مما يربى فيه . فهي نوعان نوع يسمى بالتيوبركيولين العتيق والآخر بالتيوبركيولين الجديد . وأول من أدخل هذا الصنف من العلاج في الطب هو العلامة كوخ سنة ١٨٩٠ محاولا بذلك ايجاد دواء شاف للدرن بكافة أنواعه ، ولكنه لم يتحقق غرضه الى الآن

أما التيوبركيولين العتيق فهو عبارة عن السموم التي يفرزها ميكروب الدرن في السائل الذي يربى فيه كالمرق مع الجلسرين، ويتحصل عليه بالتصفية خلال المرشحات لفصل الميكروب عنه فهو في الحقيقة سموم الميكروب التي تخرج من جسمه في السائل المذكور، ويكون لونه أصفر أدكن وقوامه غليظاً. وفائدة الجلسرين حفظه من الفساد

واذا حقن هذا السائل في الشخص السليم لا يحدث منه شيء ، ولكن اذا حقن في انسان أو حيوان مصاب بدرن في أي عضو من جسمه ارتفعت حرارته وأصابته رعدة وأحس بتوعك وآلام في مفاصله وقد يفرز زلال في بوله أو يظهر طفح على جلده ويلتهب المكان المصاب بالدرن . ونظرا لشدة هذه الاعراض لم يستحسن الاطباء معالجة الدرن بهذه الطريقة ، واقتصر بعضهم على استعمالها في معالجة الدرن الجلدي المسمى لوپس (داء الذئب) لان ما يصيب الجلد من الحقن

يمكن مراقبته وتلافيه . زد على ذلك ان تنبيه الجلد المريض بهذاء الداء قد يكون نافعا فيه ، ومع ذلك يأبى كثير من الاطباء استعماله حتى في هذا الداء . فاقتصرت فائدة التيوبركيولين على استعماله في تشخيص الدرن في الانعام كالبقر فان السليم منها اذا حقن به لم يصبه شيء ، ولكن اذا حقنت البقرة المسلولة ارتفعت حرارتها أي أصابتها الحمى . واستعماله لتشخيص الدرن في الانسان لامسوغ له مع ان هناك طرقا أخرى تفضله

أما التيوبركيولين الجديد فهو عبارة عن خلاصة تستخرج من نفس جسم الميكروبات الدرنية، وبعبارة أخرى هو السم الكامن في أجسامها فهو غير السم الذي تفرزه في السائل الذي تربى فيه . واذا حقن هذا التيوبركيولين الجديد أيضا في السليم لايحدث منه شيء واذاحقن في المريض حدثت أعراض كالاعراض المذكورة آنفا غير أنها لا تكون عادة مصحوبة بالانفعال الموضعي في مكان الدرن فلا يتنبه ولايلتهب . وهو قليل الاستعمال لتشخيص مرض الانعام ، ولكن بعض الاطباء يستعملونه في معالجة الدرن الانساني وان خالفهم الآخرون في نفعه، بل منهم من يرى ان ضرره أكبر من نفعه

واذا حقن تحت الجلد حدث منه خرّاج، ولذلك اضطر بعض المصانع الى ازالة بعض المواد التي تشبه الدهن منه وهي التي يظنون انها السبب في التقيح وفي عسر امتصاصه

وهناك عدة طرائق لاستعمال التيوبركيولين العتيق للتشخيص أشهرها أربع وهي :—

(١) الحقن تحت الجلد (٢) وضعه على الملتحمة عند الموق ويبقى الجفنان مفتوحين بضع دقائق فاذا كان في جسم الشخص أي درن احمرت ملتحمة الجفن الاسفل وكذلك اللحيمة الدمعية التي في الموق بعد ثلاث ساعات ويزداد الاحتقان بعد ست ساعات وترم اللحيمة ويكثر الدمع وتغطى العين ببعض الافراز (الرمص) ويصل هذا الالتهاب الى أقصاه بين ٦ ساعات و١٣ ساعة ثم يأخذ في الزوال بعد يومين أو أكثر، وهذه الطريقة ليست خالية من الخطر على العين. ومحاول التيوبركيولين الذي

يستعمل فيها يكون بنسبة ٥ ر . في المائة من الماء المقطر العقيم

(٣) بطريق الجلد وذلك بتلقيح الجلد كما يلقح لاجل الوقاية من الجدري فيحصل التفاعل باحمرار الجلد وتورمه في ٢٤ ساعة ويشتد بعد يومين ، وفي اليوم الثالث يبدأ في الزوال ويتم ذلك في اليوم الرابع . وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في الاطفال الذين يقل عمرهم عن خمس سنوات

(٤) يعمل مرهم من التيوبركيولين مع [اللانولين Lanoline] [1] (دهن يستخرج من صوف الغنم) بنسبة (١ الى ١) ويدهن به جزء من الجلد فيلتهب بعد يوم أو اثنين وقد يظهر فيه دمامل أو بثرة. واعلم انه قد يتأثر الحيوان من التيوبركيولين ويكون سليما اذا سبقت اصابته بالدرن وشفي منه. واذا حقن تحت الجلد بمقدار كبير (١. ر. السنتيمتر المكعب) ولم يحصل انفعال دل على السلامة من المرض مطلقا أو على الاقل من المرض الفعال في البنية فلاينافي ذلك وجود مرض سابق شفي منه المحقون

الجمرة الخبيثة Anthrax

يعرف هذا المرض في الحيوانات باسم (الحمى الطحالية) وهو يصيب الانسان أيضا . وينشأ من ميكروب باسيلي يوجد في العضو المصاب وفي الدم والاحشاء والافرازات ، ولا حركة له ، وطوله يختلف من ٥ مك [2] الى ٢٠ مك وقد يكون مستقيما أو منحنيا قليلا ويتكاثر بالانقسام ويتكون في داخله أيضا حبيبات، وهذه اذا انفصلت منه استطالت ونشأ منها الباسيل ، ولكن التكاثر بهذه الطريقة الحبيبية لايحصل الا في خارج أجسام الحيوانات . وهذه الحبيبات تقاوم درجات كبيرة جدا من الحرارة فلا يسهل قتلها ولو بالغلي الا بعد بضع دقائق

يصيب هذا الداء الحيوانات اذا لقحت بالميكروب بالعض أو بلدغ الحشرات، وقد تصاب أيضا به اذا أكلت من مرعى تلوث ببراز الحيوانات المريضة

أما اصابة الانسان به فتكون اما من الحيوانات الحية، ولذلك تصاب به الرعاة كثيرا، واما من جثث الموتى بهذا الداء — وهو الاكثر — كما يحصل للقصابين (الجزارين)

---

(١) كلمة لاتينية معناها حرفيا « دهن الصوف » (٢) مك مختصر كلمة ميكرون

والدباغين بتلقيح أجسامهم بالميكروب اذا مست شيئا من جثة الحيوان . وقد تحصل العدوى من أكل اللحم المصاب أو من مس الصوف والشعر المأخوذين من الحيوانات المريضة،وقد يصل أيضاهذا الداء بطريق التنفس بأن يستنشق ميكروبه مع التراب والغبار الذي يتطاير من البضائع الصوفية ونحوها اذا لم يطهر الصوف قبل صناعته

ومن النادر ان ينتقل هذا المرض من انسان الى آخر بمجرد اللمس ، وقد شوهد المرض بين تجار الخرق البالية التي تستعمل في صناعة الورق

والحيوانات التي تصاب به هي الانسان والغنم والمعز والارانب وخنازير الهند والفيران وكذلك الخيل والخنازير، أما الكلاب والقطط فلا تصاب به

الاعراض — لهذا المرض ثلاثة أشكال (١) الشكل الموضعي (٢) الشكل الداخلي الرئوي (٣) الشكل الداخلي المعدي المعوي. وفي كلا الشكلين الاخيرين قد يصاب ظاهر الجسم أيضا، وإنما نشأت هـذه الاشكال المختلفة بحسب مدخل الميكروب فانه قد يدخل من الجلد أو من الرئة في الهواء المستنشق أو من الجهاز الهضمي مع الطعام أو الشراب

أما الشكل الاول فيشاهد كثيرا في الوجه أو العنق أو الايدي بعد جرح أو سحج (خدش) فبعد زمن التفريخ الذي يتراوح بين بضعة أيام وبضع ساعات يحدث أكلان ولهيب في المكان الملقح ، ويظهر دمل صغير يمتلئ بسائل رقيق ثم ينفجر وتموت قاعدة هذا الدمل فتكون سوداء اللون ويلتهب ما حولها من الجلد فيحمر ويرم ويتصلب ويمتد تورمه الى [بوصة] ونصف أو بوصتين أو أكثر، ويتكون حول البقعة السوداء فقاعات صغيرة تشتمل على مصل ، وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة وتلتهب . وقد يستمر الشخص في عمله ثلاثة أيام أو خمسة ثم يشعر بالحمى مع الضعف والانحلال. وقد يعتريه الهذيان أو العرق الغزير أو الاسهال وينتهي أمره بالموت الذي يسبقه همود شديد

أما الشكل الداخلي فتختلف أعراضه باختـلاف الجهاز المصاب ، ويتقدمه اضطراب وضيق تنفس واضمحلال، وآلام في الاطراف ، ثم ترتفع الحرارة فجأة مع أعراضها المعروفة . فان كانت الرئتان مصابتين اصابه ضيق شديد في التنفس مع

احساس بالاختناق، ويزرقّ جسمه ، وتخور قواه ، ولكن يكون السعال خفيفا ، واذا بصق فقد يكون البصاق ملوثا بالدم، ثم يعتريه الهذيان والغيبوبة فيموت . وفي بعض الحالات قد يبقى ادراك المريض الى النهاية . واذا كان الجهاز الهضمي هو المصاب حدث قيء وألم بالبطن واسهال وخرج بالبراز دم وقد يحصل عسر في الازدراد أو نزف من الحلقوم والفم ، وتكون الحمى غير عالية ، ويزرقّ جسم المريض أيضا ويضيق نفسه ويصاب بالضجر وقد يتخبط كالمصروع قبيل الوفاة

الانذار — هو سيئ جدا خصوصا في الاشكال الباطنية

المعالجة — تعالج الجمرة الظاهرية باستئصالها كلها وكيّ موضعها إما بالنار وإما بالادوية الكاوية مثل كاوريد الزنك (الخارصين) أو بالفنيك النقي فتتحسن حالة المريض وقد يشفى سريعا

أما الشكل الداخلي فعلاجه قليل الجدوى . ويعالج بالكينين والمنعشات والسوائل المغذية

الوقاية — تكون بالابتعاد عن المصاب وحرق أوتطهير مفرزاته وكل ما لامسه وخصوصا صوف الاغنام وملابس المرضى ، وبقتل الحيوانات المصابة بأيسر الطرق ثم احراق جثثها أو دفنها في مكان عميق مع وضع الجير حولها

ومما تجب العناية به ان لا يؤذن للعمال في مصانع الصوف أو الجلود بمس شيء منهما الا بعد تطهيره بالطرق الطبية كأن يطهر الصوف مثلا في أفران البخار وتطهر الجلود بوضعها في بعض المحاليل المطهرة التي لا تضر بها . واعلم ان كلامنا هذا في مس الجلود قبل دبغها فان الدبغ وحده كاف لتطهيرها

ويجب على الممرض ومن شاكله تطهير يديه جيدا قبل الطعام والشراب وتغيير الملابس قبل ذهابه الى منزله أو مخالطته الاصحاء

السقاوة والسراجة Glanders

مرض عرف قديما حتى وصفه أطباء اليونان والرومان في كتبهم وهو يصيب الخيل والبغال والحمير وبعض الحيوانات الاخرى الداجنة ومنها ينتقل الى الانسان

أيضا . وسببه ميكروب مستقيم الشكل اكتشف سنة ١٨٨٢ م

يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره، وطوله يختلف من ميكرونين الى خمسة

وهـذا الداء قلما يصيب الانسان وأكثر من يصاب به خدمة الخيـل أو الاصطبلات . وكيفية العدوى به أن يلقح أي جزء من جلد الانسان بميكروب هذا الداء في أثناء تنظيف الخيل المصابة أو كشط جلود الموتى منها، وقد يصاب الشخص بسبب عض حيوان له وتلقيحه بلعابه ، أو يصاب بسبب عطاس الحيوان في وجهه فيدخل جزء من مخاط أنفه في عين الانسان أو أنفه أو فمه . وقيل إنه ينتقل أيضا بأكل اللحوم النيئة من الحيوانات المصـابة . ومن الجائز أن ينتقـل هذا الداء من شخص الى آخر

الأعراض — لهذا الداء شكلان : —

(الشكل الاول) الحاد وهو المسمى بالعربية السقاوة . يبتدئ ظهور أعراضه بتوعك وصداع وغثيان وآلام في الاطراف حتى قد يظن أن الداء هو الرثيـة [الروماتزم] أو الحمى التيفودية وقد يوجد ألم بالجنب وضيق في التنفس . واذا كان الميكروب دخل من الجلد التهب مدخله وورم وصـار مؤلما حتى يشبه الجلد مرض الحمرة ثم يتقرح وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة، وبعد اسبوع أو أكثر يظهر طفح من دمامل صغيرة حمراء تعـلوها فقاعات ، وهذه تكبر حتى تصير نفاخات كبيرة أو بثور مختلفة الحجم يسيل منها دم ومدة وصديد،وتلتهب قاعدة هذه البثور وما حولها ثم تسقط قشورها فيتكون منها قروح . وقد تتكون عقـد تحت الجلد تستحيل الى خراجات غالبا. وكثيرا مـّا تظهر هذه العقد أيضا في العضلات

وقد يصيب الداء أيضا الاغشية المخاطية وتكون أعراضه سيلان مخاط رقيق في أول الامر ثم يغلظ وتصحبه المدة أو الدم وتكون رائحته منتنة ، و يكون في الاغشية أيضا عقـد تتقرح حتى تثقب بعض الاجزاء أو تأكل بعض العظام الرقيقـة كما يحصل في داخل الانف . وقد تصاب أيضا الملتحمة أو الحنجرة أو أغشية الشعب وغير ذلك . وتكون حرارة المريض عالية جدا مصحوبة بأعراض الحمى المعتادة ، ولكن ارتفاعها قد يتذبذب، ويفرز زلال في البول ويصـاب المريض بالهـذيان

والارتعاش فالغيبوبة فالموت . ومدة الداء من أسبوعين الى ثلاثة

ويكثر وجود باسيل المرض في العقد المذكورة وفي القروح وما يسيل منها ، فأعظم الخطر منها في العدوى

(أما الشكل الثاني) فهو المزمن ويسمى بالسراجة وتكون أعراضه قاصرة على الاصابات الموضعية على الاكثر كأن تظهر قروح أوخراجات حول المفاصل أوتلتهب مواضع مختلفة تحت الجلد أو في العضلات، واذا حدثت بثور كان تكونها بطيئاً وقد تصاب اغشية الانف المخاطية . وفي بعض الحالات ينحف المريض ويبح صوته ويصيبه السعال أو النزف الرئوي. ومدة هذا الشكل المزمن قد تكون أربعة أشهر

الانذار — غير حميد . وفى الاحوال الحادة لا ينجو الا القليل، ويشفى نحو نصف الحالات المزمنة

المعالجة — لا يوجد لهذا الداء دواء مقطوع بنجاحه وانما تعالج الاعراض كالمعتاد

الرثية السيلانية أو الروماتزم السيلاني

سبق الكلام على مرض السيلان في الجزء الاول وإنما نريد أن نصف هنا ميكروبه واعراض اصابته للمفاصل

أما ميكروبة فهو من الشكل البزري ويسمى بالافرنجية [Gonococcus] ومعناها حرفيا في اليونانية [بزور المني] فهي من الاسماء التي أخطأوا في أصل وضعها. يوجد هذا الميكروب كثيرا في افراز الاحليل اذا كان الشخص مصابا بالسيلان ويشاهد على الاكثر داخل الكريات الصديدية البيضاء وهو من الميكروبات التي يتعسر زرعها في الخارج، ويعيش بوجود الهواء أو بغيره، وفي البيئة القلوية قليلا أو الحمضية ولكنه لايعيش خارج الانسان الا ببعض الوسائل الصناعية العلمية الدقيقة. ولا يصيب هذا الداء غير الانسان . ويشاهد ميكروبه في افراز الاحليل والفرج وتقل مشاهدته في إفراز الرحم ويندرأو لا يشاهد مطلقا وجوده في افراز المهبل. أما في الذكر فيوجد أولا في إحليله وقد يمتد منه الى الخصيتين أو المثانة أو الغدد الاربية

(فينشأ منه الخيرجل) وفي بعض الحالات قد يصل الميكروب في الذكر والانثى الى الاعضاء الباطنية كالبيضين أو البليورا أو البريتون أو الغشاء المبطن للقلب أو الاغشية الزلالية المبطنة للمفاصل وغير ذلك كثير

واصابة المفاصل هي المقصودة بالكلام هنا

تبدأ هذه الاصابة بعد ١٤ يوما أو ٣ أو ٤ أسابيع من مبدإ ظهور سيلان الاحليل حينما يكون هذا السيلان قيحا أو حينما يكون صديدا (رقيقا) وهو الاكثر أي في زمن [النقطة العسكرية] (١)

الاعراض — في الحالات الحادة تصاب عدة مفاصل في أول الامر بالألم والورم، و بعد قليل يقتصر المرض على مفصل واحد وهو المرفق في الغالب وقد يكون الركبة أو الرسغ أو غير ذلك . ويمتد احمرار المفصل الى مسافة بعيدة وتورم المنسوجات في تلك المسافة كلها حتى قد يظن أن بها خراجا . ويتألم المريض ألما شديدا عند أقل حركة ولكن تكون الحمى غير شديدة . ويزول الالتهاب بالتدريج البطيء جدا ويترك وراءه يبسا في المفصل . وقلّ أن يتقيح . ومن النادر أن تصاب أغشية القلب . وهذا الداء يصيب الذكور والاناث على حد سواء

وهناك اصابات بهذا المرض أخف مما ذكر فيكون احمرار المفاصل فيها أقل وكذلك ورمها ، ولكن تصاب عدة مفاصل في وقت واحد خصوصا الركبتين والمرفقين والرسغين وكثيرا ما يكون هناك آلام في الصفاقات وفي الاغشية المغلفة لأوتار العضلات ، وتغلب اصابة صفاق اخمص القدم . وقد تصاب أيضا الملتحمة بالالتهاب وكذلك الصلبة وغيرهما . وفي تلك الحالات الخفيفة يكون زوال الالتهاب أيضا تدريجيا وقد تطول مدته الى ثلاثة أسابيع أو اكثر و يخلفه كذلك يبس في المفاصل

وسبب تلك الالتهابات كلها هو وجود ميكروب السيلان في الاعضاء الملتهبة وقد تصاحبه أيضا ميكروبات الصديد وذلك اذا وجدت المدة

(١) اصطلاح يراد به السيلان المزمن كما يحصل لكثير من الجنود وهو عسير الشفاء جدا يكاد يكون متعذرا

حال المسلمين الاجتماعية

ومطالب الاغنياء وسائر الطبقات منها (*)

وفيه بيان حال مشتركي المنار ومساعديه ورأي الاستاذ الامام والشيخ علي يوسف فيه

٢

قد فصلنا القول في المقالة الاولى في الغرض الاول الذي رمى اليه (م . ن) في رسالتــه وهو اعانة جماعة الدعوة والارشاد . واما الغرض الثاني مما رمي اليه وهو مساعدة المنار فقد علم رأينا فيه مما علقناه على رسالته ، وهو أننا لا تقبل تبرعه للمجلة ولا تبرع غيره لانفسنا ، فمساعدة المنار تنحصر في أمرين أدناهما أن يؤدي كل مشترك ما عليه من قيمة الاشتراك في كل سنة ، وأعلاهما الدعوة الى الاشتراك فيه واقتناء مجلداته وأداء حقه الذي هو عبارة عن قيمة الاشتراك

وقد وجد أفرادٌ قاموا بما تيسر لهم من أعلى المساعدة كالنابغة الشهير السيد محمد بن يحيى بن عقيل في سنغافورة، وشهيد العربية السيد الزهراوي الشهير وصديقه الشيخ أحمد نبهان من علماء حمص وفضلائها في بلاد سورية، والكاتب اللوذعي الهــادي السبعي في تونس، والفــاضل الغيور محمد افندي عمر في القطر المصري . وانما ذكرت الهادي السبعي وقد كان وكيلا للمنار بالعمولة لأنه من الأفراد الذين يقل نظيرهم في علو الهمة وقوة التأثير، واننا لم نأسف لاضطرارنا الى ترك معاملة أحد أسفنا لاضطرارنا الى ترك معاملته لتأخيره المحاسبة والمكاتبة عن أوقاتها زمنا طويلا، على أننا لم نهتد بعده سبيلا الى تحصيل حقوق المنار من أكثر التونسيين ، على ما تفضل به من التبرع بتحصيلها الوجيه الامثل عبد الجليل الزاووش

وأما أدنى المساعدة وهي أداء حق المنار فمن المشتركين السابقون بالوفاء وهم الذين يؤدون الاشتراك في كل عام وأفضلهم الذين يؤدونه في أوائل السنين وإن لم يطالبوا أو يذكروا ، ويليهم الذين اذا ذكروا أو طولبوا أدوا ، وان تركوا نسوا أو

(*) تابع لما نشر في الجزء الثاني ص ٨٩

تناسوا ، ومنهم الذين يلوون ويمطلون، ومنهم من لا يخرج الحق من يده الى أمثالنا في حسن التقاضي الا نكدا ، وقد يكون أبسط الناس لمن يخاف أذاه أو هجوه يدا ، وقد بينا من قبل أحسن أقطار المسلمين وأصنافهم وفاء وأشدها مطلا

وانما انقاسي من مطل الناس أو هضمهم للحق ما هو أوضح برهان على انحطاط أمتنا، وضعف تأثير العلم الديني والدنيوي في نفوس أفرادها ، فلا ينبغي أن يغترّ أحد بشهرة أحد في علم ولا فلفسة، ولا بظهوره في مظهر صلاح ولاعدالة، بل يجب أن يزن الجميع بميزان النقد ، فالناس — كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم — معادن كمعادن الذهب والفضة ، أي والنحاس والحديد والزنك وغير ذلك ، فالمظاهر العلمية أو العملية كالصقال قد يجعل النحاس أو الحديد المصقولين أبهج من الذهب أو الفضة غير المصقولين ، ولكنهما اذا تركا زمنا طويلا بغير صقل علاهما الصدأ ، وأفسدهما الطبعُ ، ولا يضر الحجرين الكريمين ترك صقلهما ، فان صقلا كان مزيد كمال في جمالها وبهائها . وأنشد الغزالي في الاحياء أبياتا في اختبار مدعي الزهد والتصوف بالمال :

لا يَغُرَّنْك من المر ء قميص رقعه
أو إزار فوق عظم الساق منه رفعه
أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

فان شئت مثلا من عبر المنار، وما اتفق لنا من منبكيات الاختبار ، فأعظم الامثال التي يجب أن تضرب في هذا المجال رجل من الأغنياء العلماء الشرفاء ، يشرح الكتب الشهيرة ، ويتحلى بالحجارة الكريمة ، ويركب المركبات الفاخرة ، تجرها الخيول المطهمة ، ثم هو يلوي ويسوف في اشتراك المنار عدة سنين ، ثم يقول لوكيل التحصيل بعد المطل الطويل ، إنه لا يدفع قيمة الاشتراك لانه عالم من علماء الدين ! فيالله العجب هل يوجد خزي أخزى من وصف العلم أو الدين بأنه يقتضي هضم حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل ، أليس الجهل أفضل من مثل هذا العلم ؟ بلى وأستغفر الله من الزيادة على ما قلت

هذا وان صنف العلماء المعممين في مصر قلما يشترك أحد منهم في جريدة أو مجلة

أو جمعية خيرية، و يقل فيمن يشترك في صحيفة لغرض ما ان لا يسعى في السماح له بنصف قيمة الاشتراك أو ما دون النصف ، كأنهم يرون أن الصحف يجب أن تهدى اليهم ، وإن لم يفيدوا أصحابها بعلمهم ولا بجاههم ، ان كان لهم علم ينفع ، أوجاه يشفع ، ولكن يقل فيهم أيضا من يأكل حقا ثابتا عليه لأحد

ومن أغرب ما وقع لنا معهم أن واحدا منهم كان قد أعجبنا حياؤه وتدينه ، فساعدناه في مصلحة من مصالحه مساعدة ذات شأن عنده، فعرض علينا جزاءها أو مكافأة عليها عدة جنيهات ، فقلنا اننا لا نأخذ أجرا على المساعدة فاشترى بها مجلدات من المنار ، ثم انه تأخر عليه اشتراك عدة سنوات فلما طولب بها في هذا العام قال إنه كان دفع الاشتراك عنها سلفا في تاريخ كذا ، فقيل له ان مادفعته يومئذ انما كان ثمن المجلدات السابقة فقال — ويالله العجب مما قال — بل كانت تلك المجلدات هدية من صاحب المنار !! فان كان قد قال هذا القول معتقدا صحته فهل تفكر في السبب الذي حمل صاحب المنار على مساعدته مساعدة تستحق المكافأة وعلى ترك أخذ ما عرضه عليه منها ثم على اهدائه عدة مجلدات من المنار ؟ لعله يتفكر فيعلم ان لاسبب يقتضي ذلك ثم ينصف من نفسه. !! على اننا مع العلم بهذا الشذوذ من هذا العالم الحيي ، وذلك المؤلف الغني ، نقول ان علماء الدين أمثل من علماء الدنيا وفاء ، وأسهل قضاء :

ذكرت في بعض مجلدات المنار السابقة أن علماء الحقوق من القضاة والمحامين احسن وفاء من غيرهم ، وان اقل المتعلمين وفاء كتبة الدواوين، وكم من كاتب صغير، خير من قاض أو محام كبير ، وانما الناس معادن، يتفاضلون بالاخلاق لا بالعلم ولا بالمناصب ، أضرب لذلك مثلا قاضيا اشتهر بدقة الفهم ، واستقلال الرأي ، وحسن الذوق ، وانتظام الفكر ، وفصاحة القول ، وسلاسة الانشاء ، والجمع فيه بين إقناع الفلسفة وتأثير الخيال ، حتى صار يعده المدنيون من رجال الاصلاح ، وكان مع هذا كله يمنع ما عليه من حقوق الافراد والجمعيات عامدا متعمدا : طلب الاشتراك في المنار بلسانه ، ومات وعليه اشتراك عدة سنين اعيا وكيل المنار تحصيلها منه ، وكان مشتركا في الجمعية الخيرية ومن كبار أعضائها فأمر الاستاذ الامام رئيس الجمعية بمحو

اسمه من دفاترها بعد امتناعه من دفع قيمة الاشتراك عدة سنين .

وانّ لنا الآن عند بعض القضاة والمحامين اشتراك عدة سنين يئس جابي المنار منهم، وطلب من الادارة قطع المنار عنهم ، وقد ساءني ذلك لان منهم من أجل نبوغه ومروءته ، وألتمس له عذرا فيما شكا الجابي منه ، و يعز علي ان يحشر في زمرة الماطلين ، أو يدوّن في سجلّ الماضمين ،

وأما الماطلون من الاغنياء الذين لم يصقلهم العلم الديني ولا الدنيوي فهم كثيرون ومطلهم خشن مشوه . مثاله قول غني من الفيوم عليه اشتراك بضعة عشر سنة لجابي المنار في القاهرة: اني ابتليت بمصائب منعتني من المطالعة منها موت امرأتي، ومجموعات سني المنار محفوظة عندي في الفيوم فاعطني أجرة البريد لاحضرها لك !!

ولا يسعني السكوت في هذا المقام عن كلمة ثناء على فضل من أنبتت أرض في مصر في هذا العصر ، بل على من يندر وجود مثلهم في اي مصر واي عصر، وهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والوزير الكبير مصطفى رياض باشا والنابغة الهمام حسن باشا عاصم، فأما الوزير فقد بينت في فاتحة المجلد الخامس عشر انه كان أول من أراد التبرع للمنار فاشترك بعشر نسخ توزع على الفقراء ثم جعلها خمس عشرة نسخة، وقد أقرها بعده ولده محمود باشا سنة ثم قطعها، وفضل رياض باشا على الاهرام والمؤيد والمقتطف والمقطم مما يعرفه جمهور الادباء، وأما حسن باشا عاصم فقد كان على وقف حياته على خدمة الامة احسن الناس وفاء، حتى انه كان يتحرى أن يكون أول من يدفع الاشتراك للجمعية الخيرية في كل عام على أنه أكثر أعضائها خدمة لها ، وكان يدفع اشتراك جميع الجرائد في أول كل عام أيضا وكان يجيء في ادارة المنار في بعض السنين حاملا الدراهم بيده

وأما الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان أحرص الناس على مساعدة المنار بكل ما تصل اليه طاقته، وكان كثير من الناس يظن في مساعدته له الظنون البعيدة حتى ان منهم من كان يظن أنه هو الذي يكتب ويحرر أكثر ما ينشر فيه، وقد علمنا هذا مما كاشفنا به بعض القراء حين كتبنا في المجلد الرابع ان كل ما ينشر في المنار غير معزوّ الى أحد فهو لمنشئه، ومن الناس من لم يرجع عن هذا الظن الا بعد وفاة الاستاذ

بعد كتابة ما تقدم نظرت في مذكراتي التي كتبتها قبل انشاء المنار فاذا فيها انني جئته على موعد في مساء اليوم السادس من شعبان سنة ١٣١٥ فعلمت منه ان سليم افندي الانسي أخبره بأن بعض الناس جاؤا من طرابلس الشام لانشاء جريدة . وأنه أجابه بقوله : هل علموا ان الجرائد هنا قليلة ؟ وكتبت يومئذ في ذلك ما يأتي :

« فعند ذلك كاشفته بعزمي وأخبرته انه جاءني خبر من طرابلس بأن والي بيروت بلغه اني جئت مصر لانشئ جريدة أطعن فيها بوكلاء (وزراء) الدولة . وقلت له : المقصد أعلى من الكلام في الشخصيات وان وكلاء الدولة مدحوا كثيرا وذموا كثيرا فماذا كان من نتيجة المدح والذم ؟

« فشرح لي الاستاذ حالة الجرائد في مصر (كما فهمته واختبرته) وقال ان المصريين أقامتهم الظروف في حالة جعلت أفكارهم موجهة الى شيء واحد من الجرائد وهو أخبار الحكومة المحلية وماذا يقال عن الخديو وعن الانكليز ولا يلتفتون الى ماوراء هذا .وهذا الامر قد قامت بهثلاث جرائد المقطم والمؤيد والاهرام ...[1] واذا كتبتَ في المواضيع الادبية كالتربية والتعليم أو آداب اللغة لا يلتفت الى كلامك الناس فاني لا أعرف أحدا في مصر من طلبة الازهر أو المدارس مشتغلا باللغة وآدابها الا ان يكون في الزوايا من لم يعرف . نعم ان هذا الامر مهم ومفيد لكنه لا يأتي منه ما يكفي لنفقاته ولا ينبغي التعب وانفاق المال هكذا ...

(وفيها انني ذكرت له هنا ما ذكره لي صاحب الهلال من كثرة مشتركيه وأنه ارتاب في ذلك وقال ان المشتركين الذين يدفعون الدراهم قليلون وما كل من يكتب اسمه في دفاتر أصحاب الصحف كذلك . ثم كتبت ما نصه) :

« ثم انتقلنا الى موضوع الامة ومرضها وان أنفع الوسائل في معالجتها التربية والتعليم ونشر الافكار الصحيحة ، فقلت هذا ماحدا بي لانشاء الجريدة ، واني أسمح ان انفق عليها سنة وسنتين من غير ان أكسب شيئا ... فقال ان كان هكذا

---

(١) هذا نص ماي المذكرة بحروفه ونقطه وأتذكر انه ذكرلي مشرب هذه الجرائد فأشرت اليه بالنقط لانه لا ينسى

فهو حسن ، وهذا أشرف الاعمال وأفضلها ، وأنا اذا كنت على ثقة من مشرب الجريدة فاني أساعدها بكل جهدي » اه

ولما كتبت فاتحة العدد الاول أعجبه ما بينته فيها من خطة المنار ومقاصده ولم ينتقد منها الا كلمة واحدة في حقوق « الامة على الامام » قال إن المسلمين ليس لهم الآن إمام انما امامهم القرآن. فتركت تلك الكلمة لاجله. ولم أطلعه على شيء قبل طبعه مما لا يتعلق بشخصه والحكاية عنه الا تلك الفاتحة. ثم كانت تزداد ثقته بالمنار وصاحبه (ولا محل لشرح ذلك هنا) ولكنه لعزة نفسه ومحافظته على قيمة كلامه كان يكتفي من الترغيب في المنار غالبا بمدحه، والشهادة بفائدته ونفعه، دون التصريح بالدعوة الى الاشتراك فيه ، وقلما كان ذلك يجدي لبعد أكثر الناس الموسرين عن الاهتمام بأمر الاصلاح الديني والاجتماعي، قد اشترك في المنار عند ظهوره الافراد من أصدقائه ومريديه بترغيبه، واشترك المئات من غيرهم بغير ترغيب من احد ولم يكن في ذلك غناء ، وما زاد دخل المنار على نفقاته الا في السنة الخامسة، وقد كان لمقالاته (الاسلام والنصرانية) تأثير في ذلك . ولم أعلم أن عشرات من المشتركين طلبوا الاشتراك بتأثير ثنائه عليه الا في تلك السنة وكان هؤلاء المشتركون من مديرية الدقهلية وما جاورها، سمعوا منه ذلك الترغيب في بلادهم أيام كان فيها يوزع الاعانات على الذين نكبوا بالحريق ، ولا أتذكر اني طلبت منه المساعدة تصريحا ولا تلميحا الا في أوائل تلك الايام ، فانني كتبت اليه كتابا أشرت فيه الى الشكوى من قلة الاقبال على المنار — وكان في المنصورة — فكتب الي كتابا قال فيه هذه الكلمة التي كانت أحب الي من كل ما تجدد من طلب الاشتراك ، لانها بينت رأيه في المنار كتابة وهي :

«الناس في عماية عن النافع وفي انكباب على الضار، فلا تعجب اذا لم يسرعوا بالاشتراك

في المنار، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل

وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلا، والفقراء

لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل »

وأذكر أيضا أن وجيها من أسرة كبيرة غنية في بعض المديريات كان يعد من حزب الاستاذ طلب مني بحضرته ارسال المنار الى بضعة عشر مشتركا من أقاربه وأصحابه على انه هو الكافل لهم ، والملتزم لتحصيل قيمة الاشتراك منهم ، فأرسلناه اليهم ، وبقي عدة سنين لا يدفع عن نفسه ولا عن أحد منهم شيئا حتى في حياة الاستاذ ، ثم بعد تكرار المطالبة وصل الينا منه ومن غيره اشتراك بعض السنين من بعضهم ، ويئسنا من الآخرين فمحونا أسماءهم .

وأما أصحاب النفوذ والوجاهة من أصدقائه — الذين كانوا أقدر منه على نشر المنار لو أرادوا لتصريحهم بما لا يصرح هو بمثله — فلم أعلم لأحد منهم مساعدة تذكر الان الا مصطفى بك الباجوري رحمه الله تعالى طلب المنار لجماعة في طنطا أكثرهم من أصدقائه المحامين . على أن كثيرا من جماعة الاستاذ ما كانوا يدفعون قيمة الاشتراك ولا كنا نحن نطالبهم بها لاجله ، وهو لم يأمر بارساله الى أحد بغير ثمن الا الى اثنين من أصدقائه (أحدهما) شيخ صوفي صالح مشهور في الوجه القبلي (وثانيهما) قاض شرعي من اخوانه مريدي السيد جمال الدين في الوجه البحري ، (رحمهم الله أجمعين)

وجملة القول ان الاستاذ قدس الله روحه صرّح لي بما حقيقته انه لم يعمل للمنار ما يحب عمله له ، بل قال لي مرة أو أكثر من مرة : انني لم أعمل له شيئا . أي ما يعده هو شيئا يذكر . ولا سيما بعد ما رأى من مقاومة أعدائه له ، وعدم قيام أصدقائه بما كان يحب من مساعدته ، على ما رأوا من شدة ميله ورغبته ، وقد كان هو يقوم بموافاة رغائبهم وقضاء حوائجهم بمجرد الشعور بها ، ولا ينتظر منهم إلحاحا ولا تصريحا بطلبها ، وكان يجب ان يكون كل فرد منهم أولى بذلك منه ، لا لأن له الفضل عليهم ، والمقام الاعلى فيهم ، بل لانه أشدهم حياء وأرقهم شعورا . فلا ينبغي لمن عرف طباعه وأخلاقه العالية ان يكلفه ما لا يليق بها ، كالتصريح بطلب الشيء بلسان المقال ، مع العلم به من دلالة الحال ، على انه هو لم يكن يكلف صديقه مثل ذلك وان كان ذلك الصديق لا يستحيي منه ، ولا يثقل مثله على طباعه وأخلاقه .

من أجل هذا كانت مقاومة أعداء الاستاذ للمنار أعظم من مساعدته له ، وانما

كانوا يقاومونه لتنويهه به ، وإذاعته لعلمه وفضله ، وانني أذكر في هذا المقام كلاما للشيخ علي يوسف صاحب المؤيد عفا الله عنه فيه عبرة لصاحب الرسالة التي أوجبت كتابتنا لهذا المقال ، ولغيره ممن يعتبرون بوقائع الاحوال ‹

قال لي الشيخ علي يوسف مرة: إنك أنت رجل غير عادي فلقد أوتيت من العلم والبصيرة ومعرفة حكم الدين واسراره وما يحتاج اليه المسلمون من الاصلاح في هذا العصر ومن حسن البيان ما جعل مجلتك من الحاجات الضرورية التي لاغنى للمسلمين عنها اذا أرادوا أن يرتقوا في هذه الدنيا مع المحافظة على دينهم، وكان يجب أن يوجد المنار في كل بيت من بيوت المسلمين ، ومصر مستعدة لرواج هذه الافكار فيها، وانت هنا غريب ليس لك اعداء ولا حساد إذ لا يعدك احد فيها مزاحما له في جاهه وصيته. الا انك التزمت في المنار اطراء الشيخ محمد عبده والتنويه به، وهو اهل لذلك الا انه غير محتاج اليه اذ لا يزيد في قدره عند عارفي فضله الكثيرين ولا يقنع غيرهم من مبغضيه ، وان للشيخ اعداء كثيرين لهم نفوذ في البلاد، وأنت بهذا التنويه به تجعلهم خصوما للمنار يقاومونه وينفرون الناس منه، واكثر من يسمع ذلك منهم يأخذه بالقبول، فخير لك أن تترك هذه الخطة وتسلك في ذكر الشيخ طريق المؤيد بأن تعبر عنه اذا اقتضت الحال ذكره بأحسن ما يقترن بأسماء كبار العلماء وهو لقب « فضيلة الاستاذ فلان — أو بزيادة — العلامة فلان » فبهذا تأمن كيد أعداء الشيخ لك المفضي الى حرمان أكثر المسلمين بمصر من الاستفادة من المنار اه

فقلت له انني أعلم قدر ما في هذا الكلام من النصيحة وانني قد علمت بالاختبار ان أعداء الشيخ يصدون عن المنار وقلما يوجد من يعارضهم في ذلك . ولكن المنار أنشئ للاصلاح لا للتجارة، ودعوة الاصلاح لا يرجى ان تنجح وتبقى الا اذا كان للاصلاح زعيم يرجع اليه ويعوّل عليه ، ولا أعرف أحدا في المسلمين اهلا لهذه الزعامة بعلمه و بصيرته واخلاصه وأخلاقه الا هذا الرجل، فأنا أقصد بالتنويه به ترشيحه لزعامة الاصلاح في العالم الاسلامي كله لا في مصر فقط . وهذا الغرض ركن من أركان الاصلاح يرجح على كثرة قراء المنار في القطر المصري. فقال اذا كان الامر كذلك فأنت أدرى بشأنك

هذا — وإن هذا القول من الشيخ علي يوسف قد كان قبل اشتداد غضب الامير على الاستاذ الامام واظهاره للناس وما ترتب على ذلك من التقاطع الاخير بين الاستاذ والشيخ علي ، ومن سعي كثير من كبار المقربين للامير للتفريق بيني وبين الاستاذ رحمه الله تعالى، اذ كان ممن كلمه في ذلك الوزير الشهير بطرس باشا غالي ، وممن كلمني فيه نقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الشيخ توفيق البكري. ولا حاجة الى شرح ذلك في هذا المقال

لان صاحب الرسالة (م . ن) يعلم ما لا يعلمه الا الاقلون من تاريخ المنار وما لقي من المقاومة وكونها على قوتها لم تكن مانعة من انتشاره واحترام كبراء الامة — حتى خصومه — له ولمنشئه ، وأنه على كثرة ما كان ينتقد العلماء ويلقي عليهم من تبعة فساد دين الامة ودنياها لم يتصد أحد منهم للرد عليه مع دعوته اياهم الى انتقاد ما يرونه منتقدا فيه على رأس كل عام ، ويعلم أيضا أن مقاومة الامراء والكبراء من العلماء وزعماء الحزب الوطني وغيرهم لم تكن صادة لمن دونهم في الجاه كمحمد افندي عمر من الدعوة الى الاشتراك في المنار ومن استجابة كثير من الناس له ، ذلك بأن الحرية الشخصية قد رسخت في البلاد ، حتى صارت مستعدة لقبول كل دعوة وانتشارها بقدر من يقتنع بفائدتها من الافراد. ولكن الدعوة لا تنجح بنشر مقالة أو مقالات معدودة ، بل يشترط لنجاحها أن يكون لها دعاة دائبون ، وتأثير القول فيها أكبر من تأثير الكتابة، ولا بد من المواظبة والتكرار، كما علم من سنن الله تعالى في كل دعوة الى إصلاح أو إفساد، فهذا هو سبب حكمنا على رسالته بأنها لا تفضي الى نيل المراد، فالاقوال والافعال العارضة الموقتة ضعيفة التأثير في الامور العامة ، وإنما العمدة فيها على الدعوة الدائمة، فقد أيد المنار أقوى من أنبتت هذه الديار حجة وتأثيرا روحيا ولم يكن نجاحه بتأييده وتنشيطه ، وخذله وثبط عنه أعظم من فيها نفوذا ولم يخب بخذله وتثبيطه، وقد زالت ولله الحمد تلك المناهضة، فلا يخشى ان يلقى الداعي بعد اذى، ولا معارضة

ثم ليعلم صاحب تلك الرسالة ان المنار ثابت بفضل الله تعالى وان انقطع عنه منذ بدأت الحرب الاوربية كل مدد كان يأتيه من البلاد العثمانية والروسية و[illegible] الاسلامي ، وكذا من المشرق والجنوب الا قليلا ، [illegible]

أسماء مئات من مشتركي القطر المصري ؛ بعضهم بحق وبعضهم بغير حق بل بشهادة غير عادلة من الجباة . — وكان هذا في فترة بضع سنين لم أنظر فيها شيئا من أمر الادارة وقد قضيت كثيرا منها في الاسفار — وان المتأخر من مال الاشتراك على الثابتين من المشتركين يزيد على ألف جنيه مصري . واني لأعترف بأن جل التبعة في ذلك على تقصير الادارة وتركها مطالبة الكثيرين منهم لا على من طولبوا فلووا ومطلوا ، وانا لنرجو ان توفق ادارتنا فيما شرعت فيه من الاصلاح الى اقتضاء حقوقنا بالحسنى ، فقلما يوجد في مشتركي المنار من يستحلّ أكل ماله بالباطل وهضم حقه بغير عذر ، ولكن يثقل على بعض من عليهم اشتراك عدة سنين ان يؤدوها دفعة واحدة ، ولا يضرنا تأديتها أقساطا متعددة ، وإن منهم أفرادا يطمعون بأن نترك لهم شيئا مما عليهم برضا منا ، ومن هؤلاء من يتوسل الى ذلك بأن بعض الاجزاء لم يصل اليهم ، وحجتنا انه كان ينبغي لهم ان يطلبوها في وقتها واذاً لارسلت اليهم بغير ثمن حسب الشرط ، وانا نعلم بالاختبار ان كثيرا من المشتركين تضل عندهم الاجزاء أو يأخذها بعض أصدقائهم من مكاتبهم أو بيوتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ، أو تضيع بانتقالهم من مكان أو بلد الى غيره ، ثم يتوهمون انها لم تصل اليهم البتة

وقد عزمنا على ان نبذل جهدنا في حسن الاقتضاء ، راجين من الاكثرين حسن القضاء ، وعلى ان نكتب بعد ذلك ما نرى فيه الفائدة من الاختبار ، ومنه التصريح بأسماء المحسنين والمسيئين في القضاء ، ليكونوا عبرة للمعتبر بحال المسلمين ، ونؤكد البشارة لاخينا (م. ن) الداعي الى مساعدة المنار خوفا من سقوطه بما أحدثته الحروب من العسرة ان ما على خيار المشتركين في القطر المصري وحده يزيد على ما يحتاج اليه من النفقات فلا يضره انقطاع المدد عنه من الخارج ، فاذا كان يحب زيادة انتشاره لاجل تعميم فائدته فالطريق الى ذلك هي الدعوة الى منهجه الاصلاحي ، ولكل دعوة أهل ، ولكل مجتهد نصيب ، ودعوة الاصلاح بالحق أحق أن تستجاب ، ولاسيما اذا روعيت فيها الحكمة وفصل الخطاب ، (أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يَهدي الا ان يُهدى ؟ فما لكم كيف تحكمون !)

رحلة الحجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى ان وفقني في هذا العام لتلبية دعوة أبينا ابراهيم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ، بأداء فريضة الحج ، واكمال المناسك بالعج والثج، ثم أحمده عودا على بدء ان وفقني للوفاء لوالدي بالحج معها . بعد ان حالت دونه الاقدار بالاعذار تارة من قِبلي وتارة من قِبلها ، بل أحمده قبل ذلك كله أن سخر من سخر من الدول لازالة ما أحدثته الحرب الاوربية العامة من موانع السفر بالبحار الى الحجاز ، ولتكاف إعداد السفن لحمل الحجاج ، بعد أن وفق الشريف أمير مكة للقيام بأمر استقلال العرب في تلك الاقطار، ولمعاهدة تلك الدول المتصرفة في جميع البحار ، فسبحان من سخر من شاء لما شاء بتوفيق أقدار لأقدار، وأظهر حجته على الخلق في كل عصر من الاعصار، من آيات يزداد بها إيمان المؤمنين، ويحق بها القول على الجاحدين ، — والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، الامي الذي أرسل لتعليم الاميين والكاتبين ، العربي المبعوث لتوحيد الامم باللغة والدين، وعلى آله وأصحابه الكرام ، الذين أخذوا عنه المناسك وأحيوا شعائر الاسلام

أما بعد فان ركوب الالوف من المسلمين لمتون البحار ، وجذبهم من أقصى المغرب والمشرق لاداء فريضة الحج في هذا العام ، يصح ان يعد من تأييد الله تعالى للاسلام ومن المعجزات الدائمة لخليليه ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ومصداقا لحديث «ان الله سيؤيد الاسلام برجال ماهم من أهله» وقد ورد بلفظ آخر صرحوا بصحة سنده. أوليس خذلانه — جلت قدرته — لحكومة الاتحاديين الملحدين ، بما أقدموا عليه من التنكيل بالعرب وانتهاك حرمات الدين، وتوفيقه — عمت رحمته — لأمير مكة ومن معه من المسلمين، بالخروج على البغاة المارقين ، وتسخيره — بهرت حكمته — لدولتي الفرنسيس والبريطانيين الكتابيين ، بحمل الحجاج من الغرب والشرق الى البلد

الامين = أليس هذا كله أقدارا تتابعت ، وأسرارا تشايعت، فانجلت عن استجابته سبحانه وتعالى لدعوة ابراهيم خليله ، وإحياء شريعة محمد عبده ورسوله ، بعد ما كاد يظن ان أسباب الحرب الظاهرة ، حالت دون تلك الدعوة الطاهرة ، (١٤ : ٣٩ ربَّنا إني أسكنتُ من ذُرّيّتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتكَ المحرّم ربنا ليقيموا الصلاةَ فاجعلْ أفئدةً من الناسِ تهوِي اليهم وارزقهم من الثمراتِ لعلهم يشكرون) بلى وانها لتؤيد ما روي عن ابن عباس، من تلبية الناس لتلك الدعوة في عالم الارواح، اذ قام عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من بناء البيت العتيق، ممتثلا قول الله له (٢٢: ٢٥ وأذِّن في الناس بالحجّ يأتوكَ رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتينَ من كلّ فجٍّ عميقٍ ٢٦ ليشهدوا منافعَ لهم ويذكرُوا اسمَ الله في أيامٍ معلوماتٍ على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ٢٧ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوّفوا بالبيت العتيق)* فقد روي عنه ما معناه أن الله تعالى أمره أن ينادي بذلك وقال له عليك النداء وعلي البلاغ . وأنه قام في مقامه (المعروف الى الآن بمقام ابراهيم) وقيل في الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس فنادى يا أيها الناس ان الله قد اتخذ بيتا فحجوه — فاجابه كل من كتب الله له الحج الى يوم القيامة قائلين «لبيك اللهم لبيك» فان لم تكن هذه الاجابة حقيقية في عالم الارواح ، ولاعبارة عن الاجابة بالقوة ولسان الاستعداد ، فهي تمثيل لما تظهره مجاري الاقدار، من وراء حجب الاستقبال، فتشاهده الاجيال في كل حول من الاحوال

لقد كان النزوع الى حج بيت الله الحرام ، هوى ساكنا في القلب يحركه الموسم في كل عام، وتحول موانع الاقدار دون جذبه البدن الى تلك المشاعر العظام،

*) التأذين والاذان بالشيء النداء للاعلام به . والرجال جمع راجل وهم المشاة ، والمعنى يأتوك مشاة وركبانا على كل ضامر من الابل وغيرها وهو المهزول من طول السفر ، ويأتين صفة لكل ضامر. والفج الطريق والمسلك المنفرج بين الجبال ونحوها، والعميق البعيد الغور أو المدى ، والايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق بعده ، وكذا يوم عرفة في قول، والامر بالاكل من لحوم ذبائح الهدي التي تذبح بمنى في تلك الايام — ومثلها الاضاحي في سائر البقاع — للندب عند الجمهور وللوجوب عند طائفة . والتفث المناسك ، أو التحلل من الاحرام الذي يزال به الوسخ بالحلق والطيب اذ أصل التفث الوسخ . والمراد بالطواف هنا طواف الافاضة الذي تتم به أركان الحج فيتم التحلل منه .

وأهمها ماكان أولا من عدم الامن على النفس من ظلم الحكومة الحميدية ، ثم ما هو شر منه وأنكى من إلحاد الحكومة الاتحادية، ومنها ما كان في بعض السنين من عدم استطاعة السبيل ، أوعجز السيدة الوالدة عن الرحيل

فلما دعت الحكومة المصرية المسلمين في هذا العام الى الحج بألسنة الصحف المنشَّرة ، والتزمت حمل من يحج الى جدة ذهابا وايابا بأجرة قليلة ، تاركة ما كانت تتقاضاه من كل مريد للحج من التأمين المالي ، وعلمنا أن هذه الدعوة مبنيــة على تأمين الشريف أمير مكة للبــلاد، وازالتــه كل ما كان هنالك من أسباب العيث والفساد ، — صادفت هذه الدعوة في أنفسنا أتم الاستعداد والاستطاعة ، وانتفاء جميع الموانع دون هذه الطاعة ، بل تأكدت داعية الفريضة ، بما يرجى في اثناء أدائها من واجب النصيحة ، التي تقتضي الحال الحاضرة أداءها لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فقد علمنا أن طريق الحج ، قد مهــد لمسلمي الشرق والغرب ، الذين حالت بيننا و بينهم الحرب ، فلا سبيــل للتواصل بيننا و بينهم من الطاق ولا من الباب ، ولا للتناصح بخطاب ولا كتاب ، ونحن الآن أحوج ما كنا الى التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون على ما يجب من التقوى والبر ، فهــل نتوانى في أداء هذه الواجبات، وقد ابيحت لنا في أشرف الامكنة وأفضل الاوقات، إذ نؤدي المناسك في بيت الله ومشاعره العظام منًى والمزدلفة وعرفات ؟

نعم ان حكومة هذه البلاد آذنتنا بإباحة الحج في هذا العام ، فذكرتنا بايذانها به أذان أبينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فلبي القلب داعي الله قبل تلبية اللسان وسعي الاقدام، : «لبيك اللهم لبيك لبيك ، لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك » فلم نكن ممن يثنيهم عن هذه التلبية إرجاف المرجفين، ولا خرص الخراصين، ولا إفك المدّاعين. الذين أذاعوا في طول البلاد وعرضها ان من يقصدون الحج في هذا الاوان ، يلقون بأيديهم الى التهلكة بما أعد لهم من مدافع الترك وطيارات الالمان ، ولا قولهم إن صاحب المنار مرسل مع وفد العلماء الذين أرسلهم سلطان مصر لمبايعة شريف مكة بالخلافة . ولا قول بعضهم إنه هو الذي يريد ذلك دون العلماء ولا قول بعضهم بالعكس ، فالفرائض والواجبات لاتترك

لتقوّل غوغاء الناس، ولا لاوهام العوام ولا الخواص ، وحسبي ان أعلم انني أحج لوجه الله تعالى منفقا من مالي الذي أعتقد حله وقد ادخرته لذلك في هميان منذ سنين، وانني ابتغي زيادة الاجر عند الله تعالى بصحبة والدتي وخدمتها في هذه السبيل ، وبما أبغيه من الازدياد من العلم النافع والاختبار والاستفادة من أهل العلم والبصيرة ، وبما أنويه من النصيحة لكل من أرى الفائدة في نصحه من اخواني المسلمين فى تلك البقاع الطاهرة الشريفة ، بما أرى فيه الخير والمصلحة لامتي في أمري دينها ودنياها، لا أحابي في ذلك شريفا ولا أميرا ، ولا أغش فيه سوقة ولا فقيرا، وانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى. كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم.

على ان حبل الكذب — كما تقول العامة — قصير ، ولا سيما اذا كان في شيء كالحج موعده قريب ، فسفر الحج في هذا العام كان أقل من خمسة أسابيع ، فما أسرع ما ظهر كذب تلك الاقاويل

لم يبق أحد في مصر الا وقد علم ان حجاج بلاده قد دخلوا المسجد الحرام بمشيئة الله تعالى آمنين ، وأدوا مناسكهم وقضوا تفثهم محلقين رؤوسهم ومقصرين ، وعادوا الى أوطانهم سالمين مغبوطين ، وان الشريف لم يدع أحدا من الحجاج الى مبايعته ، ولا يزال الخطباء يدعون للسلطان العثماني في بلاده ؛ وان صاحب المنار لم يكن بينه وبين وفد العلماء السلطاني خلاف في امر المبايعة المخترعة بمصر ولا في غيره، وانه عاد مع والدته الى أهله وولده وموطن عمله كسائر الحاج ، اذ لم يذهب مدعوا الى منصب قاضي القضاة ولا مشيخة الاسلام ، وها هو ذا يقص خبر رحلته ، على جميع من يطلع على مجلته ، بما يمهد قراؤها من صدقه وصراحته ، اذ كان — ولا يزال — يشرح ما طرأ من الفساد على الرؤساء والحكام ، وما سرى من الضلال والخرافات الى العوام ، غير مبال بسخط الخاصة، ولا مهتم باستمالة العامة ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) :

(لها بقية)

باب الشعر والادب

قال محمد توفيق علي [1] من قصيدة له في مديحه عليه الصلاة والسلام

هل مر يوم لم يلح فيه أفقه ... شمس تضيء لنا من القرآن

هل هزت الاجيال دين محمد ... فرأته غير مثبت الاركان

هل ينكر الثقلان أن نبينا ... كنز العلوم وكعبة العرفان

ومثبت التوحيد في أركانها ... بالمعجزات وساطع البرهان

ولربما جعل الحسام نصيره ... في ردع أهل الظلم والطغيان

وأعادها نورا وكانت ظلمة ... دهماء سابغة على الاكوان

لو أننا متمسكون بدينه ... لم يرض منا مؤمن بهوان

ولما هزمنا لو تجمعت العدا ... لقتالنا واستظهروا بالجان

لكننا فشت المعاصي بيننا ... وتحكمت فينا يد الشيطان

توبوا الى الله الكريم وأصلحوا ... أعمالكم خافوا من النيران

وقال في أصحاب السوء

ليَ أصحاب اذا عاشرتهم ... لا تقل ان عثروا يوما لَعا [2]

يأكلون السحت فيما بينهم ... ليس من جُوع ولكن جشعا

يمزجون الخمر بالماء فهل ... مزجوا أن شربوها أدمعا

قعدوا عن كل فخر وعلاً ... وسعى للعار منهم من سعى

وهم والله في أعناقهم ... لا يحبون التقيَّ الورعا

(١) هو ضابط (يوز باشي) في الجيش المصري وكان رفيقا لنا في سفر الحج وسيأتي ذكره في الرحلة (٢) يقال للعاثر « لعاً لك » دعاء له — أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك . واذا دعي عليه يقال له : لا لعا لك

كم نهيناهم عن الخمر فلم … يجدوا من دونها منتجعا

كم زجرناهم عن الفحش فلم … يجدوا في غيره متسعا

انهم قد ظلموا أنفسهم … فاصفح اللهم عمن رجعا

﴿ وقال في ذم الخمر وضررها ﴾

خذوا كأسها عني فما أنا شارب … ولا أنا عن ديني ودنياي راغب

لقد حرم الله المدام وانني … الى الله مما تستحلون تائب

لئن بتُّ جبارا على الارض قاهرا … فلست لجبار السماء أحارب

أأشرب سما ناقعا في زجاجة … تحوم حوالي شاربيه المصائب

لئن شبهوا كاساتها بكواكب … فكم أنذرتنا بالنحوس الكواكب

وان عصروها من خدود كواعب … فكم من بلايا جرهن الكواعب

﴿ وقال في تفضيل الماء على الخمر ﴾

اذا طاف بالكأس الدهاق عليكم … فما أنا منكم يبرأ الله منكم

لي الماء وحدي لا أبالي بجمعكم … رضيتمْ غضبتمْ خنتمُ أو وفيتمُ

فصفّق أباريق المدام وهاتها … زلالا فنفسي أوشكت تتضرم

فتلك مدامي لا بنات دنانهم … وذاك زجاجي لا الزجاج المفدَّم[1]

اذا رقرقت في الكاس ألفيت فضة … تدفقُ أو ذوبا من الدر يسجم

يقطرها الدنّ الحلال[2] كأنما … تتابعها عقد من الدر ينظم

---

(١) الاناء المفدم ما وضع على رأسه الفدام وهو بفتح الفاء وكسرها ليف يصفى به ما يصب منه في الاكواب. يقال فدمه بالتخفيف والتشديد وأفدمه

(٢) الدن بالفتح وعاء كبير للشراب ووصفه بالحلال باعتبار ما فيه . وتقطير الماء إسالته قطرة بعد قطرة ولعله أراد بالدن المفدم ماتوضع عليه المصفاة (الفلتر) واسناد التقطير اليه مجاز

يرن رنين العود في كل قطرة … كأن قيانا تحته تترنم
وشتان بين الماء والخمر في فم … ولكن ذا حلٌّ وهذا محرم
فمن شاء أن يلقى جهنم قبل أن … يموت ففي حان المدام جهنم
تجاذب روح الشاربين بنشوة … تكاد لها أحشاؤهم تتضرم
ومن خاف ناب الافعوان ينوشه[1] … ففي كأسها ناب خفيٌّ مسمَّم
يمزق أستار النفوس لعابه … ويلطم ناب الشاربين فيهتم[2]
منابع أدواء موارد ريبة … تطول بها البلوى ويقذى بها الفم
وطاب لأصحابي من الخمر نتنها … وأوهمهم شيطانها فتوهموا
يقولون شرب الخمريات فريضة … علينا فلسنا ان تركناه نهضم
فهلا ترى أنا نموت بتركها … فقلت لهم موتوا فلا خير فيكم
ألم يكفكم وِردا كؤوسٌ مزاجها … من الذل والحرمان صابٌ وعلقم
وتضييعكم عز البلاد وهدمكم … بناء حقيقا انه لا يهدَّم
أقامته أطراف العوالي وصانه … قرونا على الدنيا الحديد المثلم
اذا مالت الدنيا به قام ركنه … يناطح رُوق النجم والدهر مرغم
ألا أبلغوا اهرام مصر توجعي … وان تك لا ترثي ولا تترحم
وقولوا لرمسيس بن سيتي أفق لنا … أتتركنا في ذا الشقاء وتنعم[3]

باب المراسلة والمناظرة

﴿ جمعية آداب اللغة العربية بلندن ﴾

سيدي الاستاذ محرر « المنار »

لا أرى بدًّا — اذا سمحت مكارمكم — من نشر كتابي هذا في « المنار »،

(١) الافعوان بالضم ذكر الافاعي و ينوشه يتناوله و يأكل منه. استعمله بمعنى ينهشه (٢) يعني أن لعاب الكأس وهو الخمر يفسد الاسنان و يتلفها فعبر عن ذلك بلطم الناب وهتمه أي كسره (٣) لا ندري من أين علم الناظم أن رمسيس سعيد ناعم

ولي من ظاهر عنايتكم بهذا المشروع شفيع بذلك ، ومن تكرار تحريري في المجلات الاخرى عذر في الركون اليكم، فان من الضروريات في جميع الاعمال العامة الكبيرة كسب تعضيد مجموع الصحافة لا بصفة وقتية بل بصورة دائمة . فلا بدّ اذن لقلمي العاثر من تكرار الاعلان عن هذا المشروع ، ومن أمثال فضيلتكم نرجى المؤازرة الادبية الوجيهة فيما يذهب بضرر ويجلب فائدة للشعوب المستضعفة التي تذودون عن كرامتها وتناضلون عن حقوقها .

أغراض المشروع واضحة جلية وقد سبق لكم نشرها في « دعوة اللجنة التحضيرية » وكلها تدور حول نقطة جوهرية وهي خدمة اللغة العربية بجميع الوسائل الميسورة ، وتحت هذا تنطوي عدة مسائل أدبية اجتماعية وقومية حيوية لا يخطيء في تقريرها المفكر البصير .

يتساءل بعض النقاد: لماذا أشركنا معنا — نحن العُرب — المستشرقين في عمل كهذا جدير بنا أن نستقلّ به؟ وهو سؤال غريب اذ ماسمعت أن العلم مقيد بقيود الجنسية، ومامن مطلع الا ويقرّ مؤلف «تاريخ آداب اللغة العربية» على قوله في مميزات النهضة الادبية الاخيرة منذ سنة ١٧٩٨ م الى الآن : « من العوامل الرئيسية في احياء آداب اللغة العربية في هذه النهضة اشتراك الافرنج في درسها ونشر كتبها والتنقيب عن تلك الكتب في مظانها . وليس اهتمام الافرنج بالآداب العربية حديثا فانه يرجع الى الاجيال الوسطى قبل نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث » فقوم هذا شأنهم وتلك آثارهم يجب أن ننزلهم منزلة الاكرام ، ان لم يكن لحرمة العلم والادب عامة فلحرمة لغتنا التي هي ديوان أخلاقنا وحضارتنا وآدبنا . فمن الاعتساف ونكران الجميل أن ينعى علينا هذا التصرف وأن نعابَ به . ومن الفكاهة المرّة أن يشترط علي طالبُ علم افادته عن سيرة رئيس « اللجنة التحضيرية » وسيرة كل عضو من أعضائها قبل أن يتبرع بمليم واحد لهذا العمل « وان راق لديه كثيرا » . . . . ! ! ألهذا الحد بلغ بنا التحفظ والتهيب وسوء ظن بعضنا بالبعض الآخر ؟ يكفي في الرد على مثل هذا السؤال أن يقال: ليس بين أعضاء اللجنة التحضيرية إلا مَن يغار على نهضة اللغة ، وكلنا طلبة علم نريد ترقية معلوماتنا وتمرين أنفسنا

على الترجمة ثم التأليف ، وتعويد أقلامنا على لغة مهذبة نقية مع تعيين الكلمات الاصطلاحية العلمية والفنية متحدين لغة الكتابة السليمة التي هي في كل أمة غير لغة العامة. وبعبارة أوضح إننا من أوساط المتعلمين لا ميزة لنا غير اجتهادنا واقدامنا على أداء واجب تناساه من هم أقدر منا ، فلسنا بالفلاسفة ولا بالفحول، كما لا أعرف أننا وضعنا في درجة العوام والغوغاء . ولسنا ممن يصطادون الاموال لنفع جيوبهم ، ولا ممن صدرت عليهم أحكام المحاكم الجنائية ولاغيرها ، فعلامَ يتخوف مَن يروقه العمل من التبرّع، وكل قرش وكل جنيه يرسل باسم اللجنة يودع فورا في « المصرف الاهلي المصري » بلندن ؟ . . . . . .

وأما الاستاذ مرجليوث فلعل شهادة سواي فيه أولى بالاعتبار . قال مؤسس «الهلال» وقد أوجز كثيرا كعادته : «ليس بين قراء العربية من لا يعرف الاستاذ مرجليوث لما نذكره من آثار قلمه في خدمة اللغة العربية بالتأليف أو النشر . وقد تلقى علومه في جامعة اوكسفورد وتولى تعليم اللغة العربية فيها من سنة ١٨٨٩ م ، وهو يمتاز على الخصوص بسعة معرفته في اللغة العربية وآدابها. يكاتب أصدقاءه من العرب بأسلوب عربي خالص من شوائب العجمة. وله فضل نشر كتب عربية هامة آخرها كتاب معجم الادباء لياقوت الحموي . وقد نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمتها الانكليزية وهو عمل لا يستطيعه الا القابض على ناصية اللغة العربية لان هذه الرسائل لا يفهمها العربي الا بمراجعة المعاجم ،ونشر آثارا عربية تاريخية وشعرية، وقطعة بابيروس عربي كانت في مكتبة اوكسفورد . وألف في مشاهد اورشليم ودمشق كتابا حافلا بالرسوم والشروح ، وله كتاب في سيرة النبي بالانكليزية . وترجم الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي الى الانكليزي وله مقالات عديدة في المجلة الاسيوية الانكليزية وغيرها » . اه

وكتب الي أحد الفضلاء يسألني عن مزية العمل من الوجهة السياسية «حيث أن مركزنا السياسي الحاضر هو في نظره أهم المسائل» . . . . مع أننا أبنا مرارا أنه ليس لهذا المشروع أي صبغة سياسية ، وما تطرقت السياسة الى عمل كهذا الا أفسدته. وان يبدل حالتنا السياسية جمعية ولا جمعيتان، فان العليل لا يبرأ بالاعلان زورا عن عافيته، بل

باستئصال دائه وعلته . ولكن اذا كنا ومعظم الافريقيين والشرقيين والعرب عامة معدودين في نظر الاوربيين بمرتبة البهائم ، ألا يعد من الحكمة اذن تخفيف هذه الوطأة باظهار فضائلنا في أدوار نهضتنا العلمية والادبية وتصحيح الغلط الفاحش الشائع عنا ، فكل هذا يمكن تحقيقه بهذا العمل الجامع أيضا لمزاياه الادبية البحتة .

لو كانت لنا في هذه الديار منزلة من الاحترام لما راجت على حسابنا رواية « قسمة » التي هي كانت ظلما وفضيحة اجتماعية وتاريخية كبرى لنا. ولئن انتقد بشدة تمثيلها مثل القائد الانجليزي السير سمث دروين رحمة بالآداب العامة ، فلعله ولعل كثيرين سواه من علية القوم يعتقدون صحة ما تمثله تلك القصة الخيالية من الكبائر آسفين على حالنا الشائنة ..... فيا للمصائب ! ! واذا كانت كل من روسيا واليابان رغما عن تحالفهما مع انجلترا يقدران أن أصدق التحالف ما كان بين الشعوب بعضها مع البعض لا ما بين الحكومات فقط ، فأصبحت جريدة « التيمس » تصدر من حين الى آخر بفضل المساعدة المالية التي تهبها كل من تينك الحكومتين ملحقات ضافية شارحة الحياة الروسية واليابانية بكل أسلوب ووسيلة جذابة للرأي العام الانجليزي ، أينعى علينا نحن المرموقين بالازدراء والسخرية الذين لا تربطنا محالفة ولا جامعة حرة راقية بأوروبا — أينعى علينا أقدامنا على عمل كهذا يشمل ما بين أغراضه ازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق أو بالاحرى بين الفرنجة والعرب ؟

يقول كوارلدج : « اللغة عدة العقل الانساني الجامعة لغنائم فتوحاته السابقة وأسلحة انتصاراته المستقبلة » و يقول وليم سمث : « اللغة هي ذكرى النوع الانساني هي عصب حياة ممتد بين جميع العصور يربطها بالوجود المشترك الطويل المترقي » : ويقول هير : « اللغة مقياس الفكر والخلق القومي » ويقول السير ه داڤي : « ليست اللغة نافلة الفكر فقط بل هي أيضا عدة عظيمة صالحة في التفكير » . وفي كل هذه الحكم الغالية الصائبة أحسن جواب لمن تبلغ بهم المغالاة في الانتقاد الى « الطعن » من غيرة الشبان على لغتهم ، قائلين ان اللغة وسيلة لا غاية « وحرام » أن نعنى بها هذه العناية .! لا أنكر أني اعتبر اللغة وسيلة لا غاية وان صلحت أيضا لان تكون غاية مطلقة كفن جميل. وما انا من يدعو الى الكلام المتوعر المعقد الذي

يكلف الذهن المشقة في فهمه ويختم العقلُ به ؛ ولكن من الواجب علينا أن نصون لغتنا عن الابتذال الذي تدلىّ اليه معظم المعرّبين ، ومن المفروض علينا أن نتمشى مع الزمن في ترقية الوسيلة التي نتلقي بها العلم والاّ أصبح العلم دائماً غريباً عنا ، ومن الحكمة أن نُظهر لغتنا في مظهر عزيز لائق بها « لانها مقياس الفكر والخلق القومي » على حد قول هير . وفي اغراء الشبان العرب في أوروبا بالعناية بعمل أدبي علمي اجتماعي كهذا ما يصرفهم عن مضيعات الوقت والصحة والمال ، وما يساعدهم في دراستهم وفي تهيئة أنفسهم لخدمة أممهم في الحاضر والمستقبل .

لا يكابر أحد في أن الامة اذا ترقت نهضت معها لغتها ونالت احترام الاجنبي لها ، ولكن اللغة كذلك من أقوى دعائم الرقي ، ونهوضها من نتائجه كما أنه من وسائل النهوض العام للامة ، فنهوض الامة ونهوض اللغة على ذلك حالتان لا تفترقان ، وأمران متساندان ونهضتان مرتبطتان .

نادي مستشفى سانت جورج　　أحمد زكي أبو شادي
بلندن　　(طبيب)

[المنار] ان هذا المشروع جليل ونفعه للعرب ظاهر لا يماري فيه الا أصحاب الوساوس السياسية ولا يصعب إقناع المستقل منهم بالرأي والفهم بفائدته وانما يستحيل اقناع أصحاب الاهواء بما يخالف أهواءهم

باب الاخبار والآراء

السيد محمد وجيه الكيلاني (راجع ص ١٢٤ من الجزء الثاني)

جاء في جريدة الهدى العربية التي تصدر في نيويورك ما نصه :

شيخ الاسلام بالفيلبين ووفاته

عند منتصف ليل خامس مايو قضى الى رحمة مولاه في ريتشمند من أعمال ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة السيد محمد وجيه الجيلاني شيخ الاسلام بجزر الفيليبين وقد كان قدم هذه البلاد منذ سنة ونيف وقام أكثر هذه المدة في فيلادلفيا وتردد احيانا على واشنطون وعلى نيويورك إلا ان صحته لم تكن حسنة فأقعدته عن

التجول كثيرا وهذا ما أخر في إتمام مساعيه

كان السيد الجيلاني عالما فقيها وعلى كثير من التساهل الديني ولد في دمشق وانتقل الى الآستانة حيث اسندت اليه مراتب دينية عالية . ولما ان بعثت حكومة الولايات المتحدة بعد احتلالها الفيليبين وفدا الى الاستانة للاتفاق مع سلطان تركيا على تعيين شيخ إسلام يتولى رعاية المسلمين عين السيد الجيلاني لهذه الوظيفة فذهب الى الفيليبين عن طريق سوريا وبلاد العرب وبلاد العجم والهند وكان هناك يقابل امراء وعلماء المسلمين ويستنهض هممهم في مشروع تهذيبي افتكر به لترقية شؤون مسلمي الفيليبين الادبية . والتقى في مكة بجماعة من هؤلاء المسلمين قادمين للحج فعاد واياهم وكانوا يؤدون له اكراما أشبه بالعبادة فيسجدون امامه شأن البرابرة فنهاهم عن ذلك ، وحين وصل الى بلادهم اخذ ينتقل من جزيرة الى أخرى في الارخبيل ويدعو قوم المورو المسلمين الى عقد الاجتماعات فيخطب فيهم حاثاً على الاقلاع عما يفهمون من الجهاد الديني وهو ان يحلق الواحد منهم شعر رأسه ويحمل سلاحه ويخرج بقصد الايقاع بالبيض الكفرة ولا يعود حتى يقتل عددا مفروضا أو يقتل هو

وكان السيد الجيلاني مدة اقامته في تلك الجزر على تفاهم تام مع رجال الحكومة الاميركية الذين كانوا يرجعون اليه في كل مشاكلهم مع الوطنيين المسلمين . وساء السيد الجيلاني ما وجد ابناء دينه عليه من الهمجية فأخذ يفتكر في طريقة لتهذيبهم الا انه لم يوافق رجال الحكومة الامريكية هناك على انشاء مدارس عمومية للحكومة فقال أن المسلمين لا يطمئنون الا اذا كان لهم مكتب ملاصق للجامع يدرسون فيه كتابهم الشريف بادئ ذي بدء . ولاجل تحقيق هذه الفكرة قدم الى الولايات المتحدة وأخذ ينشر المقالات عن أحوال الفيليبين في بعض الصحف الامريكية وفي الوقت نفسه سعى الى تأليف جمعية تهذيبية تتولى أمر انشاء المدارس الاسلامية في الفيليبين يكون مركزها الرئيسي في الولايات المتحدة وذات فرع اداري في الفيليبين يتولى هو رئاسته نظرا الى انقياد المسلمين هناك اليه وتحققهم حسن مقاصده فلا تداخلهم ريبة من مساعي الاميريكيين أو عمد هؤلاء الى القيام بالمشروع مستقلين

وقد كان السيد الجيلاني يتردد الى ادارة الهدى حين يزور نيويورك فعرفنا عنه

ما سبق بيانه من مقاصده ومساعيه ولـكن وطأة المرض اشتدت عليه في الاشهر الاخيرة فلم نجتمع به أو نعرف شيئا عن مشروعه. وكان من أمره أخيرا انه اضطر لاسباب صحية الى مغادرة هذه البلاد وبينما هو في الطريق اشتدت عليه علته في ريتشمند فرجينيا . وهناك توفي . تغمده الله بواسع رحمته اه

﴿ إشراف أهل سورية على الفناء والزوال ﴾

لقيت في مكة المكرمة الضابط الحرّ الصدوق خالد أفندي الحكيم الحمصي وكان وصل اليها قبلي بأيام قلائل فارا بدمه من بلاده بطريق البادية، فسألته عما وصل الينا من مصادر متعددة من أخبار المجاعة والغلاء ومصادرة السلطة العسكرية للاموال والغلال في طول البلاد السورية الفلسطينية وعرضها، وتنكيلها بالاهالي تقتيلا وتصليبا ونفيا من الديار — هل هو حق كما سمعنا أم هو مبالغ فيـه ؟ وذكرت له ملخص ما وصل الينا من ذلك . فقال ان ما بلغكم دون الواقع وليس الخبر كالمعاينة ، وانني أقدّر انه لم يبق في البلاد من أهلها الا العشر. اه فاذا طال الامد على هذه الحال ، فسورية صائرة الى الفناء والزوال ، ولا يبعد ان ينقرض أهلها الذين فيها من الارض ، قبل انقضاء هذه الحرب . فلا شك في ان مصابها بحكومتها الطاغية الباغية أعظم من مصاب بلاد البلجيك والصرب والجبل الاسود باجتياح الجرمان لها، وثلها عروش ملوكها. فيجب على السوريين المقيمين في مصر وأوربة وأمريكة أن يسارعوا الى البحث عن أقرب الوسائل الى إنقاذ البقية الباقية من أهل وطنهم لعلهم يهتدون اليها ويدخلونها من بابها بعد ان علموا ان دولة الانسانية (الولايات المتحدة) لم تقدر — وكذا غيرها من الدول التي على الحياد — على ما أحبت من إغاثة هذا الشعب المسكين بالقوت والعلاج، ولا دول الحلفاء المحاربون لدولة الاتحاديين قدروا على إنقاذه بالحرب والكفاح ، فان كان في هؤلاء السوريين من ينتظر هذا الانقاذ بعد النصر النهائي المأمول، فليعلموا أن أمد الحرب سوف يطول، وأن لسان حال وطنهم ينشد صاحب هذا الامل ويقول :

فلك البقا فلرب يوم ان تسل　　حتى تراجعني فلا تلقاني

متى تنتهي الحرب وكيف تنتهي

قد أكثر الناس من حديث الصلح في هذه الايام وتناقلت الجرائد لنا عن [illegible]

من قواد دول الاحلاف وساستهم أنهم يرون ان الحرب تنتهي بانتهاء ربيع العام القابل (١٩١٧) أو صيفه بناء على ان مدّ القوة الالمانية قد تحول الى جزر، وجزر دول الاحلاف قد تحول الى مد تتدفق ثوائبه ، ولا تنتهي عجائبه ،

كنت التقيت في شهر شوال الماضي بوكيل شركة روتر البرقية في القاهرة فسألني — وقد ذكرت هذه المسألة — عن رأيي فيها فقلت له اذا أصرّت انكلترة على ما عزمت عليه من قهر ألمانية وإرغامها على قبول ما تشترطه مع أحلافها للصلح، وحافظ هؤلاء الاحلاف على عهدهم بأن لا ينفرد أحد منهم بقبول الصلح، فالرأي الراجح ان هذه الحرب تستمر عدة سنين، تنهد فيها قوى جميع المتقاتلين، وتخسر أوربة الملايين الكثيرة من أفلاذ كبدها، وألوف الملايين من دنانيرها، وعشرات المدن ومئات البلاد من ممالكها . فان أصغر الامم الاوربية وأضعفها تختار الفناء على قبول الذل والقهر والاستخذاء ،

وأرى ان الاحلاف لا يمكنهم ان ينتزعوا من ألمانية ما بيدها من مملكة بلجيكة وولايات فرنسة الا ان تكون خرابًا يبابا لا حجر فيها ولا مدر ، ولا شجر ولا بشر، وبعد ان ينفق على تخريبها الملايين من الرجال، والقناطير المقنطرة من الاموال، واذا كنا نرى المحاربين يخرّبون بلادهم بأيديهم اذا اضطروا الى تركها لاعدائهم ولو موقتا كما فعلت روسية وغيرها ، فهل ينكر على الالمان العتاة ألا يتركوا بلاد أعدائهم الاقاعا صفصفا؟

أما تقصير أجل الحرب فليس له طريق معقول عندي — اذا أصرت الحكومات على عزمها — الا قيام الشعوب الاوربية من الفريقين على دولها . وإلزامها إياهن بصلح يعود فيه كل شيء الى أصله ولا يتضمن إذلال دولة لاخرى، لان كل دولة وكل أمة أوربية تفضل الفناء على الذل وخدش الاستقلال التام لا الالمان وحدهم ،

هذا معنى ما قلته يومئذ ولكن قيام الشعوب على حكوماتها لا يرجى ما دام كل منهم يرجو النصر التام . فصدق على الفريقين قوله تعالى (واذ يُريكموهم إذِ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعو لا)

﴿ تاخر صدور هذا الجزء من المنار ﴾

يصدر هذا الجزء بعد يوم تاريخه بشهر وأيام بسبب غيبتنا في سفر الحج مثل هذه المدة ثم اشتغالنا بلقاء المهنئين أسبوعين أو أكثر وعطل حصل بآلة الطبع



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٥ — ٤ القوس (خ ٣) ١٢٩٥ ش ٢٦ نوفمبر ١٩١٦

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

٨ — الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد

وتحقيق معنى الظن واليقين والتواتر (*

قال المتكلمون ان العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد لان المطلوب فيها القطع ، وأخبار الآحاد لا تفيد الا الظن . وقد قال تعالى (ان الظن لا يغني من الحق شيئا) وانما تثبت بالاحاديث المتواترة لانها هي التي تفيد اليقين الذي هو شرط الايمان

وقد فهم كثير من الناس من هذا القول ما لم يرده المحققون من قائليه فأخطأوا في فهم المراد وفي فهم كلمتي الظن واليقين فظنوا ان الاحاديث الصحيحة التي رواها الآحاد من الثقات العدول في صفات الباري عز وجل وفي أمور الآخرة لا يجب الايمان بها شرعا ولا يضر المسلم تكذيبها ، وان لم يكن عنده شك في صحتها ، بناء على ان أحاديث الآحاد لا تفيد في نفسها الا الظن الذي لا يجوز الاخذ به في

*) هذه تتمة الاجوبة عن الاسئلة المستنبطة من الكتاب الذي نشر في الجزء الذي قبل هذا

العقائد لانه لا يغني من الحق شيئا . وهذا الظن الذي فهموه من عبارة المتكلمين هو الذي لا يغني من الحق شيئا ، وما أظن ان مسلما يعتد بعلمه يقول به ؛ ولعل أول من قال تلك الكلمة أراد بها ان أحاديث الآحاد لا تقوم بها الحجة في العقائد على المنكر لورودها، وانما تقوم بالمتواتر لانه لا سبيل الى انكاره

الظن ضرب من ضروب التصديق بغير الحسي ولا الضروري من المدركات، فهو مما تتفاوت أفراده بالقوة والضعف ، فمنه ما يكون يقينا لا تردد فيه ، ومنه ما يكون راجحا مع ملاحظة مقابل مرجوح تارة ومع عدمها تارة ، وقيل إنه يشمل المرجوح أيضا ، فالتصديق المبني على الادلة النظرية الذي يجزم به المستدل مع عدم ملاحظة احتمال النقيض يسمى ظنا، ولكن ادراك الحواس لا يسمى ظنا ، ولا العلم الضروري كقولنا : النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . وهذا الحد الذي شرحنا به معنى الظن هو تفسير لقول الازهري ، في التهذيب : الظن يقين وشك . وقول ابن سيده في المحكم : هو شك ويقين الا انه ليس بيقين عيان انما هو يقين تدبر : فأما يقين العيان فلا يقال فيه الا علم . هذا قول أئمة اللغة . وأما قول الفيروزبادي في القاموس — : الظن التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم — فهو مأخوذ من اصطلاح علماء المعقول كالمناطقة والفلاسفة، ومثله قول المناوي: الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ولكن الفيروزبادي لم يسعه الا ان يزيد على تعريفه قوله : وقد يوضع موضع العلم : بمعنى أنه يستعمل في اللغة بمعنى اليقين. فان أراد انه يوضع موضع العلم حتى في الحسيات والضروريات فقوله غير صحيح . واليقين العلم وازاحة الشك وتحقيق الامر ، وهو نقيض الشك، والعلم نقيض الجهل. قاله في لسان العرب. ثم قال — : وربما عبروا بالظن عن اليقين وباليقين عن الظن .

وقال الراغب : الظن اسم لما يحصل عن أمارة ومتى قويت أدت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم يتجاوز حد الوهم . ثم ذكر أن من اليقين قوله تعالى (وظن أنه الفراق) وقوله تعالى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) وقوله (وظن أهلها انهم قادرون عليها) وقوله (وظن داود أنما فتناه) وانما يظهر هذا في اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الجازم المبني على الامارات والاستنباط والاستصحاب دون الحس

والضرورة — لا اليقين المنطقي المبني على الضرورة أو الحس أو ما يؤدي اليهما بحيث لا يحتمل النقيض . وقد فسر الراغب اليقين بقوله : هو سكون الفهم مع ثبات الحكم، وقال انه من صفة العلم فوق المعرفة والدراية .

فعلم من قولهم أن اليقين في الاصل هو الاعتقاد الثابت الذي لاشك فيه ولا اضطراب . وأما قولهم بالتعبير به عن الظن والعكس فليس معناه ان كل يقين ظن يقين وانما معناه أن الظن على مراتب منها ما يرادف اليقين ومنها ما هو دونه ، فبينهما العموم والخصوص باطلاق . والمشهور في تعريف اليقين عند علماء الدين ان الاعتقاد الجازم المطابق. واشتراط المطابقة للواقع اصطلاحي خاص باليقين في الايمان الصحيح ، ولعل المطابقة تشترط في العلم فيسمى الجازم بغير الواقع موقنا به لا عالما .

اذا فقهت هذا فاعلم ان كل اعتقاد يستفاد من السماع يطلق عليه في اللغة اسم الظن باعتبار مأخذ لذاته ، واسم اليقين ان جزم صاحبه به ، وكذا اسم العلم ان مدلوله حقا ، ولكن نفس السماع أي ادراك الاصوات المحقق لا يسمى ظنا بل علما . وخبر التواتر انما يفيد العلم القطعي بضرب من الاستدلال النظري ، وان اعتمدوا انه يفيد الضروري فان من شروطه أن يخبر كل واحد من المخبرين الكثيرين عن حسي ، أي عما سمعه بأذنه أو رآه بعينه مثلا ، وان يقوم الدليل أو القرائن على أنهم لم يتواطؤا على الكذب ، وأن يتحقق ذلك في كل طبقة من الطبقات. وقد اختلف العلماء في العدد الذي يحصل بخبره التواتر مع توفر الشروط التي ذكروها . فاكتفى بعضهم بالآحاد كسبعة وعشرة واشترط بعضهم العشرات. ولكنهم اتفقوا على أن آيته حصول العلم الجازم بمدلول الخبر. ومثل هذا العلم كثيرا ما يحصل بخبر الواحد وان لم يكن متصفا بالصفات التي اشترطها المحدثون في راوي الحديث الصحيح كالعدالة والضبط وعدم مخالفة الثقات المشهورين فضلا عن مخالفة الامور القطعية التي عدوا مخالفتها علامة الكذب ووضع الحديث .

مثال هذا النوع من خبر الواحد الذي يحصل به الاعتقاد الجازم وان لم يكن المخبر به متصفا بعدالة رواة الحديث أكثر ما نسمعه كل يوم ممن نعاشر ونخالط من أصدقائنا ومعاملينا وأهل بيوتنا وخدمنا من الاخبار عن أمور معيشتنا كقولهم :

حضر الطعام، وهيء الحمام، وجاء للزيارة فلان. ومن هذا القبيل كل خبر لا مجال للتهمة فيه. وأما اخبارهم فيما يتهمون فيه فهي التي يُرتاب فيها، ويحتاج الى القرائن والادلة في تمييز راجحها من مرجوحها، مثال ذلك مدح النفس والدفاع عنها والطعن في الخصوم، ورواية الغرائب والعجائب، فالاخبار في أمثال هذه المسائل يكثر فيها الكذب والخلط، إما بالعمد أو بعدم الضبط، أو بسوء الفهم والاستنباط، أو بضعف البيان، أو بتقليد الآباء أو الاموات، وما يتبع ذلك من الوهم، ومن خطأ الحس والرأي.

فمن وعى ما ذكرنا وتدبره يعلم منه ما يعلم من نفسه، اذ هو فكر في مصادر علمه، والاخبار التي يحدث بها والتي يتلقاها عن غيره، وهو أن الاصل في أخبار جميع الناس الصدق، وان الكذب انما يقع لاسباب عارضة، وأنه هو وسائر الناس يصدقون في كل يوم كثيراً من أخبار الآحاد حتى غير العدول تصديقا جازما لا يزاحمه شك ولا احتمال، ولا يخطر لهم فيها النقيض على بال، ومنها ما يجزمون باستحالة وقوع نقيضه عادة وان جاز عقلا، كبعض أخبار العدول الثقات الضابطين الخالية من الشبهات، ورجال الحكومة المسؤلين في الرسميات.

بل أقول ان من هذه الاخبار ما يجزم العقل بصدقه وامتناع نقيضه، وأعني بالعقل هنا العقل البشري الذي يبني حكمه على الاختبار، ويزنه بميزان رعاية المصالح ودفع المضار، لا عقل واضعي المنطق والفلسفة، الذي يجيز وقوع كل ما يمكن تصوره، ويحصر وقوع المحال في اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما وما يؤدي الى مثل ذلك حتما.

وقد تحير هؤلاء في تعريف العلم حتى قال بعضهم انه لا يمكن تعريفه، ومن أشهر أقوال مدققي متكلمينا في ملكة العلم إنها صفة توجب انكشافا لا يحتمل النقيض. فالعلم بالشيء عندهم لا يمكن نقضه ولا الرجوع عنه، فلو كان هذا العلم شرطا في كل مسألة من مسائل العقائد لكان الكفر بعد الايمان محالا، ولكن قد ثبت وقوع الكفر بعد الايمان بنص القرآن، فالعلم الذي لا يحتمل النقيض ليس شرطا لصحة الايمان، وانما الشرط أن يكون المؤمن جازما بما يعتقد، غير مرتاب ولا متردد، وقول الاستاذ الامام: الرجوع عن الحق بعد اليقين فيه كاليقين في الحق كلاهما قليل في الناس. — اراد به اليقين المنطقي، وأراد بالرجوع عنه اظهار الجحود والمخالفة كبراً وعنادا لا اعتقادا فان اعتقاد

نقيض المتيقن ليس في استطاعة الموقن،الا اذا اختلط عقله،واختل فهمه،وهذا قليل الوقوع كالرجوع عن الحق كبرا وعنادا بعد الاذعان له، اذا كثر المعاندين للحق المستكبرين عنه الذين قال الله في بعضهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) لم يكن ذلك الجحود منهم بعد اذعان، أو لم يكن استيقانهم على شرط علم الكلام وفلسفة اليونان

واذا فكر السائل في العلوم النقلية وطريقة أدائها وتعليمها عند البشر من جميع الامم رأى ان أكثر أخبارها المقطوع بها يتلقاها الآحاد بعضهم عن بعض ، فاذا اشترطنا فيها ذلك العلم الكلامي واليقين المنطقي، وأن لا نعد شيئا منها حقا ثابتا الا اذا تلقيناه بالتواتر اللفظي، فكيف تكون حالنا في معارفنا التاريخية، وما ينبني عليها من علومنا الاجتماعية وأعمالنا السياسية . وفي سائر العلوم التي ينقلها بعضنا عن بعض ؟

بعد هذا كله أقول انه لم يعرف عن أحد من شعوب البشر مثل ماعرف عن المسلمين من العناية بنقد الاخبار النبوية وتمحيصها، وضبط متونها وحفظ أسانيدها، بل كانوا ينقلون الاخبار التاريخية والادبية والشعر والمجون بالاسانيد المتصلة ، ووضعوا كتب التراجم لجميع أصناف العلماء والادباء كما وضعوها من قبل لرجال الحديث ، ليسهل طريق العلم بالصحيح وما دونه من ذلك ، ولكنهم دققوا في نقد رجال الحديث ما لم يدققوا في شيء آخر ، فاذا كان ما صح من الحديث عندهم متنا وسندا لا يجزم به فبماذا نثق من أخبار البشر، واذا كان المسلم منا يصدقها فكيف يمكنه ان يرد مضمونها اذا كان في عقائد الدين ، بناء على كلمة عرفية للمتكلمين ؟

الحديث الصحيح عند المحدثين ما ثبت بنقل عدل تام الضبط متصلَ السند غير معلل ولا شاذ. وينافي العدالة عندهم ثبوت الكذب وكذا الاتهام به والفسق والغفلة وكثرة الغلط والجهالة — أي كون الراوي مجهولا عند علماء الجرح والتعديل،ولولا هذا الشرط لاخترع الكذابون أسانيد كثيرة لا أصل لها وخدعوا الامة بها — وكذا البدعة فمن كان مبتدعا لشيء من أمر الدين لم يكن عليه أهل الصدر الاول لا يحكم بصحة حديثه قيل مطلقا وقيل فيما يؤيد بدعته وهو المعتمد ، بل لا بد لثبوت ذلك من روايته عن غيره .

والضبط عندهم ضبط الصدر وضبط الكتاب،فالاول الحفظ عن ظهر قلب بحيث يتمكن من استحضار ما حفظه متى شاء ، فان غلط أو أخطأ في الاداء لا يعد حديثه

صحيحا . والثاني حفظ الكتاب منذ سمع فيه وصححه على من تلقاه عنه الى ان يؤدي منه ، فاذا غاب عنه غيبة أمكن أن يعرض فيها التغيير والتحريف أو الزيادة أو النقصان لا تعد روايته له ولا منه صحيحة ،

واتصال الاسناد سلامته من سقوط فيه بحيث يكون كل فرد من رواته قد سمع ذلك المروي من شيخه ، ويقابله الانقطاع ، وهو أقسام ، فالحديث (المنقطع) وهو ماسقط من سنده بعض الرواة لايعد صحيحا، الا انهم اختلفوا فيما سقط منه من بعد التابعي ويسمونه (المرسل) وذلك كأن يقول التابعي: قال رسول الله (ص) كذا . فالجمهور يتوقفون فيه، وبعضهم يحتج بمراسيل من علم من حاله انه لا يروى الا عن الصحابة أوثقات التابعين كسعيد بن المسيب، دون من يروي عن غيرهم كالحسن البصري

ومن (الانقطاع) عندهم (التدليس) وهو رواية الراوي عمن فوق شيخه الذي سمع منه بلفظ يوهم السماع منه ايهاما لا تصريحا ، كان يقول المدلس قال فلان — أو : عن فلان ، وقد اختلفوا في حديث المدلّس فقيل لا يقبل مطلقا وقيل الا فيما صرح فيه بالسماع ، والجمهور على قبول حديث من لا يدلس الا عن ثقة كابن عيينة .

ولاجل هذا شددوا في قبول الحديث (المعنعن) أي الذي يقال فيه عن فلان عن فلان. فقالوا عنعنة المدلس غير مقبولة ، واشترط مسلم في العنعنة معاصرة الراوي لمن روى عنه، والبخاري اشترط العلم باللقيّ ولم يكتف بمجرد المعاصرة . فاذا قال العدل الثقة الضابط عن فلان أو قال: قال فلان كذا — لا يعتد البخاري بروايته هذه الا اذا كان قد علم انه قد لقي ذلك الرجل واجتمع به، ولكن مسلما يكتفي بالعلم بأنهما وجدا في عصر واحد ومن الممكن ان يكون لقيه وروى عنه .

ومن أقسام الحديث عندهم (المضطرب) وهو ما يقع في اسناده أو متنه اختلاف من الرواة بتقديم وتأخير أو زيادة ونقصان أو اختصار أو حذف أو ابدال راو براو أو متن بمتن أو تصحيف في أسماء الرواة أو ألقابهم أو أنسابهم أو في ألفاظ المتن . فان أمكن الجمع وعرف الاصل والا توقف في قبول الحديث والاحتجاج به

ومنها (الشاذ) وهو ماخالف راويه فيه من هو أوثق منه فان لم يكن المخالف للثقة ثقة سمي حديثه (المردود) وان كان ثقة رجح عليه مخالفه الذي هو أوثق منه

وسمي حديثه (المحفوظ) فهو مقابل الشاذ. ومنها (المنكر) وهو ما خالف راويه الضعيف فيه من هو أضعف منه ، ويقابله (المعروف) وكلاهما راويه ضعيف لا يحتج بحديثه ومنها (المعلل) وهو ما فيه علة خفية كوصل المنقطع ورفع الموقوف وادخال حديث في آخر أو ادراج كلام الرواي في المتن أو الادراج في سياق الاسناد .

ولو شئنا أن نبين تدقيق علماء الجرح والتعديل في نقد رواة الحديث لرأى فيها غير المطلعين عليها من القراء مالم يخطر لاحد من أمثالهم على بال - ولعلموا منه أن أكثر من يعدونهم من الثقات الصدوقين من أهل هذا العصر لو كانوا في أزمنة أولئك النقاد لما عدوا روايتهم صحيحة ولو لعدم اتقان الحفظ والضبط. ومن تدقيقهم أنهم يعدون بعض الرواة ثقات في الرواية عن أهل قطر دون آخر، كقولهم فلان غير ثقة في المصريين أو الشاميين - لانه كان عرض له عند الرواية عنهم اختلاط في العقل، أو هرم خانته به الذاكرة وفقد جودة الضبط .

وقد وضعوا كتبا ببيان الاحاديث الموضوعة خاصة بينوا فيها وفي غيرها أسباب وضع الحديث والكذب فيه وعلامته وأسماء الوضاعين والكتب والنسخ الموضوعة برمتها التي لا يصح منها شيء، كما وضعوا عدة كتب للاحاديث التي اشتهرت على الالسنة و بينوا درجاتها، وميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع منها. ولكن عناية العلماء بنقد المتون وعرض الاحاديث القوية الاسانيد على القواعد التي بينوا بها علامات الوضع كانت أقل من العناية بنقد الاسانيد، وقل أن يهتم المنتمون الى المذاهب بنقد متون الاحاديث الا اذا كانت مذاهبهم مخالفة لها فكان هذا من سيئات التعصب للمذاهب

نتيجة البحث وخلاصة الجواب

فمن فقه ما شرحناه علم أن أكثر الاحاديث الآحادية المتفق على صحتها الذاتية كأكثر الاحاديث المسندة في صحيحي البخاري ومسلم - جديرة بأن يجزم بها جزما لا تردد فيه ولا اضطراب، وتعد أخبارها مفيدة لليقين بالمعنى اللغوي الذي تقدم ، ولا شك في أن أهل العلم بهذا الشأن قلما يشكون في صحة حديث منها ، فكيف يمكن لمسلم يجزم بأن الرسول (ص) أخبر بكذا ولا يؤمن بصدقه فيه ؟ أليس هذا من قبيل الجمع بين الكفر والايمان؟ وليعلم انني أعني بالمتفق عليه هنا ما لم ينتقد أحد من أئمة العلم متنه ولا سنده، فيخرج من ذلك ما انتقده مثل الدارقطني وما انتقده أئمة الفقهاء وغيرهم،

ومن غير الاكثر ما تظهر فيه علة في متنه خفيت على المتقدمين أولم تنقل عنهم وذلك نادر. وقد عد بعضهم هذه الاحاديث المتفق على صحتها مفيدة للعلم اليقيني الاصطلاحي اذا تعددت طرقها ، قال الحافظ ابن حجر في شرح نخبة الفكر ما نصه:

(فائدة) ذكر ابن الصلاح ان مثال المتواتر على التفسير المتقدم يعز وجوده الا أن يدعي ذلك في حديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وما ادعاه من العزة ممنوع وكذا ما ادعاه غيره من العدم لان ذلك نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لإبعاد العادة أن يتواطوا على كذب أو يحصل منهم اتفاقا، ومن أحسن مايقرر به كون المتواتر موجودا وجود كثرة في الاحاديث ان الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا وغربا المقطوع عندهم بصحة نسبتها الى مصنفيها إذا اجتمعت على اخراج حديث وتعددت طرقه تعددا تحيل العادة تواطأهم (فيه) على الكذب الى آخر الشروط أفاد العلم اليقيني بصحته الى قائله ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير اه

﴿ الزار، وهل اعتقاد تأثير الولي والعفريت فيه شرك جلي ﴾

(س ٩) من أحد المشتركين في القاهرة — ع . م

حضرة الاستاذ العلامة المفضال السيد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته. و بعد فاني أهنئكم أولا بسلامة العودة من الاقطار الحجازية المباركة وأدعو لكم الله سبحانه وتعالى أن يجعله حجا مبرورا أن شاء الله

سيدي استشكل عليّ أمر بخصوص مايسمونه (الزار) الذي يستشفي به بعض (الجاهلات) من النساء من أمراضهن العصبية فأحببت أن أعرضه عليكم راجيا التكرم بالاجابة ولو تأشيرا على هذا بصفة خصوصية

« احدى السيدات مصابة بمرض عصبي : يأتيها غالبا على نوبات ربوٌ وآلام شديدة بالمعدة والكليتين مع صداع وسعال وضعف عمومي شديد ، وخصوصا في ابتداء كل مرة من الحمل ، عرتها هذه الحالة منذ خمسة عشر عاما بعد زواجها بقليل، ثم إنها على صلاح وتقوى ، وقد كانت لا تعتقد بمسألة الزار ولكنها تحت تأثير كلام النساء خصوصا أقاربها من والدة وأخوات اعتقدت أخيرا وتوهمت ان أحد الاولياء

أو أحد العفاريت هو الذي أصابها بهذا المرض الهيستيري من زمن وصممت على عمل حفلة الزار بمصاريف من عند أهلها في منزلهم لا في منزل زوجها الذي عارض في ذلك بشدة لعدم اعتقاده بمثل هذه الخرافات ، ولم يرض بخسارة ديشه في مصاريف باطلة على عقيدة باطلة »

والآن ألاترى سيادتكم أن اعتقاد هذه السيدة تأثير الولي الفلاني أو العفريت الفلاني يؤدي بها الى الشرك الجلي " وفي هذه الحالة تصبح محرمة على زوجها المسلم الصحيح (غير الجغرافي أو السياسي) الذي لا يعتقد بتأثير ولي أو نبي ؟ فتفضلوا بإفادتي عن ذلك ولو كلفكم الجواب شيئا من التفصيل ؟ وتفضلوا بقبول مزيد تشكراتي وجزيل ممنونيتي سلفا والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته م ؟

(ج) يذكر جمهور علماء الكلام أن الايمان بوحدانية الافعال عبارة عن التصديق الجازم بأنه لا فعل لغير الله تعالى في الحقيقة، فكل ما يقع في الكون من خير وشر ونفع وضر فهو من فعل الله تعالى وحده، ويصرح الاشعرية في كتب العقائد بأن الاسباب الظاهرة للحوادث – ومنها كسب الإنسان وغير الإنسان من الملائكة والجان – لا تأثير لها في نفسها، وانما يخلق الله المسببات والمكسوبات عندها لا بها، فلا فرق بين النار والماء في حصول الاحراق والإرواء، الا أن عادة الله قد جرت بخلق الاحراق عند مس النار واتصالها بالجسم القابل للاحتراق وخلق الإرواء عقب خلق شرب الماء ، ولكن الشرع أمر بالكسب، كالتداوي والاكل والشرب، فينبغي القيام بالمشروع منه وهو ما جرت سنة الله تعالى بجعله سببا مطردا، وما كان سببا غير مطرد كرقية الملسوع وما في حكمه فإتيانه ينافي التوكل وكمال الايمان والتوحيد، وأما ما كان دون ذلك مما لم يثبت كونه سببا البتة أو قامت عليه شبهات وهمية باطلة اغتر بها بعض العوام في بعض البلاد – كالزار في بلاد مصر والسودان، فلا عذر لمؤمن في الاقدام عليه، أي لانه من الجبت[1] الذي هو عبارة عن خرافات الكهنة والسحرة، ومن اعتقد أن ولي الزار أو شيخه ينفع ولو بقدرة خلقها الله فيه ومزية أعطاه اياها وأن عفريته يضر ولو بقدرة خلقها الله فيه أيضا – فهو عند هؤلاء المتكلمين مشرك بالله تعالى . فالخطر على منتحلي خرافات

(١) راجع تفسير (يؤمنون بالجبت والطاغوت) في ص ١٥٦ ج ٥ من التفسير

الزار وغيرها شديد في مذهب هؤلاء المتكلمين الذين ينتمي اليهم أكثر الخرافيين؛

وأما مذهب غير هؤلاء من المتكلمين ومحققي أهل الأثر من الحنابلة وغيرهم فهو أن الله تعالى جعل الاسباب مؤثرة بخواص خلقها فيها كالاحراق في النار، والإرواء في الماء، ومقاومة سير المرض في الدواء، ومنها ارادة الانسان وعمله الاختياري، ولكن هؤلاء يقولون كغيرهم إن الاسباب تعرف بالتجارب والاختبار، وتكون مشتركة بين جميع المجربين من الناس، واتخاذ الاسباب الوهمية مذموم شرعا وعقلا ، وأنه لا تأثير لمخلوق فيما وراء الاسباب التي جرت سنة الله في الخلق بربط المسببات بها، فمن اعتقد أن غير الله تعالى ينفع أو يضر بذاته دون ما جرت به سنته تعالى في الاسباب، أو بتأثيره في ارادة الله تعالى وقدرته؛ بأن يفعل الله تعالى بتأثيره عنده شيئا لم يكن لولاه ليفعله بمحض ارادته حسب علمه الازلي — فهو مشرك بالله كافر بوحدانيته، لاعتقاده أن لغيره فعلا وتأثيرا معه بقدرته الذاتية ـ وهو المنفرد بذلك ـ أو بتأثيره في ارادته ـ والاله الخالق القديم لا يكون محلا للتأثيرات الحادثة، و يستحيل أن تكون ارادته تابعة لارادة أحد من خلقه، الذين هم تحت تصرف قدرته وقهره

اذا تدبر السائل هذا ظهر له أن التصديق بخرافة الزار خطر على الدين ، وأنه ليس من شأنه أن يقع من أهل التوحيد الصحيح ، لا على مذهب المتكلمين ، ولا على مذهب الاثريين ، وانما يقع مثله ممن يأخذون دينهم عن أمثالهم من الجاهلات والجاهلين، كغوغاء العوام الذين يقلد بعضهم بعضا في أمور الدنيا والدين. كالعادات السخيفة والعلاجات الضارة ، المبنية على تجارب فاسدة ناقصة ،

ولكننا مع هذا كله لا نجزم بكفر امرأة تصدق ببدعة الزار، ولا نجعلها به مشركة بالله عز وجل ، بل يجب أن نحتاط في مثل هذا الحكم ، وندفع الجزم به قبل العلم بحقيقة اعتقاد المرأة ولو بالشبهات ، كما يجب أن تحتاط تلك المرأة باتقاء التصديق بهذه الخرافات ، التي يخشى أن تكون شركا جليا أو خفيا ولو على بعض الاقوال ، فنقول نحن عملا باحتياطنا : يجوز على هذه المرأة أن تؤمن ايمانا جازما بأن الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، وان ما اقتضته ارادته وجرى به قدره من ربط الاسباب بالمسببات ، هو عام مطرد في المخلوقات، وانه لا قدرة لمخلوق على شيء خارج عن سنته تعالى في الكائنات، بل جميع الخلق سواء في العجز عما وراء

الاسباب ، كما أنهم سواء في جريانها فيهم وخضوعهم لها ، وانحصارهم في حظيرة قهرها . ويجوز أن يعرض لها وهي على هذا الاعتقاد مرض فيخبرها من تظن فيهم الصدق وعلم التجربة والاختبار ، ان سبب هذا المرض ملابسة عفريت من الجن لها ، وأن غيرها قد أصيب بمثله قبلها ، وأنهم جربوا له كل علاج فلم ينجع فيه الا تلك الفعلة الشنعاء وحدها ، وان علة نفعها أن العفريت الذي يلابس المريض في هذا المرض يزعجه ما يكون في حفلة الزار ، من الذنوب والاوزار ، حتى يلجئه الى الفرار ، بين تلك الاغاني والمعازف ، والعزائم والعزائف ، والقرابين والذبائح ، وما في التضمخ بدمها من الفضائح ، — ويجوز على هذه المرأة أن تصدق هؤلاء المخبرين الضالين المضلين ، ولاسيما بعد اليأس من معالجة الاطباء المشهورين ، وأن تعتقد أن ذلك لا ينافي الايمان ، لان طرد الشياطين من الابدان ، كطرد الجراد ونحوه من المزارع والغيطان ، فهو من الاسباب الكسبية ، التي جرت بها السنن الآلهية ، ويجوز أيضا ان تعلم أن عمل الزار حرام ، وان المستحل لما يعتقد حرمته يعد مرتدا عن الاسلام ، كالجاحد للمعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الاجماع ، ثم تقول انني لا أستحله ، ولكنني آخذ بقول من قال ان التداوي بالمحرم جائز اذا لم يوجد غيره ،

فاذا جاز أن تعتقد المرأة ما ذكرنا وان كان باطلا في نفسه فكيف تتجرأ على الافتاء بردتها ، وبطلان عقد نكاحها ، وسائر ما يترتب على الردة من الاحكام ؟

أما ما يحسن أن توعظ به امرأة تدرك ما ذكرنا فهو ان خرافة الزار القبيحة المنكرة ليست سببا من أسباب الشفاء من هذا المرض ، وان ما يدعى من التجربة المثبتة لنفعه باطل ، وأنه عمل لكثيرات فلم يفد ، وأن من اتفق أنهن شفين بعده لم يكن شفاؤهن به بل بأسباب أخرى حقيقية أو وهمية ، وانه لو كان علاجا نافعا بالتجربة الصحيحة لعملت به جميع الشعوب التي فاقت غيرها في العلوم والمعارف ، المبنية على إتقان التجارب ، ولكننا نرى هؤلاء يسخرون من هذه الخرافة وأهلها ، التي هي محصورة في مصر والسودان بل في الطبقة الجاهلة من أهلهما ، واذا كان الامر كذلك فكيف تقدم على العمل بخرافة أدنى ما يقال فيها انها مشتملة على عدة بدع محرمة في الدين ، محتقرة عند جميع المرتقين ؟

مدرسة
دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٥

المعالجة - يجب البدء بعلاج مدخل هذا الميكروب في الجسم، بأن يعالج الاحليل في الذكر مثلا علاجا فعالا، وتعالج المفاصل بالقلويات ويودور البوتاسيوم . وينبغي مراعاة القوانين الصحية باستنشاق الاهوية الجيدة وتعاطي الاغذية السهلة الهضم والمقويات كمركبات الحديد وزيت السمك ونحوهما . ويدلك المفصل ببعض المراهم المسكنة أو الزئبقية،أو يدهن بصبغة اليود. ويجب اراحته من الحركة مطلقا،ولكن بعد زوال الالتهاب الحاد ينبغي دلك المفصل وتكبيسه وتليينه باليد

والعلاج باللقاح أفاد في بعض الاحوال خصوصا في الاصابات المزمنة أي التي طالت مدتها، والافضل أن يؤخذ الميكروب من نفس المريض، ولكن هذا العلاج يحتاج الى مدة طويلة

ويجب البدء بحقن مقادير صغيرة من اللقاح ثم تزاد بالتدريج، ولا يجوز عمل الحقن الثاني الا بعد تمام زوال كافة الاعراض التي قد تنشأ من الحقن الاول . وهناك مصل لعلاج هذا الداء أيضا لا يخلو من الفائدة

استدراكان

(الاول) جاء في مجلة [اللانست Lancet] الطبية الانجليزية الصادرة في ١٢ أغسطس سنة ٩١٦ رأي لاحد أطباء الانجليز في عدوى الالتهاب السحائي الوبائي وملخصه « ان ميكروب هذا الداء هو عين ميكروب السيلان — لا شبيها به فقط كما قلنا سابقا — وان قمل الجسم هو الذي ينقله من شخص الى آخر إما بامتصاص دم المصاب بالالتهاب السحائي وتلقيح الآخرين به اذا انتقل القمل اليهم. أو بتلوث القمل

به مما يسيل من المصاب بالسيلان في ملابسه من الصديد ونقله الى غيره فيدخل الميكروب تحت الجلد و يسير في الاوعية اللمفاوية الى السحايا وغيرها كالمفاصل التي قد تلتهب أيضا في هذا المرض ،، وأنكر هذا الطبيب انتقال الميكروب في الهواء ودخوله من الفم أوالانف . وقال: ان المصاب بالسيلان ذاته عنده شيء من المناعة فلا تصاب سحاياه الا قليلا. فاذا صح هذا الرأي — والغالب أنه صحيح — سهلت مقاومة هذا الداء الخبيث وتيسر اجتنابه . ومن هذا الرأي تفهم بعض حكم الاستنجاء وطهارة الثوب ونظافته ، ونظافة الجسم بالغسل والحلق، وغير ذلك من شرائع الديانة الاسلامية الغراء التي شرحناها سابقا . وترى مما تقدم أن القمل يقتل بالحمى التيفوسية والراجعة و بالالتهاب السحائي أكثر مما تقتل العقارب والثعابين . وذلك يحقق أيضا المثل العامي القائل « وضع تعالى سره في أضعف خلقه » وترى منه أيضا مقدار الخطر الذي يتهدد كل من يتردد الى مواخير الفسق ، فان أكثر الزواني مصابات بالسيلان الحاد أو المزمن و بعضهن يرى بملابسه وفراشه القمل

(الثاني) ان من أسهل الطرق لتطهير الماء والخُضر ونحوها من الميكروبات أن يذاب في الماء [بيسلفات الصوديوم] وتسمى أيضا [كبريتات الصوديوم الحمضية] بنسبة ٣/١٠٠٠٠٠ ويترك الماء مدة نصف ساعة فان حامض الكبريتيك الذي يوجد فيه يقتل تلك الاحياء الدنيئة وأجنة ديدان [البلهارسية Miracidia Cercariae] ولا ضرر من شرب هذا الماء . واذا نقعت فيه الخضر مدة نصف ساعة تطهرت كذلك . ويجوز أن تطهر به الاواني الخزفية والزجاجية ونحوها ما عدا المعدنية فان الافضل تطهيرها بالغلي. وهذه الطريقة نافعة جدا اذا اتبعت في زمن انتشار أوبئة الحمى التيفودية والكوليرا و الدوسنطاريا وغيرها مما يتلوث به الماء والخضر، فإنها كافية للتطهير بدل الغلي الذي لا يحسن لبعض الخضر والفاكهة

تسمم الدم

لهذا الداء ثلاثة أشكال : —

(الشكل الاول) أن تدور سموم الميكروبات في الدم، ويسمى ذلك باليونانية

[سپريميا Sapraemia] ومعناها حرفيا، الدم الفاسد

(الشكل الثاني) أن تدور الميكروبات مع سمومها في الدم، ويسمى ذلك باليونانية [سپتيسيميا Septicaemia] ومعناها حرفيا ، الدم المتعفن

(الشكل الثالث) مثل الشكل الثاني غير أنه يزيد عليه بتكوّن أخرجة في عدة أجزاء من الجسم، ويسمى ذلك باليونانية [بييميا Pyaemia] ومعناها حرفيا الدم الصديدي

وجميع هذه الاشكال تنشأ من ميكروبات الصديد وهي على الاكثر من الشكل البزري ، ومنها ما يكون عنقوديا أو سلسليا. والسلسلية هذه أشدها خطرا كما سبق، ومن الميكروبات العنقودية ما يكون لونه أبيض أو أصفر، ويشاهد ذلك اذا تجمعت منها جموع كثيرة في المزارع الصناعية . وهناك بعض ميكروبات لها أشكال أخرى تحدث الصديد كباسل الصديد الازرق [Pyocyaneus] ومن ميكروبات الامراض الاخرى، ما يحدث الصديد أيضا كميكروب الحمى التيفودية والدرن

والميكروبات البزرية المذكورة منتشرة كثيرا وهي من أكبر ما يخشاه الجراحون في عملياتهم فيتقونها بالتطهير التام بالغلي وغيره، فانها اذا وجدت أي سحج أو جرح في الجلد أو الاغشية المخاطية دخلت فيه وأحدثت التهابا قيحيا ، وتذوب الانسجة ويتجمع بسببها عدد لا يحصى من الكريات البيضاء فينشأ من ذلك المدة والصديد ونحوهما . فاذا أصابت سطح الجلد نشأت منها الدمامل والبثور ونحوها، واذا أصابت الانسجة الغائرة نشأت الاخرجة وما شاكلها، واذا أصابت الاغشية المخاطية التهبت وحدث منها الزكام ونحوه

واذا كانت الاصابة صغيرة ومحدودة ولم يدخل الميكروب الى الدم قل حصول أي توعك أو حمى، لان السموم التي تمتص في البنية تكون حينئذ قليلة جدا، ولكن اذا كان موضع الالتهاب كبيرا نشأت الحمى بسبب امتصاص سموم الميكروبات في البنية ونشأ الشكل الاول المذكور هنا، فاذا دخلت هذه الميكروبات الى الدورة حدث الشكل الثاني، وقد تدخل من أي جرح مهما يكن صغيرا، واذا رسب بعض هذه الميكروبات الممتصة في أجزاء الجسم المختلفة تكونت حولها وبفعلها أخرجة. وهذا هو الشكل

الثالث . وطريق امتصاص الميكروب في الشكل الثاني هو الاوعية اللمفاوية وفي الثالث الاوردة ، وفيها يدخل أيضا بعض مواد التهابية عفنة مع الميكروب

أما أعراض الشكل الاول فهي ارتفاع حرارة الجسم مع سائر الاعراض الاخرى للحمى ، وكذلك أعراض الشكل الثاني والثالث، غير أن المعتاد فيهما أن تبتدئ الحمى برعدة شديدة ويشتد المرض على المريض حتى يكون كالمصاب بالتيفوس، فيعتريه الهذيان والذهول والهمود وكافة الاعراض الشديدة لتلك الحمى، وتكون مدة المرض في هذين الشكلين قصيرة وتنتهي بالموت غالبا . وفي التسمم الصديدي تكثر الرعدة وتحصل يوميا مرة أو مرتين، وفي كل مرة تظهر التهابات فأخرجة جديدة ويكثر العرق عقب كل رعدة ويصاب المريض بالهمود وينحف جسمه بسرعة ويصفر لونه وقد يصاب بالقيء الكثير أو الاسهال ، وقد تزول الرعدة بعد خمسة أيام أو ستة . وتكون الحمى في هذا الشكل متقطعة مرتفعة في المساء ومنخفضة في الصباح عادة، وقد تصل الى الدرجة الطبيعية خصوصا في أول المرض. وتختلف باقي الاعراض باختلاف العضو المصاب بالاخرجة فان لكل عضو مصاب بها علامات وأعراضا مخصوصة. ومدة هذا المرض لا تزيد عن ستة أيام غالبا ولا تمتد إلى ما بعد العاشر كذلك، اللهم الا اذا أزمن المرض وحينئذ لا تصاب الاحشاء وانما تتكون الاخرجة في المفاصل أو تحت الجلد . واذا شقت كلها وعولجت قد يشفى المريض بعد عدة أسابيع أو أشهر

ومما يساعد على حدوث تلك الاشكال المذكورة عدم الاعتدال وغيره مما يضعف البنية كبعض الامراض المزمنة مثل التهاب الكلى أو البول السكري، ولكن لا يحصل أي شكل منها ما لم يوجد في الجسم مدخل للميكروب

العلاج — تفتح الاخرجة وتطهر وتضمد يوميا فان كانت الحمى ناشئة عن امتصاص السموم فقط شفي الجرح وشفي المريض أيضا، وان كانت الميكروبات دائرة في الجسم تعسر الشفاء أو تعذر، ويعطى المريض المنعشات والمغذيات وترعى معه جميع الوسائل الصحية

أما الادوية فهي قليلة الجدوى، ولكن استعمال الحقن بالمصل المتعدد القوي

[Polyvalent] أي المحضر بحقن عدة أنواع من الميكروب أفاد في كثير من الاحوال، وتجب تجربته اذا دخلت الميكروبات البنية سواء أحدثت أخرجة أم لم تحدث

الوقاية من تسمم الدم بجميع أنواعه — أن يتقي الانسان كل ما يحدث جرحا أو سحجا في الجسم وان كان صغيرا. فاذا حدث بالرغم من احتياط الانسان وجبت المبادرة الى تطهير الجرح وتضميده والمواظبة على ذلك يوميا حتى يشفى . ويراعى في ذلك اتباع جميع قوانين علم الجراحة في تطهير الايدي والآلات والضمادات وغيرها مما يمس الجرح . واذا تكون خراج في الجسم وجب الاسراع الى شقه وتطهير جوفه وتصريف ما يتكون فيه من المدة والصديد بأسرع ما يمكن بحيث لا يترك فيه شيء منها خوفا من امتصاص الميكروب أو سمه في البنية. ولعلم الجراحة في ذلك من الوسائل العلمية المعقولة ما فيه الكفاية من شر هذا الداء وقانا الله منه

السعال الديكي Whooping Cough

مرض يصيب الاطفال كثيرا بين السنة الاولى والثامنة، وحدوثه للبنات أكثر منه للذكور . وتقل اصابته لمن كان عمره فوق ذلك لان أكثر الناس يصابون به في صغرهم وهو يحميهم من الاصابة به مرة أخرى بل هو في ذلك أكثر وقاية من الحميات الاخرى ذوات الطفح . ويحدث انتشاره بشكل أوبئة لا تأثير لحرارة الجو أو غيرها فيها، وكثيرا ما تكون هذه الاوبئة عقب أوبئة الحصبة

هذا المرض ينتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى ، فاذا كثر اختلاط الاطفال بالمصابين به انتشر المرض بينهم، وقد ينتقل بواسطة الملابس الملوثة بميكروب هذا الداء اذا أصابها شيء من بصاق المصاب

وكان القدماء يعتقدون عدوى هذا الداء نظرا لما يشاهدونه من انتشاره بين من يخالط المصاب، ولكن لم يكتشف ميكروبه الا سنة ١٩٠٦ والذي اكتشفه باحثان اسمهما [بورديه Bordet] و [جنجو Gengou]

وهذا الميكرب من الشكل الباسيلي يشبه كثيرا ميكروب النزلة الوافدة غير أنه أطول منها وأغلظ ، ولا حبيبات له ولا حركة . يشاهد كثيرا في أوائل المرض في

المخاط الثخين الخارج في آخر النوبة من الشعب الرئوية الصغيرة ، وكثيرا ما يكون مختلطا بميكروب النزلة الوافدة

الأعراض : مدة التفريخ نحو عشرة أيام ويبدأ المرض بإصابة بسيطة بالسعال تشبه السعال الناشئ من التعرض للبرد . وقد يكون هذا السعال مصحوبا بحمى خفيفة ويستمر إلى نحو سبعة أيام أو عشرة، ثم يسمع هذا الصياح المخصوص الذي يشبه صياح الديك، ولذلك شبه هذا المرض به، فبينما يكون الطفل المصاب في لعبه تنتابه نوبة من السعال تمتاز بحصول نحو ١٥ أو ٢٠ مرة من الشهيق المتوالي في زمن ٧ أو ١٠ ثواني ثم يعقبها زفير له هذا الصوت المخصوص، ويتكرر ذلك مرة أو أكثر حتى يخرج من صدر المصاب قطعة صغيرة من البلغم اللزج أو يتقايأ ما في جوفه . والسبب في حصول هذا الصوت اقتراب الحبلين الصوتيين أحدهما من الآخر فيضيق ما بينهما ، أو أنهما لا يتسعان بالسرعة المطلوبة حين حصول الزفير. وفي أثناء هذه النوبة يحتقن الوجه أو يزرق وينتفخ وتكاد تخرج العينان منه، ويتدلى اللسان وقد تجرح الثنايا قيده فيبصق المريض الدم . ويكون الطفل في أثناء ذلك غير قادر مطلقا على منع هذا السعال، وقد يصاب من شدته بنزف من الأنف (الرعاف) أو من فمه أو يحصل النزف تحت الملتحمة ؛ وفي أحوال نادرة يصاب بنزف في مخه

وهذه النوب تحصل بلا سبب معروف وإنما قد يهيجها بكاء الطفل أو إغضابه أو نزع ملابسه . ويقال إن النوب أكثر في الليل منها في النهار . وعدد مراتها في الليل يتراوح بين مرة واحدة وستين مرة. وفي أكثر الاحوال لا تزيد عن ثلاثين في كل ٢٤ ساعة. ويكون الطفل في الفترات التي بين النوب كأنه في صحة تامة ولا حمى عنده ما لم يتضاعف المرض، وقد تكون شهوة الطعام عنده جيدة . ومدة هذا الطور من الداء تمتد الى ثلاثة أسابيع أو ستة بل قد تطول الى ثلاثة أشهر أو أكثر، ثم تأخذ النوب في القلة تدريجا حتى تزول تماما أو يعقبها سعال بسيط كالسعال الاول بدون صياح ويمكث بضعة أسابيع. وهذا المرض قل أن يميت ما لم يشتد تشنج المزمار أو يحصل نزف في المخ . وقد يحصل الموت بسبب مضاعفات هذا الداء

المضاعفات والعقابيل (العواقب) — من مضاعفات هذا الداء النزلة الشعبية أو

الشعبية الرئوية فترتفع الحمى ويضيق نفس المريض كثيرا، وفي كثير من الاحوال يزول حينئذ هذا الصياح المخصوص كما أنه يزول في كافة المضاعفات الحمية الاخرى. ومنها التهاب الاذن والتشنجات. ومن العقابيل استمرار النزلة الشعبية والامفزيما[١] الرئوية (أي تمدد حويصلاتها وفقدانها مرونتها وانفتاح بعضها في البعض الآخر) والدرن الرئوي وهو قليل الحصول في هذا المرض

الانذار — هذا المرض قد يطول جدا ولكنه في الغالب يشفى منه المريض ومن النادر أن يموت به الشخص غير أن الموت قد يحصل بسبب بعض المضاعفات أو العقابيل المذكورة

المعالجة — يسكن المصاب في غرفة دافئة متجددة الهواء، ولا يجب عليه التزام الفراش مالم يتضاعف المرض . وهناك أدوية كثيرة لتقصير مدة المرض وتخفيف وطأته ، ومن أحسنها [البلادونا [٢] Belladonna] فيعطى من صبغتها نقطتين أو ثلاثا ثلاث مرات في اليوم للطفل الذي يبلغ عمره سنتين ولمن هو أكبر نقطا أكثر بحسب السن ، وهناك موادتستعمل أيضا استنشاقا لتطهير الشعب ولكنها قليلة الفائدة، ومن أحسن العلاجات تغيير الهواء والسكنى بجوار البحار فان ذلك مما يقصر مدة المرض

الالتهاب الرئوي Pneumonia

هذا المرض نوعان : (١) نوع يصيب حويصلات الرئة ويسمى الالتهاب الفصيصي (٢) ونوع يصيب جزءا عظيما منها ويسمى الالتهاب الفصي، ويختلف النوعان اختلافا كبيرا من الوجهة الميكروبية والمجهرية والعرضية

أما النوع الاول فقد يكون ابتدائيا أو تابعا لمرض آخر، وهو كثير الاصابة للاطفال والشيوخ ، وليس له ميكروب مخصوص بل يوجد فيه أنواع عديدة منها

(١) لفظ يوناني معناه ادخال الهواء أو النفخ لانتفاخ الرئة في هذا المرض

(٢) كلمة ايطالية معناها حرفيا «السيدة الحسناء» تطلق على نبات شهير عند الاطباء كان نساء ايطالية يستعملنه لتجميل وجوههن ؛ ومن أصوله القصالة مادة سامة جدا تمدد الحدقة فتجعل العين نجلاء

ميكروبات الصديد المعتادة أو ميكروبات المرض الذي سبب هذا الالتهاب الرئوي كالدفتريا أو الحمى التيفودية أو الانفلونزا أو الطاعون

وأما النوع الثاني وهو كثير الحصول للشبان، وقد يصيب أيًّا كان غيرهم، وهذا المرض يشبه كثيرا الحميات الاخرى العفنة كالحمى التيفوسية وينتهي مثلها بالبحران. وينشأ غالبا من ميكروب من النوع البزري المزدوج اكتشف في معمل باستور في ديسمبر سنة ١٨٨٠ وهذا المرض هو المقصود بالكلام هنا ، ومنه نوع خطر ينشأ من باسيل اكتشفه [فردلندر Friedlander] سنة ١٨٨٠ ولكنه قليل الحصول فان ٩٥٪ من الاصابات بهذا الداء تنشأ من الميكروب الاول البزري

الاسباب يحدث هذا المرض للذكور أكثر من الاناث بنحو الضعف ، ويصيب الناس في جميع الاعمار من سن الطفولية الى سن الشيخوخة ، ولكنه أكثر حصولا للشبان الى أن يصلوا الى متوسط العمر (من ٣٥ - ٥٠) ينتشر هذا المرض في فصلي الشتاء والربيع حينما يكثر تغير درجة حرارة الجو فجأة، وحينما يكون الهواء مشبعا بالرطوبة أو البرد

ومما يساعد على حصوله كثرة التعرض لتيار الهواء وضعف البنية واجهاد العقل وقلة التغذية ، والانهماك في السكر أو الجماع

وهذه الاشياء تجعل المصاب به ضعيف المقاومة جدا بحيث يكون شفاؤه متعسرا ، والوفاة به كثيرة الحصول . والاصابة به لاتحمي من معاودته ، فقد شوهد أن بعض الاشخاص أصيب به نحو ١٥ أو ٢٠ مرة، ولكن في الغالب أن لايصاب به الشخص سوى مرتين

يوجد ميكروب هذا الداء حتى في لعاب السليم وفي حفر أنفه ، فاذا ضعفت البنية بمثل الاسباب المذكورة هاجمها الميكروب وأحدث بها المرض ، وقد يتصل بالانسان أيضًا من شخص آخر مصاب بالالتهاب الرئوي ويكون حينئذ أقوى وأضر. وهذا الميكروب يحدث التهابات في أعضاء الانسان الاخرى مثل البليورا والشغاف والمفاصل والسحايا ، وقد يحدث أخرجة بالاحشاء وتحت الجلد

ولم يجزم العلماء الى الآن ان كان وصول هذا الميكروب الى الرئة من طريق

الشعب أو من طريق الدم ، فقد شوهد وجوده في نفس الدم فاذا ضعف عضو بسبب ما رسب الميكروب من الدم فيه . وهو يصيب عدة حيوانات كالفيران والارانب والكلاب . أما الحمام والدجاج فلا يصيبهـا بشيء ، وطوله يتراوح بين ٥٥ و من الميكرون و٧٥ و٠ منه . ويظهر تحت المجهر كانه محاط بغلاف أو هالة صافية اللون يكون فيها عادة بزرتان أو أربع

الاعراض — يبتدئ المرض فجأة برعدة شديدة ، وترتفع الحمى بسرعة زائدة الى ٣٩° أو ٤٠° مع كافة أعراضها الاخرى المعروفة وأحيانا (تشاهد النملة على الشفتين) ثم يشعر المريض بضيق في نفسـه ، وآلام في الجنب المصاب ، ثم يكثر السعال ، ويكون بصاقه صديئا — كأن به صدأ من الحديد لاحمرار لونه — ويكون شفافا خاليا من فقاقيع الهواء لزجا بحيث يشتد التصـاقه بالاواني ويشـاهد في هذا البصاق الميكروب

وللاطباء علامات خاصة لتشخيص هذا الداء تدرك بالقرع والسمع وغـيرهما من طرق البحث الشهيرة

وتستمر الحرارة عاليـة مدة المرض كلها ، ويكون خد المريض وجبهته محتقنة يعلوها قليل من الصفرة أحيانا ، ويكون تنفسه سريعا جدا حتى قد تصـل مراته الى ٨٠ في الدقيقة ، ويسرع نبضه ويقل بوله ، وقل أن يعتريه الهذيان بخلاف الحميات الاخرى ، الا في بعض الحالات الشديدة فقـد يهذي ليلا ، وبعـد اليوم السادس أو الثامن تنخفض الحرارة فجأة في مدة ١٢ أو ١٨ ساعة ، بحيث تصير طبيعية ، ويبتل اللسان بعد الجفاف ويحس المريض بالتحسن العـام ، ولكن هذا البحران قد يصحبه اسهال أو عرق غزير وفي أكثر من نصف الاصابات تنخفض الحرارة بالتدريج ، فتصير طبيعية بعد ٤ أيام أو ٥ ، وفي كلتا الحالتين يتحسن النبض والتنفس حين انخفاض الحرارة ، وتزول العلامات الطبيعية التي يعرف بها المرض من الصدر ، ويزول لون البصاق الاحمر فيصير مصفرا أو مخضرا : ويكون به صديد وتقل ازوجته ، ثم يصير بالتدريج طبيعيا

والموت يحصل غالبا من وقوف القلب ، أو من اصابة الرئة الاخرى السليمة

فيسرع التنفس والنبض ، ويزرق الوجه، ويكثر الهذيان ويعقبه الغيبوبة فالموت ، ويكون الموت عادة بين اليوم الخامس والعاشر ، ومن المرضى من يموت في اليوم الثاني أو الثالث

والالتهاب الرئوي يصيب قاعدة الرئة أكثر من قمتها ، والجهة اليمنى أكثر من الجهة اليسرى، وقد يصيب الرئتين معا ، ولكنه يعجل باحداهما قليلا عن الاخرى

واذا أصاب الرئة احتقنت بالدم ، وثقل وزنها ، واحمر لونها ، وصار قوامها هشا بعد الوفاة ، وامتلأت حويصلاتها بكريات الدم الحمراء والبيضاء وغير ذلك من مواد الدم بحيث تكون خالية من الهواء ، ثم تمتص الكريات الحمراء ، وتزدحم الحويصلات بالبيضاء ، فيتغير لون الرئة من الحمرة الى اللون السنجابي ، وفي كلتا الحالتين يكون قوام الرئة كنسوج الكبد حتى سماه الاطباء (بالتكبد)

المضاعفات — جميع المضاعفات تنشأ على الاكثر من انتشار ميكروب الالتهاب الرئوي في الاعضاء الاخرى فقد تلتهب البلورا وقد ينسكب في تجويفها مصل أو صديد . ومن المضاعفات أيضا التهاب الشغاف أو الاعصاب أو الكليتين أو البريتون أو السحايا أو المفاصل وغير ذلك

الانذار — عدد الوفيات في هذا المرض نحو ١٧ ٪ من الاصابات . والمرض خطر جداً لغير المعتدلين ولضعفاء البنية . ومما ينذر بسوء العاقبة الهذيان الشديد أو الذي يحصل في أوائل المرض ، وضعف النبض والزرقة والتهاب الرئة كلها أو امتداده الى الرئة الاخرى

المعالجة — يجب على المريض أن يلتزم الفراش في الحال . وفي وقت شدة المرض يبقى معتمداً بظهره على شيء بحيث يكون رأسه مرتفعا على الفراش قليلا

ويجب أن تكون الغرفة متجددة الهواء نقية ، والغذاء من السوائل السهلة الهضم المغذية كاللبن والمرق ونحوهما ، تعطى بمقادير صغيرة متكررة . وينبغي أن تطلق الامعاء بالمسهلات، وتعطى للمريض المواد المعرقة مع قليل من المسكنات لتخفيف ألم الجنب والسعال . ومما يخففه أيضا اللبخ الساخنة على الجنب الملتهب أو ورق الخردل الصناعي ومن الناس من يضع على الرئة الملتهبة أكياسا فيها ثلج لتخفيف الالم وخفض الحرارة

وهذا العلاج المذكور كاف في الحالات البسيطة فاذا اشتدت وطئة المرض وضعف القلب وكثر الهذيان وجب اعطاء المريض المنعشات كالاستوكنين والديجيتالا والنوشادر أو قليلا من الخمر (مثل ٣ أو ٤ أواق في اليوم) . وكلور يد الكلسيوم (١٠ قمحات كل ٤ ساعات) يقال عنه أنه مقو للقلب فان أكثر الخوف هو من وقوفه

فاذا ازرق المريض وضاق نفسه وخيف عليه من الاختناق أو من وقوف القلب وجبت المبادرة الى فصده أو على الاقل تركيب العلق على الصدر لسحب جزء من الدم . ولا خوف من سحب ١٠ أو ١٢ أوقية من الدم اذا كان الشخص قوي البنية ممتلئا به . واستنشاق الاكسجين نافع جدا في هذا المرض ، وكذلك كربونات النوشادر (٥ الى ٧ قمحات كل ٣ أو ٤ ساعات) لاخراج المواد المتراكمة في الشعب

أما استعمال المصل أو اللقاح فلم تظهر له فائدة كبيرة

فاذا جاوز المريض طور البحران وجبت مساعدته بالادوية المقوية والاغذية الجيدة

بلاد العرب واحوالها

منذ الاعصر الخالية

نشرت مجلة الشرق والغرب التي أنشأها دعاة النصرانية (المبشرون) لبث دعوتهم بمصر مقالة تحت هذا العنوان قالت ان ما أوردته فيها هو نتيجة ما وصلت اليه مباحث العلماء الذين بنوا أقوالهم على ما اتصل بهم من اشتات الروايات ذات الطرق العديدة القديمة « فأخذوها وطبقوها على اعتبارات جغرافية وجيولوجية — قالت — ولعل أشهر علماء الافرنج الذين عالجوا هذا الموضوع العلامة « ليتاني » —أو كاتياني كما يعرب به آخرون— الايطالي الذي اشتهر بتصنيفاته العديدة عن العرب

والاسلام من وجهة تاريخية اقتصادية وقد بنينا هذه العجالة على ماجاء في مؤلف من أحدث مؤلفاته »

ونقول نحن ان هذا المؤرخ الايطالي قد اشتهر عند الترك وبعض العرب بتشويهه لسيرة النبي (ص) وهي أشرف سير البشر — لان الاتحاديين ترجموا ما كتبه فيها بالتركية كما بينا ذلك في منار هذه السنة (ص ١٦٢ ج ٣) ولكن مباحث هذا المؤرخ المدقق في تاريخنا مما لا نستغني عنه ونود لو تترجم كلها . ونحن ننقل عن هذه المجلة ما اقتبسته عنه من المباحث المتعلقة بحالة جزيرة العرب الجولوجية وطبيعتها الجغرافية ، ومهاجرة أهلها منها الى حيث أقاموا بناء الحضارة القديمة . وهاك عبارة المجلة بنصها لم نصحح منها الا عبارات قليلة : —

لقد أثبتت المباحث الحديثة أن الانسان وجد على الارض قبل المسيح بألوف من السنين وان بلاد العرب كانت مأهولة كأقدم بلاد العالم . فكيف كانت حالة العرب في ذلك العهد الخالي ياترى ؟ لاريب في انها كانت تختلف كل الاختلاف عما هي عليه الآن . والمعروف عنها الآن — ومنذ عدة مئات من السنين أيضا — أنها برية قاحلة ذات أراض جرداء خالية من الماء [1] . على أنها في الاعصر الجيولوجية كانت على خلاف ذلك . فقد مر على قارتي آسيا وأوربا زمن كان فيه قسماهما الشماليان أشد برداً مما هما عليه الآن . وكان الفرق بين الصيف والشتاء أشد وضوحاً مما هو الآن . فكان الهواء في الصيف أكثر امتصاصاً للرطوبة فيزداد به هطل الثلج في الشمال وهطل الامطار في الجنوب . وبناء عليه كانت أجزاء عديدة من آسيا وأفريقيا بقاعاً مخصبة جداً وهي الآن قفار جرداء . وما الاودية الناشفة سوى مجار كانت تتدفق فيها الانهار

ومن تلك البلاد بلاد العرب . فقد كانت سلسلة الجبال التي في غربها تتقي رياح السموم وتجري منها أنهر على هضاب أواسط بلاد العرب وتصب في خليج العجم . ومن تلك الانهر نهر الدواسر الذي كان يجري في وادي الدواسر وكان

(١) المنار : كان الصواب أن يقال قليلة المياه

منبعه في الهضاب المكية . وكذلك نهر الرماح الذي كان يصب مع نهر الدواسير في خليج العجم

ولا يخفى ان للحالة الجوية تأثيراً عظيما في السكنى ، وهذا يبين لك لماذا كانت بلاد العرب مهد الشعوب السامية . وخلاصة ذلك انه في تلك الازمنة الطيبة كانت البلاد غاصة بالسكان بخلاف حالتها الآن

ثم بدأت الاحوال الجوية في نصف الكرة الارضية الشمالية تتغير بالتدريج فقل امتصاص الهواء للرطوبة وقل هطل الامطار . وأصبحت البلاد التي بين أوربا والمنطقة الحارة تشعر بذلك التغيير العظيم . وبتمادي الزمن بدأ شمالي افريقيا وبلاد العرب يجف ، فصارت الملايين التي تسكن بلاد العرب تشعر بعدم ملاءمة البلاد لسكناها

ولا حاجة الى القول بأن الرحيل عن بلاد العرب استغرق ألوفا من السنين وكان تدريجيا، وبهذه الطريقة يمكن تعليل توالي هجرة الشعوب السامية. ولم تكن كلها غزوات أي هجرات ناشئة عن اعتبارات حربية بل كان معظمها ناشئا عن اعتبارات سلمية بحتة كهجرة الارلنديين اليوم الى أمريكا . وكانت آخر تلك الهجرات أعظمها شأنا وقد حدثت عند ظهور الاسلام يوم فتحت أبواب بلاد العرب وأخذ سيل المهاجرة يتدفق منها شرقا وشمالا وغربا

وكان لتلك الحركة غايتان تتفقان مع طبيعة البلاد الجغرافية، اذ لا يخفى أن شبه جزيرة العرب مقسومة الى قسمين (١) البلاد العربية الغربية (وهي اليمن والحجاز) ومنفذها سورية الى الشمال الغربي ومصر والحبشة على سواحل البحر (٢) الوسط الشرقي ومنفذه الطبيعي العراق وما بين النهرين . أما القسم الجنوبي من بلاد العرب (أي حضرموت) فقائم بنفسه

فسيل المهاجرة من بلاد العرب كان يتدفق اذاً شمالا الى فلسطين وسوريا أو غربا الى مصر والحبشة. أو شمالا شرقيا الى العراق ووادي دجلة والفرات

وقد وقعت أول هذه المهاجرات عند أول فجر التاريخ . ثم تبعتها المهاجرات

الاخرى في الازمنة التاريخية المعروفة .

(١) المهاجرة الاولى — قبيل فجر هذا التاريخ قام بهذه المهاجرة شعوب سامية نزحوا الى العراق ومعهم شعوب سومريون فتألفت منهم الامة البابلية، و يعتقد العلامة (قيطاني —أو— كاتياني) أن المصريين القدماء الذين دخلوا وادي النيل عن طريق البحر الاحمر واستعمروا أولا مصر العليا كانوا ساميين وقد هاجروا في نفس الزمن الذي هاجر فيه مواطنوهم الى العراق . ومما يؤيد هذا الرأي أن في اللغة المصرية القديمة آثارا سامية عديدة منها الكاف ضمير المخاطب المفرد المضاف اليه(١)

(٢) أما المهاجرة الثانية فقد وقعت في أول عهد التاريخ المعروف أي بين ستة آلاف و ٢٥٠٠ قبل المسيح وكان اتجاه سيل هذه المهاجرة أيضا الى شمال العراق وجنوبه و يتضمن حروب سرجون الملك السامي الشهير

(٣) واما المهاجرة الثالثة فقد وقعت من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وفي أثنائها نزح الاشوريون الساميون من بلاد العرب وأسسوا مملكة أشور وعاصمتها نينوى على أعالي دجلة وفي ذلك الزمن عينه نزح الرعاة (الهيكسوس) من غربي البلاد العربية الى مصر وغزا الفينيقيون غربي سوريا واجتاح الكنعانيون فلسطين

(٤) هجرة الاراميين بعد سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وانتشر الاراميون في وادي الفرات وسوريا فأصبحت لغتهم لغة التجارة اذ كان بيدهم طريق التجارة المار بحلب

ومن الشعوب السامية التي لم تنزح من بلاد العرب القبائل الصائبية والحميرية والعرب الذين كانوا يتكلمون العربية الحديثة . وكانت هذه اللغة قد نشأت بتمادي الزمن نشوءا بطيئا جدا . أما سبب عدم هجرة هذه الشعوب فهو لأن غربي بلاد العرب كان أكثر خصبا من شرقيها وقد كان طريقا للتجارة بين الهند والبحر المتوسط يمر باليمن والحجاز وينتهي الى غزة وهذا يأتي بنا الى :

(٥) ظهور الاسلام . وليس هذا أول مرة ظهرت فيها القبائل المتكلمة باللغة

---

(١) المنار الامر أعظم من ذلك فلعل النصف أو أكثر من النصف من هذه اللغة عربي ولكن الكثير منه محرف كما علم بالتفصيل مما نشرناه في مجلد المنار الثامن عشر عن علامة هذه اللغة أحمد كمال بك

العربية لتستوطن البلاد المجاورة فان بعضها سبق فاستوطن غسان والحيرة والعراق ومهد الطريق للعرب الذين كانوا في أيام محمد (صلى الله عليه وسلم) فعودوهم المهاجرة والاستيطان، وكانت بلاد العرب قد ضاقت مرة اخرى بأهلها الساميين الذين اشتهروا بالقوة والبأس والذكاء وكثرة النمو. ومما يدل على ضيق الوسائل الاقتصادية في تلك البلاد بأهلها فقرهم المدقع وعوزهم وعادة وأد البنات عندهم. أما قواهم المتزايدة فكانوا ينفقونها في محاربة بعضهم بعضا وفي شن الغارات والغزوات الى أن بدت طلائع تلك النهضة الدينيــة فجمعت بين القبــائل المتخاصمة وجعلتهم يوحدون قواهم و يوجهونها الى الخارج . وهكذا فتحت ابواب العربية وخرج العرب ليغزوا البلدان في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية

وقد كان بين أولئــك العرب رجال ذوو صفات ومآرب مختلفة فمنهم الشديد القوي كعمر، والقائد المحنك كخالد، ومنهم المجازف، ومنهم المسوق الى الحرب بطمع الاسلاب [1]. على أن عامل الدين هو الذي فتح لهم السبيل ومهده ومنحهم قوة. ولكن كان للعوامل الاقتصــادية التي أشرنا اليها والتي كانت تؤثر في بلاد العرب منذ أقدم الازمنة شأن يذكر. وكان الجانب الاكبر من جيش محمد (ص) رجالا قد دانوا حديثا بالاسلام فكانوا يقبــلون عليه أو يرتدون عنه بسرعة عظيمــة لان معرفتهم كانت ناقصة. ولا شك أن أمثــال أولئك ما كانوا ليتمسكوا بعروة الاسلام لولا ما رأوه من الانتصارات التي يؤتاها جيش المسلمين ولولا انقلابهم من ضيق العيش الى سعته [2]. وكان في جيش الميدان الغربي مئات من المكيين الذين أيدوا الامويين فيما بعد ولا يزال المسلمون يقولون حتى اليوم إنهم لم يكونوا على شيء من الاسلام

---

(١) المنار : يعني أن الجمهور الاعظم من العرب كانوا يقاتلون في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية التي يقوم بها دينه وكتابه ، وادناهم منزلة أفراد يطمعون في الغنائم والاسلاب كما هو شان أرقى الامم الآن في حروبها

(٢) هذه دعوى باطلة وتعليلها الذي عللها به باطل فان المسلمين ما انقلبوا الى سعة العيش التي يعنيها في عهد النبي (ص) بل بعده اذ فتحوا الشام ومصر وفارس . واين السعة في جزيرة العرب واين ما وصفها به آنفا من الضيق ؟

وأمثال أولئك كانوا يعتبرون أنفسهم في بيئة هي عربية أكثر منها اسلامية .

أما حروب الاسلام التي أفضت الى مزج العرب بأهالي البلاد التي افتتحوها من بخارى شرقا الى أسبانيا غربا فقد كانت عبارة عن مهاجرة هي آخر المهاجرات السامية من شبه جزيرة بلاد العرب ولم تحدث مهاجرة بعد ذلك أو بمقدار صغير جداً لا نزال نشاهد آثاره حتى اليوم وهو ناتج عن نفس الاسباب التي أفضت الى المهاجرات السابقة أي امحال بلاد العرب .

أما النتيجة فهي ظهور القوة الكامنة في الامة العربية ظهورا بينا واتخاذها مجرى جديدا وبيئة مثمرة .

وقد ذكر الاستاذ هركرونيه أن عرب حضرموت الذين هم أفقر سكان تلك البلاد فكوا القيود التي كانت تربطهم ببلادهم وهاجروا الى الهند وجزائر الهند الشرقية حيث أظهروا همة عالية ونشاطا غريبا. فقد أصبحوا خبيرين بأمور التجارة مع أنهم كانوا يجهلونها في موطنهم الاصلي ، ولا تزال الاعمال والاشغال تنتقل الى قبضة يدهم حتى لقد أصبح بعضهم من كبار الاغنياء. ولا ينحصر تفوقهم في الاعمال والمتاجر فقط بل في الامور العقلية أيضا

وهذه صورة مصغرة للعرب الذين نزلوا بسوريا و بلاد فارس في المئة الاولى للهجرة . وهي تنطبق على حالة العرب عموما منذ ألوف من السنين حتى اليوم

وقد أظهر دولة شريف مكة بنهضته الاخيرة أن العرب لا يزالون يأبون الضيم ويعشقون الحرية والاستقلال، وهم يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل الدفاع عن كيانهم . ترى هل نحن على وشك أن نرى من جانب بلاد العرب مباغتات جديدة مدهشة كما رأى العالم منذ مئات من السنين ؟

المنشور الهاشمي الشريف الثاني

ذكرنا في الجزء الرابع من منار هذه السنة ملخص المنشور الاول الذي خاطب به الشريف الاكبر صاحب مكة المكرمة مسلمي الارض مبينا لهم سبب نهضة الحجازيين باستقلال العرب دون متغلبة الاتحاديين . واليوم ننقل لهم نص منشور آخر نشر في العدد الحادي عشر من جريدة القبلة الصادر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ لتعميم فائدته والعناية بحفظه ، لان أمثال هذه المنشورات من أهم مواد تاريخنا في هذا العصر ، وقد ضاق عنه الجزء الخامس الذي طبع الكثير منه قبل عودتنا من الحجاز ، وهذا نصه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

لقد رأينا دفعا للالتباس ومنعا لما عسى أن يحدث من التردد في حقيقة قيامنا ونهضتنا معاشر الحجازيين الموضحة أسبابها في منشورنا الاول أن نردفه بهذه الاسطر ليكون منبها لأفاضل العالم عموما والمسلمين خصوصا زيادة الاطلاع على نياتنا ومقاصدنا المتعلقة بكياننا من حيث هو ، ملتزمين فيها أقرب المواد عهداً وأبسطها دلالة

من المعلوم ان عقلاء المسلمين وذوي البصيرة من ساكني الممالك العثمانية وسائر أقطار الدنيا غير راضين عن دخول الدولة العثمانية في الحرب الحاضرة لاسباب جوهرية أجمعوا عليها ، منها ان الدولة العثمانية قريبة عهد الخروج من الحرب الايطالية أولا والحرب البلقانية ثانيا وقد أصاب جيوشها وخزائنها وكل مرافقها وعامة تشكيلاتها من الضعف والضياع والفناء ما لا يخفى تأثيره على ثروة الدولة خاصة وثروة المملكة وأهلها عامة ، حتى كان الجندي لا يكاد يصل الى قريته أو الى مكان اهله ليحصل على ما يسد به رمقه ورمق أولاده وسائر أهل بيته الا ويكون قد دعي الى التجنيد مرة ثانية . وهكذا شأن الصانع والعامل والمحتطب . فالامة التي أصيب أفرادها بمثل

هذه الكوارث لا نرى حاجة الى بيان مصيرها ومصير دولتها اذا دفعت بنفسها في هوة حرب جديدة لا تشبه غيرها من الحروب . لا سيما وان واردات الدولة من الضرائب (*) المفروضة على مساعي الافراد المنكودي الحظ بين تجارية وصناعية وزراعية

هذا أحد الاسباب التي حملت عقلاء المسلمين على استنكار دخول الدولة في الحرب الحاضرة وهو سبب مبني على حقيقة الحالة الداخلية في كل بلاد السلطنة. وهنالك اسباب خارجية تتعلق بالجهة التي انحازت الحكومة الاتحادية الى الحرب معها ضد الفريق الآخر من الدول المشتبكة في الحرب . فان الدولة العثمانية دولة اسلامية وبلادها مترامية الاطراف كثيرة السواحل فكانت السياسة التي سار عليها سلاطين آل عثمان العظام من قديم الزمان تحسين الصلات والعلاقات مع الدول التي يسكن ممالكها القسم الاعظم من المسلمين والتي لا تزال صاحبة الارجحية في في البحار، فلما دخلت الحكومة الاتحادية في الحرب ضد هذه الدول منحازة الى فريق آخر كثير الطمع واسع الجشع لضيق بلاده عن ساكنيها تشاءم من ذلك أهل النظر والروية من المسلمين لعلمهم بما يكون من نتائجه السيئة قبل حدوثها

ولقد كنت من جملة هؤلاء عند ما سئلت تلغرافياً عن رأيي في هذه الحرب، فأجبت بما اقتضاه واجب النصح، وهذا مما أتخذه دليلا على اخلاصي لهذه الدولة وحرصي على سلامتها وصيانة بيضة الاسلام

وها قد حصل ما كنا نخشاه، وانتهت الدولة الى ما تخوفناه، وأصبحت حدود المملكة العثمانية اليوم في أوربا أسوار الآستانة تقريبا . وان طلائع جيوش الروس تتخطف الاهالي العثمانيين في ضواحي ولايتي سيواس والموصل، وطلائع الانكليز تسوق ألوف الاسرى من أبناء هذه المملكة في بادية العريش بعد ان استولت على ولاية البصرة وشطر من ولاية بغداد، ولا شك في أن من تأمل هذه الحالة ورأى ان الحرب لا تزال قائمة على ساق وقدم لا يحتاج الى كبير عناء في استجلاء النتيجة التي لا تخرج عن أحد أمرين فاما ان نستسلم الى هذا الخطر الداهم حتى نزول من [illegible] العالم أو ان نسعى الى الخلاص منه

(*) المنار : قوله: من الضرائب — خبر إن لا بيان للواردات كما يتوهم بادئ بدء

إننا نترك للعالم بأسره التأمل في هذا والجواب عليه وليس عندنا أقل ريبة في انهم يعذروننا في نهوضنا الذي جاء في وقته قبل أن تحيط المهالك بالبقية الباقية من هذا الملك فتأخذنا على غرة . بل اننا لا نتردد في مشروعية نهوضنا ووجوبه علينا. ولو كنا نعلم بأن بقاءنا مرتبطين بهذه الدولة التي أصبحت ألعوبة في أيدي المتغلبين مما ينفعها ويحفظ لها أملاكها لما تحركنا بشيء مما قمنا به، ولصبرنا وتحملنا كل مايحملوننا إياه . ولكن أنى لنا ذلك وقد صار من المقطوع به اننا لو استسلمنا لما هم سائرون بنا اليه لأدى ذلك بنا وبهم الى هوة الاضمحلال التي تسقط فيها الولايات الاخرى على مرأى منا ومسمع

نعم اننا نقول هذا ونترك الحكم فيه الى إنصاف العالم أجمع، ولكننا لانستطيع السكوت عن المجاهرة بأن السبب الوحيد لمحو هذه الدولة وابادة من بقي لها من الرعية وهم سكان الاناضول وغيرهم انما هو استرسال المتغلبة من زعماء الاتحاديين وهم أنور وجمال وطلعت وأشياعهم، وخروج الدولة عن خطتها السياسية الاساسية التي وضعها عظماء سواس العثمانيين وهي خطة موالاة الدولتين المعظمتين بريطانيا وفرنسا التي لا ينكر فوائدها الا من ينكر التاريخ ، ويكفي لمعرفة أخلاق زعماء الاتحاديين ومقدار صدقهم ووفائهم انه لم يمض غير زمن يسير على عقد القرض الذي ساعدتهم به فرنسا وهم في أشد الحاجة اليه حتى انضموا الى أعدائها وأعلنوا الحرب عليها، واننا لا نستدل على ما ذكرناه من أخلاقهم بهذا العمل دون سواه الا لشهرته المستفيضة بين عموم الناس وقرب عهدنا به، أضف الى ذلك ما يلقاه الاهالي العثمانيون لافرق بين مسلمهم وذميهم من ضروب العسف والجور اللذين يحجب ركامهما ضياء الشمس، لا سيما ما ارتكبه القابضون على ازمة الحكومة من هؤلاء المتغلبة وأشياعهم أثناء هذه الحرب من ظلم أهل ذمتنا من الروم والارمن خلافا لماجاءت به شريعتنا المطهرة، ثم نهجوا هذا المنهج في أبناء العرب بالشام والعراق وغيرهم مما هو معلوم الى يومنا هذا كإيقاعهم بأهالي العوالي التي هي احدى ضواحي المدينة المنورة من سبي مخدرات العرب وسوقهن الى الثكنات العسكرية بما تأباه الشريعة الاسلامية والشهامة العربية

نعم اننا قمنا ولا نزال قيامنا ومجاهرتنا بالعداوة والبغضاء مقصودا بهما أنور وجمال

وطلمت وشيعتهم . وانه ليشاركنا في ذلك كل مسلم عاقل حتى أفراد البيت العثماني، ودليلنا مع مشاركة هذا البيت الجليل اغتيال المتغلبة لعميده الشهيد السعيد ولي عهد السلطنة المغفور له المرحوم يوسف عز الدين . وانا نتبرأ منهم ونظهر لهم العداوة والبغضاء، ويشترك معنا فيها كل بر وتقي من مسلمي البلاد العثمانية وسائر البلاد الاسلامية، بسبب ما أتوه من الوبال، وماجروه على دولة الاسلام من الاضمحلال، حتى جعلوها ضحية لاغراضهم وغاياتهم النفسية . نبرأ الى الله منهم ونعلم انها كلمة حق عليها نحيا وعليها نموت . وكيف لا نقول هذا وامامنا من عبر الدهر ما نسرده على اخواننا المسلمين ليعلموه ويعوه

فان جمال باشا المتحكم في الشام واهلها قد أمر سكان ذلك القطر الاسلامي بأن يؤلفوا من مخدرات نسائهم جمعية نسائية، ثم أوعز الى هذه الجمعية أن تأدب له مأدبه في ناديها ، وقد تم ذلك بالفعل وحضرها هو ورجال العسكرية والملكية ومن دعاهم من سائر رجاله واعوانه ، وكان النسوة المسلمات أعضاء هذه الجمعية يباشرن اكرام ضيوفهن. وعند ختام الحفلة شرعن في القاء الخطب والاناشيد بين تلك الجماهير من الرجال كما نشرت ذلك صحف سورية على اختلاف مشاربها مظهرة الاعجاب والفخر ارضاء لجمال باشا . فسبحان الله تعالى الذي يقول في محكم كتابه الكريم (ياأيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين) (١) وقوله تعالى (٢) (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن

(١) وقع في جريدة القبلة غلط في هذه الآية نصه : أي لايعرفن فيؤذين . وهو غلط مطبعي يوهم غير العارف ان معناه صحيح وما هو الا ضد المعنى الصحيح . فالمراد من الآية ان إدناء الجلابيب والمبالغة في الستر أقرب الى ان يعرفن أنهن حرائر لا إماء فلا يؤذيهن أهل الريبة . وسبب ذلك أن البغاء في بلاد العرب كان محصوراً في الاماء من عهد الجاهلية ولذلك قالت هند للنبي (ص) عند مبايعة النساء على ترك الشرك والسرقة والزنا : أو تزني الحرة ؟ فكان الفساق من المنافقين والمشركين يعرفون الاماء بتهتكهن فيتعرضون لهن فأمر الله تعالى المؤمنات بالستر ليتميزن به فلايتعرض لهن الفساق ، ثم بطل البغاء برسوخ الاسلام حتى تركه الاماء أيضاً (٢) لعل الاصل وقال تعالى أو :ويقول تعالى .

ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ...) الخ (*)

من هذا يعلم صراحة مراد هؤلاء المتغلبين ومقاصدهم بالشريعة الاسلامية والعادات العربية، وفيه عبرة وذكرى لاخواننا مسلمي البلاد العثمانية وسائر اخواننا في اقطار الدنيا ليتمظوا بذلك ولا يكون سبباً لاسترسال هؤلاء الطغاة في انتهاك حرمات الله والجرأة على مخالفة أوامره لجاه يستفيدونه، أو راتب يستزيدونه، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن كان قد وهبه الله تعالى قوة على تغيير المنكر بيده أو لسانه أو قلبه فليفعل، ومن كان لديه ما يدافع به عن جرأة هؤلاء القوم المتغلبين فليأتنا به فاننا ان شاء الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)[1]

شريف مكة وأميرها

تحريراً في ١١ ذي القعدة الحرام ١٣٣٤

[المنار] ما لخص هذا المنشور ان زعماء الاتحاديين عرضوا الدولة للهلاك بالحرب والظلم والبغي والعدوان، وعبثوا بدين الاسلام، وظلموا المسلمين والذميين، وان مسلمي الترك وفي مقدمتهم بيت السلطنة يعلمون ذلك كالعرب ولكنهم غلبوا على أمرهم، وان بقاء البلاد الحجازية خاضعة لهم يضرها و يضر أهلها و يوقعهم في الخطر من حيث لا ينفع الدولة ولا يغني عنها شيئا، وان الواجب في هذا المقام العمل بما أمر به الرسول (ص) في قوله المروي في مسند احمد وصحيح مسلم والسنن الاربع «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه» الخ وبذلك عمل صاحب المنشور هو ومن معه من أهل الحجاز فهم في مقدمة أهل الحل والعقد في الامة ولو لم يكن معه غير اسرته الهاشمية وعصبتهم واتباعهم من العرب لكفى بهم أهل حل وعقد في مهد الاسلام وأفضل بلاد الارض ... في هذه الصفة سائر الامراء والزعماء في جزيرة العرب، ولم يبق في ديار الاسلام ... أحرار غيرهم لان سائر علماء المسلمين وكبرائهم في الاستانة وغيرها تحت قهر سلطة عسكرية زمامها بأيدي ملاحدة الاتحاديين ونصارى الألمان ... كان ...

(*) سقط من جريدة القبلة ما بعد كلمة (إلا) الأولى الى (إلا) الثانية

(1) في جريدة القبلة «وإنا وإياكم» وهو غلط مطبعي

ومن شايعه من العرب قادرين على النهوض لمقاومة منكرات الاتحاديين قاموا بالواجب الايماني عليهم. وقد صرح في هذا المنشور بأنه اذا ظهر له خطأه في اجتهاده هذا يرجع عنه . وكفى بذلك حجة على جميع المسلمين

تقريظ المطبوعات الجديدة

أهدي الينا في العام الماضي عدة مطبوعات جديدة من الكتب والصحف لم نجد فراغا من الوقت لننظر فيها نظرا يمكننا من إبداء الرأي فيها، وان منها ما يبخس حقه اذا كتب عنه في المجلات العلمية ، ما هو بمعنى الاعلان الذي ينشر في الجرائد السياسية، وقد يمد طول الزمان على السكوت عنها، أشد هضما لها وبخسا لحقها، فلهذا رأينا أن التنويه بها ، بما تمليه النظرة العجلى فيها، ربما كان كالثمد يفضل ناجزه المستثمدُ الصديان، على الغمر النسيء يخاف عليه النسيان ، وهو لا يمنع من إعادة النظر فيها اذا سمح الزمان ، وهذا ما جاد به الزمن الضنين الآن :

﴿ كتاب شرح البيع ﴾

(في القوانين المصرية والفرنسية . وفي الشريعة الاسلامية)

« تأليف محمد حلمي عيسى بك وكيل الادارة القضائية للمحاكم الاهلية بوزارة الحقانية » شرح فيه أحكام عقد البيع في قانوني المحاكم الاهلية والمختلطة المصرية مستمدا من مصادرها — الشريعة الاسلامية والقانون الفرنسي — سالكا في شرحه مسلك المدقق المستقل بالفهم والرأي . فجاء سفرا كبيرا بلغت صفحاته بضع مئات. وطبعه في العام الماضي (١٣٣٤) في مطبعة المعارف طبعا جيدا على ورق جيد يليق به ، وقد أقبل عليه علماء القانون أي إقبال ، وأحسنت تقريظه الصحف أي إحسان.

ان هذا المصنَّف من الكتب التي يرجع الى مثلها الباحثون في فلسفة الشرائع والقوانين، ويعتمدون على نقوله ومباحثه في المقابلة والتنظير بينها وتفضيل بعضها على بعض. فلو أتيح لي ان أوفيه حقه من التقريظ والنقد فيما يعنيني من مباحثه الدقيقة — وهو المقابلة بين الشريعة والقوانين — لكنت قرأت ما أورده من ذلك كله أو الكثير منه، وبينت ما يريني الله من الحق فيما أورده من الاحكام الشرعية، التي اعتمد في أكثرها

على بعض كتب الحنفية . وما فاته من الاحكام ، في كتب غيرهم من فقهاء الاسلام.
فقد قال في مقدمة الكتاب انه جعل المقارنة بين القانون المصري بقسميه وبين الشريعة على كتاب مرشد الحيران الذي ألفه قدري باشا ومجلة الاحكام العدلية التي أوجبت الدولة العثمانية على محاكمها المدنية الحكم بها . وذكر في أسماء الكتب التي كان يراجعها عند الشرح عدة كتب للحنفية والمالكية، ولم يذكر بينها شيئا من كتب فقه الشافعية والحنابلة ، على أن كتب هذين المذهبين أجمع لدلائل الكتاب والسنة، وكتب الشافعية منها أشد تنقيحا، وكتب الحنابلة أوسع طريقا، فلوأن المؤلف عني بكتب الحنابلة وعلماء الحديث المستقلين كما عني بكتب الحنفية لكان علمه بالشريعة الاسلامية أوسع ، ومقابلته بينها و بين القوانين أصح وأنفع ، ومن أجلّ هذه الكتب كتاب المغني للشيخ موفق الدين ابن قدامة و (المحلى) للامام ابن حزم و (نيل الاوطار) للامام الشوكاني. ومن أجل الكتب الباحثة في حكم الشريعة (اعلام الموقعين) للعلامة ابن القيم ، وأحسن ما كتب في العقود وأنفعه فيما نعلم هو ماكتبه شيخ الاسلام ابن تيمية ونشر في مجموعة الفتاوى التي طبعت له. فلعل المصنف يعنى بالرجوع الى أمثال هذه الكتب اذا نقح الكتاب عند ارادة اعادة طبعه — ان شاء الله تعالى

﴿ تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ﴾

(مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينهما من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ الى اليوم ، لمؤلفه نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية بمصر ، وصاحب تاريخ السودان) وهو مجلد ضخم تزيد صفحات على ٧٧٠ طبع بمطبعة المعارف طبعا جيلا، وأجمعت الصحف على حسن تقريظه والثناء عليه ، وما وفاه أحد منهم حقه ، ولا شرح للناس حقيقته وكنهه ، وقد كان اسم الكتاب حجابا يخفى ماوراءه من الحقائق التاريخية والاجتماعيــة والسياسية والعلمية ، المتعلق أكثرها بالعرب والبلاد العربية ، من شؤونها الغابرة ، وحالتها الحاضرة ، — ولا يزال هذا الحجاب مسدولا على تلك

المخدرات، ماأماطته الصحف عن ذلك الوجه ، ولا أظهرت كل ماوراءه من الجمال والحسن ، على ان كشف الحجاب عن أبكار المعاني ، ككشفه عن ابكار المغاني ، كل منهما يباح للخاطبين ، كما يباح للمحارم من الاهل والاقربين ، وما أكثر من يبيحه للناس أجمعين، فما بال ابكار مؤرخنا العربي لاتزال محجوبة عن خطابها المتعددين، وذوي قرباها الكثيرين، بذلك الاسم الذي لا يدل الاعلى جزء من مسماه، كما حجب استعداد أمتنا العربية بالاستبداد الذي يغشاه، وحجب مافي وطننا العربي من الآثار والمعادن بجهل الحاكم الذي يتولاه ؟

ألا أيها الخطاب ، لتلك الا بكار العرب الاتراب ، لقد نصب الله لكم من يرفع عن محاسن وجوههن الحجاب ، وان كان يخفض من أفكار من في مصر من دعاة السفور ، الذي يجزم بانه مزيد في التهتك والفجور ، ولكنه قبل رفعه، يبين لكم سبب وضعه ، فيقول :

إن المؤلف لما أتيح له الوقوف على تلك الحقائق التي يجهلها الا كثرون من تاريخ سيناء عز عليه أن تبقى مجهولة، كما هو شأن محبي العلم الذين يتعبون في تحصيله وتمحيصه، فعمد الى تقييد أوابدها ، وقنص شواردها ، بعد أن قتل مسائلها بالبحث والتدقيق تقتيلا ، وفصل القول فيها تفصيلا ، فجاء تاريخا مطولا لهذه البقعة الغامرة ، لم يوضع مثله لأعظم أقطارنا العامرة ، فكان مظنة الانتقاد بأنه اشتغال بالكمالي من جزئيات تاريخ بلاد أمتنا العربية ، قبل الوصول الى مايفي بالحاجة من مباحثه الكلية ، وكان مؤرخنا اللوذعي لمح بلحظ الغيب ذلك الانتقاد يجول في مطاوي الافكار ، بعد ان تمثل بين يديه تاريخ سيناء سفرا من أكبر الاسفار ، فاراد أن ينظم تلك المباحث الكمالية في سلك الضروريات ؛ فوضع للكتاب خاتمة كانت كالمقصد من الوسيلة أو كالنتيجة بعد المقدمات .

ذلك بأنه لما كانت سيناء معقد الاتصال والارتباط بين أعظم الاقطار العربية، أعني جزيرة العرب ومصر وسورية، جعل خاتمة التاريخ التفصيلي لها، خلاصة تاريخ الاقطار التي تحيط بها ، ولما كانت فائدة التاريخ هي العظة الاعتبار ، وكان الفراغ من هذا الكتاب في إبان هذه الحرب التي خاضت غمراتها الدول السائدة على تلك

الاقطار، والتي يتبدل بها مايتبدل من احوال الامم والاطوار — ذكر قومه الاقربين سوريين ومصريين ، ومن وراءهم من العرب أجمعين، بان أصل أروماتهم واحد وهو الجنس العربي الكريم ، والاصل الذي ينتمي اليه أنبياؤهم المرسلون في مللهم ونسبهم واحد وهو خليل الله ابراهيم، وبأن لغتهم واحدة وهي العربية ، وكذلك عاداتهم ومصالحهم الاجتماعية والاقتصادية . وهل يعذر أحد على الرضاء بالخلاف والفرقة، بعد تجارب هذه الجواذب والدواعي الى الوفاق والوحدة ؟ كلا، لاعذر الا الجهل أو عصبية الجاهلية ، وهاك شذرات منه في بيان هذه الحقيقة وحججها الجلية،

قال المصنف في تمهيد خاتمته الحسنى :

١ — « ان الباحث في تاريخ مصر والشام والعراق كلما تعمق في البحث وجد أن معظم سكان هذه البلاد كانوا في كل عصور التاريخ — كما هم في هذا العصر — عربا أو من أصل عربي، [1] ، وكان لغتهم العربية أو أختا لها [2] وعليه فأول الصلات التي تربط هذه البلاد بعضها ببعض وأهمها هي الصلة الجنسية العربية» ثم إنه جاء بزبدة تاريخ هذه البلاد ايضاحا لهذه الحقيقة وقد بدأ بخلاصة تاريخ العرب

مهد العرب

٢ — ذكر في بيان مهد العرب ان أوجه الآراء في مهد الجنس السامي اثنان (أحدهما) رأي مفسري التوراة وهو انه جزيرة العراق. (ثانيهما) رأي بعض علماء التاريخ واللغات والعاديات [3] — وفي مقدمتهم العلامة روبرتس سمث الانكليزي — وهو ان مهده جزيرة العرب (قال) « ومنها تفرق في الشرق قبل التاريخ كما تفرق العرب المسلمون في صدر الاسلام، ولهم على ذلك أدلة لغوية اجتماعية، ومن أدلتهم اللغوية ان اللغة العربية هي أقرب أخواتها — الكلدانية والسريانية أو الارامية والعبرانية والحبشية — الى اللغة السامية الاصلية، وان في الارامية والعبرانية آثار الحياة البدوية العربية

« ومهما يكن من أمر ذلك المهد فاننا نرى العرب قد أسسوا في جزيرتهم عدة

---

(١) ان الذين لم يسموا عربا كدول الفراعنة والفينيقيين كانوا او كانت دول الحضارة منهم من أصل عربي (٢) ان السريانية والعبرانية تعدان اختين للعربية لان أصلهما واحد سامي مهده الاول جزيرة العرب (٣) هي آثار الامم القديمة نسبة الى عاد الاولى العربية ثم صارت عامة

ممالك اشتهرت قديما وحديثا، وخرجوا من جزيرتهم للفتوحات غربا الى سيناء ومصر وافريقية الشمالية، وشرقا الى العراق وتركستان، وشمالا الى سورية وآسية الصغرى، فأسسوا فيها عدة ممالك قبل الاسلام و بعده . فكان مهد العرب ومسرحهم منذ القديم من المحيط الاتلانتيكي شرقا وغربا ومن أعالي الفرات ودجلة والبحر المتوسط الى أقاصي السودان شمالا وجنوبا »

العرب البائدة في العراق ومصر وسورية

٣ — ذكر من تاريخ العرب البائدة انهم كانوا يسكنون ما بين العراق والعقبة، وينقلون التجارة ما بين بابل ومصر . ثم قال : «وما زالوا حتى ظهر منهم في القرن الثالث والعشرين (قبل المسيح) ملك اسمه [حمّورابي] فأسس مملكة قوية عرفت « بدولة حمورابي» بلغت اسمى ماوصلت اليه دولة في العهد القديم من الرقي الادبي والمادي . واشتهرت على الخصوص بسن الشرائع والقوانين و بناء الهياكل والقصور، واستمرت حاكمة الى أواخر القرن ال ٢١ قبل المسيح »

« وذكر مؤرخو العرب ان العمالقة هم الرعاة (الهكسوس) الذين ملكوا مصر في مدة الدول الخامسة عشرة الى السابعة عشرة . ويظن الآن ان سكان مصر وايثوبيا الاولين الذين سكنوا النيل قبل التاريخ هم عرب هاجروا اليه من جزيرة العرب عن طريق سينا أو بوغاز باب المندب كما سيجيء

« هذا وسنرى في تاريخ سورية أن معظم سكانها الاولين هاجروا اليها من جزيرة العرب وأسسوا فيها دولا شتى »

ثم ذكر خلاصة مفيدة من تاريخ العرب المتعربة والمستعربة من القحطانيين والعدنانيين واستطرد الى ذكر خلاصة تاريخ ظهور الاسلام وامتداد دعوته وفتوحه ودوله من العرب وغيرهم ختمها بالدولة العثمانية ، وما انتهت اليه حالها في عهد طغاة الاتحاديين من اضطهاد العرب والعربية ، وتقحمهم بالدولة أخطار هذه الحرب الاوربية ، وحكم عليهم بأنهم أضاعوا بذلك ملكهم مهما تكن عاقبة هذه الحرب

مستقبل جزيرة العرب

٤ — وقال في شأن مستقبل جزيرة العرب بعد الحرب ما نصه (ص ٦٦١)

« وأما جزيرة العرب فالطبيعة ورجالها تحميها ، وقد أعلن الحلفاء استقلالها تحت يد أمرائها ، وأصدر (الجنرال السرجون مكسويل) القائد العام البريطاني بمصر منشورا وجهه الى « العرب الكرام » بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٤ جاء فيه ما نصه :

« [ان جلالة الملك جورج الخامس ملك الانكليز قد أعلن أنه لا يتخذ إجراءات حربية برية أو بحرية في بلاد العرب أو في موانيها ما لم تمس الحاجة الى ذلك قصد حماية مصالح العرب من اعتداء الترك وغيرهم أو إنجاد من ينهض من العرب للخلاص من ربقة الترك] »

وبعد وصف جزيرة العرب وبيان حالها وسكانها في هذا العصر عقد فصلا ثانيا لخلاصة تاريخ سورية (ص ٦٧٥)

٥ — بين المؤرخ أن شعوب سورية القديمة هم الارامیون والكنعانيون والحثيون والعبرانيون والفلسطينيون والفينيقيون (قال) « وكلهم هاجروا اليها من جزيرة العرب أو العراق الا الفلسطينيين » أي والذين هاجروا اليها من العراق كانوا من جزيرة العرب فهاجروا الى العراق قبل الهجرة الى سورية . و « أو » في كلامه لمنع الخلو لا لمنع الجمع فالتحقيق ان من عرب الجزيرة من هاجروا الى سورية توا ومنهم من هاجر الى العراق توا ثم هاجر بعضهم الى سورية وبعضهم الى مصر

وبعد ان قال في كل شعب من هؤلاء الشعوب قولا وجيزا مفيدا وشكا من عدم اجتماع كلمة السوريين في كل عصر من العصور ومن ضعفهم بانقسامهم واختلاف أغراضهم وأديانهم . وذكر ان عددهم الآن ثلاثة ملايين

٦ — ثم ذكر خلاصة تاريخ العراق وذكر ممالكه القديمة والحديثة من الكلدانيين الى العثمانيين وذكر أن عدد سكانه يقدر الآن بثلاثة ملايين ايضا نصفهم بدو ونصفهم حضر وكلهم عرب الا قليل من الاكراد . (*)

(*) استطرد المؤرخ هنا الى ما لم يستطرد الى مثله في سورية من ذكر البيوتات فبدأ بذكر الفاروقيين وقال انهم يسكنون الموصل وفاته أن منهم فرعا في بغداد أيضا . وثنى بذكر السادة العلويين وقال انهم يسكنون الموصل و بغداد والبصرة . وثلث بذكر السويديين من سلالة الخلفاء العباسيين قال وكلهم في بغداد . ثم ذكر الجيلانية والآلوسية في بغداد . وفاته أن هذين البيتين من بيوت السادة العلوية أيضا ،　=

٧ - ثم انتقل المصنف الى خلاصة تاريخ مصر فبدأه بقوله :

[« كان المشهور الذي عليه الجمهور ان سكان مصر القدماء هم أبناء مصرايم ابن حام بن نوح - هاجر اليها من آسية . ولكن بعض المتضلعين من اللغة الهيروغليفية اكتشفوا حديثا أن هذه اللغة واللغة العربية السامية هما من أصل واحد كما مرّ . فاذا ثبت هذا كان سكان مصر الاولون أجداد القبط الحاليين هم من أصل عربي قديم « وكان هذا هو الفتح العربي الاول لمصر »] .اه

ثم تكلم على دولة الرعاة الذين سماهم اليونان (هكسوس) أي الملوك الرعاة وهي كلمة محرفة عن كلمتي (حق شاسو) [1] في لغة قدماء المصريين ومعناها «ملك البوادي » وسماهم مؤرخو العرب العمالقة كما تقدم آنفا ، وذكر خلاف المؤرخين فيهم وقول ياقوت« إن العمالقة امتدوا من بلاد العرب الى سورية فكانوا ملوكا في سورية وفراعنة في مصر » ثم قال

[وخلاصة القول انهم قوم رحالة أو عرب أتوا من المشرق « فاذا ثبت ذلك كان هذا هو الفتح العربي الثاني لمصر » والظاهر انهم كانوا من جنس عرب سورية لان في أيامهم عم السلام بين مصر وسورية ، ونزح كثير من السوريين الى مصر]اه

٨ - ثم ختم المصنف خاتمة الكتاب بالكلام على مهاجري قومه السوريين

= وكان ينبغي أن يبدأ بذكر السادة العلوية ويقولون انهم يوجدون في جميع الولايات العراقية كما يوجدون في جميع الولايات السورية وغيرها وان اشهر بيوتهم في العراق بيت النقيب و بيت الالوسي في بغداد و بيت النقيب في البصرة. وقد ذكر من آل الآلوسي السيد محمود شكري وقال انه مروج مذهب السلف (الوهابية) في العراق وذكر الوهابية هنا غلط مبني على أغلاطه أخرى عند ذكر هؤلاء في الكلام على نجد فانه جعل الحنابلة غير الوهابية ونسب الى الوهابية ما لا يقوله أحد ممن يطلق عليهم هذا اللقب . ولا عجب فقد اغتر كثير من الناس بما كتبه دحلان وغيره عن هؤلاء الناس ، وما ذاك الا من فتن السياسة أعاذنا الله من إفكها وتضليلها .

(١) يحتمل أن يكون كلمة شاسوا من مادة شاس يشوس فهو اشوس وهم أشاوس . والاشوس يطلق على المتكبر وأصله من يصغر عينيه و ينظر بمؤخرها أو من ينظر الى الشيء نظر احتقار - وعلى الشجاع والطويل القامة ، وكذلك كانت العمالقة وربما كانت كلمة حق بمعنى ملك بكسر الميم كما يستعملها أهل الحجاز الآن

بمصر فأشار الى اليهود والمسلمين منهم اشارة وجيزة في صفحة واحدة لقلة عددهم وتوسع في ذكر النصارى — قال — (وهم من نعني بالعنصر السوري عند التخصيص) أي عند الاطلاق، فذكر قدماءهم ومتأخريهم وقدر عددهم بسبعين ألف نسمة وثروتهم بخمسة وعشرين مليونا، وذكر أنديتهم وجمعياتهم الخيرية وصحفهم الحية والميتة. ورؤساءهم الروحيين وبيوت الثروة فيهم ومحال التجارة الواسعة لهم ومكتباتهم ورجال الجيش والقضاء والكتاب وكبار الموظفين منهم وأصحاب الفنون

مستقبل سورية بعد الحرب

وقفى على ذلك بالكلام على مستقبل سورية بعد الحرب فقال ان السوريين على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم السياسية يتفق كلهم أو جلهم على أربعة أمور (١) السخط على الاتحاديين سرا وجهرا لدخولهم في الحرب الحاضرة (٢) الميل الصادق الى الحلفاء في هذه الحرب (٣) إنشاء حكومة جديدة على مبادي اللامركزية الشوروية تضمن لهم الامن والراحة والنجاح في بلادهم مع المحافظة على لغتهم وتقاليدهم وعاداتهم ووحدتهم القومية (٤) شعورهم بالحاجة الى دولة من دول الحلفاء العظام يستعينون بها على تنظيم حكومتهم الجديدة. ولكنهم يختلفون في كيفية إنشاء الحكومة وتنظيمها، ثم في نوع المساعدة التي يتطلبونها ومقدارها

قال « نعم ان هناك فئة لا يهمهم الاحتفاظ بقوميتهم ما دامت البلاد ممتعة بأسباب الامن والراحة والرقي. ولكن هؤلاء هم فئة قليلة جدا، والسواد الاعظم من أهالي سورية من مسلمين ونصارى ويهود متمسكون بقوميتهم ولغتهم وعاداتهم كل التمسك. وأهل الخبرة منهم يقولون انه لا يكون للسوريين كلمة نافذة ولا مكانة سياسية ولا شأن ولا مقام ولا راحة ولا سلام في بلادهم أو خارج بلادهم الا اذا احتفظوا بقوميتهم، واتحدوا في الرأي على اختلاف المذاهب والاديان

« واهم الاسباب التي تدعو الى اتحادهم ثلاثة — ١ — أن يتخذوا أساس المعاملة المصلحة العامة الوطنية ليس الا — ٢ — ان يتذكروا انهم كلهم من أصل واحد عربي أو سامي، وانهم كانوا عربا أو ساميين، قبل ان كانوا يهودا ونصارى ومسلمين، — ٣ — أن يحافظوا على لغتهم العربية لانها لغة راقية، ولانه لا شيء

يقرب العناصر المتنافرة ، مثل الاجماع على لغة واحدة »

وتكلم بعد ذلك في مسألة تجنس السوري بالجنسية المصرية فبين المرغبات فيها وأضدادها ،وأهمها ان هواء مصر شديد الوطأة على المهاجرين الى مصر من البلاد المعتدلة كسورية فهو لا يزال يضعفهم الى ان ينقرضوا ، والنصارى منهم وان كثروا يبقون عنصرا ضعيفا منفردا بسبب الفارق بينهم وبين العنصر الاكبر — وهم المسلمون — في الدين وعدم الاختلاط بالزواج .

ثم نصح للسوريين بعشر نصائح . قال انها منتهى ما بلغ اليه اختباره بعد ان جاوز الخمسين ، وقضى في مصر منها أكثر من ثلاثين، وهي

(١) ان لا ينتسبوا الى الاصول السائدة في مهاجرهم مستحيين بأصلهم السوري وهم احفاد الحثيين والفينيقيين السابقين الى الاختراع والاكتشاف «وأنصار ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد الذين كانوا أول من نادى بوحدانية الله وهذب الاخلاق وشاد الاديان التي تسود العالم الآن » ٢— قوله « ليكن ارتباطكم بوطنكم الاصلي حيا ماامكن لتبديل الهواء أوتجديد الدم بالزواج » وأدرج في هذه الحث على الزواج الباكر والرياضة البدنية —٣ —قوله «انتم في مصر عنصر ضعيف فاستعينوا على ضعفكم بقوات ثلاث :العلم الشريف والمال الحلال والخلق الحسن ، واحذروا آفات ثلاثا : المسكر والمنكر والقمار» —٤ —الحث على الحرف الراقية من علمية وادبية وزراعية وصناعية وخاصة التجارة مع النهي عن الربا —٥— الترغيب عن خدمة الحكومة وقال في الموظفين منهم : ربما كان مجموع ثروتهم في القطر المصري كله لا يساوي ثروة تاجر أومزارع واحد من تجارهم أومزارعيهم الكبار» —٧— تكريم نوابغهم وإجلال أفاضلهم وتقويم المعوج منهم تحقيقا للتضامن الذي يجعلهم كانهم أسرة واحدة ٨— التعاون على المنافع والمصالح العامة كانشاء المعابد والمدارس والمستشفيات،وعدم تكريم الغني الذي يقصر في ذلك —٩— قوله «لاتدعوا الاختلافات المذهبية التي أورثتكم الشقاق والشقاء في بلادكم ترافقكم الى دار هجرتكم فتكدر صفاءكم وتحرمكم لذة التمتع بالالفة الجنسية» وذكر من وسيلة ذلك كثرة الاندية وارتباط بعضها ببعض —١٠— طاعة السلطان وقانون البلاد والعمل لنفع الامة المصرية والحرص على كرامتها. وختم الكلام أو

الكتاب بابيات في الجمع بين حب مصر والشام وجعل قلبه شطرين بينهما وتمني تعانقهما عناق الاخاء الى المنتهى

﴿ جريدة القبلة ﴾

« جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع ، لخدمة الاسلام والعرب » مديرها المسؤل محب الدين الخطيب

أنشئت هذه الجريدة بمكة المكرمة في شهر شوال سنة ١٣٣٤، ومحب الدين الخطيب المدير لشؤونها هو صديقنا المشهور في عالم الصحافة باشتغاله عدة سنين بالتحرير والترجمة في جريدة المؤيد بمصر، ومن المحررين لها صديقنا فؤاد الخطيب الشاعر الاديب المشهور، الذي كان استاذ اللغة والآداب العربية في مدرسة غردون الكلية في السودان

واننا نرى ان أنفع ما ينشره محب الدين فيها بعد منشورات سيدنا الشريف الحكيمة هو ما يترجمه عن الكتب والصحف التركية مما يبثه في الشعب التركي كتابه من الثابتة الجديدة المتفرنجة (حزب تركية الفتاة) الذين تعتمد عليهم جمعية الاتحاد والترقي في تحويل الترك عن الاسلام بالتشكيك في عقائده وشريعته ، والتشويه لآدابه وفضائله ، والمحو لصبغته من القلوب واستبدال صبغة جنسية تورانية بها . وسنقتبس بعض ما نشرته من ذلك

قيمة الاشتراك في هذه الجريدة المفيدة ريال مجيدي ونصف في الحجاز وعشرة فرنكات في سائر الاقطار، وهي قيمة قليلة لعلها لا تفي بنفقات الجريدة، الا اذا كثر المشتركون فيها فصار ألوفا كثيرة، لان الورق والحبر قد تضاعفت أثمانهما في هذه السنين كما تضاعفت أثمان أكثر ما تصدره أوربة من مصنوعاتها، بعد ان شغلتها الحرب بأوزارها عن كل ما عداها

ونحن نحث الشعب العربي والعارفين باللغة العربية من كل من يصلي الى القبلة من سائر الشعوب على الاشتراك في هذه الجريدة وشد أزرها، ونحث أرباب الاقلام منهم على مواصلتها بما تجود به قرائحهم من المقالات والاخبار والآراء المفيدة للجامعة العربية أو للامة الاسلامية ، ونحمد الله تعالى أنه لا تنافي بين المصلحتين لاسلامية والعربية كما بينا ذلك في مقال في كنه المسألة العربية ضاقت عنـه أجزاء المنار الماضية وهذا

الجزء أيضاء وسينشر عند أول فرصة ان شاء الله تعالى،وأما العصبية التركية الطورانية التي قام بها الاتحاديون ووقفوا مال الدولة ونفوذها على تأييدها فهي تنافي الاسلام وتعارضه وذلك بديهي في نفسه وسنعيد ما نشرناه في تأييده بما يزيده إيضاحا وظهورا

وقد كان الواجب على المنار ان يبادر الى تقريظ هذه الجريدة في أول جزء صدر منه عقب ظهورها خلافا لعادته في إرجاء تقريظ المطبوعات ، ولكن لكل أجل كتاب ، وإنما صرحنا بهذا ليعلم قراء المنار في الاقطار أن تأخيرنا لتقريظها لم يكن لقلة العناية بشأنها ، اذ نبهنا الى ذلك ما كتبه الينا بعضهم في السؤال عنها حتى من بعض مهاجري السوريين في أمريكة

(مجلة الاحكام الشرعية)

مجلة قضائية شرعية مشهورة ومنشئها حسن بك حماده المحامي الشرعي مشهور أيضا فلا حاجة الى التعريف بهما ، وقد كانت المجلة حجبت عن قرائها في أثناء سنتها التاسعة بسبب تعيين منشئها مفتشا بنظارة الاوقاف في الآستانة ثم انه أعاد اصدارها في العام الماضي فأتم مجلد السنة العاشرة واستمر على أصدارها وقد صدر العدد الاول من مجلد السنة الحادية عشرة في منتصف المحرم مشتملا على مقدمة مختصرة وتسع قرارات شرعية وحكمين وثلاث قرارات للمجلس الحسبي العالي وسبع منشورات من وزارة الحقانية

وقد صارت المجلة وافية بحاجة المحامين الشرعيين وأصحاب القضايا والمباحث القضائية الشرعية بما تستوعبه من نشر الاحكام الشرعية ومنشورات الحقانية للمحاكم الشرعية وقرارات المجالس الحسبية ولذلك كثر الاقبال عليها من جميع جهات القطر فنهنئ صديقنا منشئها ونتمنى له دوام التوفيق والارتقاء

(الثمرات)

جريدة أسبوعية أدبية انتقادية لمنشئها حسن أفندي السندوبي المشهور في عالم الادب بمقالاته في المؤيد و بكتابه (أعيان البيان) أصدرها في العام المنصرم ولم يمض في سيره لاسباب ذكرها ، وقد أعاد اصدارها في هذا العام فنرجو لها الرواج . وقيمة اشتراكها ١٠٠ قرش في القطر المصري

﴿ رحلة الحجاز ﴾

ضاق هذا الجزء عن نشر شيء من رحلتنا الحجازية وموعدنا الاجزاء الآتية

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ صفر ١٣٣٥ — ٤ الجدي (ش ١) ١٢٩٥ هـ ش ٢٥ دسمبر ١٩١٦

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعدذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بماشاء من الألقاب ان شاء . وانّنا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ هل البسملة آية من كل سورة أم لا ﴾

(س١٠) من صاحب الامضاء في العلاقمة (شرقية)

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية الله مباركة طيبة وسلامه عليكم . و بعد فلما دلني فضلكم وهداني الاطلاع على ماخط يراعكم الى ساحة بحركم الذي يغترف منه القاصي والداني سجال العلوم والمعارف فترتوي به الظماء ويسترشد به المسترشدون — تلك مجلة المنار الغراء التي تنفجر ينابيع الحكمة من بين سطورها — بعثت اليكم رسالتي هذه أستفتيكم في مسألة متعلقة بالبسملة طال بين الائمة النزاع والمجادلة فيها ، وتلك المسألة هي هل « بسم الله الرحمن الرحيم » آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا ؟ اختلفوا فيها فذهب كل فريق الى شق من شقي ذلك الاستفهام ونصب على ما يدعيه الدلائل، غير أنه بالاطلاع على شواهد كل يعلم أنها لا تنتج مدعاه ، فلقد تركوا الامر مريجا وظل كل يعول على ترجيح مذهبه كائنا ماكان ، غير مبال بسرد الاحاديث المتعارضة، ونقل الآثار المتناقضة، صحيحة كانت أم ضعيفة . قالوا انعقد الاجماع على أن البسملة آية من القرآن ، ويروى ضمن أدلة فريق أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما « من ترك البسملة فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله عز وجل » مع تصريحهم بأنه لاخلاف في أن البسملة ليست آية من (براءة) حتى لقد نقلوا الاجماع على ذلك ، فبين ماروي عن ابن عباس وبين ذلك التصريح التناقض الظاهر ، إذ مقتضى قوله

مائة وأربع عشرة آية أنها آية حتى من (براءة) وفي الادلة من ذلك التناقض كثير لهذا لم يهتد طالب الحق اليه فبعثت اليكم عسى أن توافوني ببيان شاف وقول فصل تطمئن اليه النفس، كما هو المعهود فيكم لمثل هذا الموقف ، أمدكم الله بسديد الرأي ، وأعانكم على ما يرفع الاسلام وينفع المسلمين ويعزز الحق، إنه هو العزيز الحكيم .؟

احمد عطية قوره

(ج) في المسألة أدلة قطعية وأدلة ظنية ، والقاعدة في تعارض القطعي مع الظني أن يرجح القطعي اذا تعذر الجمع بينه وبين الظني، ولولا التعصب للمذاهب من قوم وللاسانيد من آخرين لأجمع المحدثون والفقهاء والمتكلمون على أن البسملة آية من كل سورة غير براءة(التوبة) كما أجمع الصحابة على كتابتها في المصاحف وكما أجمع القراء السبعة المتواترة قراءاتهم على قراءتها واقرائها عند البدء في كل سورة غير براءة — فهذان دليلان قطعيان أحدهما خطي متواتر والآخر قولي متواتر يؤيدهما كثير من أحاديث الاثبات الصحيحة، فوجب ارجاع ما ورد من أدلة النفي الظنية الى الاثبات والا فلا يعتد بها، وان صح سندها . ومنها ترك بعض القراء السبعة لتلاوتها في السورة التي توصل بما قبلها. أما دعوى انها كتبت في المصاحف للفصل بين السور فلوكانت صحيحة لكتبوها بين سورتي الانفال وبراءة (التوبة) أيضا . ومن المعلوم بالقطع ان الصحابة ومن اهتدى بهديهم لم يكتبوا في المصاحف شيئا غير كلام الله تعالى . وأما حديث ابن عباس كان رسول الله (ص) لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم رواه أبو داود والحاكم وصححه على شرط الصحيحين والبزار بسندين رجال أحدهما رجال الصحيح — فهو حجة على ان البسملة كانت تنزل مع كل سورة، لا انها آية كتبت للفصل بين السور بالاجتهاد ، وقد توفي صلى الله عليه وسلم ولم يامر بكتابتها في أول سورة براءة ، وعللوا ذلك بنزولها بنقض عهود المشركين وبالسيف .

وأما أحاديث الاثبات (فمنها) حديث «نزلت علي آنفا سورة — فقرأ — بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر» الخ رواه مسلم والنسائي عن أنس.(ومنها): سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله (ص)؟ فقال كانت مدًا . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم — يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم. رواه البخاري. وفي معناه حديث أم سلمة عند أحمد وأبي داود والدارقطني وقد قرأت الفاتحة كلها بالبسملة. (ومنها) عدة أحاديث لأبي هريرة — قال نعيم المجمر: صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن — الحديث وفيه — ويقول اذا سلم: والذي نفسي بيده اني لأشبهكم صلاة برسول الله (ص) رواه النسائي وصححه ابن خزيمة

وابن حبان والحاكم وقال على شرط البخاري ومسلم، وقال البيهقي صحيح الاسناد وله شواهد (ومنها) قوله عن النبي (ص) كان اذا قرأوهو يؤم الناس افتتح بسم الله الرحمن الرحيم رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات ، ولكن اختلف غيره في عبدالله بن عبدالله الاصبحي من رجاله. ومن الا ثار في المسألة أن عليا كرم الله وجهه سئل عن السبع المثاني فقال: الحمدلله رب العالمين. أي سورة الحمدلله ـ الخ. فقيل له : انما هي ست، فقال بسم الله الرحمن الرحيم. رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات. ومنها انكار الصحابة على معاوية ترك الجهر بها رواه الشافعي عن انس والحاكم في المستدرك وقال على شرط مسلم قال: صلى معاوية بالناس بالمدينة صلاة جهر فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر في الخفض والرفع فلما فرغ ناداه المهاجرون والانصار: يامعاوية نقضت الصلاة، أين بسم الله الرحمن الرحيم واين التكبير اذا خفضت ورفعت؟ فكان اذا صلى بهم بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكبر. ولعل المراد الجهر بذلك والالأعاد الصلاة اذلا يعذر مثله بجهل كون البسملة منها. ويحتمل ان يكون أعادها وان لم يذكر في هذه الرواية.

واما احاديث النفي فاقواها حديث أنس: صليت مع النبي (ص) وابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدامنهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. رواه أحمد والشيخان واصحاب السنن وله ألفاظ اخرى، ومنها: فكانوا لايجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والنسائي باسناد على شرط الصحيح وابن حبان والدارقطني . وفي رواية اخرى نفي السماع لاالقراءة . وفي لفظ لابن خزيمة: كانوا يسرون الخ وقد اعل المثبتون حديث انس هذا بالاضطراب في متنه، وبما روي من اثبات الجهر بها عنه وعن غيره. وقال بعضهم انه كان نسي هذه المسألة فلم يجزم بها. قال ابوسلمة سالت انسا اكان رسول الله (ص) يستفتح بالحمدلله رب العالمين او ببسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال انك سالتني عن شيء ما احفظه وماسالني عنه احد قبلك. الحديث رواه الدارقطني وقال هذا اسناد صحيح

ومن أدلة النفي ماصح في الحديث القدسي من قسمة الصلاة بين العبد والرب نصفين وفسرها (ص) بقوله «فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله عز وجل حمدني عبدي » الخ الحديث رواه مسلم وأصحاب السنن الاربعة . والاستدلال بترك ذكر البسملة فيه على عدم كونها من الفاتحة ضعيف ولو صح لصح أن يستدل به على كون سائر الاذكار والاعمال ليست من الصلاة

والقول الجامع ان النبي (ص) كان يجهر بالبسملة تارة ويسر بها تارة. وقال ابن القيم ان الاسرار كان اكثر. وذهب القرطبي في الجمع بين الأحاديث الى ان سبب الاسرار بها قول المشركين الذين كانوا يسمعون القرآن منه: محمد يذكر إله اليمامة. يعنون مسيلمة الكذاب لانه سمي الرحمن أو أطلقوا عليه لفظ رحمن بالتنكير كقول مادحه* وأنت غيث الورى لازلت رحمانا* وكانوا يشاغبون النبي (ص) بانكار تسمية الله عزوجل بالرحمن كما

علم من سورة الفرقان وغيرها، فأمر (ص) بأن يخافت بالبسملة. قال الحكيم الترمذي فبقي الى يومنا هذا على ذكر الرسم وان زالت العلة. روى ذلك الطبراني في الكبير والأوسط، وذكره النيسابوري في التيسير من رواية ابن جبير عن ابن عباس، وقال في مجمع الزوائد ان رجاله موثقون

وصفوة القول ان أحاديث الاثبات أقوى دلالة من أحاديث النفي. وأولى بالتقديم عند التعارض واذا فرضنا أنها تعادلت وتساقطت أو رجح المنفي على المثبت خلافا للقاعدة جاء بعد ذلك إثباتها في المصحف الامام في أول الفاتحة وأول كل سورة ماعدا براءة (التوبة) وهو قطعي ينهزم امامه كل ماخالفه من الظنيات وقد أجمع الصحابة على ان كل مافي المصحف فهو كلام الله تعالى اثبت كما نزل سواء قرئت الفاتحة في الصلاة بالبسملة جهرا أوسرا أم لم تقرأ، ولا عبرة بخلاف أحد بعد ذلك ولا برواية احد يزعم مخالفة أحد منهم لذلك. ولا حاجة مع هذا الى تتبع جميع ماورد من الروايات الضعيفة والا ثار والآراء الخلافية، ومن ذلك اثر ابن عباس المذكور في السؤال. ولولا التطويل الممل بغير طائل لأوردنا كل ماورد في المسألة رواية ودراية.

﴿ تصحيح وتنقيح في مجلد هذا العام ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠١	٣	وكيلا	وليا	٢٣٦	٢٥	في طريقة	في اطراده وطريقة
«		تأومرّني	تأمرونّي	٣٣٧	٤	تعقلون	يعقلون
٢٠٢	٢	ففتقدها	ففتقناها	٣٣٨	١٨	(وهو	(وهي
«	١٨	الرسل	الرسول	٣٤١	٢٤	أحدا	أحد
٢٠٥	٥	كان ماضره	كان ضره	٣٤٤	٧	أن	أنه
٢٠٧	١٤	تدعو	تدعوا	«	١١	مأخذ	مأخذه
٢٠٨	١٢	على	عليه	٢٤٦	١٦	يقيمون	يقومون
«	١٣	بكل وصف	بكل ماوصف	٢٤٧	١٦	هو	ضعف
٢٠٩	٢١	يا آبانا	يا أبانا	٢٤٨	١٣	صوت الامة	صوت الحق الذي كان له السلطان
٣٣٦	٢٣	الصفة للموصوف	الموصوف للصفة	«	١٤	التي	

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٣٩	٧	ثالثة	ثانية
٢٥٢	٢٣	ومطيعا	مطيعا
»	٢٤	الناطقة	الناطقة
٢٥٣	٢٢	الضمية	الضعيفة
»	١٢	يدعوا	يدعو
٢٥٤	٢٢	عملية	علمية
٣٨٩	٧	الى الكذب	الى رواية الكذب
٣٩٢	٢	ان كانت	اذلم تكن
»	»	آية	أول ما نزل
»	»	والا	
»	٤	فهي	أو هي
»	٦	قد	وقد
»	٢٢	لاذى	لآذى
٣٩٩	١٣	المؤمنون	المؤمنين
»	١٤	عن	بذلك عن

ذكرى المولد النبوي

كتبنا رسالة في ذكرى المولد النبوي الشريف بينا فيها كيفية نشأة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ومعنى اصطفاء الله تعالى له ولاهل بيته ولقومه ولأمته، وحكمة ظهوره في العرب الاميين دون شعوب المدنية في عهده، وخبر البعثة والدعوة الاسلامية. وسنجعل لها مقدمة نبين فيها ما ينبغي بيانه نطبعها معها على حدة — وهذا نص الذكرى —:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم حمد الشاكرين، أن بعثت فينا محمدًا خاتم النبيين والمرسلين، وأرسلته رحمة عامة للعالمين، واختصصت بمنتك به الأميين وسائر المؤمنين، واستجبت به دعوة إبراهيم، وحققت به بشارة عيسى والنبيين (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * — وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)

نحمدُك اللّهمَّ ونصلِّي ونسلِّمُ على هذا النبيِّ الامين، وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا الدين ، ومَنْ تبعهمْ في هداهم وَهَدْيِهم الى يوم الدين

*

أمَا بَعدُ فإنَّ الإحتفالَ بذكرى المولدِ النَّبويِّ في شهرِ ربيعٍ الاول، عادةٌ أحدثها في القرن السابع الملكُ المُظفَّرُ أبوسعيدٍ صاحبُ إِرْبِل ، من البلاد التابعة الآنَ لِولايةِ الْموصل ، ثم انتشرَتْ هذه العادةُ في الأَقطار ، وقدْ بَذَّتْ مِصرُ بها جميعَ الامصار، والفائدةُ التي يَنْبغي أنْ تُتَوخَّى [1] في هذا اليومِ الذي فضَلَ الأَيام، هي التَّذكيرُ بخُلاصَةِ تاريخ النبيِّ عليه أفضَلُ الصلاةِ والسلامِ، ليتذكَّرَ المؤْمنونَ مِنَّةَ اللهِ عليهمْ بِبعثته ، وتَتغذَّى أرواحهُم بزيادة الإيمان وكمال محبتهِ، ويَحرِصوا على إقامة دينهِ وإحياءِ سُنَّته . وَها نحنُ أولاء نُشنِّفُ الاسماعَ بفرائدَ مِنْ نَسبهِ وَحسَبه [2] ، ومَزايا قومه وعشيرته ، وأخبارِ مَولدِه وتَربيتهِ ، وكيفيَّةِ مَعيشتهِ في نفسهِ، وَزَواجهِ وسيرتهِ مع أهلِه، تمهيداً لبيانِ المقصدِ الأَهمّ الأَعظَم ، وَهوَ نَبأُ بعثتهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ؛ مُستمِدِّينَ ذلكَ من الكتابِ العزيزِ والسُّنَّة الثابتة

(١) تتوخى تتعمد وتخص بالطلب والقصد (٢) الحسب ما يعد من مفاخر الآباء

عندَ المحدّثين ، وما تمسُّ الحاجةُ إليهِ مما أثبتهُ ثقاتُ المؤرّخين، مُعرضين عن الرّواياتِ الموضوعات ، والواهياتِ والمنكَراتِ ، التي عُنِيَ الكثيرونَ بنقلِها لما فيها من الخوارق والغرائبِ ، مبالغةً فيما أجازَه العلماء من قبُول الأخبارِ الضعيفةِ في المناقِب ، ولما يُرْجى من حُسنِ تأثيرها في قُلُوب العوَام، معَ الغَفلةِ عمَّا يُخشى من ضدّ ذلك في نابتةِ هذه الأيّام ؛ على أنَّ لنا فيما لا يُحصَى منَ الفضائلِ والمناقبِ المشهُورةِ والمتواترةِ، مايُغني عن جميعِ الرّوايات الضعيفة والمنكرة، وبذلك يُعرَفُ قدرُ الإصلاحِ العظيم ، الذي أرسَلَ اللهُ به هذا النبيَّ الكريم ؛ عليهِ مِن الله أفضلُ الصلاةِ والتسليم

قومه ونسبه صلى الله عليه وسلم

(إنَّ اللهَ اصطفَى آدمَ ونُوحًا وآلَ إبراهيمَ وآلَ عمرانَ على العالَمينَ) إذ جعلَ فيهمُ النُّبوّةَ والهِدايةَ لِلمُتقدّمينَ والمتأخرين؛ ثمَّ اصطفَى كِنانةَ من آل اسماعيلَ بْن ابراهيم، واصطفى قُرَيشًا من كِنانةَ ، واصطفَى منْ قُرَيْشٍ بني هاشم، واصطفَى سيّدَ ولَدِ آدمَ من بني هاشم؛ فكانَ آلُ اسماعيلَ افضلَ الاوّلينَ والآخرين، كما كان بنو إسحاقَ أفضلَ المتوسّطين ، اذ كانتْ هدايةُ الانبياء من بني اسحاقَ وغيرهِم خاصّة ، وهدايةُ هذا النبيِّ من آل اسماعيلَ عامّة ، فبهِ أكملَ اللهُ تعالى الدين، وأتمّ نِعمتَهُ على العالمين ، كما اقتضَتْهُ سُنّتُهُ تعالى في النشوء والارتقاء، التي كانت في البَشرِ أظهرَ منها في سائرِ الأحياء .

كيفَ كانَ اصطفاء الله تعالى لهذه الأصول منَ الأُمَّة العَرَبيَّة ، الذي ثبَتَ في صحيح مسلم وغيره من كُتُبِ السُّنة السَّنيَّة ؟ وبماذا أمتاز قوم خاتم الرُّسلِ الكرام ، فَفَضلوا به غيرهم منَ الأَقوام ، حتى أستعدُّوا به لهـذا الإصلاح الرُّوحيّ المَدَنيّ العامّ ، الذي اشتملَ عليـه دينُ الإسلام ، على ما طَرأ عليهم من الأُمِّيَّةِ وعبادةِ الأَصنام ، وما أحدثت فيهم غلبة البَداوةِ منَ التفرُّقِ والانقِسام ؟

الجواب — :

كانت العربُ ممتازةً بأستقلالِ الفكرِ وسَعةِ الحرِّيَّة الشخصية ، أيامَ كانتِ الأُممُ تَرْسُفُ (١) في عُبُودِيَّة الرياستين الدينيَّـةِ والدُّنيوية ، محظورًا عليها أن تَفهمَ غيرَ ما يُلَقِّنُها الـكهنةُ ورجالُ الدِّينِ منَ الأَحكام الدينية ، وأن تُخالِفَهم في مسألةٍ عقليَّةٍ أو كونيَّةٍ أو أدبيَّةٍ ، كما حُظِرت عليها حُرِّيَّة التصرُّفات المدَنيَّة والماليَّة

كانتِ العربُ ممتازةً بأستقـلالِ الإرادةِ في جميعِ الاعمال ، أيّامَ كانت الامُ مُذَلَّلةً مُسَخَّرَةً للملوك والنُّبلاءِ المالكينَ للرقاب والأَموال ، يَستخدمونها كما يستخدمون البهائم ، ويُصَرِّفونها كما يصرّفون السوائِم (٢) لا رأيَ لها معهم في سِلمٍ ولا حَرْبٍ ، ولا إرادةَ لها في عَملٍ ولا كسب

كانت العربُ ممتازةً بعزَّةِ النفس ، وشِـدَّةِ البأسِ ، وقوة الأَبدان ، وجُرأَةِ الجَنان ، أيّامَ كانت الأُممُ مُؤَلَّفةً مِنْ رؤساء

---

(١) ترسف تمشي مشية المقيد — يشبه تصرفها في استعباد الرؤساء لها بمشي الاسير في قيوده (٢) السوائم المواشي الراعية

أفسدَهم الإسرافُ في الترَفِ، ومرؤسينَ أضعفهمُ البؤسُ والشظف[1]
وسادةٍ أبطرَهم بَغيُ الاستبداد، ومَسُودِين أذلهم قهرُ الاستعباد

كانت العربُ أقربَ إلى فضيلةِ المساواةِ بين الأفراد، من غير شرائع تُحترَمُ بالاعتقاد، ولا قوانينَ تكفلُها قوةُ الأجناد. أيامَ كانت الأممُ تنقسمُ إلى طبقات، يرتفعُ بعضُها على بعضٍ عِدةَ دَرَجات لا بفضائلَ ذاتيَّة، من علميَّة أو عمليَّة، بل بحكمِ وراثةِ الخلْفِ الطالحين[2] للسلف المستكبرين، باستبداد الملكِ أو تقاليد الدِّين

كانت العرب ممتازةً بالذكاء واللوذعيَّة، وكثيرٍ من الفضائلِ الموْرُوثة والكسبيَّة. كقِرَى الضيوف، وإغاثةِ الملهوف، والنَّجدَةِ والإباءِ[3] وعلوِّ الهمةِ والسخاء، والرَّحمة والإيثار[4] وحماية اللاجىء وحرمة الجار. أيامَ كانت الأمم مُرْهَقَةً بالأثَرَةِ والأنانية[5] وَالأنين مِن ثِقَلِ الضرائبِ والأتاوَى[6] الأميرية، ورؤساؤها منغمسينَ في الشهواتِ البهيميَّة، وفسادُ الأخلاقِ قد عمَّ الراعيَ والرَّعيَّة

---

(١) الشظف بفتحتين ضيق المعيشة

(٢) الخلف بسكون اللام الذين يخلفون غيرهم في الشر. والطالحون بالطاء الفاسدين فهوضد الصالحين

(٣) النجدة مضاء عزم يبعث على المضي فيما يعجز عنه غيره. والاباء الترفع عن الخسائس

(٤) الايثار تقديمك غيرك على نفسك بما تحتاج اليه مما تملك

(٥) تقديم نفسك على غيرك ولو بما هو أولى به منك فهي ضد الايثار، والانانية المبالغة في حب النفس الحامل على الأثرة، وهو نسبة الى كلمة « أنا »

(٦) الضرائب جمع ضريبة وهي ما يضرب على العبيد ونحوهم من المال يؤدونه أقساطا، ومنها الجزية، وضريبة الارض الخراج. والاتاوى جمع إتاوة وهي الرشوة، وتطلق على الخراج ونحوه

كانت العربُ قد بلغت أَوْجَ الكمال ، في فصاحةِ اللسان وبلاغةِ المقال ، وكادت تتحدُ لغاتُ قبائِلها أولهجاتُها العربية، وتسودُ المُضَرِيةُ منها على الحِميرية، بما كان لِقُرَيش وغيرها منَ الرحلاتِ التجارية ، والأسواق الأدبيّة ؛ فاستعدَّت بذلكَ لِلوَحدَةِ القومية ، ولِلتأثِرِ والتأثير بالبراهين العقلية، والمعاني الخَطابية والشّعرية ، - وللتعبير عن جميع العلوم الالهيّةِ والشرعيةِ ، والفنونِ العقلية والكَوْنيّة.
أيامَ كانت الأُمم تنفَصِمُ عُرَى وَحدتها بالتعصبات الدينيّةِ والمذهبيّةِ ، وتَتفرّقُ وشائِجها[1] بالعداوات الجنسيَّةِ ، وَتتمَزَّقُ دُوَلُها بالحروب الأَجنبيَّة والأَهلية.

فتلكَ أُمهاتُ مزايا الامة العربية، التي أعدّها اللهُ تعالى بها للبعثة المحمدّية ، والسيادة الدينيّة والمدنيَّة ، بعدَ أن طال العهدُ على مَدَنيّتهم العاديَّة ، واستعمارِهم للبلادِ الكلدانيَّةِ البابليَّةِ ، والبلادِ الفينيقيَّةِ (السورية) والمِصريّة ، التي تشهدُ لها سيادةُ لُغتِهم لِلُّغاتِ الساميّة، وبقاياها في اللُّغة الهيرُوغليفيَّة[2] ، وبعدَ أن غلبَتْ عليهمُ الأُمّية ، وخرَافاتُ الوَثنية ، وعَصبيةُ الجاهلية

وجملةُ مزاياهم أنهم كانوا أسلمَ الناسَ فطرَة، على كون أُمم الحضارة كانت أرقى منهم في كلّ فنٍّ وصِناعة . والاصلاحُ الاسلاميّ مبنيٌّ على

---

(١) الوشيج والوشيجة اشتباك القرابة وتداخل بعضها في بعض وأصله شجر الرماح ونحوه مما يشتبك (٢) أقدم مدنية وحضارة عرفها التاريخ مدنية الكلدانيين والبابليين في العراق والمصريين في مصر والفينيقيين في سورية وقد ثبت لدى بعض علماء العاديات (الآثار القديمة) ان أهلها من بلاد العرب

تقديم إصلاح الانفس باستقلال العقل والارادة وتهذيب الأخلاق، على إصلاح مافي الارض من معدن ونبات وحيوان، أي أن الله تعالى كان يُعِدُّ هذه الامة لهذا الإصلاح العظيم، الذي جاء به محمد عليه من الله أفضلُ الصلاةِ والتسليم

اصطفاء كنانة وقريش وبني هاشم

أما اصطفاء الله لكنانة الشيخ الجليل، من سُلالة نبيّه الذبيح إسماعيل، فيفسّرُه ما كانت تحفظهُ العربُ من أخبار كرَمه ونُبلِه، ومنها انه كان على سنَّة جدّه إبراهيمَ الخليل لايأكلُ وَحدَه. وقدنقلَ الحافظ في شرح البخاري أنهم كانوا يحُجّونَ اليه لِعلمه وفضله. ومما يُؤثَرُ عنهُ من الحِكَم الجَلِيَّة، كما رُوِيَ في السيرة الحلبية: رُبَّ صُورَةٍ تُخَالِفُ المَخْبَرَة، قَدْ غَرَّت بجَمالِها، وَاختُبِرَ قُبحُ فِعالِها، فاحذَرِ الصُّوَرْ، وَاطلُبِ الخَبَر. فهذا دليل على ما وُصِفَ بِهِ من العلم والحكمة، وأما حجُّ العرب اليهِ فهو دليلٌ على أنهُ كان مثابة التعارُف، ومَعقِدَ رَابطةِ الاجتماع والتآلُف.

*

وأما اصطفاء الله تعالى لقريش الميامين الغرّ، وهم ذرّيّةُ فِهر بن مالك وقيلَ جدُّه النَّضر. فقدكان بما آتاهمُ اللهُ من المناقب العظام، ولا سيَّما بعد سكنى مكة وخدمة المسجد الحرام، إذ كانوا أصرحَ وَلَد اسماعيلَ أنسابا، وأشرَفهم أحسابا وأعلاهم آدابا، وأفصحَهُم ألسنةً، وهم المَهّدُون لجمع الكلِمَة. — فقد نقل أهلُ السِّير، أنَّ مالِكَ بنَ النَّضر

كان ملكَ العرَب، وأنّ كعبَ بن لُؤَيٍّ كان يجمعُ قومَهُ وَيعِظُهُم يوم الجمعة، وكانوا يُسمُّونهُ يومَ العَرُوبة، وأنهم كانوا يُجلُّونهُ في حياته، ثمّ انهم أرّخوا بموته، وأنّ قُصَيًّا هو الذي جمعَ شمْلَ قبائلِ قريشٍ بمكة، إذ كان هو الوارثَ لمن كانوا يتَوَلَّوْنَه من خُزَاعة [1] وقد تَملك عليهم فملّكوه، إلا أنهُ قد أقرَّ لِلعرَب ما كانوا عليه . وذلك أنهُ كان يرَاهُ دِيناً في نفسه، لا يَنبغي له تغييرُه ولا لغيره من بعده (قال ابن اسحق) وهو الذي أنشأ النَّدْوَة، وجعل بابها الى الكعبة، وقد أجمعتْ قرَيشٌ على طاعته وحبه، فكانت اليه الحِجابةُ وَالسِّقايةُ وَالرِّفادَةُ وَالنَّدْوَةُ واللّواء، ثم وُزِّعتِ المناصبُ بعده على الزُّعماء [2]

(١) قد كان ذلك بتزوجه لحبّى بنتِ حليل الذي كان آخر من ولي منهم . قال ابن اسحق : فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قصي انه أولى بالكعبة و بأمر مكة من خزاعة و بني بكر . وان قريشا قرعة اسماعيل ابن ابراهيم وصريح ولده ، ثم قال بعد بيان ما كان في ذلك من أمره . فولي قصي البيت وأمر مكة . الخ

(٢) كان لقريش من المناصب غير تلك الخمسة . الاشناق والعمارة والسفارة والأعنة والقبة ، والأموال المحجرة للمعبودات كالاصنام ، والايسار الذي منه الاستقسام بالأزلام، الذي يرجح به بين الاقدام والاحجام. وقد مابهم عليها الاسلام: (فالحجابة) هي السدانة أي خدمة المسجد الحرام . (والسقاية) توزيع الماء المحلى والقراح على جميع الحجاج . (والرفادة) إسعاف الفقراء والمساكين . ولا سيما الحجاج المنقطعين . (والندوة) الشورى لاجالة الرأي في الامور العظام . التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للائتمار بالنبي عليه الصلاة والسلام . (واللواء) راية قريش وكانت تسمى العقاب ، (والأشناق) تحمل الديات والمغارم . لمنع انتشار التعادي والتخاصم . (والعمارة) حفظ بناء المسجد الحرام قيل وحفظه من اللغط وهجر الكلام (والسفارة) المراسلة بين فريقين في شأن من الشؤون العامة، كالقتال أو المفاخرة . (والاعنة) قيادة الفرسان في أيام الطعان أو الرهان ،(والقبة) الخيمة الرسمية التي تنصب وقت الحرب . ويجتمع فيها ما يجهز به الجيش

وأفضلُ من ذلك كله ما وُفِّقوا له في حَداثة الرّسول. منَ التَّحالُفِ الذي عُرِفَ بحِلفِ الفُضول، إذ تعاقدُوا وتعاهدُوا أن لا يجدُوا بمكةَ مَظلوماً إلا قاموا معهُ، وكانوا عَوْناً لهُ على مَن ظَلمهُ، الى إن تُرَدَّ مَظْلَمتُهُ. وفي حديث الزُّبير بن العوَّام عند الطبرانيّ، ومثلهُ حديثُ أمّ هانئٍ في معجمه الأوسطِ كتاريخ البخاريّ «فَضَّل اللهُ قُريشاً بسبعِ خِصال: فضَّلهُم بأنهم عَبَدُوا اللهَ عشرَ سنينَ لا يَعبدُ اللهَ الا قُرَشيّ[1] وفضلهم بأنه نَصرَهُم يومَ الفِيل وهم مشركون. وفضلهم بأنه نزّل فيهم سورةً من القرآن لم يدخلْ فيها أحد من العالمين. — وهي لإيلافِ قُرَيش — وفضلهم بأن فيهمُ النبوةَ والخِلافةَ، والحِجابةَ والسقاية»

كان ذلك كلُّهُ من ارتقاء قريشٍ واستعدادِ العرب للاسلام، ولكنَّ هذه القوى المعنويّةَ كلَّها وُجِّهت لمعاداته عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام

*

وأما اصطفاء الله تعالى لِبَني هاشمٍ، فقد كان بما امتازوا بهِ منَ الفضائلِ والمكارمِ، فقد رَوى أبونُعيم مِن حديث المستَوْردِ الفِهريّ رضي الله عنهُ « إنَّ فيهم لَخِصالاً أربعاً: إنهم أصلَحُ الناسِ عندَ فِتنة، وأسرعُهم إقامةً بعد مُصيبة. وأَوْشكُهُم كرّةً بعد فَرَّة، وخيرُهم لمسكينٍ ويتيمٍ، وأمنعُهم من ظلمِ الملوك». وكان جَدُّهم هاشِمٌ صاحبَ إيلافِ

(١) أي لا يعبده و يوحده أحد الا أناس منهم إذ كانوا على ملة ابراهيم وكانت الوثنية قد شملت العرب كلهم كما شملت غيرهم

قُرَيش ، الذي أخذ لهمُ العهدَ من قيصر الروم على حمايتهم في رحلة الصيف ، ورُوِيَ أنهُ هو الذي سَنَّ الرحلتين ، وأخذ العهودَ بها من الحكومتين ، حكومة اليمن العربية ، وحكومة الشام الرومية ، فاتسعت بهما معيشةُ قريش ، وأمنوا في تجارتهم من كل خوف ، وقد امتنَّ الله عليهم بذلك في القرآن ، بما عُدَّتْ بهِ التجارةُ من أشرف أعمالِ الإنسان ، وإنما أُطلِقَ لقب هاشمٍ على عمرو بن عبد مَناف ، لأنهُ أولُ من هشمَ الثريدَ للمُسْنِتينَ العِجاف[1] ، وكانَ يُشبعُ منهُ كلَّ عامٍ أهلَ الموسم كافةً ، كما أشبع منهُ قومَهُ في سنةِ القحطِ والمجاعة ، على أن مائدتهُ كانت مَنصوبةً لا ترْفعُ في السراء ولا في الضراء ، وزاد عليهِ ولدُه عبدُ المطلبِ فكان يُطعمُ الوحشَ وطيرَ السماء ، وكان أولَ من تحنثَ بغارِ حراء ، ورُوِيَ أنهُ حرّم الخمرَ على نفسهِ ، وجعلَ ماء زمزمَ للشرب فحرّمَ أن يُغتسلَ به ،

فجملةُ ما امتاز بهِ آلهُ صلى الله عليهِ وسلم على سائرِ قومهِ الأخلاقُ العليّة ، والفواضلُ والفضائلُ النفسيّة ، وكانوا أبعدَ من سائر قريش عن الكبر والأثرة والامور الحربية ، ولذلكَ غُلبوا على الرياسةِ حتى بعدَ الإسلام ، وحكمةُ ذلك ظاهرةٌ لأُولي الأحلام ، فهو أنفى للشبه عن رسالتهِ عليهِ أفضلُ الصلاة والسلام

---

(١) المسنتون اسم فاعل من أسنت القوم أصابتهم السنة والقحط والعجاف جمع أعجف وعجفاء وهم الذين ضعفوا وهزلت أبدانهم ، العبارة مؤخوذة من قول ابن الزبعرى في مدح هاشم :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

سرد نسبه صلى الله عليه وسلم

بَعْدَ هذَا التَّذْكِيرِ بِمَنَاقِبِ قَوْمِهِ، وَالتَّفسِيرِ لاصْطِفَاءِ اللهِ تَعَالَى لِقَبِيلِهِ وَآلِ بَيْتِهِ، نُشَنِّفُ الأَسْماعَ بِنَسَبِهِ المَحْفُوظِ بِالتَّفْصِيلِ، المُتَوَاتِرِ اتِّصَالُهُ بِنَبِيِّ اللهِ إِسْماعِيل، فَنَقُول: هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَاسْمُهُ شَيْبَةُ الحَمْدِ، ابْنِ هَاشِمٍ وَاسْمُهُ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَبُوهُ عَمْرو ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُهُ المُغِيرَةُ، ابْنِ قُصَيٍّ وَلُقِّبَ بِمُجَمِّعٍ إِذْ جَمَعَ قُرَيْشاً فِي تِلْكَ الحَظِيرَةِ ابْنِ حَكِيمٍ الَّذِي لُقِّبَ بِكِلَابٍ وَالكِلَابُ مَصْدَرٌ كَالمُكَالَبَةِ، وَمَعْنَاهُ المُجَاهَرَةُ بِالعَدَاوَةِ وَالمُنَاصَبَةِ، ابْنِ مُرَّةَ وَالمُرَادُ بِهِ الجَلْدُ القَوِيّ ابْنِ كَعْبٍ وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كَعْبِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيّ، بْنِ لُؤَيّ، وَهُوَ تَصْغِيرُ لِوَاءٍ أَوْ لَأَى أَوْ لأْي [1] ابْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ وَمَعْنَاهُ الحَجَرُ الصَّغِيرُ [2] وَهُوَ قُرَيْشٌ عَلَى المُعْتَمَدِ عِنْدَ الجَمَاهِيرِ، ابْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَاسْمُهُ قَيْس، وَالنَّضْرُ هُوَ الحَسَنُ المُشْرِقُ الوَجْهِ، ابْنِ كِنَانَةَ وَمَعْنَاهُ وِعَاءُ السِّهَامِ مِنَ الجِلْدِ، ابْنِ خُزَيْمَةَ وَهُوَ تَصْغِيرُ اسْمِ المَرَّةِ مِنَ الخَزْمِ [3]، ابْنِ مُدْرِكَةَ وَاسْمُهُ عَامِرٌ أَوْ عَمْرو، ابْنِ إِلْيَاسَ وَهُوَ مُخَفَّفُ اليَأْس، ابْنِ مُضَرَ وَهُوَ مَعْدُولٌ عَنْ مَاضِرٍ، وَمَعْنَاهُ اللَّبَنُ الأَبْيَضُ أَوِ الحَامِضُ الخَاثِر، ابْنِ نِزَارٍ مِنَ النَّزْرِ

(١) اللواء معروف واللأى الثور الوحشي ويكنى به عن حسن العينين. واللأي البطء

(٢) الفهر الحجر الذي يؤخذ باليد عادة ويدق به الشيء وقيل مطلقا

(٣) الخزم نظم اللآلئ في السلك

وَمَعْنَاهُ الْقَلِيلُ ، وَلَعَلَّهُ سُمِّيَ بِهِ تَفَاؤُلاً بِقِلَّةِ وُجُودِ مِثْلِهِ فِي ذَلِكَ الْجِيلِ ، ابْنِ مَعَدٍّ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَعْدِ ، وَهُوَ الْجَذْبُ السَّرِيعُ وَالذَّهَابُ فِي الْأَرْضِ ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ وَفِي نَصِيحَةِ عُمَرَ لِلْجَيْشِ ، « تَمَعْدَدُوا » أَيْ تَشَبَّهُوا بِمَعَدٍّ فِي خُشُونَةِ الْعَيْشِ ، ابْنِ عَدْنَانَ ، وَهُوَ مِنْ عَدَنَ بِمَعْنَى أَقَامَ فِي الْمَكَانِ

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « كَانَ عَدْنَانُ وَمَعَدٌّ وَرَبِيعَةُ وَمُضَرُ وَخُزَيْمَةُ وَأَسَدٌ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا تَذْكُرُوهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ »(١) وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مَرْفُوعاً « لَا تَسُبُّوا مُضَرَ وَلَا رَبِيعَةَ فَإِنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ »(٢) فَهَذَا مَا كَانَ يَسْرُدُهُ الرَّسُولُ مِنْ نَسَبِهِ كَالدُّرِّ النَّظِيمِ ، وَهُوَ وَاسِطَةُ عِقْدِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ،

نَسَبٌ تَحْسَبُ الْعُلَا بِحُلَاهُ قَلَّدَتْهَا نُجُومَهَا الْجَوْزَاءُ
حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدَدٍ وَفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ

زواج عبد الله بآمنة والحمل بالنبي وولادته صلى الله عليه وسلم

انْحَصَرَ نَسْلُ هَاشِمٍ فِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَاهُ ، وَوُلِدَ

(١) عزاه الحافظ في فتح الباري الى تخريج أبي جعفر بن حبيب في تاريخه المحبر . قوله وربيعة ومضر أي ابن نزار بن معد ، قوله وأسد هو ابن خزيمة

(٢) قال الحافظ وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد ابن المسيب ، أي ومراسيله أصح المراسيل

لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُو طَالِبٍ وَالْعَبَّاسُ وَحَمْزَةُ وَعَبْدُ اللهِ . وَقَدْ زَوَّجَ عَبْدَ اللهِ آمِنَةَ ابْنَةَ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، وَزُهْرَةُ أَخُو جَدِّهِ قُصَيِّ ابْنِ حَكِيمِ بْنِ مُرَّةَ ، وَقَدْ بَنَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِ أَهْلِهَا وَأَقَامَ مَعَهَا فِيهِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ حَمَلَتْ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَلَمْ تَجِدْ فِي حَمْلِهِ ثِقَلاً وَلاَ وَحَمًا كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُحْصَنَاتِ الصَّحِيحَاتِ الأَجْسَامِ ، وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَرَاسِيلِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، أَنَّ الصَّحَابَةَ سَأَلُوهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هٰذَا الشَّأْنِ، فَقَالُوا يَارَسُولَ اللهِ خَبِّرْنَا عَنْ نَفْسِكَ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا : مَا كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ؟ فَقَالَ « دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ [1] ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ » وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هٰذِهِ رُؤْيَا كَانَتْ فِي الْمَنَامِ، وَلٰكِنَّهَا رُؤْيَا صَادِقَةٌ لاَ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ ، وَصَحَّحَ ابْنُ حِبَّانَ أَنَّ ذٰلِكَ النُّورَ تَمَثَّلَ لِعَيْنَيْهَا حِينَ أَخَذَهَا الْمَخَاضُ فَوَضَعَتْهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ

تاريخ ولادته وخبر رضاعته وحضانته

صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوِيَّ الْخَلْقِ ، جَمِيلَ الصُّورَةِ صَحِيحَ الْجِسْمِ ، وَكَانَتْ وِلاَدَتُهُ فِي عَامِ الْفِيلِ ، فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ أَوِ

(١) أي أنا مصداق دعوته التي حكاها الله عنه في قوله(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) الآية — ومصداق بشرى عيسى برسول يأتي من بعده

التاسعة من شهر ربيع الأول الموافقة للعشرين من شهر إبريل ، وكان ذلك العام هو الحادي والسبعين بعد الخمس مئة من مولد المسيح عليهما الصلاة والسلام ، وقد توفي والده وهو حمل ، فكفله جده شيبة الحمد ، فأرضعته أمه ثلاثة أيام ، وكذا ثويبة مولاة أبي لهب عدة أيام ، وكانت نساء قريش لا يرضعن الأولاد فعهد جده بإرضاعه إلى حليمة السعدية ، وجعله في قبيلتها بالبادية لينشأ في العيشة الخلوية ، ثم ردته حليمة إلى أمه بعد أربع سنين ، فحضنته إلى أن توفيت وله ست سنين ، فأصبح ﷺ يتيم الأبوين ، فكفله بعدها جده عبد المطلب سنتين ، ثم توفي بعد أن أوصى به أبا طالب عمه ، فحاطه بعنايته كما يحوط ولده وأهله ، إلا أنه كان لفقره يعيش عيشة القشف ، فلم يتعود صلى الله عليه وسلم نعيم الترف ، وذلك من عنايته تعالى بتربية هذا المصلح العظيم ، عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم

معيشته في الحداثة وكسبه وزواجه

صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يتيماً ، ونشأ في قومه فقيرًا ، ومات والده في سن الشباب ، لم يترك له مالا إلا خمسة جمال وبضع نعاج ، وكان قد ألف رعي الغنم مع إخوته في الرضاع ، فصار يرعى لأهل

مكة ، فيوفر على كافله أبي طالب بما يأخذ على ذلك من الأجرة ، ثم سافر مع عمه أبي طالب في تجارته إلى الشام ، وله من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام ، وهنالك رآه بحيرا الراهب ، وبشر به عمه أبا طالب ، وحذره من اليهود عليه ، بعد أن رأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم إنه سافر إلى الشام مرة ثانية ، متجرا بمال خديجة تجارة المضاربة ، فأعطته أفضل ما كانت تعطي غيره إذ جاءت تلك التجارة بأرباح مضاعفة ، بل جاءت بسعادة الدنيا والآخرة

كانت خديجة بنت خويلد بن عبد العزى بن قصي ، أعقل وأكمل امرأة في قريش ، حتى كانت تدعى في الجاهلية [الطاهرة] ، لما لها من الصيانة والفضائل الظاهرة ، ولما حدثها غلامها ميسرة بما رأى منه عليه الصلاة والسلام ، في رحلته معه إلى الشام ، من الأخلاق العالية ، والفضائل السامية ، وما قاله بحيرا الراهب ، لعمه أبي طالب ، تعلقت رغبتها بأن تتخذه بعلا ، بل ترقت أفكارها إلى ما هو أعلى (*)

(*) روى الفاكهي في كتاب مكة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب فاستأذنه أن يتوجه الى خديجة ، فأذن له وبعث بعده جارية يقال لها نبعة ، فقال انظري ما تقول له خديجة ، قالت نبعة فرأيت عجبا : ما هو إلا أن سمعت به خديجة فخرجت الى الباب فاخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها ، ثم قالت بأبي أنت وأمي والله ما أفعل هذا الشيء ، ولكني أرجو ان تكون أنت النبي الذي ستبعث ، فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الإله الذي يبعثك لي ، =

فَتَمَّ ذَلِكَ الزَّوَاجُ الْمَيْمُون ، وَكَانَ هو ابْنَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَهِيَ ابْنَةُ أَرْبَعِين، وَتُوُفِّيَتْ بَعْدَ الْبِعْثَةِ بِعشرِ سِنِين، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ صلَّى اللهُ عليْهِ وَسلَّمَ علَيْها ، وَلا أَحَبَّ أَحَدًا مِثْلَها ، وَكانَ طُولَ عُمْرِه يَذْكُرُها، حتَّى كانت عَائِشةُ تغَارُ منها وَلَمْ تَرَهَا ، قَالَتْ مِنْ حدِيثٍ لَها : فَذَكَرَها يَوْماً مِنَ الْأَيَّام، فأَخذَتْنِي الْغَيْرَةُ فقُلْتُ لَهُ عليْه الصَّلاةُ وَالسَّلام : هَلْ كانتْ إِلاَّ عَجُوزاً قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ خيْراً مِنْهَا ؟ فَغضِبَ ثُم قَالَ « لاَ وَاللهِ ما أَبْدَلَني خيْرًا مِنْهَا ، آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاس ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاس ، وَوَاسَتْنِي فِي مَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاس ، وَرَزَقَنِي اللهُ مِنْهَا الْوَلَدَ دُونَ غيرِهَا مِنَ النِّسَاء »[1] وَفي صَحِيحِ مُسلِمٍ عنْهَا « إِنَّها

= قالت فقال لها « والله لئن كنت أناهو قد اصطنعت عندي ما لاأضيعه أبدا ، وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبدا » ويؤيد هذا ماورد في كيفية بدء الوحي في الصحيح، ان خديجة قالت له حين خاف على نفسه عاقبة ما أصابة من الجهد، عند ما ظهر له الملك ، « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » وكذا ماثبت من أنها كانت تعد له الزاد ، لينقطع الى التحنث في غارحراء، وروى الواقدي بسنده الى نفيسة بنت أمية أخت يعلى قالت:كانت خديجة امرأة شريفة جلدة كثيرة المال ، ولما تأيمت كان كل شريف من قريش يتمنى ان يتزوجها ، فلما سافر النبي (ص) في تجارتها ورجع بربح وافر رغبت فيه ، فأرسلتني دسيسا اليه ، فقلت له ما يمنعك ان تتزوج ؟ فقال « مافي يدي شيء » فقلت فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة ؟ قال « ومن ؟ قالت : خديجة ، فأجاب

(١) وفي رواية اذ حرمني أولاد النساء. رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وكذا الدولابي في الذرية الطاهرة من طريق وائل بن داود - وقد وثقه احمد - عن عبدالله البهي - وهو مقبول - عنها. قالت عائشة فقلت في نفسي: لاأذكرها بسيئة أبدا

مَا غَارَتْ عَلَى امْرَأَةٍ كَمَا غَارَتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَهِيَ لَمْ تَرَهَا ، وَعَلَّلَتْ ذَلِكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا . قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ « أَرْسِلُوا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ » فَأَغْضَبْتُهُ يَوْماً وَقُلْتُ خَدِيجَةَ ! فَقَالَ « إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا » وَفِي رِوَايَةٍ عَزَاهَا الْحَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ إِلَى الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ « إِنِّي لَأُحِبُّ حَبِيبَهَا »(١) — فَهَذَا هُوَ الْوَفَاءُ الْكَامِلُ اللَّائِقُ بِذَلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، عَلَيْهِ مِنَ اللهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ (له بقية)

مدرسة

دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٦

الالتهاب الرئوي الباسيلي

ذكرنا فيما سبق ان من الميكروبات التي تحدث التهاب الرئة باسيلا اكتشفه [فردلندر Friedländer] وهذا النوع من الالتهاب شديد جدا خطر على الحياة ، ويشاهد ميكروبه كثيرا في حويصلات الرئة، وقد تتقيح منه أو تصاب بالغنغرينة (الموت)

---

(١) كذا في الاصابة . ورواية الاستيعاب عنها : وان كان ليذبح الشاة فيتتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن . والصدائق جمع صديقة

الدوسنطاريا Dysentery

كلمة يونانية وضعها أبقراط ثم عربت ومعناها [مرض الامعاء] ويسمى بالعربية الخالصة (الزحار) لانه يحدث الزحير

وهذا الداء عبارة عن التهاب الامعاء الغليظة أو القولون ، وهو نوعان : —

(الاول) يحدث في جميع بقاع الارض خصوصا في زمن الحرب أو القحط وينشأ من باسيل مخصوص ، وهو النوع المراد بالكلام هنا

و (الثاني) كثير الحصول في بلاد الشرق ، ويمتاز بطول مدته وبتضاعفه بخراج الكبد وبكونه ينشأ من نوع من الاميبا (خلية حيوانية وليست نباتية كيكروب النوع الاول) . وهذا النوع سنتكلم عليه ان شاء الله في باب الامراض التي تنشأ عن الميكروبات الحيوانية

الدوسنطاريا الباسيلية

تنشأ — كما قلنا — من باسيل اكتشفه [شيغا Shiga] في بلاد اليابان سنة ١٨٩٧ وبعد ذلك وجد مثله [كروس Kruse] في ألمانية ، ولذلك يسمى بميكروب [ميكروب شيغا كروس] ثم وجد غيرهما أنواعا أخرى من باسيل الدوسنطاريا مثل [فلكسنر] و [سترنج]

هذا الباسيل عديم الحركة ولا حبيبات له ، والحرارة التي درجتها ٥٨ — ٦٠ سنتيغراد تقتله سريعا وكذلك المطهرات ويعيش في الهواء وفي غيره . ويقتصر وجوده في المرض على أغشية الامعاء المخاطية ولا يصل الى الدم . ومن الجائز أن يبقى في الامعاء مدة بدون أن يحدث ضررا فيها ولكنه في العادة يفرز سما يمتص في الدم ثم يفرز منه بواسطة الاغشية المخاطية للامعاء فيحدث فيها المرض ، ومن هذا السم جزء يؤثر في المجموع العصبي فيحدث التهابا في الاعصاب

الاسباب — هذا النوع من الدوسنطاريا وإن كان كثير الحصول في البلاد الحارة الا انه قد ينتشر في أوقات مختلفة بشكل وبائي في أي بقعة من بقاع الارض . ومما يهيئ الجسم لقبول المرض كل ما يضعف البنية كالتعرض للبرد أو البيئة الفاسدة

الهواء أو الاصابة بحمى النافض (الملاريا) أو إدمان الخمر أو أكل المواد العسرة الهضم كالفواكه غير الناضجة أو المتعفنة وكذلك الازدحام ، ولذلك يكثر انتشار هذا المرض بين الجنود وفي السجون والتكايا ونحوها . ومن مضعفات البنية التي تهيئ لهذا المرض ضعف العقل — ولذلك ينتشر بين المجانين — والامساك المتعاصي

ينتقل الميكروب من المصاب بواسطة البراز الملوث به الى الشراب أو الطعام أو الى الاواني وغيرها فيصل الى أمعاء الآخرين ويحدث فيهم المرض، فهو في عدواه يشبه الحمى التيفودية سواءً بسواء. ومما ينشره أيضا بين الناس الذباب والعواصف، فانها تنقل الميكروب من البراز وتثيره مع الغبار الى الطعام أو الشراب وغيرهما . ولهذا الداء أيضا حملة أصحاء كالذين ذكروا في باب الحمى التيفودية والدفثيريا

الاعراض — مدة التفريخ تتراوح بين بضعة أيام وأحد عشر يوما. ويبدأ المرض بالاسهال فيتبرز المصاب من مرتين الى ست برازا سائلا مصفرًّا أو يميل الى السمرة ويحس بألم في بطنه وتوعك عام وفقد في شهوة الطعام . وبعد ثلاثة أيام أو أربعة تكثر فجأة مرات التبرز حتى تصل الى عشر أو عشرين بل أربعين فستين أو أكثر. ويكون قدر البراز في كل مرة قليلا جدا يخالطه مخاط ومصل ودم وصديد وبعض أجزاء من الغشاء المخاطي للامعاء، وقل أن يشاهد فيه شيء من مواد البراز الطبيعية، وقد يكثر النزف حتى يتبرز المصاب دما خالصا بسبب احتقان الغشاء المخاطي وتمزق عروقه في أول الامر ثم بسبب تقرحه بعد ذلك ، ويكون له رائحة مخصوصة، ويشتد المغص ويكثر الزحير ويلتهب باب البدن (الشرج) ويكثر بسبب ذلك التبول أيضا أو يحصل فيه الزحير أيضا فيميل المصاب الى إخراج بوله نقطة فنقطة بحيث لا يمكنه الصبر على تجمع القدر المعتاد من البول في المثانة

وهذه الاعراض تؤثر في بنية المريض فينحف ويضعف ويصفر لونه ويبيض لسانه وترتفع حرارته ويصيبه الصداع والدوار والاقياء والعطش .

وفي الحالات البسيطة تخف وطأة المرض بعد ثمانية أيام أو عشرة، أما في الحالات الشديدة فتزداد الاعراض حتى تنهك قوى المريض ويتقرح الشرج وما حوله من المقعدة، ويصاب بالهمود فتغور عيناه وتزرق أطرافه ويضعف صوته ونبضه حتى يموت

ويكثر في أول الاعراض أن يصاب الشخص بالقيء و يستمر معه بشدة حتى النهاية . ويقل البول أيضا ولكن لا يوجد فيه زلال غالبا

وفي بعض الاصابات يزمن المرض فيكون البراز أحيانا طبيعيا وأحيانا مركبا من مخاط وصديد ودم مع الرائحة المخصوصة المذكورة ، وتستمر تلك الحال أشهرا عديدة ، أو سنوات كثيرة فينحف المريض ويضعف وقد يموت — اذا لم يعالج — بنهاكة القوى أو بالمضاعفات كالالتهاب البريتوني من انخراق الامعاء ، أو يصاب بضيق فيها بسبب انقباض آثار التحام القروح

وقد وصف [القصطلاني Castellani] (وهو عالم إيطالي شهير له مؤلف ضخم في أمراض البلاد الحارة باللغة الانكليزية) نوعا من هذا المرض سماه [الپارادوسنطاريا] وهو أخف من الدوسنطاريا المعتادة وله باسيل قريب من باسيلها

و يحدث المرض بسبب تأثير سم الميكروب في أنسجة القولون كما قلنا أثناء افرازه من البنية فتموت أجزاء من الغشاء المخاطي وغدده و بعض الانسجة العضلية التي في جدر الامعاء فتتقرح وقد يصل الالتهاب والتقرح الى الغشاء البريتوني فيلتهب ويلتصق بأجزاء أخرى أو يخترق ويكون سببا في الموت السريع

زد على ذلك ان المعدة والامعاء الدقاق قد تصاب أيضا بنزلة وتلتهب غدد المساريقا وتنتفخ الكبد وتحتقن

المضاعفات — التهاب الاعصاب بسبب تأثير السم فيها والتهاب المفاصل والاخرجة في أجزاء الجسم المختلفة والالتهاب البريتوني من الانثقاب والنزف المعوي الشديد

الانذار — عدد الوفيات من ٣٠ الى ٨٠ ٪ ومما ينذر بالخطر سقوط أجزاء كثيرة من أغشية الامعاء في البراز والنزف الشديد وكثرة القيء والهمود . والمرض قتال للاطفال والشيوخ والضعفاء ومدمني الخمر

المعالجة — يجب على المريض أن يلتزم الراحة في الفراش ويتدثر جيدا حتى يدفأ وتخصص له آنية التبرز فيها لكيلا يتعب نفسه في الانتقال . ويكون غذاؤه سائلا سهل الهضم مشتملا على المواد التي يحتاج اليها الجسم ، فيعطى له اللبن خالصا

أو ممزوجا بماء الجير ويعطى له المرق، ولا بأس من تحلية اللبن بالسكر أوخلطه بقليل من النشاء الصافي الذي يطبخ به، أو اعطاؤه اللبن الخاثر (لبن الزبادي) ولا يجوز أن تكون هذه المواد شديدة البرودة فانها تهيج الامعاء، والافضل أن تدفأ

وتبدأ المعالجة الدوائية باعطاء المسهلات كزيت الخروع أو الملح الانكليزي وهو الافضل، ومن الاطباء من يعطي هذا الملح بمقادير صغيرة كدرهم كل ساعة ليلا ونهارا حتى تكثر مواد البراز ويزول منها الدم والمخاط وتنخفض الحرارة ويزول الالم والزحير. ويمكن الاستمرار على تعاطي الملح بهذه الكيفية يوما أو ثلاثة، ومن النادر أن يحتاج الى أكثر منها، ثم يكمل العلاج باعطاء مركبات البزموت[1] والافيون وبعض المطهرات كالسالول

ويجوز في الحالات الشديدة حقن المريض بالمصل المضاد للزحار كمصل معمل [لستر Lister] فيحقن منه ٢٠ سنتيمترا مكعبا مرتين في اليوم في الاحوال المعتادة، وفي الاحوال السيئة يجوز الحقن الى ثلاث أو أربع مرات، ويتكرر ذلك مدة يومين أو ثلاثة. وقد اكتشف حديثا بعض كيماوي مصر حقنة أخرى يقال إنها نافعة كثيرا

والحقن في الشرج نافع في كثير من الحالات، فيحقن الماء المغلي بعد أن تصير حرارته فوق حرارة الجسم الطبيعية بقليل جداء ويحقن كذلك دافئا محلول البوريك ١٪ أو محلول حامض الصفصافيك بنسبة واحد الى خمسمائة وغيرهما . وحقن محلول ملح الطعام الدافئ بنسبة ٧ الى ألف نافع جدا، ومقدار ما يحقن في كل مرة لتر . وهنالك محقونات كثيرة لا حاجة الى استقصائها

فاذا اشتد الالم والزحير يلبس في الشرج أقماع مركبة من الافيون أو المورفين[2] مع زبدة الكاكاو، ومحلول ملح الطعام المذكور نافع أيضا لازالة هذا الزحير، والجلوس في الماء الساخن مريح أيضا من الزحير، وكذلك وضع اللبخ والكمادات الساخنة ونحوها على الشرج . والافيون يسكن ألم البطن واللبخ الساخنة . واذا

---

(١) اسم لعنصر معدني شهير، وهو مشتق من كلمة ألمانية مجهولة الأصل

(٢) اسم لمادة فعالة في الافيون وهي أهم ما فيه، والكلمة يونانية مشتقة من اسم إله النوم أو الاحلام عندهم

أصاب المريضَ الهمودُ أعطي المنعشات المنبهات كالقهوة والشاي والخمر، وغير ذلك مما ذكر مرارا

فاذا تحسنت الحال يزاد طعام المريض تدريجا كأن يأكل قليلا من الخبز الهش الاسفنجي الجاف واللحم المفروم جيدا، وهكذا يزاد الطعام حتى يصير كالمعتاد. وفي طور النقاهة يعطى له مركبات الحديد والمواد المرة كالكينين بمقادير صغيرة لتقويته

الوقاية — تكون بما يأتي (١) بعزل المرضى وتطهير مواد برازهم بالمطهرات الطبية أو بحرقها ويجب أن تغطى أوانيها بخرقة مبتلة بمحلول مطهر منعا من نقل الذباب للعدوى (٢) بمنع الناقهين من الاختلاط بالناس حتى تعلم طهارة برازهم من الميكروب بعد البحث البكتيريولوجي ثلاث مرات في ثلاثة أسابيع (٣) بالبحث عن الحملة الاصحاء اذا انتشر الوباء في مكان وعزلهم ومعالجتهم بالمطهرات للامعاء أو بالحقن باللقاح ونحو ذلك حتى يزول الميكروب منهم. وهؤلاء الحملة هم من كانوا أصيبوا بالزحار أو اختلطوا بمصاب به (٤) بامتناع الاصحاء من شرب أي ماء الا بعد غليه أو ترشيحه ومن أكل أي شيء الا بعد غليه أو إزالة قشره أو غسله جيدا بالماء المغلي أو المذاب فيه كبريتات الصوديوم الحمضية كما سبق. ولا يجوز استعمال الماء غير المغلي حتى لغسل الاواني أو للضوء (٥) بتجنب المواد العسرة الهضم والمسببة لاعتقال البطن، وكذلك يتقى البرد. (٦) بابادة الذباب بقدر الامكان، وتنظف الطرق وترش جيدا حتى لا يثار غبارها (٧) من العلماء من يشير على الاصحاء اذا خافوا العدوى بعمل اللقاح، وهو عمل محمود وقد افاد في كثير من الاحوال، وأشهر من أشار بذلك القصطلاني

أمراض الفطر

داء مادُورَا — أو — قدم مادورا Madura Disease

هو داء منسوب الى مدينة مادورا في جنوب بلاد الهند ويوجد كثيرا في غيرها من البلاد الحارة والمعتدلة

وينشأ من دخول فطر مخصوص في القدم غالبا (وأحيانا في اليد) وقد يصعد

الداء من القدم الى الساق، ومن النادر أن يصيب الجذع، فينمو هذا الفطر في الجزء المصاب وينشأ من تهييجه للمكان أنسجة مخصوصة تشبه الانسجة الحمراء التي تتكون في الجروح ويسميها الاطباء المحدثون (بالازرار اللحمية) ويتقيح المكان المصاب وتتلف أجزاؤه وتتآكل، وقد يصل الداء الى نفس العظام فيحدث بها النخر وتتكون نواصير يخرج منها صديد وحبيبات سوداء أو سمراء وقد تكون بيضاء أو بيضاء مصفرة تبعا لنوع الفطر فان له أنواعا كثيرة. ويكون حجم الحبيبة كرأس الدبوس وقد يكون كبيرا كحبة الحمص. وتتألف الحبيبة من خيوط كثيرة متفرعة ملتف بعضها بالبعض الآخر وهي خيوط الفطر نفسه

فاذا أصيب القدم بهذا الداء ورم وانتفخ أخمصه كثيرا حتى يتحدب فترتفع الاصابع بسبب ذلك عن الارض ويسود الجلد وتظهر به حلمات متعددة ونواصير كثيرة ، فاذا سُبرت قد تُجدها واصلة الى العظام النخرة

واذا أصيبت اليد أصابها ما أصاب القدم. ولا علاج لهذا الداء في أول الامر الا باستئصال الاجزاء المصابة، فاذا أزمن وجب استئصال القدم كلها

وتكون الوقاية منه بتجنب كل سحج أو جرح للقدم بقدر المستطاع وتنظيفها دائما (ومن هنا تظهر بعض حكم الوضوء) ودوام الاحتذاء . فاذا أصيبت القدم بأي جرح وجب تطهيره بالمطهرات الطبية ومعالجته بحسب الاصول الجراحية حتى يشفى تماما اتقاء لهذا الداء ولغيره مما ذكر سابقا كالتيتانوس

السل الكاذب — الأسپارغلوس [1] Aspergillosis

الاسپارغلوس يطلق على فطر ينتشر في بعض أعضاء الجسم فيتلفها . ويشاهد أحيانا في الرئة فيحدث بها مرضا يشبه الدرن حتى قد تتكون فيها كهوف ، ولذلك يسمى هذا الداء بالسل الكاذب . وتكون أعراضه ضيقا في التنفس وسعالا وبصقا ونفث دم . ولا ينتشر الفطر من الرئة الى الاعضاء الاخرى . وقد يشفى من تلقاء نفسه بموت الفطر

(١) كلمة لاتينية معناها المنبث أو المنتشر

يصيب هذا الداء أحيانا مربي الحمام ومطعميه بأفواههم لوجود الفطر في بعض الحبوب التي يضعها المربي في فمه لاطعام الحمام ،

وهذا الفطر قد يصيب أحيانا العين أو الاذن أو الانف أو الجروح والقروح وغير ذلك كانسجة القدم فيتكون به نوع من أنواع الداء السابق (داء مادورا)

الفطر الشعاعي Actinomycosis

أول من وصف هذا الداء في الانسان هو اسرائيل الالماني من أهالي برلين سنة ١٨٧٧ م وفي سنة ١٨٧٨ أثبت [بونفيك Ponfick] أن النوع الذي يصيب الانسان هو عين ما يصيب الانعام

هذا الفطر يكون قطعا ترى بالعين المجردة صفراء أو سنجابية لا معة مستديرة قطرها نحو ١/٤ من البوصة وقد يكون أحيانا ١/١٢ منها، فاذا نظرت هذه القطعة بالمجهر رؤي في مركزها خيوط مشتبكة مع بزور و يتفرع من هذه الخيوط خيوط أخرى فتكون كأشعة النور المنبعثة من السراج وتنتهي بانتفاخ أطرافها . وهـذا الداء يصيب الحيوانات الداجنة ولا ينتقل منها الى الانسان ، وانما يصاب به الانسان والحيوان من أكل بعض الخضر أو الحبوب كالشعير

فاذا دخل الفطر الى الجسم لصق بالغشاء المخاطي للامعاء أو الشعب ثم يثقبها ويصل الى الاعضاء الغائرة فيحدث المرض في أجزاء مختلفة من الجسم ، وذلك بتهييجه للمكان المصاب فيلتهب ما حول الفطر وتتكون أنسجة غريبة كالازرار اللحمية ثم تتقيح وتتأكل وتستحيل الى مِدَّة، فينشأ في أول الامر في العضو المصاب أورام يكون قطرها نحو ثلاث بوصات أو أكثر، وهذه تتأكل حتى تفسد العضو. وينتشر الداء بالمجاورة من وضع الى آخر ، ولكن الفطر قد ينتشر بالاوعية الى أجزاء الجسم البعيدة أحيانا

الاعراض — تختلف باختلاف العضو المصاب وكثيرا ما يبدأ المرض بالفم فيحدث فيه ورم تحت الجلد فوق الفك الاسفل أو فوق حافته يكون صلبا بطيء النمو ثم ينتقل تدريجيا الى العنق .

وقد يضمر جزء من هذا الورم ولكنه يزداد في الاجزاء الاخرى و يمتد حتى يصيب

الجلد نفسه، ويتكون فيه ما يشبه الخراج فينفجر ويخرج منه صديد به حبيبات الفطر، ويتعسر شفاء هذا الجرح بل يتخلف عنه ناسور. والظاهر ان الفطر في هذه الاحوال يصل الى الفك من الاسنان النخرة. وقد يصيب الداء الفك الاعلى ومنه يصل الى قاعدة الجمجمة، وقد يمتد الى المريء فيتقرح منه وتتأكل الفقرات أيضا

واذا أصاب الداء الامعاء ظهر على سطحها المخاطي بقع مبيضة مغطاة بحبيبات صفراء أو سمراء، ويكون قطر البقعة نحو ½ البوصة وسمكها ⅛ بوصة. وقد يثقب هذا الداء الامعاء ويصل الى البريتون. ومن الفطر ما يصل الى الكبد، ومنه ما يصيب الرئة فتلتهب شعبها أو أنسجتها، ومنه ما يصيب الجلد فيدخل من أي جرح أثناء مس الحبوب أو القش، ولكنه قليل الحصول

المعالجة — أحسن دواء لهذا الداء هو [يودور البوتاسيوم] فقد ظهر نفعه فيمن استعمل له من الناس والانعام، ويجب إعطاؤه بمقادير كبيرة حتى تصل الى أربعة دراهم في اليوم. واذا كان الورم في مكان يمكن الوصول اليه أمكننا أن نعاون الدواء في فعله بالعمليات الجراحية كالكحت أو الاستئصال

القُلاع Aphthae

هو أشهر أدواء الفطر وأكثرها حصولا للبشر في جميع الاقطار. يشاهد هذا الداء في الاطفال الضعفاء خصوصا من يربون تربية صناعية أو الذين أصابهم اسهال مدة طويلة، وقد يشاهد أيضا في الشبان والكهول إذا أصابهم داء أنهك قواهم كالسل والسرطان والحمى التيفودية

ويشاهد في المصاب بقع بيضاء لبنية على الأغشية المخاطية للشفتين أو الخدين أو اللثة أو الحلق أو اللسان، وتكون مرتفعة قليلا عن سطح الغشاء ومحاطة بخط أحمر دقيق، فاذا نزعت هذه القطع البيضاء وجد الغشاء المخاطي الذي تحتها محمرا وسال منه قليل من الدم، وبعد زمن قصير قد تتكون البقع عليه ثانية. وهي تتألف من خلايا بشرية مع كريات دهنيـة ومن بزور الفطر وخيوطه. ينمو هـذا الفطر في طبقات الابيثيليوم الوسطى ومنها يمتد الى الطبقات العليا والسفلى. ويصاب الطفل بسببه بالحمى

والاسهال ويكثر لعابه ويتعسر أو يتعذر إرضاعه ، وكثيرا ما يتقرح الشرج بسبب كثرة الاسهال

المعالجة — يجب تحسين صحة المصاب بجميع الوسائل الممكنة. ومن أول ما تجب العناية به معالجة الاسهال. ويجب مسح فم الطفل بخرقة مطهرة مغموسة في الماء العقيم أو في محلول البوريك، ثم يوضع في فم الطفل نحو نصف ملعقة صغيرة من غلسرين البورق مرتين في اليوم أو ثلاثا ، فانه قاتل لهذا الفطر

الوقاية — يجب على الام أن تغسل ثديها بعد كل رضاعة وقبله، وأن لا تضع شيئا في فم الطفل مطلقا الا اذا كان مطهرا بالغلي أو غيره كأدوات اللعب وكالحلمات الصناعية، كذلك لا يجوز مس فمه بالاصابع الا بعد تطهيرها، واذا كان الطفل يغذى بغير لبن أمه وجب تطهير طعامه أيضا بالغلي . وتجب المبادرة الى معالجة كل ما يفسد صحة الطفل كالاسهال أو القيء وغيرهما

الارضة Tinea

تسمى الارضة بالافرنجية تينيا . وهي أنواع كثيرة تنشأ كلها من فطر يصيب الجلد . وهاك أشهر أنواعها :—

(١) الارضة المتنوعة الالوان [Versicolor] تصيب الجلد وتنمو فيه بالعرق والتدفئة، وهي كثيرة الحصول للذكور، ولا تصيب الا الاجزاء المغطاة بالملابس فيشاهد في الجلد بقع مستديرة سمراء مصفرة مرتفعة قليلا عن سطح الجلد وتمتد في أجزاء كثيرة منه، ولا يحدث منها ضرر سوى بعض أكلان

المعالجة — تكون بالاستحمام بالصابون (واحسنه الفنيكي) مع الدلك بشيء خشن ثم يدهن الجسم ببعض المراهم الكبريتية أو الزئبقية ولكن يلاحظ في المراهم الزئبقية أن لا يدهن بها سطح متسع من الجلد خوفا من التسمم. ويجب غلي الملابس وتطهيرها بعد الاستحمام وكذلك أدواته كالفوط وغيرها

(٢) الارضة الحالقة [Tonsurans] وهي تصيب رؤس الاطفال خصوصا الفقراء، وتنتشر في المدارس ونحوها باستعمال الامشاط والقبعات الملوثة بالفطر. وينشأ من

هـذا المرض صلع بالرأس و يتقصف الشعر المصاب، وتكثر بالرأس القشور والهبرية . وتطول مدة الداء، و بعد عدة سنين يشفى من تلقاء نفسه

(٣) الارضة الحلقية [Circinata] تشاهد حلقات الداء غالبا في الوجه والعنق والذراع ، وتكون الحلقات قرنفلية مرتفعة قليلا عن سطح الجلد مغطاة بقشور رقيقة

(٤) الارضة الذقنية [Sycosis] تصيب شعر اللحية على الاكثر فتفسده وتسقطه وتلتهب الذقن بسببها ، وهي عسيرة الشفاء

وعلاج هذه الانواع يكون بنتف الشعر واستعمال النظافة التامة والتطهير بمثل اليود أو الكبريت أو مركبات الزئبق . وعلاجها بأشعة رونتجن مؤكد نفعه سريع التأثير

القراع Favus

داء مشهور يصيب أي جزء من اجزاء الجلد خصوصا فروة الرأس . و ينتقل من شخص إلى آخر بالعدوى، وقد ينتقل الى الانسان من بعض الحيوانات الداجنة كالقطط والارانب والكلاب . وعلاجه يكون بالنتف والتطهير وأشعة رونتجن كما سبق . وينبغي الاعتناء بصحة المصاب بارشاده الى القواعد الصحية ، وإعطائه الادوية المقوية

مبايعة شريف مكة واميرها

على ملك العرب

جاء في جريدة القبلة التي صدرت بمكة في ثالث المحرم فاتحة هذا العام مانصه :

امتلأت قاعات قصر الديوان الهاشمي العالي صباح أمس بجماهير الاشراف الكرام والعلماء الاعلام والاعيان العظام بحيث لم يبق في بلد الله الامين ذو حيثية ومكانة عالية الا وحضر هذا الاجتماع الفخم ليعرضوا على جلالة سيدنا ومولانا المعظم أمنية طالما تمنوا اظهارها من حيز القوة الى حيز الفعل ألا وهي اقناع جلالته

بقبول بيعتهم له ملكا على العرب ومرجعا دينيا لهم ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية

ولما غصت أنحاء القصر العالي بحضرات الاعيان القادمين لهذا الغرض تشرف بالمثول بين يدي جلالة سيدنا المعظم في غرفة أعماله الخاصة حضرة العلامة الورع الشيخ عبد الله سراج رئيس علماء بيت الله الحرام وقاضي القضاة ونائب رئيس الوكلاء الفخام وأنبأ جلالته بحضور هذه الجماهير لعرض بعض المعروضات على مسامعه الكريمة، ولما شرف جلالته قاعة الاستقبال الكبرى في الديوان الهاشمي العالي استقبل رجال الامة تلك الطلعة الهاشمية المقدسة بقلوب طافحة بالمحبة والاحترام والاجلال والاعظام . ثم تمثل حضرة العلامة قاضي القضاة بين يدي جلالته نائبا عن وجوه الامة كما هي عادته في مثل هذه المواقف من القديم فعرض على جلالته الغرض من تشرف المجتمعين بالوقوف بين يديه، وأنهم قد كتبوا عريضة في هذا المعنى يريدون تلاوتها على مسامعه الشريفة فأجابه جلالته بالكلمات الملوكية الآتية :

« انني لم أكن أرى ضرورة شديدة لهذا العمل الذي جئتم من أجله وذلك لما أعلمه من نهوض بلادي بالامر الذي نهضنا به وشدة إخلاصها له وعضها عليه بالنواجذ ، ولم تنحصر هذه العوطف في بلادنا وحدها بل ان لعرب الشام وعرب العراق مثل ما لأهل بلادنا من الحرص على استرداد مجدهم وجمع كلمتهم . وقد وردت لي الرسائل من أعيانهم بذلك ، على أن هذا الامر الذي جئتم اليوم من أجله سينفي كل ماربما يخطر على بال الذين يجهلون حقيقة أحوالنا من الخواطر البعيدة عن مبادئنا وشيمتنا وأصول ديننا وقوميتنا

« وانني أقسم لكم بالله العظيم إنني لم أرد هذا الامر الذي تكلفونني به ولم يخطر على بالي عند ما قمت معكم بنهضتنا السعيدة ، ولكني رأيت كما رأيتم اننا امام خطر عظيم وخطب جسيم ربما قضى علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته »

وهنا ارتفع ضجيج الحاضرين بالدعاء لجلالته، والالحاح بقبول الذي جاؤا لاجله، فقال جلالته :

« انكم حملتموني أمرا أنا أعرف الناس بما يستلزمه من الجهد ، وطالما قلت لكم

اني واحد من جمهور الامة أبرم ما يبرمون من حق، وأرفض ما يرفضون من باطل، وأمد يدي لكل من يتفقون على اسناد أمرهم اليه على كتاب الله وسنة رسوله. واذا كان لا مناص مما أردتموه فاني أشترط عليكم أن تعينوني على أنفسكم، وتساعدوني بآرائكم وأعمالكم في كل مايحقق آمالنا وآمالكم من الخدمة العامة للعرب والمسلمين، واننا نستعين بالله تعالى في كل ما يحبه من قول وعمل وعليه الاتكال في كل حال »

ولما انتهى جلالته من الخطاب الملوكي الذي كان يتخلله دعاء الناس وثناؤهم أخرج حضرة قاضي القضاة العريضة التي أشرنا اليها وأعطاها لحضرة الشيخ عبد الملك مرداد ليتلوها على مسامع جلالته وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملك الحق المبين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامي العربي سيد الخلق أجمعين ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الطيبين ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فان للعرب المنزلة الرفيعة بين الامم لانهم في مقدمة الاقوام الساميين، الذين نشروا في الارض حقيقة التوحيد وهداية الدين ، فدانت الدنيا كلها في كل أزمانها الى ماأراد الله أن يتمه على ألسنة أنبيائهم العظام من الشرائع الالهية، والسنن القويمة والمحامد الاخلاقية والفضائل والكمالات، حتى استنارت الامم بنورهم،واهتدت بهديهم. ولقد فضل الله في كتابه الكريم ولد اسماعيل وآل ابراهيم على العالمين جميعا، وانه قد ثبت في صحيح مسلم أن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفى من بني هاشم نبينا وفخرنا وذخرنا جدكم الاعظم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فبجدكم الاعظم خرجنا من الظلمات الى النور ، و ببيتكم الاقدس كان رشادنا بعد الجهل، وان البيت الذي عدل بنا عن طريق الغواية، الى طريق الهداية؛ لا يزال ملزما بلم شعثنا، وتقويم أودنا، واستلام زمام أمورنا، مهما تجشمتم من العناء لاجل هنائنا، ومهما تحملتم من الجهد لاجل سعادتنا؛ وما كان لنا أن نلجأ لغير البيت الذي اختاره الله عز وجل، ولا أن نصطفي قوما غير الذين اصطفاهم لنفسه . وقد ثبت في صحيح

البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

« ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين»

وانه قال صلى الله عليه وسلم :

« لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم [(١)] اثنان »

فأنتم قريش بل أنتم الصفوة من هاشم، واننا ندين الله تعالى يوم الوقفة الكبرى بين يديه بأننا لا نعلم اليوم أميرا مسلما أتقى لله منكم وأشدخوفا منه وتمسكا بأوامره واقامة لشعائره قولا وعملا، وأقدر على النظر في أمورنا بما يرضي الله عز وجل، ونحن الذين عرفناكم في أيام الرخاء وأيام الشدة و في حالتي السر والعلن

وان حولكم أمة برهنت في أدوار كثيرة من أدوار التاريخ على انها عظيمة المدارك، عالية الهمة، كثيرة الاقدام، حازمة عادلة صبور [(٢)] رحيمة منصفة. ولو ان صفحات التاريخ فقدت من الوجود لكفى في الدلالة على عقلها لغتها التي حيرت أسرارها العقول، وآدابها التي هي خزانة المعارف، وأشعارها التي نظمت لآلئ الحكمة في البوادي القاحلة أيام جاهليتها الاولى، فضلا عما أقامته من معالم الحضارة في كل بقاع الدنيا القديمة مما لا يزال أثره ماثلا للانظار

ان أمة كهذه أثبتت العلوم الحديثة أن تكوين دماغها وارتقاء عقلها لا يقل عن مثله في أرقى الامم ، وبرهن تاريخها على انها أمة جد وعمل وتفنن وحسن سلوك ومكارم أخلاق، تحفظ الجميل لمن يسديه اليها، وتعرف معروف كل من له يد عليها ، لهي أمة تستحق أن تنتشل من قيودها الثقيلة وتنقذ من وصاية فئة سفاكة مخربة جاهلة مغرورة، ليس فيها استعداد فطري للتحلي بشيء مما تحلى به العرب من المزايا والخصائص، والاخلاق والفضائل؛ وان من مظالم عصرنا الفادحة رضاء الامم ببقاء العرب محكومين لتلك الفئة الوضيعة التي تحتاج الى الحجر عليها ، لا أن تكون أمة كأمتنا ذات مجد أثيل وتاريخ مجيد وآداب عالية وفضائل سامية راضخة لوصاياها خانعة

(١) سقط من القبلة لفظ منهم . وفي رواية لمسلم : مابقي في الناس اثنان

(٢) صبور يستوي فيه المذكر والمؤنث ولعله قال صبورة للتناسب بين ما قبله وما بعده اذا لم يكن من غلط الطبع

لجورها، حتى ذاقت صنوف الذل وأنواع الهوان باسم الاسـلام الذي تنقض هذه الفئة كل يوم دعامة من دعائمه. وقد ورد من حديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح :

« اذا ذلت[1] العرب ذل الاسلام »

فنحن ياسيد العرب ومنقذ الاسلام من أيدي أعدائه المارقين، نحمد اليك الله الذي أعزنا بك، ونصر جند الله ببركتك وروحانية جدك صلى الله عليه وسلم، ونتقرب الى الله سبحانه وتعالى بمحاربة من حاربك وموادة من وادك، وان مودة آل بيت الرسول عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام هي الأجر الذي سأله على ما هدانا اليه من سعادتي الدنيا والآخرة حيث قال عز من قائل :

(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى)[2]

فانهض ياسيدنا الى ماشاء الله أن يجريه على يديك من اصلاح شؤننا وولاية أمورنا نحن معاشر العرب الذين يعلقون آمالهم على صلاح دينهم ودنياهم على تبوئك سرير ملكهم

واننا نبايع سيدنا ومولانا (الحسين بن علي) ملكا لنا نحن العرب يعمل بيننا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ونقسم له على ذلك يمين الطاعة

---

(١) في جريدة القبلة ذل وهو غلط فلفظ العرب مؤنث والرواية ذلت

(٢) جرى الشيخ حفظ الله مودته في هذا على قول مشهور في كتب التفسير وفي الآية أقوال أخرى أصحها ما رواه الشيخان والترمذي وأكثر رواة التفسير المأثور عن ابن عباس قال « لم يكن بطن في زمن قريش الا كان له فيهم قرابة فقـال : الا ان تصلوا ما بيني و بينكم من القرابة . وفسر ذلك في رواية أخرى بأن يحفظوا حق قرابته فيهـم بنصره ومنعه ممن يؤذيه (ص) كعادتهم في حفظ القرابة بدلا من إيذائه . وجعل بعضهم النصرة بالايمـان به واتباعه ليكون بمعنى (قل لا أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أي بطاعته كما قال قتادة وصرح بعضهم بان الاستثناء ، هنا منقطع وقد نفي سؤال الأجر بغير استثناء في قوله تعالى (وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين) وقد حكى سبحانه مثل هذا عن المرسلين في هود والشعراء وغيرهما من السور

والاخلاص والانقياد في السر والعلانية، كما اننا نعتبره مرجعا دينيا لنا أجمعنا عليه ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية

نبايعك على هذا ياصاحب الجلالة ونقسم لك بالله العظيم على طاعتك والرضاء بك والانقياد اليك في السر والعلانية . ولك علينا في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقمت الدين، واجتهدت فيما فيه صلاح حال العرب والمسلمين (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيه أجرا عظيما)

غرة المحرم الحرام سنة ١٣٣٥

ولما انتهت تلاوة العريضة أقبلت جماهير أهل الحل والعقد من الاشراف والعلماء والاعيان وكبار التجار وسائر ذوي الحيثيات فبايعوا على ذلك بوجوه مستبشرة وقلوب طافحة بالسرور . ثم تقدم حضرة الفاضل الشيخ فؤاد الخطيب فبسط لدى جلالته آمال سورية العربية وذكر أن أولئك الشهداء الذين سارت بذكرهم الركبان انما ماتوا من أجل الوحدة العربية ، ولتفانيهم في الدفاع عن شمائرهم الاسلامية ، وقال ان سكان تلك الديار جديرون بأن يكونوا من جملة العرب المستقلين المتمتعين برعاية جلالة سيد العرب وملكها . وبايعه بعد ذلك أسوة بسائر العرب على كتاب الله وسنة رسوله

ثم تقدم حضرة الشيخ عبد العزيز مرداد فدعا لهذه الدولة بالعز والسؤدد والارتقاء والفلاح بعناية سيدها ومنقذها جلالة ملك البلاد العربية ، فأمن الحاضرون على كل جملة من دعائه

وقبل انفضاض هذه الحفلة الكبرى تفضل جلالة سيدنا الملك المعظم فأجاب استرحام القوم بتعميم البيعة في المسجد الحرام في وقت مخصوص سنعلن عنه في العدد القادم . وذلك اكراما لخواطر طبقات الشعب الذي أظهر الرغبة بالاشتراك مباشرة مع من قام عنه بالبيعة وناب منابه في أداء واجباتها

وفي آخر الحفلة تلا حضرة الشاعر الاديب الشيخ عبد المحسن الصحاف خطبة أنيقة بصوت جهوري وأتبعها بقصيدة غراء تناسب المقام اهـ

[المنار] ان سبق أهل العلم والمكانة والرأي في مكة المكرمة الى هذه المبايعة

وما تلاها من مبايعة وفود سائر بلاد الحجاز الذي فصلت خبره جريدة القبلة في عدد آخر مبني على ثلاثة أسباب (١) اعتقادهم ان فئة الاتحاديين الملحدة الباغية قد تغلبت على الدولة العثمانية بقوة الثورة والاعتماد على الالمانيين الطامعين في البلاد ووضع الدولة تحت وصايتهم حتى لم يبق للسلطان أدنى استقلال في حكم ولا رأي (٢) ان اعتداء هذه الفئة الباغية على العرب ومحاولتها اهلاكهم كما أهلكت الارمن بغضا فيهم وفي دينهم وامتداد بغيها من الشام الى الحجاز وما ترتب عليه من الحصر البحري قد اضطر أهل الحجاز الى إعلان الاستقلال التام كما بيناه من قبل ، وذلك لايتحقق الا بمبايعة الامة المستقلة لحاكمها أو بتغلبه هو عليها بالقوة، وحكومة الحجاز من النوع الاول المشروع (٣) ان صاحب الحجاز وأهل الرأي فيها يائسون من بقاء استقلال الدولة العثمانية، وجازمون بأنها اما انتكون تحت سيطرة الالمان القاسية واما ان تنحصر سلطتها في بعض ولايات الاناضول ، فبهذا وجب على العرب أن يسارعوا بعد الاستقلال بما استطاعوا من بلادهم الى تعيين شكل حكومتهم المستقلة و يطالبوا الدول المحالفة لهم بالاعتراف باستقلالهم قبل عقد الصلح لئلا تعدهم الدول من أتباع الترك . ونحن قد بينا رأينا في هذه المسألة في خطبتنا التي ألقيناها بين يدي الشريف الاعظم وعلى مسمع كبراء الحجاز والحجاج في منى وسننشرها في المنار

﴿ مبايعة وفود الاقطار الحجازية ﴾

جاء في العدد الرابع والعشرين من جريدة القبلة الذي صدر في ١٠ المحرم ما نصه :

« شهدنا في صباح أول أمس جموع العرب من سلائل مضر وربيعة وقضاعة وقحطان، واخوانهم من مختلف الامم والاوطان ؛ يهرعون من باب الصفا الى بيت الله الحرام ألوفا بعد ألوف، ملبين دعوة دينهم ويقينهم ، ومجيبين نداء وجداناتهم وضمائرهم ، في تقليد أمورهم لاقدر المسلمين على القيام به

« ولما كانت الساعة الثانية عربية كان جلالة الملك المعظم قدجاء من القصر

الملوكي الى مدرسته الملاصقة لبيت الله الحرام فدخل اليه منها يحف به آل البيت الاطهار ، وعلماء الشرع الابرار ، ووجوه الامة الاخيار ، فتنحت الجموع العظيمة لقرة عينها ، وسبب عزها وسعادتها ، وحينئذ أعطى حضرة العلامة صاحب المعالي قاضي القضاة ونائب وكيل الوكلاء عريضة أهل الحل والعقد لحضرة الفاضل الشيخ عبد الملك الخطيب ليتلوها على مسامع من لم يسمعها من جمهور الامة فيكونوا على بينة مما تضمنته من الحقائق الدينية والدنيوية ، فصعد حضرة الخطيب على دكة أقيمت أمام رواق الحرم الشريف وقرأها على الجماهير فقابلوها بالجذل والحبور والفرح والسرور. ثم أقبل حضرة قاضي القضاة على يد حضرة صاحب الجلالة الهاشمية ملك البلاد العربية فبايعه بالصيغة التي نشرناها ضمن العريضة في العدد الماضي من القبلة[1] وتبعه حضرات الاشراف والسادة ورجال الدولة والعلماء والاعيان ووفود البلاد فجماهير الامة على اختلاف طبقاتها . وكان رجال الشرطة يحافظون على النظام بكل دقة وانتباه . وقد رأى حضرة قاضي القضاة بعد أن تشرف بضعة ألوف من الناس بشرف المبايعة السعيدة أن الوقت لا يتسع لاستمرار الالوف الكثيرة في ذلك فطلب منهم أن يجيزوه في أخذ البيعة عنهم فأجازوه اجازة اجماع عام مطلق، فبايع عنهم على مسمع منهم ، ثم صعد حضرة الشيخ عبد الملك مرداد على الدكة فدعا بدعاء بليغ خشعت له القلوب وأمنت عليه الالسنة . وعند ختام الدعاء عاد جلالة ملكنا المحبوب الى المدرسة فلبث فيها برهة، ثم سار موكبه الفخيم الى الديوان الهاشمي العالي وجماهير الامة تهتف له بالنصر والعز والتأييد، وتلاميذ المدارس مصطفة تحت الاعلام العربية المنصورة تنشد أناشيد الحماسة والاستبشار بالمستقبل الباهر السعيد . ولما وصل الموكب الفخيم الى القصر الملوكي العالي أقبلت ألوف الناس من العظماء الاعيان والتجار ومن في طبقتهم للتشرف بالاعتاب الهاشمية . وأخذ الخطباء والشعراء يتبارون في بيان عواطف الامة بهذا العيد الاعظم للعرب والاسلام . »

[المنار] قد نشرت جريدة القبلة ما وصل اليها من تلك الخطب والقصائد فاستغرق العدد كله . وقد ذكرت أسماء أشهر رجال الوفود من جده والطائف

(١) الصواب انه العدد الذي قبله وهو عدد ٢٢

وغيرهما . وقد علمنا أن كثيرا من زعماء العرب وفضلائهم في الجزيرة ومصر قد رفعوا الى ملك الحجاز رسائل التهاني بالبرق وبالبريد

احتضار سورية

— شهادة جريدة المانية —

ترجم أحد مراسلي الجرنال دي كير في جنيف مقالة نشرتها جريدة ألمانية في زوريخ — هي (نيوزوريخر زيتونغ) — في ١٢ اكتوبر الماضي وصفت فيها شقاء سورية ويأسها أو اليأس منها، واننا ننشر ترجمتها بالعربية نقلا عن جريدة الاهرام الصادرة في ٣٠ المحرم لان شهادة الالمان في هذه القضية — وهم أعوان الاتحاديين على تتبير العرب كالارمن — لاتجرح بالكذب ولا الغلو كشهادة غيرهم. وهذا نصها:

« ان الجرائد السورية التي يرقبها الالمان رقابة شديدة صارمة تصف تعاسة تلك البلاد وشقاءها المر المفطر للاكباد ، فاذا ضربنا صفحاً عن قتلى الحرب وجرحاها نجد ان الجوع والاوبئة كالكولرا والطاعون والتيفوس الخ قد أفنت عشر الاهالي ملكيين وعسكريين

« فسورية المعرضة لكل هجوم براً وبحراً والمتصلة بالآستانة بخط حديدي واحد وهو خط « حلب — أطنه » تحملت من ويلات الحرب ما لم تتحمله بلاد أخرى محاربة وإن لم تكن سورية ميداناً للقتال ولم تر المعارك الدموية الا في حدودها الجنوبية ، وهذه المعارك التي جرت لم تغير شيئا من حالة قناة السويس ولا حالة الحرب بوجه من الوجوه وحال من الاحوال

«ولا يذكر التاريخ ان هذه البلاد رأت من النوائب والبلايا منذ غزوة المغول [1]

---

(١) هم التتار السلف الطالح لهؤلاء الاتحاديين الذين تفتخر بهم جمعياتهم الداعية الى العصبية التركية الطورانية حتى صاروا يدعون بالجنكيزيين نسبة الى جنكيز خان الطاغية الملعون الذي دفع قومه الى تدمير بلاد الاسلام ومحو المدنية العربية

الى اليوم بما رأته في هذه الايام . فكثير من الارض لم يزرع والمحصول لا يكفي السكان

« وفي شتاء عام ١٩١٥ بذل بعض السوريين المسلمين والمسيحيين بعض الجهد ليتخلصوا من الحكم التركي الذي ينهكهم ولكنهم لم يفلحوا وكانت النتيجة أنهم ذبحوا جميعا (يدرك القارئ أن الجريدة الالمانية تريد أن تبرر الذبح بزعمها ان اناساً ثاروا على الحكومة مع ان الحكومة التركية لم تقل ذلك)

« وزاد في فناء الاهالي واستئصالهم الجوع والطاعون، وسعت السلطة العسكرية أن تعالج الداء (؟) ولكن العلاج جاء متأخرا وبعد فوات الوقت فلم يكن بالامكان استخدام دواء ينجع ويفيد . وفتحت في القدس ودمشق وبيروت ويافا قاعات الشاي[1] جعل فيها ثمن الشاي والخبز والماء الساخن قليلا أو بلا ثمن للفقراء والبائسين. وتألفت جمعيات للقيام مقام الاطباء في معالجة المرض وتنظيف المنازل والحارات والشوارع وعزل المرضى وتوزيع الادوية التي يستطيعون الوصول اليها .

« ولكن المستشفيات العسكرية ذاتها ليس فيها أضمدة ولا موازين للحرارة ولا أبر للحقن ولا غير ذلك مما يعالج به المرضى . ثم ضاعف الاوبئة وجعلها عامة شاملة الجوع والضيق . وقد كانت عائلات كثيرة تستبقي حياتها بضعة ايام بقشور الليمون والبطيخ والطاطم الى أن يمرضوا جميعا ونعينهم احدى جمعيات البر

« وقد صدق أحد مراسلينا في القدس بقوله « ان أورشليم المقدسة تنقرض الآن المرة الثالثة ولكن انقراضها في هذه المرة هو أتم منه في المرتين السابقتين »

« والحكومة الحالية التي هي ليست مسؤولة كل المسؤولية عما هو واقع (؟) تبذل الآن ما بوسعها لتدارك هذه الحالة (؟) ويعاونها جميع الناس من جميع المذاهب والجنسيات، وقد أهمل الناس جميع فروضهم الدينية خوفا على حياتهم كصوم رمضان عند المسلمين وصوم الصيف عند اليهود وكذلك سلك المسيحيون

« وتجتهد السلطة العسكرية في ان توزع الحبوب بالقسط والعدل والمساواة بين المدن والقرى وتمنع الناس من تخزين الاقوات حتى لا تصعد الاسعار . ووزع جمال

(١) لعل الذين فتحوها هم اليهود لأن أكثر السكان منهم أو الجمعيات الخيرية

باشال حنيثاً على فقراء دمشق ببعض الاكل ولكن الجوع والضيق في المدن الكبرى في حال هائلة لا يستطيع قلم الكاتب وصفهما وتصويرهما للقارئ

« فلا يمكن بحال من الاحوال ان تحول هذه المسكنات الوقتية التي يعالجون بها تلك البلاد دون احتضار الموت والنزع الاخير. فسورية هالكة مائتة لامحالة ، ولا مرد لهذا القضاء عنها ، وسواء بقيت بيد دولتها أو صارت الى يد دولة أخرى فان بعثها من مدفنها أمر مستحيل » .

[المنار] هذه شهادة الالمان لحلفائهم بل عليهم . والتبعة والمسؤلية في هذه الجنايات الفظيعة على هذا الشعب العظيم ليست كلها على حكومتهم الطاغية الباغية وحدها وان كانت أهلكت الحرث والنسل عمدا ، بل يقع سهم كبير منها على استاذتها ألمانية التي علمتها كيف تأخذ من البلاد جميع الرجال القادرين على العمل والصالحين للنسل من سن البلوغ الى سن الشيخوخة وتستعبدهم في أشق أعمال الحرب — وكيف تأخذ ماتنتجه الارض بعمل الشيوخ والنساء والاولاد للسلطة العسكرية مصادرة ونهبا ، ولم تعلمها ان تبقي للاهالي الضعفاء الباقين ما يسد رمقهم وان توزعه عليهم كما توزع هي الاطعمة في بلادها ورضيت منها بالفظائع التي لا تحتاج فيها الى تعليم لأنها غريزة وراثية فيها كقتل العلماء والكتاب ورجال الادارة حتى لا يبقى في البلاد من يعرف مصلحتها ويطالب بها ، وكنفي ارباب البيوتات ونهب أموالهم حتى لا يبقى في البلاد غني يلجأ اليه الفقراء والبائسون في وقت الضراء. ولماذا يموت السوريون جوعا ولم يمت أحد من الالمان جوعا وغلات سورية أكثر من حاجتها وغلات ألمانية دون حاجتها ؟ ولماذا تقطع الغلات العثمانية الفيافي والقفار والجبال والبحار حتى تصل الى ألمانية في قلب أوربة وأهلها يموتون جوعا ؟ ولما تستنزف ألمانية قوة الدولة العثمانية وثروة شعوبها وتسخرها كلها لخدمتها في هذه الحرب ولا تجود عليها بالادوية التي تعالج به مرضاها وعندها من الادوية ما يكفي أمما كثيرة ؟ آلآن تذكرت الصحف الالمانية سورية بالرثاء، والاعتذار عن أحلافهم السفهاء ؟ أبمثل هؤلاء الملاحدة الكفرة الفجرة تريد أن تجذب اليها العالم الاسلامي الى الاتحاد بخدمتها؟ لقد صدق من قال أن الالمان اتقنوا جميع العلوم والفنون، الاعلم طباع الامم واخلاق الشعوب.

باب الشعر والادب

متى يذكر الوطن النوَّم

للشاعر الاجتماعي السوري المقيم فى امريكة وقد نشرت فى صحفها الشهيرة

جلست وقد هجع الغافلون أفكّر في أمسنا والغدِ
وكيف استبدَّ بنا الظالمون وجاروا على الشيخ والامردِ
نخلت اللواعج بين الجفون وأنَّ جهنمَ في مرقدي
وضاق الفؤاد بما يكتم فأرسلت العينُ مِدرارها

......

ذكرتُ الحروبَ وويلاتها وما صنع السيف والمدفعُ
وكيف تجورُ على ذاتها شعوبٌ لها الرتبة الارفعُ
وتخضب بالدم راياتها وكانت تذم الذي تصنعُ
فباتت بما شيدت تهدم صروحَ العلوم وأسوارَها

......

نساء تجود بأولادها على الموتِ والموتُ لا يَرحم
وجند تذود بأكبادها عن الأرض والارضُ لا تعلم
وتغذو الطيور بأجسادها فان عطشت فالشرابُ الدم
وفي كل منزلةٍ مأتَمُ تشقّ به الغِيدُ أزرارها

......

لقد شبع الذئب والاجدلُ واقفرت الدور والاربُع

فكم يقتل الجحفلَ الجحفلُ ويقتك بالاروع الاروع
ولن يرجع القتل من قتلوا ولن يستعيدوا الذي ضيعوا
فبئس الأُلى بالوغى علّموا وبئس الأُلى أججوا نارها

......

أمن أجل أن يسلم الواحدُ تُطلّ الدماء وتفى الالوف
ويزرع أولاده الوالدُ لتحصدَهم شفراتُ السيوف
أمور يَحارُ بها الناقدُ وتدمي فؤاد اللبيب الحصيف
فياليت شعري متى نفهم معاني الحياة وأسرارها؟

......

وحوّلت طرفي الى المَشْرق فلم أر غير جبال الغيوم
تجول على بدره المُشْرقِ كما اجتمعت حول نفسي الغموم
فأسندتُ رأسي الى مِرْفقي وقلت وقد غلبتني الهموم
بربك أيتها الانجمُ متى تضع الحرب أوزارها؟

......

كما يقتل الطير في الجنة ويُقتنص الظبيُ في السَّبْسب
كذلك يجنى على أمتي بلا سبب وبلا مُوجب
فحتامَ تؤخذ بالقوة ويقتصُّ منها ولم تذنب
وكم تستكينُ وتستسلم وقد بلغ السيلُ زُنّارها

......

وسيقتْ الى النّطع سوق النَّعم مغاويرُها ورجالُ الادَب

وكل امرئ لم يمت بالخذِم فقدقتلوه بسيف السَغَب (١)
فما حرك الضيمُ فيها الشمم ولا رؤية الدم فيها الغضب
تبدلت الناسُ. والانجمُ ولما تبدّلُ (٢) أطوارَها

......

أرى الليث يدفع عن غيضته بأنيابه وبأظفاره
ويجتمع النمل في قريته اذا خشي الغدر من جاره
ويخشى الهزار على وكنته (٣) فيدفع عنها بمنقاره
فلا الكاسرات ولا الضيغم ولاالشاةُ تمدح جزّارها (٤)

......

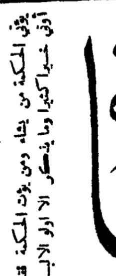
عجبت من الضاحك اللاعب وأهلوه بين القنا والسيوف
يبيتون في وجلٍ ناصبٍ فان أصبحوا لجأوا للكهوف
وممن يصفق للضاربَ وأحبابه يجرعون الحتوف
متى يذكرُ الوطنَ النوَّمُ كما تذكر الطيرُ أوكارها

---

(١) الخذم بوزن كتف السيف القاطع من الخذم وهو القطع بسرعة وفعله بوزن ضرب يضرب . والسغب الجوع
(٢) لو قال تبدلن بنون التوكيد لاستغنى عن ضرورة رفع الفعل المجزوم . والانجم في البيت اما الكواكب وصفها بالتبدل مبالغة أو انواع النبات الذي لاساق له (٣) الوكنة بالضم عش الطائر (٤) يشير الى بعض المنافقين الذين يمدحون هؤلاء المخربين ويعتذرون عن فظائعهم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب





قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٢٩ ربيع الاول ١٣٣٥ — ٤ الدلو (ش٢) ١٢٩٥هـ ش ٢٤ يناير ١٩١٧

رحلة الحجاز

٢

(تابع لما في الجزء الخامس)

ضربت وزارة الداخلية يوم السبت الخامس والعشرين من شهر صفر (الموافق لأول الميزان ٢٣ سبتمبر) موعدا لسفر ركب المحمل المصري من القاهرة الى السويس وآذنت مريدي الحج بأن يكونوا قبل ذلك اليوم في السويس ليأخذوا فيها أهبتهم ويتبوءوا أمكنتهم من الباخرتين اللتين أعدتها لحملهم الى جُدة. وبينا أنا منهمك في الاستعداد للسفر بشراء ماينبغي شراؤه، وترتيب ماتقرر حمله، وإعداد ماتحتاج اليه الدار وإدارة المنار، خطر في بالي أن أكتب رسالة في مناسك الحج أبين فيها أحكامه وحكمها بعبارة سهلة، مأخوذة مما صح في السنة، وأن أطبعها وأحملها معي هدية للحجاج الذين أصحبهم وألقاهم . فشرعت في ذلك وقت الظهر من يوم الاربعاء فكنت أكتب عدة أسطر ثم أترك الكتابة عدة دقائق للاشتغال بشيء ضروري. ثم انني اضطررت

الى ترك الكتابة من ظهر يوم الخميس الى ضحوة يوم الجمعة، ثم قضيت أصيل ذلك النهار وغسق الليل خارج المكتب والدار، فتعذر الجمع بين اكمال المناسك والسفر في يوم الجمعة فأكملت كتابتها في هذا اليوم (الجمعة) فكانت أكثر من كراستين وقد ضاق الوقت على طبعهما قبل السفر، اذ تعين أن يكون آخر موعد له قبل الظهر بساعة من يوم السبت، فاضطررت بعد جمع حروفهما ليلا الى اختصار الاولى بالحذف من عدة مواضع منها، وطبعت بعد ان نمت فلم أتمكن من تصحيحها، فلذلك كثرت أغلاطها، وتعذر على المطبعة أن تجهز لنا ضحوة السبت جميع النسخ فا كتفينا بحمل مئات منها

ركبنا القطار الحديدي مع السيدتين الوالدة والشقيقة قبيل انتهاء الساعة الحادية عشرة من يوم السبت ببضع دقائق، وكان ركب المحمل قد سافر في قطار خاص في أول هذا اليوم، وودعنا في المحطة الاهل والاخوان، وخاصة من علم بموعد سفرنا من الخلان، وقد كنا بلونا لوعة الوداع بتعدد الاسفار، وكان أشجاها وداع الوالدين والاقربين والاصدقاء عند الهجرة الى هذه الديار، ولكنني لم أذق قبل هذا اليوم لوعة توديع الاهل والاولاد لانني لم أكن في حال سفر من أسفاري السابقة زوجا ولا والدا.

﴿ نبذة فلسفية شعرية في الوداع وما فيه تهذيب الطباع ﴾

قرأت قبل سفري الاول كثيرا مما قال الادباء والشعراء في الوداع، وحفظت من أشعارهم ما لايسهل علي أن اتذكره الآن، ولا أحب أن اشغل بالتطويل في هذا الموضوع قراء هذه الرحلة، ولا أن أترك الالمام به وهو من أهم مسائل علم النفس التي تفيد بصيرة في علم التربية.

إنني عند وداع الوالدين وذوي القربى والاصدقاء في سفر الهجرة الى مصر وجدت في نفسي وفيمن ودعت منهم مصداقا لقول الشاعر:

لو كنتَ ساعةَ بيننا ما بيننا ... ورأيت كيف نكرّر التوديعا

لرأيت أن من الدموع محدِّثا ... وعلمت أن من الحديث دموعا

فقد كان الحديث للدموع وحدها لان لسان الفم حبس فخرس، ولسان العينين انطلق بالكلام المنسجم، وقد كتبت الى بعضهم بعد الوصول الى مصر عبارة شعرية كنت شعرت بأنها حقيقة وجدتها في نفسي، وهي أنني وجدت وجد المودِّع

ولوعته يساوي ان وجد جميع من ودعوه وان كثروا، لأن كل واحد منهم فارق محبوبا واحدا وهو قد فارق أحبابا كثيرين يجد في نفسه من الالم لفراق كل منهم مثل مايجده ذلك الفرد لفراقه هو. والصواب ان لكل نوع من أنواع الوجدان والشعور حدا يختلف باختلاف أمزجة الناس ويتفاوت في الافراد بتفاوت مايثيره في قلوبهم، ولو أمكن ان يوضع للادراكات النفسية موازين كموازين الحرارة والرطوبة والثقل لعلمنا بها أقصى حد لألم الفراق في نفس العاشق الواله، وفي نفس مثل الزوج والوالدة والوالد، وهو إنما يبلغ حده الاقصى اذا كان الفراق بعيد الشقة، أو عرضة للهلاك من شدة المشقة، كسفر ابن زريق من بغداد الى المغرب في ذلك العصر، فهو لولا الخوف من الفراق الابدي لمن أحب لما قال في وداعه يومئذ قول العاشق الممثل لما في فؤاده، لا قول الشاعر المصور لما في خياله:

ودعته وبودّي لو يودعني ... طيب الحياة واني لا أودعه

كم قد تشفع بي ألاّ أفارقه ... والضرورات حال لا تشفعه

وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى ... وأدمعي مستهلات وأدمعه

لا أكذب الله ثوب العذر منخرق ... عني بفرقته لكن أرقعه

ذلك بأن وداع الاحباب عند سفر قاصد (قريب) الى خير مرجوّ في حرم آمن، ليس كالوداع في سفر بعيد يضعف فيه الامل، فيما يثيره من الوجد والألم. بل أقول ان الانفس تهوى بعض الآلام الخفيفة، وتجد في باطنها لذة خفية، كلذة العاشق المستكنة في هجر محبوبه إياه هجر دلال أو هجر ملال، بما فيه وما يتلوه من تهييج عواطف الحب والوجد والاشتياق، الذي يشبه كدّ الذهن واتعابه في حل المسائل العلمية العويصة، أو اجهاد البدن في بعض الاعمال الواجبة أو الرياضات المستحبة، في ان كلا من ذلك جامع بين الالم واللذة: أو بما يترتب عليه من لذة الشكوى والعتاب كما قالت علية بنت المهدي

وأعذب أيام الهوى يومك الذي ... تروَّع بالهجران فيه وبالعتب

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا ... فأين حلاوات الرسائل والكتب

واذا كان لكل شعور ووجدان نفسي غاية وحد فسواء كان السبب الذي يبلغ به منتهى حده واحدا أو متعددا، واذا كان الغلو في حب الولد أو العشق أو غيرهما

من شأنه ان يترتب عليه بلوغ تلك الغاية وهو قلما يكون الا في حب الآحاد من الاولاد والاحباب فان الحب المتفرق على المحبوبين المتعددين من جنس واحد كالاولاد أو من عدة أجناس لا يكاد يكون الادون الحد الاقصى — اذا كان ماذكر كما ذكر وهو ما نرى فتلك القاعدة الشعرية التي كنت كتبتها لا تصدق بالاطراد ؛ بل الاكثر أن لوعة الفراق المتفرقة على الكثيرين تكون دون اللوعة المقصورة على الافراد

هذا وان سفرنا الى الحجاز سفر قاصد لا داء فرض لازم فى عام يقل فيه عدد الحجاج فتسهل فيه مراعاة الحكومة لصحتهم والبلاد سالمة من الاوبئة فالرجاء قوي بأن تؤدى الفريضة فيه بالسهولة في مدة شهر واحد . ففراق الاهل والصحب في مثل هذا السفر ليس من شأن وداعه ان يثير منتهى الاشجان، وينطق الدموع ويخرس اللسان، وناهيك بمن كان مثلي مسافرا مع أشد الناس حبا له — والدته وشقيقته ، وكم ودع الناس بعضهم بعضا في مثل هذه الحال ضاحكين مسرورين، وكذلك ودعنا الاهل والاصدقاء في محطة مصر ودخلنا القطار ، ولما وقفت في النافذة وقدم الي محمد شفيع ونُعمى لاجل القبلة الاخيرة ، اضطربت عاطفة الابوة في جميع أعماق النفس ، فاضطرمت لوعة فراقهما فى سويداء القلب ، ففاضت العينان ، واعتقل اللسان ، وخانتني تلك الارادة التي كنت أكابر بها الاشجان، والعزيمة التي تعودت أن أملك بها أزمة الوجدان ، حتى عند الصدمة الاولى بموت الاخوة والاخوان ، وما ذاك الا أن ألم توديع الاولاد مشوب بلذة، لا تستجمع له ومنه كل قوة الارادة ، وألم مثل تلك الصدمة ، هو الذي توجه لاحتماله كل العزيمة

تذكرت في هذا المقام ما قاله صديقنا عبد الحميد الرافعي شاعر طرابلس الشام في توديع أولاده عند سفر له الى الآستانة ، وهو قوله من قصيدة :

لست أنسى ساعة البين وما	هي الا فك روح من جسد
رمت فيها الصبر لكن لم أطق	وحبست الدمع لكن لم يكد
وبروحي غرراً قبلتهـــا	لجبين الحسن منها مستمـد
من صغار كاللآلي لجلجت	منهم الالسن والجفن اطّـرد
بعضهم أبكاه مرأى من بكي	ليس يدري قط ما اليوم وغد

والذي لاح له معنى النوى أطبق الدمع عليه فارتعد
هل سمعتم يالقومي عاشقاً أنس الظبي به وهو شرد
ليتني فارقت عيني والحشا قبلما فارقت أهلا وولد
أودعوني عند ما ودّعتهم حسرةً كانت من الموت أشد
كلهم ينشدني قرب اللقا حاسباً للعود أياما تعد
والذي لا يعرف النطق غدا نطقه الإيما بعين أو بيد

وما بيني و بين هذا الصديق الا أن سفري خير من سفره ، وولدي أصغر من ولده ، فقد كان بعض ولده يفهم معنى الفراق والسفر، ونعمى لم تكن أتمت السنة الثالثة وشفيع كان في أول الشهر الخامس عشر، وكان سبب سفره أن الشيخ أبا الهدى الشهير غضب عليه غضبة مضرية ، قطعت عليه موارد الرزق بعزله عن أعمال الحكومة ، فرحل الى الآستانة يستعطفه و يسترضيه ، عسى أن يعود بجاهه الى عمله أو عمل يفوقه أو يداريه ، معلق القلب بين الفوز بالامل، و بين الخزي والفشل ، لا يدري أيعود كما رجا أهله بعد أيام تعد ، أو بعد شهور أو سنين لا تعد ، حسب القاعدة المطردة في كل عمل يطلب من حكومة الآستانة، فأين السفر الى تلك العاصمة، لطلب الرزق من أولئك الباخلين المخلفين؛ من السفر الى مكة المكرمة، لطلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين ؟ لقد كان ذلك الشاعر جديرا بأن لا تعود اليه السكينة ، الا بعد أن ينقلب الى أهله بما يرجو من الوظيفة ، وأما هذا الكاتب فقد عادت اليه سكينته بعد سير القطار بساعة زمانية، وانما كان يفكر أحيانا فيما يرجو من الاهتمام بصحة والديه في غيبته ، واستشارة الطبيب حتى عند الحوادث التي لم يكن يستشيره في مثلها ، وقد ضعف التفكر في ذلك وفي غيره من أمور الدنيا منذ الاحرام الى التحلل التام منه بأداء المناسك كلها ، حتى كأن الانسان يدخل بمجرد الاحرام في عالم آخر

والعبرة فيما بيناه من فلسفة الوداع أن نذكر القارئ بأن ألمه هو أول فوائد السفر المهذبة للنفس ولا سيما نفس الوالد، وقد غفل عنها من حصر ذلك في خمس فوائد .
واني رأيت بعض من آثر العزبة و بعض من حرم النسل يظنون ان الولد من منغصات العيش في الدنيا، لأن غبطة النفس به، وقرة العين برؤيته، ولذة الامل بطول عمره وحسن

مستقبله، لا توازي آلام وداعه عند السفر، والحذر عليه من الموت أو المرض والضرر، دع هم الوالد في تربيته وتعليمه في حياته، والخوف من سوء حاله بعد مماته، ولا سيما اذا كان قليل المال، وكثر عليه العيال. وما هذه الظنون، الا من أوهام الكسالى والمحرومين، إلا أن عدم اقدام فاقد المال أو قليله على الزواج، له وجه في هدي الشرع وآراء الناس. وأما ما يدخل في موضوعنا منها وهو لوعة الوداع ومرارة الفراق، وما يتلوها من حرارة الاشتياق، فهو من أعظم فوائد نعمة الاولاد على الوالدين في تهذيب أنفسهم، وتثقيف عواطفهم، واعلاء هممهم، وتقوية أريحيتهم، وهي على ما فيها من الفوائد، حلوة الطعم في ذوق الوالد، كما يستحلي العشاق تجني الحبيب، ويقولون ضرب الحبيب زبيب، ولو قيل للمشتاق أتحب أن تخمد حرارة هذا الشوق في قلبك فتمسي لا تذكر من تشتاق ولا تحن الى لقائه — لقال لا . وفي معناه قول قيس العامري :

وقالوا لو تشاء سلوت عنها فقلت لهم وأني لا أشاء

ذلك بأن ما يهيج الوجد مما ذكر يشبه نغمات الالحان، المثيرة للاشجان، والمحركة للاحزان، على شهداء الحق في سبيل الايمان أو الاوطان، الحافزة الى الاخذ بثارهم، والرغبة في اقتفاء آثارهم، وهي مما يرغب فيه الفضلاء، ويحث عليه الحكماء؛ وان بكاء الفراق، الذي يرجى بعده التلاق، كالبكاء من خشية الله عز وجل يحسبه من لم يذق طعمه عذاباً وألماً وما هو الا نعيم وغبطة، ولذلك قال من ذاق فعرف: أهل الليل في ليلهم، أطيب نفساً من أهل اللهو في لهوهم . وقال بعضهم: لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف. ولا تكمل تربية أحد الا بركوب الصعاب وحمل الآلام والاثقال

وأبعد تلك الظنون بل الوساوس عن الحقيقة وأوغلها في الوهم ما توسوس به النفس لبعض المحرومين: ان خوف الوالد أن يموت قبل أن يرشد ولده و يستقل بنفسه في معيشته ، أو يكون له مورد واسع من الرزق يعيش به، ينغص عليه غبطته وسروره بوجوده. وقد سمعت مثل هذا ممن يعد نفسه و يعده بعض الناس من علماء الاخلاق، وما هو الا من أسرى الوساوس والاوهام ، فان تفكر الناس في مستقبل أولادهم من بعدهم أو احتمال موتهم من قبلهم، ما كان لينغص عليهم هناءهم وغبطتهم بهم ، الا من شذ من غلاة الموسوسين ، الذين وصلوا أو كادوا أن يصلوا الى درجة

المجانين، وكل نعمة يخولها هؤلاء تكون عليهم نقمة يحرمون لذة وجودها، ويعذبون بتوهم فقدها، أو احتمال حدوث مصاب بسببها، ومن غلاة هؤلاء المساكين ديك الجن الذي قتل وصيفه ووصيفته لاشتداد شغفه بهما وخوفه ان يموت و يتمتع بهما غيره، ويقرب منه ذلك العاشق المسكين، الذي خلق من ماء الدموع وصلصال الانين ، لا من الماء والطين ، فاستوى عنده القرب والبعد ، والوصل والصد ، فهو يبكي من يحب في كل حال ، كما وصف نفسه فقال :

فأبكي ان نأوا شوقا اليهم ✿ وأبكي ان دنوا خوف الفراق

اننا بعد توديع من ذكرنا ركبنا وحدنا في مخدع من مخادع مركبات الدرجة الاولى من القطار الحديدي ولكننا لما انتقلنا مع سائر الركاب في الاسماعيلية الى القطار الآخر ألفيناه قطارا رديئا وقد اكتظ بالجنود البريطانية حتى ان المخادع الخاصة بالنساء المخدرات لم تكن تخلو منهم، فاضطررت الى وضع السيدتين فى مخدع منها رأيت فيه مواضع لي ولهما، واثقا بأننا لا نرى من هؤلاء الجنود ما نكره، وكذلك كان ولله الحمد، وآداب الجنود الانكليزية الخلص معروفة عند جميع المصريين يندر أن يرى أحد من سكران منهم تعديا او اساءة فكيف يكون ادبهم في حال الصحو ؟ وقد وقف القطار فى محطات جديدة كثيرة خاصة بالجنود المعسكرة على جانبي الطريق قريبة من الخط الحديدي او بعيدة عنه ، و بسبب ذلك يتأخر القطار قليلا عن موعده المعتاد

وصلنا الى السويس قبل المغرب وكان قد سبقنا اليها امس مع جماهير الحجاج المصريين محمد نجيب افندي المعاون فى مديرية الجيزة وهو صهرنا على بنت اخي، والشيخ خالد النقشبندي، فكانا رفيقين لنا فى السفر فى كل حل وترحال، وكل منزل من منازل الحاج ، وقد بتنا تلك الليلة في دار اختارها لنا الرفيقان من دور الاهالي التي يأوي اليها الحجاج في هذه الايام ، وهم يتقاضون من الاجرة فى كل ليلة فوق ما يعهد في الفنادق الكبيرة التي تفوقها خدمة ونظافة ، وكذلك اصحاب المركبات فى السويس يزيدون أجورها على الحجاج اضعافا

وفى ضحوة اليوم التالي ذهبنا الى مكتب الصحة لاجل ما فرضته الحكومة على كل حاج من تلقيح اطبائها إياه بالمصل الواقي من الهيضة الوبائية (الكوليرا) (لها بقية)

ذكرى المولد النبوي (*)

٢

البعثة النبوية وجملة سيرته صلى الله عليه وسلم قبلها

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وَسَطًا في قومِهِ وأُمَّتِهِ، ولكنَّهُ أرقاهُمْ بَلْ أرقى البَشَرِ في زكاءِ نفسِهِ وسلامةِ فِطرتِهِ، نَشَأَ يتيمًا شريفًا، وشَبَّ فقيرًا عفيفًا، ثُمَّ كانَ زوجًا مُحِبًّا لِزَوجِهِ مُخلِصًا لها، ولَمْ يتولَّ هُوَ ولا والِدُهُ شيئًا منْ أعمالِ قُرَيشٍ في دينِها ولا دُنياها، ولا كانَ يعْبُدُ عِبادَتَهُم، ولا يَحضُرُ سامِرَهُمْ ولا ندوتَهُمْ، ولَمْ يَنْظِمِ الشعرَ كما كانُوا يَنظِمُونَ، ولا عُنِيَ بالخطابةِ كما كانُوا يَعْتَنُونَ، ولَمْ يُؤْثَرْ عنهُ قولٌ ولا عملٌ يدُلُّ على حُبِّ الرِّياسةِ، أو البحثِ في شُؤونِ السِّياسةِ، ولَمْ يُشارِكْهُمْ في شيءٍ مِنْ خُرافاتِ الجاهِليَّةِ وضَلالاتِ الشِّرْكِ، ولا مِنَ المُفاخَراتِ الكلاميَّةِ وشُؤونِ الغَزْوِ والحَرْبِ، بَلْ كانَ يُحِبُّ العُزْلَةَ، ويألَفُ الوَحْدَةَ؛ ورُوِيَ أنَّهُ في حداثتِهِ حَضَرَ سَمَرَهُمْ مرَّتينِ، ألْقى اللهُ فيهِما عليهِ النَّوْمَ؛ وحُبُّ العُزْلَةِ والانكِماشِ، معروفٌ عنْ كثيرٍ منَ النَّاسِ، وإنَّما كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَمتازُ في

*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٤٠٩

نَشْأَتِهِ الأُولَى عَلَى الأَتْرَابِ ، بِالْتِزَامِ الصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ وَعُلُوِّ الآدَابِ، فَبِذَلِكَ كَانَ لَهُ فِيهِمُ الْمَقَامُ الْمَكِينُ، حَتَّى لَقَّبُوهُ بِالأَمِينِ.

عَلَى هَذِهِ الْحَالِ كَانَ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حِينَ بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَى، وَكَمُلَتْ مِنْ جَسَدِهِ السَّلِيمِ وَنَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ جَمِيعُ الْقُوَى. — لا طَمَعَ فِي مَالٍ وَلاَ سُمْعَةٍ ، وَلاَ تَطَلُّعَ إِلى جَاهٍ ولا شُهْرَةٍ. وَكَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ (١) وَاضِحَةً ؛ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ ، (٢) وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ؛ (٣) فَيَتَحَنَّثُ فيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، (٤) ثُمَّ يَرْجِعُ إِلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ؛ (٥) حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ عَلَى هَذَا الشَّأْنِ ، بِنُزُولِ الْقُرْآنِ عليهِ

(١) الفلق بالتحريك يطلق على الصبح وهو من فلق الشيء بمعنى شقه وفرقه فرقين فان ضوء الصبح يشق الظلام اذ يظهر مستطيلا ثم مستطيرا ومنه (فالق الاصباح) وبهذا المعنى أضيف الى الصبح ، والمعنى انه كان يرى الرؤيا فتقع كما رأى اذ تنطبع المعاني في مرآة روحه الصقيلة كما هيه، فهذا ضرب من الوحي وكانت مدته قبل وحي اليقظة الصريح ستة أشهر من ربيع الاول شهر ولادته الى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن (٢) الخلاء بالمد الاختلاء والانفراد

(٣) الغار نقب في الجبل وحراء بالكسر أحد الجبال المحيطة بمكة على يسار الذاهب منها الى منى . والغار في أعاليه مشرف على مكة ، بحيث ترى منه الكعبة ، كما يشرف على ما دونه من تلك البقاع ، فهو حسن الموقع جيد الهواء ، يتسع للمختلي فيه مجال الفكر، والشعور بعظمة الرب ،

(٤) أصل التحنث توقي الحنث أي الاثم وتجنبه وفسره الزهري في الحديث بالتعبد، قيل كان يعبد الله على ملة ابراهيم وقيل بالتفكر خاصة، واختلف في عدد الليالي التي كان يقيمها ويتزود لمثلها (٥) التزود اتخاذ الزاد من طعام وماء

في شهر رمضان ، بان تمثل له الروح الأمين جبريل، ولقنه عن ربه أفضل التنزيل ؛: قال له اقرأ فقال « ما أنا بقارئ » كررا ذلك ثلاث مرات ، وهذا من أمر التكوين لا من تكليف ما لا يطاق ، وكان الملك بعد كل جواب يغطه أي يضمه إلى صدره ويعصره ، حتى يبلغ منه الجهد مبلغه ، وحكمة ذلك أن تغلب فيه الروحانية على البشرية ، ويستعد لتلقي الآيات الإلهية ، فيكون واسطة بين الخلق والخالق، ومنتهى الحاضر ومبدأ الغائب، ولما أرسله في الثالثة قال (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم *) أي كن قارئا بعد أن كنت أميا ، باسم ربك الذي خلق الإنسان الناطق من علق ولم يك شيئا ، لا باسمي ولا باسمك ، ولا بحولي وقوتي ولا بحولك وقوتك ، فهو القادر على جعلك قارئا لآيات ربك ، التي اقتضى جوده وكرمه أن يرسمها بالوحي في لوح قلبك ، وعلى تعليمك من الكتاب والحكمة مالم تكن تعلم ، كما علم الإنسان بالقلم وغير القلم مالم يكن يعلم ، — فرجع صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات إلى خديجة يرجف فؤاده ، وقد ارتعد بدنه ولكن حفظ رشاده ، فقال « زملوني زملوني » فزملوه، أي لففوه بالثياب ودثروه، حتى إذا ذهب عنه الروع أخبر خديجة الخبر ، وقال « لقد خشيت على نفسي » أي الهلاك أو الضرر ،

فقالت له: كلا والله مايحزنك (١) الله أبداً، إنك لتصل الرحم (٢)، وتحمل الكل (٣) وتكسب المعدوم (٤)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق (٥). ثم فتر الوحي ثلاث سنين، قوي فيها الاستعداد واشتد الشوق والحزن. قال «بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء» وذكر أنه رعب منه أيضاً. ولكن كان ذلك دون الرعبة الأولى، فرجع إلى أهله فتزمل وتدثر، فأنزل الله عليه (يا أيها المدثر* قم فأنذر* وربك فكبر* وثيابك فطهر* والرجز فاهجر) ثم حمي الوحي وتتابع، وبلغ صلى الله

(١) يحزنك من الحزن وهي رواية أبي ذر، وعند غيره ما يخزيك من أخزاه بمعنى فضحه وأهانه (٢) أي تحسن للاقارب بما يليق بكل منهم

(٣) الكل بالفتح الثقيل حملا أو عيالا أو طبعاً والمتعب، أي تحمل أثقال الناس أو تحمل المتعب على ما يركبه من الابل أو الدواب (٤) أي تكسب المحتاج ماهو عادم له (٥) النوائب النوازل والمصائب والحوادث أي تعين الناس في كل امر غير باطل وهذه كلمة جامعة في بيان فضائله «ص» وهو يدل على فضل خديجة وعقلها واعتقادها ان من يلتزم الحق وعمل الخير لا يحزنه الله ولا يخزيه. والحديث في الصحيحين، وتتمته باختصار قليل: فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عمها وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب من الانجيل بالعبرانية، وكان شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى؟ فاخبره «ص» خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى. ياليتني فيها جذع « اي شاب » ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك. فقال له رسول الله «ص» او مخرجيَّ هم؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودي، وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي

عليه وسلم دعوة ربه فاشتد عليه أذى المشركين وتتايع.[1] فما هذا النبأ العظيم الذي جاءه بعد الأربعين، وما ذلك الأمر العظيم الذي دعا إليه بعد ثلاث وأربعين، فغير الله به على يديه تاريخ البشر أجمعين، عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم؟

تبليغ الدعوة الاسلامية وخلاصتها

إن ذلك اليتيم العائل في حداثته، الراعي شريف التاجر القنوع في شبيبته، الزوج المخلص لزوجته، الوالد العطوف على بناته وصبيته[2] الأمي الذي لم يقرأ سفراً، ولا كتب سطراً، ولا قال شعراً، ولا ارتجل نثراً، الناشئ في تلك الأمة الأمية، التي فرقتها نزعات العصبية، واستحوذت عليها نزغات الوثنية، وغلبت عليها حمية الجاهلية، وأمست عاصمتها الدينية الدنيوية، ذات حكومة شبيهة بالعرفية، ليس لها رئيس متبوع، ولا قانون مشروع؛ قام فيها يدعوها إلى توحيد يجتث جراثيم الوثنية، بتوحيد الربوبية والألوهية؛ وإلى استبدال الكتاب والعلم بتلك الأمية، واستبدال الحكمة بتلك الجاهلية، وإلى تزكية الأنفس من تلك الخرافات والتقاليد الوراثية، وإلى استعمال عقولها وحواسها في العلم والعرفان،

(١) التتايع (بالياء قبل العين) التهافت والاسراع في الشر أو التتابع (بالباء الموحدة) فيه (٢) صبيته القاسم وعبدالله والطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر لقبان لعبدالله وهؤلاء من خديجة كبناته الاربع، وابراهيم من مارية القبطية

وَالِانْتِفَاعِ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَكْوَانِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ

بَلْ قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَٰلِكَ شَأْنًا، وَأَعَمُّ فَائِدَةً وَنَفْعًا، — قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى كِتَابٍ مُهَيْمِنٍ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَدِينٍ أُنْزِلَ لِإِصْلَاحِ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ، وَشَرِيعَةٍ عَادِلَةٍ سَمَاوِيَّةٍ اجْتِهَادِيَّةٍ، تَسْتَأْصِلُ تِلْكَ الْفَوْضَى الِاجْتِمَاعِيَّةَ، وَتَكْفُلُ لَهُمُ السَّعَادَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ، بِإِعْتَاقِهَا الْبَشَرَ مِنْ رِقِّ السَّيْطَرَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَجَعْلِهِمْ أَحْرَارًا مُسْتَقِلِّينَ فِي فَهْمِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، وَأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى الْعِزَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ. وَجَعْلِ أَمْرِهِمْ شُورَى بَيْنَهُمْ فِي الْأَحْكَامِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ، وَجَعْلِ دَرْءِ الْمَفَاسِدِ وَحِفْظِ الْمَصَالِحِ أَسَاسًا لِلْأُمُورِ الْأَدَبِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، وَجَعْلِ الْإِخْلَاصِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ، فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ، مِمَّا يَسْتَعِدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَجَعْلِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرْضًا تَقُومُ بِهِ الْأَفْرَادُ وَتَتَعَاوَنُ عَلَيْهِ الْجَمَاعَاتُ، لِأَنَّهُ سِيَاجُ الْفَضِيلَةِ وَمُقَوِّمُ الْأَخْلَاقِ وَالْعَادَاتِ. وَجَعْلِ الْقِتَالِ ضَرُورَةً تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا، وَيُجْتَهَدُ فِي إِضْعَافِ ضَرَرِهَا وَشَرِّهَا، فَلَا يُقْتَلُ فِيهَا النِّسَاءُ وَلَا الْأَوْلَادُ، وَلَا الْأُجَرَاءُ وَلَا الْعُبَّادُ، وَلَا يُمَثَّلُ فِيهَا بِالْقَتْلَى [1] وَلَا يُذَفَّفُ عَلَى الْجَرْحَى، [2] وَمَتَى رَجَحَتْ كِفَّتُنَا بِالْإِثْخَانِ [3] فِي الْأَعْدَاءِ، نَكْتَفِي

(١) التمثيل بالقتيل تشويهه بقطع بعض أعضائه كجدع الانف وصلم الاذنين وقلع العينين (٢) التذفيف على الجريح الاجهاز عليه اي إماتته (٣) الاثخان في الاعداء إضعافهم بكثرة من يقتل منهم . ومن رحمة الاسلام وإصلاحه =

بالأسر عَنْ سفك الدماء ، (فإمَّا مَنا بَعْد وَإمَّا فِداءً حَتَّى تَضعَ ٱلحَرْبُ أَوْزَارَهـا) ، (١) وَتَزُولَ الضَّرُورَةُ الَّتِي أَوْقَدَتْ نارَهَا ، وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ جَنَحْنَا لَها ، (٢) لِأَنَّنا أَحقُّ بِهَا وَأَهلُها ؛ — إلى غَيْرِ ذَٰلِكَ مِنْ ضُرُوب ٱلاصلاح ، وَأَسْبَاب ٱلفَوْز وَٱلفَلاح . وَمِنْ أَهَمّهَا أَحكامُ ٱلرّقّ، بِمارَغَّبَ وَأَوْجَب فِيهَا مِنَ ٱلعِتْق . وأَحكامُ ٱليَتَامَى وَٱلنِّساء ، فِي ٱلحُقوق وَٱلإرْثِ وَٱلتَّصَرُّفِ فِي ٱلأَموَال ، وَحَسْبُكَ مِنْ هٰذَا ٱلإِصْلَاحِ ٱلعَظِيم ، قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللهُ عزيزٌ حَكيمٌ)

قَامَ يُنَبِّئُهُمْ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ إِلَى جَمِيعِ ٱلأُمَم ، مِنَ ٱلعَرَبِ وَٱلعَجَم ، وَأَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ هٰذَا ٱلقُرْآنُ لِيُنْذِرَهُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، (٣) وَيَتْلو عَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى (تبارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلفُرْقَانَ علَى عَبْدِهِ لِيَكونَ

= ابطال ما كانت الامم تستبيحه من استئصال اعدائها . ولم يكتف بمنع قتل من لا يقاتل منهم حتى امر بان يكف عن قتل المقاتلين أنفسهم اذا ضعفوا وامنا شرهم، وان نكتفي حينئذ باسرهم، وخيرنا في الاسرى بين المن عليهم باطلاقهم وفك أسرهم بلا مقابل، و بين فداء اسرانا عندهم ان كان لنا عندهم اسرى . وذلك قوله تعالى (حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فا ما منا بعد) الخ

(١) الاوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل و يطلق على الذنب، والمعنى حتى تنقضي الحرب بوضع المحاربين لأثقالها من السلاح والذخائر عن انفسهم — وقيل بترك الكفار للعدوان والذنوب الموجبة لها . (٢) السلم ضد الحرب وكلاهما مؤنث اللفظ (٣) أي و ينذر به كل من بلغه ووصلت اليه دعوته من سائر الامم

للعالمين نذيرًا) ، وقوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا) ؛ ويخبرهم عن الله عز وجل بأنه سينصره عليهم ، ويبشر المؤمنين منهم بأنهم هم الذين يحملون دعوته إلى غيرهم ، وأن الله سيفتح لهم مصر والشأم ، ويعطيهم ملك كسرى وقيصر، وأنهم سيكونون هم الأئمة الوارثين، (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)

قام صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوة الكبرى ، وذكَّر بها قومه فأعرض الأكثرون عن الذكرى ، ولم يعقل أذكى قريش وأعقلهم لها سببًا إلا الجنون ، أو نبز الداعي إليها بلقب شاعر أو كاهن مفتون ، إذ كانوا يعلمون أنه لم يكن لديه شيء من الأسباب والوسائل ، لما هو دونها بمراحل ، — لا حول لا قوة ، لا مال لا عصبية ، لا سليقة في الشعر تجذب القلب ، لا تمرن على الخطابة يؤثر في اللب ، كما يعلمون أنه طبع على الصدق ، وعاش طول عمره عيشة الجد ، فكان أقرب ما توصف به تلك الدعوة إلى الظنون ، أن قالوا إنها نزعة من نزعات الجنون ، ولولا ما أيده الله تعالى به من الآيات والبراهين ، وأعظمها هذا القرآن الحكيم والنور المبين . ولولا تصديق الله

تعالى إياه بالفعل، كما صدقه بذلك القول الفصل. لقال بقولهم ذاك في كل حين، من بلغته دعوى تلك الدعوة من المتقدمين والمتأخرين، (ن ، والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجراً غير ممنون[1] * وإنك لعلى خلق عظيم * فستبصر ويبصرون * بأيكم المفتون * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[2]

«أي برهان على النبوة أعظم من هذا ، أمي قام يدعو الكاتبين إلى فهم ما يكتبون وما يقرءون ، بعيد عن مدارس العلم صاح بالعلماء ليمحصوا ما كانوا يعلمون . في ناحية عن ينابيع العرفان جاء برشد العرفاء، ناشئ بين الواهمين هب لتقويم عوج الحكماء. غريب في أقرب الشعوب إلى سذاجة الطبيعة، وأبعدها عن فهم نظام الخليقة والنظر في سننه البديعة ، أخذ يقرر للعالم أجمع أصول الشريعة ؛ ويخط للسعادة طرقاً لن يهلك سالكها ، ولن يخلص تاركها

«ماهذا الخطاب المفحم؟ ماذلك الدليل الملجم؟ أأقول ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ؟ لا ، لا أقول ذلك، ولكن أقول كما أمره الله أن يصف نفسه : إن هو إلا بشر مثلكم يوحى إليه . نبي صدق الأنبياء، ولكن لم يأت في الإقناع برسالته بما يلهي الأبصار،

(١) أي غير مقطوع (٢) النبذة الآتية التى اولها «أي برهان» وآخرها (تنزيل من حكيم حميد) مقتبسة من رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

أَوْ يُحَيِّرُ الْحَوَاسَّ ، أَوْ يُدْهِشُ الْمَشَاعِرَ ، وَلَكِنْ طَالَبَ كُلَّ قُوَّةٍ بِالْعَمَلِ فِيمَا أُعِدَّتْ لَهُ ، وَاخْتَصَّ الْعَقْلَ بِالْخِطَابِ وَحَاكَمَ إِلَيْهِ الْخَطَأَ وَالصَّوَابَ : وَجَعَلَ فِي قُوَّةِ الْكَلَامِ وَسُلْطَانِ الْبَلَاغَةِ وَصِحَّةِ الدَّلِيلِ ، مَبْلَغَ الْحُجَّةِ وَآيَةَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (١)

كَانَ مَثَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِثْبَاتِ مَا جَاءَ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي بَلَدٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَمْرَاضُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَى أَهْلِهِ طَبِيبٌ وَلَا عِلَاجٌ ، فَادَّعَى أَنَّهُ طَبِيبٌ يُبْرِئُ الْعِلَلَ ، فَكَذَّبُوهُ فَأَثْبَتَ دَعْوَاهُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، إِذْ جَاءَ بِكِتَابٍ عَالَجَ بِهِ أُولَئِكَ الْمَرْضَى الَّذِينَ أَعْضَلَ دَاؤُهُمْ ، وَاخْتَلَفَتْ أَمْرَاضُهُمْ ، فَشُفُوا وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ صِحَّتُهُمْ ؛ إِلَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنْ دَوَائِهِ ، حَتَّى هَلَكَ بِدَائِهِ : بَلِ الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ

أَلَا إِنَّ مُدَاوَاةَ أَمْرَاضِ الْأُمَمِ الرُّوحِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ ، أَعَزُّ وَأَعْسَرُ مِنْ مُدَاوَاةِ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ ، وَتَتَوَقَّفُ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ لَا عَلَى عِلْمٍ وَاحِدٍ ، يُدْرَسُ الْآنَ مَنْقُولُهَا وَمَعْقُولُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَدَارِسِ ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ دَرَسَهَا فِي كُتُبِهَا ، وَتَلَقَّاهَا عَنْ أَسَاتِذَتِهَا ، يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ بِالْعَمَلِ بِهَا ، فَمَا الْقَوْلُ فِي أُمِّيٍّ نَشَأَ بَيْنَ أُمِّيِّينَ ، قَامَ بِذَلِكَ الْإِصْلَاحِ الَّذِي تَغَيَّرَ بِهِ تَارِيخُ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ ، فِي الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَاتِ وَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، وَامْتَدَّ مَعَ لُغَتِهِ

---

(١) هذا آخر ما اقتبسناه من رسالة التوحيد وفيها بعده الكلام على القرآن

في قرن واحد من الحجاز إلى آخر حدود أوربة من الغرب، وإلى حدود بلاد الصين من جهة الشرق، حتى خضعت له الأمم، ودالت لدولته الدول، وكانت تتبعه في كل فتوحه الحضارة والمدنية، والعلوم العقلية والكونية، على أيدي تلك الأمة الحديثة العهد بالأمية، التي علمها القرآن أن إصلاح الإنسان، يتبعه إصلاح الأكوان، فهل يمكن أن يكون هذا إلا بوحي من لدن حكيم عليم، وتأييد سماوي من الإله العزيز القدير الرحيم، اختص به ذلك النبي الأمي الكريم، عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم؟

مناهضة الدعوة، وإلجاء الرسول إلى الهجرة

بدأ دعوته صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته الأقربين، ومن في مكة من قريش ومن الموالي والوافدين، فلقي أشد الجحود والإيذاء من قومه، حتى صدوه عن تبليغ دعوة ربه، عملاً بقول أبي لهب: خذوا على يديه، قبل أن تجتمع العرب عليه؛ وقد أخرجوا عمه أبا طالب وآله من مكة، لأنه لم يخل بينهم وبينه، فجمع أبو طالب بني هاشم والمطلب، ودخل بهم ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم في الشعب، وأجمعت قريش مقاطعتهم، وعدم مصاهرتهم؛ وأن لا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً، ولا يقبلوا منهم صلحاً، إلا

أَنْ يُسْلِمُوا مُحَمَّدًا لِلْقَتْلِ ، فَمَكَثُوا ثَلاثَ سِنِينَ فِي الشِّعْبِ ، وَهُمْ فِي أَشَدِّ الْبَلاءِ وَالْجَهْدِ، وَكَانَ بَعْضُ مَامَسَّهُمْ مِنَ الضَّرَرِ ، أَنْ أَكَلُوا وَرَقَ الشَّجَرِ ، ثُمَّ اشْتَدَّ إِيذَاءُ قُرَيْشٍ لَهُ وَلِمَنْ آمَنَ بِهِ بَعْدَ وَفَاةِ خَدِيجَةَ وَأَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ تُوُفِّيَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ مَنْ يَحْمِيهِ لِلْقِيَامِ بِهَذَا الأَمْرِ ، فَلَمْ يَحْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَدٌ ، وَلَكِنْ آمَنَ بِهِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ،[1] ثُمَّ آمَنَ بِهِ آخَرُونَ مِنْهُمْ فِي مَوْسِمٍ آخَرَ، وَصَارُوا يَدْعُونَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ. فَفَشَا الإِسْلامُ فِيهِمْ، وَجَاءَ فِي الْمَوْسِمِ الثَّالِثِ امْرَأَتَانِ وَثَلاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَبَايَعُوهُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِرَبِّهِمْ وَإِلَهِهِمْ، وَأَنْ يَمْنَعُوهُ - أَيْ يَحْمُوهُ - مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَتَمَهَّدَتْ لَهُ بِذَلِكَ أَسْبَابُ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ جُمْهُورُ مَنْ آمَنَ بِهِ إِلَى الْحَبَشَةِ ، فَأَمَرَ مَنْ بَقِيَ أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُخْتَفِينَ، فَكَانَ الْقَادِرُونَ يُهَاجِرُونَ أَرْسَالاً مُتَتَابِعِينَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَكَابِرُ قُرَيْشٍ بِالأَمْرِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ سَيَتْبَعُ أَصْحَابَهُ بِالسِّرِّ ، فَفَزِعُوا إِلَى الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُهَيِّئُ رَاحِلَتَيْنِ وَزَاداً وَدَلِيلاً لِلْهِجْرَةِ مَعَ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ، كَانَ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ يَأْتَمِرُونَ[2] بِالرَّسُولِ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ، فَبَعْضُهُمْ يَرَى نَفْيَهُ وَبَعْضُهُمْ

---

(١) هي المدينة المنورة (٢) يتشاورون في الأمر

يَرَى حَبْسَهُ وَبَعْضُهُمْ يُرَجِّحُ قَتْلَهُ ، ثُمَّ أَجْمَعُوا على أَنْ يَأْخُذوا مِنْ كلِّ قَبيلَةٍ شَابًّا جَلْدًا، [1] يقِفُونَ أَمَامَ دَارِهِ لَيْلاً ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ ضَرَبُوهُ بِسيُوفِهِمْ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لِيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي جَمِيعِ الْقَبَائِلِ، فَيَرْضَى بِدِيَتِهِ بَنُو هَاشِمٍ ، فَلَمَّا وَقَفَ أُولَئِكَ الشُّبَّانُ على بَابِهِ ، أَمَرَ عَلِيًّا بِأَنْ يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ وَيَتَدَثَّرَ بِبُرْدِهِ ، وَخَرَجَ ﷺ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ وَلاَ شَعَرَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، بَلْ كانُوا يَنْظُرُونَ مِنْ فُرُوجِ الْبَابِ ، فَيَرَوْنَ النَّائِمَ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ عليْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ [2] وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

(لها بقية)

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٧

الامراض التي تنشأ من الميكروبات الحيوانية

النافض أو الملاريا Malaria

لفظ ملاريا أصله بالايطالية كلمتان [mal aria] ومعناهما « الهواء الفاسد » سميت به هذه الحمى لتوهم الناس في زمن التسمية أن سببها فساد الهواء

---

(١) القوي الصابر (٢) المكر التدبير الخفي الذي يفضي بالمكور به الى ما لا يعلم ولا يحتسب و يكون في الشر غالباً وقد يكون لابطال الشر أو للخير ومنه مكر الله عز وجل . والاثبات الاعتقال، والاخراج النفي

يطلق هذا اللفظ على أنواع من الحمى تنشأ عن ميكروب حيواني من نوع [البروتوزوا Protozoa] (راجع صفحة ٢٨ من هذا الكتاب) يعيش في دم الانسان وينتقل من شخص الى آخر بنقل بعض أنواع البعوض (الانوفيلس) ويسمى هذا الميكروب بالافرنجية [Plasmodium] أو [أميبا الدم Hœmamœba] واتماقلنا إنه يعيش في دم الانسان لانه لم يعرف إلى الآن أنه يعيش في دم أي حيوان آخر من ذوات الثدي، ماعدا نوعا يشبهه يعيش في دم بعض أنواع القردة ويحدث لها حمى

تمتاز أخف أنواع هذه الحمى التي تحدث في أكثر البلدان المعتدلة بتقطعها بمعنى أن نوبها تنفصل بعضها عن بعض بفترات يكون فيها المصاب كأنه سليم منها، أعني أنها لا تكون مستمرة كالحميات الفئة الاخرى ، فتستمر النوبة بضع ساعات ثم تزول وتعود في اليوم الثاني أو في الثالث [Tertian] أو في الرابع [Quartan] . والنوع الذي يعود في اليوم الثالث هو الاكثر حدوثا في الاقاليم المعتدلة . أما الذي يعود في اليوم الرابع فيكثر حصوله في بعض بلدان ايطالية والهند. وهناك أنواع أشد مدة الحمى فيها أطول وخطرها أكثر وتعرف في ايطالية بالحمى الصيفية الخريفية [Aestivo - autumnal]وفي البلاد الحارة (بالحمى المستمرة أو الخبيثة) ويكثر انتشار هذه الحمى في الاقاليم التي بين خطي ٦٣° شمالي خط الاستواء و٥٧° جنوبيه

الاسباب — قلنا إن الذي ينقل ميكروب هذه الحمى هو البعوض فلذا توجد هذه الحمى حيث يوجد البعوض ويكثر، وتختفي أو تنعدم حيث لا يوجد، أعني أن حرارة الجو وكثرة الرطوبة والمستنقعات التي يتوالد فيها البعوض هما أعظم الاسباب لانتشار هذه الحمى. وجميع الاجناس البشرية عرضة للاصابة بها، ولكن السود أقل في ذلك من البيض . وهي تصيب الانسان في جميع الاعمار. ومما يهيئ للمرض ضعف الصحة والتعرض للرطوبة أو لحرارة الشمس الشديدة أو الافراط أو التفريط في الاكل أو الشرب

وقد يكمن الميكروب في الدم ولا يحدث الحمى وإنما يسبب ضعف الصحة وفقر الدم أو ضخامة الطحال ، ولا يستمر بقاؤه في الدم الى أكثر من ثلاث سنين

اذا لم تتكرر العدوى به

ولهذا الميكروب أنواع ، ثلاثة منها على الاقل تعيش في دم الانسان ، والاخرى في دم الطيور . وقد اكتشف مايعيش منها في الانسان بين سنة ١٨٨١ و ١٨٩٠ . وهذه الانواع الثلاثة تعيش داخل كريات الدم الحمراء وتتغذى بها فتمتص مادتها الهيموغلوبينية وتحولها الى حبيبات ملونة (سوداء أو سمراء مصفرة)[1] يمكن اعتبارها كأنها براز لها فاذا كبرت خلية الميكروب انقسمت الى عدة أقسام (تتراوح بين ٦ — ١٥ أو ٢٠) وانفجر غشاء الكرية الحمراء فتخرج هذه الاجسام وتسبح في الدم ثم تخترق كريات حمراء أخرى وتسكنها وتفعل بها مافعلته في الاولى . وكثير منها تقتله خلايا الطحال أو غيرها أو خلايا الدم البيضاء

وعند تمام نمو خلية الميكروب وانقسامها الى عدة أقسام ترتفع حرارة المصاب ، لان الميكروب حينئذ يخرج سمه فيذوب مع الدم . ومن ذلك ترى أن هذا الميكروب اللعين يفسد الصحة باتلافه الكريات الحمراء التي عليها مدار التنفس وبافرازه سما يحدث الحمى ، وهناك ضرر ثالث وهو افرازه سما آخر يذيب كريات الدم الحمراء فيتعب الكبد ويكثر من افرازه الصفراء ويكثر الاسهال ، وقد يبول المريض بولا أحمر مشتملا على مادة الدم الذائبة فيه — كما سيأتي — فتلتهب الكلى بسبب ذلك

ولا يلزم من دخول هذا الميكروب الى الدم أن يحدث للمصاب ماذكر فانه قد يقتل ولا يصاب الشخص بشيء ، وقد يكمن في الطحال الى ان تضعف قوة مقاومة الجسم له فتظهر حينئذ أعراض الحمى ، وقد تتغلب البنية بعد ذلك على الميكروب فتبيده وتحصل للجسم مناعة تقيه شره مرة أخرى . وهذا الميكروب قد يصيب الاجنة في أرحام أمهاتها غير أن ذلك نادر جدا

أما البعوض الذي ينقل العدوى من شخص الى آخر فهو من النوع المسمى [Anopheles] وميكروب الملاريا لا يضره بشيء اذا دخل جسمه . واعلم ان ذكر هذا البعوض لا يمص الدم بل الانثى فقط وهي التي تحمل العدوى ومدة حياتها

(١) هذه تشاهد سابحة في الدم أو داخل الكريات البيضاء التي تبتلعها أو داخل منسوج بعض الأعضاء كالطحال والكبد والمخ وغيرها

تزيد عن شهر في الغالب . وتضع كل انثى نحو ١٠٠ بيضة على سطح الماء طول كل بيضة نحو نصف مليمتر أو مليمتر كامل . وبعد يومين أو ثلاثة يفقس ، واذا كان الجو حارا فقست قبل ذلك ، وتعوم الاجنة في الماء وهي المسماة بالعلق ، وبعد عدة أيام (١٣ — ٢٣) تصير بالتطور بعوضة

ويمتاز هذا النوع من الانواع الاخرى بما يأتي : —

(١) ان اناثه لا تلسع الانسان غالبا ولا تمص دمه الا ليلا (٢) أن شواربها [Palpi] طويلة مثل منقارها [Prboscis] الغليظ (٣) أنه توجد في أجنحتها نقط مسودة بخلاف أجنحة الاخرى فانها رائقة (٤) أن جسمها أطول وأنحف وهو مستقيم بخلاف الاخرى فانها أغلظ واذا وقفت على الحائط رأيت ظهرها محدودبا

واعلم أن بعوضة الملاريا لا تنقل العدوى الى بعوضة أخرى ، فلا يوجد الميكروب فيها الا اذا أخذته من الانسان بامتصاص دمه

واذا امتصت البعوضة دم المصاب لقحت [1] بعض خلايا الميكروب الخلايا الاخرى التي تتطور وتصل الى غدد اللعاب في البعوضة لتخرج منها أثناء وخز شخص آخر فتعديه بالملاريا ، ومدة هذا الطور الذي يقضيه الميكروب في جوف البعوضة تختلف من ٦ — ١٦ يوما بحسب حرارة الجوّ . والبعوضة لا تطير عادة من موطنها الى أبعد من نصف ميل انكليزي

الاعراض — تكون نوب هذه الحمى في أول الامر غير منتظمة غالبا ، ولعل السبب في ذلك أن الميكروبات التي تدخل الجسم تكون من انواع مختلفة ، فتتغلب البقية على أقلها عددا وتقتلها وبذلك ينفرد بالجسم نوع واحد وهو الاكثر عددا ، وفي بعض الاحيان يبقى نوعان أو ثلاثة. طور التفريخ يتراوح بين ٣ أيام و١٢ يوما وهو طويل في الاشكال المنتظمة ، قصير في غيرها ، وقد يحصل المرض بمجرد التلقيح

وفي بعض الاحوال تتقدم الحمى بعض أعراض أخرى كالتوعك والصداع وآلام بالاطراف وغثيان وغيرها .

---

(١) أما في دم الانسان فيحصل الانقسام بلا تلقيح

المنشور الهاشمي الشريف الثالث

نشر في العدد الحادي والثلاثين من جريدة القبلة الذي صدر في ٤ صفر

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات الى النور ، والصلاة على سيدنا محمد صاحب الهداية الباقيـة ما بقيت العصور وكرت الدهور ، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بعزائم الامور ، وسلم تسليما كثيرا

وبعد فقد حان لنا أن نخاطب أبناء بلادنا — خاصتهم وعامتهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وحاضرهم وباديهم — في حقائق الامور التي كنا فيها ، والحالة التي صرنا اليها ، والواجبات التي حتمت علينا مقتضيات الدين والقومية والانسانية أن نقوم بها حق القيام

فانه لم يبق فيهم ولله الحمد من يخفى عليه أمر هؤلاء الاغرار الذين تسلطوا على المملكة العثمانية فأحلوا فيها ما أحلوا وحرموا ماحرموا ، مما قدمت الاشارة الى بعضه في منشورينا السابقين . واتخذوا دين الله لهواً ولعباً ، وسلبوا السلطة من أيدي أهلها . وتصرفوا بالمملكة تصرفا أضاعوا به من بلادها في بضع سنوات ما تزيد مساحته على مساحة بضع ممالك عظيمة في أوربا . وآذوا عباد الله بالقتـل والشنق والتعذيب والتغريب ومصادرة الاموال وانتهاك الاعراض بما لا يحيط به العد والحصر . ولعل أرض الحرمين الشريفين كانت أقل الممالك العثمانية ابتلاء بمصائبهم ومفاسدهم . لا عن تكريم منهم لمشاعرها المقدسة ، ولا رأفة منهم بأهلها ، أو لأن الحجازيين أحب اليهم من سكان الروملي والاناضول والشام والعراق ، بل لما سخرنا الله له من الوقوف لهـم موقف النصح تارة والدفع بالتي هي أحسن أحيانا ، على أمل أن يصبح الذي بيننا وبينه عداوة كأنه ولي حميم

بذلنا مافي الوسع لدفع الاذى عن هذه الديار بالطريقة المتقدمة ، ولم نأل جهدا في تخفيف ظلمهم عن المسلمين وأهل ذمتهم في كل أنحاء المملكة ، وحملهم على اجتناب كل ما ينكره الناس عليهم ، واقناعهم بخطر أعمالهم وما ستؤل اليه من ضياع البلاد وهلاك العباد ، وكنا نخلص النصح لرجالهم في الآستانة بمكاتبات محفوظة لدينا صورها وأعدادها وتواريخها ، لاسيما في السنين الاخيرة . ومن المتيسر لكل انسان ان يطلع عليها ، وكذلك كنا ننصح لولاتهم هنا بطريق المشافهة والمخاطبة ، وأوفدنا بعض أولادنا الى الاستانة والشام لهذا الغرض . ولكنهم لم تزدهم دعوتنا الا ظلما وطغيانا ، وبغيا وعدوانا

ومما زاد مسؤليتنا بين يدي الله عز وجل ، ثم امام واجب الوطنية والقومية ، ماوقع فيه قومي وأبناء جلدتي من الشدة التي لا تحتمل، حتى أمست بلادنا بسبب أولئك الاغرار الجاهلين منقطعة عن كل أقطار الدنيا ، وان قلب المؤمن لا يرضى في حال من الاحوال رؤية جيران بيت الله الحرام وهم يموتون من الجوع والعرى على قوارع الطريق . وذلك مما هو معلوم لدى الخاص والعام والبدوي والحضري، ولا ريب أن أهل بلادنا لم ينسوا تلك الحالة المؤلمة والهلكة التي لمستها الايدي وعاينتها الابصار . لان الحول لم يحل عليها بعد . وما كانت شدتها بالذي يستحق أن ينسى

حينئذ استخرنا الله عز وجل للقيام في وجه الائمة الظالمين ، والحر بين الملحدين، فرارا من عاقبة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه في حديث صحيح (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الطبراني (خذوا على أيدي سفهائكم من قبل أن يهلكوا أو يهلكوا) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (أيما وال ولي شيئا من أمر أمتي فلم ينصح لهم كنصيحته لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار) وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) وقوله صلوات الله عليه وسلامه فيما رواه أبو داود في سننه (خيركم المدافع عن

عشيرته) وقد خار الله لنا ان ننهض بأمتنا للاخذ على أيدي الظالمين ، واجلاء السفهاء المارقين ، عن البلاد والعباد . طالبين لهم ما طلبناه لانفسنا من جعل هوانا تبعا لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، ودفع السوء عن عشائرنا وجماعاتنا العربية التي صارحها هؤلاء الاغرار بعداوة جنسيتها ولغتها وتقاليدها وراحتها وهنائها في كل ما ظهر وما بطن من أقوالهم وأعمالهم

وها ان ماكنا نسمعه وتسمعونه من ضروب ظلمهم وبغيهم في عرب الشام والعراق ، لم يسلم منه أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فقد تواترت الانباء بمضاعفة بغيهم وظلمهم فيها ، وأخذوا في شنق النفوس البريئة وصلبها ، مستعملين ضروب الوحشية الطورانية ، وشرعوا بتشغيل بعض من وقع في أيديهم من سكان العوالي بالاشغال الشاقة بعد الفظائع الشنيعة التي أجروها لهم من قبل . ثم شنقوا أخيرا ثلاثة من أعيان المدينة المنورة ، و بدأوا بتجنيد الاهالي بالقوة ، حتى استنجد بعض أهالي المدينة المنورة باخوانهم المكيين لينقذوهم مما هم فيه

فأي مروءة ترضى لحاكم مهما كان ظالما أن يسل سيف حقده وضغنه وانتقامه في سكان المدينة المنورة الذين آثروا جوار النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم على كل لذائذ الدنيا وصاروا أمانة الله في يد من يحكمهم ، واذا كان حقد المتغلبة وضغنهم قد وصل بهم الى حد أن يمدوا أيديهم بالأذى لأمة سكان المدينة المنورة الذين لا حول لهم ولا طول في جانب القوة العسكرية المتسلطة عليهم فان أولى بهم أن يخرجوا لقتال أولادي الاربعة ومن معهم من أفلاذ أكباد العرب ، فهنالك موضع الشجاعة والقوة لا في قتل الاهالي الابرياء والمجاورين الضعفاء ، وها ان جيوش الحق زاحفة عليهم من أربع جهات لا من جهة واحدة ، مجيبة داعي الله بالاخذ على أيدي الظالمين ، وتأديب الملاحدة المارقين

وانه لا يفوتنا بهذه المناسبة أن نعلن أمتنا المخلصة بسرورنا من غيرتها الاسلامية وحميتها العربية ، وشكرنا لها على ما أبدته حتى الآن من البسالة والرجولية والشمم العربي ومشاركتها الفعلية في طرد المتغلبة المارقة من عقر دارنا وحصون بلادنا . فسطرت بذلك صفحة ذهبية جديدة في تاريخ البلاد العربية المجيدة ، واستحقت ان

تكون صاحبة الفخر الاعظم باسترداد الاستقلال التام الدائم لبلادها مادامت السماء والارض ان شاء الله تعالى

وان نظرة واحدة فيما كانت بلادنا عليه بالامس وما صارت اليه اليوم بحول محول الاحوال كافية لترديد شكر الله تعالى منا جميعا على جزيل آلائه، وعظيم نعمائه، فقد أبدلها من العسر يسراء ومن الخوف أمنا ومن الضعف قوة ، وكانت مقدراتها تحت تصرف وصي جاهل لايراعي فيها إلا ولا ذمة فازاحه الله عنها . وصارت حكومتها منها وفيها ، وفتحت لرجالها على اختلاف طبقاتهم أبواب العمل لادارتها ، واستعمال عقولهم وذكائهم ومواهبهم في تحسين أحوالها ، كما فتح لابنائهم الطريق القويم اذا جدوا في ادراك الفضائل وتحصيل الكمالات ، حتى يبلغوا بقدرة الله عز وجل سعادة الدنيا بتولي المراتب العالية في دولتهم ، والمناصب الجليلة في حكومتهم ؛ ويحصلوا على سعادة الآخرة بايفاء ما يجب علينا من خدمة وفود الله وحجاج بيته الحرام، واستحصال جميع الاسباب التي تستلزمها راحتهم من كل الوجوه، وان عزائم حكومتنا معقودة للنهوض بأمر المعارف على أساس قويم يضمن تهذيب ناشئة البلاد ان شاء الله تعالى على الوجه الذي أشرنا اليه . وان كل ما حصل حتى الآن ليس الا جزءا قليلا مما ستناله البلاد من الخير التدريجي الدائم ، وان كان كثيرا بالنسبة الى ما نحن فيه من التدابير الحربية ، وبالنسبة الى الوقت القصير الذي تمتعت فيه الامة بالاستقلال

ومما لا يختلف فيه اثنان أن تأسيس الممالك يحتاج أن تبذل فيه كل طبقات الامة ما تستطيعه من السعي والجهد والعمل ، وأن يقوم كل فرد من أفرادها بما يحسنه من وسائل المساعدة للنهضة العامة، حتى يتم الخير العمم على أيديهم جميعا فتشترك الامة كلها في نتائجه بعد اشتراكها في مقدماته . وبهذا تقيم الامة صروح المجد ، وتهيئ لمالكها أسباب الهناء والسعد

وأهم ما ينتظر من الامة اخلاص النية والتناصح والتعاضد والدفاع عن الحق والمصلحة القومية والوطنية ، فقد ورد في صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي ومسند أحمد (ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وفي صحيح

مسلم (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يحقره ، التقوى هاهنا (ويشير الى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وفي سنن الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يد الله على الجماعة) فبالتعاون والتآزر والتناصح تنجح الامم وتفوز في معترك الحياة وتكتسب رضى الحق ورضى الخلق ، وبهذا يأمرنا ديننا الاسلامي الحنيف فلنكن مسلمين حقيقة، ومن كان مع الله كان الله معه، وان مانالته جيوشكم حتى الآن من النصر والفوز لم يكن الا بالاخلاص والنية الصالحة واستئصال شأفة الالحاد والفساد ، وشتان بين من يؤسس بنيانه على التقوى ومن يؤسس بنيانه على شفا جرف هار. وان من باب التحدث بالنعم الالهية، والتوفيقات الصمدانية، ماترونه من أني لم أضن بنفسي وراحتي وحياة أولادي، على الدفاع عن راحة أبناء جلدتي ومصلحة بلادي، وذلك لما علمته من أن الخدمة لا تتم الا بأن يعمل لها كل بما يستطيع

ومن نعم الله تعالى على بلادنا هذه العربية اتفاق مصالحها مع مصالح من والاها من حلفائها، واعلانهم العطف عليها في آمالها وأمانيها، وتصريحهم بأن من النقط التي لا تقبل التغيير والتبديل بقاؤها في أيدي حكومة اسلامية مستقلة أمينة من كل طارئ خارجي . وان من مقتضى أخلاقنا الاسلامية التي منها الاعتراف بالجميل شكر حلفائنا الكرام على اخلاصهم في صداقتنا وحسن سيرتهم معنا وبذلهم الوسع فيما فيه خير هذه البلاد . وانا سنحرص على دوام ما يؤيد هذه المنافع المتبادلة الى ما شاء الله

ونستنهض همة أمتنا في الختام الى العمل على حفظ ما بأيديهم من نعم الله السابقة، والاستمرار فيما أخذوا به من أسباب النهوض والتقدم ، لان الزمان الحاضر زمان جد وعمل، وقد خاضت كل الامم في معامع الحروب والخطوب تأمينا لمصالحها وبقائها ، وضحت كل مرتخص وغال في سبيل عزها ومجدها ، واننا لجديرون بأن نكون في مقدمة الطامحين الى احياء الامجاد ، والسير في سبيل الاجداد، ورفع شأن البلاد ، واجتناب كل ما يخل بنعمة حاضرة، وسعادة مستقبلة ، ومن جهة ثانية فاني

أحث قومي على الاقتصاد والاخذ بأسبابه وترك البطالة المنهي عنها في الدين الاسلامي، ولنا معتبر في الحث وشدة الابرام على المثابرة في وسائل الاكتساب مهما كان حكمنا على حالة بلادنا في الوقت الحاضر من جهة ما يظهر في النظرة الاولى من قلة أسبابها الاقتصادية ، ولكن مباشرة العمل ستبين لكم أنها تأتي بثمرات لم تكن في الحسبان، فيكون بها تعديل الحاجة وتهوين الضرورة التي أحست البلاد بها في الشهر الاول بل في الاسبوع الاول من وقوع الحصر

وانه لم يبق لأحد عذر في التقصير بشيء من أسباب الارتقاء بعد ان فتحت أبواب الاكتساب الخارجية للرجال ، وأبواب المدارس للاطفال ، وسوف تستمر حكومتنا في هذا السبيل ان شاء الله حتى تستكمل كل أسبابه ، لاسيما المدارس المساعدة على ذلك بكل أنواعها، كالمدارس التجارية والزراعية والصناعية والطبية والهندسية، وسائر ما نحتاج اليه في حياتنا الجديدة والعمران الحاضر على الطرز والوجه المناسب لقدسية بلادنا، حتى يسهل استثمار ما أعد الله تعالى فيها من لوازم الحياة على أيديكم و بواسطتكم في عهد قريب ان شاء الله تعالى ، وليس ذلك بعزيز عليكم بالنظر الى ما خصكم الله تعالى به من الذكاء والفطنة ، وان خطتنا الاسلامية هي المحافظة على ما نحن فيه والسعي لتنميته والتقدم به بالتدريج الذي تقتضيه حالة البلاد (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) شريف مكة المكرمة

وملك البلاد العربية

الحسين بن علي

[المنار]

كان المنشور الهاشمي الاول خطابا خاصا بالمسلمين وقد نشرنا خلاصته في الجزء الرابع ، والمنشور الثاني موجها الى الناس عامة والمسلمين خاصة وقد نشرناه بنصه في الجزء السادس ، وهذا المنشور الثالث خاص بأهل الحجاز وحدهم وكلهم مسلمون كما يعلم القراء ، الا أنه يوجد في جدة أفراد من أهل الكتاب المعاهدين تساهل الحكام من قبل بالسماح لهم بالاقامة فيها. وسبب جعل الحرمين وما يحيط بهما من جزيرة

العرب خاصا بالمسلمين ،مع ماهو معروف من تساهل الاسلام هوانهما أعظم المعابد الاسلامية وما حولها حرم لها . ومن المساواة في الاسلام انه لايجوز للمسلمين في دار الاسلام دخول معابد غيرهم ولو موقتاً الا أن يكون باذنهم ، فهل تجوز الاقامة فيها ؟ ولو كان لهذا الملك الشريف رعية من غير المسلمين لخصهم بخطاب يعلم منه القاصي والداني انه أوسع صدرا وأشد تسامحا من خلفاء العباسيين ، وانه لو حكم بينهم بما يأمره به دينه واجتهاده لكان حكمه خيرا لهم من دستور العثمانيين في دينهم ودنياهم . وقد كنت مع جمهور من المسلمين السوريين في مجلسه الشريف من دار حكومته بمكة المكرمة ومعنا عبدالعزيز بك المصري المشهورفذكرت في سياق الحديث عن العرب اخلاص القائمين بالنهضة العربية من المسلمين والنصارى وضربت الدكتور أمين المعلوف مثلا وشاهدا فقال حفظه الله تعالى : ياحضرة السيد اني لا أحب أن يفرق في هذا المقام بين مسلم وغيره، واذا كان أصل شرعنا في الذمي الغريب عنا ان له مالنا وعليه ماعلينا، فكيف اذا كان من أبناء جنسنا ؟ ثم أثنى على الدكتور وأعرب عن رضائه عنه، فسر الحاضرون بقوله سرورا عظيما .

عاقبة الحرب

ومكانة بريطانية العظمى منها

كتبنا في أول العهد بالحرب مقالة نشرت في (ج ١٢ م ١٧) الذي صدر في آخر ذي الحجة سنة ١٣٣٢ بينا فيها من استعداد الفريقين المتقاتلين ومن مقاصدها ماظهر لنا بعد سنتين أنه أصح من كل مانشر في الصحف مخالفا له . وقد رأينا أن نعيد أواخر تلك المقالة للمقارنة بينه و بين كلام حديث العهد نشر في جريدة التيمس. وهذا نص عبارتنا في تلك المقالة :

« فجملة القول في المجموعين المتقاتلين أن انكلترة وفرنسة وروسية وبلجيكة والصرب والجبل الاسود أ كثر من ألمانية والنمسة والعثمانية رجالا ومالا وأساطيل بحرية وهوائية ، ولكن ألمانية وحدها أعلى منهن استعدادا ونظاما ، ولولا الاسطول

الانكليزي لرجحت على الجميع رجحانا ظاهرا ، بل لامكنها أن تحارب أوربة كلها وتنتصر عليها

« بيد أن هذا السبق في الاستعداد، ليس مما ينتظم في سلك الخوارق والآيات، بل يمكن لدول الاحلاف أن يلحقوها به، اذا عجزت في أول العهد عن بطشة فاصلة في فرنسة . أما اذا وقف مدها عند تدويخ بلجيكة والاستيلاء عليها وعلى بضع ولايات من شمال فرنسة وجانب من بولاندة الروسية ، فما بعد المدّ الا الجزر، فاذا أمكن للحلفاء أن يزيدوا عدد جندهم ويمدوه بما لم تستطع هي مثله عاد لهم الرجحان عليها في البر ، كما سبق لهم الرجحان عليها من قبل في البحر

فمحل الرجاء للحلفاء انما هو التغلب بالكثرة بقاعدة قول الشاعر العربي :

ولست بالاكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر

« أما هذا المدد الذي يكون به الرجحان البري فلا يرجى الا من قبل بريطانية العظمى، لان الفرنسيس قد بذلوا كل ما في وسعهم ، والروس — وان كانوا أكثر عددا — لا يجدون من الذخائر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجنيد العدد الذي تسمح لهم به كثرتهم ، فالانكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة جنودهم ، وعلى ايجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة لكثرة معاملهم وعمالهم ومالهم ، وليس عندهم جندية اجبارية تستغرق العمال ، وتوقف حركة الاعمال ،وانما يعز عليهم التعجيل بايجاد ضباط أكفاء لجيش كبير يجددون تنظيمه تجديدا ، ولكن الانكليز أهل صبر وأناة ، فما لا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنين ، وتاريخهم مرة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كتشنر ناظر الحربية القائم بتجهيز الجيوش الانكليزية مدة هذه الحرب بثلاث سنين

« تبين لنا ما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست الا المظهر الاجلى للتنازع على السيادة والنفوذ والاستعلاء في الارض بين الانكليز وأبناء عمهم الالمان ، وسائر الدول تبع لهما في عللها ومعلولاتها ، ومقدماتها ونتيجتها

« دع البحث في المقدمات فقد انتهى أمرها، وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها، وأما النتيجة فهي ان السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لانكلترة أو لالمانية

لامحالة، ويكون أحلافهما تبعا لهما، فتكون لانكلترة اذا فازت هي وأحلافها بالنصر التام، لانهم لن ينالوا ذلك الا بها، ولا تنتهي الحرب الا وقد انتهكت قواهن من دونها، واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لها، اذ شرعت بتأليف قوة برية لم يكن لها مثلها في وقت من الاوقات، كما انها تزيد الاسطول قوة على قوة؛ وحينئذ تكون أعظم الدول ربحا وأقلهن خسارة، واذا كان من بواكر هذا الربح مصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات ألمانية في أفريقية أو جميعها كما هو المنتظر فكيف تكون أواخره؟

«وأما اذا كان النصر التام لالمانية وأحلافها فقد طالما لهجت الجرائد الانكليزية والفرنسية وغيرها بأن ألمانية حينئذ تجعل أوربة كلها تحت سيطرتها، وتنتزع منها جميع مستعمراتها، وأنها بذلك تسود العالم كله، ولعلنا نعود الى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير، بقدر ما تسمح به المراقبة الرسمية على الصحف، ونلم في ذلك بأماني الشرقيين عامة والمسلمين خاصة[1]»

هذا ما كتبناه منذ سنتين وعدة أشهر وأما ما جاء في جريدة التيمس مؤيدا له فهو ما نشر في جزء المقتطف الذي صدر في آخر ديسمبر من السنة الماضية الموافق ٥ صفر الماضي وهذا نصه بحروفه الا ما غيرته لمطبعة من تأنيث أسماء الدول وأوربة بالتاء:

رأي الانكليز في عاقبة الحرب

« ان الالمان لجأوا الى الدفاع بعد الهجوم في كل الميادين تقريباً والحلفاء يفوقونهم في كل شيء عدداً ومادةً ما عدا القوة العقلية، وفي يدهم زمام البحار فهم يضيقون على الالمان تضييقاً لا يضعفه علم ولا تقوى على احتماله حمية وطنية مهما عظمت. وما من دولة محايدة يؤبه لها الا وهي تفضل الانضمام الينا على الانضمام اليهم. وستكون العاقبة لنا حتما ولكنها قد لا تزال بعيدة فان ألمانية لم تقهر حتى الآن. تجنبت بوارجها القتال قبل ان يقضى عليها. نعم أقفلت أسواق المسكونة في وجهها وأوصدت أبواب البحار أمام سفائنها؛ وقد حدث مثل ذلك لنوبوليون بونابرت في معركة الطرف الاغر ولكنه بقي في أوج مجده وبقيت ملوك الارض تخطب وده وتتسابق الى نيل رضاه

(١) قد وفينا بهذا الوعد ونشرنا في الاجزاء الماضية ما اذن لنا بنشره

« والانسان يعيش في البر لا في البحر والدولة البرية التي تتسلط على نصف أوربة وتمتد سلطتها من البلجيك الى الاناضول لا يمكن اذلالها بقوة بحرية لانها لا تزال تستورد ما تحتاج اليه من البلدان الواسعة التي تحت سطوتها

« ولا مشاحة في ان ايصاد البحار دون ألمانية قد أضرّ بها كثيراً ولكن الضربة القاضية لا تكون الاّ في البر . هذا ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل (المقتطف : وقد مثلت ذلك مجلة لندن بصورة وقف فيها الجنرال جوفر الفرنسوي امام أمير البحر جاليكو الانكليزي وقال نعماً ما فعلت ولكن الضربة القاضية تكون في البر لا في البحر . كما ترى في الصورة التالية) [1]

« ولقد أخطأنا في إلقاء اعتمادنا كله على قوتنا البحرية واهمالنا لقوتنا البرية فكنا كالخراف امام الذئاب لما ذهبنا لمحاربة ألمانية في فرنسة لاننا اعتدنا الراحة والرفاهة فاسأنا الى أنفسنا والى أوربة كلها باهمالنا قوتنا البرية

« وسبيلنا الآن ان نعلم ان قوة ألمانية الحربية لم تضعف حتى الآن ولادليل على انها لا تستطيع مواصلة الحرب وامداد جنودها بالرجال والسلاح سنة أخرى أوسنتين

« من المحتمل أن قيادة جيوش الالمان جعلت منذ الربيع الماضي تخفي عدد قتلاهم وجرحاهم ولا تذكر الاّ القليل منه حالما رأت اننا نعنى بذلك ونبني عليه أحكامنا . ولها غرض آخر أهم وهو ان لا يعلم الشعب الالماني ما حلّ برجاله . ومع ذلك فانها لم ترسل الى ميدان القتال حتى الآن الا القليل من مجندي سنة ١٩١٧ ولم ترسل أحداً من مجندي سنة ١٩١٨ . وهي تستطيع ان تجند كل سنة نحو نصف مليون من الشبان . وكثيرون من الجرحى يشفون ويعودون الى ميادين القتال . وقد يكون عندها الآن مليونان من الرجال المستعدين لحمل السلاح وانجاد الجنود المقاتلة . ولا جدال في انها خسرت هي والنمسا خسارة فادحة في الصيف الماضي ولكن خسارتهما هذه لا تستلزم أن يطرحا سلاحهما حالا ويطلبا الصلح ناهيك عن أن التزامهما خطة الدفاع تقلل خسارتهما من الرجال وتمد أجل الحرب كثيراً

« فلا ينبغي لنا ان نتوانى بل يجب علينا ان نزيد همةً وإقداماً ونوالي الهجوم

(١) المنار : نشرت الصورة في المقتطف كما نشرت في مجلة لندن

نحن وحلفاؤنا ونكثر من سبك المدافع والقنابل واعداد الجنود ونستعين بكل رجال الامبراطورية البريطانية . وما دامت حكومتنا قد أقرّت التجنيد الجبري ووزعت ادارة الاعمال على الاكفاء من الرجال فلا يهمنا بعد الآن من يدخل الوزارة أو مَن يخرج منها

« وستنتهي هذه الحرب حينما تتأكد ألمانية انها تخسر كثيراً باطالتها ولا تستفيد شيئا منها، ولكن ما من أحد يعلم متى يكون ذلك . من المرجح ان أولي الامر في ألمانية علموا الآن هذه الحقيقة ولكن يصعب عليهم ان يجاهروا بها قبلما تدور الدائرة على قوادهم في معركة كبيرة فاصلة لا سيما وان الشعب الالماني قد استهوي وأقنع ان الفوز في يده فيصعب عليه ان يصدق الآن ما يناقض ذلك »

(المقتطف) : واستطرد الكاتب الى ما يجب على الامة الانكليزية فعله بعد ان يعقد النصر للحلفاء فقال :

« ان الحرب ستنتهي يوماً ما فكيف يكون حالنا حينئذ؟ اذا اعتبرنا قوانا البرية والبحرية وخيرات بلادنا فسنصير أعظم دولة حربية في المسكونة ، ونكون معتمد حلفائنا ونمتلك ما مساحته مليون ميل مربع من مستعمرات الالمان، ويكون عندنا جيش محنك من الجنود والضباط يعدُّ بالملايين ، ويزيد تفوُّقنا البحري عما كان قبل الحرب، وتتحقق الامم كلها ان امبراطوريتنا مرتبطة بعضها ببعض، عراها لا تنفصم، وشعوبها لا تقهر ، وفعالها خليق بماضيها المجيد

« ولقد كان ضعفنا العسكري شوكاً في جنب جنودنا في السنوات الاخيرة وهو من أكبر الاسباب لنشوب هذه الحرب الا ان ذلك قد مضى وانقضى . لكننا قد نخسر كل ما اكتسبناه الآن اذا قامت فينا وزارة تطلب ان نطبع سيوفنا سككا ورماحنا مناجل قبل ان يحين الزمان الصالح لذلك . فيجب علينا ان نكون على حذر مدة خمسين سنة إلى ان تزول رزايا هذه الحرب وما أثرته في النفوس ويعود الأمن والسلام الى نصابيهما

« وعلينا ان نحذر الغرور كما نحذر الخمول لئلا نضيع ثمار الظفر، فقد اعطينا زعامة حلفائنا فصارت زعامة أوربة لنا بحق مكتسب، فلا ينبغي لنا ان نحل محل ألمانية

فنكون قوة حربية مستبدة مثلها لاننا أصحاب البوارج والرجال والاموال ونتوخى التفوق الحربي على غيرنا. بل يجب ان يكون غرضنا النفع العام وخدمة نوع الانسان. أما البحر فيجب ان يبقى لنا التفوق فيه وأما البر فيجب ان يكون عندنا من القوة ما يكفي لحماية ثغورنا وبلداننا مهما اختلفت تصاريف الزمان. ولا نخدعنّ أنفسنا بأن القوة البحرية كافية وحدها كما فعلنا فيما مضى

« يجب أن نمرن شبابنا كلهم على استعمال السلاح، لا لكي يضرموا نار الحرب به بل لكي يمنعوا اضطرامها ويحموا كل أملاكنا ومستعمراتنا ويحفظوا تاريخ أسلافهم المجيد

« والفوز في الحروب والتغلب على المكاره مغروسان في نفوسنا حتى ان جنودنا الذين دارت الدائرة عليهم في أول الحرب واضطروا أن يعودوا القهقرى أمام العدو لم يكن يخطر لهم ان يتفكروا أو يتكلموا الا بأن الفوز سيكون لهم أخيرا، وقد دامت هذه العزائم كل مدة الحرب وستبقى أشرف ميراث نورثه لذريتنا من بعدنا »

(المقتطف) : هذا ولم نكد ننتهي من كتابة هذه السطور حتى طير الينا البرق ان ألمانية عزمت ان تجعل بلادها كلها معملا للاسلحة والذخائر الحربية أوان تحسب البلاد كلها محلا تجاريا كبيراً وتستخدم كل ما في بلادها من الايدي العاملة ومعدات العمل لخدمة الجيش وان لا تكتفي باستخدام الرجال والاسرى بل تستخدم النساء أيضا، ويقال انها عزمت على تجنيدهنّ أيضاً. وان انكلترة قررت انشاء ادارة التموين برآسة رجل مطلق التصرف يحق له ان يرغم الناس على الاقتصاد وانها حظرت على السكان اتلاف المواد الغذائية واستعمال السكر في الكماليات وطحن الدقيق على الاسلوب الذي يزيل منه المادة السمراء فتقل تغذيته اه ما نقلناه عن المقتطف من ترجمته وتعليقه.

ومن قابل ما نقله عن جريدة التيمس التي هي أعظم الجرائد الانكليزية مكانة ومعرفة بما قلناه في أول العهد بالحرب في شأن ظفر انكلترة وحلفائها يجده شيئا واحدا

الحركة الطورانية الجديدة

في بلاد تركيا (*)

نتقل هذه المقالة عن العدد ١٨ والعدد ١٩ من جريدة القبلة الغراء مع تصحيح بعض الالفاظ —:

قرأنا في جريدة (نيرإست) الانكليزية الصادرة في أول ذي القعدة مقالا خطيراً (؟) تحت عنوان الحركة الطورانية الجديدة فترجمناها (؟) الى لغتنا العربية الشريفة ونشرناها على صفحات القبلة لعل فيها عبرة ومزدجرا فان أسرار الاتحاديين والحمد لله قد ذاعت وشاعت حتى أصبحت حديث الشرق والغرب. وان وراءها لأشد منها وأفظع، وأدهى وأمر، وسيعلم النازحون عن المملكة العثمانية من حقائق الاتحاديين الطورانيين ما علمه العرب العثمانيون قبل ذلك بأعوام فاستعدوا للدفاع عن كيانهم وعن دينهم، و بعضهم سادرون في غفلاتهم هائمون في أودية الاوهام و لاضاليل واليك ترجمة المقال المذكور

ظهرت في تركية حركة جديدة عرّفها القوم باسم (يني طوران) أعني طوران الجديدة وقد بدت في الاستانة سنة ١٣٣١ ثم أخذت تنتشر في أجزاء كثيرة من السلطنة، وقد امتازت هذه الحركة بكونها مقصورة على فئة مخصوصة غايتها توحيد القومية التركية بالعنصرية الجنسية دون الروابط الدينية الاسلامية. واليك بيان الغايات التي ترمي اليها في مساعيها وأعمالها :

(أولها) ان تجعل الاتراك أمة قائمة بذاتها مستقلة عن الدين الاسلامي تمام الاستقلال حتى يتهيأ لها أن تربي فيهم ذلك الشعور القومي الذي ذكره الدكتور الفردنوبج في مقالة نشرها تحت توقيعه في جريدة (اندرنوخ) الالمانية على أثر حديث

*) قد لخص هذه المقالة صاحب المقتطف ناسبا اياها الى أحد أدباء الانكليز وابقى كلمة الطورانية بالتاء

دار بينه و بين زعماء الاتحاديين . (١)

(ثانيها) ترقية الروح العسكري التركي فقط(٢)

(ثالثها) انشاء العلاقات التجارية وغيرها من الصلات بين مسلمي بلاد العجم الشمالية (آذربيجان) و بلاد روسيا في آسيا والاجزاء الجنوبية منها .

(رابعاً) تطهير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية ومن آداب هاتين اللغتين .

ولهذه الجمعية التركية مطمع آخر ترمي اليه وان لم تجهر به رسمياً وهو تتريك العرب وإدغامهم في الترك حتى لا تبقى لهم قومية قائمة بذاتها. وأ كبر آمال هذه الجمعية ان تجعل التركي العثماني يعد نفسه تركياً قبل كل شيء وأما كونه مسلماً فيعد عنده من المسائل الثانوية التي لا تهمه كثيرا .

أما هذه الجمعية فانها تقوم بتلك الاعمال بايعاز من السلطة الحاكمة التي تؤيدها بكل وسيلة ممكنة وتدفع لها كل ما يلزمها من المال لاجل بلوغ هذه الغاية وهم يسمونها (ترك أوجاغى) أي جمعية الوطن التركي . وهي تقوم الآن بنشر دعوتها والقيام في أعمالها بهمة فائقة . أما الاطفال الترك فان المدارس الطورانية التي شرع في انشائها كفيلة بأن تغرس في نفوسهم تلك الروح التركية الجديدة

وقد بذلوا غاية الجهد في تدريس التاريخ القومي للطورانيين وأفرغوا كل عناية لنشره في المدارس العالية وحضوا الطلاب على التنافس فيه والتهافت عليه، وأخذوا بتأليف قوة كبيرة من فتيانهم سموها بالتركية (ايزجى) أي قافة الاثر . ووضعوها تحت رعاية أنور باشا وهم يدربونها على الفنون العسكرية حتى تكون قادرة على الانضمام للجيش العامل وتفوق غيرها من أبناء العناصر الاخرى كالعرب والاكراد واللاز ونحوهم . ولهذه القوة الصغيرة علامات مخصوصة وشارات معينة وألقاب معروفة وكلها تركية قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل العصر الاسلامي . أما الاولاد الذين

(١) عبارة المقتطف : وهذه العبارة هي عبارة الدكتور الفردنوسيج من حديث دار بينه و بين زعماء الاتحادين ونشر في جريدة درتاج الالمانية اه (٢) ترقية الروح العسكرية بين الترك اه م

أسماؤهم مأخوذة من العربية فقد استبدلو بها ألفاظا تركية محضة بدعوى ان الكشافة تركية خالصة وان أسماءها يجب ان تكون كذلك اتماما للقومية ورعاية للجنسية ، ومن الاسباب التي عملت على ايجاد هذه الحركة أمور علمية ولغوية لان الاتحاديين شرعوا في نقل كتب كثيرة من علمية وتاريخية الى لغتهم فكان لها في نفوسهم تأثير . وقد تفانوا في ذلك حتى عزموا على ترجمة القرآن الكريم الى التركية واستعماله في العبادة بها لا باللسان العربي، ولكن العلماء المسلمين من جميع النحل حتى بعض الترك أنفسهم عارضوا في ذلك أشد معارضة

وقد طبع الاتحاديون كتبا كثيرة لتأييد المبدإ العنصري ومن ذلك الروايات الكثيرة التي وضعوها وأهمها (يني طوران) وهي الرواية التي كتبتها احدى نسائهم المطالبات بحقوق الانتخاب واسمها (خالدة خانم) وقد حبذت فيها تلك الحركة الجنسية ونوهت بمطالب السيدات وحقوقهن ، ولا ريب ان مسئلة المطالبة بحقوق النساء وما يقوم به الاتراك من نشر دعوتهم والحث على العودة الى مدنية طوران من شأنه ان يعيد الى مخيلة الانسان ذكرى ما هو معروف عن الاقوام الطورانية وما كانت عليه من الاحوال الاجتماعية لان استبدادهم بالنساء وما ألحقوه بهن من ضروب القسوة والظلم يفوق ما فعلته جميع شعوب الارض في العصور المظلمة

يقال ان الحركة التركية بدأت بالظهور تحت صور شتى وأسباب مختلفة أولها اللغة التركية ومحاولة كتابتها بما يخالف الاحرف العربية حتى تعذرت قراءتها على كثيرين . على ان هذا الامر لا شأن لنا به على الاطلاق . وهنا لك أسلوب آخر أعني به توطيد العلاقات مع مسلمي روسيا والقوقاس دون غيرهم من سائر المسلمين بحجة أن هذه الاقوام ربما كانت من أصل تركي أو ان تتريكها ممكن في الاقل ولكن ذلك لم ينقذهم من خطر الاندماج في العرب وخسران قوميتهم مادام للاسلام سلطان على النفوس [1] ولذلك عالجوا أمرهم باحياء اللغة التركية والسعي في استقلالهم عن سواها .

---

(١) عبارة المقتطف :والا لابتلع العرب الترك العثمانيين في آخر الامر ولو فاز هؤلاء باستخدام الجامعة الاسلامية لبلوغ غاياتهم

أما الباعث الثالث الذي شدد عزائمهم فهو كتاب تلاه[1] الدكتور ناظم المرخص المسؤل لجمعية الاتحاد فكان كالجذوة أصابت هشيماً يابساً لانه أوقد في نفوسهم نار الحماسة والحمية . وذلك الكتاب مؤلف تاريخي وضعه الموسيو ليون كوهين بالفرنساوية عن آسيا والاتراك في منغوليا وأصلهم منذ سنة ١٤٠٥ ميلادية، وقد صدر ذلك الكتاب سنة ١٨٩٦ وبما ان الجمعية العلمية الفرنساوية قرظته وخصته بالعناية فقد حلّ عند الاتحاديين مكانا رفيعاً فنقلوه الى التركية بعبارات بالغوا فيها مااستطاعوا ولم يلتفتوا البتة الى صحة بعض الاحكام والآراء المذكورة في الكتاب بل عدوا ذلك أمراً ثانويّا بالنسبة لخطتهم المرسومة . ومن البديهي ان من مقتضيات تلك الحركة استقلال العنصرية التركية دون الاسلام تمام الاستقلال وانفصالها عنه أشد الانفصال. وان ذلك لأمر خطير عند المسلمين وغيرهم من الدول العظمى مثل روسيا وفرنسا وايطاليا وانكلترا لان لهذه الدول عدداً كبيرا من الرعايا المسلمين وذلك مايجعل لهذا الانقلاب أهميه كبيرة في الشرق والغرب . وهذه الحركة كما يقولون مقصورة على جمعية الاتحاد والترقي ومبنية على نظرات استاذهم المجري فمبري لما علق في ذهنه من المزاعم القديمة البالية من ان الاسلام ينافي الوطنية[2] . ويزعم الاتحاديون أن الاسلام باختلاطه مع التقاليد والمؤثرات العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية قد حول الترك الى عنصر شرقي مسلم ليس له مدنية (كلتور) خاصة به، وهم يقولون ان هذه الحقائق تحملهم على الاهتمام بمصيرهم والتفكير في عاقبة أمرهم وزيادة العناية في تمييز الحياة الوطنية التركية عن الاسلام

أما تيار المهاجرة التركية فقد بدأ منذ أوائل عهد النصرانية في آسيا من بلاد الصين والاكسوس . وكانت ديانتهم في ذلك الزمن على افتراض أنهم كانوا يدينون بدين خاص مايسمونه اليوم (السامانزم) أي العبادة الوثنية[3] . وكانت مدنيتهم

(١) أي اطلع عليه وقرأه (٢) عبارة المقتطف : ويقال ان احرار الترك يميلون اليها بوجه خاص بناء على القاعدة التي وضعها فمبيري اليهودي المجري المعروف وهي أن «لاوطن في الاسلام» (٣) المقتطف : كانت القبائل التركية تقطن بلاد آسية من حدود الصين الى نهر جيحون (اوكسوس أو موداريا كما يسميه التتر)وكانت ديانتها ــ ان كان لها ديانة ــ مايسمى «بالشامانية» أي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر

مؤلفة من المبادىء البسيطة المعروفة عند القبائل الرحالة المنتشرة في أواسط آسيا كما يقضي بذلك مركزهم الجغرافي وحالتهم الاقتصادية المحيطة بهم. ولم يكن لهم من المزايا غير الصفات الحربية، ولم يكن لهم من الشرف القومي أيضا سوى ما يستعيرونه من شرف الامة التي تستخدمهم بالدراهم للمحاربة في صفوفها، وكانوا يعرفون بالطاعة لكل من أطعمهم وتولى قيادتهم في ساحة القتال. ولا مشاحة ان التركي لم يستطع تجاوز تلك الحدود من تلقاء نفسه. ولم يكن للتركي دين خاص به ولم يعمل شيئا لترقية شؤونه وبلوغ درجة رفيعة من المدنية، ولم يحاول الترك قط أن يمتزجوا ببقية اجناس قومهم، وان كان جنكيز المغولي قد حدث نفسه بهذا الامر وجعله نصب عينيه وأكبر آماله. ولم يكن التركي يقتبس من المدنية الا ما تلجئه الاحوال الضرورية اليه لاحتكاكه بها كرها كما وقع له مع المدنية الصينية فالفارسية فالعربية فالرومية فالالمانية. ولا يقع في وهم أحد أن ما استعاره التركي من مدنيات أولئك الاقوام ولاسيما مدنية الاسلام قد حال دون بلوغه (كلتور) مدنية خاصة به[1] وان التركي لم يظهر في عصر من العصور مقدرة خاصة أو استعدادا طبيعيا لاجل النهوض واظهار مدنية يستقل بها عما كان يقترضه اقتراضا ويقلده تقليدا مضحكا

وفي الحقيقة ان العثمانيين من بين قبائل التركمان أقل الناس لياقة لتمثيل أمة. يدلك على ذلك أن الاناضول عدا ما فيه من قبائل اليودوك والتركمان خال من آثار القبائل التركية الاصلية. لان القومية التركية فيه ليست الا لفظة أوجدتها الاحوال السياسية. وليس الدم التركي فيها سوى قطرة صغيرة في بحار تلك الدماء المتحدرة من الاقوام والشعوب القديمة الراجعة في تاريخها الى ماوراء تأسيس القسطنطينية باجيال كثيرة كاليونان القدماء والفريجيين والغلاطيين والاشوريين والكاريانس والحثيين، وتلك الدماء هي التي تحركت في اعصاب ذلك المزيج المسمى بالعثماني فاوجدت فيه ميلا للزراعة وحراثة الارض، ولا سيما العناية بالبحرية في القرن السادس عشر. وقد كان من جملة العوامل التي حفظت وجود الأتراك حتى اليوم بصفة شعب معروف أمران: الدين والطاعة العسكرية. فاذا ذهب الاسلام من تركيا فاذا عسى أن يبقى لها. وقد أجاب عن ذلك أصحاب (قوم جديد) فقالوا انه سيبقى لهم

(١) كذا في القبلة والمراد: دون انشائه مدنية خاصة

اتراك طوران والاسلام بصورة جديدة فيكون دينا وطنيا أهليا. على ان شعب طوران لم تظهر عليه دلائل الابتكار والاختراع فيستطيع قلب الاسلام رأسا على عقب وجعله كما نشاء عنصر يته الطورانية وكما يزعم اقطاب القوم الجديد، وكل ما في الأمر ان الطورانيين سبقا في التدمير والتخريب والقتل كما فعل جدهم هولاكو فقد دمر الترع المائية التي كانت في العراق وجعل بقاعه الخصبة مجدبة حتى اليوم. أما الطورنيون العثمانيون فقد نسفوا المدنية البزنطية الزاهرة، ومثلهم جنكيز السفاح الذي ملأ بخارى بغيا وظلما، وقد لا يصدق الناس أن تيمور كان من الفرسان وان جنكيز من أقطاب السياسة.

ولقد أفاض المسيو كوهين في وصف المزايا العسكرية الطورانية ولكنه لم يذكر شيئا عن فظائعها الاان الدكتور بيسلر أصلح ذلك الخطأ فبين ما كانت تستعمله تلك البطون الطورانية من ضروب القسوة والظلم مع جميع الامم الخاضعة لاحكامهم، وليس للتركي لذة أو اهتمام خاص في الامور الدينية ولذلك لم يبذل شيئا في خدمة الاسلام الذي جد بين يديه فلم يتقدم خطوة ولذلك يستصعب العارفون قدرة (قوم جديد) على جعل الاسلام تركيا محضا

ومما لاريب فيه ان التركي يخاف العرب اشد خوف و يدأب في استعمال كل الوسائل لجعلهم اتراكا ومحو قوميتهم تقليدا لما فعله شولرويك هولستين مع ولايات الدانمرك التي انضمت لالمانيا ولقد صرح بذلك جلال نوري بك في احد كتبه فقال «ان البلاد العربية بأسرها ولاسيما العراق واليمن يجب ان تكون تركية في اللغة والجنس وان تكون لغة الدين عندهم تركية أيضا، والاسراع في تتريك البلاد العربية من أهم الامور لحفظ وجودنا لان روحا جديدة بدأت تدب في نفوس العرب ورجال نهضتهم وأخذت تهدد وجودنا السياسي بضربة تقضي علينا قضاء مبرما، فالضرورة والحالة هذه توجب علينا ان نكون على تمام الاهبة والاستعداد لاتقاء هذا الخطر.» وكتب احمد شريف بك في جريدة طنين ما يأتي « يتحدث العرب كثيرا في هذه الايام عن نفسهم وقوميتهم وهم يجهلون اللغة التركيه جهلا تاما كأن بلادهم ليست خاضعة للاتراك، فالواجب يقضي على حكومة الباب العالي أن تهتم اهتماما فعليا في جعلهم ينسون هذه النغمة وتضطرهم لتعلم اللغة التركية الرسمية. فاذا أهمل الباب العالي ذلك كان كمن يحفر قبره بيديه. واذ بقي العرب على يقظتهم هذه

فلا يبعد ان يهبوا لاسترجاع ملكهم وفي ذلك القضاء على السيادة التركية في آسيا، وهنالك أدلة أخرى عديدة على ان الاتراك يسعون بكل جهدهم للقضاء على أمة شريفة كالامة العربية ومحو أثرها من عالم الوجود ولكن الحلفاء يدافعون عن مبدأ القومية ويؤيدونه، وهم لا يسمحون بفناء أمة كريمة تريد البقاء ولا سيما اذا كانت أمة أخرى طاغية تريد سحقها. وذلك ما يجعل ميول الحلفاء عربية محضة وهو أمر لا يرتاب فيه أحد من المسلمين المتمتعين بالعيش في ظل انكلترا وفرنسا. فالحلفاء أنصار العرب وهم يسعون لتأييدهم لانهم أصحاب الدين الاسلامي الحنيف ومنهم النبي الاعظم (صلى الله عليه وسلم) وفوق ذلك كله فان هنالك صلة قرابة قوية بين العرب والمسلمين التابعين لحكومة فرنسا في شمال افريقيا. اه

باب المراسلة والمناظرة

﴿ تأثير الصحافة في أخلاق الامة ﴾

سيدي الاستاذ صاحب (المنار)

بمناسبة مقالكم الصريح عن حال المسلمين الاجتماعيـة ومكان الاغنياء وسائر الطبقات منها ربما جاز لي أن أتعرض بكلمة وجيزة لمسألة حيوية مرتبطة بهذا الموضوع وهي تأثير الصحافة في أخلاق الامة .

بديهي ان الصحافة من الموازين التي تقاس بها درجة الرقي في شعب من الشعوب، كما أنها احدى المكيفات له وأحد عوامل الاصلاح اذا قبض على زمامها مَن لهم خبرة به . ليس من الصعب على الإنسان اذا فحص حالة الجرائد في قطر من الاقطار أن يقرر حكما تقريبيا عن مبلغ نهضة أهل ذلك القطر وشكل مزاجهم، كذلك ليس من الصعب التنبؤ بمستقبـل الحركة الفكرية في أمة ما استنتاجا من مشرب صحافتها التي هي أشبه بمربٍّ ومهذب لها. والدارس لحال الصحافة في وادي النيل لا يتيسر له التفاؤل الحسن عن تقدمنا في الآداب والاخلاق .

عودت الصحافة المصرية الرأي العام على قبول المدح يُزف لمستحقه ولغير مستحقه بغير حساب ، وعودت الجمهور على أن لا يعمل عملا بغير جزاء مادي أو غير مادي أقله المدح سطورا لا تعد ، فأصبحنا وليس بيننا من يعرف مبدأ التضحية ويعمل به

الاشوا اذ شقوا بسمو أخلاقهم وضاعت أتعابهم ومجهوداتهم النبيلة. وصار لا يعرف لاحسان الا الاقلية الضئيلة الصالحة، ومن عداها من المتظاهرين بالبر فمنافقون تضطرهم الى ذلك الرهبة من الرؤساء والحكام أو متاجرون يرغبون في الاعلان عن أنفسهم بما ينفقونه. وليس من الغريب بعد هذا اذا أصبحت جميع مشروعاتنا الخيرية عرضة للفشل، كما أنه ليس من المدهشات أن يتصدى بعض الناس للقيام بعمل خيري دون أن يكون لهم في الواقع غيرة عليه بل كل قصدهم الاعلان عن أنفسهم سواء نجح العمل أم لم ينجح. ويتبع كل هذا بطبيعة الحال اساءة الظن من بعضنا ببعض، وتعثرنا في أعمالنا، وتسابقنا الى شهرة كاذبة وغرور باطل، وإغراق أخلاق الامة ومصالحها في هذا التيار.

لم يقتصر كرم الصحافة بالاطراء المتناهي على العمد والاعيان بل شمل أيضا رجال مهنة الطب الشريفة وخلطت الشخصيات فيه بالعموميات فأصبحت أنهار الصحف مزدانة يوميا بالاعلانات الفخمة عن الاطباء مما يندى له جبين الحر، ومما ضر سمعة هذه المهنة الجليلة في القطر المصري. وبعد هذا وذاك تشكو الصحف من المتاجرين بالطب من أهله ومن غير أهله. فكم قرأت من أوصاف المدح لاطبائنا ما لا يقال مثله لاوزلر أو رواستون أو ارلخ أو كارلس أو لين أو أوجل أو غيرهم من فطاحل علماء الاطباء بأوربا! وأتذكر أني زرت وطني منذ ثلاث سنوات وكنت لا أزال حينئذ طالب علم فكتبت عني وقتئذ احدى الصحف العربية الكبرى بالقاهرة مالا يجوز أن يكتب الا عن ذي منزلة علمية كبيرة! واضطررت على كره مني أن أحرر كتاب عتاب شديد اللهجة الى صديقي المحرر........ ولا تزال الصحف تعود طلبة العلم الناشئين حب الظهور الضار ولاسيما الطلبة في أوروبا. وانني مع اعترافي بأن منا بعض الحاصلين على شهادات علمية عالية جليلة المنزلة وهم قليلون، وأن منا بعض المتفوقين على اقرانهم الاوروبيين في امتحانات المسابقة للجوائز العلمية [illegible]هادات الشرف وهم أقل وأندر، — أرى أن كل هذا لا يجيز للصحف أن تبالغ في فوز [illegible] وتنعته بأكبر النعوت التي لا [illegible]ذا مزر بكرامتها وكرامة [illegible]ح ومؤد الى فساد اخلاق[illegible]

فهذه يا سيدي الاس[illegible] [illegible]ـة كثيرة سببتها الصحافة بتهاونها

بدل أن تقضي عليها وعلى أمثالها بالموعظة الحسنة والقدوة الصالحة، وأدت الى الكثير مما تشكو و يشكو منه الغيورون المصلحون الذين لا نعرف أقدارهم الا متى حرمنا من مساعيهم فنندم برهة على التفريط حين لا ينفع الندم، ثم نستمر في ضلالتنا، ومعظم الصحف مجارية في ذلك حرصا على مودتنا لها، بدل أن تزجرنا وترشدنا حبا في نفعنا. فحبذا لو وجهتم عنايتكم بالاصلاح شطر زملائكم الافاضل مرة قبل أن يستفحل الداء فقد أشرفنا على عهد لا يكاد يستطيع شريف النفس أن يضمن النجاح لعمله بعقله وجده في هذه الفوضى ما لم يقرن ذلك بالاعلان عن نفسه والسمسرة في هذا السبيل. واذا كان أحد أسباب هذا المصاب الجهل وضعف الاخلاق فثاني الاسباب هو انحطاط الصحافة

نادي مستشفى سانت جورج بلندن   احمد زكي ابو شادي (طبيب)

[المنار] أحسن الكاتب وأصاب، ولا رجاء في ارجاع الصحف بالنقد الى محجة الصواب، لان أكثر اصحابها لا يقصدون الاصلاح، وجمهورهم يقصدون الكسب والجاه، والذين يميلون الى الاصلاح منهم يتحرون في كلامهم ما لا يسوء القراء كالمسائل النظرية والارشاد المجمل. ثم هي تمدح من يستحق الذم، وتسكت عما يجب من النقد. ولا يتسع هذا التعليق الوجيز للاطالة في تأييد رأي الكاتب في جنايتها على الاخلاق، ولكنني أنقل فيه كلمة تغني عن مقالات:

حدثني شيخنا الشيخ حسين الجسر عن حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني وكان قد لقيه في الآستانة بعد انشاء جريدة طرابلس الشام التي كان الشيخ شريكا ومحررا فيها ولكن مقالاته فيها لم تكن تعزى اليه قال

قال لي السيد ان جريدتكم « طرابلس » قد جمعت بين الكفر والايمان، نرى في صدرها مقالة في مدح الصدق وذم الكذب مثلا وأكثر ما فيها بعد تلك المقالة كذب — وأشار الى ما يذكر كل عدد من إطراء رجال الدولة والحكومة وغيرهم من الوجهاء — فقلت له ان مدير الجريدة يفعل هذا على سبيل التقية (وذكر الشيخ انه تنصل من مهنة الصحافة) فقال له السيد: التقية مذهب الشيعة... وأنكر على الشيخ تنصله من الصحافة وقال أنا صحفي ثم قال وهو المراد: إننا لا نخطو خطوة واحدة الى الامام الا اذا أعطينا كل ذي حق حقه فسمينا العالم عالما والمصلح مصلحا والمفسد مفسدا...

جمعية النهضة النسائية بمصر

اجتمع عدد من كرائم السيدات الوطنيات في ٢٧ يناير الماضي في منزل حضرة السيدة الفاضلة حرم صاحب العزة اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير فألفن جمعية أدبية غايتها السعي في ترقية المرأة الشرقية والاهتمام بمستقبلها بعد هذه الحرب

وقد افتتحت الحفلة حضرة ربة المنزل بالكلمات الآتية

أبدأ قولي بحمدالله، والصلاة والسلام على من اصطفاه

وبعد فاني ياسيداتي وياأخواتي الأعزاء أراني وانا في موقفي هـذا منشرحة الصدر بتشريفكن منزلي اجابة لدعوتي بالحضور الى هذه الحفلة المراد بها البحث في ترقية المرأة الشرقية لتساوى أختها الغربية في الحضارة والارتقاء

أقول الارتقاء ويعلم الله اني لا أريد بقولي هذا أنها في انحطاط أو مهضومة الجانب أوانها لا تصلح للرقي، حاشا فالمرأة الشرقية كانت ولا تزال عزيزة الجانب أهلا لكل فضيلة غيرانها ينقصها الآن اتقان العلم والعمل به اتقانا ينهض بها الى منزلة اسمى مما نحن عليه لأن العلم وحده لا يكفي. مثال ذلك ان كثيرات من أهل الطبقات الراقية أمثال حضراتكن ادخلن بناتهن المدارس وصرفن المصاريف الجمة ولكن ذلك لم يأت بالغرض المروم لانهن اقتصرن على تعلم العلم من دون عمل فتراهن يتكلمن باللغات وبأيديهن الشهادات ولكنهن اذا اجتمعن فلا حديث لهن الا الأزياء والخياطات والحرائر والدنتيلات والاعجاب بالأزياء الحديثة

هذا هو الموضوع الاكثر رواجا بيننا الآن. فماذا يؤخرنا اذاً ياحضرات الفاضلات وكلكن من المتعلمات الراقيات ولله الحمد عن النهوض نهضة علمية عملية والتعاضد جميعا على البحث فيما يلزم لهذا الرقي ونحن الان في عصر النور والاصلاح. فلهذا قد اجتمعنا للمذاكرة في هذا الشأن الخطير وتقرير ما يلزم للهداية الى الطرق التي توصلنا الى هذا الغرض الشريف كقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) واني اسأل الله ان يكلل عملنا هذا بالنجاح وان يوفقنا جميعا لما فيه النفع والاصلاح. وان شاء الله سألقي في الاجتماع القادم محاضرة ادبية أبين فيها الادواء وما يلزم لها من الدواء لترقية الاخلاق والافكار والله المستعان؟

ثم دعت الكاتبة المجيدة صاحبة مجلة فتاة الشرق الزهراء للخطابة في موضوع ترقية اخلاق المرأة الشرقية فالقت خطابا مفيدا كان له اجمل وقع في نفوس السيدات وصفقن لها مرارا وما زلن يتسامرن ويتجاذبن الحديث في مواضيع ادبية مفيدة ثم انصرفن شاكرات ربة المنزل على السعي في هذه النهضة المفيدة وقد وعدن بالمداومة على الحضور فيها

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ تصحيح كتاب الاغاني ﴾

كان علامة اللغة وإمامها في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي قد صحح في نسخته من كتاب الاغاني المطبوعة بالمطبعة الاميرية كثيرا من الاغلاط التي كان يعثر عليها عند المطالعة والمراجعة وزاد عليها في بعض الاجزاء بعض الفوائد والابيات من الشعر كتبها على الهوامش فعني (محمد أفندي عبد الجواد الاصمعي) بجمع تلك التصحيحات والزوائد من نسخة الشنقيطي بعد ان صحح بها نسخة المكتبة الزكية باذن واقفها احمد زكي باشا وارشاده وأضاف اليها تصحيحات وزوائد أخرى لاحمد زكي باشا من نسخته وطبع ذلك كله مبينا مكان الغلط وتصحيحه من طبعة المطبعة الاميرية وطبعة الساسي وأضاف الى ذلك استدراكات على فهرس الكتاب ، فبلغ المطبوع سبعين صفحة كبيرة كصفحات الاغاني ، وكل من ينظر في كتاب الاغاني المطبوع من أهل العلم باللغة وفنونها يجزم بأن فيه من الغلط الكثير الذي لم يذكر في هذه التصحيحات ما لا يخفى مثله على الشنقيطي، لذلك جزمت بأن الشنقيطي لم يصحح الكتاب كله بل بعض ما كان يعثر عليه عند المراجعة أو المطالعة ، ولكن جامع التصحيحات ظن أنه صححه كله بقصد، وأن تصحيح زكي باشا جاء كالاستدراك عليه، فهو مما خفي عليه أو مما ذهل عنه، وانني أؤيد رأيي بشاهد واحد بل شواهد كثيرة في قصيدة واحدة وهي قصيدة أبي دلامة الفائية المنشورة في ص ١٣٠ من جزء الاغاني التاسع من طبعة الساسي، ففي هذه القصيدة أغلاط لا تحتمل التأويل، وهي منشورة في الجزء الاول من العقد الفريد، ومن راجعها عليه يرى بين ما فيه وما في الاغاني اختلافا كثيرا وزيادة ونقصا ، والشنقيطي كان مطلعا على العقد الفريد فلو كان ملتزما تصحيح الاغاني لصحح غلط القصيدة وأشار الى ما خالفت رواية الاغاني فيه رواية العقد ، ومن التصحيف فيها قول الشاعر

وطالما اختلفت صيفا وشاتية   الى معلمها باللوح والكتف

صحفت كلمتا «صيفا وشاتية» في الاغاني بجعلهما «ضيفا وشانية» ومن التحريف فيها قوله

* والحق في طرف والمين في طرف * حرفت فيه كلمة المين المراد بها النقد بكلمة الطين؟

هذا وننا نشكر الاديب الاصمعي هذه الخدمة التي لا ينقص من قدرها ماذكرنا من الحقيقة، وننصح لكل مقتن لكتاب الاغاني بتصحيح نسخته على هذه الجداول

تصحيح كتاب لسان العرب

كتاب لسان العرب لابن منظور الافريقي أعظم معاجم اللغة التي أتحفتنا بها المطابع ولكن فيه غلطا طبعيا كثيرا ، على كونه قد طبع بالمطبعة الاميرية التي هي خير المطابع العربية تصحيحا،وأذكر أنه لماسافر الاستاذ الامام سفره الاخيرالى تونس والجزائر وصقلية وأوربة أنابني عنه بتصحيح كتاب المخصص مع الشيخ محمد محمود الشنقيطي (رحمهما الله تعالى) فكان هذا يذكر لي في أثناء التصحيح كثيرا من أغلاط لسان العرب التي اعتمد عليها مصححو المطبعة الاميرية في تصحيح المخصص فأخطؤا ، وقليلا من الاغلاط التي أخطأ فيها ابن منظور نفسه في النقل أو الاعتماد على بعض الروايات المرجوحة في اللغة . وقد انتدب صديقنا أحمد بك تيمور الباحث اللغوي الشهير بتدقيقه وسعة اطلاعه لجمع ما تيسرله من تلك الاغلاط وتصحيحها وكان ينشر ذلك في مقالات متفرقة في جريدة المؤيد ومجلتي الضياء والآثار، ثم جمع شمل تلك المقالات وزاد عليها ما عثر عليه بعد نشرها ، وأذن لمحمد افندي عبد الجواد الاصمعي بطبع ما جمعه وحرره منها — وهو القسم الاول من التصحيح — فطبعه ووعد بنشر ما اطلع عليه من تصحيحات الامام الشنقيطي والشيخ حمزة فتح الله والشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ محمود مصطفى والشيخ محمد البليسي أيضا، فنشكر له هذه العناية.

الكوكب

جريدة سياسية أدبية أسبوعية تصدر في القاهرة بشكل كراسة من قطع الكتب الكبيرذات ثماني صفحات مطبوعة طبعا جيلا بحروف المطبعة الأميرية الجديدة ، موضوعها تنشيط الحركة العربية ودعوة سائر عرب الجزيرة الى القيام بمثل ماقام به عرب الحجاز للقضاء على سلطة الترك وتقليص ظلهم غير الظليل عن سائر البلاد العربية ، والظاهر ان لها موارد خاصة تستقي منها أخبار مساوئ الترك وفظائعهم في سورية والعراق وكذا فظائع حلفائهم الالمان في أوربة ، وأنها كانت توزع في بلاد العرب دون مصر ، وأول عدد ظهر منها في مصر هو السابع عشر فقرظه المقطم ، ثم اطلعنا عليه وعلى أعداد مما صدر بعده . وثمن كل عدد من هذه الجريدة قرش مصري صحيح (١٠ مليمات)



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٥ — ٢ الحوت (ش ٣) ١٢٩٥ هـ ش ٢٢ فبراير ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لايسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء. وأننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ ربح صندوق التوفير ﴾

(س ١١) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الاستاذ الجليل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فانا كثيرا ما سمعنا من الناس اباحة وضع الاموال في صناديق التوفير بالبريد وأخذ الفوائد منها وذلك مما لا نشك أنه الربا المحرم باجماع المسلمين لا نعلم بينهم خلافا ثم اذا ناظرناهم فيه استندوا الى ان الاستاذ الامام رحمه الله وغفر له افتى بجوازه في فتوى رسمية ولما كنا لم نر هذه الفتوى ولم نعلم وجهها وكنتم أخص الناس بالامام وأعلمهم بأقواله وفتاويه لجأنا اليكم

لتبينوا لنا فتوى الامام أولا وهل هي لا تعارض الكتاب والسنة ثانيا خصوصا وأن المجالس الحسبية قررت وضع أموال القاصرين في هذه الصناديق بناء على هذه الفتوى المزعومة كما يقولون وليكن بيانكم شافيا وافيا كما هو دأبكم ان شاء الله تعالى؟

كتبه

أبو الاشبال

عفا الله عنه بمنه

(ج) ان كان للاستاذ الامام فتوى رسمية في مسألة صندوق التوفير فهي توجد في مجموعة فتاويه بوزارة الحقانية ومنها تطلب ، وأنا لم أر له فتوى في ذلك ولكنني سمعت منه في سياق حديث عن مقاومة الخديو له ماحاصله: ان الحكومة أنشأت صندوق التوفير في مصلحة البريد بدكريتو خديوي (أمرعال) ليتيسر للفقراء حفظ مازاد من دخلهم عن نفقاتهم وتثميره لهم وقد تبين لها ان زهاء ثلاثة آلاف فقير من واضعي الاموال في صندوق البريد لم يقبلوا أخذ الربح الذي استحقوه بمقتضى الدكريتو. فسألتني الحكومة هل توجد طريقة شرعية لجعل هذا الربح حلالا حتى لا يتأثم فقراء المسلمين من الانتفاع به فأجبتها مشافهة بامكان ذلك بمراعاة أحكام شركة المضاربة في استغلال النقود المودعة في الصندوق، فذاكر رئيس النظار الخديو في تحوير الدكريتو الخديوي وتطبيقه على الشرع فأظهر سموه الارتياح لذلك . ولما قال له رئيس النظار اننا استشرنا المفتي في ذلك غضب غضبا شديدا وقال كيف يبيح المفتي الربا ؟ لا بد أن أستشير غيره من العلماء في ذلك . ثم جمع سموه جمعية من علماء الازهر في قصر القبة وكلفهم وضع طريقة شرعية لصندوق التوفير ليظهر امام العامة بأنه هو الحامي عن الدين والمطبق للمشروع على الشريعة ، وان الحكومة كانت عازمة على إكراه المسلمين على أكل الربا بمساعدة المفتي لولا تداركه الامر . وقد وضع له العلماء مشروعا قدمته المعية لنظارة المالية . (قال) وان نظارة المالية عرضت عليّ ذلك المشروع لاقراره — أو قال للتصديق عليه — فوجدته مبنيا على ما كنت قلته للحكومة شفاها . هذا ما سمعت منه رحمه الله تعالى وأظن انه قال ان اولئك العلماء كانوا من فقهاء المذاهب الاربعة أو الثلاثة ولا أجزم بذلك

ومهما تكن صفة الطريقة التي وضعها العلماء لاستغلال أموال التوفير فلا يظهر عدها من الربا المجمع على تحريمه وهو ربا النسيئة الذي كان في الجاهلية وقد بينه الامام أحمد لما سئل عن الربا الذي لا يشك فيه بمثل ما بينه غيره من أخذ الزيادة في مقابلة التأجيل فقال: هوأن يكون له دين فيقول له — أي اذا حل أجل الدين — اما أن تقضي ولما أن تربي ، فان لم يقض زاده هذا في المال وزاده هذا في الأجل . وذكر الفقيه ابن حجر في الزواجر ان الإنساء فيه كان بالشهور ، ولهذا كان يتضاعف ويخرب البيوت

﴿ شق صدر النبي (ص) وتطهير قلبه من حظ الشيطان ﴾

(س ١٢) من صاحب الامضاء في الاسكندرية

سيدي الحكيم قدوة العلماء وتاج الفصحاء

من لا أسميه اجلالا وتكرمة   فقدره المعتلي عن ذاك يغنيني

أتطفل على مائدتكم العلمية التي أبهرت العقلاء وأعجبت الفصحاء لماعليها من أصناف المعارف الحية وأنواع التعاليم الصحيحة — راجيا من علوآدابكم ومكارم أخلاقكم أن تفسحوا لي المقام فان لي لقلبا يصبو الى ما يفوه به فوكم من الدرر وما ينطق لسانكم من الحكم والعبروما ينثره قلمكم من الفكر

في هذه الايام كثر الجدال حتى كاد يفضي الى الهلاك في مسألة (انشقاق صدر الرسول عليه الصلاة والسلام واخراج قلبه وتطهيره من حظ الشيطان الذي وجد معه من يوم أن ظهر على الارض ونزل من بطن أمه وامتلائه حكمة) — اختلفت آراء القوم وتباينت في تلك المسألة فمن مصدق عليها مقر بحدوثها ومن مكذب لها مفند لا يلوي الا على ما يثبته البرهان ويقبله الوجدان ويقربه العقل الرجيح — أما المصدق لها فأدلته ما جاء في البخاري بما معناه . ان النبي بينما كان يلعب في الصغر مع أقرانه اذ نزل عليه جبريل فصرعه وشق صدره فأخرج قلبه وطهره من خبائث الشيطان أو بالاحرى من موضع يوسوس له فيه الشيطان وملأ قلبه نورا وحكمة

ولم يكتف جبريل بشق صدره مرة بل شقه مرات تبعا لازدياد الحكمة ونموها

فيه كلما كبر — حتى كان ليلة الاسراء وهو نائم ناداه من أحد الثلاثة مناد (كما يقول البخاري) فقام اليه وأتى فاذا هو جبريل وقد أفرج صدره ونظف قلبه ثم أسرى به — وقد قال النبي بما معناه كل مولود يستهل معه الشيطان . فسئل حتى أنت يارسول الله ؟ قال « حتى أنا ولكني تغلبت على شيطاني » قال الله تعالى في سورة الحج (وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الآية

وأما المكذب لها فانه باق على تكذيبها ، وها هوقد كتب اليكم ليسترشد بنور علمكم الساطع لاعتقاده بأنك الزعيم الاكبر للمسلمين . تلك هي المسألة التي أرجو من حضرتكم إما تأييدها لنسير على مقتضاها ، واما نفيها وبذلك تنتفي الشبه والاباطيل التي تشوه سمعة الرسول عليه الصلاة والسلام — والامل وطيد في ان يكون الرد سريعا لازلت محفوظا من الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته آمين

تلميذكم الخاضع

اسماعيل حسن خليه

(ج) لابد أن يكون مرادكم بتكذيب المسألة تكذيب الرواية أو الروايات الواردة فيها التي أوردتم بعضها بالمعنى فخالفتم اللفظ والمعنى ، وقرنتم به آية الحج وليست من معناه في شيء بل معناها ان الرسل والانبياء اذا تمنوا لايتم لهم موضوع أمانيهم بسبب وسوسة الشيطان للناس ولا محل لتفصيل ذلك هنا. وقد صرحتم بأن سبب التكذيب اعتقادكم ان مضمونها يعد طعنا في سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان ينزه عنه . ولكن لاينبغي لمسلم أن يرد حديثا مرويا الا بعلة في سنده، أو معارضة ماهو أقوى منه لمتنه بشرطه، ومن أشكل عليه فهم شيء من الاحاديث فعليه أن يبحث و يسأل لاأن يرده بهواه، و يكذب من لايعرف سيرته من الرواة. واننا نورد هنا ما روي في هذه المسألة أصحها سندا ونبين ما في أسانيدها ومتونها مما يمكن أن يتعلق به من ينفي وقوع شق الصدر حقيقة ، ثم نبين ماينبغي ان توجه به المسألة على تقدير صحة وقوعها فنقول

روى حديث شق الصدر في الصغر مسلم —لا البخاري— قال : حدثنا شيبان ابن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك (رض) ان

رسول (ص) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخـذه فصرعه فشق عن قلبـه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقا فقال هـذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بمـاء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره (أي مرضعه حليمة السعدية) فقالوا ان محمداً (ص) قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

وأقول ان في هذا السند مقالا . قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب في شيبان بن فروخ صدوق يهم (أي يخطئ) ورمي بالقـدر ، قال أبو حاتم اضطر الناس اليه أخيرا . من صغار التاسعة . وقال في شيخه حماد بن سلمة : ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بآخره ، من كبار الثامنة اه

وقال في تهذيب التهذيب بعد ثناء الائمة عليه : وقال البيهقي هو أحد أئمة المسلمين الا انه لما كبر ساء حفظه فلذا تركه البخاري وأما مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ماسمع منه قبل تغيره ، وما سوى حديثه عن ثابت لا يبلغ اثنى عشر حديثا [illegible] الحافظ : وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث ربما حدث بالحديث المنكر . وأقول يؤخذ من هذا الكتاب ومن ميزان الاعتدال انهم أنكروا من روايته [illegible] في الصفات قيل انها دست في كتبه .

هذا أصح ما روي في هذا الباب [illegible] علمت ما في سنده ثم ان أنسا لم يرفعه وما كل ما يرويه الصحابي [illegible] يفرق في روايته بين أحكام الدين وبين الأخبار [illegible] الخبر الى بعض المشركين. وقد [illegible]) من طرق أخرى عند [illegible] يق مسلم منها الضعيف [illegible] من طريق محمد بن [illegible] اسحق وغيرهما عن [illegible] هبي لا يعرف ، [illegible]

[illegible]

بمنصب النبي (ص) فقد علم أيضا أن في سنده مقالا ، وليس هو من عقائد الدين ولا من أحكامه القطعية

وقد ورد خبر شق الصدر في أحاديث المعراج أيضا المروية في الصحيحين والسنن وغيرها وقد استشكلها بعض العلماء فنورد منها ما لا بد منه لبيان هذه المسألة

أحاديث قصة المعراج في الصحيحين مدارها على أنس بن مالك فمنها مارواه بنفسه ومنها ما رواه عن غيره . وقد ذكر في بعضها شق الصدر دون بعض فأما حديث أنس فلم تذكر قصة شق الصدر في طريق من طرقه الا طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر عنه وهو في صحيح البخاري وتفسير ابن جرير ، قال أنس : ليلة أسري برسول الله (ص) من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه فقال أولهم: أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم ، وقال أحدهم خذوا خيرهم[١] ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى [٢] فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبرئيل فشق جبرئيل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا [٣] ايمانا وحكمة فحشى به صدره ولغاديده — يعني عروق صدره — ثم أطبقه ثم عرج به. الخ الحديث وفي آخره « واستيقظ وهو في المسجد الحرام » وهذه الرواية صريحة في أن ذلك كله كان في النوم وليس فيها ذكر لحظ الشيطان واحتج بها من قالوا أن المعراج كان رؤيا منامية وأولها من قال أنه كان في اليقظة بالروح والجسد، ولا يحتاج الى تأويلها من قالوا انه مشاهدة روحية. وفي نسخة من صحيح البخاري «فاستيقظت» بدل واستيقظ، وهي كما قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري التفات من الغيبة الى حكاية قول النبي (ص) والتور الذي ذكر انه كان في الطست أناء صغير يشرب فيه

وفي رواية شريك هذه مخالفة لغيرها في عدة أمور استشكلوها وأنكروها عليه

(١) وردانه كان نائما بين عمه حمزة وابن عمه جعفر (٢) كانت هذه بعد البعثة بلا خلاف (٣) حال وفي غير هذا الحديث ذكر وصف الطست نعتا لا حالا وليس فيه ذكر التور

وغلطوه فيها أهمها قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أوأدنى» مع أن الثابت في الصحيح ان آية (ثم دنا) نزلت في جبريل عليه السلام. وهاك مافي فتح الباري للحافظ ابن حجر في ذلك :

قال الخطابي : ليس في هذا الكتاب — يعني صحيح البخاري — حديث أشنع ظاهرا وأبشع مذاقا من هذا الفصل فانه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين و بين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما — هذا الى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلق من فوق الى أسفل (قال) فمن لم يبلغه من هذا الحديث الا هذا القدر مقطوعا عن غيره ولم يعتبره بأول القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه إما رد الحديث من أصله وإما الوقوع في التشبيه ، وهما خطتان مرغوب عنهما. وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فانه يزول عنه الاشكال فانه مصرح فيهما بأنه كان رؤيا لقوله في أوله « وهو نائم » وفي آخره « استيقظ » و بعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف اليه معنى التعبير في مثله و بعض لا يحتاج الى ذلك بل يأتي كالمشاهدة .

(قال الحافظ بعد نقل ما تقدم) قلت : وهو كما قال ولا التفات الى من تعقب كلامه بقوله في الحديث الصحيح ان رؤيا الانبياء وحي فلا يحتاج الى تعبير. لانه كلام من لم يمعن النظر في هذا المحل . فقد تقدم في كتاب التعبير ان بعض رؤى الانبياء يقبل التعبير . وذكر الحافظ الامثلة من الصحيح على تأويل النبي (ص) لبعض الرؤى بغير ظاهرها . ثم ذكر أن الخطابي تعقب في جزمه بأن ماذكر كان في المنام وقوله أن القصة بطولها انما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها الى النبي (ص) ولا نقلها عنه ولا أضافها الى قوله ، فحاصل الامر في النقل أنها من جهة الراوي إما من أنس وإما من شريك فأنه كثير التفرد بمناكر الالفاظ التي لايتابعه عليها سائر الرواة انتهى — أي كلام الخطابي ثم أطال الحافظ البحث فيه، ولا يعنينا من بحثه هنا الا قوله بأن للحديث حكم المرفوع لانه مرسل صحابي فيما لا مجال للرأي فيه ويفسر هذا ما يأتي

وأما مارواه أنس عن غيره مشتملا على مسألة شق الصدر فليس في الصحيح

منها الا حديث مالك بن صعصعة الانصاري المرفوع الذي رواه أنس عنه ولم يرو أحدعنه غيره. وأوله كما في البخاري: « بينما أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعا [قال الحافظ : زاد في بدء الخلق « بين النائم واليقظان] اذا أتاني آت فقد قال سمعته يقول - فشق ما بين هذه الى هذه ...[1] فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل » الخ الحديث . والظاهر أن أنسا روى هذه القصة غير مرفوعة عن مالك هذا فصرح باسمه مرة وأرسلها مرة أو مرارا عند ما كان يحدث بها وذكر في بعض المرار ما سكت عنه في بعض. وهذه تؤكد أن القصة كانت في النوم وتضعف تأويل المؤولين الا من قال بحصولها مرة في اليقظة ومرة أو أكثر من مرة في الرؤيا ان أثبت ذلك

وقد روى أنس مسألة شق الصدر في أحاديث المعراج عن أبي ذر مرفوعة في الصحيحين قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ص) قال « فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء » الحديث فهذه الرواية لم يصرح فيها بأنه كان نائما ويمكن حملها على المصرحة بذلك دون العكس. ولذلك جزم الحافظ بأن القول بتعدد المعراج في اليقظة بعيد جدا تنافيه المراجعة في مسألة فرض الصلاة منافاة ظاهرة. واذا كان الجمع بين تعارض الروايات الصحيحة السند متعذرا بدون القول بالتعدد، وكان القول بالتعدد في اليقظة بعيدا بل غير معقول - فلا مندوحة عن القول بأنها كانت رؤيا منامية اما كلها أو يستثنى واحدة منها كانت في اليقظة ، والاكثرون على هذا ، فيمكن أن يقال اذاً ان شق الصدر كان في الرؤيا المنامية التي تكررت دون واقعة اليقظة الا أن تكون هذه مشاهدة روحية كما قال بعضهم

وأما حديث مس الشيطان للمولود فهو مروي في الصحيحين عن أبي هريرة باستثناء عيسى في بعض الروايات وعيسى وأمه في بعض والحديث واحد وسيأتي نصه في

(١) يعني من ترقوته الى آخر مراق بطنه وفسر في هذه الرواية بلفظ آخر

تلخيص الجواب. وقد استشكل بعض العلماء معناه قال الحافظ في شرحه من الفتح مانصه:

« وقد طعن صاحب الكشاف في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال ان صح هذا الحديث فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك من كان في صفتهما لقوله تعالى (الا عبادك منهم المخلصين) قال واستهلال الصبي صارخا من مس الشيطان تخييل لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه . وأما صفة النخس كما يتوهمه أهل الحشو فلا، ولو ملك ابليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا انتهى. وكلامه متعقب من وجوه والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الانبياء بل ظاهر الخبر ان ابليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا واستثنى من المخلصين مريم وابنها فانه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين . وأما قوله لو ملك ابليس الخ فلا يلزم من كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع ان يستمر ذلك في حق كل أحد. وقد أورد الفخر الرازي هذا الاشكال وبالغ في تقريره على عادته وأجمل الجواب فازاد في تقريره على ان الحديث خبر واحد ورد على خلاف الدليل لان الشيطان انما يغوي من يعرف الخير والشر والمولود بخلاف ذلك وانه لو مكن من هذا القدر لفعل أكثر من ذلك من اهلاك وافساد وانه لا اختصاص لمريم وعيسى بذلك دون غيرهما الى آخر كلام الكشاف. ثم أجاب بأن هذه الوجوه محتملة ومع الاحتمال لا يجوز دفع الخبر انتهى. وقد فتح الله تعالى بالجواب كما تقدم والجواب عن اشكال الاغواء يعرف مما تقدم أيضا وحاصله ان ذلك جعل علامة في الابتداء على من يتمكن من اغوائه والله أعلم . انتهى كلام الحافظ

وأما حديث قرناء الناس من الشياطين الذي ذكر فيه اسلام شيطان النبي (ص) أو سلامته من وسوسته فهو مروي في صحيح مسلم من حديث عائشة وعبد الله بن مسعود ولفظ هذا « مامنكم أحد الا وقد وكل الله به قرينه من الجن » قالوا وإياك يارسول الله ؟ قال « وإياي الا ان الله أعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير » وقد

ضبط بعضهم « فاسلم » برفع الميم واختاره الخطابي ومعناه فأنا أسلم من شر وسوسته، وضبطها بعضهم بفتح الميم ومعناه فصار هو مسلما وقيل مستسلما . وهما روايتان وقوله « فلا يأمرني الا بخير » يرجح الثانية بل يوجب الجزم بها . قال النووي في شرحه: قال القاضي (أي عياض) واعلم أن الامة مجتمعة على عصمة النبي (ص) من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحذر من وسوسته بحسب الامكان اهـ

أقول وفي رواية أخرى لهذا الحديث «وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » ويوضح هذا حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه « ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايعـاد بالشر وتكذيب بالحق » الخ وهذا الملك الذي يقابل الشيطان يسمى ملك الالهام وهو الذي عبر عنه النبي (ص) بقوله « واعظ الله في قلب كل مؤمن » وقد بينا مسألة انقسام الخواطر النفسية الى شيطانية وملكيـة في الجزء الاول من التفسير وفي هذا الجزء (السابع) منه أيضا فليراجع السائل تفصيل ذلك في تفسير (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) من جزء المنار الثالث من هذا المجلد (ج ٣ م ١٩) فهو يقرب لذهنه ما لعله يراه بعيدا عنه اذا لم يكن قرأه

وملخص الجواب ان حديث شق صدر النبي (ص) في طفوليته وتطهيره من حظ الشيطان منـه في سنده مقال ومتنه ليس مرفوعا الى النبي (ص) وليس له حكم المرفوع . وليس متنه لاينافي عصمة النبي (ص) لان حاصل معناه ان روح القدس قد طهر قلبه وقدسه منذ الطفولية وقبل ان يصل الى السن التي تكون فيها الوسوسة ، وان حديث شقه في قصة المعراج كانت رؤيا منامية في الراجح ولا ذكر فيها لحظ الشيطان فحاصل معناها انها رمز وتمثيل لتأييد الروح القدس والملائكة له (ص) واعدادهم إياه لمناجاة الله عز وجل مناجاة خاصة . وأما حديث مس الشيطان المولود عند ولادته فسنده صحيح لا عبرة بمن تكلم في صحته ولكن استثناء عيسى وحده مرة فيه واستثناؤه هو وأمه مرة أخرى ان كانتا غير متعارضتين فلا عموم في الصيغة ، وينافي ذلك قولهم الاستثناء معيار العموم . وان كانتا متعارضتين سقط

الاستدلال بهما أو يقوم الدليل على ترجيح احداهما . وقد علمت ماقاله الزمخشري في الحديث وأقواه معارضة قوله تعالى (الا عبادك منهم المخلصين) له فانه صريح في ان الشيطان لاسلطان له على اغواء عباد الله المخلصين . وعلمت ما أجاب به الحافظ عن هذه المعارضة وهو ان هؤلاء العباد لا يضرهم ذلك المس اذ لا يدل الحديث على أن كل من مسه الشيطان يغويه . ونقول انه يجوز ان يكون المراد بالمس بيان توجه الشيطان الى التعرض للوسوسة للمولود واستعداد المولود لقبول الوسوسة التي هي تزيين الباطل والشر في النفس، وكيفية المس على القول بأنه حقيقية لا تمثيل بحث في عالم الغيب وهو مما أجمعوا على تفويض كيفيته الى الله تعالى اذا صح الخبر به وكان ممكنا في نفسه. وأما حديث القرين من الشياطين والقرين من الملائكة فهو أصح سندا وأقوى متنا لان له شاهدا من القرآن (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) والاحاديث التي وردت في توضيحه تدل على ان الانفس البشرية فيها داعيتان إحداهما للحق والخير والاخرى للباطل والشر ، وان الاولى ترجح بإلهام ملكي والاخرى باغواء شيطاني . ولكن الانسان هو الذي يزكي نفسه ويهذبها حتى ترتقي الى التناسب مع روح الملك وتلقي إلهام الحق والخير منها —أو يدسيها ويفسدها حتى تهبط الى التناسب مع روح الشيطان وتلقي وسوسة الباطل والشر منها ، فمثل ملك الالهام كمثل القرين الصالح من الناس لايعاشر الا من يشاكله، ومثل الشيطان كمثل قرين السوء لا يصاحب الا من يشابهه، فكل قرين بالمقارن يقتدي» و «الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » كما ورد في الحديث الصحيح، واذا قارف الرجل الصالح خطيئة كان تأثيرها في نفسه معدا لوسوسة الشيطان أو يمحوه بعمل صالح يضاده « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (ان الحسنات يُذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)

﴿ بدع الجمعة والاذان وختم الصلاة والجنازة ﴾

(س ١٣ — ٢٠) من صاحب الامضاء بطملاي مركز منوف مديرية المنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذا من عبد الرحمن احمد الصعيدي الى دار الدعوة والارشاد بمصر يتشرف بالافادة عما سيذكر : في هذا العهد ظهر عندنا رجل ينهانا عما سيأتي

١ قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة

٢ والاذان المسمى عندنا بالاول من يوم الجمعة

٣ والاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب

٤ الترقية

٥ التبليغ في الصلاة

٦ ختام الصلاة جهارا في المسجد

٧ الصلاة والسلام على النبي عقب الاذان

٨ السير مع الجنازة بالذكر جهارا وقراءة البردة

وحيث اننا نفعل كل ماذكر من منذ وجدنا بالدنيا وهذا الرجل يجتهد في ابطال ذلك ولا نعلم اذا كان عمل هذا من البدع فنتركه أم من الدين فنتبعه

نرجو الافادة مع التوضيح وإفتانا عماذكرناه لان في نفوسنا (ريبا) من ذلك: وقال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مقدمه

عبد الرحمن احمد الصعيدي

الجواب عن هذه الاسئلة (*)

١ — قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة — بدعة ليس لها دليل من كتاب الله ولا من سنة رسوله (ص) ولم تؤثر عن سلف الامة الصالح . ولكن لقراءتها يوم الجمعة بدون تقييد بالجهر وبكونها في المسجد أصلا ضعيفا ، قال الحافظ

(*) حذفنا سؤالا من هذه الاسئلة يتعلق بعادة مصرية بين العروسين

ابن حجر في تخريج أحاديث الاذكار: ان أقوى ماورد في قراءة الكهف يوم الجمعة حديث أبي سعيد الخدري عند الحاكم في التفسير والبيهقي في السنن « من قرأسورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجمعتين » وقد أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هاشم وصححه ولكن قال الذهبي في الميزان: بل نعيم ابن حماد ذو مناكير .أقول بل جرح بأ كثر من هذا، وقد وردت أحاديث أقوى من هذا في قراءة آل عمران وهود في يوم الجمعة، فلماذا لايعمل بها هؤلاء الناس المواظبون على قراءة الكهف ان كان غرضهم العمل بالاحاديث لا اتباع العادة

ثم ان الاتيان بالعبادة المشروعة على وجه مخصوص وفي وقت معين لم يرد في الشرع ما يدل عليهما بدعة في كيفية الاداء المبنية على الاتباع ، واظهار ذلك يجعل ما ليس من شعائر الدين شعارا . وهذا ما يسميه الشاطبي في الاعتصام بالبدعة الاضافية وسيعاد ذكره قريبا ، دع ما في رفع الصوت بقراءة الكهف أو غيرها في المسجد عند اجتماع الناس للصلاة من التهويش على المصلين وهو غير جائز وقد صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي وأنه حرام . وفي حديث أبي سعيد الخدري : اعتكف رسول الله (ص) في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال «ألا ان كلكم مناج لربه فلايؤذ بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة » رواه أبو داود

٢ — الاذان الاول يوم الجمعة — أحدثه عثمان في خلافته وأقره الصحابة (رض) وما رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر انه قال: الاذان الاول يوم الجمعة بدعة — فالاظهر انه استعمل البدعة هنا بمعناها اللغوي لا للانكار ومعناه انه لم يكن في عهد النبي(ص) قيل ويحتمل انه للانكار، أي لان مقتضى إكمال الدين في عهده (ص) ان لايزاد في العبادات ولاسيما الشعائر بعده شيء وانما الاجتهاد في مسائل المعاملات والمصالح التي تختلف باختلاف الزمان والمكان لا العبادات وشعائر الاسلام التي لايدخل فيها القياس الذي احتجوا به لفعل عثمان (رض) ويمكن ان يجاب عن هذا بأن الاذان للاعلام بالوقت وسيلة للصلاة اجتهادية لاعبادة مقصودة لذاتها وان النبي (ص) استشار المسلمين في أمر هذه الوسيلة واستحسن ما كان منهم من رأي ورؤيا فلا أجل

هذا رأى عثمان والصحابة أن هذه المسألة يصح العمل فيها برأي أولي الامر اذا احتيج الى ذلك. فلما حدثت الحاجة بكثرة المسلمين وعدم تبكيرهم الى المسجد على نحو ما كانوا يفعلون في عهده (ص) أمر عثمان المؤذن أن يؤذن بهم للجمعة على الزوراء — وهي موضع أو دار له بسوق المدينة — وأبقى ما كان من أذان المسجد عند جلوس الامام على المنبر كما كان ابقاء للعبادة كما كانت . قال السائب بن يزيد (رض) فيما رواه عنه البخاري وأبو داود والنسائي : كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ولم يكن للنبي (ص) غير مؤذن واحد . وفي رواية أخرى لهم زيادة فثبت الامر على ذلك . والمراد بقوله النداء الثالث هو الاذان الاول فهو أول بالنسبة الى تقديمه في العمل وثالث بالنسبة الى حدوثه بعد الاذانين المشروعين لكل صلاة أعني الاذان والاقامة وكانوا يطلقون عليهما « الاذانين» على طريق التغليب أو لان الاول اعلام بوقت الصلاة والآخر إعلام بالشروع فيها، ولكنهم اذا ذكروا الاقامة وحدها لا يسمونها أذانا بل إقامة . والمرجح المختار عندنا في هذه المسألة ان يتبع الناس في كل حالة ما كان عليه السلف الصالح فاذا علمنا ان المصلين اجتمعوا في المسجد على نحو ما كانوا عليه في زمن النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) اكتفينا بأذان المسجد ، واذا كانت الحال كما كانت في عهد عثمان وعلمنا ان الاذان الاول على المنارة أو في السوق مجلبة للمصلين فعلناه . ولا ينبغي لمسلم ان ينكر على أهل مسجد ما يختارونه من هذين الفعلين، اذ لا يصح ان يكون ما حدث في عهد عثمان ناسخا لما قبله ولا ان يكون ضلالة من بعض الراشدين أقره عليها الصحابة ، فليتق الله من تحدثه نفسه بهذا الانكار . وليعرف قيمة نفسه أولا . وأما قول السائب : لم يكن له (ص) غير مؤذن واحد فهو خاص بأذان الجمعة

٣ — الاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب — فيه أن فعله بين يدي الخطيب و بالتلقين المعهود في بعض المساجد بدعة لا فائدة فيها ولا نعرف الحامل لمبتدعها عليها. وقد علم مما قلناه آنفا في مسالة الاذان الاول أن الاذان الثاني وهو الذي كان على عهد الرسول (ص) إنما يكون اذا جلس الامام على المنبر كما

صرح به السائب في حديثه الصحيح . وأما مكانه فقد روى الطبراني فيه أن بلالا كان يؤذن على باب المسجد . وذكره الحافظ في فتح الباري محتجا به وهو المشهور

٤ — الترقية المعهودة في يوم الجمعة بدعة لا نعرف لها أصلا من كتاب ولا سنة ولا اجتهاد أحد من الأئمة وانما أحدثها بنو أمية وأنكرها الفقهاء من جميع المذاهب (راجع المنار ص ٣١ م ٦)

وقد استفتي شيخ الجامع الازهر منذ بضع عشرة سنة في بعض المسائل المتعلقة بالجمعة مما تقدم فأفتى بأنها بدع منكرة. وقد أشار الاستاذ الامام الى هذه الفتوى ومقاومة بعض أصحاب النفوذ السياسي لها بقوله في كتاب الاسلام والنصرانية (ص ١٣٩ من الطبعة الثانية) فقال :

«سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الازهر عن حكم عمل من الاعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة — ومنزلة الشيخ من الرياسة في أهل العلم بالدين منزلته — فأفتى بما ينطبق على السنة وما يعرفه العارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها . أيظن ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا ؟ كلا ، حدث قيل وقال ، وكثرة تسآل ، ودخلت السياسة ، ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا ، وسكت السائل وماذا يصنع المجيب ؟ اهـ

٥ — التبليغ في الصلاة هو رفع المؤذنين اصواتهم بالتكبير للاحرام وأذكار الانتقال لاعلام من لم يسمع صوت الامام ولا يراه عند إحرامه وانتقاله من ركن الى آخر: وله أصل في السنة بما كان من صلاة رسول الله (ص) في مرض موته آخر جماعة اذ صلى قاعدا والناس خلفه قيام وأبو بكر (رض) يبلغهم تكبيره . وقد صرح علماء المذاهب المشهورة بجواز التبليغ اذا احتيج اليه فان لم يحتج اليه كان بدعة منكرة . على أن للمؤذنين فيه بدعا كثيرة كفعلهم له جماعة ورفعهم أصواتهم أكثر مما ينبغي متحرين فيها حسن النغم وإطالتهم المد حتى يضطر الامام الى انتظارهم أو سبقهم فينتقل الى السجدة الثانية قبل فراغهم من تكبير السجدة الاولى مثلا وقد بين الفقهاء ذلك وأطال فيه وفي غيره من هذه المسائل صاحب المدخل رحمه الله تعالى .

٦ — ختام الصلاة جهارا في المساجد بالاجتماع ورفع الصوت من البدع التي

أحدثها الناس فاذا التزموا فيها من الاذكار ماورد في السنة كانت من البدع الاضافية وقد تساهل فيها كثير من مقلدة الفقهاء وأطال العلامة الشاطبي الكلام في انكارها في كتابه الاعتصام ونقلناه عنه في المنار فليراجعه من شاء

وهذه البدعة قد انتشرت في الاقطار الاسلامية منذ بضعة قرون حتى عمت الغرب والشرق والجنوب والشمال ، ولما أنكرها من أنكرها في الاندلس كثر فيها القيل والقال، وقد كنت فطنت لها قبل أن أرى لاحد من العلماء كلاما فيها فتركتها في أواخر زمان الطلب ولكنني لم أترك الاذكار الواردة بل كنت أقولها وأنا منصرف من الصلاة، ولم يخطر في بالي أن أنهى عنها أحدا، ولا أنها يصح أن تسمى بدعة. ولما كنت في عليكده من الهند سنة ١٣٣٠ قدموني للخطبة وامامة الجمعة فلما فرغت من الصلاة لم أستطع الانصراف ولا التحول من شدة الزحام في المسجد ولا رأيت أحدا من الناس انصرف ولا قام لصلاة ولا غيرها، ثم خلص الي شاب من طلاب العلوم الدينية فأخبرني ان الناس ينتظرون أن يسمعوا مني أذكار ختم الصلاة ليتبعوني فيها ويقوموا الى صلاة السنة البعدية وغيرها من شؤونهم ، قلت ان هذا غير مشروع ، قال ألم يرد في الصحيح أن النبي (ص) كان يقول بعد السلام «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام» قلت نعم قد صح انه كان اذا سلم لم يقعد الا بمقدار ما يقول ذلك (رواه مسلم) ولكن لم يصح انه كان يقول ذلك رافعا صوته ليسمعه الناس ويقولونه بقوله، وأنا قد قلت ذلك سرا. ولما جئت بيروت عند منصرفي من الهند أقمت فيها أياما كنت أقرأ درسا بعد الظهر في مسجد المجيدية من كل يوم، فشغل المؤذن بعد صلاة الجمعة يوما عن الاذكار والادعية التي جرت العادة برفع صوته فيها واتباع جمهور المصلين له، شغلته عنها صلاة جنازة، فظل كثير من الناس ينتظرونه متلفتين الى اليمين والى الشمال، فبدأت الدرس ببيان الحق في هذه المسألة وهو انه ليس من السنة أن يجلس الناس بعد الصلاة لقراءة شيء من الاذكار والادعية المأثورة ولا غير المأثورة برفع الصوت وهيئة الاجتماع كما اعتادوا في الاقطار المختلفة وان هذه العادة صارت عند الناس من قبيل شعائر الدين التي ينكر على تاركها والناهي عنها ، وانكار تركها هو المنكر. وان ما ورد في بعض الاحاديث من الاذكار كقول « اللهم أنت

السلام » الخ والاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل يستحب أن يقوله الافراد سرا في أي حالة يكونون عليها بعد الصلاة من قيام وقعود ومشي ، وان الاجتماع لذلك والاشتراك فيه ورفع الصوت بدع هونها على الناس التعود ، ولو دعاهم أحد الى مثل هذه الصفات في عبادة أخرى كصلاة تحية المسجد مثلا لأنكروا عليه أشد الانكار. ولما عدت الى مصر وشرعت في طبع كتاب الاعتصام للشاطبي رأيته وفى هذه المسألة حقها، فحمدت الله تعالى

٧ — الصلاة والسلام على النبي (ص) عقب الاذان — هي بدعة أيضا والقول فيها كالقول فيما تقدمها . قال صاحب المدخل : يطلب من امام المسجد أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبي (ص) عند الاذان وان كانت الصلاة والتسليم على النبي (ص) من أكبر العبادات ولكن ينبغي أن يسلك بها مسلكها فلا توضع الا في مواضعها التي جعلت لها ، ألا ترى ان قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه في الركوع ولا في السجود ولا في الجلوس — أعني الجلوس في الصلاة — لان ذلك لم يرد والخير كله في الاتباع ، وهي بدعة قريبة الحدوث جدا مما تقدم ذكره فيما أحدثه بعض الامراء من التغني بالأذان . الخ

٨ — السير مع الجنازة بالذكر جهارا وقراءة البردة — كل ذلك من البدع التي لم يسكت عنها المشتغلون بعلوم الشرع كما سكت جماهيرهم على الاذكار التي اتصلت بالاذان والصلاة . على ان جميع ما ذكر في هذه الاسئلة والاجوبة من البدع قد بينه انصار السنة وخاذلو البدعة من العلماء منذ أحدثت الى هذا العصر .

والبلاء كل البلاء في جعل عمل الناس حجة على كتاب الله تعالى ودواوين السنة مع أن بعض الائمة قال بالاحتجاج بعمل أهل المدينة في زمن الصحابة والتابعين فخالفه في ذلك سائر الائمة وجمهور الامة وخص بعضهم ذلك بزمن الراشدين فقط ، والآن يحتج الناس بعمل العوام الطغام و بسكوت من لا حجة في قوله فضلا عن سكوته من المعممين ، أو بتأويل بعض المنافقين الذين يتقربون الى العامة بما يرضيهم طمعا ببعض الحطام أو الجاه الكاذب عندهم .

وقد استفتي شيخ علماء الاسكندرية لهذا العهد في المسألة الاخيرة من هذه المسائل وفي مسائل أخرى مما أحدثه الناس في أمور الموتى فنذكر ذلك بنصه :

﴿ السؤال ﴾

ما قولكم فيما يفعله الناس الآن من الصياح أمام الجنازة بنشيد البردة وغيرها، والاجتماع للتعزية بنصب الخيام، وقراءة القرآن فيها أياما مخصوصة، وقراءة الصمدية بعدد مخصوص يسمونه (عتاقة) ويزعمون انها تعتق الميت من النار وتفريق الخبز للقراء على القبور، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرا على قراءة القرآن — فأهل العلم فينا بين محرم لذلك ومحال، وقد لجأنا اليكم كي تفيدونا ، هل هذا من الدين أم لا ؟ وماهي طريقة نبينا صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من الائمة في ذلك ؟ وما حكم الله فيمن يخالف طريقتهم أفيدونا بأدلة تشفينا ، فلا زلتم هداة الحائرين

﴿ الفتوى ﴾

« الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد فما يفعله الناس الآن من الصياح امام الجنازة بنشيد البردة وقراءة القرآن ونحو ذلك غير جائز شرعا ، وهو خلاف السنة ، وخلاف عمل السلف الصالح ، لان السنه في اتباع الجنائز الصمت والتفكر والاعتبار وعلى ذلك جرى العمل من السلف الصالح، وقد قال الامام مالك رضي الله عنه (لن يأتي آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها) وكذلك الاجتماع بنصب الخيام في التعزية مباهاة وافتخارا ، وقراءة القرآن بالكيفية الجاري العمل بها الآن في هذه المجتمعات ، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرة على ذلك واتخاذ ذلك سنة وعادة ، فليس من السنة ، ولا من عمل السلف الصالح، وانما شأنهم انهم كانوا يذهبون الى صاحب المصيبة في بيته لحمله على الصبر وعدم الجزع ، من غير اطالة مكث ، ويدعون لصاحب المصيبة بالصبر ، وللميت بالمغفرة والرحمة ، ثم ان الذي ينفع الميت انما هو الصدقة على روحه ، والدعاء له بالمغفرة والرحمة ، اما اهداء ثواب الفاتحة وغيرها مثل قراءة القرآن بغير الطريقة التي أخرجته الى حد الغناء فبعض العلماء رجح حصول الثواب الى الميت، وبعضهم قال بعدمه»

شيخ علماء الاسكندرية

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٨

أما نوبة الملاريا فلها ثلاثة أطوار: —

(١) طور البرودة — يشعر المريض بتعب وسآمة وصداع وآلام في الظهر وبرودة، وتبتدئ الرعدة فينكمش في فراشه ويرتجف جميع جسمه وتصطك أسنانه ويزرق وجهه وأنامله وينتصب شعر جسمه كما يحصل من شدة البرد أو الفزع ويصغر النبض ويسرع ويضطرب ويتوتر، ويكون التنفس سريعا غير عميق

ويكون سطح الجلد باردا حقيقة ولكن إذا وضع مقياس الحرارة في الفم أو في الدبر أو تحت الابط رأينا الحرارة مرتفعة، فانها تبدأ في الزيادة قبل الرعدة بدقائق بل بساعة أو ساعتين أحيانا؛ وانما نشأ الاحساس ببرودة سطح الجسم من انقباض أوعية الدم فيه

ويكون مقدار البول كثيرا ولونه رائقا وكثافته قليلة. ويستمر هذا الطور نصف ساعة أو ساعتين. وترتفع الحرارة بسرعة في آخره إلى ما بعد ٤٠° سنتيجراد

(٢) طور السخونة — يبدأ بالاحساس بالسخونة التي تعم الجسم كله فتزداد الحمى، وتتمدد الشرايين، ويتوتر النبض ويسرع ويمتلئ، ويحتقن الوجه، ويتصدع الدماغ. وفي بعض الحالات يهذي المريض أو يعتريه الذهول. ويكون البول في هذا الطور قليلا قاتما كثيفا. وكثيرا ماتظهر [النملة Herpes] حول الفم. ويستمر هذا الطور ٣ — ٤ ساعات

(٣) طور العرق — يتندى الجسم أولا بالعرق بعد شدة جفافه ويعم الجسم كله ثم يصير غزيرا ويستمر ساعة أو ساعتين أو ثلاثا فيشعر المريض حينئذ بالراحة ويترطب لسانه، وتنخفض الحرارة أولا بالتدريج ثم تسرع حتى تصير طبيعية

ويعود المصاب الى حالته الصحية الاولى . ويكون البول في هذا الطور كثيفا جدا وترسب فيه أملاح كثيرة من حامض البوليك

ولا تحصل جميع هذه الاطوار لكل مصاب ، بل قد تقتصر النوبة على واحد منها أو ثنين ، فمثلا قد يشعر ببرودة خفيفة تعقبها سخونة مدة ساعتين أو ثلاث ولا يحصل عرق ، وقد يبرد ويعرق ولا يشعر بسخونة، وقد يعرق فقط مع ارتفاع خفيف في الحرارة

أما الاطفال فيندر أن يحصل لهم رعدة بل يصابون بدلها بتشنج خفيف (قد لا يلاحظ) أو بتشنج شديد

وفي الاحوال المعتادة يكبر الطحال في طور البرودة والسخونة حتى قد يحس به تحت الضلوع

وتحصل أول نوب الحمى هذه إما في الصباح أو وقت الظهر ، أما النوب التي تليها فلا تكون دائما في وقت النوبة الاولى بل قد تتأخر عنها شيئا فشيئا حتى تحصل في المساء أو في الليل، وقد تتقدم عنها شيئا فشيئا حتى تحصل قبل الفجر ، ويسمى النوع الاول بالمتقهقر والثاني بالمتقدم

والاحوال المعتادة من هذه الحمى غير مميتة في الغالب إلا للاطفال الصغار أو الشيوخ أو السقماء . وقد يتمدد الطحال منها حتى ينفجر وينسكب الدم في تجويف البطن ، وقد ينزف الدم في منسوج الطحال نفسه ويتكون فيه خراج فينفجر في تجويف البريتون . ومضاعفات مثل هذه الاحوال ليست بكثيرة ، وأشهرها النزلة الشعبية والرعاف والبول الزلالي والآلام العصبية فوق الحاجب

أما الاحوال الخبيثة المسماة [بالصيفية الخريفية] فلا تكون نوبها منتظمة ولا متقطعة الأحيانا قليلة تكون الفترة فيها قصيرة، ويقل حصول الرعدة للمصاب، وكثيرا ما يعتريه اليرقان والغثيان والقيء والاسهال ، حتى قد تشتبه هذه الحمى بالحمى التيفودية ، وقد تطول مدتها الى ثلاثة أسابيع وتنتهي كثيرا بالموت الذي يسبقه الهذيان أو الغيبوبة أو الاضطرابات الهضمية أو البول الزلالي أو النزف الدموي أو الهمود (الهبوط)

ومن الانواع التي يتأثر منها المجموع العصبي بشدة نوع يمتاز بطول الغيبوبة فيه حتى تمكث نحو ١٢ ساعة أو أكثر ويكون الشخص كأنه مصاب بنزف في مخه، ومنها نوع يشتد فيه الهذيان والهيجان. وقد شوهد بعض أحوال يكون فيها المصاب كأنه ميت حقيقة فيقف تنفسه ويضعف نبضه وضربات قلبه حتى لا يمكن إدراكهما

واعلم ان هذه الحمى اذا تكررت نوبها جعلت الشخص سقيما عليلا مصفرا (لابادة ميكروبها للكريات الدموية الحمراء) ويعتريه الدوار وقلة الميل للطعام وآلام بالعضلات والمفاصل والضعف والاستسقاء، ويضخم الطحال والكبد أو يكثر منسوجه الليفي وييبس ويضمر، وقد يصاب الشخص بالجنون أو بالتهاب الاعصاب أو بطنين الآذان أو الصمم أو فقدان الشم أو الذوق

التشخيص — إن أحسن الطرق للتحقق من تشخيص هذه الحمى البحث في الدم عن ميكروبها بواسطة المجهر. وليحترس من اعطاء الكينين للمريض قبل عمل هذا البحث فان هذا الدواء يذهب الميكروب من الدم. ويختفي الميكروب أيضا من الدم في الانواع الخبيثة وقت انخفاض الحرارة أعني في الفترات التي بين نوب الحمى، وأحسن الاوقات لمشاهدته في تلك الانواع هو ان يبحث في الدم عند ابتداء النوبة وقت صعود الحرارة. أما في الانواع الجيدة فيكون الميكروب أكبر وأظهر في الفترات التي بين نوب الحمى

المعالجة — الغرض الذي يرمى اليه هو قتل الميكروب واخراج سمومه من الجسم وإراحة المريض مما يحدثه من أعراض الداء. وأحسن الادوية وأشهرها لقتل هذا الميكروب هو [الكينين Quinine] (١) وأشهر أملاحه الكبريتات،

---

(١) هذه الكلمة مأخوذة من لغة أهل بيرو Peru بامريكة الجنوبية، ومعناها (القشر) لأن هذه المادة تستخرج من قشر شجرة « السنكونا Cinchona » وسميت هذه الشجرة بهذا الاسم لأن اميرة «شنكون Chinchon » زوجة حاكم بيرو عولجت بها من حمى فشفيت في سنة ١٦٣٨ وفي السنة التالية احضرتها الى اوربة، وبعد ذلك ادخلها الجزويت الى رومية، ولذلك سميت ايضا « قشر الجزويت »

وهي مادة بيضاء خفيفة شديدة المرارة قليلة الذوبان في الماء فتذوب فيه بنسبة ١ : ٨٠٠ ولكنها سهلة الذوبان فيه باضافة أحد الحوامض اليه . ومقدار تعاطيها في اليوم ٢٠ — ٣٠ قمحة تقسم على ثلاث دفعات، والافضل أن تكون الدفعة الاخيرة قبل ميعاد حضور النوبة بنحو ست ساعات ، ولا مانع من اعطائها بعد طعام الفطور والغداء والعشاء ككثير من الادوية الاخرى . واذا قاءها المريض مزجت بقليل من الافيون أو حقنت في المستقيم أو تحت الجلد ، والافضل أن تحقن داخل عضلات الالية ، وأحسن الاملاح للحقن في الشرج أو تحت الجلد هو [هيدرو بروميد الكينين الحمضي] فانه سهل الذوبان في الماء ولا يتهيج منه المكان المحقون، وجرعته من قمحتين الى عشر أو ١٥ قمحة

و [اليوكينين Euquinine] وهو إتيل كربونات الكينين يكاد يكون عديم المرارة ولا يضر المعدة ولا الاعصاب ، ولذلك كان أحسن دواء للاطفال والنساء. وجرعته تختلف من ٥ الى ١٠ قمحات بحسب السن

ويجب الاستمرار على تعاطي الكينين مدة بعد زوال الحمى لان بعض الميكروبات قد ينجو من فعله ويختفي في الطحال ثم يعود الى الظهور ويكثر فيحدث النكس، فلذا يجب الاستمرار على تعاطيه بعد الشفاء بمقادير يعينها الطبيب (كخمس قمحات في اليوم) لمدة ثلاثة أشهر على الاقل

وهناك بعض أدوية أخرى نافعة في الملاريا ولكنها أقل قيمة من الكينين مثل مركبات الزرنيخ

وكثيرا ما يحدث من الكينين أعراض ضارة مثل طنين الآذان والصداع والصمم ، وقد تتقى هذه الاعراض بتقليل مقداره أو ابطاله مؤقتاً أو اعطاء حامض الهيدروبروميك أو الجويدار لمنع الاحتقان الناشيء من الكينين

الوقاية — تكون (١) بردم المستنقعات و(٢) بإبادة البعوض وذلك بصب زيت البترول على المياه التي توجد فيها البويضات والعلق لقتلهما ، ويكون ذلك بنسبة أوقية لكل ١٥ قدماً مربعة من سطح الماء و(٣) باتقاء لذع البعوض بمثل الكلة (الناموسية) وخصوصاً بالليل وهو وقت لذع هذا النوع من البعوض في

الغالب و (٤) بدوام استعمال الكينين في الاقاليم التي تكثر فيها الملاريا (بمقدار خمس قمحات يوميا)

حمى البول الاسود Blackwater Fever

تحدث هذه الحمى في الاقاليم الحارة التي تكثر فيها الملاريا لمن أقام بتلك البلاد سنة على الاقل فأكثر أو للذين أصيبوا بالملاريا ، ويقل حصولها لغير هذين السببين

بحث الاسباب تفصيلا — ذهب العلماء في حقيقة سبب هذه الحمى مذاهب أهمها — : (١) أنها نتيجة اصابة شديدة بالملاريا (٢) أنها ملاريا متضاعفة باصابة الكليتين (٣) أنها نتيجة ميكروب مجهول (٤) أنها ملاريا مع عامل آخر كتسمم الجسم بمثل الكينين أو بسُمّ مرض من الأمراض كالافرنجي وغيره ، أو كالتعرض للبرد

الاعراض — تتقدمها آلام في الاطراف والدماغ وتوعك ثم رعدة فقيء صفراوي فبول أحمر أو أسود بسبب ذوبان مادة الكريات الحمراء فيه ويكون فيه زلال كثير، وترتفع الحرارة الى ٤٠ سنتجراد فأكثر ثم تنخفض قليلا بعد بضع ساعات، ثم ترتفع مع رعدة أخرى، وهلم جرا. ويصاب المريض بالبرقان، ويضخم الطحال والكبد ويتألم المصاب من جسمها

وفي الحالات البسيطة تزول الاعراض بعد نحو أسبوع، وأما في الشديدة فيستمر القيء ويقل البول أو يبطل افرازه ويصاب المريض بالغيبوبة أو الهمود ويموت

وعدد الوفيات بهذا المرض هو من ١٦ الى ٥٠ في المئة

المعالجة — تكون بحسن التمريض والعناية بالمصاب والاكثار من شرب السوائل لادرار البول ، وتعطى المنعشات المقويات للقلب ، ولا يعطى المريض الكينين الا اذا وجد ميكروب الملاريا في الدم ، وحينئذ يعطى أي ملح من أملاحه غير الكبريتات فانها تساعد على اذابة الكريات الحمراء، ويكون مقدار أي ملح قليلا متكررا

الدوسنطاريا الاميبية Amœbic Dysentery

قلنا ان الدوسنطاريا نوعان : نوع ينشأ من ميكروب نباتي (وقد سبق الكلام

عليه في صفحة ١٠٢ من الجزء الثاني من هذا الكتاب) والآخر ينشأ من ميكروب حيواني وهو المراد بالكلام هنا

وكلمة [أميبا Amœba] يونانية معناها «المتغير» تطلق على حيوين دقيق ذي خلية واحدة دائم التغيير لشكله بما يرسله من جسمه في جميع الجهات من الارجل [الكاذبة [1] Pseudopodia] التي يتحرك بها حركة ذاتية ، وهو من أبسط الحيوينات المسماة [الحيوانات الاولى Protozoa]

يتسلق الانسان ثلاثة أنواع من الاميبا: (١) نوع يوجد في فمه اذا أصاب أسنانه النقد (التسويس) (راجع ص٦٨ من الجزء الاول) (٢) ونوع يسكن الجزء الأعلى من الامعاء الغلاظ، والظاهر أنه لاضرر منه (٣) والثالث هو أميبا الدوسنطاريا هذه

وهذا الاميبا يشاهد في براز المصاب وفي المدة التي قد تتكون في الكبد [2] بسبب هذا المرض ، وأكثر وجوده يكون في المواد المخاطية التي يتبرزها المريض وقت اشتداد المرض أي في زمن حدته. قطر هذا الميكروب الحيواني هو من ٢٥—٣٥ ميكرونا ، أي ان حجمه كحجم ثلاث أو أربع كريات حمراء من كريات الدم . وهو يثقب الغشاء المخاطي للامعاء الغلاظ ويسكن تحته ويتكاثر ويحدث المرض وقد يصل الى الأوعية اللمفاوية أو الأوردة فيسير فيها

اسباب الدوسنطاريا الاميبية — يوجد هذا النوع من الدوسنطاريا فى الاقاليم الحارة والمعتدلة كمصر ، ولا ينتشر بشكل وبائي كالنوع الآخر السابق . وتنتقل الاميبا بواسطة الماء الذي يتلوث ببراز المصاب أو بواسطة الاطعمة الملوثة به أيضا خصوصا الخضر . ويصيب المرض جميع الاجناس البشرية اذا تعرضت للعدوى وكذلك الصغار والكبار بلا تمييز بينهم ، غير أن الظاهر أنه يصيب الذكور أكثر من الاناث لقلة تعرض هؤلاء له من أولئك . ولهذا النوع أيضا حملة كالنوع الاول يوجد الميكروب فى أمعائهم ولا تحدث لهم أعراضه

الاعراض — لاتختلف أعراض هذا النوع كثيرا عن أعراض النوع الباسيلي

(١) سميت بذلك لانها ليست دائمة بل تنبعث وتنقبض (٢) خصوصاً بعد فتح خراج الكبد هذا بثلاثة أيام حينما تنقبض جدُرُه

الذي سبق ذكره الا في أشياء قليلة ، وهي أنه لا يكون ابتداؤه مفاجأة بل تدريجيا في الغالب ، وتكون مدته أطول فانه يميل لأن يكون مزمنا ، وتكون الحمى فيه أقل وكذلك الاضطراب العام وتكثر نكساته ولا يمنع ذلك من أن يكون أحياناً شديدا جدا ومميتاً بسرعة ، فترتفع الحمى ويقل البول ويكثر الزلال فيه . ومن الناس من توجد في أمعائه قروح ناشئة على هذا الميكروب ومع ذلك لا تظهر عليهم أعراض المرض ، ولكن ذلك قليل

المضاعفات — تحتقن الكبد أحيانًا وتلتهب وكذلك الكليتان ، ويندر حصول النزف المعوي في هذا الشكل. وأهم المضاعفات خراج الكبد الذي يكون غالبًا واحدا أو على الاكثر لا يزيد عن ثلاثة ، والسبب فيه وصول الميكروب الى الكبد بطريق الوريد الباب فيميت بسمه منسوجه

ومن العقابيل ضيق الامعاء بسبب انقباض آثار القروح التي تحدث فيها

الانذار — يراعى فيه مسألة خراج الكبد وشدة الاعراض. وتخشى النكسة والإزمان. والفواق علامة سيئة في الحالات الحادة لانه ينذر غالبًا بقرب الاضمحلال والموت

المعالجة — لا تختلف عن معالجة النوع الباسيلي الا في نفع [عرق الذهب] وشدة تأثيره في هذا المرض ، وهو جذور شجرة في بلاد البرازيل بأمريكة الجنوبية، في هذه الجذور مادة مقيئة تسمى لذلك باللغات الافرنجية [Emetine] ولكنها شافية لهذا الداء. والجرعة من مسحوق هذه الجذور هي ٢٠ — ٣٠ قمحة، ويستحسن اعطاء قليل من الافيون أو أحد مركباته قبلها بنحو نصف ساعة ويستلقي المريض على قفاه ولا يعطى له شيء آخر سوى قليل من الثلج لمصه، وذلك كله لمنع القيء الذي يحدث من الدواء، وتكرر الجرعة بعد ٨ أو ١٠ ساعات، واذا كانت الاعراض شديدة أعطيت الجرعة ثلاث مرات في اليوم ، وبعد زوال أعراض الدوسنطاريا يكمل العلاج بمركبات البزموت والافيون ونحوها

ويفضل استعمال [الامتين Emetine] حقنًا تحت الجلد أو في داخل العضلات[1] بمقدار نصف قمحة مرة ليلا ومرة نهارا، وعندما تتحسن الحال يحقن المريض

(١) ذلك أفضل لعدم إحداث ألم وورم وتيبس في مكان الحقن

مرة واحدة فقط في اليوم ، ولا يحدث القيء بهذه الطريقة كما يحدث من اعطاء مسحوق عرق الذهب نفسه بالفم . وهذا الدواء نافع أيضا في منع التهاب الكبد وخراجها لانه قاتل لميكروب الدوسنطاريا بسرعة عجيبة

والمعالجة بالامتين أو بعرق الذهب نافعة أيضا في الحالات المزمنة، وكذا تعالج حقن المريض أيضا بالمحاليل المطهرة أو القابضة في المستقيم ، ويكون مقدار الحقن نحو لتر من المحلول الدافئ

الوقاية — تكون بتطهير الماء بالغلي أو غيره ، و بالامتناع عن أكل الخضر وغيرها الا اذا طهرت ، و بابادة الذباب بقدر الامكان أو منعه من الوصول الى الطعام أو الشراب

الحمى الراجعة او ذات النكس Relapsing Fever

مرض معد شهير ينتشر عادة بشكل و بائي وليس له طفح مخصوص كبعض الحميات الاخرى وانما يمتاز بحصول حمى بضعة أيام تنتهي فجأة بعد نحو اسبوع ثم ترجع ثانية بعد مضي بضعة أيام وهكذا . وهي كثيرة الوجود في مصر وغيرها وقد كانت تنتشر بشكل مريع في السجون وغيرها حيث يكثر الازدحام

ينشأ الشكل المعتاد منها في مصر من ميكروب حيواني حلزوني الشكل اكتشفه [أبرميير Obermeier] في الدم سنة ١٨٧٣ وله أنواع يختلف بعضها عن بعض قليلا كما في بلاد الهند وأمريكة . طول هذا الميكروب يختلف من ١٦ — ٤٠ ميكرونا وعرضه ميكرون واحد . وهو يشاهد في دم المصاب بهذه الحمى بين كرياته لا في داخلها . ويقول بعض الباحثين انه يمكن مشاهدته في طور التفريخ قبل حصول الحمى بنحو ٤٨ ساعة، ويقول آخرون انه يشاهد أولا في اليوم الثاني للحمى و يكثر عدده كلما تقدمت الحمى ولا يقل إلا اذا بلغت الحمى أقصى شدتها وارتفاعها قبيل البحران ، فاذا انخفضت الحرارة لا يشاهد الميكروب في الدم الى ان تقترب النوبة الثانية . وقد أمكن تلقيح الانسان والقرد بهذا الميكروب اذا حقن فيهما جزء من دم المصاب . وشاهد بعض العلماء أن الميكروب اذا اختفى من الدم ذهب الى الطحال وهناك تبتلعه بعض الكريات البيضاء وتقتله ، فلذا استنتج انه اذا أفلت بعضها من

القتل وعاد الى الدم تكاثر فيه فتنتكس الحمى

والاصابة بهذه الحمى لا تحمي الشخص من عودتها بعد زمن الا قليلا ولكنها تحمي غالبًا من الاصابة بالتيفوس . ومن الاسباب المهيئة للعدوى الفاقة والجوع والازدحام والقذارة . وذلك لانها تنتقل من شخص الى آخر بواسطة قمل الجسم فقد شوهد فيه نفس الميكروب ، وهو لا ينتقل الى الانسان بلسع القمل لجسمه، وانما ينتقل بطريقة أخرى، وهي أن المصاب بالقمل يكون كثير الحك لجسمه فيسلخ جلده قليلا من أظافره أو غيرها فاذا سحقت قملة في أثناء الحك أو غيره كالنوم عليها وأصاب دمها بعض تلك الجروح التي بالجلد دخل منها الميكروب الى الدم وأصاب الانسان بالحمى. ويبقى الميكروب في جسم القملة مدة حياتها بل يصل الى بويضاتها (الصئبان) فتتلقح به أيضا . ولذلك وجب الاحتراس من القمل والصئبان فانهما ينقلان هذه الحمى

وهي تصيب الانسان في جميع الاعمار ولا تميز بين الذكر والانثى الا قليلا فان نسبة المصابين بها من الذكور الى الاناث تكون عادة كنسبة ٣ الى ٢ وهي كثيرة الحصول للفقراء والشحاذين ونحوهم لكثرة ضعفهم ووجود القمل فيهم، وقل أن تصيب الاغنياء الا اذا صادفتهم قملة انتقلت اليهم من مصاب بها اقتربوا منه

وهنالك نوع من هذه الحمى يحصل في أفريقية ينتقل من شخص الى آخر بواسطة القراد ولكن مدة هذه الحمى أقصر فانها تكون عادة يومين أو ثلاثة ، ويوجد أيضا ميكروبها حتى في بويضات القردان ، ويجوز أن ينتقل الى الجيل الثالث من نسله

الاعراض — يتراوح طور التفريخ بين يوم و١٦ يومًا ولكن في أكثر الاحوال يكون أقل من تسعة أيام . وتبدأ الحمى فجأة بقشعريرة أو برعدة يعقبها سريعا صداع في الجبهة وآلام في الظهر والاطراف . وبعد زمن يسير تزول القشعريرة ويخلفها احساس بحرارة في الجسم ويزداد الصداع والآلام المذكورة . وتكون درجة الحرارة في اليوم الاول ٣٩ أو أكثر فيضطر المريض الى التزام الفراش ويشتد به العطش والاقهاء وقد يعتريه الغثيان والقيء ويحتقن الوجه ويبيض اللسان وتزداد درجة الحرارة في الليل فتكون ٤٠ أو ٤١ وتنخفض قليلا في الصباح فتكون أقل بدرجة غالبًا

وقد تتكرر الرعدة و يكثر العرق . و يسرع النبض وكذلك مرات التنفس. و يعتري المريض في بعض الاحوال اليرقان الشديد حتى يتكون البول بلون المرة (الصفراء) وتكبر الكبد والطحال خصوصا وتظهر [النملة Herpes] أحيانا على الشفتين وقد يحصل رعاف (نزف من الانف) . و تستمر هذه الحالة الى نحو من أسبوع، و يقل نوم المريض ويشتكي كثيرا من آلام المفاصل والعضلات ولكنه يبقى حافظا لقواه العقلية إلى قبيل النهاية وعندئذ يعتريه الهذيان، وتشتد الحمى جدا حتى قد تصل إلى ٤٢ و ٤٩ وحينئذ تنفرج الازمة فجأة و يحصل البحران فيكثر العرق وتقل مرات النبض والتنفس وتنخفض الحرارة بسرعة و يشفى المريض غير أنه قد يعتريه همود خصوصا اذا كان شيخا، وقد يصحب البحران اسهال أو رعاف وتكون الحرارة أقل من الدرجة الطبيعية ثم يتحسن الحال بسرعة وتشتد شهوة الطعام وتعود قوة المريض في ثلاثة أيام أو أربعة . و بعد أن يظن أنه شفي تماما تعود اليه الحمى فجأة كما بدأت ويكون ذلك بعد مضي اسبوع تقريبا، فيصير المريض في عين الحالة التي كان عليها في المرة الاولى ، و بعد بضعة أيام تنتهي النكسة بالبحران أيضا . وقد ينكس المريض ثانية وثالثة ورابعة وكذا خامسة في النادر . ومن المرضى من لا ينكس البتة. وتكون مدة النكس في الغالب أقل من مدة المرض الاولى فتكون عادة أربعة أيام أو خمسة وقد تكون يومين أو ثلاثة ، وتكون النكسة في الغالب أخف وطأة من الحمى الاولى ولكنها أحيانا تكون أشد بل قد يموت منها المريض

واعلم أن جميع المدد المذكورة سابقا هي تقريبية فانها تتفاوت تفاوتا عظيما باختلاف الاشخاص فقد رأينا في السجون المصرية أن مدة الحمى الاولى قد تتراوح من يوم الى ثمانية أيام أو تسعة والفترة الاولى من يومين الى واحد وعشرين يوما ومدة النكسة الاولى من يوم الى عشرة والثانية من يوم الى سبعة وهلم جرا في الاختلافات العظيمة في مدة الفترات وأيام النكس، ومن المسجونين من نكس أربع مرات [1]

وعدد الوفيات يختلف من ١٤ الى ١٨ في المئة ويحصل الموت عند اشتداد

(١) راجع تقرير جناب الدكتور (كرتون Kirton) رئيس القسم الطبي بمصلحة السجون المصرية عن سنة ١٩٠٧م

الكرب في الحمى الاولى أو عقب البحران مباشرة من الهمود خصوصا في الشيوخ كما تقدم . وقد يحصل الموت بسبب التسمم البولي والتشنج أو بالالتهاب الرئوي أو بالزحار أو غيره

ومن المضاعفات غير ماذكر ضخامة الطحال وتمزقه ، والحمرة بالاطراف السفلى، والتهاب الغدد اللعابية أوتقيحها ، والتهاب العين الذي يعميها ، واجهاض الحبالى والنزف الرحمي الخطر

الجمعيات الاتحادية

لتكوين العصبية التركية

كتب بعض شبان العرب المتعلمين في مدارس الدولة العثمانية بالاستانة مقالات في الجرائد في موضوع هذا العنوان ثم رأينا في كتاب (ثورة العرب) الذي صدر بالعربية من عهد قريب كلاما مختصرا مفيدا في ذلك فنقلناه عنه لأجل الاعتبار به وإثبات مايحتاج الى الرجوع اليه من تاريخ هذا الانقلاب الخطر. قال المؤلف تحت عنوان (المعول الاتحادي العظيم) ما نصه :

أنشأ الاتحاديون جمعية تركية عظيمة سموها جمعية « ترك أوجاغي » — أي طائفة الترك أو العائلة التركية — وجعلوا غايتها محوالاسلام وتتريك العناصر العثمانية ومركزها في الآستانة ومصاريفها من تخصيصات وزارتي الاوقاف والداخلية ومن المشيخة الاسلامية أيضا وهي منتشرة في كل بلدة وقرية في الاناضول والقوقاس وتركستان وتراقية ومكدونية ولها أربعة فروع لكل منها مهمة خاصة به وهذه الفروع هي

أولا « ترك يوردي » — أي المملكة التركية — ومهمته العناية بالآداب التركية بطرق شتى أهمها « تطهير » اللغة التركية من الكلمات العربية وجعلها لغة مغولية بحتة وتأليف الكتب القومية بهذه اللغة وتعليمها في المدارس ونشرها في البلاد

التركية وكتابتها بحروف منفصلة لكي لا يبقى بينها وبين اللغة العربية أقل شبه [١]

ووظيفة أعضاء جمعية « ترك يوردي » مقاومة كل كاتب تركي أو غير تركي لا يرى رأيهم ولا يعتقد معتقدهم ونشر الكتب القومية والاناشيد الحماسية بين الترك وتدريسهم التاريخ التوراني القديم وافهامهم ان الترك أعظم أمة في العالم اختارتها الاقدار لسيادة الامم . وقد جرى لهم حوادث عديدة مع فريق من عقلاء الترك أنفسهم كعلي كمال بك والدكتور رضا نور بك ولطفي فكري بك وغيرهم فاتهموا هؤلاء بالخيانة وتهددوهم بالقتل وقالوا ان العنصر التركي يتبرأ منهم وانهم من أصل يوناني وانه لا وطنية لهم ولا قومية ولا شرف

ثانيا « ترك درنكي » — أي ثبات الترك — ومهمته بث الفكرة القومية في الترك العثمانيين وغير العثمانيين بشكل لم يسبق له مثيل في تواريخ الامم [٢]

وأعضاء ترك درنكي من غلاة الاتحاديين وأشدهم كرهاً للعناصر ورغبة في تتريكها والقضاء على الفكرة القومية فيها . وهم على جانب عظيم من الهمة والنشاط ولكن الغرور أعمى أبصارهم وأسدل ستاراً من الجهل على عقولهم فكانت ثمرة نشاطهم

---

(١) المنار : قررت وزارة الحربية في عهد ناظرها أنور باشا استعمال الحروف المنفصلة في الامور العسكرية فقط ، ثم نقلت الينا الجرائد أخيراً ان الاتحاديين قرروا كتابة التركية بالحروف الافرنجية ولا ندري كيف ينفذون ذلك

(٢) المنار : اذكر ان هذه الجمعية تشتغل بتنقيح اللغة التركية وانها هي التي دعتني الى مجلس ادارتها في الاستانة لما بلغها ان بعض المسلمين كتبوا الي من جاوه انه بلغهم أن الدولة العثمانية تضطهد اللغة العربية وتصرح بانها تطهر التركية منها وانهم لا يصدقون هذا الخبر الا اذا أكدته أنا لهم وانهم حينئذ يحذفون اسم السلطان من الخطبة ، ولما اجتمعت بهم وتذاكرنا في المسألة قال لي رئيس الجمعية ان عملنا فني محض لا دخل له في السياسة ولا الدين فنتوسل اليك ان تستعمل بنفوذك الديني لازالة التهم السيئة التي حومت حوله . وجرى بيننا محاورة ليس هذا محلها

شراً على الدولة ووبالا (١)

ثالثا : ترك بلكيشي — أي العلم التركي — ومهمة أعضائه ترجمة الكتب العلمية الى اللغة التركية القديمة ونشر هذه اللغة بين الترك وبث الفكرة القومية التركية في تركستان والقوقاس وربطهما بدولة الاتحاديين برباط سياسي متين

رابعا « ترك كوجي » — أي القوة التركية — ومهمته العناية بصحة الترك وتقوية أجسامهم ونشر الالعاب الرياضة بينهم .

ويشترط للدخول في جمعية « ترك اوجاغي » أو في احد فروعها ان يكون طالب الدخول تركيا وان يدفع رسماً شهريا وان يتعهد ببذل حياته ونشاطه وماله لاعلاء شأن الترك وبسط سيادتهم على الامم الاخرى وان يغير اسمه باسم توراني يعرف به بين أصحابه فمن كان اسمه انور مثلا صار يعرف اليوم بين أصحابه باسم ايشلداق — أي أنور بالتركية القديمة — ومن كان اسمه محمداً أو سليما أو حسيناً أو سعيداً صار اسمه اليوم تيموراً أو جنكيزا أو هلاكوا او اوغوز الخ

وقد بدّل كل الضباط الاتحاديين أسماءهم بأسماء تورانية وكذا رجال الحكومة الحالية لانهم كلهم من جمعية « ترك أوجاغي » ويعرفون بين أصحابهم الترك بأسماء تورانية غير أسمائهم التي يعرفهم بها غير الترك .

وقد أنشأت جمعية ترك أوجاغي وفروعها أندية عديدة في جميع المدن والقرى التركية لتدريس تاريخ الترك القديم ولا سيا تاريخ هلاكو وأوغوز وجنكيز خان و بث الفكرة التركية في الامة التركية وجعلها تعتقد بتفوقها على الامم الاخرى في كل شيء . وعينت هذه الجمعية ثلاثة أيام في الاسبوع لتعليم النساء التركيات التاريخ القديم وبث الفكرة العنصرية فيهن وحملهن على العناية بتربية أطفالهن تربية قومية تركية . وتبرعت وزارة أوقاف المسلمين أخيراً بخمسين ألف ليرا عثمانية لجمعية « ترك أوجاغي »

(١) بلغ منهم الغرور مبلغا لا يتصوره العقل فبينما كانت جيوش البلقانيين امام شطلجه تهدد كيان الدولة كان أحدهم — أحمد أغايف بك — ينشئ سلسلة مقالات في جريدة تصوير أفكار جاء فيها ما ترجمته « يجب ان تهتم تركيا بشؤون ايران أعظم اهتمام لان ايران طريقنا الى الهند والصين ! »

لاجل تأليف تواريخ مفصلة لهلاكو وواغوز وجنكيز وتيمورلنك

وأندية « ترك أوجاغي » محرم دخولها على غير الترك فكل من يود ان يدخل اليها يجب عليه ان يظهر للبواب ورقة عليها اسمه ورسمه وتاريخ ولادته وقد سعت جمعية ترك أوجاغي أخيراً في ترجمة القرآن الكريم الى التركية القديمة مع خطبة الجمعة والادعية الدينية وغيرها مما يوجب الدين الاسلامي تلاوته باللغة العربية وعزمت على نزع أسماء الصحابة من الجوامع لاعتقادها أن وجود هذه الاسماء العربية في الجوامع والاماكن المقدسة مما يضعف الفكرة القومية في الترك

وليست المدارس العثمانية رشدية كانت أو اعدادية ملكية أو عسكرية الاّ فروعا من فروع جمعية « ترك أوجاغي » وكذلك جمعية الاتحاد والترقي وجميع الجمعيات السياسية والعلمية والدينية والادبية التي تأسست في الآستانة والاناضول قبل الحرب الاوربية وبعدها

وقد أدخلت الحكومة في برنامج مدارسها العالية ولا سيما المدرسة الحربية ومدرسة اركان الحرب في الاستانة درس تاريخ التورانيين وعلومهم الحربية وآدابهم ونظاماتهم وعهدت الى احمد اغايف بك وأمين بك وخالد ضيا بك وحمد الله بك في إلقاء محاضرات يومية في هذه المواضيع على تلامذة المدارس الحربية ومدارس الحقوق والطب والهندسة وغيرها وترسيخ الفكرة التركية في نفوسهم . واستعاض التلامذة في جميع المدارس الابتدائية والاعدادية والعالية من الكتب العصرية بمجموعة « ترك يوردي » — المملكة التركية — وكتاب ترك قليجي — السيف التركي — وتاريخ توران وتاريخ تيمورلنك وهلاكو وجنكيز خان وغيرهم .

وفي كل يوم يجتمع تلامذة المدارس الحربية في ساحات مدارسهم ويستلون سيوفهم وينشدون نشيدهم الوطني الذي يبتدىء بهذه الابيات :

جنكز خانك بايراغي آنلي شانلي صانلاندي
آيت خانك بايراغي حربده بويله اكلاندي

أي : لقد تموجت أعلام جنكيز خان في جو المجد والشرف وأرشدتنا أعلام آيت خان الى نهج هذا الطريق المجيد في الحرب . الخ

والاغرب من هذا كله الدعاء الجديد الذي ألفته جمعية « تورك يوردي » وجعلت الترك يستعملونه في منازلهم ومدارسهم، وقد قررت أخيرا استعماله في الجوامع في الاستانة والاناضول وهذه ترجمته :

« أيها الاله القادر على كل شيء أنعم على الترك بالصحة والعافية وأحسن اليهم بذئب أبيض [1] واشملهم برعاية مولانا السلطان الاعظم

« وأنت يامملكة توران الجميلة المحبوبة ارشدينا الى الطريق المؤدية اليك لان جدنا اوغوز الكبير ينادينا

« ايها الاله القادر على كل شيء أنر طريق توران أمامنا واجعل امتنا كالورد الناضر واهدنا الصراط المستقيم »

﴿ الاناشيد الحماسية في الجيش ﴾

أما الجيش العثماني فمعظم ضباطه وجنوده الترك من الاتحاديين ومن المنتسبين الى جمعية ترك أوجاغي وهم يحتقرون الضباط والجنود من أبناء العناصر العثمانية الاخرى ولا يسمون الدولة الا الدولة التركية وينفرون من تسميتها الدولة العثمانية لاعتقادهم ان البلاد العثمانية غير التركية ليست الا مستعمرة فتحها الترك بالسيف .

وهذا نموذج من الاناشيد الحماسية التي يترنمون بها في الجيش :

بزترکزسن ترکالکه امانتسك

هيچ قورقمه هب اولورسى ويرميز

أي: نحن ترك وأنت (ياآسيا) أمانة بيد الترك فلا تخشي شرا لاننا نفديك بارواحنا

اي ترك كنجي ييتشير ارتق أويومه

قوش كو يلينك امدادينه دورمه

أي : انهض ايها الفتى التركي فقد نمت طويلا وأسرع في الحال الى امداد بلاد اجدادك

جنكيز خانك بايراغي انلى شانلى صانلاندي

ايت خانك بايراغي حربده بويله اكلاندى

---

(١) الذئب الابيض اله من آلهة الترك الاقدمين وقد كان شعاراً لهم أيضا

وقد سبقت ترجمته

انتقامى آله مزسك تركلك بزه نافله

صوصتره لم بايقوشلرى يتيشر بو ولوله

أي : لا يحق لنا ان ندعى اتراكا ما لم ننتقم من أعدائنا . فلنسكت اليوم عن نعيقهِ وليكفنا ماسمعناهُ من الضجيج والنحيب

يور ييالم ايلرى يه اتلاية لم طاغ تبه

باطلاتالم بومبالرى جانلر كيرسون يرلره

أي : هلموا إلى الامام فتنبسط امامكم الجبال والاكام وتتفجر قنابل الديناميت وتفغر الارض فاها لابتلاع النواقيس والاجراس

آل بايراغك التنده اناآرم يورودى

كوك بايراغك التنده يكى توران بيودى

أي لقد سار اجدادنا الى المجد تحت العلم الاحمر الذي هو مصـدر عظمة توران الجديدة

يورين طاغلر اينسين التون اردوشان ويرسون

آل بايراق ! يانغينلر اوزرنده يوكسلسك

أي : سيروا لتنبسط الجبال وتكسبنا جيوش التاي [1] الشرف فان مجـدنا سيشاد تحت العلم التركي على الانقاض والحرائق

بزايغورز دونميز قوناغمز طاغ اوه

توركز بزمدراسيا توركز توركز هپمز

أي : نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا الى الامام لان مسكننا الجبال والبطاح نحن ترك وآسيا كلها لنا نحن اتراك اتراك كلنا

﴿ كيف يعلمون الامة ﴾

هذا نموذج من الاناشيد التركية الوطنية التي يترنم بها الترك في ميادين القتال على مسمع من جنود العرب وضباطهم

(١) اسم الجبل آلتون طاغ الذي يعده الترك التورانيون بلادهم الاصلية

والى القراء نموذج من الخطب والدروس التي يلقيها على التلامذة العثمانيين في مدارس الدولة اساتذة من أعضاء جمعية « ترك اوجاغي » عينوا برواتب باهظة لتتريك ابناء العناصر العثمانية :

قال استاذ التربية العسكرية في المدرسة الحربية في الاستانة في درس القاه على صف الضباط بعد اعلان الحرب العثمانية بايام ماخلاصته [أي خلاصة ترجمته] :

« اود ايها السادة ان القي عليكم كلمة في غاية الاهمية بمناسبة الحوادث العظيمة التي وقعت في الغرب فاظهرت لنا معاشر الترك امورا لم تخطر في بالنا من قبل وعبرا ينبغي أن نعتبر بها . فان البلجيك الصغيرة تجاسرت على محاربة المانيا العظيمة ووقفت بجيش لا يزيد على مئة الف جندى امام أعظم جيش ذكره تاريخ بني البشر فحالت دون القضاء على حليفتها فرنسا . لذلك لا يسعنا نحن الترك أعداء البلجيك إلا ان نطأطىء رؤوسنا اجلالا لها واحتراما لجيشها الباسل . ولكن اتعلمون ايها الاصدقاء لماذا وقفت البلجيك تيار الجيش الالماني العظيم ؟ وقفته لانها كانت تحاربه باسم القومية وباسم الوطن . او تعلمون لماذا عظمت فرنسا وانكلترا والمانيا وسدن العالم وصرن اعلى أمم الارض مقاما واكثرها ثراء ؟ لانهن خضن معترك الحياة باسم القومية لا باسم الدين . فعلينا ايها الاعزاء ان نظهر من الآن وصاعدا امام العالم بصبغة القومية المقدسة وان نضرب بالعصبية الدينية عرض الحائط

« نحن أيها السادة أتراك واني لأعجب من تسميتنا عثمانيين . فمن هو عثمان الذي ننتسب اليه ؟ انه تركي جاء من آلتاي واجتاح هذه البلاد بجيشه التركي . فانتسابنا الى أصله أشرف من انتسابنا اليه . ولقد خدعنا بجهل أسلافنا في الماضي فبئس الاسلاف الذين أنسونا قوميتنا انكم أيها الاعزاء ستلحقون بالجيش قريبا وستكونون أساتذة جنودنا الابطال . فعلموهم انهم ترك وانهم اذا حاربوا العدو من أجل الترك وتحت العلم التركي ينتصرون عليه ويحرزون ما أحرزته البلجيك من المجد والفخر . وتأكدوا أن التركية خير لنا من الاسلام وان التعصب للجنسية من أكبر فضائل الهيئة الاجتماعية »

فأجابه أحد ضباط العرب قائلا : « تعلم أيها القائد ان للامم الشرقية تقاليد

لا يمكن الاغضاء عنها وقد حفظت الجنسية العثمانية هذه التقاليد وكفلت سلامة الدولة الى الآن. فتتريك العناصر العثمانية أوانكار قوميتها عليها يؤدي الى اضمحلال الدولة في القريب العاجل . فأنا أحتج على هذا الكلام وأقول بكل صراحة ان الرابطة الاسلامية العثمانية هي الرابطة الوحيدة التي تربطنا بالترك . ولما كنت حضرتك تعلمني الآن ان هذه الدولة دولة تركية وان هذا العلم الذي عهدت الي في الدفاع عنه هو علم تركي أي علم أجنبي عني فقد قضيت على قوتي المعنوية قضاء مبرماً وأخمدت كل عواطفي الوطنية لأني أنا وأبناء العرب وجميع أبناء العناصر غير التركية لانحارب في جنب الترك الالمقاصد متحدة وذباعن حياض الاسلام والعثمانية.»

فأجاب القائد قائلا : « اعلم أن الحقيقة غير العواطف وأنك وان تكن عربيا فأنت وعنصرك من تبعة تركيا. ألم يستعمر الترك بلادك ؟ ألم يفتحوها بالسيف ؟ ان العثمانية التي تتخذها حجة لك هي حيلة اجتماعية يستعملها الضعيف للوصول الى غايته . أما الدين فلا شأن له في السياسة، وسننهض قريبا باسم التركية وتحت العلم التركي ونترك الدين جانبا لانه من الامور الشخصية الثانوية، أما أنت وأبناء جنسك فعليكم أن تعرفوا انكم ترك وأنه ليس في العالم قومية عربية أو وطن عربي »[1]

وقد احتج ضباط العرب الذين سمعوا هذه الخطبة الى وزارة الحربية وطلبوا منها عزل القائد الاستاذ فلم تعبأ باحتجاجهم ولا أجابتهم الى طلبهم بل اتخذت التدابير اللازمة للتخلص منهم فقذفت بهم الى ميادين القتال وعرضتهم لرصاص العدو بلا سبب الا رغبتها في محوهم لينسنى لها بعد ذلك قتل الفكرة القومية في بلادهم . وهذه الرغبة — رغبة قتل العرب — قديمة العهد في الترك الاتحاديين . فقد عثر ضباط العرب سنة ١٩١٢ في بولاير على كتاب من أحد زعماء الاتحاديين الى قائد اتحادي كبير جاء فيه « عرضوا العرب لرصاص العدو واعملوا على التخلص منهم لان قتلهم يفيدنا . أما الكرد فاحتفظوا بهم لانهم يلزمون لنا في بلاد الارمن »[2]

(١) جرت هذه المناقشة على مسمع مئات من ضباط العرب في المدرسة الحربية في الاستانة وقد نقلها الينا غير واحد منهم فمر بناها للقراء اه من هامش الاصل

(٢) نشر هذا الكتاب في حينه في معظم الصحف العربية اه من هامش الاصل

رحلة الحجاز

٣

﴿ باخرتا الحجاج — المنصورة والنجيلة ﴾

استأجرت الحكومة للحجاج باخرتي (المنصورة والنجيلة) وهما من أقدم سفن شركة البواخر الخديوية — وأما المحمل المصري فقد حمل مع أميره وعسكره على سفينة حربية انكليزية — ولما كنا آخر من جاء السويس من الحجاج علمنا من أصدقائنا الموظفين في هذا الشأن ان المنصورة أسرع الباخرتين وأنه لم يبق في الدرجة الاولى منها موضع لي وللسيدتين لأن وفد العلماء المرسل الى الحج على نفقة سلطان مصر المعظم قد ركب المنصورة قبل مجيئنا وتسابق اليها الناس وقد يوجد فيها موضع واحد لي ، وان النجيلة تفضل المنصورة بأنها أقل منها نودانا وانه يمكن أن نجد في الدرجة الاولى منها بيتا أومخدعا (قمره) خاصا بنا. فنزلنا فيها مع رفيقينا في يوم الاحد لأربع بقين من ذي القعدة ، وقد علمنا بعد سفرها أنها أبطأ بواخر الدنيا سيرا قيل لنا انها تقطع ثمانية أميال في الساعة ولعلها لا تتم الستة الا بالجهد ، وهي قديمة وسخة ليس فيها ضوء كهربائي ولا أجراس ولا مقاعد للاستراحة الا كراسي المائدة في الدرجة الاولى، ولكن المخدع الذي خصص لنا فيها واسع جدا قلما يوجد في البواخر الكبيرة مثله في سعته وهو معد لنوم ستة أو سبعة ، وفيه عدة نوافذ. ثم أن ربانها سالم افندي البدن من أحسن الناس أخلاقا وعناية بالحجاج ، وهو من أقدم المستخدمين بهذه البواخر وقد حج مرارا ، وطبيبها مهذب حسن المعاشرة وهو طلياني يتكلم بالعربية العامية بطلاقة ولهجته فيها سورية ، فنشكر لهذين الرئيسين في الباخرة حسن عشرتهما وعنايتهما بنا خاصة وبسائر الحجاج أيضا ، ولا نبخس خدم الباخرة حقهم من الثناء على حسن خدمتهم . ولعل باخرتنا كانت تفضل المنصورة فيما عدا سرعة السير. وقد زارنا في الباخرة قبل سفرها محافظ السويس ثم صار الى المنصورة لزيارة وفد العلماء السلطاني فيها

﴿ حجاج باخرتنا النجيلة ﴾

وأنسنا في الباخرة بصحبة كثير من ركاب الدرجتين الاولى والثانية وحمدنا صحبتهم وعشرتهم وأخص بالذكر منهم عالما من أكبر علماء القطر المصري وأديبا من أفضل أدبائه . أما العالم فهو الاستاذ الشيخ عبد الفتاح الجمل شيخ علماء بور سعيد وقد كنت أسمع له ذكرا حسنا فرأيته فوق ما كنت أسمع علما وفضلا وهديا وأدبا وانصافا في المذاكرة واستقلالا في الفهم ، وله مشاركة حسنة في التاريخ والادب ومعرفة أحوال العصر ، ولعله يندر وجود مثله في علماء مصر . وأما الاديب فهو محمد توفيق علي (اليوزباشي) في الجيش المصري ، وهو يفضل من نعرف من أدباء مصر وضباطها في الاخلاق الدينية والمحافظة على العبادات، وكثرة النظم في ذم الفواحش والمنكرات. وقد كان معه والدته وهي امرأة تقية زكية الفطرة واتفق ان كان مخدعهما ملاصقا لمخدعنا فكانت والدتي وشقيقتي تأنسان بالمامها بهما وصحبتها لهما، وهي أقل منهما دوارا ، واكثر على مشقه البحر اصطبارا، وقد حجت قبل هذه المرة. وكذلك كنت أنا آنس به ، فقد كنا أكثر الرفاق تلازما قلما نفترق الا في وقت النوم، وكان أكثر حديثنا وسمرنا أول الصحبة في الشعر والادب وأقلهما في المسائل الدينية والعلمية والشؤون الاجتماعية ، الا اذا حضر المجلس الاستاذ الجمل فان الحديث يكون بعكس ذلك، كما كان في أواخر العهد بالصحبة

وقد وزعت بعض نسخ المناسك على حجاج الباخرة قبل أن أقرأها وأصحح أغلاطها و بعضها بعد ذلك، ولما علم الناس أنها بغير ثمن كثر الطلب لها حتى من الاميين فصرت أشترط على من يأخذها من القارئين ، ان يقرأها لمن يجاوره من الرفاق الأميين ، وكان انتشارها في المركب سببا لكثرة اختلاف الحجاج الينا للسؤال عن أحكام النسك ولاسيما واجبات الاحرام

كان سفرنا من مصر في أول الميزان وقد بدأ هواء الخريف المعتدل يطرد هواء الصيف الحار ويجليه عن أفق مصر ، وكأن ما كان يرحل منه عن مصر يذهب الى الحجاز ليحل محل هواء صيفه الذي هو أشد منه حرارة ، لذلك كنا كلما اوغلنا في الجنوب نشعر بأن جونا يرجع بنا القهقرى الى الصيف فكان عامة من في السفينة لا

يكادون يبرحون ظهرها الا الى حاجة غير النوم اذ كان جميع ركاب الدرجة الثالثة ينامون على الظهر وكذلك بعض ركاب الدرجة الثانية، وكان جل ركاب الدرجة الثالثة من أدنى طبقات المصريين قد دعهم الى الحج دعا ماكان من عناية الحكومة ببعث حجاج يحجون وحملها الاغنياء على مساعدة الفقراء على الحج بالمال، فوق ماكان من تسهيل سائر الاسباب، فكان أكثرهم يقطعون أوصال الليل باللهو واللعب، والغناء والطرب، ومنه ما يسمونه في اصطلاح أهل الطرق بالذكر ، وهو ان يقف جماعة يتثنون و يرقصون ويصيحون بأصوات منكرة : أهْ أهْ ، أو: هو هو ، أو حيّ حيّ ، على صوت مغن يغنيهم ببعض الاغاني الحديثة أو الاشعار القديمة ، فيكونون بذلك من الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، وأقبح اللهو وأنكره وأقربه من غضب الله وأبعده عن مرضاته ما جعل دينا، فهؤلاء الذين يسمون أنفسهم ذاكرين لله يظنون أنهم خير من الذين يتغنون ببعض الاغاني لاجل التسلي عن فراق الاهل والولد مثلا ، وما ذلك اللهو الذي سموه ذكرا الا معصية ، وما هذا اللهو الا ظنوه حراما أو مكروها الا مباح ، ولهم في ذكرهم هذا شر مكانا ممن قال فيهم بعض العلماء

اقال الله حين عبدتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

ولذكرهم هذا دون الذكر مع الغفلة أو الغيبة الذي قال فيه الشيخ محيي الدين ابن العربي

بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب

ومن مظاهر الدين الباطلة في هؤلاء العوام ما كان يمثله رجل منهم شر تمثيل: كنا نسمع كل ليلة صوتا منكرا أجش ينادي به صاحبه السيد البدوي بألقابه المشهورة في هذه البلاد، ويكثر من ذلك ويلح فيه بعد نوم الناس، متنقلا على ظهر السفينة من مكان الى مكان، وكثيرا ماكان يقف بالقرب من بعض نوافذ مخدعنا فيزعج السيدتين وينغص عليهما نومهما، ولما تكرر ذلك منه بحثنا عنه فاذا هو بزي أهل الطريق المتصنعين الذين يراءون الناس بالعمائم وثيابهم وحركاتهم وأصواتهم، فتلطفنا في وعظه واقناعه بترك ذلك الصياح ولكنه أقل منه ولم يتركه البتة.

هذا واننا لما حاذينا رابغ آذن ربان السفينة الحجاج ببلوغ ميقات الاحرام فطفقوا يحرمون ، واننا نرجئ الكلام على الاحرام الآن لنذكره في هذه الرحلة مع

غيره من أعمال المناسك متصلا بعضها ببعض ، ونسترسل في وصف السفر فنقول :

﴿ الوصول الى جده ﴾

وصلت المنصورة الى ثغرجدة ضحوة يوم الاربعاء وهوالتاسع والعشرون من ذي القعدة ولم يلبث ركابها أن نزلوا منها، وأما باخرتنا النجيلة فوصلت عشاء ليلة الخميس فلم تستطع التقدم الى موقف البواخر من الميناء لكثرة الصخور الخفية هنالك فأرست في مكان بعيد عنه ، وانما دخلت الميناء وأرست فيه ضحوة يوم الخميس فكان تأخر ركابها عن ركاب أختها ٢٤ ساعة ، والسفن تُرسى على بعد شاسع من البر في ذلك الثغر لرقة الماء وكثرة الصخور، فلما رأت الوالدة والشقيقة ذلك عراها الغم لان الدوار يشتد عليهما في الزوارق الصغيرة ذات الشرع أو المجاذيف و يؤلمهما طول المسافة فيها ، وخافتا أن لا تصلا الى البر الا بحالة لا ترضيهما، ولكننا لم نكد نستعد للنزول الا وكان صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف وكيل سيدنا الشريف الاعظم صاحب الحجاز[1] قدجاء الباخرة في زورق كهربائي أو بخاري (لنش) مع جماعة من سراة جدة وكبرائها لاجل استقبالنا ، وقد أخبرونا بعد السلام انهم قد نزلوا أمس للسؤال عنا في باخرة المنصورة ، ثم اننا بعد استراحة الزائرين نزلنا وأنزلنا معنا في الزورق ما خف من متاعنا وصغر حجمه وأرسلنا ما بقي في مراكب النقل الشراعية — وكان الرفيقان الشيخ خالد ومحمد نجيب افندي قد نزلا في بعضها ، — فسار بنا الزورق كالسهم فوصلنا بغاية الراحة ، ونزلنا ضيوفا مكرمين في دار صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف ، وهي دار فسيحة واسعة الحجرات كثيرة النوافذ ، تفيض عليها الشمس أشعتها من الشرق والغرب، و يتخلل النسيم حجراتها من كل مهب ، فهي فى الذروة من دور جدة ، وكان الهواء معتدلا فى هذا الثغر ، لا يشتكى برد منه ولا حر، وقد بلغني الصديق المضيف تحية سيدنا الشريف، وصدور أمره العالي اليه بالعناية بنا ، وكان قد بلغ الديوان الهاشمي العالي موعد وصولنا كما بلغه مندوبه بمصر خبر سفرنا بالبرق ثم بلغ مضيفنا بمكة خبر وصولنا بالمسرة (التلفون) وتكلمت به مع

(١) يعلم القراء ان هذا وقع قبل مبايعة اهل الحجاز للشريف بالملك ونشر الرحلة بعد المبايعة لا يقتضي استعمال لقب الملك فيما يحكى فيها عما كان قبل ذلك

اخواننا محرري جريدة القبلة . وفي صبيحة اليوم التالي ورد على مضيفنا في البريد من المقام الهاشمي الاعلى رقعة شريفة هذا نصها :

نومرو ١٩٥

وكيل شرافة مكة المكرمة وامارتها بجده

معتمدنا الأعز

كتابك رقيم ٢٧ الجاري وصل وعلم مآله لاسيما من خصوص السيد رشيد رضا فقد أرسلنا قبله وبتاريخه كان قصدنا نشعرك بالاستعداد لمقابلته بما يقتضي له من الحفاوة وللمعلومية تحرر ۲۹ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ شريف مكة وأميرها

الحسين بن علي

لم نكد نستقر في الدار الا وأقبل الزائرون المهنئون يفدون علينا أفرادا وجماعات وفي مقدمتهم الشيخ مصطفى فهمي معاون نائب الحضرة الهاشمية في جده جاء بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن سيادة رئيسه الشريف محسن معتذرا عنه بالاشتغال بشؤون المحمل المصري . وقد تذكرنا فتذاكرنا بعد التحية والسلام، فيما كان من تلاقينا أول مرة منذ بضعة أعوام ، ذلك اني زرت سورية عقب اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٧ فأقمت فيها أشهرا ثم عدت الى مصر على سفينة فرنسية من شركة المساجري واتفق ان كان في هذه السفينة مصطفى بك فهمي هذا قاصدا بور سعيد للسفر منها الى الحجاز فرأى اسمي بين ركاب الدرجة الاولى ولم يرني على مائدتها ولا على ظهرها مع الركاب لانني أصبت بدوار خفيف لزمت لاجله مخدعي ولم يكن معي أحد فيه ، فسأل عني فدل علي فالتقينا وتعارفنا ، قال لي إن سيادة أمير مكة الجديد سيدنا الشريف حسين طلبني لأكون كاتب السر له — وكان موظفا بولاية حلب في عمل لا أذكره الآن — واني لما علمت بوجودك هنا رغبت في لقائك واغتنام الفرصة في الاستفادة من رأيك فيما ينبغي لبلاد الحجاز من الاصلاح في عهد الدستور فان أميره الجديد لا بد ان يوجه همته الى إصلاح عظيم في هذه البلاد المقدسة وأنت أولى من يستنار برأيه في هذا الامر ... فذكرت له ما خطر في بالي في ذلك الوقت القصير من وسائل حفظ الامن ونشر العلم واصلاح حال البدو وسكة الحديد الحجازية ، وتواعدنا على المكاتبة في كل ما يتجدد من الشؤون بتجدد الاعمال ،

وقد بدأ بالوفاء بوعده بعد وصوله الى مكة المكرمة بمدة وجيزة فكتب الي كتابا ذكر فيه انه عرض ماسمعه مني من الآراء على سيد الجميع فصادف القبول والارتياح ، وقد أجبته بما اقتضته الحال ، وكان من غرائب عهد الدستور اني أرسلت اليه كتابا مسجلا فيه كلام يتعلق بخدمة الدولة وتمكين سيادتها في البلاد العربية فأعيد الي هذا الكتاب ولم توصله اليه ادارة البريد التركية ولا يزال عندي وقد وعدته باطلاعه عليه عند ما التقينا في جده لأنه كان في أوراقي ولكن لم يتيسر لي اخراجه في ذلك الوقت

أقمنا في جده من ضحوة يوم الخميس الى أصيل يوم السبت ولم أخرج من الدار في هذه المدة الا الى صلاة الجمعة في أقرب المساجد اليها، وقد سمعنا خطيب المسجد يدعو للسلطان محمد رشاد في خطبته كالعادة. ولم أرد الزيارة لأحد لان الزائرين كانوا لا يكادون يفارقوننا الا وقت النوم ؛ وكان جل حديثنا معهم في المسائل الدينية والعلمية ، والعبرة الاجتماعية والساسية ، وانما اختلست منهم ساعات متفرقة كتبت فيها نبذة من التفسير للمنار ومكتوبات أرسلتها الى مصر

كنت أتمنى لو ملكت وقتا أرد فيه الزيارة للزائرين الكرام فلما غلبت على الوقت قلت لعلي أملك بعد العودة من مكة المكرمة مالا أملكه الآن ، ولكن وقت العودة كان أضيق كما يعلم في محله، ولذلك طلبنا من صديقنا ان يكتب الينا أسماءهم لنؤدي لهم الشكر بالكتابة ، جزاء ما استحقوه علينا من الزيارة ، فكتب الينا زهاء ثلاثين منهم وهم الذين تذكرهم فمن أهل العلم منهم الاساتذة الشيخ محمد حسين ابراهيم والشيخ أحمد الزهره والشيخ أحمد طه رضوان والشيخ اسحق بن حسن العباسي والشيخ محمد سعيد دردير خطيب مسجد عكاش ،

ومن رجال الحكومة عدا من ذكرنا مدير الشرطة مساعد اليافي ومدير الصحة الدكتور امين معلوف وقائد حامية الثغر عبد الرؤف عبد الهادي ورئيس كتاب الحجر الصحي رشيد باغنار ومحمد راغب الصنعاني من الكتاب ، وحسين ملوخية مأمور نقل البريد؛ وكل هؤلاء يطلق عليهم لقب الشيخ للتكريم، وقد أعجبني من الدكتور معلوف وعبد الرؤف ومساعد زيهم العربي فكانوا به أبهج في عيني منهم في زيهم الافرنجي التركي

ومن كبراء الوجوه والتجار في الثغر الشيخ سليمان قابل رئيس البلدية والمشايخ زينل علي رضا وعبدالله علي رضا ومحمود زاهد ومصطفى درويش عبد ربه ومحمد بن احمد المزاز ومحمد باحفظ الله وعبد الله المحمد الفضل ومحمد العبد الرحمن الفضل

ومن أصحاب الحرف ووكلاء الاعمال المشايخ حمزه جلال نقيب وكلاء المطوفين وحسين بحيري من المطوفين وبكر وخميس وسليمان عزابه من وكلاء المطوفين ومحمد سعيد كيال شيخ السماسرة وعبد الرحمن فائق من كتاب شركة البواخر العثمانية

فنشكر لهؤلاء ولسائر من تفضلوا بزيارتنا (كالشيخ عبد الرؤف الصبان من طلبة دار العلوم المصرية وقد فاتنا ذكره مع علماء جدة) مودتهم وفضلهم، وقد علموا ما حال دون ما كنا نبغي من زيارتهم، وان التقصير من الزمن لامنا، والعذر عند كرام الناس مقبول

﴿ عبرة للمعتبرين * وجناية المفسدين على المصلحين ﴾

أظهر لي صديقي المضيف سروره وارتياحه لرؤيته إياي بثوبي الاحرام (الازار والرداء) وقد أثار عجبي وحزني أنه ظن أن من المحتمل أن أترخص بترك لباس الاحرام اعتمادا على الفدية . وقال لي لو رأيتك لابسا ثياب الحل لعزمت عليك أن لا تنزل جدة الا بلباس الاحرام ، لئلا يظن بعض الناس انك من قبيل هؤلاء المتهاونين الذين يجيئون هذه البلاد غير محرمين بحج ولا عمرة، وذكر لي شيئا يسيرا مما علمته بعد ذلك تفصيلا من حال بعض الشبان الذين جاؤا الحجاز ودخلوا مكة المكرمة نفسها، وكأنهم لا يعرفون شيئا من مكانتها، ولاحق بيت الله وشعائره فيها، فدخلوها غير محرمين، ومروا ببيت الله تعالى غير طائفين ولا مصلين، وترددوا بين الصفا والمروة غير ساعين ولا مرملين، فكانوا مضغة في أفواه الحجازيين ، ومثالا مشوّها لشبان المدنية المصريين ، وحجة قاطعة لألسنة الذين يلغطون منهم بتكفير الاتحاديين، لانهم يساوونهم في ضلالتهم، وهدمهم لشعائر ملتهم، ولكنهم يقصرون عنهم في الغيرة والاخلاص لأمتهم، والتفاني بخدمة دولتهم ، وبذل النفس والنفيس في احياء جنسيتهم

لقد احزنني وامضني وساءني وآسفني ماقاله هذا الصديق الذي أعتقد أنه ماأحبني في الله تعالى الا لاجل اعتصامي بديني وغيرتي عليه، ودعوتي الى احياء كتابه وسنته. وقلت في نفسي يا سبحان الله ! اذا كان مثل هذا المحب الحسن الاعتقاد قد بلغ

سوء تأثير بعض اولئك الشبان في نفسه أن تصور ذهنه في مثلي جواز دخول جدة بغير ثياب الاحرام ولو على سبيـل الرخصة ، والقيام بما يجب بدل ذلك من الفدية ، فكيف يكون رأيه واعتقاده فيمن لا يعرف لأحد منهم حظا من علم أوعمل ، ولا يحفظ لاحد منهم في قلبه بعض ما يحفظ لي من الظن الحسن ؟

وقلت له محاولا كتمان اسفي ومكابرة امتعاضي: لوكان هذا اللباس (لباس الاحرام) مستحبا لا واجبا لما تركته تهاونا ولا إيثارا لما في اللباس المعتاد من الحشمة أوالزينة أو الرفاهة، وأنا أرجو أن اكون من أعلم الناس بفوائده واحرصهم على ادراكها بالعمل، ولو تركته لما استطعت انت ولا أحد من الناس ان يقنعني بإتيانه، لانني لا أتركه — لو تركته — الا لعذر شرعي ملجيء، كأن اعتقد أنه يضر بصحتي ضررا يجعل الواجب محظورا، وأكون بلبسه عاصيا لله تعالى لا طائعا، وأما نظر الناس فلا أبالي به في أمر الدين، وأعوذ بالله ان أكون من المرائين، بل تعودت — ولله الفضل والمنة — ان لا أتصنع للناس ولا ادهن لهم ولا أتحرى مدحهم ولا أخاف انتقادهم في المصالح الدنيوية والامور العادية بحيث يحملني ذلك على ترك شيء أراه حقا أومصلحة أوفعل شيء أراه باطلا أومفسدة،

وأقول مستطردا إنه قدعاداني كثير من الناس في هذا الخلق وآذوني لأجله ولم أوذ أحدا منهم، وأرى انني غير مغبون معهم ، وأن هذا الخلق خير لي من مودتهم ، ولاسيما من أعرف منهم سوء النيـة ، وفساد الطوية ، ولكن يسوءني أنه لا بد ان يوجد في أمثال هؤلاء من هوحسن النية يُخدع بالشبهة أو يقلد غيره فيما لاعلم له به ، وأنه يعسر العثور على هؤلاء والتناصف معهم باقتناع كلامنا بحسن نية الآخر واخلاصه، ورجوع المخطيء الى رأي المصيب ان ظهر صوابه ، وعذره إياه فيما لم يظهر له . ولم اذكر هذا التفصيل كله للصديق وانما خطر في بالي عند الكتابة ان بيانه مفيد لأن مثله يقع لكل صادق مستمسك بعروة الحق لا يحابي ولا يداهن الناس فيه .

ومن دقائق هذا البحث ان الانسان كثيرا ماتغشه نفسه وتخدعه بتسمية العجب والكبر والاصرار على الهوى اعتصاما بالحق وصلابة فيه وقلة اكترات بالمبطلين ، فينبغي للمخلص في اعتقاد نفسه ان يمتحن نفسه ويناقشها الحساب فيما يعاب به وينتقد منه، وهذا أمر عسير غير يسير، اذ يقل في الناس من يبلغ من يحب ما ينتقده

هو أو غيره عليه ويطلعه على عيوب نفسه ، كما يقل فيهم من يسلم من غيبة صديقه .
واكثر ما يبلغ الناس من الانتقاد عليهم او انتقاصهم، ما ينقل اليهم عن خصومهم واعدائهم، وقل من ينظر في مثل هذا نظر الروية والانصاف فيستفيد منه ، وانما يستحوذ على الاكثرين عند سماعه ثوران الغضب وخواطر الدفاع أو الانتقام . واحمد الله تعالى أن وفقني في ريعان الشباب واوائل العهد بالرشد الى حمل اصدقائي على ارشادي الى عيوبي ومكاشفتي بما يرونه أو يسمعونه من الانتقاد علي ، ولا ازال أسأل عن ذلك من أتوسم فيه النصح وان كان اصغر مني سنا واقل تجربة ومعرفة، وأني لاحوج الى نصيحة واحدة استعين بها على اصلاح نفسي ، من سبعين مسألة استعين بها على إصلاح غيري . وقد توجد هذه النصيحة عند عامي يزيد ما عندي من العلم والاختبار على ما عنده منهما سبعين ضعفا ، فيكون أعلم مني بما أنا احوج اليه مما أفضله به

واما ما اكتبه فانني أطالب الناس بالانتقاد على ما يرونه منه خطأ أو باطلا ، أطالبهم بذلك كتابة بما انشره في المنار كل عام ،وكل ما يكتب الي من ذلك أنشره في المنار على حسب الوعد الذي أعد به عند طلب الانتقاد، فان تعمدت اغفال شيء — وذلك نادر جدا — فانما أغفله لتكريم غيري، لا لإخفاء عيبي ، ولا اذكر من ذلك الآن الا رسالة ارسلها الي صديق مخلص من اشهر علماء الاقطار هفا فيها هفوات تزري بقدره لو نشرت ونقدت وان تلطف الناقد جهد الطاقة ، و بالغ في الادب حتى بلغ حد الاستطاعة ، فرأيت من الوفاء له ان اراجعه فيها ، واستأذنه بنشرها بعد التنبيه لما فيها، فلم يأذن . من أجل هذا أعتقد كما يعتقد جمهور قراء المنار أن آية الاخلاص في انتقاد ما ينشر فيه ان يكتب و يرسل اليه، لا أن يقال أو ينشر في غيره من الصحف، فان نشر النقد في المنار نفسه هو الوسيلة لتمحيص الحقيقة عند من اطلعوا على الكلام المنتقد فيه ، وانما فائدة الانتقاد عند المخلص فيه بيان الحق والصواب لمن ينتقد عليه باطله اوخطأه ، ولمن اطلع على ذلك وخشي ان قد يكون قد ضل به وهم قراء كلامه، وأما انتقاد ذلك في بعض البيوت او الاندية او الصحف التي لا يطلع اكثر قرائها على ما يدعي المنتقد انه باطل وضلال فهو إذاعة للباطل ضارة لا يحمل عليها الا هوى النفس ، وذلك من شأن المرائين المفسدين ، لا من شأن الصادقين المصلحين ،

وقد ذكرني ماقاله الشيخ محمد نصيف في مسألة الاحرام والسبب الحامل له على هذا القول ما انبأني به اخي في الله عز وجل العلامة الشيخ محمد مكي بن عزوز التونسي في الاستانة سنة ١٣٢٨ قال رحمه الله تعالى ماحاصله : كتب الي أحد اخواني من علماء تونس بعد العلم بتلاقينا هنا : اننا نعرف قيمة السيد محمد رشيد رضا العلمية ومقاصده الاصلاحية من مناره ... ولكننا نرى بعض الذين يلهجون بطلب الاصلاح حتى الديني منه لاتنطبق أعمالهم على اقوالهم فهم لايؤدون فرائض الدين ولا يقيمون أركانه فضلا عما دونها من آدابه واحكامه ، فكيف رأيت صاحب المنار، بعد المعاشرة والاختبار؟ قال فكتبت اليه بعض مارأيت ومنه ان زيارته الاولى لي في داري كانت بعد العصر فصلى صلاة العصر عندي وكنت قد صليتها قبل قدومه منفردا فأعدتها مقتديا به ، فلم أر صلاة أكمل انطباقا على السنة من صـلاته . وزرته مرة مع بعض الاخوان فقدم لنا الشاي ولم يشرب معنا لانه كان صائما . الخ

أليس من آية ضعف الدين ، وابتـلاء الصادقين بالمنافقين ، وغمة الامر على المؤمنين ، ما دار من المكاتبة بين العالمين التونسيين في الصلاة والصيام، ومن الحديث بيني وبين محمد نصيف في مسألة لباس الاحرام ؟ بلى وانني تذكرت في هذه اللحظة مسألة اخرى من هذا القبيل اذكرها اتماما للعبرة

دخلت مرة على الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد في نهار رمضان فرأيت عنده ابراهيم بك المويلحي جالسا يدخن بلفيفة من التبغ (سيكارة) فذكر المنار ومنع الحكومة الحميدية إياه من دخول البلاد العثمانية فجعل المويلحي يرميها بالجهل ويقسم ان المنار خير لها من فيلق من العسكر لما فيه من خدمة الدين الذي لاتنهض الامة بدونه، وأطنب في مدح الدين وتأثيره في الاصلاح وعدم الرجاء في نهضة المسلمين بدون مايدعو اليه المنار من الاصلاح الديني .علم بهذه الواقعة ابراهيم بك الهلباوي فاشار اليها في مقالة ارسلها الى المؤيد من أوربة يذكر فيها بعض عبر السفر، مستطردا الى العبرة بها على سبيل التشبيه والمثل، قال في وصف رجل — على ما أذكر — : كذلك الرجل الذي كان يكلم صاحب المنار في مدح الدين... في شهر رمضان ولفيفة التبغ بيده يدخن بها. — اوما هذا مؤداه — ففهم بعض الناس من عبارته ان الذي كان يدخن هو صاحب المنار المخاطب لا المتكلم

الذي يخاطبه، وان كان المتبادر من العبارة العكس وهو الذي يجري عليه الكتاب عادة في مثل هذه المسألة ، اعني أنهم لا يصرحون باسم من ينتقدونه في مقام الاعتبار، فاذا صرح احدهم باسم المنتقد عليه أو بوصفه بما يعرف به لهوى له وقصد الى ذمه، لا تواتيه الجرائد المعتبرة (كالمؤيد) ولا تنشر ذلك له، فلو ان صاحب المؤيد فهم من العبارة ما فهمه بعض الناس او خطر في باله انه قد يفهم منها ذلك لتصرف فيها بما يحول دون هذا الفهم

بلغني و بلغ صاحب المؤيد رحمه الله ذلك في وقته فلم نحفل به ، وقال هو ان هذا الفهم لا يخطر الا ببال بعض العوام ، وهو لا يؤثر أدنى تأثير في سمعة صاحب المنار حتى عند من لا يعرف مكانته من هداية الدين، واذا كتب شيء لإيضاح الحقيقة ربما كان سببا للقيل والقال. ثم علمنا ان هذا الفهم قد سبق الى اذهان بعض الناس في نائي الاقطار، جاءتني يوما برقية من بمباي الثغر الهندي المشهور من محمد باشاعبد الوهاب شيخ دارين أحد ثغور نجد الجنوبية يقول فيه انه مسافر الى السويس في باخرة كذا بقصد الحج، فلما كان موعد وصول الباخرة رأيت من المروءة أن أذهب الى السويس للقائه وان لم أكن أعرفه أو أعرف عنه شيئا من قبل، فوافيته فيها وكان معه جمهور من العرب ومسلمي الهند جاء بهم ليحجوا على نفقته. فقدم لنا لفائف التبغ (السكاير) على حسب العادة فاعتذرت، فعرضوا عليّ النارجيلة (الشيشة) فاعتذرت أيضا. فسألني الباشا عن السبب فقلت انني أكره هذا الدخان وقد حفظني الله تعالى من اعتياد التدخين في الصغر، فلا أتكلفه بعد العلم بضرره في الكبر، فقال اذاً أنت لم تدخن في حياتك قط، قلت الامر كما ذكرت ، فالتفت الى أصحابه وذكرهم بما دار من الخلاف في عبارة الهلباوي وكيف ظهر ان الصواب ما قاله من نزه صاحب المنار عن ان يكون هو المفطر في رمضان . على ان المسألة مسألة مجاهرة بالفطر ، وهي أفحش من الفطر في السر ، لما فيها من سوء القدوة ، وانتهاك الحرمة ،

بعد هذا الاستطراد الطويل أقول ان بعض شباننا الذين أفسدت المدارس التركية أو الافرنجية عقائدهم ، وشوهت حرية الكفر والفسق أخلاقهم وآدابهم ، ولم يكن لديهم من التجربة والخبر، ولا من حكم العقل وصحة الفكر ، ما يفرقون به بين الحجاز و بين الاستانة ومصر ، لم يقفوا عند حد ترك الاحرام ، قبل دخول

البلد الحرام ، وترك الطواف والصلاة والصيام ، بل تجرأ احدهم على التصريح بالاعتراض على القرآن. وتجرأ آخر على الطعن في بعض الخلفاء الراشدين، بل على ما هو أكبر من ذلك من الضلال المبين ،

من اجل هذا صار بعض الحجازيين يسيء الظن بجميع افراد هذه النابتة الجديدة و بعضهم يجعل سيرة هؤلاء الغاوين، حجة حتى على من ظهرت عدالتهم من الوافدين، أما طبيعة الحرم بل طبيعة جزيرة العرب، فلا تطيق الصبر الطويل على إلحاد الملحدين، ولا على توسيد الاعمال الى الفساق المجاهرين، وأما ماعدا الجزيرة من البلاد العربية فستحذو نابتتها حذو النابتة التركية ، وان فيها من يود تقليد جمعية الاتحاد ، في السياسة والعصبية والالحاد، ولكن آمالهم أدنى من آمالهم ، ومآلهم شر من مآلهم ، فانهم لا يرجون ان يكون لهم دولة كالدولة العثمانية يغلبون على أمرها، و يعتزون بقوة مالها وقوة جندها، وسيظهر حالهم ومقصدهم ، وما يكون من تأثيره في بلادهم وأمتهم.

تقريظ المطبوعات الجديدة

كتاب الحرب الاوربية — أو فلسفتها —

لا أعرف أحدا من العامة ولا من الخاصة يصدق جميع ما ينشر في الجرائد من أخبار الحرب والسياسة ولا أكثره ، وانما يصدق اناس ما يوافق عقولهم ، وآخرون ما يوافق أهواءهم . وأهل البصيرة يعلمون ان أصحاب الجرائد في بلادنا لا يعرفون جميع الحقائق التي يعرفها أصحاب الجرائد في أوربة ، وانه لا يباح لهؤلاء ولا لأولئك ان ينشروا كل ما عرفوا ، فان ما ينشر في الجرائد في هذه الحال يراد به عند جميع الامم ما يترتب عليه من التأثير، لا تمحيص الحقائق ولا تدوين التاريخ ، وانما يرجى ان تدون الحقائق بعد الحرب بسنين ، بأقلام أركان الحرب وأحرار المؤرخين . وأجدر الناس باظهار الحقائق في كل زمن هم الحكماء ورجال الاصلاح الاجتماعي والتحقيق التاريخي، واذا قلت ان (غوستاف لوبون) هو أشهر حكماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ في هذا العصر لا أكون مبالغا، فانه قد اشتهر في الشرق كما اشتهر في الغرب بما تُرجم من كتبه الاجتماعية باللغات الشرقية ككتاب تطور الامم وكتاب

روح الاجتماع ، وبما كتبه في تاريخ أعظم أمم الشرق ، ككتاب حضارة العرب وكتاب حضارة الهند . وقد كتب كتابا في فلسفة هذه الحرب بين فيه مناشئها النفسية، وأسبابها الخفية والجلية، وكيفية تولدها ونمائها وسيرها في كل أمة من الامم المتقاتلة، وكونها معلولة لعلل خفية ما كان في استطاعة أحد أن يحول دون ترتبها عليها، ولم تكن بارادة دولة من الدول ولا ملك من الملوك، خلافا للكثيرين الذين غلطوا في ذلك . ومن مباحث الكتاب بيان انقلاب الطرق الحربية والعواطف التي توقظ داعية الحرب ، وتأثير الاغلاط النفسية والحربية فيها ، وايقاظها للشعور الديني ، والطرق الحربية الالمانية وتأثيرها ، ونتائج الحرب المجهولة وعقبات الصلح ، وغير ذلك من الفوائد ، مستنبطا مسائله وقواعده من الوثائق الرسمية ، وأجدر الاخبار بالثقة

مثل هذا الفيلسوف الكبير يكتب ما يعتقد ، وقد بدأ التمهيد الذي جعله مقدمة للكتاب بقوله : « ليس غرضي من هذا الكتاب درس حوادث الحرب الاوربية وإنما الذي أرمي اليه استقصاء الظواهر النفسية التي أدت اليها والتي رافقتها منذ نشأتها . فان تدوين وقائعها بانصاف واخلاص ليس بميسور لنا اليوم . وان الاهواء لا تزال متسلطة على نفوسنا ، ولا يتسنى للاجيال التي تخلق التاريخ أن تدونه . ولا بد من فترة تمر بعد انتهاء المآسي البشرية حتى يتمكن الانسان من اكتشاف سرها وادراك حقيقتها ، فان التاريخ لا ينصف الا الموتى »

ومن أراد أن يستفيد من هذه الحرب علما وفلسفة وعبرة وبصيرة فعليه بهذا الكتاب وهو قد ترجم بالعربية وطبع في مطبعة الهلال

﴿ كتاب ثورة العرب — مقدماتها وأسبابها ونتائجها ﴾

ألف هذا الكتاب عضو من أعضاء بعض الجمعيات العربية ، هو سوري أقام في الآستانة عدة سنين وفي مصر عدة سنين لا عمل له الا الاشتغال بالسياسة ، والاقطاب التي تدور عليها مباحث الكتاب تنحصر فيما يأتي :

الحرب الاوربية والشرق. المسألة الشرقية وفروعها . المسألة العربية وأدوارها . العرب والترك في الماضي . العرب والاتحاديون . تأليف الجمعيات العربية وأسبابه . المؤتمر العربي الاول ونتائجه . نيات الاتحاديين ومعداتهم ؛ الاتحاديون والاسلام

والعرب ، تفاقم الخطب ، انفجار البركان . المبايعة بالملك على العرب . مستقبل العرب.

ما من مسألة من مسائل هذا الكتاب الا ولدينا علم تفصيلي فيها. وقد قرأت نبذا متفرقة منه لاقف على منهاج مؤلفه فيه ، فظهر لي مما قرأت ومما أعلم من أخلاق المؤلف وآدابه أنه اجتهد وتحرى الحق فيما كتبه بحسب ما وصل اليه علمه وفهمه مما رأى وروى ، ومما سمع وقرأ . ومما بينه في كتابه أن أذكياء العرب قد ألجأتهم سيرة الاتحاديين وسيرهم بالدولة والاحداث التي حدثت في عهد دستورهم الى تأليف الجمعيات والاحزاب للمحافظة على مقومات أمتهم وترقيتها في عهد الدستور في ظل الدولة العثمانية مع الاخلاص لها والحرص على دوام الارتباط بها. وقد صدق .

نقلنا في هذا الجزء فصلا من فصول الكتاب وربما ننقل عنه غيره ، وقد بلغت صفحاته ٢٤٦ صفحة من قطع المنار وثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

﴿ المذابح في ارمينية ﴾

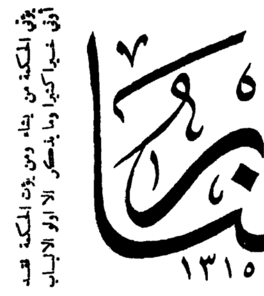
كتيب للشيخ فائز الغصين بين فيه ما رآه بعينيه وسمعه بأذنيه من رجال الحكومة الاتحادية الطورانية وضباطها من حوادث واخبار الفتك بالارمن . والكاتب من أبناء رؤساء عشائر العرب في حوران تخرج في مكتب الدولة الملكي بالاستانة وانتظم في سلك حكومتها الادارية، وقد كان حظه من تنكيل حكومته بأمثاله من نجباء العرب النفي الى أرضروم ، ولكنه سجن في ديار بكر بضعة اشهر وهي قطب الرحى لتلك الاحداث وفيها وفي طريقها رأى وروى مادونه في كتيبه من الفظائع التي تقشعر منها الجلود ، ثم تيسر له الفرار الى البصرة ثم الى الحجاز فمصر وغرضه من الكتاب تبرئة الاسلام والمسلمين من قتل احد بغير حق ولا سيما النساء والاطفال و بيان ان تبعة مذابح الارمن في أعناق الحكومة الاتحادية دون سواها.

﴿ الكنز المفقود ﴾

قصة خيالية كتبت ببعض اللغات الافرنجية وترجمتها بالعربية الكاتبة المشهورة (ماري نجار) وغاية مؤلفها منها بيان شأن المرأة المهذبة وان جمال المرأة وذكاءها وثروتها لا تغني عنها شيئا اذا لم تكن مقرونة بالتهذيب. ولذلك قدمتها المترجمة الى الصحف العربية التي يعنى أصحابها «برفع شأن المرأة ومساواتها بالرجل وتشجيعها على رفع صوتها والسماح لها بنشر أفكارها على صفحاتها» وصفحات القصة ٢٣٥ من القطع الصغير وثمن النسخة منها ٥ قروش.



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٥ — ٥ الحمل (را) ١٢٩٥هـ ش ١٨ ابريل ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ استدارة الزمان والنسيئة في الحج ﴾

(س ٢١) من أحد قراء المنار من كبراء مكة المكرمة

الذي أحيط به علم حضرة الفاضل الاستاذ اني أستفسر عما رسخ بفكري عند تلاوة قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قال صلى الله عليه وسلم « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » قال أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري : المراد بالزمان النسبة وقوله كهيئته أي استدار استدارة مثل حالته ... ولفظ الزمان يطلق على قليل الوقت

وكثيره والمراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوي الليل والنهار » فلا يخفى ان مفهوم منطوق الحديث الشريف استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض مع ما تضمنه شرح ابن حجر بقوله المراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوي الليل والنهار ان وقت الوقوف بعرفة لا يكون الا في ذلك اليوم الذي تحل فيه الشمس برج الحمل لا يتقدم ولا يتأخر واذا تقدم أو تأخر دخلت النسيئة معنى اذ لا غرو ان وقت الوقوف من بعد ذلك اليوم لم يقع في ذلك الوقت لانه لا أقل من تأخر الوقوف كل عام عشرة أيام بحسب الفصول على حساب الاشهر الهلالية. فان قلتم هذا امر مقرر مشى عليه الصحابة والتابعون من بعده صلى الله عليه وسلم وهلم جرا الى الآن وعليه جاء في تفسير قوله تعالى (يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج) ان المعتبر في الحج الاشهر الهلالية . قلنا حينئذ يترتب على هذا أنه لا فائدة لما افهمه منطوق الحديث الشريف وهو لا ينطق عن الهوى، ولا معنى لما شرحه ابن حجر في قوله في ذلك اليوم الذي حلت فيه الشمس برج الحمل. وهذا اذا كان السؤال في الآية الشريفة عن الهلال فقط وأما اذا جرينا على ان السؤال كان عن جميع الاهلة حيث دخلت الشمس في هذا الجمع فحينئذ السؤال قد توجه بلا اشتباه، حيث ان ما ذكر من مفهوم الآية والحديث المتقدم ذكرهما يؤيد أن المراد بقوله والحج أن ميقات الحج الشمس حينما تحل في برج الحمل افتونا مأجورين أمين

(ج) ليس في منطوق الحديث الشريف ولا مفهومه أن استدارة الزمان هي وقوع تاسع ذي الحجة في أول يوم من برج الحمل ، ولا ذلك مطابق للواقع . وانما أخذه الحافظ من قول بعض العلماء لا من حديث آخر فقد قال في شرح الحديث من كتاب بدء الخلق من الفتح : وزعم يوسف ابن عبد الملك في كتابه تفضيل الازمنة ان هذه المقالة صدرت من النبي (ص) في شهر مارس وهو آذار وهو برمهات بالقبطية وفيه يستوي الليل والنهار عند حلول الشمس في برج الحمل . اه ومنه يعلم انه ذكر هذا لبيان الواقع ، ولا أدري من ابن اخذ الحافظ ان تاسع ذي الحجة وافق

في تلك السنة دخول الشمس في برج الحمل فهو لم ينقل عن يوسف بن عبد الملك ذلك. والواقع ان أول ذي الحجة من تلك السنة وهي العاشرة كان يوم الخميس كما ثبت في كتب الحديث وهو يوافق ٢٧ فبراير وثاني برمهات ، وفي بعض كتب التقويم ان أوله الجمعة ٢٨ فبراير ٣ برمهات وعلى كل من الحسابين يكون دخول الشمس في برج الحمل بعد اليوم التاسع ، وهب انه كان فيه فما ذكرتم له الا بيان للواقع. وكل من موافقة وقوع الوقوف في أول يوم من برج الحمل وموافقة عام حجة الوداع لاول عام انتظم فيه حساب السنين في اثر تكوين السموات والارض بهذه الحالة لادخل له في فريضة الحج. على أننا ان سلمنا أن هذا المفهوم المدعى في السؤال هو مفهوم الحديث نقول أنه مفهوم مخالفة اشترط من يحتجون به ان لا يعارضه ماهو أقوى منه من منطوق أو مفهوم موافقة ، وهنا المفهوم يعارضه الكتاب والسنة اذ لو جعل الحج في فصل الربيع تابعا للحساب الشمسي لخرج من الاشهر الحرم المعلومات عند العرب بالتواتر من عهد ابراهيم واسماعيل اللذين فرض الله الحج على ألسنتهما وهو قوله تعالى (الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج) الخ وهن الاشهر المتواليات في حديث الاستدارة. وكانت حكمة جعل الحج في الاشهر الحرم ان يأمن الحجاج على انفسهم في ذهابهم الى مكة وايابهم منها الى أوطانهم فلا يغير عليهم احد من الاعراب كعادتهم .

واما فائدة الحديث فهي تقرير إبطال النسيء ولوازمه . قال تعالى بعد الآية المذكورة في أول السؤال (٩ : ٣٧ انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله) وهو ماجروا عليه من تأخير بعض الاشهر الحرم الى غيره أي استحلال الشهر الحرام نفسه وتحريم شهر آخر بدلا منه لما كانوا يرون من الحاجة الى الاغارة في الشهر الحرام. مثال ذلك انهم كانوا يؤخرون تحريم القتال في المحرم الذي يعودون فيه من الحج الى صفر ويعلنون ذلك في (منى) قبل انصرافهم من الحج ، واذا احتاجوا اخروا صفر الى ربيع وهلم جرًّا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها . وروي ان القلمس بن امية بن عوف نسأ لهم الشهور اربعين سنة، فترتب على ذلك أنهم أحلوا جميع ماحرم الله واخروا

الحج عن وقته الذي شرعه الله فيه حتى ان السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بأمر النبي (ص) كان الوقوف فيها في شهر ذي القعدة كما قال مجاهد، وتلتها حجة الوداع فكان فيها الوقوف في ذي الحجة وهو الشهر الذي فرض الله الوقوف فيه. فكانت استدارة الزمان أن رجع حساب الحج الى أصله وحرم النسيء البتة فزال السبب الذي كان يتأخر فيه الحج من الاشهر المعلومات التي فرضه الله فيها. وافاد الحديث أن هذا الحساب حقيقي صحيح في نفسه ليس فيه من خطأ النسيء شيء. وقد قرأت بعد كتابة ماذكر ما كتبه الحافظ على الحديث في تفسير سورة براءة فاذا به قد نقل هذا المعنى عن الخطابي

وأما ماذكرتم من الفرق بين الهلال والاهلة فلا نعلم له مأخذا من اللغة ولا أصلا من الرواية فالاهلة جمع هلال وهو اسم للقمر عند مايبدو في أول ليلة من الشهر الى ثلاث ليال وقيل الى سبع وفي الليلتين الاخيرتين أو الثلاث الاخيرة منه. فاذا كان هذا اللفظ لا يطلق مفردا على الشمس فكيف تدخل الشمس في مفهوم جمعه؟

﴿ تصحيح في تفسير هذا الجزء من المنار ﴾

بعد ان طبع تفسير هذا الجزء وأردنا طبعه على حدته أعدنا النظر فيه فرأينا فيه ما يحتاج الى التصحيح والتنقيح . ومما صححناه فيه ما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٨٧	٢٤	القياس الجلي	القياس
«	٢٥	أو السنة هو	أو السنة وما قطع فيه بنفي الفارق هو
«	«	الصحيح	الصحيح الذي لا وجه للخلاف فيه
٥٩١	١	والله أعلم بالظالمين[١]	أليس الله بأعلم بالشاكرين
٥٩٦	١٠	عاقبتهم عنه	عاقبتهم عنده
٥٩٧	١١	من طردهم	عن طرد

(١) سبب هذا الخطأ انه نقل عن كتاب الدر المنثور المطبوع بلا تأمل

ذكرى المولد النبوي

٣

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ دَارِهِ إِلى دَارِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ خَرَجَا مُتَرَدِّدَيْنِ مِنْ خَوْخَةٍ[١] فِيهَا وَاسْتَخْفَيَا فِي الْغَارِ الْمَعْرُوفِ بِغَارِ ثَوْرٍ[٢] ، وَكَانَا قَدِ اسْتَأْجَرَا دَلِيلاً مَاهِرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيَرْحَلَ بِهِمَا، وَأَعْطَيَاهُ رَاحِلَتَيْهِمَا وَأَمَّنَاهُ عَلَى سِرِّهِمَا[٣] وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَكَتَمَ أَمْرَهُمَا وَوَافَاهُمَا فِي الْمِيعَادِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِخُرُوجِهِمَا، خَرَجَتْ بِالْقَافَةِ فِي طَلَبِهِمَا.[٤] حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ، صَرَفَ اللهُ عَنْهُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا ؟ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا » وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ جَاءَ الدَّلِيلُ فَرَحَلَ بِهِمَا، وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَاهُ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَهَاجَرَ مَعَهُمَا، وَكَانَتْ نَارُ الطَّلَبِ قَدْ خَمَدَتْ عَنْهُمَا، وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ

*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٤٧٣

(١) الخوخة الكوة النافذة والباب الصغير في الباب الكبير

(٢) ثور اسم جبل معروف من جبال مكة والغار لا يزال فيه الى اليوم

(٣) فيه من العبرة ما كان عند العرب من الامانة والصدق والوفاء

(٤) القافة جمع قائف وهو الذي يعرف الآثار فاذا رأى أثر الاقدام أو الاخفاف أو الحوافر فى الارض استدل بها على عددها ووجهة سيرها

لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِمَا دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنْ حِفْظِ اللهِ وَإِكْرَامِهِ لَهُمَا ،

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ خُرُوجُهُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، كَانُوا يَخْرُجُونَ صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ يَنْتَظِرُونَهُ فِي الْحَرَّةِ ، (١) وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى الدِّيَارِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَغْلِبَهُمُ الشَّمْسُ عَلَى الظِّلَالِ (٢) حَتَّى وَافَاهُمْ بِقُبَاءَ (٣) يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ثَامِنَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فَتَلَقَّوْهُ بِالْإِكْرَامِ، وَأَقَامَ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ نُزُولُهُ فِي بَنِي عَمْرِو ابْنِ عَوْفٍ ، وَبَنَى فِيهَا مَسْجِدَهَا الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ. يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ دُخُولِ الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الْمِيزَانِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْاِعْتِدَالِ الْخَرِيفِيِّ فِي الزَّمَانِ ، فَكَانَ ذَلِكَ رَمْزًا لِمَا فِي شَرِيعَتِهِ مِنَ الْاِعْتِدَالِ ، وَكَوْنِهَا آخِرَ الشَّرَائِعِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا الدِّينُ غَايَةَ التَّمَامِ وَالْكَمَالِ ، وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَجَمَّعَ بِهِمْ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِ ، ثُمَّ رَكِبَ فَأَخَذُوا بِخِطَامِ نَاقَتِهِ : هَلُمَّ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَنَعَةِ وَالسِّلَاحِ (٤) ، فَقَالَ « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » ، وَكُلَّمَا مَرَّتْ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي النُّزُولِ

(١) الحرة موضع بظاهر المدينة من جهة مكة فيه حجارة سود

(٢) أي عند ما يقرب وقت الظهر ويتقلص ظلال الجدر حتى كأن الشمس تغالب المستظل بها عليها (٣) موضع بظاهر المدينة فيه قرية واصله اسم لبئر كانت هنالك فهو مؤنث ممنوع من الصرف ويصرف بمعنى الموضع ، ويقصر أيضا

(٤) الخطام الحبل الذي يوضع في مخطم الراحلة أي أنفها لتقاد به و : هلم الخ حكاية لقولهم أي قائلين هلم أي أقبل وتعال الى قوتي الكثرة والاستعداد

عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» وَمَا زَالَتْ تَمُرُّ بِدَارٍ بَعْدَ دَارٍ، إِلَى أَنْ بَرَكَتْ فِي مَوْضِعِ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ مِنْ دُورِ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ،[1] فَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي بَيْتِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ»؛ وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى بَنَى حُجْرَتَهُ وَمَسْجِدَهُ، وَاسْتَحْضَرَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ،[2] وَلَمْ يَفْرَحِ الْأَنْصَارُ بِشَيْءٍ كَفَرَحِهِمْ بِقُدُومِهِ ﷺ، وَمِثْلُهُ عَوْدَتُهُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ[3] وَأَيُّ شَرَفٍ وَفَخْرٍ وَسَعَادَةٍ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي افْتَخَرَ بِهَا شَاعِرُهُمْ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً	يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِيًا[4]
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ	فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيًا[5]

(١) هم قبيلة من الانصار وهم أخواله (ص) من جهة جده عبد المطلب فان أمه سلمى بنت عمرو منهم (٢) أرسل (ص) زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم فاحضرا فاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجه التي تزوجها بعد خديجة وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن. وأما بنته زينب فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج. وقد خرج مع هؤلاء عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان (٣) هو فتح مكة

(٤) ثوى أقام والحجة بالكسر السنة والبضع ما بين ٣ الى ٩ أي أقام ثلاث عشرة سنة بمكة يذكر ويعظ بالدعوة الى الله في أثنائها وانما دعا في عشر منها (٥) المواسم مجامع الحج. فلم ير من يؤويه أي يجعل له مأوى أي منزلا يامن فيه على نفسه ولم ير داعيا الى ذلك أو الى الله بمساعدته ونصره

فَلَمَّا أَتَانَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةَ رَاضِيَا(١)

وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظَلَامَةَ ظَالِمٍ بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاغِيَا(٢)

بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلِّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى وَالتَّآسِيَا(٣)

نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ

جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا(٤)

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ كِتَابَ اللهِ أَصْبَحَ هَادِيَا(٥)

أخلاقه وسيرته بعد الهجرة مع المؤمنين

وحاله مع أهل الكتاب والمشركين

كَانَ صلى الله عليه وسلم أَكْرَمَ الْخَلْقِ أَخْلَاقًا، وَأَعْلَاهُمْ فَضَائِلَ وَآدَابًا، امْتَازَ بِذَلِكَ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْرَكُ كُنْهُهُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَقَدْ خَاطَبَهُ الْعَلِيُّ الْعَلِيمُ، بِقَوْلِهِ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، كَانَ جَامِعًا بَيْنَ اللُّطْفِ وَالتَّوَاضُعِ وَالدَّمَاثَةِ، وَبَيْنَ الْعِزَّةِ وَالْوَقَارِ وَالْمَهَابَةِ، مَنْ رَآه

(١) النوى وجهة المسافر التي ينوبها بسفره. وطيبة المدينة. ويروى البيت في سيرة ابن هشام هكذا : فلما أتانا أظهر الله دينه فاصبح مسرورا بطيبة راضيا

(٢) الباغي المعتدي ويروى البيت هكذا

فاصبح لايخشى من الناس واحدا قريباً ولا يخشى من الناس نائيا

(٣) الوغى الحرب والتآسي مثل التعازي ما يتسلى به المرء عن المكاره

(٤) أي نعادي الذي عاداه من جميع الناس وان كان من قبل حبيباً لنا لا نؤثر عليه أحدا

(٥) يروى هذا البيت بالفاظ أخرى في سيرة ابن هشام وفيها أبيات أخرى ايضا

بَدِيهَةً هَابَهُ ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ ،[١] وَجَامِعاً بَيْنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحَيَاء ، وَبَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْحَزْمِ وَالْمَضَاء ، فَكَانَ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى أَثْبَتَ النَّاس ، وَكَانُوا يَلوذونَ بِهِ إِذَا اشْتَدَّ الْبَاس[٢] ، حَتَّى إِنَّهُ ثَبَتَ وَحْدَهُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ بِيَدِهِ غَيْرَ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ[٣] ، وَإِنَّمَا كَانَ يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ دِفَاعاً ، وَيُرْشِدُ الْمُقَاتِلِينَ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّثْبِيتِ إِرْشَادًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ ، وَلاَ يُحَابِي فِي الْحَقِّ عَشِيرَتَهُ وَلاَ أَبْنَاءَ جِنْسِهِ ، وَكَانَ عَلَى حِلْمِهِ الْوَاسِعِ ، لاَ تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ ، وَالسُّحُبِ الْمُنْهَمِلَةِ ، وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ صَبْرًا ، وَأَحْسَنَهُمْ لِلهِ وَلِلنَّاسِ شُكْرًا ،[٤] وَكَانَ

(١) البديهة الفجاءة أي من رآه مفاجاة من غير سابق معرفة خافه او وقره واجله لما يتجلى في شمائله من الروعة والهيبة ، ومن خالطه اي عاشره مخالطة معرفة احبه لحسن خلقه وكمال آدابه وشدة رحمته وعنايته بامر معاشره . وهذا الكلام من وصف علي رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم (٢) البأس بالهمز ويخفف هنا للتناسب وهو الشدة والمكروه والمراد هنا الحرب ونحوها من المكاره الشديدة (٣) كان أبي من رءوس المشركين وصناديدهم وكان يعلف فرساً له بمكة اسمه العود ويقول اقتل عليه محمدا فبلغ النبي «ص» خبره فقال « بل انا اقتله ان شاء الله » فلما كان يوم احد ونكب المسلمون وانكشفوا عن النبي «ص» اقبل ابي مقنعاً بالحديد لايرى من بدنه شيء وجعل يقول اين هذا الذي يزعم انه نبي فليبرز لي فانه ان كان نبيا قتلني ، فلما دنا من النبي «ص» اخذ النبي حربة من الحارث بن الصمة فطعنه بها طعنة جاءت في ترقوته من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة التي على الراس فكر الخبيث منهزما ومات من ذلك الجرح في طريقهم الى مكة قيل بسرف وقيل برابغ (٤) قال «ص» «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» رواه احمد والترمذي عن ابي سعيد

يُحِبُّ الْيُسْرَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَكْرَهُ الْعُسْرَ وَيَنْهَى عَنْهُ [١]، يَأْكُلُ مِنَ الطعَامِ مَا وَجَد، لا يَأْبَى الْمُسْتَلَذَّ مِنْهُ نُسُكًا. وَلا يَتَحَرَّاهُ تَنَعُّمًا وَتَرَفًا، وَلٰكِنَّهُ كانَ يَعْتَنِي بِامْرِ الْمَاءِ [٢]، وَيُحِبُّ الطِّيبَ وَالنِّسَاء، وَكَانَ يُكْثِرُ الْوَصِيَّةَ بِهِنَّ وَبِالْيَتَامَى وَالأَرِقَّاء، لِيَمْحُوَ مِنْ أَنْفُسِ النَّاس احْتِقَارَ الضُّعَفَاء،

كانَ ﷺ يُرَبِّي الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآن، وَبِمَا آتاه اللهُ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْعِرْفَان، فآخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَتَقَاسَمُونَ الْمَالَ وَالعقَار، وَأَلَّفَ اللهُ بِهِ بَيْنَ قُلوبِ الأَوْسِ وَالْخَزْرَج فاصْبَحُوا بِنِعْمَتِهِ تَعَالَى إِخْوَانًا، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْدَاءً لا يَأْلُو أَحَدُهُمَا الآخَرَ بَغْيًا وَعُدْوَانًا، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي الأَمْر، وَيُسَاوِي بَيْنَهُم فِي الإِقْبَالِ وَالْبِشر، وَيُوَقِّرُ كَبِيرَهُمْ وَيَرْحَمُ صَغِيرَهُمْ، وَيُكَرِّمُ فَقِيرَهُمْ، وَيَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيُشَيِّعُ مَيِّتَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ، وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَيَكُونُ مَعَهُمْ كَأَحَدِهِمْ

فَأَمَّا الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كانُوا فِي تِلْكَ الرِّحَاب، فَقَدْ وَادَعَهُمْ وَأَقَرَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَمَّنَهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، عَلَى أَنْ لا يُحَارِبُوه، وَلاَ يُظَاهِرُوا وَلا يوالوا [٣] عَدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ لَهُمْ

(١) من وصاياه « يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا » رواه البخاري ومسلم وغيرهما (٢) كان احب الشراب اليه الحلو البارد كما في حديث عائشة في الشمائل وكان يستعذب له الماء من بيوت السقيا كما روى ابو داود والسقيا بالضم عين على بعد يوم من المدينة او اكثر (٣) أي لا يعاونوا ولا يناصروا

النَّصْرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيُنْفِقُونَ مَعَهُمْ مَادَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينَهُمْ ، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ مَا لَبِثُوا أَنْ نَقَضُوا عَهْدَهُ ، وَظَاهَرُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ ،

وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَاشْتَدَّتْ عَدَاوَتُهُمْ لَهُ ، وَكَانُوا حَرْبًا لَهُ وَلِمَنْ آمَنَ بِهِ ، فَلَمْ يَشْتَفُوا بِإِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَمَا كَانَ مِنْ تَعْذِيبِهِمْ لِمَوَالِيهِمْ وَضُعَفَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ ، لِأَجْلِ إِرْجَاعِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ، إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الاصنام، حَتَّى صَارَحُوهُمُ الْبَغْيَ وَالعُدْوَان ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِ أَمَانٌ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَكَان ، إِلَّا أَنْ يَمْنَعَهُ أَحَدُ الأَقْوَام ، أَوْ يَصُدَّهُمْ عَنْهُ الشَّهْرُ الْحَرَامُ أَوِ الْمَسْجِدُ الْحَرَام ؛ عَلَى أَنَّ قُرَيْشًا صَدَّتْهُمْ عَنِ الْبَيْت، بَعْدَ أَنْ قَلَّدُوا الْهَدْيَ وَأَحْرَمُوا بِالْعُمْرَةِ سَنَةَ ست[1] ، حَتَّى صَالَحَهُمْ ﷺ فِي الْحُدَيْبِيَةِ[2] ، — وَالْإِسْلَامُ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَعَةِ وَالْقُوَّة[3] — ، عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِين ، يَأْمَن فِيهَا النَّاسُ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِين ، وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ العَام ، وَيُخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ ثَلَاثَةَ أَيَّام ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَلَو بِقَصدِ الْإِسْلَام ،

(١) الاحرام وتقليد الهدي أي ما يهدى الى الحرم من الانعام دليل على عدم ارادة القتال (٢) الحديبية بالتخفيف كدويهية ويشدده أكثر المحدثين بؤسمي باسمها الموضع الذي حولها (وقيل واد هناك) وهو على نحو مرحلة من مكة من أسفلها عن طريق جدة .وكان هناك قرية، قيل هي في الحل وقيل في الحرم وقيل بعضها في الحل و بعضها في الحرم وهو أبعده عن مكة

(٣) كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٠٠ رجل أو ١٥٠٠

وَلاَ يَرُدُّوا عليه مَن أَتاهم من أَصحابه الكِرام ، وكانَ ﷺ قد رأى في المنام ، أنهُ قد دخلَ المسجدَ الحرام ، فظنَّ المسلمونَ أنّ تأويلَ الرؤيا يكونُ في تلكَ السَّنة ، ولذلكَ اشتدَّ عليهمُ الاستياءُ منَ الصلحِ حتى خِيفتْ عليهمُ الفتنة ،[1] لولا أنَّ اللهَ تعالى أنزلَ عليهمُ السكينة ، وعجَّلَ لهم بعضَ ما وعدَهم ثمَّ منَ المغانمِ الكثيرة ،[2] وذلكَ برهانٌ على إيثاره ﷺ للسلام ، وما كانت حروبُه إلاّ دفاعاً وتأميناً لدعوةِ الإسلام ، وكانَ أكبرَ فوائدِ ذلكَ الصلحِ اختلاطُ المسلمينَ بالمشركين ، وإسماعُهم القرآنَ وتبليغُهم حقيقةَ الدين ، وإرسالُ الرسُلِ لتبليغ الملوكِ المجاورين ،[3] فصارَ الناسُ يدخلونَ فيه آمنينَ مفتتنين ، وأظهرَ الإسلامَ في هذه الهدنة ، مَن كانَ يخفيه بينَ المشركينَ خوفَ الفتنة ، وحسبُكَ أنهُ تعالى أنزلَ سورةَ الفتح ، في تعظيمِ شأنِ هذا الصلح ؛ مبيِّنةً ما فيه منَ الحكمِ والمصالح ، ومشتملةً على أخبارِ الغيبِ والوعدِ بالنصرِ والمغانم ، فسمَّاهُ فتحاً مبيناً ، وأعقبهُ كما وعدَ نصراً عزيزاً ، إذ كانَ تمهيداً لفتحِ

(١) لما صالح (ص) المشركين أمر المؤمنين بالتحلل من عمرتهم فلم يبادروا الى الامتثال لما عراهم من ذهول الحزن ، فدخل (ص) على أم سلمة وقال لها « هلك المسلمون » وذكر لها ما كان فأشارت عليه بأن يخرج ولا يكلم أحدا حتى ينحر هديه ويحلق رأسه ، فخرج ففعل ذلك فتبعوه فنحروا وصار يحلق بعضهم بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا من الغم

(٢) عجل لهم فتح خيبر فقد عاد (ص) من الحديبية في ذي الحجة فاقام في المدينة زهاء عشرين ليلة ثم خرج الى خيبر ففتحها في المحرم أول سنة سبع

(٣) ملوك جزيرة العرب والشام ومصر وفارس

مَكَّةَ ، الَّذِي أَتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ ، وَازْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ إِيمَانًا ، وَصار النَّاسُ يَدْخُلونَ فِي دِينِ اللهِ أَفوَاجًا ،

وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانٍ ، وَفِي سَنَةِ عَشرٍ حَجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ ، الَّتِي هَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ الإِسلَامِ ، وَعَلَّمَ الأُلوفَ أَحكَامَ الْمَنَاسِكِ [1] ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُبلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْهُمُ الْغَائِبَ ، وَأَشْهَدَ اللهَ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُ بَلَغَ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ وَبَيَّنَهُ تَبْيِينًا ، وَأَنْزَلَ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي مَسَاءِ عَرَفَةَ (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا)

وَكَانَ ﷺ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ بَدْءِ التَّبْلِيغِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَدْعُو إِلَى أُصُولِ الإِيمَانِ وَكُلِّيَّاتِ الدِّينِ ، وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ بِتَطْهِيرِهَا مِنْ أَدْرَانِ الرَّذَائِلِ ، وَتَحْلِيَتِهَا بِأَحَاسِنِ الأَخْلَاقِ وَعَقَائِلِ الْفَضَائِلِ ، وَاسْتِعْمَالِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى مِنْ بَدَنِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ ، وَسَمَاوِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ ، فِيمَا تَظْهَرُ بِهِ حِكَمُهُ وَتُشَاهَدُ آيَاتُهُ فِي الْخَلْقِ ، وَتَتَّسِعُ بِهَا الْعُلُومُ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْحَقُّ وَتَكْثُرُ مَوَارِدُ الرِّزْقِ ، صَابِرًا مَعَ السَّابِقِينَ مِنَ

(١) المناسك أحكام الحج، وقد اختلف في عدد من حج مع الرسول (ص) حجة الوداع من ٤٠ ألفا الى مئة وعشرين ألفا . وسبب هذا الاختلاف انه خرج من المدينة بجماهير المسلمين فيها وفيما حولها وكان الناس ينضمون اليهم في الطريق عدا من حج من سائر بلاد العرب

الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى الاضْطِهَادِ وَالأَذَى مِنَ الْمُشْرِكِين، ثُمَّ دَخَلَ الإِسْلامُ بِالْهِجْرَةِ فِي عَهْدِ الْحُرِّيَّةِ، وَتَكَوَّنَتْ لَهُ قُوَّةُ الْعَصَبِيَّةِ، وَجَاءَ الْوَحْيُ فِيهِ مُفَصِّلاً لِمَا أُجْمِلَ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ مِنَ الأَحْكَامِ، وَبَيَانَ الْحَلالِ وَالْحَرَام، وَبَيَّنَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ جَمِيعَ فُرُوعِ الْعِبَادَاتِ. وَكُلَّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ النُّصُوصِ وَالْقَوَاعِدِ لِلسِّيَاسَةِ وَفُرُوعِ الْمُعَامَلاتِ، فَبِذَلِكَ كُلِّهِ أَكْمَلَ اللَّهُ الدِّينَ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِين، وَقَدْ تَرَبَّى عَلَى ذَلِكَ الأُلُوفُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار، فَنَشَرُوا هَذَا الدِّينَ الْقَوِيمَ فِي الأَقْطَارِ وَالأَمْصَار، فَأَرَوْا أُمَمَ الْحَضَارَةِ وَالأَدْيَانِ الْقَدِيمَةِ، مِنَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسِّيرَةِ الْقَوِيمَةِ، مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ بِأَعْيُنِهِمْ، وَلا رَوَوْا نَظِيرَهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَقَدْ كَانَتْ مُدَّةُ التَّشْرِيعِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، كَمُدَّةِ التَّبْلِيغِ بَعْدَ الْبِعْثَةِ (١) فَبَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِثَلاثَةِ أَشْهُرٍ (٢) قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ نَبِيَّهُ الْمُصْطَفَى، وَرَسُولَهُ الْمُجْتَبَى، وَرَفَعَ رُوحَهُ الطَّاهِرَةَ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى، فَتُوُفِّيَ ﷺ تَارِكًا لِلأُمَّةِ مَا إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ لَنْ يَضِلُّوا مِنْ بَعْدِهِ، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتَهُ فِي تَبْيِينِهِ وَعِتْرَتَهُ الْعَامِلِينَ بِهِمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، (٣)

---

(١) أي عشر سنين (٢) توفي (ص) يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة احدى عشرة وكذلك كانت ولادته وبعثته وهجرته في يوم الاثنين . وفي ذلك اشارة الى ان الايمان به يلي الايمان بالله تعالى ، والشهادتان شاهدتان على ذلك (٣) روى مسلم في صحيحه من طرق عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله (ص) خطيبا بماء يدعى خمّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أما بعد الا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به — فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال — وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، =

وَكَذَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُون، (١) وَعُلَمَاءُ أَصْحَابِهِ العَامِلُون (٢)، مُؤَسِّسًا

= أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في اهل بيتي » وفسر زيد أهل بيته بمن حرم عليهم الصدقة قال وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام . ولعمري انهم كانوا أحفظ الناس لهديه حتى عند ظهور البدع وفتن الدنيا ولا يخلو عصر من طائفة منهم أو أفراد من الهداة المصلحين ، وان فتن الكثيرون منهم بغلاة المحبين ، فكانت فتنتهم لهم أعم وأدوم من فتنة الامراء الظالمين، اذ كان من أثرها في ذريتهم أن ترك اكثرهم العلم والاعمال النافعة استغناء عنهما بشرف النسب، غافلين عن قول جدهم علي المرتضى كرم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسنه . ولله در بيت الامامة في اليمن منهم فانهم لم يتركوا الاجتهاد في علوم الدين والمحافظة على الامامة الى اليوم. والثقل بالضم وبفتحتين الشيء النفيس المصون وكذا متاع المسافر وحشمه . قال النووي قال العلماء سميا ثقلين لعظمهما وكبير شانهما وقيل لثقل العمل بهما . وروى الترمذي من حديث جابر قال رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي — أحدهما أعظم من الاخر — كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » وروى احمد والطبراني من حديث زيد بن ثابت مرفوعا « اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وعلم عليه السيوطي بالصحة. وروي نحوه من حديث أبي سعيد وحذيفة بن اسيد ورواته كثيرون وطرقه متعددة ذكرنا أصحها. وروي حديث بمعناه عن أبي هريرة وفيه لفظ السنة بدل العترة ومعناه صحيح ولا معارضة بينه وبين الآخر الذي هو أصح منه رواية. ويؤيده حديث مرسل في الموطأ

(١) ورد في مناقب الخلفاء الاربعة أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها وورد لفظ الخلفاء الراشدين في حديث العرباض بن سارية عند أبي داود والترمذي « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » الخ

(٢) ورد في فضل أصحابه «ص» أحاديث كثيرة منها في صحيح مسلم انهم أمنة لأمته فاذا ذهبوا أتاهم ما يوعدون . ومعنى أمنة حفظة على الدين، ومنها الحديث الصحيح « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الخ رواه الشيخان وغيرهما . والقرن العصر طال أو قصر

لَهُمْ أُمَّةً عَظِيمَةً ، وَدَوْلَةً عَادِلَةً رَحِيمَةً ، وَحُكُومَةً شُورِيَّةً حَكِيمَةً ، قُيِّدَتْ فِيهَا سُلْطَةُ الْفَرْدِ ، بِالشَّرِيعَةِ الْعَادِلَةِ وَسَيْطَرَةِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ،(١) مُبَشِّرًا بِأَنَّ مُلْكَهَا سَيَعُمُّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ ، وَيَنْتَظِمُ مُلْكَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَنَّهُ يَظَلُّ عَزِيزًا مَا أَقَامُوا الْحَقَّ وَاعْتَصَمُوا بِالْعَدْلِ، فَإِذَا وَسَّدُوا الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، فَلْيَنْتَظِرُوا سَاعَتَهُمُ الْمَضْرُوبَةَ لِفَقْدِهِ ،(٢) وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرَةً عَلَى الْحَقِّ قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَيَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ (٣)

وَقَدْ تَمَّ كُلُّ مَا بَشَّرَ بِهِ وَأَنْذَرَ ، وَلَا تَزَالُ آيَاتُ نُبُوَّتِهِ تَتَجَدَّدُ وَتَتَكَرَّرُ ، فَجَزَاهُ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ قَوْمِهِ ، وَرَسُولًا عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ،(٤) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

---

(١) الاسلام هو الذي شرع للناس شكل الحكومة التي يسمونها الديمقراطية فاقامها الراشدون بالعمل ثم هدمت بالتدريج (٢) اشارة الى حديث أبي هريرة عند البخاري « اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة » (٣) اشارة الى ما ورد في الصحيحين والسنن من الاحاديث كحديث ثوبان «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » وحديث المغيرة « لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » واللفظان هنا لمسلم وليس في البخاري « على الناس » وفي أحاديث أخرى ذكر عصابة تقاتل على الدين أي على حفظه. وذكر النووي ان الطائفة لا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل يجوز اجتماعهم في قطر أو بلد ويجوز تفرقهم، وذكر ان منهم الفقيه والمحدث والمفسر والمقاتل والقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزاهد والعابد . اي لان اقامة الحق تكون بالعلم بالكتاب والسنة و بهما و بالعمل بهما و بالدفاع عنه بالحجة و بالقوة (٤) ذكر المباركة هنا مع الصلاة لموافقة الصلاة الابراهيمية المشروعة في الصلوات، والحمد لله على نعمه التي تتم بها الصالحات

علماء بغداد في القرن السادس

ومكانتهم في الوعظ والتذكير

قال الرحالة ابن جبير الاندلسي بعد ان وصف بغداد بأنها أمست بالنسبة الى ما كانت كالطلل الدارس وانتقد أخلاق أهلها ومعاملتهم وغرورهم ببلدهم ما نصه :

استغفر الله الا فقهاءهم المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لاجرم ان لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبيه والتبصير، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالموفق منهم لايزال في مجلس ذكرٍ أيامَه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة ، فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقيه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقديم في العلوم الاصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور ، فصعد المنبر وأخذ القراء امامه في القراءة على كراسي موضوعة ، فتوّقوا وشوّقوا وأتوا بتلاحين معجبة ، ونغمات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار، وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل، وايراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع منها، فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على

كل واحدة منها وينبذبها الى أن فرغ منها، وحان المساء فنزل وافترق الجمع.
فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقورا هينا لينا، ظهرت فيه البركة والسكينة، ولا سيما آخر مجلسه، فانه سرّت حميا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا، وفجرتها دموعا، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا، فكم ناصية جزّ، وكم مفصل من مفاصل التائبين طبّق بالموعظة وحز، فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة، وتتغمد الجناة، وتستدام العصمة والنجاة، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه، ويتغمد ببركة العلماء الاولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب سواه ولا معبود الا إياه

وشهدنا له مجلسا ثانيا أثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور، وحضر ذلك اليوم سيدُ العلماء الخراسانية، ورئيس الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بهزّ عظيم وتطريف آماق تشوقت له النفوس، فأخذ الامام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره ومتجملا به، فأتى بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر، ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخُجَنْديّ المتقدم الذكر فى هذا التقييد المشتهر المآثر والمكارم، المقدم بين الاكابر والاعاظم،

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبي الفضائل ابن علي الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو يجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفرا كل الصيد، آية الزمان،

وقرة عين الايمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدر

فأما نظمه فرضيُّ الطباع، مهياري الانطباع، وأما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطل المثل بقس وسحبان، ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، انه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقراءة وعددهم نيف على العشرين قارئا، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات، الى ان يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشتبهات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدداء أو يسميها نسقا، فاذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشان في ايراد خطبته عجلا مبتدرا، وأفرغ في أصداف الاسماع من ألفاظه دررا، وانتظم أوائل الآيات المقروآت في أثناء خطبته فقرا، وأتى بها على نسق القراءة لها لا مقدما ولا مؤخرا، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو ان أبدع مَن في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلا، ويورد الخطبة الغراء بها عجلا ؟ (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟) انَّ هذا لهو الفضل المبين. فحدث ولا حرج عن البحر، وهيهات ليس الخبرُ عنه كالخُبْر، ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقا، وذابت بها الانفس احتراقا، الى ان علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا

عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها، ويمسح على رأسه داعيا له، ومنهم من يغشى عليه،فيرفع في الاذرع اليه، فشاهدنا هَوْلاً يملأ النفوس انابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلولم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة، والوِجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على ان منّ بلقاء مَن يشهد الجماداتُ بفضله،ويضيق الوجود عن مثله، وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل،والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه .

ثم شاهدنا مجلساً ثانيا له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر بباب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخصّ بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم، ويفتح الباب للعامة فيدخلون الى ذلك الموضع، وقد بُسط بالحصر وجلوسه بهذا الموضع كلّ يوم خميس، فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور،وقعدنا الى أن وصل هذا الحبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه على رأسه تواضعاً لحرمة المكان ، وقد تسطّر القراء امامه على كراسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ماشاؤا، وأطربوا ماأرادوا ، وبادرت العيون بارسال الدموع ، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات، من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء الغراء وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات ، ومشّى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكملها ، وكانت الآية (الله

الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس) فتمادى على هذا السين ، وحسّن أيّ تحسين ، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته ، وكني عنها بالستر الاشرف ، والجناب الارأف ، ثم سلك سبيله في الوعظ ، كلُّ ذلك بديهة لا رويّة ، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروآت على النسق مرة أخرى ، فأرسلت وابلها العيون وأبدت النفوس سرّ شوقها المكنون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين ، وبالتوبة معلنين ، وطاشت الالباب والعقول ، وكثر الوَله والذهول ، وصارت النفوس لا تملك تحصيلا ، ولا تميز معقولا ، ولا تجد للصبر سبيلا ، ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرّحة التشويق ، بديعة الترقيق ، تشعل القلوب وجدا ، ويعود موضوعها النسيبي زهدًا . وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابت المقاتلَ سهامُ ذلك الكلام

أين فؤادي أذابه الوجدُ وأين قلبي فما صحا بعدُ

ياسعد زدني جوى بذكرهم بالله قل لي فديت ياسعدُ

ولم يزل يرددها والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ، الى أن خاف الافحام فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دَهِشاً عجِلا ، وقد أطار القلوب وجلا ، وترك الناس على أحر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ، فمن معلن بالانتحاب ، ومن متعفر في التراب ، فياله من مشهد ما أهول مرآه ، وما أسعد من رآه ، نفعنا الله ببركته ، وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته ، بمنه وفضله .

وفي أول مجلسه أنشد قصيدا نيّر القَبَس عراقي النفس في الخليفة أوله

في شغل من الغرام شاغل من هاجه البرق بسفح عاقل

يقول فيها عند ذكر الخليفة

يا كلمات الله كوني عوذة من العيون للامام الكامل

فلما فرغ من انشاده وقد هز المجلس طربا ثم أخذ في شانه، وتمادى في ايراد سحر بيانه، وما كنا نحسب أن متكلما في الدنيا يعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكمال من يشاء من عباده لا إله غيره

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه بالاضافة لما عهدناه من متكلمي الغرب، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة شرفهما الله مجالس من قدذكرناه في هذا التقييد فصغرت بالاضافة لمجلس هذا الرجل الفذ في نفوسنا قدرا، ولم نستطب لها ذكرا، وأين تقعان مما أريد، وشتان بين اليزيدين، وهيهات الفتيان كثير، والمثل بمالك يسير،

ونزلنا بعده بمجلس يطيب سماعه، ويروق استطلاعه، وحضرنا له مجلسا ثالثا يوم السبت الثالث عشر لصفر بالموضع المذكور بازاء داره على الشط الشرقي فأخذت معجزاته البيانية مأخذها، فشاهدنا من أمره عجبا، صعّد بوعظه أنفاس الحاضرين سحبا، وأسال من أدمعهم وابلا سكبا، ثم جعل يردد في آخر مجلسه أبياتا من النسيب شوقا زهديا وطربا، الى أن غلبته الرقة فوثب من أعلى منبره والها مكتئبا، وغادر الكل متندما على نفسه منتحبا، لهفان ينادي ياحسرتا واحربا، والنادبون يدورون بنحيبهم دور الرحى، وكل منهم بدُ من سكرته ماصحا. فسبحان من خلقه عبرة لأولي الالباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الاسباب، لا إله سواه.

الدكتور شبلي شميل

في اليوم الاول من هذه السنة الميلادية سنة (١٩١٧) اغتالت المنية الطبيب النطاسي، الحكيم الاجتماعي، العالم الطبيعي، الاديب الكاتب، الناظم الناثر، الدكتورشبلي شميل الشهير بتصانيفه ومقالاته العلمية والاجتماعية في المجلات والجرائد العربية والفرنسية

كان شبلي فذا نادر المثل في مجموعة علومه واعماله وأفكاره وأخلاقه والذي يحملنا على ترجمته انه كان من طلاب الاصلاح المدني والتجديد الاجتماعي المخلصين — وقليل ماهم — لامن الذين اتخذوا العلم ذريعة لجمع المال ولا وسيلة للجاه كما هو شأن السواد الاعظم من المتعلمين، فهو لم يدخر مالا ولم يتأثل عقارا، ولم يصرف جل أوقاته للكسب، بل كان اشتغاله بالامور الاجتماعية أكثر من اشتغاله بالطب، ومثل هذا يكون مؤثرا في أهل جيله تأثيرا نافعا أو ضارا لا كالذين يعدون من العلماء بورقة شهادة يحملها كل منهم بيده ونرى أنه يعيش عمرا طويلا ثم يموت كما يموت العصفور لايترك أثرا في جيله ينسب اليه. لهذا نذكر عن هذا الرجل أهم مانرى فيه العبرة من ترجمته فنقول:

كان أول من نشر مذهب داروِن باللغة العربية وانتصر له وناضل دونه اذ كان رجال الدين ولا سيما الكاثوليك الذين نشأ شميل على مذهبهم يعدون هذا المذهب من دعائم الكفر، ولم يكتف الرجل بذلك بل كان يصرح قولا وكتابة بالتعطيل والالحاد، ولم يتجرأ أحد قبله على ما تجرأ عليه من ذلك فيما نعلم مع كثرة الذين زاغت عقائدهم من المتعلمين على الطريقة الاوربية الحديثة. ومن الغريب أن نرى المحامين عن النصرانية وكتبها الدينية كاليسوعيين (الجزويت) لم يتصدوا للرد على الدكتور شميل كدأبهم في الرد على أمثاله من كتاب الشرق والغرب، وقد كانت مجلتهم (المشرق) واقفة بالمرصاد للمقتطف والهلال وغيرهما من الصحف المنشرة كلما نشر فيها شيء يخالف الدين أو المذهب الكاثوليكي ردوا عليه أشد الرد. فاذا كان

الجزويت لم يشنعوا على الدكتور شبلي شميل كما شنعوا على من لم يجهر بمثل ماجهر به فلا عجب اذا سكت عنه من دونهم عصبية وعناية بهذا الامر ، وأكبر ما بلغنا من مقاومة بعض القسيسين له أنهم كانوا ينهون بعض الناس سراً عن دعوته لمعالجة مرضاهم . وجمهور المتعلمين على الطريقة العصرية من السوريين في مصر وسورية وأمريكة يحبون الدكتور شميل ويعدونه من دعاة الاصلاح الاجتماعي المخلصين ومنهم من يغلو فيه ، أما النصارى منهم — وهم الاكثرون — فلا يرون عدم تدينه مانعاً من اصلاحه الاجتماعي اذ لا علاقة للدين بذلك عندهم ، ولا شك في كون هذا من تساهلهم الذي قاربوا به الافرنج، وأما المسلمون فلا يرون مروقه من عقيدته التي نشأ عليها مبعداً له عنهم لانها ليست عقيدتهم فهو في نظرهم طبيب عالم اجتماعي غير مسلم، ولكنه أقرب من غيره من المخالفين لهم الى التساهل والانصاف لحريته واستقلال فكره . وله أصدقاء من مسلمي مصر لعلهم يزيدون على أصدقائه من مسلمي سورية الذين لا يعرفه أكثرهم الا بالسماع

وأما مذهب دارون فقد تكلم بعض علماء المسلمين فيه وفي مخالفته لظواهر النصوص في خلق آدم عليه السلام، ولم يجعلوا ذلك رداً على الدكتور شميل لانه لم يكن صاحب المذهب . وقد سبق أشياخنا الى الرد على مذهب دارون وأول ما رأيناه في ذلك ما أبرزه لنا الاستاذ الامام في ترجمته لرسالة استاذه الحكيم السيد جمال الدين التي سماها الرد على الدهريين . ثم ما كتبه استاذي الذي تخرجت على يديه الشيخ حسين الجسر في الرسالة الحميدية فهو قد لخص هذا المذهب وبين أن دلائله في أصل البشر ظنية لم تصل الى درجة القطع ، وأنها لو ثبتت وصارت يقينية لا تكون حجة على الاسلام لإمكان تأويل ظواهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة في خلق آدم . وقد أقر أكابر علماء سورية شيخنا على تلك الرسالة وترجمت بالتركية فأقرها علماء الترك ، وكافأه السلطان عبد الحميد على خدمته للاسلام بها برتبة علمية عالية وراتب شهري. ورغب اليه ان يكون من شيوخ قصره فاعتذر وعاد الى طرابلس الشام بعد ان أقام في قصر يلدز عدة شهرا ضيفاً مكرما عند السلطان . وأما علماء الازهر فقد اطلع كثير منهم على الرسالة الحميدية وأعجب بها . ولكن لم

نسمع ان أحداً منهم كتب في موضوعها شيئا

بينا رأي المسلمين الذين يعرفون الدكتور شبلي فيه وانهم كانوا يرونه أقرب الى التساهل والانصاف، وبيان ذلك انه كان يقول انه لا يوجد دين اجتماعي يتفق مع مصالح البشر المدنية الادين القرآن. سمعت هذا منه غير مرة. وأخبرني أنه طالما خطر في باله ان يجمع ما في القرآن من الآيات الواردة في المسائل الاجتماعية والادبية ويفسرها تفسيرا علميا اجتماعيا. وانه قد حاول هذا الجمع فصعب عليه تجريد ما أراده لما في القرآن من المزج بين هذه المسائل والمسائل الروحية الاخروية. وقال لي انك أقدر مني على تجريد ما أريد فلو فعلت لكان تفسيري نافعا لك فيما تتوخاه من التوفيق بين الاسلام والعلم العصري والحضارة المصرية ومن نشر محاسن الاسلام بين الناس لان الوفا من الناس يقرؤن تفسيري ولا يقرؤن تفسيرك

وأما رأيه في نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهو انه كان يفضله على جميع البشر، وقد كتب الي منذ تسع سنين كتابا أودعه أبياتا من الشعر في ذلك : هذا نصه :

الى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

أنت تنظر الى محمد كنبي فتجعله عظيما وانا أنظر اليه كرجل واجعله أعظم . ونحن وان كنا في الاعتقاد (الدين أو المبدأ الديني) على طرفي نقيض فالجامع بيننا العقل الواسع والاخلاص في القول وذلك أوثق بيننا لعرى المودة .

من صديقك الدكتور شميل

﴿ الحق أولى أن يقال ﴾

دع من محمد في سدى قرآنه ... ما قد نحاه للحمة الغايات

اني وان أك قد كفرت بدينه ... هل أكفرن بمحكم الآيات

أوماحوت في ناصع الالفاظ من ... حكم روادع للهوى وعظات

وشرائع لو انهم عقلوا بها ... ما قيدوا العمران بالعادات

نعم المدبر والحكيم وانه ... رب الفصاحة مصطفى الكلمات

رجل الحجا رجل السياسة والدها ... بطل حليف النصر في الغارات

ببلاغة القرآن قد خلب النهى ... وبسيفه أنحى على الهامات

من دونه الابطال فى كل الورى من سابق أو لاحق أو آت

وقد نشرنا هذا الكتاب والابيات فى (ج ١ م ١١) فى معرض الرد على البرنس كايتاني فى زعمه أن نجاح النبي (ص) كان فى كفاءته من حيث هو سياسي محنك أكثر من نجاحه من حيث هو نبي، وان حنكته وسياسته أفادا أكثر من افادة القرآن. رددنا على صاحب هذا القول وعلى المؤيد الذي نقل كلامه وأقره وعلى الدكتور شميل فيما زعمه من أن النبي (ص) أفضل من حيث كونه رجلا منه من حيث كونه نبيا. وسألنا الله تعالى أن يهديه الى الباقي من مزايا كتابنا ورسولنا (ص) وهو المهم الاعظم المتعلق بأمر الدين والآخرة الذي أشار اليه فى البيت الاول وكفر به فى البيت الثاني، فقد صرح لنا بأن مراده بلحمة الغايات أمور الآخرة

ان الدكتور شبلي شميل قد اهتدى بالاطلاع على القرآن الحكيم الى مافيه من ا‍... الروادع للهوى والشرائع الموافقة لاصول العمران حتى فى هذا الزمان. وبالاطلاع على سيرة النبي (ص) الى كونه قد فاق جميع أبطال البشر وعظمائهم — ويدخل فيهم عنده أكابر الانبياء عليهم السلام وكبار الساسة وقواد الحروب وأهل الفصاحة والادب. فلو ان الدكتور تأمل فيما اهتدى اليه من هذين الامرين وكان مؤمنا بالله تعالى لجزم بكونه نبيا مرسلا من عنده عز وجل، لان ما امتاز به كتابه وما امتاز به شخصه على جميع البشر من سابق أو لاحق أو آت انما كان بعد ان بلغ أربعين سنة فى الامية بين أهل الشرك والجاهلية فهل يعقل أن تحدث هذه المزايا العلمية العملية الادبية العمرانية الحربية السياسية الاجتماعية لرجل فى سن الكهولة دفعة واحدة؟ كلا ان هذا لا يعقل أن يكون الا بوحي وتأييد من الله عز وجل. ولكن كثيرا من الباحثين فى مثل هذه المسألة يبحثون فيها من جهة واحدة منصرفين عن سائر الجهات فلا يحيطون بسائر أطراف المسألة. والصوارف عن أمثال هذه المباحث كثيرة أظهرها كون انكار الاديان عندهم من القضايا المسلمات، وكنت أرى ان للدكتور شبلي شميل مانعا قلما يشاركه فيه غيره فى بلاده وهو عده الجرأة على التصريح بالتعطيل مزية من المزايا العظيمة التي انفرد بها، وحب الامتياز من غرائز البشر الراسخة فمن رأى نفسه قد انفردت بشيء منه قلما يفكر ويبحث في شيء من شأنه أن يذهب

بما انفرد به . على ان رجال الدين الذين على مذهب أسرته الذي نشأ عليه ثم ارتد عنه قد حكموا بأنه تاب من ردته وعاد قبل الموت الى دينه ومذهبه الاولين ولذلك جنزوه وصلوا عليه في كنيستهم ودفنوه في مقابرهم ، وجماهير الناس يرتابون في ذلك أو يجزمون بخلافه ويعدون هذا من غرائب تساهل الكاثوليك

كان الدكتور شبلي شميل من دعاة الاشتراكية وهو مستقل برأيه فيها غير مقلد لطائفة من طوائفها ، وكان ماديا في آرائه وأفكاره الا انه كان متحليا بكثير من الاخلاق الحسنة المحمودة التي يضاد بعضها ما تقتضيه الافكار المادية التي غلبت على عقله وخياله، كالرأفة والسخاء والصدق والوفاء والنجدة والمروءة والشجاعة وغير ذلك . وان تحلي بعض المعطلين بالفضائل من أقوى الشبهات على الدين في هذا العصر ، فاننا نسمع كثيرا من المرتابين أو الراسخين في الكفر يقولون أي حاجة للناس في الدين وانانرى كثيرامن المصلين الصائمين منغمسين في المعاصي والرذائل، بل نرى كثيرا من رؤساء الاديان الرسميين كذابين طماعين أدنياء بخلاء لا يرجى منهم معروف، ونرى فلانا وفلانا مما لادين لهم متحلين بالاخلاق الفاضلة والآداب العالية والسبق الى عمل المعروف وقد أجبت عن هذه الشبهة في المنار غير مرة واتخذت تأبين الدكتور فرصة لبيان ذلك للجمهور

في اليوم المتمم للاربعين من تاريخ وفاته أقام النادي السوري في القاهرة حفلة تأبين للدكتور الذي هو من نوابغ السوريين بلاخلاف أجاب الدعوة اليها مئات من أهل العلم والادب والوجاهة من سكان القاهرة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم فغص النادي بهم ، وافتتح الجلسة رئيسها احمد حشمت باشا بخطبة وجيزة أطرى فيها المؤبن اطراء كبيرا. ثم دعي الدكتور يعقوب صروف الى الكلام في علم الدكتور شميل وهو أعلم الناس به و بعلمه فجاء من ذلك بخلاصة جمعت فأوعت . ثم دعيت الى الكلام على أخلاقه فقلت ماخلاصته على ما أتذكر الآن :

« أشكر لادارة النادي السوري اختيارهم اياي للكلام في أخلاق الدكتور شبلي شميل فان الكلام في الاخلاق أحب الي لان أثرها في حياة الناس العملية أعظم من أثر العلم، لان العلم يبين طرق العمل، والاخلاق هي التي تبعث عليه وتهدي

الى الغاية منه، فحسن الاخلاق هو الذي يجعل العلم نافعاً وسوء الاخلاق قد يجعله ضاراً، ولذلك شبه حكماؤنا علم فاسد الاخلاق بالسيف في يد المجنون ، واننا نرى مبلغ تأثير ضرر العلم بسوء استعماله في الحرب الاوربية الحاضرة التي كان الموقد لنيرانها بعض الاخلاق المذمومة من الطمع والكبر وحب العلو واستعباد الاقوياء للضعفاء

على ان العمل النافع لا يرتقي الا بالعلم ، وما ساد بعض الامم على بعض الا بالعلم، (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وانما تظهر حقيقة المرء وتعرف ترجمته ببيان علمه وأخلاقه وأعماله ، وقد أحسن النادي باختيار العلامة الدكتور صروف للكلام على علم الدكتور شميل فهو أعلم منا بهذه العلوم و بمكان الرجل منها وقد جاء بفصل الخطاب في ذلك

كان الدكتور شميل متحليا بعدة من الاخلاق الحميدة التي لا يرتقي العمران البشري الا بكثرة المتحلين بها في الامم كالصدق واستقلال الرأي والشجاعة والثبات والسخاء والوفاء والنجدة والمروءة والرأفة ، يعرف له ذلك كل من عرفه ، وكل خلق من هذه الاخلاق له تأثير في أعمال الناس ومعاملاتهم ولا يمكن بيان ذلك بالتفصيل في وقت قصير محدود كوقتنا هذا وانما أشير الى بعض ذلك بالايجاز فأقول :

ان من أضر مفاسد الكذب طمس الحقائق وابطال ثقة الناس بعضهم ببعض فالكذاب لا يوثق بخبره ولا بعلمه ولا برأيه ولا يمكن أن يرتقي قوم فقدت الثقة من بينهم . ومن أكبر بواعث الكذب الجبن ولولا ما أوتي الدكتور شميل من الجرأة والشجاعة لما أمكنه أن يكون صادقاً يقول ما يعتقد وان كان مما ينكره عليه و يكرهه منه أهله وقومه والسواد الاعظم من أهل وطنه ، والشاهد على هذا تصريحه قولا وكتابة بالآراء التي تخالف عقائد هؤلاء الذين يعيش معهم، والمعروف أن الخوف من عاقبة قول الصدق ، هو الذي يحمل الناس على الكذب ، ولذلك يكثر في عهد الاستبداد والظلم ، ولكننا نري كثيرا من كبراء الحكام ورؤساء الناس في بلاد كثيرة يكذبون على رعاياهم ومرءوسيهم ، فلا يتجرءون على التصريح لهم بما لا يرضيهم ، وان كان التصريح خيرا لهم، وهكذا يعيش كثير من أكابر الناس وأصاغرهم عيشة الكذب والغش والرياء والنفاق لجبنهم وضعف ملكة الاستقلال

فيهم ، ولم يكن شميل مرائيا ولا منافقا بل كان مستقلا شجاعا يقول ما يعتقده حقا وصوابا غير هياب ولا وجل

وكان على جرأته وشدته في آرائه رقيق القلب سخي النفس، فكان اذا دعي الى معالجة فقير يخف اليه مرتاحا ويعالجه مجانا وربما اشترى له الدواء ، وزاده ثمن الغذاء ، على انه لم يكن ذا فضل من المال ، واننا نرى كثيرا من الاغنياء البخلاء ، يحتالون على أكل أموال الناس حتى الفقراء والادباء ، ونحن أصحاب الصحف قد جربنا جميع أصناف الناس فوجدنا في كل صنف منهم (حتى علماء الدين وكبار الحكام من قضاة وغيرهم) اناسا يتعمدون هضم الحق فيعدون جابي الصحيفة ويمطلون ، حتى تمر الشهور والسنون ، ولا يصدقون ولا يفون . فهل يمكن ان ترتقي أمة الا بزوال هؤلاء أو زوال النعمة من أيديهم ؟ ان السخي لا يمنع حق أحد ، لان من يعطي الناس من ماله ما ليس لهم ، لا يعقل ان يمسك عنهم ما هو لهم ، وفي مثل شائع بين كثير من المسلمين : ان الذي يزكي لا يسرق .

وههنا مسألة مهمة تخفى على كثير من الناس، وهي ان اكثر مكارم الاخلاق لا تنطبع في النفس الا بالتربية الدينية ، وتكون عرضة للفساد بالتعطيل والافكار المادية، فكيف اتصف الدكتور شميل بتلك الاخلاق الحسنة مع كونه كان ماديا معطلا ؟ يحتج بهذه الشبهة بعض الملاحدة على عدم الحاجة الى الدين قائلين إننا نرى فلانا وفلانا ممن مرقوا من الدين أفضل أخلاقا وآدابا من المتدينين الذين نرى من رؤسائهم وعلمائهم من فشا فيهم الكذب والطمع والدناءة والبخل والجبن والرياء والنفاق ، والجواب عن هذه الشبهة ان فاسدي الاخلاق من المنسوبين الى الدين لم يتربوا تربية دينية صحيحة بل لم يكن لهم حظ من الدين الا الاسم أو تعود بعض العبادات من غير فهم لحكمها ولا قيام بحقها ، وان أولئك المعطلين الحسني الاخلاق قد تربوا تربية دينية تكونت بها أخلاقهم الفاضلة ثم طرأت عليهم فكرة التعطيل في الكبر فلم تطمس ماطبع في النفس من أخلاقهم ، فقد حدثني الدكتور شميل عن نفسه انه كان في نشأته الاولى مبالغا في التدين مواظبا على العبادة ، وان فكرة التعطيل ماطرأت عليه الا بعد سفره الى أوربة، فقد لقي في فرنسة عالما ماديا قال له كلمة هدمت عقيدته الدينية

هدماء ولم يذكر لي تلك الكلمة. وأقول انها لم تهدم تأثير التربية الدينية في نفسه، ولا ماورثه من أخلاق أهل بيته ، ولا عجب فقد ثبت في العلم الحديث ان لكل نوع من المدركات الفكرية والوجدانية مركزا خاصا في دماغ الانسان ، وما كل فكر يأخذه المرء بالتسليم يؤثر في أخلاقه وآدابه العملية بل لا بد في هذا التأثير من التربية العملية أو كونه عقيدة بجزم صاحبها عقلا ووجدانا بأن العمل بمقتضاها سعادة، وتركها شقاوة لا تعدلها شقاوة ، وفكرة الإلحاد ليست كذلك ، فهي قد كانت محصورة في مركز صغير من دماغ الدكتور شميل له صلة بلسانه ولا سلطان له على قلبه ، ولذلك كانت تظهر أحيانا في كلامه ولكنها لم تنزع من نفسه ما تربى عليه في بيته من الاخلاق الدينية كالصدق والرحمة والسخاء وغير ذلك »

ثم ذكرت في التأبين رأي الدكتور في الاسلام وفي نبينا عليه الصلاة والسلام وقرأت كتابه وأبياته في ذلك وقد تقدم ذكرها في هذه الترجمة

هذا ما أتذكره من كلامي في أخلاق الدكتور شميل لم أترك منه شيئا ولكنني زدت مسألة الشبهة الاخيرة إيضاحا لانني رأيت بعض الناس لم يفهمها حتى قال لي بعضهم ان التأبين يقصد به المدح وأنت ذممت الرجل وجعلته مجنونا ، وانما أخذ جعلي إياه مجنونا من قولي ان فكرة الكفر والالحاد قد طرأت على دماغه في الكبر، وقد عبرت بكلمة المخ بدل الدماغ ففهم ذلك الرجل وغيره من ذلك ما فهموا ولغطوا به

ثم دعي الدكتور كحيل الى الكلام في سيرة شميل الطبية فقرأ خطبة طويلة بالفرنسية بين فيها ذلك . ودعي محمد حافظ بك ابراهيم فأنشد قصيدة بليغة استعاد الجمهور كثيرا من أبياتها مرارا. ودعي أيضا كل من انطون جميل الاديب المشهور وحسن افندي الشريف وهو شاب من أبيار وأميل افندي زيدان صاحب الهلال فألقى كل منهما خطبة فصيحة أطرى فيها الفقيد إطراء الشاب الممتلئ اعجابا بآرائه وأفكاره ونشاطه وهمته ، فدل ذلك على تأثير الرجل في أنفس النابتة الجديدة . ثم قام ابن أخيه رشيد بك شميل صاحب جريدة البصير فشكر للنادي السوري والمؤبنين عملهم ، وانفضت الحفلة

عمران بغداد في القرن الثالث

﴿ وصف دار الخلافة فيها ﴾

نشرنا في هذا الجزء اثارة من تاريخ بغداد العلمي الديني في القرن السادس بعد تخريب التتار لعمرانها وننشر هنا أثارة أخرى من تاريخ عمرانها قبل ذلك سبق لنا نشره في (ص ٢٨٥ م ١٣) منقولا عن تاريخ مدينة السلام للخطيب الحافظ قال

حدثني أبو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطىء دجلة تحت نهر معلّى قديما للحسن بن سهل ويسمى القصر الحسني فلما توفي صارت لبوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنظرته أياما في تفريغها وتسليمها ثم رمتها وعمرتها وجصصتها وبيضتها وفرشتها بأجل الفرش وأحسنه وعلقت أصناف الستور على أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به ورتبت فيها من الخدم والجواري ماتدعو الحالة اليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل المعتضد الى الدار ووجد ما استكثره واستحسنه، ثم استضاف المعتضد بالله الى الدار مما جاورها كل ما وسعها به و كبرها وعمل عليها سورا جمعها به وحصنها وقام المكتفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تناهى في توسعته وتعليته ووافى المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما أنشأه واستحدثه وكان الميدان والثريا وحير الوحوش (بستانها) متصلا بالدار، كذا ذكر لي هلال بن المحسن أن بوران سلمت المعتضد الدار الى المعتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تعش الى وقت المعتضد وذكر محمد ابن أحمد بن مهدي الاسكافي في تاريخه انها ماتت في سنة احدى وسبعين ومئتين وقد بلغت ثمانين سنة ويشبه أن تكون سلمت الدار الى المعتمد على الله والله أعلم

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني أبو الفتح أحمد ابن علي بن هرون المنجم قال حدثني أبي قال قال أبو القاسم علي بن محمد الجوّاري في بعض أيام المقتدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره : قد اشتملت الجريدة الى هذا الوقت على أحد عشر الف خادم خصي وكذا من صقلبي ورومي وأسود وقال هذا جنس واحد مما تضمه الدار فدع الآن الغلمان الحجرية وهم ألوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضا حدثني أبو الفتح عن أبيه وعمه عن

أبيهما أبي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من الفراشين في دار المتوكل على الله أربعة آلاف فراش ، قالا فذهب علينا أن نسأله كم نوبة كانوا . حدثني هلال بن المحسن قال حدثني أبو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرمها وما يجاورها ويتاخمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين خبيرين

ولقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله ففرشت الدار بالفرش الجميلة وزينت بالآلات الجليلة ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين أيديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد أظهروا العدد الكثير والاسلحة المختلفة وكانوا من أعلى باب الشماسية الى قريب من دار الخلافة، وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالبزة الرائقة والسيوف والمناطق المحلاة وأسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظارة[1] وقد اكتري كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة، وفي دجلة الشذاءات والطيارات والذبازب والزلالات والسمريات[2] بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة، وسار الرسول ومن معه من المواكب الى أن وصلوا الى الدار ودخل الرسول فمر به على دار نصر القشوري الحاجب ورأى صففا كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخلت له هيبة وروعة حتى قيل له انه الحاجب، وحمل من بعد ذلك الى الدار التي كانت برسم الوزير وفيها مجلس أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات يومئذ فرأى أكثر مما رآه (عند) نصر الحاجب ولم يشك انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير، وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالاعمدة والسيوف ، ثم استدعي بعد ان طيف به في الدار الى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانبيه فشاهد من الامر ما هاله ثم انصرف الى دار قد أعدت له

حدثني الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة قال حدثني

(١) النظارة المتفرجون (٢) أنواع من السفن

أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين القاهر بالله قال حدثتني جدتي أم أبي اسحاق بن المقتدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل الى تكريت أمر مير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ولما وصل الى بغـداد نزل دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصـول حتى فرغ المقتـدر بالله من تزيين قصره وترتيب آلته ثم صف العسكر من دار صاعد الى دار الخلافة وكان عدد الجيش مئة وستين الف فارس وراجل ، فسار الرسول بينهم الى أن بلغ الدار ، ثم أدخـل في أزج [1] تحت الارض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقتدر بالله وأدى رسالة صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من العسكر أحد البتة وأنما فيها الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن العرائس وقد علقت الستور ونظم جوهر الخلافة في قلابات على درج غشيت بالديباج الاسود .

ولما دخل الرسول الى دار الشجرة ورآها كثر تعجبه منها وكانت شجرة من الفضة وزنها خمس مئة ألف درهم عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبه من جميع ما شاهده .
قال لي هلال بن المحسن ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه أنه نقـله من خط القاضي أبي الحسين بن أم شيبان الهاشمي وذكر أبو الحسين أنه نقله من خط الامير وأحسبه الامير ابا محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله قال كان عدد ما علق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرر المذهبة الجليلة المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطيور والستور الكبار البصنائية والارمنية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والدبيقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر — منها الستور الديباج المذهبة المتقدم وصفها اثنى عشر ألفا وخمس مئة ستر — وعدد البسط والنخاخ [2] الجهرمية والدرابجردية والدورقية في الممرات والصحون التي

(١) بيت مستطيل أخص من النفق (٢) الصواب الانخاخ وهو ضرب من البسط

وطيء عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الجديد الى حضرة المقتدر بالله سوى ما في المقاصير والمجالس من الانماط الطبري والدبيقي التي لحقها النظر دون الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة، وادخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخيل وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهبا وفضة بغير أغشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الديباج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبزة الجميلة ثم أدخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجت اليها من الحير قطعان تقرب من الناس وتشممهم وتأكل من أيديهم. ثم أخرجوا الى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي على كل فيل ثمانية نفر من السند والزراقين بالنار فهال الرسل أمرها، ثم أخرجوا الى دار فيها مئة سبع : خمسون يمنة وخمسون يسرة كل سبع منها في يد سباع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد

ثم أخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بستانين في وسطها بركة رصاص قلعي حواليها نهر رصاص قلعي أحسن من الفضة المجلوة ، طول البركة ثلاثون ذراعا في عشرين ذراعا ، فيها أربع طيارات لطاف بمجالس مذهبة مزينة بالدبيقي المطرز وأغشيتها دبيقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بميادين فيه نخل قيل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد لبس جميعها ساجا منقوشا من أصلها والى حد الجُمَّارة بحلق من شبه مذهبة وجميع النخل حامل بغرائب البسر الذي أكثره خلال لم يتغير، وفي جوانب البستان اترج حامل ودستنبو ومقفع وغير ذلك

ثم أخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدوّرة فيها ماء صاف والشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها ساحات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تتمايل في أوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر، وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فرسا قد ألبسوا الديباج وغيره وفي أيديهم

مطارد على رماح يدورون على خط واحد في الناورد خببا وتقريبا وفي الجانب الايسر مثل ذلك ،

ثم أدخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش والالات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ثم أخرجوا منه الى ممر طوله ثلاث مئة ذراع قدعلق من جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة و بيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة وقسي، وقد أقيم نحو الفي خادم بيضا وسودا صفين يمنة و يسرة ثم اخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسعيني وفيه الغلمان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي أيديهم الشروخ والطبرزينات والاعمدة. ثم مروا بعصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجند والرجالة وأصاغير القواد ودخلوا دار السلام. وكانت عدة كثير من الخدم الصقالبة في سائر القصور يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والفقاع ومنهم من كان يطوف مع الرسل ولطول المشي بهم جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا

وكان أبو عمر عدي بن أحمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء أسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى المقتدر بالله وهو جالس في التاج ممايلي دجله بعد ان لبّس بالثياب الدبيقية المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالدبيقي المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السبح معلقة ومن يسرته تسعة اخرى من افخر الجواهر واعظمها قيمة غالبة الضوء على ضوء النهار و بين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان يسرة. ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر بالله فكفّر له (اي سجد) وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجمان عن المقتدر لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقبلته ولكنني فعلت ما لا يطالب رسولكم بمثله لان التكفير من رسم شريعتنا ، ووقفا ساعة وكانا شابا وشيخا فالشاب الرسول المتقدم والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت، وناوله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم وكان ضخما كبيرا فتناوله وقبله إعظاما له واخرجا من باب الخاصة الى دجلة واقعدا وسائر اصحابهما في شذا من الشذاوات الخاصة وصعدا الى حيث أنزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم وخلع على أبي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة اهـ

خاتمة السنة التاسعة عشرة للمنار

بحمد الله تعالى نختتم المجلد التاسع عشر جاعلين حجمه وعدد أجزائه كما بينا في خاتمة المجلد الذي قبله لان الورق قد قل وروده وزاد غلاء ثمنه حتى ان ما كنا نشتريه قبل الحرب بمئة قد صار ثمن مثله أربعمائة أو خمسمائة

وقد جرينا في إصدار أجزاء هذا المجلد على ترتيب الشهور الذي اضطررنا اليه في العام الماضي حتى إننا بدأنا بطبع هذا الجزء في الشهر السادس من سنة ١٣٣٥ إذ كان هو الشهر العاشر لسنة المجلد التي كان بدؤها شهر شعبان سنة ١٣٣٤ ولكننا اضطررنا بعد طبع أكثره الى تأخير إصداره الى شعبان، وكان من أسباب ذلك وعكة عرضت لنا، وتلتها وثأة أصابت يدنا اليمنى، ومنها مرض عرض لمن يتوقف عليه العمل في المطبعة، وأقوى الاسباب انني لم أكن أكره مثل هذا التأخير في هذه السنين النحسات التي حجب فيها المنار عن قرائه في بلاد كثيرة فقلت الاستفادة منه وقل دخله من حيث كثرت نفقته ونفقتنا ، لم أكن أكره هذا ولم أكن أتعمده، فلما عرضت الاسباب له لم أجتهد في مقاومة ما يمكن مقاومته منها ، فاذا رحم الله تعالى البشر فصرف عنهم شر هذه الحرب عن قريب وعادت المياه الى مجاريها فلنا الرجاء بأن نتدارك ما فات باصدار جزئين في كل شهر الى ان تعود سنة المنار الى ماكانت عليه من غير ان تنقص مجلداته عن عدد سنيه القمرية، واذا أراد الله ان يطول أجل الحرب فالارجح ان نتعمد تأخير بعض الاجزاء من المجلد العشرين الى ينتهي بانتهاء سنة ١٣٣٦ فيضيع بذلك مجلد من حساب السنين القمرية، ولا نلبث مجلدات المنار أن توافق عدد سنيها الشمسية ، ونحن إنما نتقاضى اشتراك المنار عن المجلدات لا عن السنين فلا يضر المشتركين تأخر بعض الاجزاء . على ان بدء المجلد العشرين سيكون في التاريخ الذي بدء فيه المجلد التاسع عشر فلا تأخير جديد

هذا وان ما كنا قد ادخرناه من الورق لهذا المجلد قد اضطررنا الى استعمال بعضه لمطبوعات أخرى (كذكرى المولد النبوي) فلم يكن كافيا ، وقد وفقنا لابتياع

طائفة أخرى من ورق خير من ورقه لاجل المجلد العشرين تكفيه اذا صدر بحجم هذا المجلد فلا يخشى ان يتوقف صدوره من عدم الورق وان انقطع الوارد عن مصر انقطاعا تاما ، وليس هذا الانقطاع ببعيد اذا اشتدت وطأة الحرب فقد علمنا من أخبار أوربة أن أعظم دول الصناعة تشكو من قلة الورق وقد نقصت صحفها من عدد أوراقها وقيل ان بعضها سيحتجب أو يبطل صدوره، فما القول في بلادنا التي تجلب كل الورق الذي تحتاج اليه من أوربة وقد تضاعف ثمنه هنالك وتضاعفت اجرة نقله ، وما كل ما ينقل يصل بل تغرق الغواصات بعض السفن التي تحمله. فعسى ان يكون علم المشتركين بهذه الاحوال باعثا لهم على أداء قيمة الاشتراك بلا مطل ولا تسويف

ونذكر المشتركين الكرام بشيء ربما يغفل الكثيرون عنه، هو نفقة الجباة أو وكلاء التحصيل فان الذي كان يرضى بعشرين في المئة مما يجمعه أصبح لا يرضى بخمسة وعشرين ، وقد طاف بعض اخواننا في بعض البلاد طوفة للتحصيل على نفقتنا فبلغت نفقته أربعين في المئة مما جمعه ،ويا ليته جمع من كل مدينة أو قرية جميع ما يطلب من مشتركيها واستغنى عن العودة اليها بقية العام . كلا ان بعضهم لوى وسوف وطلب النظرة مع الميسرة لا اليها ، فاذا كان أهل كل بلد لا يؤدون ما عليهم الا بعد أن يسافر اليهم الجابي مرارا بمثل تلك النفقة أو بما دونها قليلا فماذا يبقى لصاحب الصحيفة في مقابلة سائر النفقات ثم ماذا يبقى له بعدها في مقابلة عمله لاجل نفقته ؟ فمن تأمل هذا نهاه قلبه (ضميره) أن يسوف في أداء ما عليه ، وأن يلجئ الجابي الى تكرار العودة اليه ، وان كان قد اعتاد الارجاء والتسويف

الانتقاد على المنار

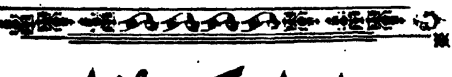
لم يكتب الينا في هذه السنة انتقاد ما على شيء من مباحث المنار إلا ما كتبه بعض إخواننا من إخبارنا بكراهة كثير من الناس لما يكتب في المنار من الفلسفة السياسية (كذا كتب بعضهم) وقد كلمنا غير واحد من الاخوان في ذلك مشافهة وصرحوا بأن ما يكرهون من المنار هو طعنه في الحكومة التركية الاتحادية على علاتها التي يصدق اخبارها السوءى بعضهم دون بعض، وتأييده الحركة العربية الحجازية . وقد أجبت عن هذا الانتقاد بأني كتبت في ذلك ما أعتقد انه حق

وان بيانه واجب علي لملتي وأمتي وسيعلم من لا يكره أن يعلم انني كنت ناصحا مخلصا وعلى حق وصواب، وقد كنت كتبت لهذا الجزء مقالة تاريخية طويلة للمسألة العربية بينت فيه اخلاص العرب للدولة الى ان اضطرتهم الحكومة الاتحادية الى ما اضطرتهم اليه من مقاومة بغيهم، ضاق عنها هذا الجزء وستنشر في الاول من المجلد العشرين ان شاء الله تعالى

وانتقد بعض الاخوان والمحبين شدة العبارة التي انتقدنا بها بعض الشبان الذين ذهبوا الى الحجاز وأخلوا فيه بالواجبات وفاهوا بالمنكرات قائلين ان بعض الناس قد أولوها بغير ما قصد بها من النصح ثم علمنا ان ذلك التأويل كان في بلد نحن من أشد الناس اخلاصا له وغيرة عليه اذ عد الانتقاد طعنا في حكومة الحجاز نفسها . واقترح علينا ان نصرح بغرضنا من ذلك النقد فنقول :

إننا لم نكن نظن انه يخطر ببال أحد يقرأ المنار أو يعرف مشربنا في الجملة اننا نقصد بتلك العبارة غير النصح لمن اعتادوا التهاون بأمور الدين ان يراعوا الفرق بين البلاد المقدسة وغيرها وان لا يجعلوا أنفسهم حجة لاهل الحجاز — ولا لغيرهم — على رجال النهضة الجديدة وطلاب الاصلاح للامة العربية فتبطل الثقة بهم ، وربما يكون سببا لسوء الظن بالحكومة العربية الجديدة اذا انتظم أولئك المنتقدون فيها على ان ما حكيناه عن بعضهم كان قبل تأسيس هذه الحكومة فليس في عبارة الانتقاد ذكر لها ولا لكون المنتقدين انتظموا في سلك خدمتها وكلامنا صريح في هذا لا يكاد يتبادر الى الذهن غيره ، وقد كنا نسدي مثل هذه النصيحة لمن نراه من أولئك الشبان قبل سفرهم ولكن يتعذر رؤية كل من يسافر لهذا الغرض فتعين النصح بالكتابة، ونحن العرب أحوج الناس الى الوحدة والاتفاق ونبذ الخلاف والشقاق والاجتهاد في جعل الحكومة التي تجددت لنا في أحسن حال ممكنة، وهذا ما نقصده من نصحنا والله يعلم حسن نيتنا

ونقل الينا ان بعض الناس استنبط من عبارة المنار في هذا الموضوع اننا نقول بوجوب لباس الاحرام على كل من يسافر الى مكة ولو بقصد التجارة، وهذا من سوء الفهم، ومعاذ الله أن نقول بذلك، وانما يجب لباس الاحرام على من قصد الحج أو العمرة دون غيره. ومن شأن المتدين أن يغتنم فرصة ذهابه الى الحرم فيحج أو يعتمر، وأسأل الله تعالى ان يوفق كلاً منا للقيام بما يجب عليه، والاخلاص فيه، والحمد لله أولا وآخرا.





مجلة شهرية تبحث فى فلسفة الدين وشئون الاجتماع والعمران

لمنشئها



ناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد

(عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »)

المجلد العشرون

سنة ١٣٣٥ — ١٣٣٦ هـ ق ١٢٩٥ — ١٢٩٦ هـ ش

قيمة الاشتراك عن سنة ثمانون قرشا صحيحا فى مصر والسودان
وسائر البلاد العربية و٢٤ فرنكا فى الخارج و١٤ روبية
في الهند و٩ روابل في روسية والدفع سلفا

(الطبعة الاولى)

مطبعة المنار بمصر

(الجزء الاول)　　(المجلد العشرون)



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

١١ شوال ١٣٣٥ — ٧ الاسد (ص ٢) ١٢٩٥ هـ ش ٣٠ يوليو ١٩١٧

فاتحة السنة العشرين للمنار

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى واشكر له توفيقه وتأييده، حمدا يوافي نعمه وشكرا يكافئ مزيده ، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله ، ورحمته العامة المرسلة وحجته القائمة على خلقه ، محمد النبي الامي العربي الذي بعث في الاميين ، ليعلمهم الكتاب والحكمة ويجعلهم الأئمة الوارثين، ويصلح بهم فساد الامم والشعوب المتعلمين وغير المتعلمين ، وعلى عترته آل بيته الطاهرين ، وأصحابه الذين نشروا دعوته بين العالمين ، وعلى التابعين لهم في هدايتهم وهديهم الى يوم الدين

اما بعد فقد دخل المنار في العام العشرين ، داعياً الى الاعتصام بحبل الله المتين ، والاهتداء بنوره المبين ، والاستمساك بسنة رسوله الامين ، والسير على منهج السلف الصالحين ، — ناهياً عن الاحداث والبدع ، وتقليد الاحزاب والشيع ، — مبيناً أن الخير كل الخير في اتباع من سلف ، وان الشر كل الشر في ابتداع من خلف ، لأن الله تعالى قد أكمل الدين فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة فيه كالنقص منه خزي وضلال ، وانما الناقص الذي يحتاج دائما الى الاكمال والاصلاح ، ما كان من أوضاع البشر عرضة للنقص والفساد ، — مثبتاً أن ضعف الشعوب الاسلامية ، انما جاء من عملهم بعكس هذه القضية ، أعني الابتداع في الامور الدينية ، واتباع من قبلهم في الامور الدنيوية . فالأمم في ارتقاء دائم ، وهم في جمود ملازم ، غلب عليهم الجهل المركب فهم للعلم يدعون ، ورزئوا بالفقر المدقع وهم في الدنيا طامعون ، وخنعوا للضيم والذل وهم معجبون متكبرون ، وخضعوا لظلم المتغلبين وهم بالملك والسيادة مفتونون ، (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ)

خسروا أنفسهم فخسروا كل شيء ، وهل خسران النفس ، الا فقد استقلالها في الفهم والعلم والحكم ؟ وتقليد الآباء والاشياخ المتأخرين ، في جميع أمور الدنيا والدين ؟ فالتحقيق انهم مقلدون حتى في الابتداع ، لانهم فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع ؛ وقد ساروا بحسب الظاهر على الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار ، وهي كون علوم المتأخرين وفنونهم أجدر بالثقة والاعتبار ، سنة الله في التدريج والارتقاء ، على أنهم يعتقدون بحق أن متقدمي هذه الامة خير من متأخريها في جميع العلوم والاعمال ، لان

الخلف لم يسيروا على سنة السلف في الاجتهاد والاستقلال ، ولو ساروا عليها لفاقوهم في كل ماهو من كسب الناس . وهم انما يقلدون المتأخرين، لانهم لا يرون أنفسهم أهلا لاتباع المتقدمين ، اذ يزعمون أن المتأخر أضعف من المتقدم عقلا وفهما، وربما اعتقدوا أنه أقل قوة وانحف جسما، وأن هذا التفضيل منحة إلهية وهبية، لا يمكن ادراكه بالاسباب الكسبية، غافلين عن سنة الله تعالى في سائر الامم والاجيال ، وسبق المتأخرين للمتقدمين فى جميع العلوم والاعمال ، حتى ان الله تعالى سخر لمراكبهم الهواء ، كما سخر لها الماء ، وسخر لها من البحار لججها وأعماقها، كما سخر لها متونها وأمواجها ، بل سخر الله تعالى لهم ما في السموات وما في الارض ، فما كان مسخرا لغيرهم بالقوة صار مسخَّرا لهم بالفعل . فما بال جماهير المسلمين لا يسمعون ولا يبصرون، ولا ينظرون ولا يتفكرون، (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)

كل ما هو مسخر للبشر ، وكل ما هو من كسب البشر ، فهو قابل للارتقاء ، اذا لم يجمد الابناء فيه على ما ورثوه عن الآباء . وكل ما ينفع الناس من العلوم والفنون والاعمال ، فهو مما يتناوله كسبهم وتصرفهم بمقتضى الاستعداد الخاص والتسخير العام ، الا الدين الإلهي ، والوحي السماوي ، وقد أكمل الله لنا الدين، كما ثبت بنص الكتاب المبين ، فما بالنا قد ابتدعنا فيه كثيرا من الشعائر، كمواسم الايام الفاضلة والموالد، وكثيرا من العبادات التي لا أصل لها من السنة والكتاب ، كأذكار أهل الطرق وما استحدثوا من الاوراد والاحزاب ، بل ما بالنا نبني المساجد على ما

نشرّف من القبور ، ونوقد عليها السرج والشموع ؛ ونحن نعلم أن فاعلي ذلك ملعونون على لسان الرسول؛ بل ما بالنا نطوف بهذه القبور كما نطوف ببيت الله، وندعوها مع الله أو من دون الله ، ونحن نعلم من كتاب الله ومن سنة رسول الله ، ان هذا عبادة لها من دون الله؟ أنتبع في هذا عمل الآباء المتأخرين، ونحن نتلو ويُتلى علينا قول الله تعالى في المشركين، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا،أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ؟)

إنا لندعو الناس الى عقيدة السلف ونحن بها موقنون ، ونرشد من بلغته الدعوة الى سيرتهم الدينية ونحن على طريقتها ان شاء الله مستقيمون، وانما نورد في باب التفسير وغيره من المنار، بعض تأويلات الخلف للآيات والاخبار، وما قد يخالف مذهبهم من الآراء العصرية ، وخاصة في مقام الدفاع عن القرآن والسنة النبوية ، لأن الضرورة ألجأت اليها ، بتوقف إقامة الحجة او دحض الشبهة عليها، فان المنار ليس خاصا بالمذعنين للكتاب والسنة من المؤمنين ، بل يكتب لهم ولغيرهم من المبتدعين والمنافقين والكافرين ، ومنهم المنكر الجاحد ، والمجادل المعاند، ومنهم المشتبه المغرور بشبهته ، والمرتاب المتردد في ريبته، وحسبنا من الفلج أن نقنع بتأويل الخلف ، من تعذر اقناعه بتفويض السلف ، وأن ندحض الشبهة برأي جديد ، اذا أعيا دحضها برأي تليد، اذ يكفي في صحة الايمان الجزم بأن كل ما جاء به الرسول عن ربه فهو حق ، وفي صحة الاذعان موافقة السلف في مسائل الاجماع العملية وما لا يحتمل التأويل من النص، ولا حرج في دين الفطرة فيما اقتضته الفطرة من تفاوت الافهام ، مع صحة

قواعد الايمان وإقامة أركان الاسلام ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقر أصحابه على مثل ذلك في مسائل الأحكام ، كتارك الصلاة والمصلي بالتيمم للجنابة ، والمختلفين في صلاة العصر يوم بني قريظة.[1] ورب فهم جديد ، يؤيد دين الحق أعظم التأييد ، ومن مزايا القرآن انه لا تنتهي عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، وان من آياته ما يظهر في زمان دون زمان ، وهل يظهرها الا افهام أهل العرفان ، الذين هم حجة الله في أرضه ، على الجاهلين والجاحدين من خلقه ، ولن يخلو عنهم عصر من الاعصار ، وان خلت منهم بعض البلاد والامصار ، وكم من عالم ينتفع بعلمه الغائب البعيد ، ويحرم منه القريب العتيد (قُلْ فَلِلّهِ الحجةُ البالغةُ فلو شاء لهداكم أجمعين)

تلك دعوة المنار ، التي رددت صداها الاقطار ، فكانت كالبرق المبشر بما يتلوه من المطر ، في نظر سليمي العقول صحيحي الفطر ، وكالصواعق المحرقة على أهل البدع ، ومتعصبي الاحزاب والشيع ، وقد آذانا لأجلها الظالمون فصبرنا لله بالله ، ولم نكن كمن أوذي في الله فجعل فتنة الناس كعذاب الله ، وجهل علينا بعض أحداث السياسة المغرورين ، وبعض أدعياء العلم الجامدين ، فقلنا « سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين » وكاد لنا أعداء الدعوة كيدا خفيا ، أضرّ بنا ضررا جليا ، اذ حجب المنار عن كثير من قرائه الاخيار ، وحرمنا بذلك وبغيره كثيرا من المال ، وحسبنا أن حمد الدعوة كل من عرفها من طلاب الاصلاح ، وأهل الروية والاستقلال ، وأما الازهريون خاصة ، فقد كانوا أزواجا ثلاثة ، فقليل من الشيوخ وكثير من الشبان ، يرون أن المنار من ضروريات الاسلام

(١) الاول في سنن النسائي والثاني في الصحيحين

في هذا الزمان، وكثير من الشيوخ والشبان يكرهون منه حمد الاستقلال وذم التقليد، ورمي جماهير علماء العصر بالجمود والتقصير ، والسواد الاعظم منهم مشغولون بأمور معيشتهم ، وبمطالعة دروسهم ومناقشات طلبتهم ، عن النظر في مثل المنار لتقريظ او انتقاد، وعن كل ما يجدد في الدنيا من إصلاح وإفساد؛ وقد دخل المنار في السنة العشرين ، ولم ينتقده أحد من الازهريين ؛ الا انه قام في هذا العام شاب متخرج في الازهر ، فنشر في بعض الجرائد الساقطة مقالات سب فيها صاحب المنار وكفَّر ، بانيا ذلك على زعمه أنه أنكر كون آدم أبا لجميع البشر ، على ان المنار قد صرح باثبات هذه الابوة تصريحات آخرها ما في الجزء الاول من المجلد التاسع عشر؛ وزعمه أنه فضل شبلي شميل على الخلفاء الراشدين ، ويعلم كذب هذا الزعم مما نشرناه في شميل من ترجمة وتأبين ، ومن لا يزعه هدي القرآن، عن السب والكذب والبهتان، قد يزعه عقاب السلطان، لهذا رفع أحد كبار المحامين عنا أمر هذا الطعن الى محكمة الجنايات ، بعد ان أنذرنا بذلك كاتب المقالات ، ونصحنا له بلسان بعض ذوي رحمه وصحبه ، بأن يستحلنا تائبا من ذنبه ، فلم يزده ذلك الا اصراراً على الذنب ، وتماديا في الطعن والسب ، ولكنه جنح في المحكمة للسلم ، وطاب هو وصاحب الجريدة من رئيسها الصلح ، على ان يعتذرا عما اتهما به من المطاعن الشخصية ، ويعترفا باحترام عقيدة صاحب المنار وآرائه الدينية ، وأمضيا عبارة في ذلك أثبتت في محضر القضية. وقد قبلنا ذلك منهما، وكان خيرا لهما لو فعلاه من تلقاء أنفسهما، على أنهما عادا الى هذيانهما، ولا قيمة عندي لمثل هذا الكلام ، فانه مما يقال لصاحبه سلام ، وانما ذكرناه في

فاتحة المنار، التي نشير فيها عادة الى ما تجدد في تاريخ الاصلاح، تمهيداً لذكر ما قيل انه ترتب على تلك القضية، من تأليف جمعية أزهرية، لاجل البحث عن أغلاط المنار الدينية والعلمية، وبيانها للناس وللحكومة المصرية؛ ذكرتْ ذلك الجريدةُ التي وقفت نفسها على الطعن في صاحب المنار، متوهمة انه سيترتب عليه ابطال المجلة أو اخراج صاحبها من هذه الديار، لان عند أعضاء هذه الجمعية من حقائق العلوم الازهرية، ما ليس عند صاحب المنار الذي تلقى العلم في البلاد السورية ؛... فنقول للواهمين، ولمن يمدونهم في غيهم من المغرورين: انا نعلم من كنه علم الازهر ما لا تعلمون ، فاعملوا على مكانتكم إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون (٩ : ١٠٦ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

إننا ندعو الى الله على بصيرة، ونكتب ما نكتب عن علم وبينة ، ولكننا كثيرنا عرضة للخطإ والغلط، كما هو شأن غير المعصومين من البشر ، فلهذا ندعو قراء المنار في كل عام ، الى أن يكتبوا الينا بما يرونه فيه من الاغلاط والاوهام، لننشره فيه ، فيطلع عليه جماهير قارئيه ، وانا لنتمنى أن تؤلف لجنة من علماء الازهر ، تقرأ مجلدات المنار التسعة عشر، وتحصي ما تراه من الاغلاط المتفق عليها، بقدر ما يصل اليه علمها وفهمها، وان تتحرى في ذلك ما يليق بكرامة أهل العلم ، من صحة النقل والتروي في الحكم ،واجتناب الطعن والبذاء ، والسخرية والاستهزاء ،وانا نعدّ ذلك اذا سمت اليه همة بعض الازهريين ، أعظم خدمة للمنار يخدم بها العلم والدين ، ونعد بأن ننشر لهم ما يكتبونه فرحين مغبوطين ؛ مقرين إياهم

على ما نراه فيه من الصواب، مبينين ما نراه من الخطإ مع التزام الآداب، وترديد عبارات الحمد والشكر، التي تبقى ببقاء الدهر، ولثواب الله خير للذين يصلحون في الارض ولا يفسدون، والذين هم على البر والتقوى يتعاونون (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

وإننا على ضعف أملنا بتحقق تلك الأمنية، واحتقارنا لكل ما يكتب بجهالة وسوء نية، ليحزننا أن يقوم في الازهر بعض علمائه، ورئيس جمعية من جمعياته، ينتقم ممن يقاضي بعض أصحابه، بافتراء الكذب عليه،[1] ونسبة ما ينقله عن غيره اليه،[2] وتحريف آيات القرآن، استدلالا بها على مارماه به من الكفر والفسوق والعصيان،[3] بذلك الكذب والبهتان، الذي زاد ذنبه على ما سبقه اليه ذلك الضمان، وإننا لنكرم كلا من المنار والازهر بعدم ذكر اسمه، وعسى ان يثوب الى رشده ويتوب من إثمه، (٤٩: ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ١١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ. وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

كتبه منشيء المنار: السيد محمد رشيد رضا

---

(١) ادعى ان صاحب المنار قال ان آدم عليه السلام من سلالة القرود وانه ليس أبا جميع البشر — وهذا كذب وافتراء — وادعى أنه عضو في جمعية الف المنار كتب شميل وهذا كذب مفترى أيضا (٢) عزا الى صاحب المنار أقوالا في أصل الانسان وفي التكفير من يحكم على السارق بغير الحد الخ وهي من الآراء من منقول المنار لا من أقوال صاحبه بل مخالفة لها
(٣) استدل بآيات سورة الممتحنة في النهي عن موالاة أعداء الله على ضد ما تدل عليه وأهمل ما قيدته به السورة من كونه فيمن قاتلونا في الدين الخ

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانما نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الرقيق الابيض والاسود ﴾

(س ١) من صاحب الامضاء في قليوب

حضرة صاحب الفضيلة والارشاد وصاحب المنار المنير

تحية وسلاماً — وبعد أعرض على مسامع فضيلتكم المسألة الشرعية الآتية وأرجو نشرها في باب السؤال والجواب المفتوح في المنار المنير خدمة للشرع الشريف لاحرمنا الله منكم وها هي :

ما قولكم دام فضلكم في مسألة الرقيق الابيض والاسود ومسألة مشتراه في الزمن الماضي قبل مقاومة الحكومات لهذه العادة . وهل هذا البيع حرام أم حلال شرعاً — وما الفرق في الدين الاسلامي بين العبد والحر وما هي ميزة الحر على العبد في الدين . وهل سواد (العبد) من الاقليم القاطن فيه أو منحة إلهية للفرق بين الحر والعبد . وما يستحقه العبد في الميراث الشرعي اذا كان من والد حر وله أخوة

أحرار . وكيف كان البيع في زمن الجاهلية وزمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين وما هي حجتهم في ذلك . نرجو الرد على هذه الاسئلة كما عودتمونا ذلك ولفضيلتكم الشكر سلفا وفي الختام أهدي فضيلتكم أزكى تحياتي وسلامي

كاتبه أحمد حسين فراج

بعيادة الدكتور محمد عبد الحميد بك الخصوصية بقليوب

(ج) الظاهر أن السائل يظن أن كل من كان أسود اللون فهو عبد رقيق وكل من كان أبيض اللون أو قريبا من الابيض — كالاصفر والاسمر — فهو حر وأن الرقيق الابيض عبارة عما هو معروف في القطر المصري من الاتجار بأعراض البنات اللواتي يحتويهن المشتغلون بهذه التجارة وهن صغيرات بضروب من الاغواء والحيل . والصواب أن الاصل الفطري أن يكون جميع البشر أحرارا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص: منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ وانما الرق أمر عارض أحدثه تحكم الاقوياء في الضعفاء فكانوا يقتلون الاسرى ثم عطفوا عليهم فاستبدلوا الاسترقاق بالقتل، وكان عاما لجميع أقطار الارض الآهلة بالبشر، وقد أقرته الشرائع القديمة كلها حتى صار من شؤون العمران وضروريات الحياة الاجتماعية، وقد جاء الاسلام وهو على هذه الحال فلم يكن من الحكمة أن يبطله دفعة واحدة كما أبطل الربا والفواحش والتبني اذ لو أبطله لتعطل كثير من أمور المعايش والاعمال فشرع الاحكام لازالة مفاسده كإذلال العبيد وإهانتهم وتحميلهم من العمل ما لا يطيقون حتى نهى الشارع أن يقول الرجل عبدي وأمتي ، وجعل العبيد اخوانا لسادتهم وأمر بأن يطعموهم مما يأكلون وأوجب عتقهم في الكفارات وغير الكفارات من الاسباب المعروفة في كتب السنة والفقه ، وجعل العتق من غير سبب قربة من أفضل القربات حتى ان من العتق ما يوجبه الشرع بغير اختيار المالك ومنه أن من مثل بعبده بقطع عضو أو تشويه أعتق عليه قال (ص) « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه » رواه مسلم وأبو داود من حديث ابن عمر وقد عمل به ابن عمر . وروياهما والترمذي عن سويد ابن مقرن قال كنا بني مقرن ليس لنا على عهد رسول الله (ص) الا خادم واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي (ص) فقال « أعتقوها » قالوا ليس لهم خادم غيرها

قال « فليستخدموها فاذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها » وانما أبقى أصل استرقاق الاسرى والسبي من الكفار في الحرب الدينيــة مباحا لانه قد تقتضيه المصلحة حتى مصلحة السبي نفسه أحيانا . مثال ذلك أن تقتل رجال قبيلة في الحرب ولا يبقى منهم أحد يستطيع أن يقوم بأمر النساء والذراري، اذ لم تكن الشعوب والقبائل في الازمنة الماضية ولا هي الآن كلها أيضا ذات دول غنية كدول أوربة وما يشبهها في النظام الاجتماعي، فاذا أخذ الغالبون السبي في مثل تلك الحالة وربوه على ما يوجبه الاسلام من الرفق والتكريم وتسروا النساء حتى صرن أمهــات أولاد لهم يعتقن بمجرد موتهم — فلا شك ان هذا قد يكون خيرا لهم من تركهم هائمين على وجوههم. على ان الاسلام لم يوجب ذلك بل شرع لنا ان نمن عليهم باطلاقهم بلا مقابل كرما واحسانا وأن نفدي بهم أسرانا ان كان لنا أسرى عند قومهم، كما قال في سورة القتال (حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعد واما فداء)

واذا عرفت أصل الرق الشرعي علمت أن ما اشتهر عن النخاسين من شرائهم بعض بنات الشركس من آبائهن الفقراء ليبيعهن في الآستانة وغيرها ومن شرائهم أو خطفهم لاولاد السودانيين أيضا — كله باطل ، فالاب لا يملك بيع أولاده. ومن دونه من الاقارب أولى بأن لا يجوز له ذلك، والمشتري لامثال هؤلاء لا يملكهم شرعا، ويجب على الحكام ابطال مثل هذا الرق قطعا ، لما يترتب عليه من مفاسد التسري والتوارث وغير ذلك من الاحكام الباطلة

وأما سواد السود من الناس فهو من تأثير الاقليم كما هو مشهور وقد سكن كثير من العرب الذين يغلب عليهم اللون القمحي في البلاد الاستوائية وما يقرب منهــا فأثر ذلك في جلودهم حتى صاروا أقرب الى الزنوج منهم الى البيض ، وسكن كثير منهم في البلاد الشمالية الباردة وما يقرب منها فصار بياضهم كبياض أهلها

وأما الفرق بين الحر والعبد في الدين الاسلامي فهو انه لا فرق بينهما في الإيمان وتقوى الله تعالى والعمل الصالح وفضائل الدين وآدابه والجزاء عند الله تعــالى وكم من عبد مملوك تقي خير عند الله من الف حر ، ولكن المملوك لما كان لا يملك المال عند الجماهير ولا يملك التصرف في نفسه لتقيده بخدمة مالكه كان له بذلك أحكام

خاصة لا يحتاج السائل الى معرفتها كلها ، فمنها ماهو تخفيف عليه ككونه لاتجب عليه الجمعة عند الجمهور خلافا للظاهرية ، وتصح منه اجماعا ـ ولا الجهاد ولا الحج ، واذا حج باذن سيده أو معه صح منه ذلك وأثيب بقدر اخلاصه وقيامه بالمناسك على وجهها ولا تجب عليه الزكاة لانه لا يملك المال ، ويترتب على عدم ملكه المال انه لا يرث ولا يورث ، وحده نصف حد الحر ، ويترتب على عدم ملكه التصرف بنفسه انه لا يلي الولايات العامة كالقضاء ولا الخاصة كالنكاح والوصاية على اليتيم ، وكل مسألة من هذه المسائل وأشباهها مفصلة في كتبها وأبوابها من كتب الفقه . وفي بعضها خلاف بين الفقهاء . وأما بيع الرقيق فكبيع غيره مما يملك ، وحسب السائل هذا البيان المختصر .

﴿ العوام والخواص ﴾

(س٢) من الحاج عبد العزيز . ن و . في بلد جكجاكرتا (بجاوه)

« نرجو من فضلكم ان ترشدونا في تعريف العام والخاص هل العام من لم يعرف اللغة العربية في فصاحتها وبلاغتها ، والخاص من يعرفها ؟ أو من هم ؟

هذا — فالمرجو من فضلكم أن لا تؤاخذوا بسؤالنا هذا ، لانه من مشكلات أهلنا « الجاوا » اه بنصه

(ج) العامّ اسم فاعل من العموم وهو الاحاطة والشمول والخاص اسم فاعل من الخصوص وهو اصابة بعض الشيء أو الافراد دون بعض . يقال نزل المطر فعم الارض فهو عام أو خص بلد كذا فهو خاص . والسائل لا يسأل عن هذا وانما يسأل عن معنى العامي والخاصي واحد العامة والخاصة . فالعامي هو المنسوب الى عامة الناس أي سوادهم الذين لا خصوصية لهم فيهم ويقال لجماعتهم العوام ، والخاصي المنسوب الى خاصة الناس وهم كبراؤهم وزعماؤهم كالعلماء الاعلام وكبار الحكام وأهل الفضل والجاه ويقال لجماعتهم الخواص . وعلماء اللغة العربية في جاوه يصح ان يكونوا من خواص أهلها وأما كونهم هم الخواص وحدهم فلا يتحقق الا اذا كان أهل البلاد يخصونهم بالاحترام والتكريم ويفضلونهم على سائر الناس ويعدون من عداهم سواسية لا فضل لاحد منهم على أحد ولا كرامة .

مقدمة لذكرى المولد النبوي

فيها بيان تاريخ الاحتفال بالمولد وحكمه شرعا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه

أما بعد فان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف قد صار عادة عامة ، وقد اختلف في كونها بدعة حسنة أو بدعة سيئة كما سيأتي، والمشهور أن المحدث لما هو أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركاني الجنس الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل[1] أحدثها في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس فان السلطان صلاح الدين ولاه على إربل في ذي الحجة سنة ٥٨٦ وتوفي سنة ٦٣٠. وقد كان سخيا متلافا صاحب خيرات كثيرة، وكان ينفق على الاحتفال بالمولد ألوفا كثيرة، ففي تاريخ ابن خلكان انه كان ينصب له مقدار عشرين قبة من الخشب كل قبة منها أربع طبقات أو خمس طبقات له قبة منها والباقي للامراء وأعيان دولته، وكانوا يزينون هذه القباب في أول شهر صفر بأنواع الزينة الفاخرة، وكان يكون في كل قبة جوق من الاغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، بل كانوا لا يتركون طبقة من الطبقات بغير جوق من تلك الاجواق . وكان الناس يتركون كل عمل في تلك الايام فلا يبقى لهم شغل الا التفرج والدوران على القباب

قال ابن خلكان فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم شيئا كثيرا زائدا عن الوصف وزفها بجميع ماعنده من الطبول والاغاني والملاهي حتى يأتي بها الى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الالوان المختلفة

(١) إربل بوزن إثمد وضبط في المتن بفتح الباء غلطا

فاذا كانت ليلة المولد (١) عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي جملتها شمعتان أو أربع — أشك في ذلك — من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل . فاذا كانت صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة الى الخانقاه على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة وهم متتابعون كل منهم وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده ،

ثم ذكر عرضه الجند وتوزيعه تلك الخلع بعد ذلك على الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ومد السماط . وكان قد ذكر قبل ذلك أن الناس كانوا يأتون هذا الموسم في اربل من بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين و بلاد العجم وتلك النواحي فلا يزالون يتواصلون من شهر المحرم الى أوائل شهر ربيع الاول

لخصت هذا من تاريخ ابن خلكان الذي وصف ماراه بعينيه لان ما يعمل بمصر الآن يشبه ماكان يعمل في اربل الا أنه دونه عظمة ونفقة، فهنا تنصب قباب أوخيام النسيج الجميلة لعزيز مصر ولوزارات حكومته ولبعض الوجهاء في دائرة واسعة ويختلف اليها الناس من أول شهر ربيع الاول يسمعون في بعضها وعظ الوعاظ وذكر أرباب الطرق المعروفة . ويرأس الاحتفال هنا شيخ مشايخ طرق الصوفية ، ويقيم بجانب خيمته مأدبة فاخرة في مساء اليوم الحادي عشر من الشهر يحضرها كبار العلماء وكثير من الوجهاء، ويكون الاحتفال الاكبر في الليلة الثانية عشرة في خيمته فيجتمع فيها من حضر المأدبة ويؤمها الامراء والوزراء حتى اذا ما انتظم جمعهم حضر عزيز مصر بحاشيته وتقرأ بين يديه قصة المولد فيخلع على من يقرأها خلعة سنية ، وتدار بعد قراءتها كؤوس الشراب المحلى وصواني الحلوى الجافة . ثم ينصرف العزيز الى خيمته وهي بجانب قبة شيخ الشيوخ فيمكث فيها ساعة زمانية، يشاهد في أثنائها زينة الالعاب النارية، ثم ينصرف وينصرف الامراء والوزراء، ويظل الناس يطوفون على

---

(١) هي الليلة التاسعة من ربيع الاول على المختار عند المحدثين او ليلة ١٢ منه على المشهور عند الجمهور وكان مظفر الدين يراعي الخلاف فيجعلها ليلة تسع في سنة وليلة ١٢ في اخرى

تلك الخيام المزينة بالانوار الكهربائية وغير الكهربائية عامة ليلتهم . وفي ضحوة ذلك اليوم يحضر نائب العزيز فيه شيخ الشيوخ فتعرض عليه مواكب الطرق الصوفية يتقدم كل طريقة شيخها وهم يهللون أو يتلون الاوراد و يقف كل منهم امام شيخ الشيوخ قليلا فيحييه ثم ينصرف

وقد استحسن جماهير المسلمين الاحتفال بالمولد في مشارق الارض ومغاربها ويجتمعون لقراءة قصته في المساجد ومنهم من يجعل لها دعوة خاصة في البيوت ، وهذه لا تتقيد بجعلها في تاريخ الميلاد النبوي ولكن أنكر هذا الاحتفال بعض العلماء وعده بدعة مذمومة لانه عد موسما وشعارا دينيا وعبادة غير مشروعة يظن العوام أنها مشروعة ولما يقترن به من المنكرات الاخرى . وقال بعضهم انه بدعة حسنة لانه عبارة عن الشكر لله تعالى على وجود خاتم أنبيائه وأفضل رسله باظهار السرور في مثل اليوم الذي ولد فيه و بما يكون فيه من الصدقات والاذكار ، وقد ألف الجلال السيوطي رسالة في عده بدعة حسنة في جواب من سأل عن حكمه شرعا وعرفه بقوله : هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الاخبار الواردة في مبدإ أمر النبي (ص) وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط فيأكلون و ينصرفون من غير زيادة على ذلك . وذكر أن الحافظ ابن حجر سئل عنه فأجاب بقوله : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن جرد في عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا

ثم بين ان الحافظ خرجه على حديث الصحيحين في صيام عاشوراء شكرا لله تعالى على انجائه فيه موسى نبيه واغراق فرعون عدوه، قال: فيستفاد منه الشكر لله على ما من به في يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة و يعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة ، وأي نعمة أعظم من بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم ؟ وعلى هذا فينبغي ان يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، وتوسع قوم فنقلوه الى أي يوم من السنة،

وفيه ما فيه . فهذا ما تعلق بأصل عمله . وأما ما يعمل فيه فينبغي ان يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من الاطعام وانشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب الى فعل الخير والعمل للآخرة ، واما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي ان ما كان من ذلك مباحا بحيث يتعين للسرور بذلك اليوم لا بأس بالحاقه به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الاولى اه .

وقد يقال لماذا لم يقم بهذا الشكر أحد من الصحابة والتابعين ولا الائمة المجتهدين ولا أهل القرون الثلاثة الذين شهد الشارع لهم بالخيرية ؟ فهل كان صاحب اربل التركماني ومن تبعه أعلم وأهدى منهم وأعظم شكرا لله تعالى؟ ويقال مثل هذا في تخريج الحافظ ابن رجب اياه على تعليل صيام يوم الاثنين بأنه يوم ولد فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيأتي مزيد بيان لحجة المخالف

وخرجه السيوطي على أصل آخر استنبطه من تخريج شيخه الحافظ وهو مارواه البيهقي من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عق عن نفسه بعد النبوة (قال) مع انه قد ورد ان جده عبد المطلب عق عنه والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان الذي فعله النبي (ص) إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريع لأمته كما كان يصلي على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه الآيات واظهار المسرات اه

وهذا التخريج ضعيف من وجوه (أحدها) ان هذا الحديث منكر كما قال راويه البيهقي بل باطل كما قال النووي في شرح المهذب (ثانيها) انه لو صح لكان دليلا على استحباب عق الانسان عن نفسه ولم يقل بهذا أحد (ثالثها) جعل قولهم ان العقيقة لا تعاد حجة على الحديث على تقدير صحته مع كون عبد المطلب عق عنه (ص) (رابعها) انه لو كان تشريعا لعمل به الصحابة وغيرهم وقال به أئمة الفقهاء أو من بلغه منهم (خامسها) ان يوم البعثة كان أولى بهذا الشكر من يوم الولادة لان النعمة والرحمة انما كانت برسالته (ص) بنص قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)

وحجة المنكرين في هذا الباب أن كل بدعة دينية تعد من العبادات المحضة أو

تجعل من شعائر الدين فهي محظورة لأن الله تعالى أكمل الدين وأجمعت الامة على أن أهل الصدر الاول أكمل الناس ايماناواسلاما، وان كل بدعة ليست من هذا القبيل كالمنافع الدنيوية والوسائل التي يقوى بها أمر الدين والدنيا كالمدارس والمستشفيات والملاجئ الخيرية التي يثاب صاحبها بحسن نيته فيها فانها تعد بدعة حسنة، والتحقيق ان هذه لا تسمى بدعة شرعية وانما يطلق عليها اسم البدعة لغة فلا تدخل في عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث الصحيح عند مسلم « وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » لان موضوع الحديث المحدثات في أمر الدين ، ولكنها تعد من السنن الحسنة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » — الحديث (وهو في صحيح مسلم أيضا) فقد رغب أمته بهذا الحديث في الاختراع النافع لها في دينها ودنياها ولكن ليس لاحد ان يخترع في الدين نفسه شيئا .

ثم ان البدعة الدينية إما ان تكون اختراع عبادة أو شعار ديني لا أصل لها وإما ان تكون تخصيصا لعبادة مشروعة بزمان معين أو مكان معين أو هيئة معينة لم يخصصها بها الشارع . ومن هذا النوع عد الفقهاء صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان من البدع المذمومة . قال النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان. وقد سمى الشاطبي هذا النوع بالبدع الاضافية وسمى النوع الاول البدع الحقيقية . وأطال في بيان ذلك في كتابه الاعتصام وفصله تفصيلا

هذا وان ما يعهد من الاحتفال بالمولد ليس عبادة مأثورة عن الشارع يؤتى بها على الوجه المشروع ولا هو عمل دنيوي محض بل يجمعون فيه بين عبادات يأتون بها أو ببعضها على وجه غير مشروع ، وبين لعب ولهو بعضه مباح و بعضه محظور ، وقد كان يكون في احتفال القاهرة خيام يرقص فيها النساء المتهتكات مكشوفات الصدور والبطون كما يحصل دائما في غيره من احتفالات الموالد — كالمولد الحسيني والمولد البدوي — وما هو شر من ذلك ، ولكن قد أبطل هذا كله من الاحتفال الذي يكون في القاهرة ولله الحمد

وقد حاول من ذكرنا من العلماء تخريجه على أصل شرعي بابطال ما يكون فيه من اللهو والاقتصار فيه على عمل الخير ، ولولا تخصيص تلك العبادة بالزمان والمكان والصفات المخصوصة التي تشبه بها الشعائر والعبادات المشروعة وتلتبس بها لما احتيج في تخريجه الى ما تكلفوه .

وأما اجتماع الناس في مثل القباب والخيام التي تنصب في العباسية ، وتزين بالمصابيح والانوار الكهربائية ، واظهار البهجة والسرور ، بذكرى مولد ذي الضياء المعنوي والنور ، وذكر اخراج الله الخلق بهديه من الظلمات ، وما آتاه من الهدى والآيات ، فهو في نفسه من المباحات ، المقرونة بالمستحبات والمندوبات ، بشرط ان يخلو من البدع والمنكرات ، وأن لا يعد من الشعائر الدينية ولا من العبادات ، فاذا كان بحيث يظن العامة انه مطلوب شرعا، حرم فعله قطعا ، بل كان بعض الصحابة يتركون بعض المسنونات ، لئلا تظن العامة انها من الواجبات ، ومن هنا صرح الشاطبي في الاعتصام[1] بكون اتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عيدا من البدع . وأفتى ابن حجر المكي بأن القيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم بدعة وذكر ان الناس يفعلونه تعظيما وقال « فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص »[2] وقد علل فتواه بأن القيام يوهم العامة انه مندوب ، ويزاد عليه ان بعضهم يظن انه واجب ، وقد يعلل أيضا بأنه يفعل بهيئة العبادة لما يكون من الصلاة المخصوصة المعينة بالمدد في أثنائه . ولكن لم يأخذ أحد بهذه الفتوى، فما زال العلماء يقومون كغيرهم ولم نر لهم ردا للفتوى بدليل أرجح من دليلها ، ولعل أكثر العوام يعتقدون وجوب هذا القيام لالتزام العلماء وسائر الناس له ، ولو فطنوا لترك أحد له لعدوه فاسقا متهاونا بالدين أو كافرا مارقا منه ، ولعلك لو اقترحت على جماعة العلماء الذين يحضرون قراءة قصة المولد تركه في بعض الاوقات ليعلم العامة أنه غير واجب لما تجرؤا على ذلك . والحق ان قصد التعظيم هو الذي زين للعوام والخواص أمثال هذه البدع . فان من طباع البشر ان يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا في طور ضعفهم في أمر الدين أو الدنيا . لان هذا التعظيم لا مشقة فيه على

(١) ص ٣٤ من الجزء الأول (٢) ص ٦٠ الفتاوى الحديثية له

النفس فيجعلونه بدلا مما يجب عليهم من الاعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا وانما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم والنصح له والقيام بالاعمال التي يقوم بهاأمره و يعتز دينه ان كان رسولا، وملكه ان كان ملكا. وقد كان السلف الصالح أشدمن بعدهم تعظيما للنبي (ص) ثم للخلفاء ، وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذه السبيل ، ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم اللساني . ولا شك ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بكل تعظيم ، وليس من التعظيم الحق له ان نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل لاجل تعظيمه به ، وحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية ، وما زالوا يبتدعون بقصد التعظيم و بحسن النية حتى صارت أديانهم غير ما جاءت به رسلهم، ولو تساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا وكما تساهل خلفنا الذين اتبعوا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع لضاع أصل ديننا أيضاء ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الاصل فالواجب علينا أن نرجع اليه ونعض عليه بالنواجذ، ويجب على العلماء ان يبينوا للناس الاحداث والبدع محذرين منها، كما يجب عليهم ان يبينوا لهم الفرائض والسنن مرغبين فيها، والبيان يحصل بالقول والفعل والاقرار والترك كما ان التشريع حصل بذلك فقد كان (ص) يترك بعض سننه لئلا تفرض

قال الامام الشاطبي في الاعتصام[1] : وقد ثبت في الاصول ان العالم في الناس قائم مقام النبي صلى الله عليه وسلم، والعلماء ورثة الانبياء فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الاحكام بقوله وفعله واقراره كذلك وارثه يدل على الاحكام بقوله وفعله واقراره، واعتبر ذلك ببعض ما أحدث في المساجد من الامور المنهي عنها فلم ينكرها العلماء أو عملوا بها فصارت تعد سننا ومشروعات كزيادتهم مع الاذان « أصبح ولله الحمد» الخ وقد أطال في هذه المسألة و بين مفاسد السكوت قبل هذه العبارة و بعدها ولاسيما عمل « الخواص من الناس بالبدعة عموما وخاصة العلماء خصوصا» وذكر في هذا السياق ان علماء الصحابة كانوا يتركون بعض السنن لئلا يظن الناس انها واجبة، ومن ذلك ان أبا بكر وعمر وابن عباس تركوا التضحية في عيد النحر لئلا يظن الناس انها واجبة[2] — على

(١) ص ٢٦٩ ج ٢ (٢) ص ٢٧٦ ج ٢ من الاعتصام

ان بعض الفقهاء بعدهم قال بوجوبها – ونقل عن الامام مالك انه قال في الموطأ في صيام ستة أيام بعد الفطر من رمضان انه لم ير أحداً من أهل العلم والفقه يصومها – قال – ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف وان أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته وان يُلحق أهل الجهالة والجفاء برمضان ما ليس منه لو رأوا رخصة من أهل العلم ورأوهم يقولون ذلك اه وقد كان الامام مالك يعرف الحديث في صيامها وكلامه يدل على ذلك كما قال الشاطبي ولكن سد ذرائع البدع قتضى ترك هذا المستحب، ومالك من أشد الائمة تشديدا في ذلك . ومما نقله عنه الشاطبي وغيره قوله : « من أحدث في هذه الامة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي . ورضيت لكم الاسلام دينا) فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا اه [1] وقوله عندما سئل عن القراءة في المساجد « لم يكن بالامر القديم وانما هو شيء أحدث ولم يأت آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها ، والقرآن حسن » اه [2]

وجملة القول ان خلط العبادات الدينية باحتفالات لزينة واللهو وجعل ذلك عملا واحداً عن باعث ديني هو الذي يجعل مجموع تلك الاعمال من قبيل الشعائر الدينية ويوهم العوام ان تلك العادات — وكذا العبادات المبتدعة في هيئتها وتوقيتها وعددها — من أمور الدين المشروعة بهذه الصفة ندبا أو وجوبا كما قال الفقيه ابن حجر في مسألة القيام عند ذكر ولادته عليه أفضل الصلاة والسلام وما يكون فيه من الصلاة المخصوصة كما قلنا

وأما قراءة قصة المولد فهي عبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية كما قال السيوطي، ولكن كثيرا من الناس كتبوا (موالد) حشوها بالاحاديث الموضوعة والمنكرة وفي بعضها وصف النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق كالتغزل بجماله . وكنت منذ سنين أتمنى لو يوجد بين أيدي الناس رسائل في هذا الموضوع يتحرى فيها الصحيح المفيد ، عسى أن يستبدل بها بعض ذلك الضارّ السيء التأثير ، بيد أنني كنت أتحامى أن أكتب في ذلك شيئا باسم المولد لئلا أكون محدثا أو مساعدا أو مقرا لما لم يفعله السلف الصالح

(١) ص ١٤٩ و ١٥٠ ج ٢ (٢) ص ١٦٨ ج ٢ من الاعتصام

ثم كان أن دعاني في غرة ربيع الاول من عام ١٣٣٤ شيخ مشايخ طرق الصوفية بمصر السيد عبد الحميد البكري[1] الى مأدبة أعدها في داره وسماع قصة المولد بعدها فأجبت الدعوة ، وتوسلت بها الى تنفيذ تلك الفكرة، اذ كنت علمت من أحاديث جرت بيني و بينه انه من محبي الاصلاح لطرق الصوفية وغيرها ، وهنالك كلمته في قصص الموالد المشهورة ووجوب تغييرها فاستحسن ذلك، فقلت له أرأيت اذا كتبتُ شيئا في هذا الموضوع أتستبدل به ما يقرأ عندك في الاحتفال الرسمي وغيره؟ قال نعم. فانتهزت هذه الفرصة لبيان الحق في هذه المسألة شكلا وموضوعا، ثم شرعت في كتابة شيء من ذلك في ساعات المساء من النهار فأتممته في بضعة أيام متفرقة لم تتم أسبوعا، وكتبت أكثره في دار البكري وكنت أطلعه على ما أكتب فيسر به، ولكنه جاء طويلا لا يمكن ان يقرأ في الحفلة الرسمية كله، فاختصرنا منه نسخة قرئت في الحفلة الرسمية، فكانت موضع اعجاب أهل الفهم والذكاء من الوزراء والكبراء وغيرهم من أهل الروية

ثم اطلع على ما كتبت كله بعض أهل العلم ومحبي الاصلاح فرغبوا الي في طبعه ونشره، ورأوا انه من أحسن ما ينشر في هذا العصر لبيان حقيقة دعوة الاسلام وكليات الدين وخلاصة السيرة النبوية ، فشرعت في طبعه وزدت فيه عند الطبع حديث البعثة وقصة الهجرة وما تلاها من الخاتمة ومسائل أخرى في أثناء الكلام . طبعته في المنار ثم جردته منه وطبعته على حدته ، وحذفت مما طبع في المنار جملة وجيزة اقتبستها من (رسالة التوحيد) وزدت مسائل أخرى قليلة. فكان فوق ما كنت أقدر وأتوخى في هذا المقام، الذي اعتيد فيه الاختصار ، فجاء كتابا وجيزا حاويا لخلاصة الحقائق المتفرقة في أسفار التاريخ والسيرة النبوية، وكتب التفسير والحديث والعقائد الاسلامية ، مبينا لكنه الاسلام وحقيقته ، وكليات أحكامه وحكمه ، بعبارة يسهل على الناس فهمها ، ويتيسر لمريد الحفظ حفظها ، وحروف مضبوطة بالحركات ، وأسجاع غير متكلفات ، فهو جدير بأن يُقرأ في البيوت وفي المحافل، وبأن يلقن لطلاب العلوم الدينية والدنيوية في المدارس، واذا اكتفى سامعوه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فرادى ولم يرفعوا أصواتهم بصيغة مخصوصة في

(١) بيت البكري من أشهر بيوتات مصر ينتسبون الى الصديق (رض) ويلقبهم الجمهور بلقب السيد كالعلويين

أوقات معينة لا يكون في قراءتهم ولا سماعهم له شبهة على الابتداع الحقيقي ولا الاضافي

طريقة اختصاره في القراءة

هذا — وان لمن يقرأه على الناس في وقت ضيق ان يختصر منه بعض الفصول كفصل الهجرة بطوله من منتصف الصفحة ٣٠ الى فصل أخلاقه وسيرته (ص) في الصفحة ٣٦ ويمكن ترك هـذا الفصل أيضا الى الخاتمة في ص ٤١ واذا كان المقروء عليهم من العوام فللقارئ ان يحذف مما يقرأ لهم بحث اصطفاء الله لقومه وقبيله وآل بيته (ص) من أول الصفحة ٤ الى نهاية ص ١٠ لان هذا البحث لا يفهمه حق الفهم ، الا الخواص من أهل العلم ، وما زال كثير من الناس يستشكل ما ورد في الحـديث الصحيح من اصطفاء الله تعالى كنانة وقريشا وبني هاشم ، وحكمة جعل دين العلم والمدنية ، على لسان نبي أمي بعث في أمـة أمية ، ولم أر أحدا سبقني الى بيان مزايا العرب التي أعدهم الله بها لهذه المنقبة العظيمة ، ولله الحمد والمنة (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه ومن تبعهم في هديهم الى يوم الدين . وكتب هذا في ٥ رمضان سنة ١٣٣٥

محمد رشيد رضا

أغلاط طبعية في الشكل ينبغي تصحيحها بالقلم

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	٩	إرَبل	إربِل	١٣	١٨	الثانيةِ عشرة	الثانيةَ عشرة
٦	١٥	وخرافات	وخُرافات	٢٠	٨	الوحيَ	الوحيُ
٧	٣	كان يعدّ	يُعدّ	٢٤	١٦	أقرب	أقربَ

﴿ استدراك على الحواشي ﴾

شاعر الانصار صاحب الابيات المذكور بعضها في قصة الهجرة هو أبو قيس صرمة ابن أبي أنس كان قد ترهب وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وهمّ بالنصرانية فلما جاء الاسلام اسلم وهو شيخ كبير وله شعر كثير وعاش نحوا من ١٢٠

المسألة العربية

﴿ مقالة التاريخ ﴾

الاسلام والجنسية العربية . ابراهيم الخليل عربي . الاخوتان الدينية والجنسية. اتفاق الاسلام والجنسية العربية . مصلحة المسلمين وغيرهم من العرب في تجديد الدولة العربية واحدة . مصلحة المسلمين الاعاجم ورأيهم في ذلك . استقلال لبنان لم تكن عقبة في طلب العرب للاستقلال . لم ينهض العرب للاستقلال في عهد عبد الحميد . اتهام الخديو والانكليز بالميل الى استقلال العرب. حال أمراء الجزيرة وزيدية اليمن وزعماء الولايات العربية في ذلك . الخلافة عند أهل الزيدية وأهل السنة . السبب الحقيقي لسكون العرب وسكوتهم هو الاسلام وأوربة . ازالة الاسلام تعصبية الجنسية . اجماع العرب على المحافظة على الدولة . يأسهم منها . استقلال الحجاز . اتفاق الحلفاء على استقلال الشعوب أو تفويض أمر حكمها اليها

إنني عربي مسلم أو مسلم عربي، فانا قرشي علوي، من ذرية محمد النبي العربي، الذي ينتهي نسبه الشريف الى اسماعيل بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ، وملته الحنيفية هي ملة جده إبراهيم ، أساسها التوحيد الخالص واسلام الوجه لله تعالى وحده، (٢: ٢٩ ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه — اقرأ الآيات الى قوله — ونحن له مسلمون) فاسلامي مقارن في التاريخ لعربيتي— وان من الناس من هو أقدم نسبا في الاسلام، ومن هو أقدم نسبا في العربية،وهم من عدا الاسماعيليين من متقدمي العرب ومتأخريهم،وأما الاسماعيليون منهم فتاريخ عربيتهم واسلامهم واحد اذ كان أول أب لهم في العرب مسلما ؛ وقد يقال ان اسلامهم أقدم اذا كان ابراهيم (ص) غير معدود من العرب على ما هو المشهور في كتب التاريخ من أن أول العرب المستعربة اسماعيل (ص) وكأنهم عدوه كذلك لانه ولد في بلاد العرب ونشأ فيها فلم يكن له لسان غير اللسان العربي . ولكن التاريخ يثبت لنا ان أباه ابراهيم (ص) كان يتكلم باللغة العربية ، كما يؤخذ من التاريخ العربي والتاريخ المستنبط من الآثار القديمة ؛ أما مأخذ ذلك من التاريخ العربي فهو انه أقام في بلاد العرب زمنا أقام فيه الدين و بنى البيت العتيق الذي هو أقدم بيت وضع لعبادة الله وحده في الارض، فمن البديهي انه كان يعلمهم الدين بلسانهم ويخاطبهم به ، وأما مأخذ ذلك من

الآثار القديمة المكتشفة في هذا العصر موضحة للتاريخ القديم فهي أن علماء الآثار بينوا لنا ان مدنية الكلدان كانت عربية وان (حمورابي) الذي كان ملكهم وصاحب شريعتهم في عهد ابراهيم (ص) كان عربيا، وقد اكتشفت شريعته في بلاد العراق منقوشة على عمود من الحجر الاصم فكانت باللغة العربية لذلك الزمان. وقد جاء في سفر التكوين أول أسفار العهد القديم عند أهل الكتاب ان حمورابي هذا كان في زمن ابراهيم ، وانه كان يدعى ملك السلام وكاهن الله العليّ ؛ وأنه بارك ابراهيم وان ابراهيم أعطاه عشرا من كل شيء (راجع تك ١٤ : ١٨)

قلت إنني عربي مسلم . فأنا أخ في الدين لألوف الألوف من المسلمين من العرب وغير العرب ، وأخ في الجنس لألوف الالوف من العرب المسلمين وغير المسلمين . أما دليل الاخوة الدينية فقوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة) وأما دليل الاخوة الجنسية فالآيات المتعددة في سورة الاعراف والشعراء المصرحة بكون الانبياء المرسلين أخوة لأقوامهم المشركين، ولما كان شعيب عليه السلام قد أرسل الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة من غير قومه اختلف التعبير عنه فقد قال تعالى في سورة الاعراف (٧: ٨٤ والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) أي وأرسلنا الى مدين أخاهم في النسب شعيبا الخ . وقال في سورة الشعراء (٢٦ :١٧٦ كذب أصحاب الايكة المرسلين ١٧٧ اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ١٧٨ اني لكم رسول أمين) ولم يقل أخوهم شعيب كما قال في عاد (أخوهم هود) وفي ثمود (أخوهم صالح) — مثلا — لانه لم يكن من جنسهم

واني احمد الله عز وجل أن جعل مصلحة العرب السياسية في عصرنا موافقة لمصلحة المسلمين السياسية كما أبينه في هذه المقالة ، ولو تعارضتا لقدمت ما يوجبه عليّ ديني على ما تقتضيه مصلحة أبناء جنسي ، لانني أرجو بديني سعادة الدنيا والآخرة ، وأنا موقن بذلك ، ولا أرجو بخدمة جنسي وحده الا الدنيا وحدها ، وما أنا على يقين من إدراكها ، على انني راض بما آتاني الله منها ، أما وقد اتحدتا فخدمة جنسي خدمة لديني ينفعني في الآخرة ان لم ينفعني في الدنيا ، وأنا مؤمن بهذا وان كان يخفى على كثير من اخواني المسلمين

مصلحة العرب والمسلمين في الدولة العربية

إنما مصلحة العرب السياسية ان يكون لهم دولة مستقلة ، وهذا أمر بديهي لا يختلف فيه عاقلان ، فالعرب أمة من أقدم أمم الارض وأعرقها في الاستقلال ، ذات مجد عظيم، ومدنية عالية في التاريخ القديم والحديث، ولغة ممتازة في لغات العلم والادب، وشريعة هي أعدل الشرائع المنزلة للبشر ، وقد ضعفت هذه الامة الكريمة وضعفت مزاياها ولغتها، وأهمل معظم شريعتها وكادت تفنى بفنائها ، كل ذلك لعدم وجود دولة مستقلة لها ، اذ يستحيل ان ترتقي أمة بغير دولة .

ان السواد الاعظم من العرب يدينون دين الاسلام واللغة العربية هي لغة هذا الدين فلا تصح لمسلم عبادة بغير هذه اللغة ، فبالدولة العربية تحيا لغة القرآن ، وتحيا بحياتها شريعة الاسلام . فمن البديهي اذاً ان يكون الخير كل الخير للمسلمين في هذه الدولة اذا وجدت ، وان عقلاء المسلمين من غير العرب يعلمون هذا ولكنهم يرونه الآن متعذرا أو متعسرا ، ويخشون كما كان يخشى مسلمو العرب ان يكون السعي له مفضيا الى إضعاف الدولة العثمانية التي لم يبق للمسلمين دولة غيرها فيكون مثل الساعين كمثل من له دار تكنه فهدمها ليبني خيرا منها فعجز عن البناء وأمسى في العراء معرضا لما يجني على حياته ، ولكن جمعية الاغرار المغرورين (جمعية الاتحاد والترقي) ما زالت تهدم من آمال العرب في بقاء الدولة وفي كون بقائها خيراً للاسلام والمسلمين حتى دعتهم بل دعّتهم[1] الى طلب الاصلاح في الجملة ثم الى طلب اللامركزية ثم الى استقلال الحجاز ، ولا يعلم غير الله ما تكون عاقبة ذلك، لان العالم كله في طور تغير وانقلاب مجهول ، ولكن المعلوم قطعا ان ما حصل في بلاد العرب هو نتيجة طبيعية لسيرة الاتحاديين لم يكن في استطاعة أحد دفعه كما يعلم مما يأتي

وأما غير المسلمين من العرب فهم الآن كالمسلمين ليس لهم دولة ، ولأن يكون لأبناء جنسهم دولة خير لهم من ان يكونوا تابعين لدولة أعجمية لا يشاركونها في النسب ولا في اللغة ولا في العادات والتقاليد ولا في الوطن الجغرافي[2] ولا في الدين، ولا الدولة

(١) دعّتهم بتشديد العين دفعتهم بعنف
(٢) هذا الوصف احتراز من الوطن السياسي

أعجمية يشاركها بعضهم في الدين والمذهب أو في الدين دون المذهب دون سائر مقومات الامم ومشخصاتها وهم يعلمون أن الدين أو المذهب لا يحملها على جعلهم مساوين لابناء جنسها ووطنها وان كانوا من غير أبناء دينها ومذهبها، ولا يضرهم أن تكون العربية في هذه الدولة الاغلبية للمسلمين من أبناء جنسهم، فان أفراد البشر وجمعياتهم يتآلفون و يتعاونون على مصالحهم بكثرة ما يشتركون فيه من مقومات الامم ومشخصاتها ، وما يشترك فيه المسلمون وغيرهم من العرب من المقومات والمشخصات كاللغة والعادات والآداب والمصالح والمرافق الوطنية أكثر مما يشترك فيه غير المسلمين من العرب مع الافرنج الموافقين لهم في الدين، بله الترك المخالفين لهم حتى في الدين، ودين الاسلام دين مساواة في الحقوق وحرية تامة في العقائد . وقد ارتقى غير المسلمين في أرقى دول العرب الاسلامية مدنية الى أعلى المناصب ، حتى كان وزراؤهم وأطباؤهم يزاحمون الخلفاء العباسين بالمناكب ، واذا كان لغير المسلمين أغلبية في بقعة من البلاد العربية (كجبل لبنان) فانه يمكنهم ان يكونوا مستقلين مع ارتباطهم واتحادهم بالمملكة العربية فيها استقلالا اداريا واسعا خيرا من الاستقلال الذي نالوه منذ نصف قرن

لو نهض زعماء العرب الى السعي للاستقلال لما تعذر عليهم ارضاء اللبنانيين منهم بذلك وازالة جميع ما في البلاد من اسباب الخلاف. ولو تعذر عليهم ارضاء اللبنانيين في اوائل العهد بالسعي لما كان ذلك موجبا لتركه واليأس منه . ولا اطيل في بيان هذا وكشف غواشي الاوهام عنه لأ نه يخرج بي عن المقصد من هذا المقال، واكتفي منه بتذكير الملم بتاريخ سورية الحديث بتلك الحركة العربية التي حدثت في سورية أيام كان مدحت باشا زعيم الترك الاكبر واليا عليها فانهم يتذكرون ان اللبنانيين كانوا في طليعة العاملين ، وبرهاننا على هذا قصيدتا اليازجي البائية والسينية

لاجل هذا كان سكون العرب العثمانيين وسكوتهم في الاجيال الاخيرة التي تحركت فيها عصبيات الاجناس وهبت لطلب الاستقلال مثارا لعجب من لم يعرف سبب ذلك السكون من العقلاء .

اتهام الترك للعرب

كان الترك يتهمون العرب بالميل الى الاستقلال دونهم والسعي لذلك وانه

لا يمنعهم منه الا ضعفهم وعجزهم أمام قوة الترك . وقد ذكرت في مقالات (العرب والترك) التي كتبتها في الآستانة ونشرتها في جرائدها ثم في المنار اني لا أعرف لهذه التهمة أصلا الا ماكان من افتراء جواسيس السلطان عبدالحميد وطلاب المنافع عنده أو استغلال أوهامه ، بل أقول ان هذه التهمة لم تكن معقولة في عهد السلطان عبد الحميد لان النهوض بأمر الاستقلال اما ان يكون من جانب الامة بما تتوسل به اليه من الجمعيات السياسية والعصابات المسلحة ، ولم تتصد الامة العربية لذلك البتة - وإما ان يكون من جانب الامراء المستقلين بالادارة في بعض الاقطار أومن دونهم من الزعماء أصحاب العصبية، ولم نعلم ان أحدا من أمراء جزيرة العرب أو من الزعماء في الولايات العربية العثمانية كان مظنة أو موضعا لهذه التهمة اذ لاتوجد شبهة يعتمد عليها في ذلك. الا ان المفسدين كانوا يتهمون خديو مصر عباس حلمي باشا بذلك فكان يسمع لهم لان مصر بلاد عربية غنية بالمال والرجال وقد تصدى رأس حكومتها الاخيرة (محمد علي باشا) لحرب الدولة العثمانية فقهرها واستولى على سورية والحجاز وتوغل في الاناضول ولولا الدولة الانكليزية لاستولى على سائر مملكتها، ولكن عباس حلمي باشا لم يكن ليطمع بمثل ماطمع به جده الاعلى، بل ولا بمثل ماكان يطمع به جده الادنى (اسماعيل باشا) من الاستقلال السياسي بمصر والسودان فقط لمكان الاحتلال الانكليزي الذي جعل السلطة الفعلية في مصر بيد انكلترة دونه ، ولهذا كان الموسوسون والجواسيس يزعمون أنه على اتفاق مع الانكليز في هذا الامر ، وكان كثير من المصريين وغيرهم يصدق ذلك ، ومنهم من لم يرجع عن هذا التصديق الا بعد نشر كتاب (عباس حلمي الثاني) للورد كرومر اذ صرح فيه بأن حياة عباس مع الاحتلال كانت حياة خلاف وشقاق لا يرجى معه اتفاق .

ان المطلعين على الحقائق يعلمون علم اليقين ان عباس حلمي باشا ماكان يسعى لهذا الامر ولا يرجوه، على انه كان يعلم انه لا سبيل له اليه لو تصدى له ، ويعلمون أن من سياسة انكلترة التقليدية بقاء ما للترك من السلطان والسيادة على بلاد العرب وترجيح ذلك على تأسيس دولة عربية جديدة ، وهي لم تجنح الى سياسة العطف على العرب واظهار الميل لمساعدتهم على الاستقلال الا بعد وقوع الحرب بينها وبين الترك بمدة طويلة،

أما امراء جزيرة العرب فقد كان كل منهم راضيا بحاله ولم يكن يخطر ببال أحد منهم أن يعتدي على الدولة فيما وراء حدود امارته ولا أن يسعى لذلك بالاتحاد مع غيره، كما انه لم يكن يسهل على أحد منهم أن تعتدي الدولة على استقلاله أو تحدث في بلاده حدثا ما، لما استقر في أنفسهم من غريزة الاستقلال الموروثة في الامة العربية مع عدم ثقة أحد منهم بأن الدولة تقيم شرع الله في بلادهم، على أن للزيدية دولة أقدم من الدولة العثمانية مازالت تنصب الائمة من قريش عليها ويعتقدون ان الترك من البغاة الخوارج على الامام الحق، وأهون اعتقاد سائر عرب الجزيرة في حكام الترك انهم ظلمة فسقة مبغضون للعرب. ولكنهم مع ذلك يحبون بقاء الدولة ويتمنون لها القوة والعظمة لاجل صد الافرنج عن البلاد الاسلامية. وقد كان رجال الدولة في العهد الاخير يعتقدون أن الشيخ مبارك الصباح من أشد العرب عداوة للدولة ولكنني لما لقيته سنة ١٣٣٠ منصرفي من الهند أخبرني عما لقيه من عدوان الدولة عليه وتصديها لنفيه من الكويت وان انكلترة منعتها من ذلك بدون طلب منه وانه مع ذلك محافظ على نسبته اليها ورافع لعلمها باختياره ولو شاء لاستبدل به غيره، ومن كلامه في الترك والعرب « نحبهم ولا يحبوننا »

وأما كبراء العرب في ولايات سورية والعراق من العلماء والوجهاء فقد كانوا أشد تعصبا للترك من الترك أنفسهم حتى كانوا يفضلونهم على العرب ويسترون ما يعرفون من سيئاتهم، ويكبرون الصغير من حسناتهم، بل يذكرون لهم فضائل ومناقب لا يعرف لها أصل، منها انهم يعدون بعض ملوكهم من الاولياء ومؤرخو الترك يعدونهم من الفساق. ومما كانوا يذيعونه بين العامة أن الشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ عبد الغني النابلسي قد علما بالكشف أن ملكهم يبقى الى قيام الساعة.

تلك حال كبراء البلاد وخاصتها والعامة تبع لهم، لم يسمع لاحد منهم نبأة ظاهرة ولا دعوة خفية الى عداوة الترك أو القيام عليهم أو الاستعداد لتأسيس حكومة عربية تستقل في البلاد، اللهم الا ما كان قد قيل من أن شيعة الماسون كانت تسعى لجعل الامير عبد القادر خديويا لسورية، وما قيل في عهد ولاية مدحت باشا على سورية من انه كان هو الذي يسعى لجمع كلمة المسلمين وغيرهم للاتفاق على

تأسيس امارة عربية في سورية كالامارة المصرية يكون هو الخديو عليها ، ومن أن رستم باشا متصرف لبنان الاجنبي الاصل كان هو الذي كشف للدولة دسيسة شيخ أحرار الترك وزعيمهم الاكبر ، وترتب على ذلك اخراج السلطان عبد الحميد لمدحت باشا من سورية ، وقيل ان تلك الحركة كانت مدبرة بدسائس الاستانة ليتوسل السلطان بها الى نفي مدحت باشا ثم الفتك به . وفي تلك الاثناء نشرت قصيدتا الشيخ ابراهيم اليازجي السينية والبائية (راجع ص ٨٣١ م ١٢)

ولما كنت أنشر في الاستانة مقالات (العرب والترك) وأشرت فيها الى هذه المسألة جرى بيني وبين الصدر الاعظم حسين حامي باشا حديث في هذا الموضوع قال لي في أثنائه انه أقام في سورية عدة سنين أيقن في أثنائها بأنه لا يوجد فيها أحد من وجهاء المسلمين يكره الدولة الا بعض الافراد من بيت المؤيد ومن بيت الصلح ، وسائر الوجهاء مخلصون للدولة كغيرهم . ولا أدري من عنى بقوله ذلك . ولم أعلم عن أحد من المعاصرين لنا من أهل هذين البيتين شيئا يبين المراد لنا من قوله ، الا أنَّ أحد أفراد البيت الاول كان قد جاء مصر في أوائل عهد مجيئي اليها وأسس جمعية دينية يشترط في أعضائها ترك المحرمات والمحافظة على أداء الفرائض وقد ساعدته على ذلك ولم أكن أسمع منه كلمة تشعر بأن له غرضا سياسيا منها وقد أفادت الجمعية فائدة دينية ظاهرة ، ثم انشق عنها عضو مصري تركي الاصل زاعما ان للمؤسس غرضا سياسيا منها وتبعه على هذا جماعة من أعضائها في القاهرة صاروا يلغطون بذلك . ثم ان المؤسس سافر الى الآستانة ثم عاد الى سورية وأقام فيها . ولو صدق السلطان عبد الحميد انه كان يسعى الى تلك الغرض السياسي لما أفلت من قبضة انتقامه . وانما اتهمه بعض الناس بأنه تعمد القاء كلام لاولئك اللاغطين ليشتهر ويوصله الجواسيس الى السلطان

هذا كل ما نعلم عن سورية في هذا الامر . وأما العراق فقد قيل ان السيد سلمان القادري نقيب بغداد كان يسعى الى تأسيس حكومة عربية وان طلب السلطان عبد الحميد [illegible] كعادة ملوك

من الاجناس الذين تتألف منهم المملكة العثمانية انهم فازوا بما جاهدوا في سبيله الى أن قلب لهم المتغلبون على جمعية الاتحاد وعلى الدولة ظهر المجن وأوقعوهم في هوة اليأس من الدولة

السبب الصحيح

تبين مما شرحناه من الحقائق أن عدم تصدي العرب لانشاء دولة جديدة لم يكن سببه الخوف من قوة الدولة كما كان يتوهم الترك فان العرب أقوى من اليونان والبلغار وغيرهما من الشعوب التي انفصلت من السلطنة العثمانية وصارت دولا مستقلة، ولم يكن سببه تفرق العرب وتعذر اتفاق امرائهم وزعمائهم كما يتوهم الكثيرون منهم ومن غيرهم فلو وجد هذا القصد لكان هو الجامع لهم ، ولا الجهل الضارب بجرانه في البلاد العربيه فان محمد علي الكبير لما غزا الدولة وكاد يفتتحها كلها لم يكن من علماء السياسة والاجتماع ولم يكن الشعب المصري على درجة عالية من العلوم والفنون التي تدفع الشعوب الى الفتح والاستعمار

وانما كان السبب الصحيح لسكون العرب وسكوتهم عن طلب استقلالهم وتجديد دولة لهم هو الاسلام وأوربة

دين الاسلام وسياسة دول أوربة سببان مستقلان أو سبب واحد مركب لكل من جزئيه تأثير خاص في صرف العرب العثمانيين عن السعي للاستقلال ، ولعله لو انفرد أي منهما لما صرفهم كلهم عن كل سعي واستعداد لذلك

أما الاسلام فقد أزال من أنفس العرب عصبية الجنسية الا من غلبت عليهم البداوة فانهم بما توارثوه من الغرائز والاخلاق لا يخضعون الا لسلطة رؤسائهم الذين من أبناء جنسهم بل من رؤساء عشائرهم . وأما من غلبت عليهم الحضارة فما زالوا يألفون سلطة الاعاجم من الملوك والسلاطين الذين يتولون أمرهم من قبل الخلفاء العباسيين ويحكمون بشريعتهم ويؤيدون لغتهم ويتركون لغاتهم اليها الى ان هان عليهم الخضوع لسلطة الاعاجم المصرّين على أعجميتهم الذين لا يستمدون سلطتهم من خليفة قرشي عربي وهم الترك ، بل هان عليهم ادعاء هؤلاء الاعاجم الخلافة

النبوية ورضوا بذلك واطمأنوا له لانه مع اشرافه على مجموعهم المتفرق من شاهق القوة العسكرية، قد أطل على قلوبهم من سماء الفتاوى الشرعية، وتسرب الى أفكارهم من باب المصلحة الاسلامية، ذلك بأن أكثرهم من المنتمين الى مذاهب علماء السنة الذين يوجبون طاعة المتغلب بالقوة، وان لم يكن حائزا لغير الاسلام من شروط الخلافة الشرعية، ومنها النسب القرشي باجماعهم، ومستندهم في ذلك رعاية المصلحة الراجحة وخوف الفتنة. على انهم مختلفون في عد رعاية المصلحة حجة، أو داخلة فيما ذكروه للقياس من مسالك العلة، ومختلفون في سد الذرائع أيضا. ولما كانت الزيدية لا تقول بطاعة المتغلبين، ولا بمصلحة تبيح ترك اشتراط النسب القرشي العلوي وشرط العلم الديني في أئمة المسلمين، (أي الخلفاء) لم يخضعوا لسلطان الترك ولا دانوا لحكمهم، بل ظلوا ينصبون الائمة الحائزين للشروط الشرعية في مذهبهم، ويقاتلون الترك الذين يتصدون لفتح بلادهم، ولم تستطع الترك ان تغلب أئمة اليمن على أمرهم، بل صالحوا إمامهم الامام يحيى منذ سنين قليلة وأقروه على امامته في قومه ووطنه بعد أن حاربوه وحاربوا سلفه أربع مئة سنة، على ان الامامة لا تتجزأ ولا تتعدد. والحق ان الباعث الاخير لاعتراف أكثر المسلمين بخلافة سلاطين الترك هو كونهم أمسوا حصنا لبقية البلاد الاسلامية في وجه أوربة

وليس من غرضنا هنا أن نبحث في الخلافة وشروطها وانما بحثنا هذا تاريخي اذا ذكرت فيه مسألة شرعية فانما تذكر على سبيل الاستطراد مختصرة بقدر الضرورة، ولم تكن مسألة الخلافة من مواضع بحث طلاب الاصلاح من العرب في السنين الاخيرة خلافا لاوهام الواهمين التي أثارها في مخيلاتهم لغط بعض الكتاب بها في عهد السلطان عبد الحميد لاجل استغلال وساوسه كما تقدم حتى صارت حكومته تمنع نشر كل كتاب من كتب الكلام والعقائد والحديث والتفسير تذكر فيه هذه المسألة. ومن أثر ذلك انه لما طبع كتاب المسايرة للكمال ابن الهمام وهو من أهم كتب العقائد عند الحنفية وكثير الرواج في الآستانة اضطر طابعه بمصر ان يطبع منه نسخا حذف منها بحث الامامة (الخلافة) لاجل بيعها في الآستانة وسائر البلاد العثمانية. وصار بعض الجاهلين في مصر يظن أن ذكر الشروط الشرعية للخلافة ولاسيما شرط النسب القرشي لا يصدر الا من عدو

للدولة وللاسلام أيضا. على أن هذا الشرط مذكور في الكتب العربية والتركية التي طبعت في الاستانة قبل تشديد الحكومة الحميدية في مراقبة المطبوعات وقد ذكر في بعض الكتب المصرية التي طبعت بعد الدستور ومنها كتاب لاسماعيل حقي بك بابان الاتحادي الذي كان مدرسا في مكتب الحقوق وصار ناظرا للمعارف

تكوين الترك للعصبية العربية

فهذا وجه صد الاسلام للعرب عن محاولة الاستقلال دون الترك ، وقد قلت مرارا انه لا يقدر أحد على اعادة هذه العصبية الى العرب أو اعادتهم اليها بعد ان أبعدم الاسلام عنها الا الآستانة أو تحامل الترك عليهم ببعث العصبية التركية.(١) وقد صدق الزمان هذا القول . واسس الاتحاديون بعصبيتهم التركية واضطهادهم للعرب بناء العصبية العربية أو أحيوها بعد موتها . فان هؤلاء الاتحاديين قد عرّسوا برجالات العرب وشبانهم في الآستانة وغيرها فعلموا من أقوالهم وأفعالهم في دُور الحكومة الرسمية ومدارسها وأندية الجمعية في البلاد العربية أن عزمهم على تتريك العرب كغيرهم بالقوة عزم ثابت لا يرجعون عنه وأنهم جازمون بسهولة تتريك بلاد سورية والعراق في سنين معدودة وما يعسر تتريكه الآن من جزيرة العرب يعد من المستعمرات يوضع له قانون خاص لادارته ولا يكون لاهله ما لسائر العثمانيين من الحقوق المنصوصة في القانون الاساسي . وقد أرسلوا طائفة من طلبة الترك الى أوربة لاجل درس قوانين الاستعمار

بهذا علم نبهاء العرب أن أمتهم ولغتهم عرضة للزوال من المملكة العثمانية — ولا يجهل أحد ان الدين الاسلامي يقوى بقوة لغته العربية ويضعف بضعفها ولا نقول أكثر من ذلك -- فتوجهت قلوب كثير منهم لتدارك الخطب وألفوا بعض الجمعيات لذلك ورأى الذين يتحرون هدي الاسلام في أعمالهم أن ما كان مانعا من إحياء الجنسية العربية قد زال وخلفه المقتضي لاحيائها، فقد كان المانع من ذلك اتقاء الشقاق

(١) أذكر أنني كتبت هذا غير مرة في المنار ولكنني لا أتذكر من مواضعها الا ما في ص٢٥٢ و٢٥٣ من المجلد الثالث عشر والعبارة فيه تدل على أنها مسبوقة، والا ما في ص٨٠ من المجلد التاسع عشر

بين العرب والترك وافضاء ذلك الى زوال الدولة واستيلاء الاجانب على بلادها ، وقد وقع ذلك من قبل الاتحاديين أي من قبل الدولة نفسها لانها في قبضتهم فلا معنى لاتقائه وقد حصل ، وخلفه المقتضي لاحياء هذه الجنسية وهو وجوب المحافظة على اللغة العربية والامة العربية شرعا . ولكن هذا قد يحصل بما دون استقلال العرب بأنفسهم دون الترك وان كان حصولا ضعيفاً فلم يكن باعثا على السعي الى تأليف دولة عربية بل الى طلب اصلاح اضطرب في تحديده أفرادهم وجماعاتهم وكان حزب اللامركزية أقصدها وأشدها اعتدالا

وما كان يخفى على أحد من هؤلاء أن مطالبهم معلقة بين الرجاء واليأس وان الحياة إنما هي حياة الاستقلال لاتحيا اللغة ولا ترتقي الامة بدونها ، ولكن دونها خرط القتاد اذ لا تحصل الا بثورة يصطدم بها الترك والعرب اصطداماً يخشى أن يضعف الفريقين وينتهي بزوال الدولة واقتسام أوربة لبلادها . ومن ذا الذي يقدم على حل هذه التبعة الثقيلة التي تئط من حملها الجبال الرواسي ؟ أيجهل أحد من طلاب الاصلاح العرب أن هدم آخر سلطة اسلامية مهما يكن سببه الحامل عليه لايعقب الساعي اليه والقائم به الا لعن مئات الملايين من المسلمين الى يوم الدين ؟

لهذا أجمع طلاب الإصلاح من العرب الذين يعتد برأيهم ، ويرجى تأثير عملهم ، على ان لا يكونوا سببا لسقوط الدولة وزوالها . ولا يسعوا الى ضررها ولا الى اضعافها ، وعلى أن يجعلوا همهم في اصلاح أنفسهم ، وعمارة بلادهم ، مع النصح للدولة والاخلاص لها ، وطلب حقوقهم التي أثبتها لهم القانون الاساسي فيها ، ليرتقوا ويستعزوا بأنفسهم فلا يسقطوا مع الدولة ان سقطت ، وتعتز الدولة وترتقي بارتقائهم ان بقيت ، وأن يكون جل سعيهم الى ذلك في مجلس الامة بواسطة مبعوثيهم

ثم طرأ على بعضهم اليأس من بقاء الدولة وقوي ذلك وكثر التفكر في عواقبه عند ما تغلب البلقانيون الدولة في الحرب وكادت دولة البلغار التي تم لها استقلالها في عهد الدستور تستولي على الآستانة ، وتحدثت جرائد أوربة بحقوق بعض الدول الكبرى في بلاد الدولة وخص بالذكر بعض الولايات العربية ، وطفق المفكرون يناجي بعضهم بعضاً : ماحيلتنا اذا أقدمت دولة قوية على الاستيلاء على بلادنا كما استولت

ايطالية على طرابلس الغرب و برقة وليس فيها شيء من أسباب الدفاع ولا يمكن الدولة ولا مصر أن تساعدها على مقاومة المحتلين كما ساعدتهما ،

صدعهم هذا اليأس بعد ان قوي رجاؤهم في الدولة بانتصار حزب الحرية والائتلاف على حزب الاتحاد والترقي وانتزاعه السلطة التنفيذية من يده ، ثم قوي ذلك اليأس واشتد بثورة الاتحاديين على وزارة كامل باشا وقتلهم لناظر الحربية في الباب العالي وتأليف وزارة جديدة منهم بقوة الثورة ، ولولا ان زعماء العرب كانوا مجمعين على المحافظة على الدولة مهما تكن حالها ، لبادروا عندذلك اليأس الشديد الى اضرام نار الثورة على الدولة والجهر بالاستقلال دونها، لعلمهم بأنه لم يبق عندها في ذلك الوقت سلاح ولا ذخيرة تدافع بهما عن عاصمتها، فكيف تقدر على تجريد عسكر يخمد نيران الثورة في البلاد البعيدة عنها ؟ ولكنهم لم يفعلوا ، ولم يكن الاسلام هو المانع لهم من التصدي لتأسيس دولة عربية وهم يائسون من بقاء الدولة التركية ومن اقامتها للاسلام ان بقيت والاتحاديون غالبون على أمرها، فان افتاء مذاهبهم بوجوب طاعة المتغلب خوف الفتنة التي ترجح مفسدتها على المصلحة لم يعد ينطبق على حالتهم مع الدولة ، ولكن المانع الحقيقي هو الخوف من أوربة أن تغتنم الفرصة وتستولي على البلاد

فتبين بهذا ان ماكان يصد زعماء العرب من المسلمين عن التصدي لتأسيس دولة عربية أمران : الاسلام والخوف من أوربة، وكان الرجحان في بعض الاحوال للاول وفي بعضها للثاني، ولكنهما كانا في عامة الاحوال والاوقات مانعا واحدا أو سببا واحدا مركبا من أمرين كل منهما يقوي الآخر

و بعد حرب البلقان أقدمت الحكومة الاتحادية على عقد الاتفاق بينها و بين الدول الكبرى على الاعتراف لهن بالنفوذ الاقتصادي في أعظم الولايات العربية ليقرضنها عشرات الملايين من الجنيهات، وصرح بعض كبار السياسيين في جرائد أوربة بأن مناطق النفوذ الاقتصادي تتحول الى مناطق نفوذ سياسي عند سنوح أول فرصة لذلك، فثبت عند زعماء العرب ان الاتحاديين شرعوا في تنفيذ ماهددوهم به من بيع بلادهم وترقية الترك بثمنها كما فعلوا ببيع طرابلس الغرب وبرقة، فاشتدت عزيمتهم على طلب الاصلاح وعقدوا المؤتمر العربي في باريس لذلك فذعرت الحكومة

الاتحادية ولجأت الى الحيلة والخداع لضعفها في ذلك الوقت وكان من أمر نتيجة المؤتمر ما هو معلوم من اعتراف جمعية الاتحاد ثم حكومتها ببعض حقوق العرب في الدولة ووعدها باعطائهم تلك الحقوق بالتدريج وخداعها للسيد عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر وتصديقه إياها بما وعدت به

الحرب الأوربية واستقلال الحجاز

ثم ظهرت بوادر الحرب الاوربية وعزم الدولة على الدخول فيها فبادرتُ الى كتابة مقالة نصحت فيها لاخواني العرب بالكف عن طلب الاصلاح في حال الحرب وتأييد دولتهم بالاجماع فكان لها تأثير عظيم. ولكن الاتحاديين لما دخلوا في الحرب وجعلوا الاحكام في المملكة عسكرية عرفية جعلوا ذلك وسيلة للتنكيل بالعرب والارمن حسب خطتهم المقررة منذ سنين فصلبوا في سورية جميع من عرفوا من المطالبين بالاصلاح من نابغي العرب ونفوا من البلاد أرباب البيوتات والثروة الكبيرة وصادروا أموال الناس وغلات أرضهم، وفعلوا مثل ذلك في العراق، ثم تحرشوا بالحجاز، فبادر الشريف أمير مكة المكرمة الى اعلان استقلال الحجاز بعد النصح لجمال باشا الحاكم العسكري الاتحادي المطلق في سورية وللحكومة الآستانة بالكف عن الفظائع في سورية والعراق فلم يقبل نصحه ، وانتهى أمر الشريف باعتراف دول الحلفاء باستقلاله التام وبما بايعه به أهل البلاد من جعله ملكا عليهم

وقد نشر الشريف قبل المبايعة منشورا بين فيه سبب قيامه مع الحجازيين بما قاموا به ففهمنا منه انه كان موافقا لما أجمع عليه من دونه من زعماء العرب من الرغبة في المحافظة على بقاء الدولة واتقاء ان يكون زوالها أو ضعفها من قبل العرب ، فان استقلال الحجاز الذي أنتجته الضرورات لا يمكن ان يكون سببا لزوال الدولة وهي داخلة في أحد الحلفين اللذين انقسمت اليهما دول أوربة الكبرى . فان النصر لأحد الحلفين على الآخر انما يكون بانتصاره عليه في أوربة، واستقلال الحجاز لا يقدم في ذلك ولا يؤخر ،ولكنه افاد العرب فوائد عظيمة فصدق عليه قولنا إما ان ينفع نفعا كبيرا أو صغيرا واما ان لا يضر. وقد ثبت عندنا ان استقلال الحجاز كان سببا لكف الاتحاديين عن محاولة ابادة العرب من سورية والعراق الآن وتخفيف ما كانوا شرعوا

فيه من المذابح والفظائع وكان هذا من أجلّ منافعه التي تربي على ما ترتب عليه من سفك الدم الذي اجتهدت الحكومة العربية الحجازية في اجتنابه بقدر الطاقة

عاقبة الحرب استقلال الشعوب

ثم طرأ بعد استقلال الحجاز أن أعلن دول الاحلاف أنهن قد اتفقن على حرية الشعوب واستقلالها في أمر حكومتها وذكروا العرب والارمن منها. وهذه قاعدة عادلة عظيمة الشأن اذا نفذت على وجهها الصحيح وكانت الدول كلها متضامنة في حفظها بما يتعاهدن عليه في مؤتمر الصلح، وأولها بعضهم بمعنى أن لا يحكم شعب الا بالطريقة التي يختارها لنفسه ، ولكن الوقوف على آراء الشعوب المغلوبة على حريتها متعذر في هذه الاوقات التي تخضع فيه للاحكام العسكرية، وقد علمنا ممن فر من سورية والعراق الى مصر والحجاز ومن أسراهم بمصران العداء بين العرب والترك قد عم وتمكن فلا مطمع في زواله ولم يبق في العرب من لا يرغب في الاستقلال دون الترك . ومن البديهي انه لا يوجد شعب في الدنيا يختار على الحرية والاستقلال شيئا إذا تيسرا له ، ولكن يوجد في كل أمة أفراد من عبيد المال ، ومن الجاهلين الذين يخدعون بزخرف الاقوال، فيمكن أن يستخدم من هؤلاء وأولئك بالترغيب والترهيب طائفة تقول ما تؤمر أن تقوله، ولا يمكن أن يكون اختيار هؤلاء للعبودية بتسميتها بغير اسمها حجة على الشعب، ولكن القوة تحتج على الضعف بما تشاء ، وانما يعرف رأي الشعوب في بلاد الحضارة من قبل أحزابها السياسية ، وليس للشعب العربي العثماني حزب سياسي عامّ الا (حزب اللامركزية) ويمكنه أن يبين رأي الشعب ان استطاع زعماؤه أن يعربوا عن آرائهم، وله جمعيات موضعية خاصة كجمعية الاتحاد اللبناني بمصر وأمريكة والنهضة اللبنانية في أمريكة فهي تمثل آراء جمهور اللبنانيين. والدول اذا أخلصت في تنفيذ هذه القاعدة تقررها وعند ما يجتمع زعماء كل أمة تنال استقلالا جديدا لتأسيس حكومتها العليا يعرف رأيهم في شكلها ؛ ولا يعرف معرفة صحيحة بغير ذلك . فاذا انتهت الحرب بذلك كانت عاقبتها على البشر خير العواقب . والله الموفق

مسألة استقلال الشعوب

نشر المقطم في العدد الذي صدر منه في ٢٣ شعبان (١٣ يونيو) مقالة عنوانها (الصلح الدائم وكيف ينال) قال فيها ما نصه :

وضعت روسية الدمقراطية على بساط البحث مسألة الغرض من الحرب الحاضرة في أواسط الشهر الماضي فحملت الدول المتحاربة على اعلان قصدها وغايتها، وحثت الامم الكبيرة والصغيرة على بسط آمالها وأمانيها، وكانت روسية أولى الدول التي أعلنت غايتها من الحرب فقالت انها لا تتوخى ضم الاملاك وتقاضي الغرامات الحربية وان غرضها الاساسي الوحيد انما هو ابرام صلح وطيد الاركان على أساس استقلال الامم الكبيرة والصغيرة وتحقيق آمالها القومية العادلة وتخويلها حقاً من أقدس حقوقها وهو ان تحكم نفسها بنفسها وتختار شكل الحكومة التي تلائم أخلاقها وعاداتها . وقام المسيو ريبو بعد ذلك فأعلن رغبة فرنسة في ابرم صلح عادل أساسه استقلال العناصر. ثم وقف في مجلس النواب الفرنسوي وقفته التاريخية المشهورة فجاهر في جلسة ٤ يونيو الحالي بأن فرنسة لا ترمي من هذه الحرب الآ الى استرجاع الالزاس واللورين اللتين سلختا عنها سنة ١٨٧١ رغم ادارة سكانهما ومنح الامم الكبيرة والصغيرة الاستقلال التام . ووافقت بريطانيا العظمى على قرار حليفتيها العظيمتين اذا كان مبدأ عدم ضم الاملاك وتقاضي الغرامات الحربية يعني رد المسلوب والتعويض من الخسارة التي نزلت بالامم التي اعتدي عليها

وقد وافانا روتر أمس بنص المذكرة الكبيرة الشأن التي أرسلها الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة الى روسية و بين فيها أغراض أميركا من هذه الحرب فقال « انها لا تروم الربح المادي ولا التوسع ولا تقاتل لجر مغنم ولكن لتحرير الشعوب في كل مكان ومساعدتها على النهوض والارتقاء في ظل الاستقلال من غير تسلط متسلط عليها، وان المشاكل الحاضرة يجب ان تسوى طبقاً لمبدإ واضح جلي وهو انه لا يصح اجبار شعب من الشعوب على ان يعيش في ظل حكم لا يريده ولا إجراء تعديل في السكون الا في ما يؤدي الى توطيد أركان السلام وسعادة الامم فيصير

اخاء البشر حينئذ حقيقة واضحة وقوة فعالة اصون الحياة من اعتداء المستبدين وطمع الطامعين »

هذه غاية الولايات المتحدة من الحرب وذلك هو الغرض الوحيد الذي وضعه الحلفاء كلهم نصب عيونهم وأعلنوا غير مرة عزمهم الاكيد على الوصول اليه مهما كلفهم الامر و بديهي أن الولايات المتحدة لم تخض غمار الحرب الحاضرة الا بعد ما اتفقت مع الحلفاء على تحقيق هذا المبدإ الشريف العادل فان المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسوية سابقا أرسل اليها باسم الحلفاء جميعهم مذكرة مسهبة في ٣ ديسمبر الماضي قال فيها أن للحرب الحاضرة ثلاثة أغراض (أولها) اعطاء الامم الكبيرة والصغيرة حريتها واستقلالها (وثانيها) نيل التعويض من الخسارة التي نشأت عن اعتداء ألمانية الفظيع (وثالثها) الحصول على ضمان واف لمنع وقوع الحرب في المستقبل

على هذا الاساس تم الاتفاق بين الحلفاء والولايات المتحدة ومن أجل هذه الغاية الشريفة فقط بذلت أمريكة رفاهية شعبها والاموال الطائلة التي كانت تنهال عليها من أوربة . فالمجد لها والفخر لرئيسها المعظم نصير الانسانية وحامل لواء الحرية والعدل في العالم اه

وجاء في المقطم الذي صدر في ٢٤ شعبان (١٤ يونيو) مانصه :

خطة روسية

دعا وزير خارجية روسية مندوبي الصحف الى مقابلته و بسط لهم خطة روسية الحاضرة وقال ما خلاصته :

ترمي روسية الجديدة الحرة الى ابرام الصلح العام في أقرب آن على أساس تحرير الامم وتخويلها حق انتقاء شكل حكوماتها وعدم ضم الاملاك وتقاضي الغرامات الحربية من الاعداء، وهي تتوخى من مواصلة الحرب أمرين (أولهما) الحصول على صلح شريف يزيل الضغائن والاحقاد من بين الامم المتحاربة (وثانيهما) استقلال الشعوب استقلالا تاما وجعلها قوة عظيمة لصون الحرية ومنع اعتداء المعتدين في المستقبل.

ان الخطأ الذي ارتكب في حرب السبعين لايجوز أن نرتكب مثله اليوم، فسكان الالزاس واللورين الذين سلخوا عن فرنسا رغم ارادتهم لم ينسوا وطنهم الاصلي الى

الآن وكانت مسألتهم من أهم اسباب الحرب الحاضرة لان الظلم لاينسى مهما تقادم عهده . لذلك ترى روسية الحرة أن تشيد الصلح المقبل على أساس العدل وحرية الشعوب الكبيرة والصغيرة

لاانكر ان الحكم السابق ارتبط بمعاهدات سرية مع بعض الدول وأن هذه المعاهدات أقلقت الديموقراطيين الروس لاعتقادهم بأنها ترمي الى التوسع وضم الاملاك فألحوا على الحكومة الموقتة في نشرها في الحال خوفاً من وقوع الشقاق بين أحزاب الامة ولكن هذا الطلب لايتفق مع مصلحة روسية لانه يؤدي الى قطع صلاتها بحلفائها واكراهها على ابرام صلح منفرد مع علمها أن الصلح الوحيد الذي يلائم مبادئها هو الصلح العام على أساس استقلال الامم الكبيرة والصغيرة استقلالا تاماً ، فالواجب على روسيا في هذه الحال أن تنسى الماضي وتنظر الى المستقبل فقط بعد الانقلابات العظيمة التي طرأت على الكون كالثورة الروسية ودخول الجمهورية الاميركية العظمى في الحرب . وهذه الانقلابات ستؤثر أعظم تأثير في دمقراطية الامم المتحالفة ولا سيما ان صلاتها بممثلي تلك الدمقراطية على أحسن مايرام. و بديهي أن مهمتي الاساسية في وزارة الخارجية هي التوفيق بين الدمقراطية الروسية ودمقراطية الامم الغربية على أساس يكفل السلم للعالم. ولكن تحقيق هذه المهمة يتعذر علينا اذا أحجمنا عن القيام بالعهود التي قطعناها لحلفائنا

أما مسألة ضم الاملاك فلا تخطر على بال أحد منا وليست المعارك التي نخوض غمارها الآن الا معارك دفاعية ترمي الى طرد العدو من البلاد التي احتلها في روسية والبلجيك وفرنسة وسربية ورومانية ونيل الامم الكبيرة والصغيرة حريتها واستقلالها

هذا كل ما أستطيع أن أقول الآن عن غرض روسية والخطة التي تنهجها لتحقيق آمالها وأمانيها ، انتهى

وجاء في المقطم الذي صدر في يوم السبت ٢٨ رجب (١٩ مايو)

غرض بريطانية العظمى من الحرب

لندن في ١٧ مايو

ان الخطبة التي خطبها اللورد روبرت سسل في مجلس النواب في الليلة البارحة

تعد هنا وفي سائر بلدان الحلفاء من أهم ما قيل في بيان غرض بريطانية العظمى من الحرب

فتح المستر سنودن باب المناقشة ورد اللورد روبرت سسل عليه فقال ان عبارة « عدم الضم » راجت كثيراً وتناقلتها الافواه . ثم شرع يطرق أبواب هذا الموضوع باباً فبابا واستهل البحث بذكر بلاد العرب فقال ليس في الدنيا رجل يشير علينا بأن نبذل نفوذنا لرد بلاد العرب الى تحت سلطة الاتراك (هتاف) ثم ان أعظم ضم لارمينية بأوسع معنى السيادة والامبراطورية يفيد شعبها الذي عانى الويلات والنكبات مما اقترفه الاتراك به من الجرائم وما يقال عن أرمينية يقال مثله عن سورية وفلسطين

ثم انتقل الى الكلام عن مستعمرات ألمانية في أفريقية فقال اننا لم نهجم على تلك المستعمرات لننقذ أهلها الاصليين من سوء الحكم ولكن أتريدون ان نعيدهم الى ألمانية بعد ما أنقذناهم منها ؟ فهتف المجلس له هتافا شديدا لما قال: ان بدني يقشعر اذا فكرنا في رد أولئك الوطنيين الى حكم الحكومه التي ارتكبت بهم ضروب القسوة

وماذا أقول عن بولندا وهل فيكم من يعترض على إنشاء مملكة بولندية مستقلة. وماذا أقول عن الالزاس واللورين وهل من يقول(؟) ان ألمانية بعدما أخذت ولايتين من فرنسة لا يجب ان تردهما اليها (هتاف) . وعندنا أيضا الولايات الايطالية الداخلة في حكم النمسا فهل توافق الحكومة البريطانية على عدم رد هذه الولايات الى ايطالية وسكانها من الايطاليين

ثم طرق اللورد روبرت باباً آخر من أبواب الموضوع وأشار الى عبارة « عدم عقد الصلح مع آل هوهنزلرن » فقال ان في هذه العبارة كثيرا مما يستصوب وهي مقبولة عند عامة البريطانيين ولكن الفطنة قد تقتضي بعدم اتخاذها قاعدة لتعريف سياستنا الوطنية

قال وقد سمعنا البعض يقولون «لاغرامة حربية» فهل يراد ان لاتعطى البلجيك غرامة؟ وماذا يكون نصيب سربيا وولايات فرنسة الشمالية؟ وهل يسعنا ان نغضي عن تعويض ما دمر من البواخر التجارية ؟ أما أنا فلست مستعداً للموافقة على ذلك

وعقبه المستر اسكويث فخطب خطبة كان لها وقع عظيم فقال ان عبارة « عدم الضم » التي وردت في بعض التصريحات الروسية لم تفهم تماماً لعدم وجود معجم واف للغة السياسة الدولية ولكني لا أعتقد أن زعماء روسية وحكامها المسؤلين استعملوها بغير المعنى الذي نسلم به نحن .

ولكن لضم البلدان أربعة معان مختلفة يمكن استعمالها لها (فالمعنى الاول) ان هذه الحرب اذا أريد ان تؤدي الى صلح وطيد الاركان فيجب ان تسفر عن ضم بعض البلدان لتحرير الشعوب الراسفة في قيود الظلم واغلال الاستبداد (هتاف) وهذا أمر مشروع والا فان الاغراض التي امتشقنا لاجلها الحسام في هذه الحرب لا تنال أو ينال جانب منها قط الا اذا قام الحلفاء حق القيام بعمل هذا التحرير بضم البلدان (هتاف) قال وإني واثق ان رجال حكومة روسية الجديدة لايحتجون على ضم البلدان اذا كان هذا هو الغرض منه

(والمعنى الثاني) يسري على البلدان التي تحوي جنسيات فصلت عن أصولها مثال ذلك بلاد الترنتينو فضمها (الى ايطاليـة) ضروري لراحة ضمير العالم المتمدن (هتاف)

ثالثا (كذا) ان الضم قد يكون من الامور المطلوبة لنقل ملك أو أرض لاجل الاحتفاظ بمواقع حربية تكون ضرورية لا للهجوم بل للدفاع ووقاية البلاد من هجوم في المستقبل

و يبقى (الوجه الرابع) أي الضم بمعنى فتح البلدان للتوسع والتبسط للسؤدد السياسي بالربح الاقتصادي وهذا أمر لا يلقى شيئا من التأييد في البرلمان البريطاني ولا في بريطانية العظمى ولا بين حلفائها (هتاف)

ومتى جلونا هذا الابهام فهل يبقى خلاف بيننا و بين أصدقائنا ديمقراطيي روسية على القواعد العامة التي يجب مراعاتها في الكلام عن الصلح ؟

أما أنا فلا أعتقد بوجود شيء من الفرق (اسمعوا اسمعوا) روتر

وجاء في المقطم الذي صدر في ٢١ رمضان (١٠ يوليو) ما نصه :

غاية الحلفاء من الحرب

رد فرنسة وانكلترة على المذكرة الروسية

أرسلت الحكومة الروسية للموقتة في شهر ابريل الماضي مذكرة خطيرة الشأن الى دول الحلفاء بسطت فيها غايتها من الحرب وألحت عليهم في اعلان أغراضهم الحقيقية منها . وقد نشرنا المذكرة الروسية في حينه ورأينا الآن أن نوافي القراء برد فرنسة وانكلترة عليها لما فيه من الدلالة على حسن نيات الحلفاء وسمو مبادئهم ونبل مقاصدهم وهو الجواب الذي وصل الى بتروغراد في أواخر شهر يونيو الماضي . قالت فرنسة في مذكرتها :

جواب فرنسة عن مذكرة روسية

« اطلعت حكومة الجمهورية الفرنسوية بارتياح عظيم على المذكرة التي سلمها اليها سفير روسية في باريس باسم الحكومة الموقتة وشاركتها في الثقة التامة بكل ما يتعلق بتحسين موارد روسية الاقتصادية وزيادة قوتها الحربية أو السياسية ثم رأت أن تعلن ما يأتي :

« ان فرنسة لم تفكر في استعباد شعب من الشعوب حتى أعدائها الحاليين ، ولكنها تريد أن يزول الخطر الذي يهدد السلم وأن يعاقب المجرمون الذين أضرموا نار هذه الحرب الهائلة وكانوا عارا على أعدائنا أنفسهم ، وهي تترك لاعدائها عواطف الطمع التي امتازوا بها في الحرب والسلم ولا تطلب من البلاد الا ما هو لها شرعا

« لقد ذهبت مساعيها السلمية أدراج الرياح واضطرت الى امتشاق الحسام دفاعا عن حريتها واستقلالها ورغبة في اكراه العدو على احترام استقلال الامم . فكما ان روسية أعلنت احياء مملكة بولندة القديمة المستقلة هكذا فرنسة تحيي بسرور عظيم كل المساعي الحرة التي تبذلها الامم المستعبدة

« ولا ترمي فرنسة في هذه الحرب الا الى غاية واحدة وهي انتصار الحق والعدل سواء قامت الامم لاعلان استقلالها ووحدتها واعادة سالف مجدها ومدنيتها أو لخلع نير العبودية عن عاتقها وهو النير الذي كان يهدد جميع الامم التي لم تبلغ مترلة الجرمان من الارتقاء الظاهري

« ولا تطالب فرنسة لنفسها الا تحرير الولايتين الفرنسويتين اللتين سلختاعنها بالقوة وهما الالزاس واللورين ولكنها تحارب مع حلفائها الى النصر الذي يعيد اليهم حقوقهم واستقلالهم السياسي والاقتصادي ويعيضهم من الخسارة التي نزلت بهم ويكفل لهم منع كل اعتداء يقع عليهم في المستقبل

« وتعتقد حكومة الجمهورية اعتقادا تاما كاعتقاد الامة الروسية ان هذه المبادئ العادلة هي المبادئ الوحيدة التي يجب أن يضعها الخلق نصب عيونهم لابرام صلح دائم على أساسي العدل والحق

« فعلى الحكومة الموقتة أن تثق ثقة تامة بمبادئ الحكومة الفرنسوية وتعلم أنها مستعدة للاتفاق معها ليس فقط على التدابير اللازمة لمواصلة الحرب بل على طرق الانتهاء منها أيضا بشكل يتفق مع الغاية التي خضنا غمار الحرب من أجلها» انتهى.

قرار مجلس نواب فرنسا

ثم شفعت الحكومة الفرنسوية هذه المذكرة بالقرار الخطير الشان الذي أصدره مجلس نواب فرنسة في جلسته التاريخية في ٥ يونيو ونقلته الينا التلغرافات الخصوصية والعمومية في حينه [المنار وهذه ترجمته :]

باريس في ٥ يونيو

هذا نص قرار الثقة بالحكومة الذي وضعه مجلس النواب الفرنسوي : —

ان مجلس النواب الذي يعبر رأساً عن سلطة الشعب الفرنسوي يرسل الى الدمقراطية الروسية وسائر دمقراطيات الحلفاء التحية والسلام

ان مجلس النواب يؤيد الاحتجاج الاجماعي الذي قدمه مندوبو الالزاس واللورين المسلوختين عن فرنسة الى الجمعية الوطنية في سنة ١٨٧١ ويجاهر بأنه ينتظر ان هذه الحرب التي أكرهت ألمانية المحبة للفتح سائر بلدان أوربة على خوض غمارها لا تؤدي الى تحرير الولايات التي اكتسحها الالمان فقط بل الى رد الزاس واللورين الى وطنهما الاصلي وتعويض فرنسة مما أصابها من الضرر والخسارة

ان مجلس نواب فرنسة لا يفكر في فتح البلدان واخضاع شعوب أخرى ولكنه

ينتظر ان يؤدي جهاد جيوش الجمهورية الفرنسوية وجيوش حلفائها الى سحق الروح العسكري البروسي والحصول على ضمان وطيد لاستقلال الشعوب الكبيرة والشعوب الصغيرة

والمجلس واثق بأن الحكومة تكفل احراز هذه النتائج بالتعاون العسكري والسياسي مع حلفائنا — روتر

جواب انكلترة عن مذكرة روسية

وأرسلت الحكومة البريطانية المذكرة التالية الى حكومة روسيا وهي : —

« تلقت الحكومة البريطانية المذكرة التي سلمها اليها معتمد روسية في لندن وتضمنت أغراض روسية من الحرب الحاضرة

« وقد ورد في المنشور الذي أعلن على الشعب الروسي ووصل الينا مع المذكرة أن روسية لا تتوخى سيادة الامم الاخرى والاعتداء على أملاكها القومية واحتلال بلادها بالقوة فالحكومة البريطانية تشارك الحكومة الموقتة في مبادئها وتعلن أنها لم تخض غمار الحرب من أجل التوسع والفتح وانما خاضت غمارها في بدء الامر دفاعا عن كيانها ورغبة في اكراه المعتدين على احترام المعاهدات الدولية . أما الآن فقد صار لها غاية أخرى وهي تحرير الامم التي تئن من جور الاستبداد الاجنبي .

« وقد قابلت الحكومة البريطانية بسرور عظيم عزم روسية على تحرير بولندا التي تحت حكمتها الاتقراطية الروسية وبولندا التي تئن من جور الاستبداد الجرماني فالدمقراطية البريطانية تحيي روسية وتتمنى لها النجاح في هذه المهمة من صميم فؤادها

« ويهمنا قبل كل شيء أن نجد طريقة حسنة لحل المشاكل الحاضرة حلا يكفل للامم سعادتها وهناءها ويستأصل جراثيم الحروب المقبلة من العالم

« والحكومة البريطانية تنضم الى حلفائها الروسيين من صميم فؤادها وتقبل معهم المبادىء السامية التي أعلنها الرئيس ولسن في خطبته الشهيرة في مجلس الامة الاميركية

« هذه هي الغاية التي تحارب الامم البريطانية من أجلها وتلك هي المبادىء التي تسير عليها في سياستها التي لها صلة بالحرب

« وتعتقد الحكومة البريطانية ان الاتفاقات التي أبرمتها مع حلفائها في الماضي

لا تناقض هذه المبادىء ومع ذلك فانها تقبل أن تعيد النظر فيها اذاشاءت الحكومة الروسية ذلك وأن تعدل بعض موادها اذا اقتضت الحال » انتهى

وجاء في المقطم الذي صدر في ١٨ رمضان (٧ يوليو)

﴿ الحلفاء واستقلال الامم ﴾

أرسلت الحكومة الروسية مذكرة الى دول الحلفاء بسطت فيهاغايتها الحقيقية من الحرب وطلبت منهم أن تعرف الغاية التي يتوخونها هم أيضا فأجابتها فرنسة بمذكرة طويلة قالت فيها انها لاترمي الا الى استرجاع الالزاس واللورين ومنح الامم الكبيرة والصغيرة استقلالها التام ثم شفعت هذه المذكرة بالقرار الذي أصدره مجلس نواب فرنسا في ٥ يونيو الماضي

وقالت انكلترة في ردها على المذكرة الروسية انها خاضت غمار هذه الحرب دفاعا عن كيانها ورغبة في اكراه الآخرين على احترام المعاهدات الدولية . أما اليوم فصارت ترمي الى غاية ثالثة وهي تحرير الامم التي تئن من جورالاستعباد الاجنبي فانكلترا في هذه الحال توافق على المبادىء السامية التي جاهر بها الدكتور ولسن وأعلنتها الدمقراطية الروسية وهي مستعدة لاعادة النظر في المعاهدات التي أبرمتها مع روسية وسائر حلفائها

وقد قابلت الصحف الروسية هاتين المذكرتين بارتياح عظيم اذا استثنينا الصحف الثورية والمتطرفة والداعية الى الصلح . فقالت جريدة نوفوفريميا ما خلاصته : —

لا يمكننا ان نزيد حرفاً واحداً على جواب الحلفاء عن مذكرتنا فهو في غاية الوضوح في ما يتعلق بخطة الفتح الذي يتهمهم أعداؤنا بها

وقد أعلن حلفاؤنا غايتهم الحقيقية من الحرب فاذا هي غاية روسيا وغاية اميركا حليفتنا الجديدة . انتهى

وقالت « البورص غازت » انجواب الحلفاء أرضى روسية الدمقراطية وأكد لها أن دمقراطيات العالم كله متفقة على الدفاع عن استقلال الامم وسحق الاستبداد البروسي

(استقلال ألبانيا)

رومية في ٤ يونيو — صدر منشور في ارجيرو كسترو يوم ٣ يونيو باستقلال البانيا وتوحيدها كلها تحت حماية ايطاليا — روتر

رومية في ٤ يونيو

هذا بعض نص المنشور باعلان الحماية الايطالية على البانيا وهو بامضاء الجنرال فريرو :

« أيها الالبانيون انكم بهذا القرار سيصير لكم معاهد حرة وجنود ومحاكم ومدارس يديرها أبناء قومكم ويتيسر لكم ان تدبروا أملاككم وتجنوا ثمرة تعبكم لانفسكم ولزيادة خير بلادكم وإسعادها

« أيها الالبانيون انكم أينما كنتم سواء في بلادكم الحرة الآن أو فارين في سواها من البلدان أو كنتم خاضعين لحكم أجنبي يمتن عليكم بالمواعيد الكثيرة ولكنه في الحقيقة يسلبكم ويعاملكم بالشدة أنتم سلالة جنس عريق نبيل تربطكم عدة قرون من التقاليد القديمة بحضارة رومية والبندقية . انكم لا تجهلون اشتراك المصلحة بين الايطاليين والالبانيين في البحار التي تفصل بيننا والتي وحدت بيننا أيضاء انكم لحسن النية واليقين تعتقدون بحسن مصير وطنكم المحبوب فأنتم تقفون الآن في ظل راية ايطاليا والبانيا وتحلفون يمين الاخلاص الابدي لالبانيا المستقلة التي تنادي بها اليوم باسم ايطاليا وتتمتعون بصداقة ايطاليا »

وقد تلي هذا المنشور على جمهور كبير من ألباني ارجيرو كسترو فقابلوه بالحماسة ونشر في سواها من الجهات التي تحت ادارة الايطاليين والقى الطيارون نسخا منه في البلاد الواقعة وراء فوجوزا — روتر

(المنار) هذا وان البرقيات العامة نقلت الينا أن روسية الحرة لم تعترف بهذا الاستقلال بل صرحت بأن مؤتمر الصلح هو الذي يفصل في أمرها

ومن تأمل أجوبة الحلفاء كلها رأى ان جواب فرنسة أبعدها عن مظان التأويل وأقربها الى مقصد المذكرة الروسية ، ولما كان المعهود في السياسة ان يكون لكل كلام ظاهر وباطن وان يكون ظاهره محتملا للتأويل كتب أحد كتاب فرنسة الاحرار (المسيو اولار) مقالة في الموضوع الذي نبحث فيه لخصتها جريدة المقطم في العدد الذي صدر منها يوم الجمعة ١٣ يوليو (٢٤ رمضان) بما يأتي :

غرض فرنسا من الحرب

من مقالة للمسيو اولار

انشأ المسيو اولار الكاتب الفرنسوي الشهير مقالة شائقة في جريدة «البابي» (الوطن) الباريسية بسط فيها غاية فرنسة من الحرب والاغراض الحقيقية التي ترمي اليها . والمسيو اولار من أعظم الكتاب الفرنسويين وأشدهم تأثيرا في الرأي العام وأكثرهم خبرة بشؤون الشرق الادنى ولا سيما سورية التي زارها لآخر مرة سنة ١٩٠٧ وأسس فيها مدرسة بيروت العلمانية ومدرسة دمشق للبنات . وهو استاذ التاريخ في جامعة السوربون وصاحب المؤلفات العديدة عن الثورة الفرنسوية ومن زعماء الماسون والرئيس لاكبر الجمعيات التعليم العلماني في فرنسا لذلك رأينا ان نلخص مقالته للقراء لما فيها من الدلالة على اغراض الامة الفرنسوية من هذه الحرب وسمو مبادئها ونبل مقاصدها ورغبتها الاكيدة في مواصلة الحرب الى النصر قال :

« خاضت الولايات المتحده غمار الحرب ودخلت الثورة الروسية في دور جديد في الاسابيع الاخيرة فأحدث ذلك تأثيرا عظيما في العالم ظهرت نتائجه الاولى في انقشاع الغيوم المتلبدة في جو سياسة الحلفاء

« وقد وقعت هذه الايام حوادث سياسية لها مغزى عظيم واضح فأعلن المسيو ريبو رئيس الوزارة الفرنسوية في مجلس النواب بعد اتفاقه مع الحكومات المتحالفة [انه لا يمكن ان تكون لنا خطة سرية غير الخطة الصريحة التي يعرفها العالم كله وان في التلاعب بالوجدان الوطني خطرا عظيما يؤدي الى أعظم النكبات] فالمسيو ريبو انس من نفسه هذه الجرأة الادبية التي حملته على هذا التصريح الخطير الشان بعد ما أبدت الدمقراطيتان الاميركية والروسية آراءهما في الامر واعربتا عن عدم رضائهما عن السياسة السرية

« هذا واننا نرى من جهة أخرى ان الجنود الفرنسويين الذين يقاسون ضروب الشقاء ويريقون دماءهم الزكية في الخنادق دفاعاً عن الوطن العزيز يريدون ان يعلموا الغاية الحقيقية التي يقاسون الشقاء ويقتحمون الاخطار للوصول اليها . لا مشاحة في انهم يعلمون ان غرضهم الوحيد من الحرب الحاضرة طرد العدو من البلاد التي

اجتماعها وتحرير العناصر من ربقة الاستعباد ولكنهم يخشون ان تكون هنالك سياسة سرية وراءها مقاصد فتح ومطامع استعمار تحت ستار العدل والحق وان يتخذ ذلك حجة لتحقيق الاحلام القديمة التي منشأها الغرور وغاياتها استعباد الامم

ان الفرنسويين قاطبة يحاربون الى النهاية من أجل فرنسا والالزاس واللورين ويريقون آخر نقطة من دمهم لانقاذ البلجيك التاعسة من مخالب العدو ولكنهم لا يقبلون بوجه من الوجوه ان تكون غايتهم من الحرب فتح آسيا الصغرى وتحقيق مشروع استعماري بعيد تخفيه الحكومات اه

[المنار] ان الذكي الفطن يفهم من هذا التلخيص ما وراءه فعسى ان تنتهي هذه الحرب بما يحبه — مثلنا — هذا الكاتب الحر بتحقيق آمال المستضعفين وتحرير الشعوب أجمعين »

الترك والعرب . وهل يكونان كالنمسة والمجر

نشر المقطم في ٥ شوال مقالة أرسلها اليه ابراهيم افندي النجار من باريس شرح فيها ما أحدثته الثورة الروسية ودخول الولايات المتحدة في الحرب من الروح الجديدة في سياسة العالم وأشار فيها الى ما بين قاعدة أحرار الروس ومرامي الرئيس ولسون وبين تنفيذ فكرتهما من العقبات وذكر تأثير ذلك في الدولة العثمانية فقال ما نصه :

« وقد اتصل بي هذين اليومين خبر كبير الاهمية اذا صدقت الرواية وصدق راويها وهو ان هذه الفكرة التي سبقت الاشارة اليها مشت شرقاً ووقفت في فروق (الآستانة) ففكر أصحاب الحل والعقد فيها في انشاء السلطنة العثمانية على الاساس الثنائي من الترك والعرب كما قامت امبراطورية النمسا على أساس سلطة النمسويين والمجريين . وان الحكومة شارعة في تعديل القانون الاساسي على هذا المبدأ . قرأت هذا الخبر الذي رواه لي مخبري في سويسرا ووقفت عنده وقفة الحائر في نقضه وتصديقه. الاول لانه لاينطبق على سياسة غلاة الترك العنصرية والله أعلم بما أعرف من خبايا نياتهم وبما يضمرون . والثاني لان القوم ضاقوا ذرعاً في هذه الحرب وعلموا ان عاقبتها ستكون وبالا عليهم وان نهايتها ستكون على حسابهم وعرفوا مبادىء الثورة

الروسية والرئيس ولـن كا عن [illegible] في برلين وفينا في النصح لهم بالتخفيف من غلوائهم فرأوا من الحكمة أن يفعلوا مختارين ما تحملهم القوة القاهرة على قبوله واقراره . والذي يعلم كيف أعلن مدحت باشا القانون الاساسي الاول يوم كان سفراء الدول مجتمعين في الطوبخانة في الاستانة لتبادل الرأي في كيفية حمل الدولة على الاصلاح يعرف مسالك الترك في هذه المآزق ويتبين له وجه الشبه التام بين اليوم والبارحة. لهذا السبب ملت الى تصديق الرواية وان كنت لا أجزم بصحتها » اه

المجمع اللغوي المصري (*)

لقد تم تأليف هذا المجمع في دار الكتب السلطانية وهذا هو القانون الذي وضعه لبيان أعماله اللغوية وأنظمته الداخلية

عملاً بالمادة الثانية من القانون المتضمنة تأليف لجان لوضع مصطلح كل علم أو فن قد قرر المجمع في جلسته المنعقدة يوم أول يونيو سنة ١٩١٧ تأليف اللجان الآتية والفت فعلا وهذه هي أسماؤها

١ لجنة الجغرافيا والتاريخ والآثار والملابس والاواني والملاحة والتجارة
٢ لجنة الطب والعلوم الطبيعية عدا علم النبات
٣ لجنة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية
٤ لجنة الفقه والقانون
٥ لجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة والزراعة وعلم النبات
٦ لجنة اصطلاحات الدواوين

أما أعضاء المجمع فهم الآتية أسماؤهم وقد رتبت بحسب الترتيب الابجدي بالحروف الاولى فيها

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر رئيس المجمع وحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وكيل وحضرات

(*) هذا ما نشره كاتب سر المجمع في الصحف وقد بين المنار سبب تأليف هذا المجمع في المجلد ١٩

احمدلطفي السيد بك مدير دار الكتب السلطانية كاتب السر والسيد محمد البلاوي وكيل دار الكتب مساعد كاتب السر وحضرات الشيخ أحمد ابراهيم والشيخ أحمد الاسكندري وأحمد براده بك وأحمد تيمور بك وصاحب السعادة أحمد زكي باشا وأحمد سليمان بك والدكتور أحمد عيسى بك وأحمد كمال بك واسماعيل رأفت بك وحفني ناصف بك وعبد الحميد فتحي بك وعبد الحميد مصطفى بك وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعه وعثمان فهمي بك والدكتور فارس نمر ومحمد أمين واصف بك والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد شريف سليم ومحمد عاطف بركات بك والشيخ مصطفى المناني والدكتور يعقوب صروف وهذه صورة قانون المجمع

الفصل الاول — في غرض المجمع

المادة الاولى — غرض هذا المجمع خدمة اللغة العربية وخصوصا وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات

المادة الثانية — يكلف المجمع لجاناً أو أفرادا جمع مصطلح كل علم أو فن على حدته ولكل لجنة أوفرد ان يطلب من المجمع ان يدعو الى الانضمام اليه من يرى دعوته من الاختصاصيين ويعرض ما تم من ذلك على المجمع لبحثه وتقرير ما يراه واذا تم جزء صالح للنشر جاز نشره على حدة قبل اتمام المعجم

المادة الثالثة — للمجمع ان يزيد في اللغة للضرورة ويراعي في الزيادة دفع الحرج

المادة الرابعة — يستبدل بالكلمة العامية أوالاعجمية التي لم تعرب من قبل غيرها من الالفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها فاذا لم يهتد المجمع الى كلة عربية وضع كلة عربية للدلالة عليها أو أقر الكلمة العامية أوعرب الكلمة الاعجمية مع مراعاة المادة الثالثة

المادة الخامسة — يكون وضع الكلمات بطريق المجاز أوالاشتقاق أو النحت أو غير ذلك مما يقع اجماع على منعه ويفضل الاخذ من الكلمات المهجورة تقليلا للاشتراك المستعمل

المادة السادسة — تذكر الكلمات من المعجم بمعانيها القديمة ويضاف اليها ما يستعملها في المعاني الجديدة التي يقرها المجمع وينبه على ماكان من وضع المجمع

الفصل الثاني — في أعضاء المجمع

المادة السابعة — يؤلف المجمع من ثمانية وعشرين عضواً منهم ثلاثة يعرف أحدهم

اللغة العبرية والثاني الفارسية والثالث السريانية زيادة على معرفة كل منهم للغة العربية

المادة الثامنة — متى خلا مركز أحد الاعضاء فلكل عضوين ان يرشحا خلفاً وتعرض أسماء المرشحين ثم يدور عليهم الانتخاب على حسب المادة الثالثة عشرة ويشترط في قبول المرشح ان ينال انتخاب ثلثي الاعضاء الحاضرين على الاقل

المادة التاسعة — للمجمع ان ينتخب أعضاء مراسلين بالطريقة التي ينتخب بها الاعضاء ويكون لهم حضور الجلسات وليس لهم أصوات في القرارات .

المادة العاشرة — من اعان المجمع من أعضائه المراسلين أو غيرهم اعانة لغوية يعتدبها ذكر اسمه في ثبت واضعي المعجم

الفصل الثالث — في ادارة أعمال المجمع

المادة الحادية عشرة — تقوم بالاعمال الادارية للمجمع لجنة مؤلفة من الرئيس والوكيل وكاتب السر ومساعده

المادة الثانية عشرة — ينتخب أعضاء اللجنة من بين أعضاء المجمع لمدة سنة. ويجوز اعادة انتخابهم

المادة الثالثة عشرة — يكون الانتخاب بالاقتراع السري وبالاغلبية المطلقة للاعضاء الحاضرين في جمعية عمومية يحضرها ثلثا الاعضاء على الاقل فان لم يحضر ثلثا الاعضاء تم الانتخاب في الجلسة التالية مهما كان عدد الاعضاء فيها

المادة الرابعة عشرة — يدير الرئيس أعمال المجمع ويدعو لجانه ويقدم اليها موضوعات البحث ويهيمن على تنفيذ قرارات المجمع . وهو عضو بالقانون في كل لجنة من لجان المجمع يشترك مع أيها شاء

المادة الخامسة عشرة — يقوم الوكيل مقام الرئيس عند غيابه في كل ماله من الحقوق وعليه من الواجبات

المادة السادسة عشرة — على كاتب السر ومساعده تحرير محاضر الجلسات وتسجيلها في سجل خاص بعد التصديق عليها وهما مكلفان بمراسلات المجمع وحفظ أوراقه ونشر أعماله التي يتقرر نشرها

الفصل الرابع — في نظام الجلسات

المادة السابعة عشرة — ينعقد المجمع مرتين في كل شهر على الاقل ويجتمع فوق العادة بناء على طلب يكتبه خمسة من أعضائه أو بناء على طلب الرئيس

المادة الثامنة عشرة — يعين المجمع في شهر اكتوبر من كل سنة الايام التي ينعقد فيها كل شهر الى نهاية شهر مايو

المادة التاسعة عشرة — اذا لم يستطع أحد الاعضاء حضور جلسة فيجب ان يعتذر وتتلى الاعتذارات عند افتتاح الجلسة

المادة العشرون — كل عضو غاب أكثر من ست جلسات متواليات من غير عذر يقبله المجمع يعتبر مستقيلا و يستبدل به غيره بالانتخاب

المادة الحادية والعشرون — في غير الاحوال المنصوص عليها يكون الاجتماع صحيحا متى حضره ربع الاعضاء

المادة الثانية والعشرون — للمجمع ان يستعين باختصاصيين يدعوهم لحضور جلساته عند النظر في البحوث المتعلقة بمعارفهم الخاصة

المادة الثالثة والعشرون — تعقد الجلسات برئاسة الرئيس أو الوكيل عند غيابه اذا غاب كلاهما انعقدت الجلسة برئاسة أكبر الحاضرين سناً

المادة الرابعة والعشرون — في غير الاحوال المنصوصة في القانون تكون قرارات المجمع بالاغلبية النسبية

المادة الخامسة والعشرون — للمجمع ان يعيد المناقشة في قرار سابق اذا طلب ذلك ثمانية من الاعضاء

الفصل الخامس — أحكام تكميلية

المادة السادسة والعشرون — لا يجوز تغيير مادة من هذا القانون الا بطلب مكتوب يقدمه خمسة من الاعضاء مبينة فيه أسباب التغيير يقرأ في المجمع ثم ينظر في الجلسة التالية ولا يكون التغيير صحيحا الا اذا اتفق عليه سبعة عشر عضواً

المادة السابعة والعشرون — كل خلاف يقع في تفسير مادة من مواد القانون يعرض على المجمع لتقرير ما يتبع في ذلك

[illegible] العربية كتبت في العام الماضي وأشرنا اليها في تقريظ جريدة القبلة ج٦ ١٩٠ التي صدر في ٣٠ المحرم سنة ١٣٣٥ ثم حذف منها وزدنا في آخرها ذكر استقلال الشعوب

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ فسخ عقد النكاح بالعيب في احد الزوجين ﴾

(س٣) من صاحب الامضاء في العلاقمة بالشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

الى القائم بأمر ربه المعتضد بحجة الله البالغة صاحب مجلة المنار

ارفعه مستفتيا فضيلتكم بعد حمد الله حق حمده والصلاة والسلام على خير عباده سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه وتحية الله وسلامه عليكم : أيها الاستاذ النبيل السيد السند :

ياصاحب الفضيلة بينما نقرأ ما يتعلق بالمرء وزوجه من بقاء النكاح وفسخه في الكتب التي للائمة الثلاثة الشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم : اذ رأينا فيها أنه ليس لاحد الزوجين أن يفسخ النكاح لعيب بالآخر الا بالجنون والجزام والبرص و يسميها الائمة ومن تبعهم العيوب المشتركة فتوقفنا في حصر العيوب المشتركة التي يفسخ بها النكاح في الثلاثة الآنفة الذكر مع وجود مايماثلها فى الضرر بل ربما كان أشد وأولى مما ذكروا بالفسخ كالسل والزهري وغيرهما من الادواء المستحدثة و بعد البحث والتنقيب لم نعثر على قول لا فى الكتب التى بأيدينا ولا ممن سألنام ممن يظن فيهم انهم لايتقيدون بما تقع عليه أبصارهم من المنصوص فبعثنا اليكم بتلك الرسالة مستفتين : هل تجري الادواء المستحدثة مجرى مانصوا عليه لمشاركتها له فى

علة الحكم فتكون مقيسة عليه فيفسخ بها النكاح أو يقف الأمر عند حد المنصوص وهنا تساءل أيّ فرق بينها وبينه ؟ واذا كان مانص عليه الفقهاء مأخوذا من دليل فما هو ؟ هذا مانرجو أن تجيبوا عنه بفصل القول الذى نعهده فيكم ويعهده العقلاء أجمع أمدكم الله بالعلم النافع وهدانا الله وإياكم الى مايوصلنا الى مرضاته وسلوك سبيله القويم أنه سميع قريب عليم

احمد عطية قوره من الملاقه

(ج) ليس في هذه المسألة نص صريح فى الكتاب ولا في السنة الصحيحة وحديث زيد بن كعب بن عجرة الآتي فيه مقال وليس فيه تصريح بالفسخ لاجل البرص . ولكن فيها آثارا عن بعض الصحابة والتابعين مستندة الى اصول الشريعة الثابتة من منع الغش ونفي الضرر والضرار وحينئذ لاوجه لحصر العيوب فيما ورد في تلك الآثار اذ لادليل على الحصر وان ورد عن بعضهم عبارة فيه فتلك العبارة ليست مما يحتج به من ذكرتم من الفقهاء كما يعلم من أصولهم ، ومذاهبهم ليست متفقة كما ادعيتم . وقد حرر المسألة العلامة المحقق ابن القيم فى كتابه زاد المعاد في فصل مستقل قال :

﴿ فصل ﴾

في حكمه صلى الله عليه وسلم وخلفائه في أحد الزوجين يجد بصاحبه برصا أو جنوناً أو جذاما أو يكون الزوج عنّينا

في مسند أحمد من حديث يزيد بن كعب بن عجرة [1] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة من بنى غفار فلما دخل عليها فوضع [2] ثوبه وقعد على الفراش أبصر بكشحها بياضا فانحاز [3] عن الفراش ثم قال « خذي عليك ثيابك » ولم يأخذ مما آتاها شيئا . وفي الموطإ عن عمر رضي الله عنه : أنه قال أيما امرأة غرّ بها رجل بها جنون أو جذام أو برص فلها المهر بما أصاب منها وصداق

---

(١) كذا في نسخة الكتاب المطبوعة بمصر الكثيرة الغلط وهو غلط صوابه زيد بن كعب ابن عجرة كما في سنن سعيد بن منصور وقد شك في المسند فقال عن جميل بن زيد قال حدثني رجل من الانصار ذكر انه كان له صحبة يقال له كعب بن زيد أو زيد بن كعب . ومثله عند ابن عدي والبيهق . ورواه الحاكم المستدرك من حديث كعب ابن عجرة ولم يشك . وجميل ابن زيد ضعيف وقد اضطرب في هذا الحديث وقال الحافظ ابن حجر مجهول (٢) في النسخة المذكورة وضع (٣) وفيها فأماز

الرجل على من غره [١] وفي لفظ آخر قضى عمر رضي الله عنه في البرصاء والجذماء والمجنونة اذا دخل بها فرق بينهما والصداق لها بمسيسه اياها وهو له على وليها . وفي سنن أبي داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما طلق عبد يزيد أبو ركانة [٢] زوجته أم ركانة ونكح امرأة من مزينة فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما يغني عني الا كما تغني هذه الشعرة لشعرة أخذتها من رأسها ففرق بيني وبينه ، فأخذت النبي صلى الله عليه وسلم حمية فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له «طلقها ففعل قال «راجع امرأتك ام ركانة واخوته» فقال اني طلقتها ثلاثًا يارسول الله قال «قد علمت راجعها» وتلا (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) ولا علة لهذا الحديث الا رواية ابن جريج له عن بعض بني أبي رافع وهو مجهول ولكن هو تابعي وابن جريج من الائمة الثقات العدول ورواية العدل عن غيره تعديل له مالم يعلم فيه جرح، ولم يكن الكذب ظاهرا في التابعين ولاسيا التابعين من أهل المدينة ولا سيما موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاسيما مثل هذه السنة التي اشتدت حاجة الناس اليها ، لا يظن بابن جريج انه حملها عن كذاب ولا عن غير ثقة عنده ولم يبين حاله

«وجاء التفريق بالعنة عن عمر وعثمان رضي الله عنهما وعبد الله ابن مسعود وسمرة بن جندب ومعاوية بن أبي سفيان والحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم لكن عمر وابن مسعود والمغيرة رضي الله عنهم أجلوه سنة وعثمان ومعاوية وسمرة رضي الله عنهم لم يؤجلوه والحرث بن عبد الله رضي الله عنه أجله عشرة أشهر. وذكر سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنبأنا عبد الله ابن عوف عن ابن سيرين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث رجلا على بعض السعاية فتزوج امرأة وكان عقيما فقال له عمر رضي الله عنه : أعلمتها انك عقيم ؟ قال لا . قال فانطلق فاعلمها ثم خيرها ،وأجل مجنونا سنة فان أفاق والا فرق بينه و بين امرأته

«فاختلف الفقهاء في ذلك فقال داود وابن حزم ومن وافقهما لا يفسخ النكاح

---

(١) عزاه الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام الى سعيد بن منصور ومالك وابن أبي شيبة ثم قال ورجاله ثقات وروى سعيد أيضا عن علي نحوه وزاد : وبها قرن فزوجها بالخيار فان مسها فله المهر بما استحل من فرجها (وسيأتي) (٢) في السنن زيادة واخوته أي وأبو اخوة ركانة

بعيب البتة ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا يفسخ الا بالجب والعنة خاصة . وقال الشافعي ومالك يفسخ بالجنون والبرص والجذام والقرن والجب والعنة خاصة . وزاد الامام احمد عليهما أن تكون المرأة فتقاء منخرقة ما بين السبيلين ، ولاصحابه في نتن الفرج والفم وانخراق مجرى البول والمني في الفرج والقروح السيالة فيه والبواسير والناصور والاستحاضة واستطلاق البول والنجو والخصي وهو قطع البيضتين والسل وهو سل البيضتين والوجء وهو رضهما وكون أحدهما خنثى مشكلا والعيب الذي بصاحبه مثله من العيوب السبعة والعيب الحادث بعد العقد وجهان . وذهب بعض أصحاب الشافعي الى رد المرأة بكل عيب ترد به الجارية في البيع، وأكثرهم لا يعرف هذا الوجه ولا مظنته ولا من قاله وممن حكاه أبو عاصم العبادي في كتاب طبقات أصحاب الشافعي ؛ وهذا القول هو القياس أو قول ابن حزم ومن وافقه . وأما الاقتصار على عيبين أو ستة أو سبعة أو ثمانية دون ما هو أولى منها أو مساو لها فلا وجه له ، فالعمى والخرس والطرش وكونها مقطوعة اليدين أو الرجلين أو إحداهما أو كون الرجل كذلك من أعظم المنفرات والسكوت عنه من أقبح التدليس والغش وهو مناف للدين ، والاطلاق انما ينصرف الى السلامة فهو كالمشروط عرفا وقد قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لمن تزوج امرأة وهو لا يولد له أخبرها انك عقيم وخيرها فماذا يقول رضي الله عنه في العيوب التي هذا عندها كمال بلا نقص

«والقياس ان كل عيب ينفر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة يوجب الخيار وهو أولى من البيع كما أن الشروط المشروطة في النكاح أولى بالوفاء من شروط البيع وما ألزم الله ورسوله مغرورا قط ولا مغبونا بما غر به وغبن به . ومن تدبر مقاصد الشرع في مصادره وموارده وعدله وحكمته وما اشتمل عليه من المصالح لم يخف عليه رجحان هذا القول وقربه من قواعد الشريعة

«وقد روى يحيى بن سعيد الانصاري عن ابن المسيب رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه أيما امرأة تزوجت وبها جنون أو جذام أو برص فدخل بها ثم اطلع على ذلك فلها مهرها بمسيسه اياها وعلى الولي الصداق بما دلس كما غره . ورد هذا بأن ابن المسيب لم يسمع من عمر رضي الله عنه من باب الهذيان البارد المخالف

لاجماع أهل الحديث ثابتة، قال الامام أحمد اذا لم يقبل سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه فمن يقبل ؟ وأئمة الاسلام جمهورهم يحتجون بقول سعيد بن المسيب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فكيف بروايته عن عمر رضي الله عنه ؟ وكان عبدالله ابن عمر رضي الله عنه يرسل الى سعيد يسأله عن قضايا عمر رضي الله عنه فيفتي بها ، ولم يطعن أحد قط من أهل عصره ولا من بعدهم ممن له في الاسلام قول معتبر في رواية سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه ولا عبرة بغيرهم

«وروى الشعبي عن علي كرم الله وجهه : أيما امرأة نكحت وبها برص أو جنون أو جذام أو قرن فزوجها بالخيار ما لم يمسها ان شاء أمسك وان شاء طلق وان مسها فلها المهر بما استحل من فرجها . وقال وكيع عن سفيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب عن عمر رضي الله عنهم قال : اذا تزوجها برصاء أو عمياء فدخل بها فلها الصداق ويرجع به على من غره . وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه لم يذكر تلك العيوب المتقدمة على وجه الاختصاص والحصر دون ماعداها ، وكذلك حكم قاضي الاسلام حقا الذي يضرب المثل بعلمه ودينه وحكمه شريح رضي الله عنه ، قال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين رضي الله عنه : خاصم رجل الى شريح فقال ان هؤلاء قالوا لي إنا نزوجك أحسن الناس فجاؤني بامرأة عمياء ، فقال شريح ان كان دلس لك بعيب لم يجز . فتأمل هذا القضاء وقوله ان كان دلس لك بعيب كيف يقتضي ان كل عيب دلست به المرأة فللزوج الرد به .

«وقال الزهري رضي الله عنه يرد النكاح من كل داء عضال . ومن تأمل فتاوى الصحابة والسلف علم انهم لم يخصوا الرد بعيب دون عيب الا رواية رويت عن عمر رضي الله عنه لا ترد النساء الا من العيوب الاربعة الجنون والجذام والبرص والداء في الفرج ، وهذه الرواية لانعلم لها اسنادا أكثر من أصبغ وابن وهب عن عمر وعلي رضي الله عنهما وقد روي عن ابن عباس ذاك باسناد متصل ذكره سفيان عن عمرو ابن دينار عنه

« هذا كله اذا أطلق الزوج وأما اذا اشترط السلامة أو شرط الجمال فبانت شوهاء ، أو شرطها شابة حديثة السن فبانت عجوزا شمطاء ، أو شرطها بيضاء فبانت

سوداء، أو بكرا فبانت ثيبا، فله الفسخ في ذلك كله، فان كان قبل الدخول فلا مهر وان كان بعده فلها المهر وهو غرم على وليها ان كان غره، وان كانت هي الغارة سقط مهرها أو رجع عليها به ان كانت قبضته. ونص على هذا أحمد في احدى الروايتين عنه وهو أقيسهما وأولاهما بأصوله فيما (اذا) كان الزوج هو المشترط، وقال أصحابه اذا شرطت فيه صفة فبان بخلافها فلا خيار لها الا في شرط الحرية اذا بان عبدا فلها الخيار، وفي شرط النسب اذا بان بخلافه وجهان. والذي يقتضيه مذهبه وقواعده انه لا فرق بين اشتراطه واشتراطها بل اثبات الخيار لها اذا فات ما اشترطته أولى لانه لا تتمكن من المفارقة بالطلاق، فاذا جاز له الفسخ مع تمكنه من الفراق بغيره فلأن يجوز لها الفسخ مع عدم تمكنها أولى، واذا جاز لها ان تفسخ اذا ظهر الزوج ذا صناعة دنيئة لا تشينه في دينه ولا في عرضه وانما تمنع كمال لذتها واستمتاعها به فاذا شرطته شابا جميلا صحيحا فبان شيخا مشوها أعمى أطرش أخرس أسود فكيف تلزم به وتمنع من الفسخ؟ هذا في غاية الامتناع والتناقض والبعد عن القياس وقواعد الشرع وبالله التوفيق

«وكيف يمكن احد الزوجين من الفسخ بقدر العدسة من البرص ولا يمكن منه بالجرب المستحكم المتمكن وهو أشد إعداء من ذلك البرص اليسير وكذلك غيره من أنواع الداء العضال[1] واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حرم على البائع كتمان عيب سلعته وحرم على من علمه ان يكتمه من المشتري فكيف بالعيوب في النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين استشارته فى نكاح معاوية رضى الله عنه أو أبي جهم رضي الله عنه «أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» فعلم ان بيان العيب في النكاح أولى وأوجب فكيف يكون كتمانه وتدليسه والغش الحرام به سببا للزومه، وجعل ذا العيب غلا لازما في عنق صاحبه مع شدة نفرته عنه ولاسيما مع شرط السلامة منه وشرط خلافه؟ وهذا مما يعلم يقينا ان التصرفات (في) الشريعة وقواعدها وأحكامها تأباه والله أعلم

« وقد ذهب أبو محمد بن حزم الى أن الزوج اذا شرط السلامة من العيوب

---

(١) ومنه داء السل وداء الزهري

فوجد أي عيب كان فالنكاح باطل ، من أصله غير منعقد ولا خيار له فيه ولا اجازة ولا نفقة ولا ميراث، قال ان التي أدخلت عليه غير التي تزوج اذ السائلة غير المعينة بلا شك فاذا لم يتزوجها فلا زوجية بينهما » اه

﴿ الاصرار على البدع ، وما يشترط في مكان الجمعة وزمانها وعدد جماعتها ﴾

(٤ — ٧) من الشيخ يوسف أحمد سليمان الطالب بمشيخة الاسكندرية .

من (طملاي) بمركز منوف

فضيلتو الاستاذ مفتي المنار

سأل عبد الرحمن أحمد الصعيدي من طملاي عن حكم فعل البدع التي كثيرا ما نهينا أئمة البلد عنها ولله الحمد فأجبتم اجابة كافية شافية في الجزء التاسع الذي صدر في ٣٠ ربيع سنة ١٣٣٥ (صحيفة ٥٣٨) وعرضنا الجواب على علماء الناحية لافرق بين مدرس في الازهر وغير مدرس فقرءوه وفهموه ، والتمسنا العمل بما علموه فامتنعوا وقالوا إن ترك العمل غير جائز والعمل بالبدع جائز وهو أحسن ! ولذا لم يتركوا حتى ولا واحدة بل زادوا الطبل والرايات أمام الجنازة اذا شخص منهم مات وعضوا عليها بالنواجذ. وقد رأينا في كتاب فتاوى أئمة المسلمين للشيخ محمود صحيفة ٥٠ : سئل الشيخ أحمد الرفاعي عن الذي لم يرض بسنة النبي في الصلاة أو الدفن فهل تصح الصلاة خلفه ويصح ان يجعل من عدد الجمعة ؟ فأجاب بأن الصلاة خلفه باطلة واذا جعل من عدد الجمعة بطلت صلاة الجمعة على جميع المسلمين . وسئل الشيخ سليم البشري عن رجل يقول بعدم جواز ترك البدع المجمع على بدعيتها كالترقية الخ واذا قيل له سنة النبي صلى الله عليه وسلم ترك هذه الامور لا يقبل النصيحة وهذا الرجل امام راتب في مسجد فهل يصلون جماعة في المسجد قبله أو معه أو بعده ؟ فاجاب بأن هذا الامام مبتدع فلا يكون اماما للمسلمين وعليهم ان يجتهدوا في منعه من الامامة ولو بواسطة الافراد

فعلى هذا

هل الشرع الذي شرعه لنا رسول الله يرى لنا رخصة في كوننا نصلي الجمعة

في الغيط أو في البيت أو في المسجد بعدد أقله ثلاثة غير الامام الخاطب من وقت صلاة العيد الى الاصفرار هل ذلك يجزئ أم لا وما هي التي تجزئ أشفنا بالجواب رفعك الملك الوهاب

الجواب في مسألة البدع

البدع منها مايكون كفرا أو وسيلة الى الكفر ومنها ماهو حرام وماهو مكروه، وليس في البدع الشرعية شيء جائز كان يكون مباحا ، لانها لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث ، وقد صرح بهذا الفقيه ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية (ص ٢٠٦) وأما البدعة غير الشرعية فهي التى قالوا انها تنقسم الى الاحكام الخمسة كما بينه ابن حجر في ص ١١٢ من الفتاوى الحديثية أيضا ولكنه أخطأ في بعض الامثلة ، وعبر عن هذه البدعة بالبدعة اللغوية وقد فصل العلامة الشاطبي هذا البحث تفصيلا تاما في كتابه الاعتصام ، وسبق لنا نقل كثير من فصوله . ولم يبلغنا قبل اليوم أن الجهل بلغ من أحد ينسب الى الاسلام مبلغا حمله على القول بان العمل بالبدعة الشرعية جائز وانه خير من تركها . وما نقله السائل عن الشيخ أحمد الرفاعي فيه مبالغة لانعرف لها وجها بذلك الاطلاق ، وما أفتى به الشيخ سليم البشري حق ظاهر والشيخ أقدر من كل أحد في مصر على مقاومة البدع وابطال كثير منها وذلك لا يكون بفتوى منه فانه يقل في هذا القطر من يترك شيئا تعوده لفتوى عالم ، ولكن لدى الشيخ وسائل أخرى كل منها يؤثر مالا تؤثر الفتاوى الفردية

يسهل على الشيخ وهو رئيس العلماء — أن يؤلف لجنة من كبار علماء المذاهب الاربعة في الازهر ويأمرها باحصاء البدع الفاشية في المساجد والاضرحة والموالد وغيرها وتأليف رسائل في التغيير عنها تطبع ويذكر فيها أسماء عشرات من العلماء الذين ألفوها وأقروها ، وأن يعهد الى علماء جميع المعاهد الدينية وطلابها بنشرها وقراءتها على الناس في المساجد بنظام متبع ، وكذا في غير المساجد بشرط أن يكونوا أول العاملين بها والمنكرين على كل من يخالفها ، ويمكن طبع الالوف من هذه الرسائل على نفقة الاوقاف الخيرية المطلقة وتوزيعها بغير ثمن — وأن يعهد الى بعض المنشئين المجيدين

بانشاء خطب فى ذلك توزعها وزارة الاوقاف على خطباء جميع المساجد ليخطبوا بها ، وأن يقترح على الشعراء المجيدين أن ينظموا ذلك في قصائدوموشحات تزجز الناس عن تلك البدع . ويسهل عليه أيضا ان يتوسل بالحكومة الى ابطال كثير من تلك البـدع ولاسيما بدع المواسم والاحتفالات التي للحكومة يد فيها . فعسى الله أن يوفق الشيخ الى هذا العمل الذي لايقدر عليه غـيره فيكون ذخرا له عند الله تعالى وموجبا لثناء الناس كلهم بحق

الجواب عن مسألة العدد في الجمعة

اختلف العلماء في العـدد الذي تنعقد به الجمعـة على خمسة عشر قولا نقلها الشوكاني عن الحافظ ابن حجر أضعفها القول بأنها تصح من الواحد فلا يشترط فيها عدد — وقدنقل الاجماع على خلافه — ثم القول بأنها لاتنعقد بأقل من ثمانين وهو أ كثر ماقيل فيها . وأوسطها القول بأنها تصح من اثني عشر غير الامام وهو العدد الذي بقي مع النبي (ص) فجمع بهم حين انفض الناس الى التجارة وهم الذين نزل في شأنهم آخر سورة الجمعة ، فظاهر حديث جابر في المسألة عند أحمد والشيخين انه صلى بهم وان لم يصرح بذلك وصح عند الطبراني وابن أبي حاتم أنه (ص) سألهم عن عددهم فكانوا ١٢ رجلاوامرأةفلولا اعتبارالعدد الذي لايعرف الا بالعد دون مجرد النظر لم يسألهم وفيه ان ذلك لاينفي صحتها بأقل من هذا العددلان هذه واقعةعين لاتدل على العموم،وإنما وجه الاستدلال بهأن يقال فيه ماقيل في خبر انعقادها بالاربعين وهوان الامة أجمعت على اشتراط العدد في الجمعة وقد ثبت جوازها بهذا العددفلا يجوز بأقل منه ولاسيما في الابتداء الا بدليل ولم نر دليلا صحيحا لاحد ممن قالوا بانعقادها بأقل من ذلك فأقل مايقال فيه ان انعقادها بما دون هذا العدد مشكوك في صحته ولا يزيل هذا الشك قياسها على الجماعة الذي استدل به من قال بانعقادها باثنين أو ثلاثة مع الامام أو بدونه لانه معارض لما دل عليه سؤال النبي (ص) عن عدد من بقي يوم انفض الناس من حوله ولان مخالفة الجمعة لغيرها من الصلوات الخمس في بعض الاحكام فارق يبطل صحة القياس ، ولو كان صحيحا لمـا خفي على الصدر الاول ولم ينقل عنهم التجميع بثلاثة ولا أربعة ولكن في الاربعة حديثا لا يصح . هذا ماأراه أقوى

الاقوال في المسألة . وقال الحافظ عند ذكر القول الخامس عشر وهو اشتراط جمع كثير بغير قيد : ولعل هذا الاخير أرجحها من حيث الدليل اه وفيه ان الاثنى عشر اذا لم يكونوا جمعا كثيرا فما حد الكثرة عنده وهي من الامور النسبية وما الدليل عليها ؟

الجواب عن مسألة مكان الجمعة

اشترط بعض الفقهاء أن تقام الجمعة في مصر جامع أي مدينة ولم يجيزوا إقامتها في القرى بمعناها العرفي أي الضياع أي البليدات القليلة السكان . وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه مرفوعا وموقوفا وقد ضعف أحمد رفعه وصحح ابن حزم وقفه وعليه زيد بن علي والباقر والمؤيد بالله من أئمة العترة وأبو حنيفة وأصحابه . والجمهور يجيزون التجميع في القرى بالمعنى العرفي المذكور ومن حججهم مارواه البخاري وأبو داود عن ابن عباس (رض): أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله (ص) في مسجد بجُواثي من البحرين — هذا لفظ البخاري ولفظ أبي داود : بجواثي قرية من قرى البحرين. وزاد أيضا «في الاسلام» بعد قوله : أول جمعة جمعت . قالوا وصلاة الجمعة في ذلك الوقت مما لا يفعله الصحابة باجتهادهم بل بأمر النبي (ص) أي وان فرض فعلها باجتهادهم فلا يعقل أن يخفى عليه فاذاً لا يكون الا بأمره وهو الراجح أو باقراره اذ لو أنكره عليهم لتوفرت الدواعي على نقله . وكتب عمر الى أهل البحرين أن جمعوا حيثما كنتم وصححه ابن خزيمة عنه . وروى عبد الرزاق عن ابن عمر باسناد صحيح انه كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يعتب عليهم . أقول ولا حجة فيما هو آثار عن الصحابة مختلفة والقرية في حديث ابن عباس الذي في معني المرفوع هي المصر . ويمكن الجمع بأنها تصح من أهل الضياع والمزارع ولا تجب عليهم بل على أهل المدن .

ونص حديث علي المشار اليه آنفا « لا جمعة ولا تشريق الا فى مصر جامع »

والقرية والمدينة والمصر والبلد تتوارد على معنى واحد في اللغة وان كان بينها فروق دقيقة في موادها فقد أطلق في القرآن اسم القرية والبلد على مكة وهي أيضا مدينة ومصر بلا خلاف ، وأطلق اسم القرية في سورة يوسف على مصر (١٢ : ٨٢) وقال علماء اللغة : القرية — بالفتح والكسر — المصر الجامع . ولا ندري متى جعل

المولدون لفظ القرية اسما للبلدة الصغيرة وفسر أهل اللغة المصر بالكورة والصقع ، والكورة بالمدينة ، وقالوا ان الكورة والخلاف والرستاق والجند واحد ، وهو مجموع القرى والمزارع ، فكأن المصر البلد الذي يتبعه عدة مزارع وضياع وهو كالبندر في عرف مصر ، وقال الراغب المصر اسم لكل بلد ممصور أي محدود يقال مصرت مصرا — أي بنيته ، والمصر الحد . اهـ وقول الليث انه عندهم الكورة التي تقام فيها الحدود و يقسم الفيء والصدقات — من غير مؤامرة الخليفة اصطلاح اسلامي

واشترط بعض العلماء اقامة الجمعة في مسجد مستدلا بعمل الناس في الصدر الاول وما بعده، والعمل وحده لا يعدونه دليلا ، وروى أهل السير انه (ص) صلى الجمعة بالناس في بطن الوادي قبل وصوله الى المدينة ، وصرح ابن القيم بأنه صلاها هنالك في مسجد ، والجمهور لا يشترطون المسجد ، وثبت عن الصحابة اقامة الجمعة في مصلى العيد خارج البلد

الجواب عن مسألة وقت الجمعة

ورد في الاحاديث الصحيحة التصريح بان النبي (ص) كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس أي عند الزوال بأنهم كانوا يصلون معه ثم يرجعون الى القائلة فيقيلون — روى المعنيين أحمد والبخاري من حديث أنس ، والقائلة الظهيرة أي منتصف النهار والقيلولة وهي النوم في الظهيرة أو الاستراحة فيها وان لم ينم وفي حديث سهل بن سعد الذي اتفق عليه الجماعة : ما كنا نقيل ولا نتغدى الا بعد الجمعة . أي في عهد النبي (ص) كما صرح به في رواية مسلم والترمذي. وعن ابن قتيبة لا يسمى غداء ولا قائلة بعد الزوال، وهنالك أحاديث أخرى بهذا المعنى أخذ بها الامام أحمد فقال بصحة الجمعة قبل الزوال وتكلف الجمهور تأويلها وذهب بعض أصحاب أحمد الى أن وقتها وقت العيد و بعضهم الى أنها لا تقدم على الساعة السادسة أي التي تنتهي بالزوال والجمهور منهم كغيرهم فالمعروف في فقههم ان وقتها وقت الظهر ولا دليل على صحتها في وقت العصر ، والتجميع قبل الزوال مختلف فيه وموجب للافتراق والقيل والقال بلا فائدة، فلا ينبغي الاقدام عليه

رحلة الحجاز (*)

٤

السفر الى مكة المكرمة

في صبيحة يوم السبت سافر ركب المحمل المصري من جده قبل شروق الشمس وفي ضحوته سافرت الوالدة والشقيقة ومعهما الصديق الكريم الشيخ خالد النقشبندي والصهر الحميم محمد نجيب أفندي وقد استأجرنا لهم أربعة جمال بجنبيين اثنان للركوب واثنان لحمل المتاع (العفش) وأرسلت حكومة جدة معهم جنديان عربيان من جنود الشريف الهجانة للخفارة وزودهم صديقنا ومضيفنا الشيخ محمد نصيف بأنفس الزاد الكافي . وتأخرت عنهم لاتمام ما كنت بدأت به من كتابة نبذة من التفسير للمنار لارسالها مع البريد من جدة مع كتابة مالا بد من كتابته الى مصر . ثم سافرت بعد صلاة العصر من هذا اليوم على حمار استأجرته بمئة قرش عثماني ولم أكد أظفر به لولا مساعدة الاصدقاء لان المغاربة والمصريين قد سبقوا الى استئجار جميع حمير البلد أو أكثرها . وسافر معي جنديان من هجانة العرب بأمر الحكومة لاجل التكريم لا الحفظ فانها واثقة بامن الطريق، وركب معي الشيخ محمد نصيف والشيخ مساعد اليافي مدير الشرطة في جدة و بعض الاصدقاء مشيعين مودعين ثم عادوا عند غروب الشمس الى جدة وقد زودني الصديق المضيف بالزاد النفيس الكافي كما زود الآل والصحب واختار لي شابا نشيطا من أهل جدة للخدمة في الطريق وأخذ الحمار في مكة وأدركنا في الطريق أحد الحجاج المصريين على حمار فرافقنا .

العناية بامر الماء في السفر

ولم أهتم لنفسي الا بملء إبريقي المعدني الذي يحفظ ما يودع فيه من بارد وحار زمنا طويلا بقطع الثلج وملء قربة من الماء النقي . ذلك بأني أعنى بأمر الماء مالا أعنى بأمر الطعام ولا سيما في السفر ، ولا يشق عليّ فقد شيء من طيبات الدنيا

(*) تأخر نشره بغير تعمد

التي اعتدتها الا الماء البارد النقي . وهذا الابريق من نوع الروايات (أوعية الماء للسفر) الافرنجية التي يسمون واحدها (ترموس) وأ كثر هذا النوع عمودي الشكل وهو يحفظ ما يودع فيه من بارد وحارّ يوما وليلة بالتقريب، وأبريقي الذي ذكرت يخالفها في الشكل والجودة فهو نوع جيد يحفظ الثلج أو الجليد عدة أيام لا يذوب منه الا القليل وقد ملأته بالثلج مرة في طرابلس الشام وسافرت قاصدا مصر فبت في بيروت ليلتين وفي البحر ليلتين بعدها لم أحتج فيها اليه لانني أعده لشرب الليل والماء المثلوج متيسر في الباخرة عامة النهار وناشئة الليل، وقد اتفق ان كان منزلي (القمرة) من الدرجة الاولى بجانب مستودع الماء المثلوج للباخرة ، وفي ضحوة اليوم الخامس نزلنا في محجر الاسكندرية الصحي فتعاهدت الابريق فاذا بالثلج فيه لم يذب الا بعضه . وقد كان هذا الابريق هدية من سلطان مسقط السابق السيد فيصل رحمه الله تعالى — ولم أر هذا النوع الا عنده أهداه الي عند سفري من مسقط سنة ١٣٣٠ اذ رأى أنني حين كنت في ضيافته لم أسأل عن شيء الا عن الماء المثلوج. وكان عنده آلة لصنع الثلج ولكنها كانت معطلة فى فصل الشتاء وكان وصولي الى مسقط في أول فصل الربيع والشمس فى برج الحمل (شهر ابريل — نيسان) فأمر باصلاح الآلة واستعمالها قبل الموعد المعتاد عندهم لاجلي ، ووضع عندي فى دار الضيافة إبريقا من هذا النوع الذي نتكلم عنه ليتيسر وجود الثلج عندي في كل ساعة من الليل والنهار، ولما سافرت وجدت مع متاعي في الباخرة إبريقا آخر منه جديدا لم يستعمل من قبل، فاستفدت منه في سفري ذاك ، وكان أ كبر نفعه في السفر من البصرة الى بغداد في شط العرب ودجلة اذ قل الثلج في الباخرة بين العمارة وبغداد ثم نفد، ثم في السفر من بغداد الى حلب، ولا يوجد الثلج بينهما الا في مدينة دير الزور وهي بين العراق وسورية، وكان شأننا في تدبير ماء الشرب في ذلك الطريق — الذي قطعناه في ١٨ ليلة في مركبات (عربات) سفرية تسير على ضفاف الفرات لاتبعد عنه في بعض الاحيان الا قليلا — اننا كنا كلما نزلنا منزلا في المساء نبادر الى تقطير الماء في قدور من الفخار ثم نبرده بهواء الليل الجاف البارد في أ كواز (قلل) الماء البغدادية وفي قلة معدنية مغشاة بقماش يبلل بالماء فيبرد المعدن بضرب الهواء له ويبرد الماء

ببرده ، — وهذه القلة أهداها الي الطبيب النطاسي محمد عبد الولي في مدينة لكهنو بالهند — وكنت قبل الادلاج في آخر الليل املأ الابريق المعهود من هذا الماء وترمسا آخر عموديا من النوع المعروف لكثرته في هذه البلاد كان أهداه الي صديقي السيد يوسف الزواوي أكبر سروات مسقط بعد بيت السلطان فيها ، فكنت أشرب في بكرة النهار من هذا وأدخر ذاك الى العشي لانه أحفظ والتغير فيه أبطأ ، وقد انكسر العمودي معي في حماه ، ولا أسف عليه لان مثله كثير ، الا أنه أثر من صديق ، ثم انكسر الاول فى مصر فآلمني كسره لطرافته وفائدته ولكونه أثرا من ذلك السلطان الكريم سقى الله لحده ، ولكن نجله البر الوفي صديقي السيد نادر قائد الجيش الاول لسلطنة مسقط أهداه الي أبريقا آخر عوضا عنه ، وهو الذي كان معي فى الحجاز وكان ماحملت فيه من الثلج كافيا لي بين جدة ومكة الأن ماء قربة الجلد تغير في الطريق لأنها كانت بعيدة العهد بالاستعمال

وسبب حفظ الترمس لما يودع فيه مدة طويلة هو انه مؤلف من أنائين أحدهما وهو الظاهر معدني وثانيهما زجاجي باطنه كالمرآة وظاهره مغشى بمادة من المواد البطيئة التوصيل للحرارة والبرودة ويوضع الزجاجي في باطن المعدني منفصلا عنه ويكون الاتصال بينهما من أعلى الفوهة ولهذه الفوهة صمام (سداد) من الفلين على رأسه قطعة من معدنه الابيض ويكون فوقها غطاؤه المعدني المتصل به ، فاذا رفع الصمام قليلا أمكن صب الماء من بلبل الابريق

أطلت في مسألة الماء ليستفيد مما كتبت من يعنون بأمر صحتهم ورفاهتهم في السفر . والعناية بأمر الماء محمودة بل ضرورية ، فالماء الرديء يكون سببا لامراض كثيرة ، إذ الماء يحمل من جراثيم الامراض والاوبئة مالا يحمل غيره . وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأكل ماوجد ولايذم طعاما ولكنه لم يكن يشرب من كل ماء يوجد بل كان يستعذب له الماء من آبار السقيا وهي على مسافة يوم من المدينة أو أكثر ، وكان أحب الشراب اليه العذب البارد . والماء الذي يوجد بين جدة ومكة في القهاوي — أي الاكواخ التى يأوي اليها المسافرون للاستراحة وشرب القهوة والشاي — كله قذر فلا أصله جيد ولا أوانيه نظيفة ، وماء (بحرة) التي ينزل فيها

جميع الحجاج للاستراحة رديء غير عذب . ويقال ان بالقرب منها بئرا لابأس بمائها ولكن لا يسهل الا على الاقلين الوصول الى شيء منها . فمن الضروري للمسافر الذي يعنى بصحته ان يحمل مايكفيه من الماء بين جدة ومكة في سفره من كل منهما الى الاخرى . وللشقادف قلل من الفخار يربطونها في مؤخرتها فيكون ماؤها مقبولا ولا سيما في الليل

القهوات في طريق مكة والدكرور

نزلنا بعد المغرب في أول قهوة من القهوات التي أشرنا اليها آنفا فأذنت وصليت المغرب والعشاء جمعا وقصرا وصلى معي الرفاق وشربت الماء المثلوج وشرب الرفاق القهوة و بعد أن استرحنا قليلا أعطيت صاحب القهوة عنهم أضعاف المعتاد فدعا لنا ، وركبنا حمرنا وركب الجنديان هجانهما وسرينا لانرى من الحجاج في الطريق الا سودان الدكرور مشاة على أرجلهم رجالا ونساء وأطفالا يحمل الرجال حرابهم والنساء أطفالهن على ظهورهن وما لديهن من المتاع والزاد على رؤسهن ، وكنا نرى بعضهم نياما على جانبي الطريق ، فهم ينامون اذا تعبوا فاذا استيقظوا في أي ساعة في ليل أو نهار مشوا لايخافون اللصوص ولا قطاع الطريق ، وقد قيل لنا انه لايتعرض لهم أحد بسوء ، لانه لا يكاد يوجد معهم شيء له قيمة ينتفع به اللصوص من الاعراب هنالك فأ كثرهم عراة لايملكون من اللباس مايزيد على ستر العورة ولباس جميع رجالهم ونسائهم الابيض وهم مع ذلك يدافعون عن أنفسهم دفاع الابطال بحرابهم السودانية فلا يستهان بهم مع كثرتهم ، فانهم منتشرون طول الطريق لاتبعد ثلة منهم عن أخرى الا قليلا ، واللصوص قلما يكونون كثيرين الا اذا كانوا يقصدون سلب القوافل الكبيرة

أمن الطريق وحادثة اعتداء

وقد كان الطريق في هذا الموسم آمنا مطمئنا لم يبلغنا أنه وقع فيه اعتداء على أحد الا ما حدث بالقرب منا فاننا سمعنا قبل انتهاء الثلث الاول من الليل صوت طلق رصاص استفز الحارسين اللذين معنا فسألتهما ماهذا ؟ قالا « قوم » وهم يعنون بكلمة القوم اللصوص وقطاع الطريق ، وأشارا علينا بأن نسرع في السير ما استطعنا

ونقصد قهوة كنا نرى ضوءها فننزل فيها ، وتركانا مسرعين بهجانهما الى الجهة التي سمع منها صوت الرصاص، وطفقنا نحن نلكز حمرنا مسرعين بها الى تلك القهوة فبلغناها بعد جهد وعناء فاسترحنا فيها ساعة وشرب رفيقاي الجندي والمصري الذي الفيناه في الطريق الشاي ورأينا هنالك أناسا من الفقراء يطلبون من القهوة طعاما . ثم جاء الجنديان مع رجل آخر . فأخبرا أن القوم (قطاع الطريق) الذين سمعنا صوت رصاصهم قد شرّدوا بعيرين للرجل الذي عاد معهما ولرفيق له وكانا عائدين من جده بعد بيع ما كانا حملاه اليها وان خفراء الطريق ما زالوا يقتفون أثرهم ، وقال الرجل انه لم ير هو ورفيقه الا لصا واحدا ولكنه مسلح وهما أعزلان

النزول ببحرة

و بعد استراحة الجنديين وشربهما الشاي أكرمت صاحب القهوة واستأنفنا السرى فبلغنا (بحرة) في منتصف الليل تقريبا ورأينا أنوار ركب المحمل المصري بالقرب من الخصاص التي يأوي اليها الحجاج وغيرهم من المسافرين. والخصاص جمع خص وهي البيوت من عيدان الاشجار أو القصب أو غيره من النبات، وهي هنالك كثيرة تسع الالوف الكثيرة من الناس وعلى جانبي الطريق سوق منها فيه الحوانيت والقهوات وان شئت قلت الخانات أو الفنادق لايواء المسافرين فيجد المسافرون فيها الماء والخبز واللحم والبيض وأنواعا أخرى من الاغذية وقهوة البن والشاي ، والموسرون من المسافرين قلما يحتاجون الى شيء منها لانهم يحملون زادهم من جدة أو مكة لعلمهم بأن مايوجد هنالك غير نظيف ولا جيد . والخصاص التي وراء هذه السوق التي في الطريق العام عبارة عن دور يتألف كل منها من عدة بيوت يمكن ان يجعل بعضها للنساء و بعضها للرجال ولها مراحيض وراء المساكن . وقد نزلنا في قهوة كبيرة كنا أوصينا بالنزول فيها فاسترحنا فيها ساعتين كاملتين وكنا قد جعنا فأكلنا مما نحمل من لحوم الضأن والدجاج والسمك والخضر والحلوى والفاكهة وشربت الماء المثلوج وحمدت الله تعالى حمدا كثيرا . وأحببت أن أعرف أين نزل جماعتنا فتعذر علي ذلك

السرى من بحرة ومسالة أمن الطريق

ولما اردنا استئناف السرى استأذني الجنديان في البقاء ببحرة لانهما يريدان

العودة صباحاً الى جدة ، وجاءني بجنديين عربيين من المشاة فقالا هذان من جنود سيدنا الموكلين بحراسة الطريق وهما يقومان مقامنا ، فسرنا ومشيا امامنا يحمل كل منهما بندقية من الماوزر على كتفه شادا منطقة من رصاصها المنضود في وسطه وهو حافي القدمين ليس عليه الا قميص قصير فسألت أحدهما عن أمن الطريق فقال ان الامن تام ولا خوف عليكم في الطريق . قلت أرأيت اذا هجم علينا قوم كثيرون فماذا تغني عني أنت وصاحبك ؟ قال ان القوم الكثيرين لا يعتدون على الافراد أو الجماعة القليلة من المسافرين وانما يقصدون القوافل الكبيرة التي تحمل مايحتاجون اليه من الطعام ونحوه ، والقوم القليلون لايتجرءون على جنود سيدنا وان كانوا أقل منهم ، وفي الطريق على طوله مخافر متقاربة يمكن ايصال أنباء الاعتداء من بعضها الى بعض بسهولة . وحقا ما قال فانا كنا بعد مفارقة جدة بقليل نرى تلك المخافر على جانبي الطريق وكثير منها في الروابي والهضاب وهي كثيرة متقاربة ، وكان هذان الجنديان كلما أبصرا أحدا في الطريق على مقربة منا أسرعا اليه قبل وصوله الينا وعرفا حاله . وقد رأينا في طريقنا قبل بحرة وبعدها كثيرا من القوافل قاصدة جدة اما من مكة واما من الطائف وهي التي تحمل الفاكهة كالرمان والعنب والسفرجل ، ورأينا ايضا كثيرا من الافراد والجماعات يقصدون جدة . وفي أثناء الساعة الثانية وصلنا الى قهوة استرحنا فيها قليلا واستأذنني الجنديان بالتخلف وأوصيا جنديا كان هنالك بان يصحبني الى مكة ، وكانت المسافة قد قربت وعلمت منهما انهما جائعان وليس معهما شيء فأعطيتهما ما تيسر من الدراهم

ثم أدلجنا وسألت الجندي عن حال الامن في تلك البقعة فقال ان هذه الارض أرض هذيل الذين أنا منهم وهم لايسرقون ولا يعتدون على أحد وان ماتوا جوعاً بل يعيشون بمواشيهم وانما اللصوص وقطاع الطريق هم عرب الشمال . و بعد ان أصبحنا وصلنا الى مكان فذكر لي حادثة من الحوادث المثبتة لامانتهم قال مات في هذا المكان رجل من حجاج المغاربة يظهر انه كان مريضا فتعب في الطريق فتحول عنه الى هذا المكان للاستراحة فمات فيه وكان له ولد منفرد عنه وصل مكة فلم يجد والده فعاد ينشده في الطريق وكان بعض عربنا قد رأوا الميت ووجدوا معه كيسا

كبيرا فيه نقود كثيرة فحفظوه ولما رأوا الوالد دلوه على و... ه نقوده وأعانوه على دفنه ولم يأخذوا من الكيس شيئا ولو شاءوا لاخذوه كله

وجملة القول ان العناية بحفظ الامن في هذا الموسم كانت كبيرة واني لم أسمع من أحد من الحجاج شكوى اعتداء على نفس ولا مال، ولكن حدثتني الوالدة بعد الوصول الى مكة المكرمة انه عرض لهم في الليل رجل ادعى أنه من الحجاج المصريين من المنصورة وأنه فقير لم يجد ما يركبه وكان يحاول أن يركب البعير الذي عليه اسفاطنا وصناديقنا فينهره أحد الجنديين اللذين معهم بالكلام فيتحول قليلا ثم يعود، ولم ينصرف حتى هدده بالضرب واتهمه بأنه يريد ان يركب البعير ليشرده ويذهب به وأنه لا بد أن يكون له رفاق ينتظرونه. ويجوز ان يكون الرجل صادقا ولكن اساءة الظن في هذا المقام من الفطنة. والفضل الاول في هذا الامن الذي لم يسمع بمثله منذ قرون لشخص الشريف الحسين بن علي. (١) وقد كان السيد الزواوي قال لي منذ بضع سنين أنه لم ير أقدر من هذا الامير على حفظ الامن في الحجاز كله وسياسة العرب فيه

بحث لغوي في الحجر والفهر والصخر

لم أستفد من حديث هذا الاعرابي الجندي ولا من حديث من قبله فائدة لغوية تذكر على اني اكثرت من الكلام مع هذا ما لم أكثر مع الآخرين ورأيته أفصح منهم وذكرت له أبياتاً من الشعر العربي فرأيته لا يفهم جميع مفرداتها، ولكنه امتحنني بالسؤال عن شيء أبيض في الجبل — ولون الجبل أسود بل أصهب — قلت أي شيء هو؟ قال ماهو مثل الشاة ؟ — والغنم هناك أبيض اللون — قلت نعم. قال هذا فِهر. وأقول إن المشهور في كتب اللغة ان الفهر الحجر الصغير الذي يؤخذ باليد ويدق به الجوز ونحوه، وقال بعضهم الذي يملأ الكف. وذلك الحجر كبير لا يمكن رفعه بيد واحدة ولذلك رجعت الى معاجم اللغة فرأيت في لسان العرب بعد تعريفه بما ذكرت آنفا « وقيل هو الحجر مطلقا » ومن العجيب انه قد فسر هو والفيروزبادي الحجر بالصخرة، والصخرة بالحجر العظيم الصلب. وهو تساهل أو تقصير في تحديد المعاني. والصواب ان الحجر اسم جنس لهذه الاجسام المعروفة

(١) نبهنا قبل على ان حوادث الرحلة حدثت قبل المبايعة بالملك فبقي التعبير فيها على ما كان عند وقوعها

يطلق على صغيرها وكبيرها وعلى الصلب الشديد اليبوسة منها وغيره . وقالت العرب : استحجر الطين أي يبس فصار حجرا . والصخر ماعظم من الحجارة واحدته صخرة، والحصى صغار الحجر واحدتها حصاة وجمعها حصيات وحُصِيّ . قالها ابن سيده في المخصص ، وهذا ما يفهمه جميع الناطقين بالضاد من معنى الحجر والصخر والحصى. وقول اللسان في الفهر « وقيل الحجر مطلقا » على ضعفه لا يؤخذ على اطلاقه والذي ظهر لي من تقول أهل اللغة ومن كلمة الاعرابي الهذيلي ان أكثر العرب كانت تطلق الفهر على الحجر الذي يؤخذ باليد الواحدة للدق به والكسر أو الحذف والرجم، وقليل منهم أطلقه على ما يؤخذ بكلتا اليدين لدق شيء أو ضرب به ، وأكثر العرب تؤنث الفهر ، وورد تذكيره في حديث حمالة الحطب فانها أخذت فهرا وجاءت لتضرب به النبي (ص) فلم تره فقالت لابي بكر (رض) — وهو معه — : لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا الفهر . نقله شارح القاموس بهذا اللفظ عن الروض. قال صاحب الهمزية :

وأعدّت حمالة الحطب الفهـ ـر وجاءت كأنها الورقاء

يوم جاءت غضبى تقول أفي مثـ ـلي من احمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن أيـ ـن ترى الشمس مقلة عمياء

قهوة سالم

وقد بلغنا قهوة سالم مصبحين وهي في حدود الحرم على مقربة من مكة — وكنا مررنا ليلا بالعلمين المنصوبين لحدوده - فصلينا فيها صلاة الفجر ثم لم أملك نفسي من التعب والنعاس ان اضطجعت فنمت حتى طلعت الشمس . وكنت عازما على الاغتسال في هذه القهوة لدخول مكة عملا بالسنة وسألت في جدة وفي الطريق عن مكان يمكنني أن اغتسل فيه فقيل لي قهوة سالم ، ولكني خشيت على نفسي المرض من الاغتسال وقتئذ بالماء البارد مع شدة الاعياء فاكتفيت بالوضوء. ورأيت أن أمشي ميلا أو ميلين لتلين عروق رجلي ووركيّ وأعصابهما المتيبسة من طول الركوب الذي طال عليّ عهده ففعلت وضايقني دخول الرمل في نعلي فمشيت حافيا ضاحيا (أي بارزاً للشمس) كسودان الدكرور الذين كنت أراهم أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي منذ خرجت من جدة الى ان دخلت مكة

أسرى الترك

ولما قربنا من مكة وظهرت لنا ضواحيها رأينا أسرى الترك الذين أسرهم العرب في الطائف خارجين منها مشاة في الطريق اليسرى مرسلين الى جدة يخفرهم قليل من الجنود الاعراب ، وفي اليوم الثاني من دخولنا مكة رأينا فيها ضباطهم ركوباً على الابل متلفمين لاترى الا أعينهم وأنوفهم وهم مرسلون الى جدة يخفرهم قليل من جنود الاعراب الهجانة وكان قد بلغنا في جدة خبر فتح الشريف الامير عبد الله للطائف بعد ان حاصرها عدة أشهر وتسليم قائد الحامية التركية غالب باشا الذي كان والي الحجاز له

وفد الامير لاستقبال العبد الفقير

ولما بلغنا قهوة المعلم وهي آخر قهوة بين جدة ومكة رأيت صديقنا الاستاذ الكبير السيد عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة مع بعض ولده و بعض المكيين فأقبل لاستقبالي ونزلت عن دابتي فتعانقنا وتصافحنا وجلسنا للاستراحة و بعد السلام قال لي ان هذا الوقت هو وقت دخول سيدنا الشريف عبد الله نجل سيدنا الامير مكة قادما من الطائف بعد ان تم فتحها على يديه وقد أعد له احتفال كبير وخرج سيدنا بجميع الشرفاء والوجهاء ورجال الحكومة الى خارج البلد لاستقباله، ولما علم بأن قدومك يتفق في هذا الوقت أوفدني من قبله لاجل استقبالك وأرسل اليك بغلته هذه مع من ترى من حجاب سيادته لتدخل عليها مكة – وأشار الى بغلة دهماء مشدودة مع حاجبين أبيضي اللون بثياب حمر كالثياب التي يلبسها قواسة وكلاء الدول – ولو جئت قبل هذا الموعد لرأيت من العناية باستقبالك مايسرك ولكنت معنا الآن في استقبال صديقك سيدنا الشريف عبد الله ، ولدخلت بك مكة من الطريق التي دخل منها سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقابلت هذه العناية الهاشمية بالشكر والثناء وخالص الدعاء

هذا وانني كنت عازما عند الوصول الى جدة ان أكتب الى هذا الصديق الوفي أكلفه أن يستأجر لي ولمن معي داراً ننزل فيها ولكنه كلمني بالمسرة (التلفون) من مكة فقال ان سيدنا الامير أعزه الله قد أمر باعداد منزل لك مؤلف من دائرتين احداهما للرجال والاخرى للنساء وفيه جميع ما يحتاج اليه من الاثاث والماعون والخدم وهو بقرب الحرم الشريف . وعلمت من هذا الصديق انه كان يتمنى أن ننزل في داره

ضيوفا عليه لو لم يتفضل (سيد الجميع) بتشريفنا بضيافته السنية الهاشمية

وقد تذكرت الآن — والشيء بالشيء يذكر — ان صديقي السيد يوسف الزواوي كبير تجار مسقط وسرواتها — الذي مر ذكره في هذه الرحلة وهو من آل هذا البيت — كان قد كتب الي وأنا في بمباي ثغر الهند الاول سنة ١٣٣٠ يقول انه بلغه انني عازم على زيارة مسقط ويدعوني الى النزول في داره ولم يكن يعلم أن سموّ سلطانها السيد فيصل رحمه الله وطيب ثراه قد أمر مندوبه في بمباي بدعوتي الى ضيافته وبأن يخبره عن يوم سفري بالبرق (التلغراف) فلما جئت مسقط ونزل السيد الى الباخرة مع من نزل من ولد السلطان وحاشيته في زورقه البخاري لاستقبالي فيها أخبرني بما كان تمناه واستعدله من حسن الضيافة لولا ان سمو السلطان نفس عليه بذلك وقال له أنت تنتظر مثل قدوم فلان على بلدنا وتريد ان تستأثر بضيافته من دوننا ؟ ولكن السيد يوسف أحسن الله اليه أدب لي مأدبة عظيمة في نفس مسقط دعا اليها جميع كبرائها ووجهائها ومأدبة أعظم وأفخم منها في دار له بمزرعة في ضواحي مسقط دعا اليها كبراء مسقط ووجهاء البلاد المجاورة لها حضرها عشرات منهم فقضينا معهم يوما كاملا من أطيب أيام الحياة ذكرناهم فيه بآيات الله فألفينا آذانا صاغية وقلوبا واعية . وكذلك الاستاذ السيد عبدالله حياه الله تعالى فإنه أدب لنا عدة مآدب فخمة ، حضر بعضها أهل العلم والوجاهة من حجاج المغاربة ، وسيجيء ذكر هؤلاء المغاربة في هذه الرحلة

﴿ دخول مكة المكرمة والطواف والسعي ﴾

بعد ان استرحنا قليلا ركبت البغلة التي تفضل بارسالها الي سيدنا الامير ، ومشى أمامي حاجباه وركب السيد الزواوي فرسه الاينة السير ونجله السيدعبد الرحمن دابته وسارا الى جانبي ، وركب مطوّف بلدنا (طرابلس الشام) الشيخ محمد الحريري ونجله دوابهما وسارا وراءنا ، فلما دخلنا مكة ومررنا في أسواقها جعل الناس يقومون على الجانبين تكريما لمن كرّم أميرهم ومتقدم من المملكة، وان كانوا لا يعرفون شخصه ولا صفته ، حتى اذا ما بلغ السير بنا بيت الله الحرام ، دخلناه ومررنا فيه من باب

بني شيبة [1] حيث دخله سيد الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلما وقعت العين على الكعبة المعظمة ، التي كساها الله تعالى حلل المهابة والعظمة ، قلت كما كان يقول عمر بن الخطاب عليه الرضوان : اللهم انت السلام ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام . وقفيت على ذلك بالدعاء الذي ورد ، وان لم يصح به السند ، : اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا .

وطفت طواف القدوم والعمرة سبعة اشواط ، وطاف معي مطوفنا رافعا صوته بما يحفظه من الثناء والدعاء — وهو ما اعتاد المطوفون تلقينه للحجاج — وأنا أدعو واثني بما أعلم وما ألهم . وقد ذكرني المطوّف بما كدت اذهل عنه من الرمل في هذا الطواف ، وما يسن فيه من كشف المنكب الذي يكون بالاضطباع ، وبعد الطواف صليت ركعتين وشربت من ماء زمزم ، ثم خرجت من باب الصفا لاجل السعي بين الصفا والمروة .

كنت أحب أن أطوّف بالصفا والمروة ماشيا ولكن السعي بينهما سبع مرات عبارة عن قطع ثلاثة كيلو مترات مشيا وذلك ما كنت أعجز عنه في ذلك الوقت لما عرض لوركي من التعب والالم من الركوب عامة الليل على حمار غير فاره لولا الإشناق له طول الطريق لخرّ بي مرارا ، وكم ثنى ركبتيه للركوع ، ومنعه جذب الرسن من السجود ، فسعيت راكبا على البغلة وهو جائز ورملت بها في موضع الرمل وهو ما بين الميلين (العمودين) الاخضرين الناتئين من جدار الحرم . وقد بينت في المناسك ان جميع مناسك الحج قد شرعها الله تعالى على لسان ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام الا الرمل في الطواف والسعي فانه من آثار نبينا صلى الله عليه وسلم فعله مع الاضطباع وهو عبارة عن كشف المنكب الايمن واظهاره ليظهر قوة المسلمين للمشركين في عمرة القضاء ، اذ كان بلغه انهم قالوا ان محمدا وأصحابه لايستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال ، وكان بلغه عنهم في الحديبية انهم قالوا

---

(١) هو الآن في صحن الحرم كأنه قوس منصوب ويقابله في جدار الحرم الشرقي بابان يسمى أحدهما باب العباس والثاني باب علي وفي وسط هذا الجدار الباب الذي يسمونه باب النبي (ص) يليه في الجانب الشمالي باب السلام الذي يدخل منه أكثر الحجاج

في المؤمنين : أرهنتهم حمى يثرب

وبعد السعي عدت الى دار السيد الزواوي إجابة لدعوته فروا بي من طريق آخر وحجاب الامير أمامي والكثيرون من الناس يقفون في دكاكينهم وفي الطريق من الجانبين فأحييهم بالسلام وبالاشارة حتى اذا ماجئت الدار أعد لي ماء للاستحمام فاغتسلت وتغديت مع السيد وولده ونمت وكان الحر قد اشتد فلم أنم الا قليلا . وقد سألني السيد متى تحب أن أذهب بك لزيارة سيدنا الامير؟ فقلت له انني كنت محرما بالعمرة وقد أديت طوافها وسعيها وسأقصر شعري وأتحلل منها ، ولكن ثيابي مع الوالدة والرفاق فمتى وصلوا ألبس ونذهب ، ورغبت اليه في الذهاب الى الدار المعدة لنا لاجل انتظارهم فيها ، ولما جئت الدار وجدتها على الشارع العام بجوار باب الحرم الغربي الكبير المسمى بباب ابراهيم ؛ وقد تأخر وصول الجماعة الى قرب المغرب فلم نتشرف بتلك الزيارة الا ليلا ، وسأذكر لقاء الامير ونجله في فصل آخر ،

﴿ الحالة الروحية عند أداء المناسك ﴾

وحكم التلبية والطواف والسعي

الحج عبادة روحية جسدية اجتماعية فهو تربية عالية للانسان منفردا ومجتمعا . أي تربية كاملة له ، فان الانسان مركب من جسد وروح ، وقد خلق ليعيش مجتمعا ، وفي الحج تقوية لجسده ولروحه ولروابطه الاجتماعية

أما كونه رياضة بدنية مقوية للجسد فظاهر في جميع المناسك فالاحرام ضرب من الرياضة والسفر كذلك قد وصفت لك أيها القارئ سفري من جدة الى مكة ، وعلمت بالاجمال ما قاسيت فيه من المشقة ، مع استكمال أسباب الراحة وقرب الشقة . وفي الطواف والسعي رياضة المشي التي يصف الاطباء نفعها ويوصون بها ، فدائرة المطاف حول الكعبة المعظمة لا يقل متوسطها عن مئة متر وأقل الطواف سبعة أشواط (مرات) ومن الناس من يطوف في اليوم والليلة أسابيع كثيرة متصلة ومنفصلة ، أما أنا فلم أستطع أن أزيد على سبعة أسابيع في أمثل الاوقات وأعدلها وهو وقت

السحر ، لما كنت عليه من ضعف البدن ، وكان رفيقي وأخي في الله الشيخ خالد يطوف ضعفي ذلك أو يزيد . واذا كان أقل الطواف وهو أسبوع عبارة عن مشي ثلاثة أرباع الكيلو فان السعي بين الصفا والمروة سبع مرات يقرب من مشي ٣ كيلو

وأما كونه مقويا للروابط الاجتماعية فلما فيه من التعارف والتآلف بين الشعوب المختلفة في أفضل بقاع الارض وفي أحسن الاحوال التي يكون عليها الانسان في هذه الحياة وهي التجرد من شواغل الدنيا والتوبة الى الله تعالى من جميع المعاصي والآثام

وأما كونه عبادة روحية مهذبة للنفس بتقوية شعور الايمان فهو المقصود بالذات الذي يجب ان يتحرى وينوى ويلاحظ عند كل عمل من أعمال المناسك ، وهاك خلاصة وجيزة من العلم والاختبار في ذلك :

الحالة الروحية في طريق مكة . وتأثير التلبية

كنت قبل عودة المشيعين لي من جدة أبي في السير قليلا ، وأتكلم معهم كثيرا ، فلما عادوا وولى النهار بأنسه وبهائه ، وأقبل الليل بوحشته وظلمائه ، هدأت المشاعر ، وقرت النواظر ، وخشعت السرائر ، وتزاحمت الخواطر ، فكان الغالب منها على الفكر والقلب ، ما يثيره تأثير الزمان والمكان وزي الاحرام في النفس ؛ فأما الزمان فهو شهر ذي الحجة الحرام ، وأما المكان فهو الطريق الى بيت الله الحرام ، وأما زي الاحرام ، فهو الذي كان يتزيا به ابراهيم خليل الله ، واسماعيل ذبيح الله ، ومحمد خاتم رسل الله ، وغيرهم من رسل الله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، وكل من حج البيت أو اعتمر ، من أصحابهم وأتباعهم هداة البشر ، فيالها من ذكرى لذي اللب ، يخشع لها القلب ، ويرجى بها رضوان الرب ، بما تثمره من قوة الايمان ، وطهارة الوجدان ؛ وخلوص السر والاعلان ، ولو لم يقترن بها ذكر لسان ، ولا عمل أركان ، فكيف اذا صحبها تكرار التلبية ، التي تزيد حرارتها تذكية ؛ واخلاصها تزكية : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لاشريك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

تأملت نفسي في تلك الليلة الليلاء ، والطريق الجرداء ، فرأيتني حاسرا حافيا في ازار ورداء ، غير مبال بما يكون من تأثير الهواء ، وهي حال لم أعهدها في سالف

الايام ، الا بين جدُر الحمام ، وقد كان الهواء عند خروجنا من جدة حارا رطبا ، وكانت الدابة وهي في أول السير تنهب الارض نهبا ، وهذه ثلاثة أسباب ، يتفصد بها العرق من الإهاب ، ثم كنا كلما أوغلنا في السرى وتغلغلنا في البيداء ، نشعر بجفاف الجوّ وبرد الهواء ، حتى اضطررت الى اخراج سجادة صلاة كانت تحتي ، فوضعتها على عاتقي فلم تغن عني ، فأخرجت العباءة فتلفعت بها ، جاعلا لاجل الاحرام أعلاها أسفلها ، ولم أخف من أذى يصيبني من برد الليل ولا ضرر ، ولم يعرض لي سأم من طول السُّرى ولا ضجر ، فان مسني طائف من شيطان الوسوسة ، ذكرت الله تعالى فطردته بالتلبية : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك .

ويالله ما أحلى التلبية في تلك الفلوات ، وما أعظم الانس بها في حنادس الظلمات ، اذا خشعت بها الاصوات ، واستمطرت بها العبرات ، ومن دقائق حكم الشرع استحبابه رفع الصوت بها للرجال ، وتجديدها بتجدد المناظر واختلاف الاحوال ، فرفع الصوت بها ينفي الوسواس ، واذا كان في الليل يطرد النعاس ، وهو أجلب للخشوع ، وأذرف للدموع ، واستئنافها عند اختلاف الاحوال وتجدد المناظر ، أدعى الى دوام الذكر وعدم تفرق الخواطر ، فكنت كلما علونا نجدا ، أو هبطنا غورا ، أو نزلنا مكانا ، أو استأنفنا سرانا ، أو لقينا مشاة أو ركبانا ، جأرت الى الله تعالى : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك.

تاثير رؤية الكعبة والطواف بها

تلك التلبية تملأ قلب متدبرها إيمانا وتوحيدا ، وتجرده من الحظوظ والاهواء تجريدا ، وتعده لزيارة بيت الله والطواف ، وهو في أحسن حال وأتم استعداد ، حتى إذا اكتحلت عينه برؤية الكعبة المعظمة ، وراع القلب ما جللها من المهابة والعظمة ، تذكر أنها أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ، وخصه الله بالآيات البينات الباقية على بقاء الايام والسنين ، ورأى أمامها مقام ابراهيم عليه وعلى نبينا وآلهما الصلاة والسلام ، ووجد نفسه حيث كان بدء دين الله الاسلام وحيث الختام ، فاذا دنا من مهبط الروح الامين ، ومطاف الملائكة والنبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين —

فلا تسل ثم عن الدموع كيف تنسكب ، وعن الضلوع كيف تضطرب ، وعن الاعناق كيف تخضع ، وعن القلوب كيف تخشع ، ولا عن وجدان الايمان ، كيف يتألق نوره في الجنان ، ويفيض بيانه على اللسان ، فيحركه بما يلهم من الثناء ، وما يشعر بالحاجة اليه من الدعاء ، وما يذكره أو يذكر به من المأثور ، من مرفوع أو موقوف ، لا تسل أيها القارئ عن شيء من ذلك ، ولا عن غيره مما يكون عند أداء المناسك ، فمن ذاق عرف ، ومن حرم انحرف

على هذه الحال تدخل الحرم المقدس ، طاهر القلب والبدن من الحدث والدنس ، فتأتي الركن الاسود ، حيث العظمة والسؤدد ، فتقول بسم الله أكبر ، فيصغر في قلبك كل شؤون البشر ، ثم تبدأ الطواف ، مع النية والاخلاص ، بلمس الحجر وتقبيله ان قدرت ، و بالاشارة اليه ان أنت عجزت ، ولا بأس بأن تتذكر ماروي من انه رمز الى يمين الله التي لاتشبه الايمان ، وان استلامه وتقبيله في معنى تحية رب البيت ومبايعته على الايمان والاسلام والاحسان ، ومن أنه يشهد لمستلمه يوم القيامة كما تشهد الاعضاء — وبأن تقول بلسانك أوقلبك ، كما قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من قبلك : اني أعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلك (١) لما قبلتك ، فتقبيلك ليس لذاتك الحجرية ، ولا لمنفعة فيك مرجوة أو مضرة مخشية ، ولا هذا الطواف الذي بك يبتدأ وعندك يختم ، في معنى عبادة الوثن وتعظيم الصنم ، وانما هو خضوع لامر الله ، واقتداء برسل الله ، وتعظيم لما عظم الله ، وأنس بالقرب مما نسب الى الله ، يكمل به توحيد الله ، وتنمي به محبة الله ، فمن شأن المحبين الانس بكل ماينسب الى المحبوب ، ولاسيما اذا تعذر اللقاء وعز الوصول ، وكم نظموا من الاشعار ، في الوقوف بالاطلال والطواف بالآثار

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ولما كان الرب العلي العظيم ، الجدير بأعلى مراتب الحب والتعظيم ، لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، ولايراه عباده في هذه الدار ، كان من رحمته بالمؤمنين المحبين ،

---

(١) عبارة عمر ولولا اني رأيت رسول الله (ص) يقبلك الخ رواه الجماعة كلهم

أن وضع هذا البيت للطائفين منهم والعاكفين ، ونسبه اليه ، ليكون تعظيمه تعظيما له ،

فاذا مضيت في الطواف بينا مصاحبا لهذه الذكرى ، جاعلا البيت من الجهة اليسرى ، فاشغله بالثناء على الله والدعاء لنفسك . ولآلك وصحبك ، ولأمتك وأولي أمرك ، فاذا بلغت الركن اليماني ، وهو الجنوبي الغربي ، فاستلمه إن سهل عليك فانه على قواعد ابراهيم ، التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم ، ومتى انتهيت الى مقابله وهو الركن الاسود ، فقد أتممت من طوافك الشوط الاول ، وبقية الاشواط مثله في الشروط والآداب ، كالخشوع والتذكر وترك غير الضروري من الكلام ، وعدم التهافت على استلام الركن والحجر عند الزحام ، فاذا أتممت السبعة الاشواط ، فاختم دعاءك بين الركنين بقوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ثم صل ركعتين سنة الطواف ، والافضل ان تصليهما وراء المقام ،

. تأثير السعي وحكمته

السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ، وليس له نفل فلا يفعل في كل منهما اكثر من مرة ، ويجب ان يكون بعد الطواف ، ولا يشترط فيه شروط الصلاة .

فاذا جئت الصفا ، فاقرأ كما قرأ الرسول (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقل كما قال « نبدأ بما بدأ الله » ثم اصعد درجة أو أكثر واستقبل البيت الحرام ، فاذا رأيته فقل كما كان يقول عليه الصلاة والسلام : « لا إله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده ؛ » وادع الله تعالى مكررا ذلك ثلاث مرات .

وتذكر عند السعي أنه ذكرى سعي جدتنا السيدة هاجر عليها الرضوان ، أم أبينا اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وعلى أبيه ، وصفوة بنيه . ويالها من ذكرى لمجد العرب الكرام ، ومعجزات الاسلام ، مثبتة لحفظ الله تعالى لهذه الملة ، وعنايته بهذه الامة ، حفظتها العرب بالعمل المتواتر . وكم حفظت ماهو دونها من المآثر . وما يحفظ بالتمثيل والمحاكاة ، يكون أثبت مما يحفظ بالتلقين والروايات ، ولكنهم مزجوا مناسك الحنيفية ، بخرافات الوثنية ، فان كانوا قد وضعوا صنمين على الصفا والمروة ، فقد وضعوا ٣٦٠ صنما على الكعبة ، ثم طهر الله تعالى هذه البقاع بالاسلام ،

وأعادها الى ما كانت عليه في عهد ابراهيم واسماعيل عليهما وآلهما الصلاة والسلام ، روى البخاري وغيره من طريقين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان بين ابراهيم وبين أهله ما كان[1] خرج باسمعيل وأم اسمعيل ومعهم شنة[2] فيها ماء ، فجعلت أم اسمعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة — زاد في الرواية الاخرى فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد ولا بها ماء ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء — ثم رجع ابراهيم الى أهله فاتبعته أم اسمعيل حتى لما بلغوا كَداء نادته من ورائه ياابراهيم الى من تتركنا ؟ قال الى الله ، قالت رضيت بالله — وفي الرواية الاخرى أنها قالت اذاً لا يضيعنا ، وفيها أنه لما كان عند الثنية أي ثنية كداء حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) قال فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدرّ لبنها على صبيها حتى لما فني الماء قالت لو ذهبتُ فنظرت لعلي أحس أحدا — زاد في الرواية الاخرى حتى اذا نفد مافي السقاء (أي الشنة) عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه — (قال) فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدا فلم تحس أحدا ، فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة ففعلت ذلك أشواطا ثم قالت لو ذهبت فنظرت مافعل تعني الصبي فذهبت فنظرت فاذا هو على حاله كانه ينشغ[3] للموت فلم تقرها نفسها فقالت لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا ، فذهبت فصعدت

---

(١) أهله امرأته سارة غارت من هاجر لما ولدت وحملته على طردها مع طفلها اسماعيل . وفي الفصل ٢١ من سفر التكوين (التوراة) ان ابراهيم استاء من كلامها فأمره الله تعالى باخراجهما ووعده بأن يجعل اسماعيل ابنه أمة ، وفيه انه زودهاجر بخبز وقربة ماء واعطاها ابنها فتاهت في برية بئر سبع وانه لما نفد ماؤها وتوهمت أن يموت ولدها ، ناداها ملاك الرب وأراها الماء ووعدها بجعل ابنها أمة عظيمة . وان الله كان مع الغلام وانه سكن برية فاران . أقول وفاران من أسماء مكة كما في معجم البلدان وما يخالف هذه الرواية مما هنالك نعده تحريفاً . وقالوا ان ابراهيم جاء مكة على البراق

(٢) بفتح الشين والنون المشددة القربة اليابسة (٣) بوزن يفتح معناه يشهق من صدره

الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أتمت سبعا — زاد في الرواية الاخرى قال ابن عباس قال النبي (ص) « فذلك سعي الناس بينهما » ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل فاذا هي بصوت فقالت أغث ان كان عندك خير فاذا جبريل — وفي الرواية الاخرى فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث، فاذا هي بالملك عند زمزم — قال فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الارض قال فانبثق الماء فدهشت أم اسمعيل[1] فجعلت تحفر (قال) فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « لو تركته كان الماء ظاهرا » — ولفظ الرواية الاخرى « يرحم الله ام اسماعيل لو تركت أو قال اولم تغرف من زمزم لكانت زمزم عينا معينا » أي جاريا على وجه الارض — (قال) فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها على صبيها قال فمر ناس من جُرهم ببطن الوادي فاذاهم بطير — وفي الرواية الاخرى: فرأوا طائرا عائفا أي يحوّم على الماء — كأنهم أنكروا ذاك وقالوا ما يكون الطير الا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فاذاهم بالماء فأتاهم فأخبرهم فأتوا اليها فقالوا يا أم اسمعيل أتأذنين لنا أن نكون معك أو نسكن معك — وزاد في الرواية الاخرى فقالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء، قالوا نعم ثم قال مصرحا بالرفع « فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ». اه المراد منه ويليه ذكر عودة إبراهيم الى مكة لتفقد تركته أي ما تركه فيها وخبر بنائه البيت. وجرهم كقنفذ هو ابن قحطان ولكن رجح الحافظ ان قحطان نفسه من ذرية اسماعيل

فهذا حديث صرح فيه ابن عباس بما يدل على رفعه كله وان لم يسنده الى النبي (ص) في أوله. وفيه نص صريح في بيان حكمة جعل الصفا والمروة من شعائر الله التي يحيا شعور الايمان بها، ووجوب التطوف بهما والسعي بينهما. فانه تمثيل يذكر بتلك الواقعة التي هي من أكبر آيات الله ومظاهر قدرته، وعنايته بتلك السيدة العظيمة القوية الايمان به والاتكال عليه والثقة به، وبولدها الذي أراد سبحانه ان يباركه ويجعله أمة عظيمة، كما هو منصوص في سفر التكوين من أسفار التوراة القديمة، وأي شيء أجدر بأن تذكره هنالك وتمثله كما وقع لاجل الاعتبار به، واحياء شعور الايمان بتصوره، من رضاء

(١) قوله فقال بعقبه هكذا أي فعل. وقوله ودهشت بفتح الهاء والدال ولأبي ذر بكسر الهاء

أم مرضع بأن تقيم مع طفلها منفردين بعيدين عن العمران، في واد غير ذي زرع ولا ماء ، لان الله تعالى قد أمر بذلك أبا ولدها الذي لقنها الايمان ، ورأت ما أيده الله به من الآيات البينات، وكيف نصره وحده على قومه المشركين الظالمين الاقوياء ؟

أليس تمثيل حال تلك الام جائعة ظامئة، والهة حائرة، تشاهد طفلها يتلوّى ويتمرغ، من شدة الجوع والظمأ، ويضرب بنفسه الارض كالمصاب بالصرع، وينشغ أي يشهق من صدره للموت في ذلك القفر ، فيسوقها ذلك الالم الى الفرار من رؤيته بتلك الحال ، والسعي بين ذينك الجبلين القريبين من ذلك المكان ، تصعد هذا مرة وتلك أخرى، ضارعة الى الله راجية ان تجد من عنده غوثا، حتى اذا ما انتهت من الشوط السابع أرسل الله تعالى روحه الامين الذي يؤيد به الانبياء ، فأنبع لها ذلك الماء ، وجعل فيه الريّ والغذاء ، ثم ساق ذلك الركب من جرهم اليها ، وسخرهم للاقامة عندها ، ليتربى فيهم ويتذراهم ولدها، ثم يجعله أصلا لهذه الامة الكريمة، ويجعل ذلك الوادي القاحل صدفة لدرة الكعبة اليتيمة، اذ جعله بلدا يحفظ بيته الذي جعله مثابة للناس وامنا، وجعل قلوب الناس تهوي اليه من جميع الاقطار إيمانا ونسكا، ورزق أهله من الثمرات ، وسخرلهم البشر في كل زمان، ألسنا نرى في هذا العام معجزة من معجزات هذا التسخير؟ بلى وقد ابتلى في هذا العام وما قبله الامم الغنية القوية ، المتصرفة في البلاد العامرة الخصبة الغنية، بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، بهذه الحرب الاوربية التي تقطعت بهم الروابط وقلت المواصلات ، واقتضى دخول الدولة العثمانية في غمراتها ، ان تضرب الدول المحاربة لها حجرا بحريا على جميع سواحلها ، فكان الضيق على سكان حرم الله تعالى أليما شديدا ، حتى اذا ما أوشك أن يفتك بهم الموت جوعا ، سخر الله تعالى لهم تلك الدول تحمل اليهم الاقوات والاموال ، وتنقل اليهم وفود الحجاج ، وأراهم بهذه الاغاثة العامة ، مثالا لتلك الاغاثة الخاصة ، أعني اغاثة هاجر واسماعيل ، استجابة لدعاء الخليل (فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات) وكثيرا ما ذكرت الناس بذلك ، في أثناء أداء المناسك ،

فمن سعى بين الصفا والمروة عالما بما ذكر متذكرا له معتبرا به ، فانه يشعر في قلبه بنماء الايمان بالله وبرسل الله، ويفهم سر قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله)

باب الاخبار والآراء

﴿ اقتراح عظيم في الاصلاح الاسلامي ﴾

يود بعض الموسرين من المستمسكين بعروة الكتاب والسنة ،لو يعرفون أمثالهم من الفقراء والمساكين المتجنبين للمعاصي والبدع ، المحافظين على الفرائض والسنن ، ليؤدوا اليهم مايجب من زكاة المال وزكاة الفطر وغيرهما من الصدقات ، إذ لا تطيب أنفسهم اصرفها الى فاسق ولا مبتدع ولا مجهول الحال ، لما يعلمون من فشوّ البدع والضلال ،وكثرة المعاصي والنفاق ، دع المجاهرة بالكفر والالحاد ، فالصدقات المفروضة التي يتقرب بها الى الله تعالى لاقامة دينه ، يتحرى صرفها الى من ينفقها في طاعته ، أو فيما أباحه لعباده من الطيبات ،لافي المعاصي والمحرمات ،ولا في البدع والخرافات، فاذا كانت صدقة التطوع يجوز بذلها لكل مؤمن وكافر ، من ذمي أو مستأمن أو معاهد ، فصدقة الفرض ليست كذلك . لذلك اقترح علينا بعض هؤلاء الموسرين أن نحصي من نعرف ومن يتيسر لنا أن نعرفهم من المؤمنين المذعنين المعتصمين ، من فريق الموسرين وفريق المستحقين للزكاة من الفقراء والمساكين ، والمؤلفة قلوبهم والغارمين ، ومن يلمّ بادارة المنار من أبناء السبيل ، وأن نكون واسطة التعارف والتعاون بين الفريقين ، لان وقوف كل فرد من الموسرين على هؤلاء المستحقين متعذر ، وان منهم من تعدد تأخيرهم الزكاة عن وقتها زمنا طويلا أو قصيرا لاجل ذلك . ولعمري ان هذا اقتراح جليل ، ولكن القيام به على حقه عسير غير يسير ، وإذا علم الناس ان بعض الناس يعطون صدقاتهم لمجتنب كبائر المعاصي والبدع، المحافظين على الفرائض والسنن ، يكثر المدعون لذلك وحاملو الشهادات من العلماء والوجهاء على صحة دعواهم ، وأخذ الشهادات على هذا سهل على أكثر الناس في هذا العصر ، فان كثيرا من محبي الصدق يستحلون أن يشهدوا لمن يدعي مثل هذه الدعوى اذا كانوا لم يروا منه مايصدقها ولا مايكذبها ، وأما غيرهم فلا يتحامى شهادة الزور وقول الباطل في ذلك ، ومنهم من يرى أنه يتقرب به الى الله تعالى بمساعدة الفقير على تحصيل قوته . وانا على مانعلم من العسر في ذلك سننظر فيه ونجتهد في القيام به بقدر الطاقة، ونرجو من اخواننا الصادقين إعانتنا على ذلك

السنة الرابعة للحرب

دخلت الحرب في السنة الرابعة من عمرها فشاب لاهوالها الولدان وهي لم تزدد الا شبابا ، وخمدت بها نار حياة الامم ولم تزدد نيرانها الا شبوبا ، وكان أهم احداث عامها الثالث في الميادين الشرقية ، ثورة الروس على حكومتهم القيصرية ، واسقاط القيصر تقولا عن عرشه واعتقاله مع زوجه وولده ، ثم نفيهم الى سيبرية حيث كانت حكومته المستبدة تنفي الالوف من أحرار السياسيين ، والعلماء والكتاب النابغين ، و اكبر العبر في هذا الانقلاب العظيم أن طلاب حكومة الشعب الشورية من الروس عجزوا عن جمع كلمة أحزابهم على شكل آخر لحكومتهم ، فانشقت العصا وتفرقت الشيع ، وتعددت الثورات والفتن الداخلية حتى في الجند ، وقد كانت الحكومة الجديدة الموقتة امسكت عن الحرب عقب الثورة وامسك عنها اعداؤها حتى ظن أن هنالك هدنة ، ثم هجمت في هذا الصيف على النمسة ، فشدد الالمان الهجوم عليها ، واستولوا على كثير من ولاياتها ، واعظم ما استولوا عليه قيمة عندهم ريغا

يلي هذا ماحدث قبله من دخول دولة رومانية في الحرب واستيلاء الجرمان على عاصمتها وقسم كبير من بلادها وخروج الملك والحكومة منها واقامتهم في روسية ، ويليه استيلاء الانكليز في الربيع الماضي على مدينة بغداد عاصمة المدنية العربية في الشرق ، وتهنئة الملوك ورؤساء حكومات الاحلاف لملكهم بهذا الظفر ،

واما الميدان الغربي الاعظم فاهم احداثه أن الانكليز والفرنسيس مازالوا يكاثرون الالمان في المدافع والذخيرة وغيرهما حتى كثروهم فيها كما كثروهم في عدد الجيوش ، وان الالمان قد جلوا عن قسم عظيم من أرض فرنسة وامتنعوا وراءه في خط أقصر من الخط الاول سموه خط هندنبرج نسبة الى قائدهم العام ، وقد استولى الحلفاء على ذلك القسم ، بعد أن صار معظمه خرابا يبابا كما توقعنا من قبل ، وحاربوا الالمان عند انسحابهم منه حربا عوانا ، ربحوا فيها كثيرا من الاسرى والمدافع ولا تزال الحرب في هذا الميدان سجالا .

﴿ تاريخ هذا الجزء ﴾

صدر الجزء الاول من هذا المجلد في شوال فوجب ان يكون الثاني جزء ذي القعدة وكان جعل تاريخه سلخ شوال خطأ



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٣٠ ذي الحجة ١٣٣٥ — ٢٤ الميزان (خ ١) ١٢٩٦ ه ش ١٧ اكتوبر ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ حكمة تحريم الدم المسفوح ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ رشيد رضا

ما قولكم دام فضلكم في الدم المنصوص على تحريمه في القرآن الشريف مقيدا بالمسفوح مرة وغير مقيد مرارا وما الحكمة في تحريمه . أفيدوا الجواب ولكم الثواب

طبيب جمعية الرفق بالحيوان

حسن ذهني

(ج) الدم المسفوح هو الذي حرم الله شربه وأكله وهو الذي يراق من الحيوان بذبح أو جرح أو غيرهما ، وتقييده بالمسفوح هو الذي نزل أولا في سورة الانعام وما نزل بعده مطلقا فهو محمول على ذلك المقيد ومقيد بقيده . واحترز بالقيد عن الجامد كالطحال ، وعما يخالط اللحم من المائع القليل فانه لا يسفح . وقد بينا في تفسير آية محرمات الطعام من سورة المائدة أن حكمة تحريمه أمران أحدهما أنه خبث تستقذره الطباع السليمة فوجب التنزه عن جعله غذاء للمؤمنين الطيبين الذين لا يليق بهم الا الطيبات، وثانيهما أنه ضار لانه عسر الهضم و يشتمل على كثير من الفضلات العفنة ، وكثيرا مايشتمل على جراثيم الامراض والادواء الخطرة . فان سهل على بعض البارعين في العلوم الطبية معرفة مثل هذا واتقاء ضرره فهو لا يسهل على جميع البشر من البدو والحضر المخاطبين بهذا الدين العام . وتتمة الكلام على ذلك في ص ١٣٤ و١٣٥ من جزء التفسير السادس

(الكتابة وطريق تحصيلها ومكان القرآن والحديث منها)

(س ٩) من صاحب الامضاء بمصر

استاذي الفاضل الشيخ رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله و بعد فانا نعلم مكانتكم من العلم في هذا البلد لذلك نرجو الاجابة على مايأتي

ان فن الكتابة والتحرير الذي أحياه فينا الاستاذ الامام مازال يتصعد درجات الكمال حتى إنه ليخيل للناظر في كتابات هذا العصر أنه بين أولئكم الاعراب البائدين أو العباسيين المتحضرين حسب اختلاف درجات الكتاب . وقد توافقت آراء الكاتبين على أن أقوم طريق الى الكتابة النظر في كلام العرب وحفظ الجيد منه والنسج على منواله . وإنا نجد أحسن كلام في جزالة الالفاظ ومتانة الاسلوب وعلو المعنى كتاب الله تعالى وحديث رسوله وانا نحفظ الكتاب و كثيرا من السنة ومع ذلك أرانا لا نجيد شيئا من الكتابة بل لم نصل فيها الى الدرجة الوسطى من ذلك . وقد بلغنا أن بعض النصارى كان يحفظ القرآن لهذا الغرض

وينتفع به فبأي عين نظر اليـه ذلك النصراني حتى انتفع به وما بالنا ضللنا هذا الطريق في حين أننا أولى به ؟ وكم من رجل ماحفظ شيئا من القرآن ولا عرف شيئا من السنة غير أنه زاول كثيرا من اللغة العربية هو قليل بالنسبة لكتاب الله وسنة رسوله و بهذا طال باعه فيها وذهب فيها مذاهب آبائها الاولين . فالهم هيء لنا مايرشدنا الى الصواب . وإنا نرجو الاهتداء بهديك والاستنارة بمنارك ان شاء الله فأجبنا عن ذلك وما السبب فيه على صفحات المجلة لفائدة القراء ولكم الشكر

محمد أحمد عليوه

(ج) كان الناس في أول العهد بالنهضة العلمية والادبية التي جددها الاسلام للعرب يطلبون اللغة العربيـة من أهلها بالتلقي والمشافهة ، ولما سرت العجمة الى الامصار العربية بكثرة مخالطة العرب للعجم فيها صار أبناء العرب ومواليهم من العجم يرحلون الى الاعراب في البوادي فيقيمون عندهم زمنا طويلا يتلقون عنهم العربية الخالصة من شوائب العجمة، ويحفظون أشعارهم ويروونها كما يحفظون ويروون الكتاب والسنة ، فيتلقاها عنهم طلاب العلم والآداب في الامصار ، بالرواية والدراية والاستظهار ، ولما استنبطوا منها الفنون لاجل ضبطها وفهمها ، و بيان أسرارها وفلسفتها ، صاروا يتدارسون هذه الفنون في المساجد والدور والقصور مع تطبيق قواعدها على الشواهـد من الكتاب العزيز والسـنة ، وأقوال العرب وأشـعارهم المحفوظة ، فيجمعون بين ملكة اللغة وذوقها ، و بين فنونها وفلسفتها، ومنهم من كان يضم الى ذلك العلوم الشرعية ، والعلوم العقلية والكونية ، ولا يحول رسوخ ملكاتهم في العلوم والفنون، دون رسوخ ملكة اللغة في منثور ولا منظوم، وقد انسلخ القرن الخامس للهجرة والعلماء البلغاء كثيرون، حتى اذا ماتغير منهج التعليم، وأسلوب التأليف، وقل الحفظ والحفاظ، وكثر الاختصار في الكتب وما اقتضاه من البحث في الالفاظ، ضعفت ملكة اللسان ، وسقطت مكانة البيان ، وصار جهابذة علماء الشرع واللغة، والمصنفون في فنون الفصاحة والبلاغة ، لا يستطيعون التفلت من عقل اصطلاحات علومهم وفنونهم البعيدة عن الاسلوب العربي، الا الى اسجاع متكلفة ، أو عجمة أو عجرفة ، ومن شاء قايس بين عبارة الزمخشري في الكشاف وعبارة الفخر الرازي

في التفسير الكبير ، و بين عبارة عبد القاهر في أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز، وعبارة السعد التفتازاني في المطول والمختصر ، فاذا كانت عبارة العلامة التفتازاني في دقتها وتحريرها ، نائية عن براعة عبارة الامام الجرجاني في فصاحتها ورشاقة أسلوبها ، واذا كانت عبارة الامام الرازي على بسطها وايضاحها ، تكاد تعد ركاكة عامية في جنب عبارة العلامة الزمخشري في متانتها وعلو أسلوبها ، فما القول في المتأخرين الذين يعدون منتهى العلم الاستعداد لفهم كلام مثل الرازي والتفتازاني ، بل القدرة على المناقشة فيه ، وايراد الاحتمالات والاجوبة في معانيه ؟

أتى على الامة العربية بضعة قرون وهي في تدلٍّ وضعف في اللغة، لا يمضي عليهم قرن ولا عام الا والذي بعده شر منه ، وما سببه الا تنكب سبيل الاولين في حفظ الكثير من الكلام العربي الحر الفصيح وفهمه ، ومعارضة أسلوبه في نثره ونظمه ، فكان اذا اتفق لاحد منهم ذلك بإلهام الفطرة ، أو إرشاد أحد من بقية أهل المعرفة ، فصار كاتبا بليغا ، أو خطيبا مفوّها ، أوشاعرا مجيدا ، أحال الباحثون ذلك على ندور في الاستعداد ، يكاد ينتظم في سلك خوارق العادات ، حتى إن ذلك النابغ نفسه يظل غافلا عن السبب ، دع من كان بعيداً عنه أو كان منه على كثب

بلغ الجهل من أكثر أهل هذه القرون بهذه المسألة كل هذا ولم تكشفه عنهم سيرة سلفهم ، ولا ما يؤثر من العلم وطريقة التعليم عنهم ، ولا ماشرحه الحكيم عبد الرحمن بن خلدون في القرن الثامن في ذلك وفي هذه المسألة بخصوصها عند الكلام على اللغة العربية وفنونها وآدابها ، وتحصيل ملكة البيان فيها ،فقد وفاها حقها في اثني عشر فصلا من مقدمته المشهورة وهي الفصل السابع والثلاثون وما بعده الى الخمسين، ذلك بأنه كتب ما كتب والامة في طور يقل فيها من يقرأ مقدمته فيفقه و يعتبر ، ولم يكن كل من يفقه بالذي يقدر على تلافي الخطب، والسير بالامة في الطريق القصد ، وقد استبد بأمر الامة الاعاجم الجاهلون ، وقل العلماء المستقلون وساد المقلدون .

أما هذه النهضة الاخيرة فقد كان حكيمنا السيد جمال الدين مقتدح زنادها ، وشيخنا الاستاذ الامام قائد جيادها ، ولكن السائل بالغ في اطراء المعاصرين من كتابها ، فنظمهم في سلك الاولين ، من الفحول المقرمين ، وما هم عيال على بعض

المولدين ، على قلة ما يحفظون من المفردات ، وكثرة ما يخطئون في المركبات :

وأما سؤاله عن حفظ القرآن من النصارى استعانة به على تحصيل ملكة البلاغة — وهم ثلة من المتقدمين ، وأفراد من المتأخرين ، — بأي عين نظروا اليه وكيف صار بعضهم بليغاً دون كثير ممن حفظه من المسلمين وأضاف اليه شيئاً من الاحاديث ؟ فجوابه أنهم نظروا اليه بعين طالب الفصاحة والبلاغة ، لا بعين طالب الدين والهداية ، والامور بمقاصدها ، وانما يستفيد كل أمرئ من كل شيء مفيد بقدر ماتتوجه اليه ارادته من فوائده ، وتحصيل ملكة البيان في العربية لاتتوقف على حفظ القرآن الكريم ، ولكن حفظه يكون مزيد كمال فيها لمن حفظه وقصد منه ذلك ، لانه أبلغ الكلام العربي وأعلاه أسلوبا ، وان كان أسلوبه معجزا لايمكن أن يحتذى مثاله ، ومن حفظه لا يقصد ذلك منه لا يستفيد شيئا من بلاغته ، كما انه اذا لم يقصد الاهتداء به لا يستفيد من هدايته ، ومن هنا تعلم أن حفظه وحده لا يكفي في تحصيل ملكة البيان في اللغة العربية ، بل يتوقف ذلك على ممارسة الكثير من كلام بلغاء العرب في العهدين الجاهلي والاسلامي أو العهد الثاني فقط ، وان هذه الممارسة هي الاصل في تحصيل ملكة البيان لانها هي التي تحتذى وقدر القرآن الكريم أو ضعفه لا يكفي خلافا لما تظهره عبارة السائل ومثل في القرآن يقال مثله في الاحاديث النبوية وان كان أسلوبها غير معجز ، وذلك ان المحفوظ منها قليل ، واكثرها جمل مختصرة ، فلا تنطبع في نفس حافظها ملكة التصرف في جميع الاغراض والمعاني . ومن لم يقصد استفادة البلاغة منهما لم يستفد منها شيئا . وان من حفاظ القرآن عندنا من لاقصد لهم من حفظه الا تجويد ألفاظه وتوقيع آياته على الانغام الموسيقية ليعجبوا أو يطربوا من يستأجرونهم لقراءته في المآتم أو ليالي رمضان ، ومن الناس من لا ينظر فيه الا بقصد البحث عن آية يمكن التشكيك فيها ، بحملها على غير ماأريد منها ، ولا يعجزه أن يجد ذلك ، وقد ذم بعض الشعراء وجها أبيض أزهر فشبهه برئة الحيوان ، وذم ابن الرومي الورد فشبهه بما ننزه عنه هذا الكلام . « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى »

رحلة الحجاز

٥

مقامنا بمكة قبل الحج

تقدم انني دخلت مكة ضحوة يوم الاحد (وهو الثالث من أيام ذي الحجة بحسب تقاويم مصر وهو ما ثبت لدى حكومة مكة بعد وكانوا يعدونه الرابع في تقاويمها) وانني كنت متمتعا بالعمرة الى الحج ، وانني لم أتجاوز يوم الاحد دار السيد الزواوي التي جئتها بعد الطواف والسعي الا مساء اذ جئت المنزل الذي أعد لي من قبل الامير أحسن الله كرامته ، وانني لم أخرج منه الا ليلا بعد وصول السيدة الوالدة والرفاق الى قصر الامير للتشرف بزيارته . ولقيت في القصر نجله النجيب صديقي الشريف عبدالله ، وليس في مكة من أنجاله النجباء سواه ، اذ كان قد وجه الامراء الثلاثة عليا وفيصلا وزيدا الى فتح المدينة المنورة والامير عبدالله الى فتح الطائف — وتقدم ان فتح الطائف قد تم على يديه قبيل قدومنا ، وانه دخل مكة منصرفا عنها في وقت دخولنا

وفي اليوم الثاني وهو يوم الاثنين رابع ذي الحجة علم الناس بوصولي الى مكة مع الحجاج المصريين ، وذكرته جريدة القبلة في عددها الخامس عشر الذي صدر فيه ، فأقبل الكثيرون من الشرفاء والعلماء والوجهاء لزيارتنا وفي مقدمتهم الامير الشريف عبدالله وبعض من يشار اليهم بعد ، وبقينا الى يوم التروية وهو يوم الجمعة ثامن ذي الحجة لاعمل لنا الا عبادة الله تعالى وأخصها التطوف ببيته، والا لقاء الناس في الدار وفي الحرم والاستفادة من مذاكراتهم .

وقد كنت مدة إقامتي بمكة ضعيف البدن بنزف دم كان قد عرض لي لم يسبق لي مثله، فكنت لا أستطيع الطواف الا في وقت الاصيل ووقت السحر، وثقل علي الحر على أنه لم يكد يتجاوز الدرجة ٣٥ من ميزان سنتكراد الا قليلا ، ولم اكن أجد راحة في جسمي الا حيث كانت راحة روحي، وما ذاك الا في الحرم الشريف . ولا يوجد في بطن مكة مكان كالحرم يتخلله الهواء لسعته وكثرة الفجاج الموصلة اليه من

الجهات الأربعة ولولا أن وصفه مبين بالتفصيل في كتب المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين والرحالين لوصفته في هذه الرحلة الوجيزة . وكنت أصلي الفجر كل يوم بجانب مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام، وأصلي المغرب والعشاء في الجانب الشرقي من الحرم مع صديقنا الشريف أبي نمي الذي يعشق فضله وأخلاقه كثير من فضلاء المصريين ، اذ عرفوه باقامته في القاهرة عدة سنين، وكانت داره في مصر بجوار دارنا من شارع درب الجماميز ، واتفق ان زاويته في جدار الحرم الشرقي بالقرب من باب ابراهيم — وكذا داره — فهي بجوار المنزل الذي أنزلنا فيه كما علم مما تقدم . وكان خدمه يفرشون له في كل أصيل سجادة أو سجادتين تجاه زاويته حيث يصلي مع بعض أصحابه وكنت أنا والسيد الزواوي منهم، وكنا نجيئه في الاصيل ونخرج بعد صلاة العشاء

لم أجد قوة على رد الزيارة على كل من زارني ولم أتمكن من احصائهم، فنويت ان أرجئ النظر في ذلك الى ما بعد الانتهاء من أعمال النسك، ولكنني زرت فوزي بك البكري من سروات دمشق الشام في داره وعبد العزيز بك المصري في منزله وكلا من الشيخ كامل قصاب أحد علماء الشام ومحب الدين افندي الخطيب وفؤاد افندي الخطيب في ادارة جريدة القبلة وكلهم يعملون فيها، وكثر التلاقي بيني و بين هؤلاء والحديث معهم في الشؤون السياسية الحاضرة، وتعرف أخبار الحجاز منهم

ولم أدخل دار أحد من المكيين زائرا الا زاوية الشريف أبي نمي ودار الشيخ محمد صالح الشيبي فاتح بيت الله الحرام (ورئيس مجلس الشيوخ في الحكومة الجديدة كما يأتي) ثم لم يتيسر لي بعد الحج زيارة أحد ممن زارني كما يعلم مما يأتي الا نائب الشرع الشريف الشيخ يونس افندي فانني زرته في المحكمة الشرعية وكنت عرفته مجاورا في رواق الشوام بالازهر إذ كان يحضر دروس الاستاذ الامام، وزرت الشيخ عبد الملك الخطيب من أدباء مكة قبل السفر منها بيوم واحد .وكنت أود أن أزور الشيخ عبدالله سراج قاضي القضاة ووكيل رئيس النظار في الحكومة الجديدة وأخلو به في داره ساعة للمذاكرة في الشؤون الحجازية فلم أجد فرصة لذلك، وكان قد تفضل بزيارتي في دار الضيافة الهاشمية وأثنى لي على تفسير المنار وطلب

مني جميع ماطبع منه . وقد رأيت أنه فى أقرب منزلة من ثقة الامير وقلما جئت قصر الامارة الا ورأيته معه أو منتظرا لقاءه

وأما الشيخ الشيبي فهو كبير بني شيبة حجبة الكعبة المعظمة ووارثي مفتاحها في الجاهلية والاسلام ، وبيتهم من أكبر بيوت قريش بعد بيوتات الهاشميين عامة والعلويين منهم خاصة ، وهم ينسبون الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة الصحابي الذي فتح باب الكعبة للنبي (ص) يوم الفتح ودخلها معه كما في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة والسير والتاريخ . وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال : أقبل رسول الله (ص) عام الفتح على ناقة لأسامة بن زيد حتى أناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال « ائتني بالمفتاح » فذهب الى أمه فأبت أن تعطيه فقال : والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي (يعني أنه يقتل نفسه بطعن بطنه به حتى ينفذ من ظهره) قال فأعطته إياه فجاء به الى النبي (ص) فدفعه اليه ففتح الباب . وظاهر هذه الرواية ان النبي (ص) هو الذي فتح الباب ، وورد التصريح بذلك في رواية عنه أيضا سندها ضعيف في تاريخ مكة للفاكهي قال (أي ابن عمر) كان بنو أبي طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله (ص) المفتاح ففتحها بيده . ولكن روى عنه البخاري من طريق فليح انه قال : وقال لعثمان « ائتنا بالمفتاح » فجاءه بالمفتاح ففتح له الباب فدخل . وفي هذه الرواية أيضا انه كان مردفا لاسامة على القصواء وهي ناقته (ص) وفي رواية أخرى للبخاري وغيره انه (ص) أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد الحديث . وقال الحافظ في الفتح : روى عبد الرزاق والطبراني من جهته من مرسل الزهري ان النبي (ص) قال لعثمان يوم الفتح « ائتني بمفتاح الكعبة » فأبطأ عليه ورسول الله (ص) ينتظره حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول « ما يحبسه ! » فسعى اليه رجل وجعلت المرأة التي عندها المفتاح وهي أم عثمان واسمها سلافة بنت سعيد تقول ان أخذه منكم لا يعطيكموه أبدا ، فلم يزل بها حتى أعطت المفتاح فجاء به ففتح ثم دخل البيت ثم خرج منه فجلس عند السقاية . فقال علي إنا (يعني بني هاشم) أعطينا النبوة والسقاية والحجابة ، ما قوم بأعظم نصيبا

منا . فكره النبي (ص) مقالته ، ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع المفتاح اليه . ثم قال الحافظ : وروى ابن عائذ من مرسل عبد الرحمن بن سابط (وهو ثقة) ان النبي (ص) دفع مفتاح الكعبة الى عثمان فقال « خذها خالدة مخلدة ، اني لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق ابن جريج ان عليا قال للنبي (ص) أجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فدعا عثمان فقال « خذوها يابني شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق علي بن أبي طلحة ان النبي (ص) قال « يابني شيبة كلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » اه

والظاهر ان ذكر بني شيبة ههنا غلط من النساخ صوابه يابني أبي طلحة ، فان عثمان بن طلحة هذا هو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة كما تقدم وكانوا كلهم يدعون بني أبي طلحة نسبة الى جدهم أبي طلحة عبدالله بن عبد العزى بن عثمان ابن عبدالدار بن قصي . وقدذكر الحافظ في ترجمة كل من عثمان بن طلحة وابن عمه شيبة بن عثمان من تهذيب التهذيب من عبارة الاصل عن مصعب الزبيري ان النبي (ص) دفع المفتاح اليهما معا وقال « خذوها يابني أبي طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم الا ظالم » وذكر عن ابن سعد عن هوذة بن خليفة عن عوف عن رجل من أهل المدينة : دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح شيبة بن عثمان فأعطاه المفتاح وقال « دونك هذا فأنت أمين الله على بيته » وذكر الحافظ هذين الحديثين في ترجمة شيبة من الاصابة أيضا ثم قال : وذكر الواقدي ان النبي (ص) أعطاها يوم الفتح لعثمان وان عثمان ولي الحجابة الى ان مات فوليها شيبة واستمرت في ولده اه وهذا هو الصواب، وقد استمرت في ولده الى اليوم وبهذا حفظ نسبهم، وعظم حسبهم، وقد نزعها منهم بعض أمراء مكة ثم عادت اليهم كما يؤخذ من بعض كتب التاريخ

أقول ولاهل هذا البيت أن يفخروا على جميع الناس بهذه الوظيفة القديمة الثابتة من قبل الاسلام . التي أقرها الله تعالى ورسوله لهم في محكم القرآن، وبأن اقرارها لهم كان سبب نزول تلك الآية العظيمة التي هي قاعدة أصول الاحكام، وعليها مدار اصلاح الانام ، وهي قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها

واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) كما تقدم آنفاً

وذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور من تخريج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج ، بمعنى ما تقدم وفيه أنه قال وقال عمر بن الخطاب : لما خرج رسول الله (ص)من الكعبة وهو يتلو هذه الآية فداؤه أبي وأمي ماسمعته يتلوها قبل ذلك . وذكر هو والحافظ ابن كثير رواية طويلة في هذا المعنى عن ابن عباس أخرجها ابن مردويه عنه من طريق الكلبي عن أبي صالح وفيها ان العباس(رض) حاول أخذ المفتاح وطلب من النبي (ص) أن يجعل له الحجابة مع السقاية فأنزل الله الآية في ذلك . قال الحافظ ابن كثير بعد ذكره هذه الرواية : وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك،وسواء كانت في ذلك أولا فحكمها عام اه وذكر علماء الحديث والسير أن عثمان بن طلحة أسلم في هدنة الحديبية هو وخالد بن الوليد وهاجرا وان شيبة أسلم عام الفتح

الشيخ محمد صالح الشيبي

هذا وانني لم أر فيمن رأيت رجلا تمثل رؤيته فصلا من تاريخ قريش في الجاهلية والاسلام وتاريخ بيت الله الحرام الا كبير الشيبيين الشيخ محمد صالح . وهو رجل جليل المنظر لطيف المعاشرة ، حسن المفاكهة ، له مشاركة في العلوم الاسلامية ، والآداب العربية ، وحظ من المدنية العصرية ، ورأيته على مشربي في العناية بأمر الماء النقي البارد ، فهو لا يشرب من ماء عين زبيدة التي يشرب منها أهل مكة بل يستعذب له الماء من بئر في ضواحيها — كما كان يستعذب الماء من آبار السقيا للرسول الاعظم، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، — ويثلج له الماء في داره ،وعنده روايا افرنجية من نوع الترمس الاسطواني المشهور يحمل له فيها الماء المثلوج مع قطع من الجليد المصنوع اذا خرج هو منها الى سفر قريب كعرفة أوجدة . وقد أقام في الاستانة زمنا وهو يعرف اللغة التركية

رخاء المعيشة بمكة

وعلى ذكر الثلج أذكر من خبر رخاء المعيشة في مكة المكرمة ان أهل هذا البلد الامين يتمتعون أبدا بدعاء ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم الذي حكاه الله عنه في قوله (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)ودعائه ان يبارك الله لهم في اللحم عندما زار بيت

أسماعيل بمكة بعد زواجه الثاني كما ثبت في حديث ابن عباس عند البخاري الذي ذكرنا القسم الاول منه في بيان حكمة السعي بين الصفا والمروة من هذه الرحلة. فاللحم في مكة كثير رخيص وهو جيد شديد السمن، والثمرات والخضر فيها كثيرة رخيصة أيضاً على أنهم يرفعون أثمان كل شيء في موسم الحج. وقد كنا في دار الضيافة الهاشمية تستطاب لنا ألوان اللحم والخضر في كل غداء وعشاء، ولكن كان يغلب عليّ وعلى الوالدة والشقيقة الإقهاء، (١) فرغبتنا في الطعام كانت ضعيفة، ولولا عنب الطائف ورمانها الجيدان لما طابت لنا المعيشة، وكان لدينا طاه يحسن الطبخ على الطريقتين المكية والتركية، ثم استحسنت الوالدة أن تتولى الطبخ لنا احدى الجاريتين اللتين خصصتا للخدمة المنزلية، وأما الثلج أو الجليد فقد قيل لنا انه كان له معمل في مكة وقد كسر وتعطل. ووجدنا بعض الهنود هنالك يعملون قطعاً صغيرة من الجليد يجمدونها في قوالب من الزنك ويبيعونها بأثمان غالية جداً لمعتادي شرب الماء المثلوج كالشيخ الشيبي فكنت أشتري منهم كل يوم، اذ لم أجد ماء كيزان الفخار مقبولا وان كنا في شهر الميزان، خلافا للمثل الحجازي القائل: اذا دخلت الشمس في الميزان، يبرد الماء في الكيزان.

وقد ذكر الرحالة محمد بن جبير الاندلسي في رحلته ما وجد في مكة من الثمرات والبقول كما ذكر غير ذلك من خيراتها وتحفها، قال: وأما الارزاق والفواكه وسائر الطيبات فكنا نظن ان الاندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد حتى حللنا بهذه البلاد المباركة فألفيناها تغص بالنعم والفواكه كالتين والعنب والرمان والسفرجل، والخوخ والاترج والجوز والمقل... الخ ومن أعجب ما اختبرناه من فواكهها البطيخ والسفرجل وكل فواكهها عجب لكن للبطيخ فيها خاصة من الفضل عجيبة، وذلك لان رائحته من أعطر الروائح وأطيبها، يدخل به الداخل عليك، فتجد رائحته العبقة قد سبقت اليك، فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب رياه، عن أكلك إياه، حتى اذا ذقته خيل اليك انه شيبه بسكر مذاب، أو بجنى النحل اللباب. الخ واطنب في وصف جودة اللحم وسمنه ولينه وسهولة هضمه، وهو كما قال، ونحن لم

(١) الاقهاء فقد شهوة الطعام

ندرك كل ما أدرك من الثمرات فانه جاء مكة في قلب الصيف من سنة ٥٧٩ وبقي فيها الى أواخر الشتاء . والبطيخ الاصفر الذي أدركناه دون النوع الجيد منه في مصر المعروف بالشمام

﴿ الاحرام بالحج وشد الرحال الى عرفات ﴾

صلينا الجمعة يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة[1] في الحرم الشريف وفي ليلة السبت شددنا الرحال الى عرفات محرمين بالحج ، وقد قال لي صديقنا السيد الزواوي في صبيحة ذلك اليوم : ان سيدنا الامير أيده الله تعالى قد كان استحسن أن تخرج معه الى عرفة وتكون في صحبته هنالك وفي منى الى أن تعودوا الى مكة، ولما ذكر لي ذلك مستشيرا فيه ذكرته بوجود والدتكم معكم، وقلت لعل الاولى أن يخرج في خدمتها لان ذلك آنس لها وأقر لعينها ومزيد ثواب له، فاستحسن ذلك ، وأمرني بتجهيز الرواحل والمؤنة وسائر مايلزم وأمر بصرف عشرين جنيها لنفقة عرفة خاصة ، وقد عهدت الى ابراهيم (هو وكيل الخرج والمتولي أمر خدمتنا) باختيار جمال قوية جيدة لكم والجمال في هذه العام قليلة جدا لكثرة مامات منها قبل الثورة لقلة العلف، ولو كان الحاج كثيرا كالعادة لما وجد من الجمال مايكفيه ، وقد وصلت أجرة الجمل الواحد الى عرفة ذهابا وإيابا الى عشرين ريالا مجيديا ، ولولا ان سيدنا الامير حفظه الله أمر عسكر البيشة بجلب الجمال من الاعراب ولو بالقوة لتعذر على بعض الحجاج أن يجدوها الا باجرة فاحشة

هذا ملخص ماقاله السيد الزواوي ، فشكرت لسيدنا الامير كرمه وفضله ودعوت له بالتوفيق والتأييد ، ثم للسيد عنايته بنا هو ونجله السيد عبد الرحمن ، وتعاهدهما ايانا بكل مانحتاج اليه في كل يوم بل في كل آن ، وكانت هذه العناية على أتمها عند الحل والترحال ، ففي أصيل هذا اليوم — يوم التروية — جيء بالرواحل الى حوش الدار ، وتولى وكيل الخرج ووالده شدّ الشقادف وفرشها بنظر السيد عبد الرحمن وارشاده، ثم ركبنا في وقت العشاء. فكانت السيدتان الوالدة والشقيقة

---

(١) سمي بذلك لانهم كانوا يروون فيه الابل ويحملونها الماء الكثير لعدم وجوده في عرفة

في أحسن الموادع ومعهما غزلان الجارية جلست بينهما لخدمتهما ، وركبت أنا ومحمد نجيب أفندي في شقدف ، وركب وكيل المطوف مع الأستاذ الشيخ خالد في شقدف ، وركب والد وكيل المطوف الجمل الذي يحمل الخيام والأثاث والماعون والمؤنة ، وركب السيد عبد الرحمن دابة فارهة، وسرنا الهوينا في أسواق مكة قاصدين عرفة بعد أن أحرمنا جميعا وأهللنا بالحج من منزلنا ، إلا الذي ذهب بالخيام والماعون فانه سبقنا، وتأخر عنا السيد الزواوي الكبير ثم أدركنا . وبعد سرى نحو من ست ساعات ، وصلنا الى حيث ضربت خيامنا من عرفات ، وذلك بالقرب من موقف النبي (ص) حيث مسجد الصخرات ، (وسيأتي قريبا بيان هذا الموقف) ولم يكن في استطاعتنا ان نتبع سنته (ص) في السير بأصحابه الى عرفة .

كان من لم يسق الهدي من الصحابة الذين كانوا مع النبي (ص) في حجة الوداع قد قلبوا حجهم الى عمرة بأمره (ص) وبعد طواف العمرة وسعيها قصروا شعورهم وتمتعوا الى يوم التروية ، وكانوا نازلين في خارج مكة ، فلما خرجوا معه (ص) فيه الى منى أهلوا بالحج من الابطح — وهو ما انبطح من الارض في أول طريق منى ما بين الجبلين الى مقبرة مكة (المعلى) ويسمى البطحاء والمحصب — وقد صلى النبي (ص) الظهر والعصر يوم التروية بمنى وبات فيها ليلة عرفة وانما رحل منها بعد طلوع الشمس ففي ذلك عدة سنن لم تتيسر لنا . والخروج في كل وقت من يوم التروية مباح ، وكره مالك التقدم اليها قبله والتأخر عنه الا أن أدركه وقت الجمعة بمكة فيصليها فيها كما فعلنا . وروى ابن المنذر أن عائشة لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب ثلثه . اهـ من نيل الاوطار

صفة الطريق من مكة الى عرفات

خرجنا من الدار وهي غربي الحرم بقرب بابه المعروف بباب ابراهيم[1] فسرنا في الشارع الكبير ، مائلين يمينا الى جهة الجنوب الشرقي حيث يكون الحرم الشريف عن يسارنا ويسمى ذلك الموقع بالسوق الصغير ، وليمن الشارع جيادوفيه ،ماهد الحكومة

(١) ابراهيم الذي أضيف اليه هذا الباب خياط كان هنالك وظن بعض الناس أن المراد ابراهيم الخليل (ص) وممن اغتر بظاهر التسمية الرحالة ابن جبير فنقل ذلك .

والمطبعة والتكية المصرية ، ويليه شارع المسعى حيث يكون السعي بين الصفا والمروة ، فالقشيشية فسوق الليل الذي كان فيه ميلاد النبي الاعظم، صلى الله عليه وآله وسلم ، وهنالك يتحول السائر في الطريق الى جهة الشمال فيمر بالغزة وفيها قصر الامارة عن يمينه ، فالنقا فالسليمانية عن يساره ، وهذا القسم الشمالي من مكة واقع بين جبل أبي قبيس من جهة الشرق وجبل قعيقعان وجبل الهندي من جهة الغرب، ودونهما جبل لعلع الصغير عند النقا

ومتى جاوز الخارج من مكة عمرانها من هذا القسم يرى عن يساره مقبرتها المعلاة أو المعلى وفيها قبر السيدة خديجة أم المؤمنين ، وجدة آل البيت الطاهرين ، عليها وعليهم السلام ، وهذه الجهة هي أعلى مكة وتسمى الحجون (بفتح الحاء المهملة) التي قال فيها الحارث بن مُضاض الجرهمي :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
بل نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

ويدخل فيها من ثنية كداء [1] التي دخل منها رسول الله (ص) مكة عام الفتح وفي حجة الوداع وهي في أعلى الجبل الذي على يسار المار الى المقبرة، ويقال لثنية كداء الثنية العليا ، والثنية الاخرى التي دخلنا منها الثنية السفلى وتسمى كدى (بالضم والقصر) ومنها خرج النبي (ص) من مكة ، وهي بقرب شعب الشاميين من ناحية جبل قعيقعان . وهنالك باب الشبيكة المشهور بعد جرول .

ووراء المعلى في طريق منى مكان يسمى البياضية مطلق الهواء، فيه قصور لبعض الشرفاء . ومن هنالك يتحول طريق منى الى الشرق ، وهو واد يختلف عرضه من مثني ذراع بذراع الآدمي الى ألف ذراع بالتقريب ، وتختلف أسماؤه باختلاف المواقع ، وأشهرها وادي المنحنى الذي قال فيه ابن الفارض

ما بين ضال المنحنى وظلاله ضل المتيم واهتدى بضلاله

ويليه وادي السلم بفتح السين واللام ويذكر كثيرا في أشعارهم . والضال هو

(١) الثنية بوزن قضية الطريق في العقبة أو العقبة المسلوكة . وقال الراغب الثنية من الجبل ما يحتاج في قطعه الى صعود وحدور، والعقبة الطريق الوعر في الجبل • وكداء بفتح الكاف والمد .

البري من شجر السدر وهو ذو شوك [illegible] الشجر الذي [illegible] ورقه القرظ ويدبغ به، وهما من أشجار تلك البلاد.

وأول منى العقبة التى فيها الجمرة المنسوبة اليها وسيأتى ذكرها . والمسافة بين مكة ومنى فرسخ واحد أي ثلاثة أميال كما قالوا ، ففى معجم البلدان لياقوت : منى بالكسر والتنوين في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار يسمى بذلك لما يمنى فيه أي يراق من الدماء — أي دماء الانعام للنسك — الى أن قال : وهي بليدة على فرسخ من مكة طولها ميلان تعمر أيام الموسم وتخلو بقية السنة الا ممن يحفظها ، وقل أن يكون للاسلام بلد مذكور الا ولاهله بمنى مضرب اه والمراد بالمضرب المكان الذي تضرب فيه خيام الحاج . وهذه الطريق يقطعها راكبو الخيل وكذا الحمير في ساعة واحدة وراكبو الابل في ساعتين . وحد منى من العقبة التي فيها جمرة العقبة الى بطن محسر (بكسر السين المشددة) كما سيأتي . والغالب فيها التذكير والصرف ، وقد تؤنث على الاصل في أسماء البقاع وتمنع من الصرف

والوادي بين منى والمزدلفة يسمى وادي النار ، وتسمى المزدلفة جمعا أيضا ويكثر هذا الاسم في الاخبار والآثار والاشعار، وهي المشعر الحرام عند الجمهور أو هو جبل قزح فيها،قال تعالى(فاذكروا الله عند المشعر الحرام)أي في المزدلفة فهي عنده الجبل . والمسافة بينها وبين منى من نهاية حدها الشرقي نصف ساعة لركاب الخيل أو الحمير الفارهة وساعة أو ساعة وربع لراكبي الابل . وسميت جمعا لجمعها الناس في ليلة النحر ، والمزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب اما للتقرب الى الله بذكره فيها أو للازدلاف اليها من منى بعد الافاضة من عرفات . وقيل ان آدم وحواء تعارفا في عرفة واجتمعا في المزدلفة وسيأتي الكلام على المبيت فيها للنسك .

والمسافة بين المزدلفة وعرفات ساعة ونصف على الدواب ويمكن قطعها بأقل من ذلك ، وثلاث ساعات للابل . وبين المزدلفة وعرفة مضيق الاخشبين ووادي نمرة وبطن عرنة . وقال العلماء ان المسافة بين مكة وعرفة تسعة أميال تقريبا ، نقله الزبيدي شارح القاموس والاحياء ، ولكنه ذكر عند الكلام على نمرة أنها على مسافة أحد عشر ميلا

وفاة الشيخ سليم البشري

شيخ الازهر

في الضحوة الكبرى من يوم الجمعة لاربع خلون من شهر ذي الحجة الحرام توفي الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر عن عمر ناهز المئة سنة وقيل جاوزها ، وكان قبل يومين من وفاته سليما معافى، وقد نعته ادارة المعاهد العلمية في الازهر الى رؤساء الحكومة والجرائد اليومية بما نصه :

« أصيب المسلمون في مصر بفقد شيخ المسلمين وكبير علماء الدين حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر ورئيس المجلس الاعلى للمعاهد العلمية والدينية الاسلامية »

« توفي الى رحمة الله قبيل ظهر اليوم (الجمعة ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٧) بعد مالزم الفراش يومين كان من قبلهما ينهض باعباء المعاهد الدينية و يلقي دروسه العالية في الازهر بعزم فتى لا تنال منه الشيخوخة ولا يدركه هرم

«وستشيع جنازة الفقيد غدا السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٧ الساعة ١١ صباحا من محطة كبري الليمون مارة بشارع كامل فشارع الموسكي الى الجامع الازهر حيث يجتمع وفود المشيعين من العلماء والطلاب وغيرهم للصلاة عليه . ثم تسير الجنازة الى مدافن السادات المالكية بقرافة الامام مارة بشارع الغورية فشارع المغربلين فشارع محمد علي و يلقي صاحب العزة حافظ ابراهيم بك على قبر الفقيد مرثاة من نظمه .

« أحسن الله عزاء المسلمين في فقيدهم الجليل وتولاه برضوانه ورحمته »

كانت وفاته في داره بالحلمية من ضواحي مصر وبدىء الاحتفال بتشييع جنازته في الوقت الذي ذكر في النعي وقد وصفت ذلك جريدتا الاهرام والمقطم بالتفصيل ، قالت الاهرام :

« فجيء بالجثة من الحلمية الى كبري الليمون بقطار خاص يصحبها أنجال الفقيد وأحفاده وآله وجمهور من العلماء والاعيان . وكان في انتظارها في محطة كبري الليمون نفسها من الداخل جمهور عظيم من كبار العلماء والموظفين الملكيين والعسكريين

والاعيان والتجار والمحامين يتقدمهم حضرة صاحب السعادة حسن عبد الرازق باشا وكيل الديوان العالي السلطاني بالنيابة عن صاحب العظمة السلطانية والكولونل ر. ف هربرت بالنيابة عن القومسير العالي البريطاني وحضرة صاحب المعالي ابراهيم فتحي باشا وزير الاوقاف العمومية بالنيابة عن رئيس الوزراء والميجر ه. م جريفس أحد أركان الحرب في الجيش البريطاني بالنيابة عن القائد العام فاللواء السيد علي باشا مساعد الادجونانت الجنرال بالنيابة عن وزير الحربية فالقائمقام ادواردس بك بالنيابة عن سردار الجيش فحضرة صاحب المعالي محمود شكري باشا رئيس الديوان العالي السلطاني فحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية»

(ثم ذكرت وكلاء الوزارات باسمائهم وكبار الموظفين والوجهاء بالاجمال وخيالة البوليس فجمهور الطلاب الازهريين وطلبة مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة ماهر باشا)

ثم وصفت الجريدة السير بالجنازة الى الازهر والصلاة عليها فيه وتأبين الفقيد كما بلغت ، ومنه ان المؤذنين كانوا يرتلون في المآذن التي مرت فيها الجنازة — وكذا في صحن الازهر — آيات الابرار أي الآيات التي وردت في وصفهم من سورة الانسان وهي قوله تعالى (ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا) الخ

وأقول ان هذا من البدع الخاصة بكبار رجال العلم الديني ومن ينزلونه منزلتهم ولذلك يظن الكثير من غير المسلمين ومن المسلمين الجاهلين الذين لا يعرفون السنن والبدع أنه من شعائر الدين . وللمؤذنين في قراءة هذه الآيات طريقة رديئة لو لم تكن قراءتها والاجتماع لها في المآذن والمساجد بدعا لكانت هذه الطريقة في التلاوة كافية في وجوب الانكار عليهم ووجوب منعهم من ذلك على القادر . ذلك أن يقطعون الآيات قطعا يقرأ بعضهم كلًّا منها يسكت في غير مواضع الوقف منها فيتم بعض آخر ما بدأ كما يفعل الممثلون للقصص في الملاهي، فيفصلون بين الصفة والموصوف ، والعامل والمعمول ، يقول بعضهم (ان الابرار يشربون من كأس) فيقول آخرون (كان مزاجها كافورا) ثم يقول بعضهم (عينا يشرب بها عباد الله) فيقول آخرون (يفجرونها تفجيرا) وهكذا يفرقون في قوله تعالى (يوفون بالنذر و يخافون يوما كان شره مستطيرا) بين يوما وما وصف به، ولو تدبروا الآية لخافوا ان يعذبهم الله تعالى في ذلك اليوم على هذا التمزيق في قراءة كتابه . ومن غريب الاتفاق

انا اقترحنا في جزء المنار الماضي على شيخ الازهر أن يسعى لابطال البدع من المساجد ولم يكد نوزع الجزء الا وقد قضي الشيخ نحبه ، فعسى أن يقوم بذلك خلفه

ثم قالت الاهرام : وكان الناس من وطنيين وأجانب وقوفا بالعشرات والمئات على جانبي الطريق يحيون الفقيد في مشهده و يترحمون عليه . ثم ذكرت وصول الجنازة الى الجامع الازهر في منتصف الساعة الاولى بعد الظهر والصلاة عليها وقراءة الشيخ محمد الحلاوي قصيدة من نظمه في رثاء الفقيد . وتلاه الشيخ محمد أبو العيون بتأبين منثور أشير اليه بأن يختصره لاجل التعجيل بالدفن المطلوب شرعا ففعل .

ثم حملت الجنازة من الازهر والمؤذنون يكررون الآيات التي تقدم الكلام عليها الى مقابر المالكية من قرافة الامام الشافعي رضي الله عنه، و بعد مواراتها التراب أنشد محمد حافظ بك ابراهيم مرثيته وتلاه الشيخ محمد فراج المنياوي بتأبين نثري أساء فيه الاطراء فجعل فيه الفقيد من الخلفاء الراشدين بل فضله عليهم في التعبير . ثم عزى جمهور المشيعين أبناء الفقيد وانصرفوا

﴿ مرثية محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

أيدري المسلمون بمن أصيبوا ... وقد واروا سليما في التراب

هوى ركن الحديث فأي خطب ... لطلاب الحقيقة والصواب

موطأ مالك عزى البخاري ... ودع لله تعزية الكتاب

فما في الناطقين فم يوفي ... عزاء الدين في هذا المصاب

قضى الشيخ المحدث وهو يملي ... على طلابه فصل الخطاب

ولم تنقص له التسعون عزما ... ولا صدته عن درك الطلاب

وما غالت قريحته الليالي ... ولا خانته ذاكرة الشباب

أشيخ المسلمين نأيت عنا ... عظيم الاجر موفور الثواب

لقد سبقت لك الحسنى فطوبى ... لموقف شيخنا يوم الحساب

اذا ألقى السؤال عليك ملق ... تصدى عنك برك للجواب

ونادى العدل والاحسان انا ... نزكي مايقول ولا نحابي

قفوا يا أيها العلماء وابكوا ... ورووا لحده قبل الحساب

فهذا يومنا ولنحن أولى   يبذل الدمع من ذات الخضاب
عليك تحية الاسلام وقفا   وأهليه الى يوم المآب

التعازي

ونشرت جريدتا الاهرام والمقطم تعزية برقية من نائب الملك لمدير المعاهد الدينية وأخرى للشيخ طه البشري أكبر أبناء الفقيد صرح فيهما بأن نعيّ الفقيد قد شق عليه كثيرا ودعا له بالرحمة والرضوان — و برقيتان أخريان بمعناهما من كبير الوزراء صرح فيهما بأنه أسف جدا لعدم إمكان تشييعه الجنازة بشخصه .

وقد تألف وفد من أنجال الفقيد ومراقب الازهر رأسه المدير العام للمعاهد الدينية الشيخ عبد الرحمن قراعة لاداء الشكر لرؤساء الحكومة وكبراء البريطانيين الذين اشتركوا في تشييع الجنازة بالذات أو بإنابة الوكلاء عنهم والمعزين فبدؤا بقصر عابدين وسجلوا أسماءهم في (دفتر التشريفات) ثم نائب وزير الحربية وادوروودس بك اشكر السردار ثم الجنرال كليتون اشكر القائد العام للقوات البريطانية بمصر على ارساله مندوبا لتشييع الجنازة ثم وكيل الاوقاف لشكره وشكر الوزير وأرسلوا برقيات شكر الى نائب الملك ورئيس الوزراء وقومندان المحروسة ومحافظ العاصمة وحكمدارها

﴿ ترجمة الفقيد ﴾

نشرت جريدة الاهرام ترجمة وجيزة للفقيد قيل انها مستمدة من أهل بيته ملخصها : انه « ولد حوالي سنة ١٢٤٣ أو ١٢٤٤ في محلة بشر بمركز شبراخيت ولما شب حضر الى مصر لتلقي العلم وأقام تحت رعاية شيخه الشيخ بسيوني البشري من شيوخ المسجد الزيني ، وانه تعب في طلب العلم تعبا شديدا ولقي من الدهر فيه مقاومات عظيمة ، وانه كان يتعبد في المسجد الزيني ليلا و يذهب الى الازهر نهارا لتلقي الدروس ، وان خاله عين أمينا لكساوي المحمل في أول ولاية سعيد باشا فخرج معه الى الحجاز حاجا « و بعد ان أدى فريضة الحج عاد الى مصر و بقي يشتغل بالتدريس حتى سنة ١٢٧٣ تقريبا »

= وأن أول عهده بالوظائف أن « عين إماما لمسجد إينال بمرتب ٩٠ فضه في الشهر » « وفي سنة ١٢٩١ مات الشيخ علي العدوي فنيط به التدريس في المسجد الزيني بدلا منه بمرتب مئة قرش في الشهر وعين وكيلا عن شيخ المسجد الزيني لحداثة سنه

وهو الشيخ أحمد الصفتي الشيخ الخالي وبقي كذلك الى آخر ولاية اسماعيل باشا ثم عين إماما وخطيبا لمسجد زين العابدين ثم شيخا للمالكية بعد وفاة الشيخ عليش ثم شيخا للازهر لاول مرة في سنة ١٩٠١ وكانت مدتها أربع سنين . وذكر من حبه للعلم وايثاره له أن تلميذه قدري باشا عرض عليه وظيفة بثلاثين جنيها فأبى مفضلا الانقطاع الى تعليم العلم . ولم يذكر تلك الوظيفة فالظاهر انه لم يكن يمكن الجمع بينها وبين التعليم .

وذكر مسألتين من خلائقه احداهما انه كان اختار الشيخ أحمد المنصوري شيخا لرواق الصعايدة فأبى قاضي مصر إقامته ناظرا على أوقاف الرواق فأصر صاحب الترجمة على تعيينه دون غيره « ورأى في العدول اهدارا لرأيه وبالغ في التشبث برأيه حتى فضل ترك المشيخة على التجاوز عن حقه المفروض بحكم القانون » والثانية أنه لما جدد المسجد الزينبي رأى رئيس مهندسي الاوقاف ان ينقل القبر المنسوب الى السيدة زينب بما فيه فعارضه الشيخ وأعلمه أن ذلك مخالف للشرع من وجوه عديدة، وانتهى الخبر الى الخديو محمد توفيق باشا فأمر بابقاء القبر في مكانه وترضى الشيخ فتم له ما أراد . ولما كانت نشأة الشيخ الدينية قد كانت في جوار ذلك الضريح وصار قيما له عدة سنين ظل محافظا على تكريمه طول عمره ، ولا ندري أكان يعتقد أن السيدة زينب مدفونة في هذا المكان كما يظن عامة المصريين أم كان يرى ان نسبة القبر اليها كدفنها فيه ؟؟

وفي هذه الترجمة أغلاط وقصور . وقد علمنا من عالم من أكبر تلاميذ الفقيد وأعلمهم بترجمته انه سمع منه انه ولد في سنة ١٢٣٧ وانه جاء مصر في سنة ١٢٤٥ أو ١٢٤٧ وأقام عند خاله الشيخ بسيوني شلتوت المؤذن في مسجد السيدة زينب . ثم قضت الحال أن أرسله الخال الى الازهر

وقد رأينا في جريدة وادي النيل التي تصدر في الاسكندرية — وهي أرقى جريدة للمسلمين في هذا القطر — نعيا للفقيد وشيئا من حاله يبلغ زهاء نصف عمود بدأه بقوله : « نعت العاصمة الاستاذ الشيخ سليما البشري شيخ الجامع الازهر عن عمر طويل قضى شطره الاكبر في خدمة العلم وقضى آواخره في ولاية المشيخة الازهرية غير مرة . وكان رحمه الله في ولاية المشيخة ذا أنصار يحفون من حوله وخصوم

كثيرين يأخذونه بأمور ليس من المناسب ذكرها » ثم ذكر ان علماء الازهر متفقون على أنه أعلمهم بالحديث وان طريقته في قراءته انه كان يقرأ الحديث أولا على سبيل التبرك ثم يقرأه أحد الطلبة بصوت جهوري ثم يشرحه الشيخ بما شاء الله من علمه .

أقول وهذه المزية له مشهورة سمعتها من كثيرين وعليها بنى حافظ مرثيته ، وهي أعظم مزية تذكر له في هذا العصر الذي أهمل الازهريون فيه العناية بعلم السنة رواية ودراية حتى صار طلبة العلوم الدينية في ديوبند وغيرها من بلاد الهند يفضلون أكبر شيوخ الازهر في علوم الحديث . وانما كان الشيخ سليم البشري على حظ من علم الحديث لانه طلب العلم قبل هذا الجيل بجيلين وكانت كتب السنة لاتزال تدرس فى الازهر . وقد أدركنا من أقران الشيخ فى الطلب شيخ شيوخنا الشيخ محمود نشابه فألفيناه منفردا بعلوم الحديث، وقد كنت أقرأ عليه صحيح مسلم فيصحح لي أسماء الرواة وغريب الحديث ويجيبني عن كل ماأسأله عنه من المشكلات على البداهة من غير مراجعة شرح ولا كتاب آخر . فاذا رجعت الى تلك الكتب رأيت ماقاله هو الصواب . ولكن صاحب الترجمة لم يعمل شيئا لاحياء مااندرس من علوم الحديث في الازهر في أيام رياسته ومشيخته

وعندنا ان أعظم مايذكر في تاريخ مشيخته للازهر قبوله للقانون الذى وضعته الحكومة له ولمعاهد التعليم الدينى التابعة له وتنفيذه إياه ، وقد بينا رأينا فيه في المجلد الرابع عشر من المنار ، ولا مجال لبيان ذلك ولا لما كان بين المترجم و بين الاستاذ الامام من الوفاق والخلاف في ادارة الازهر ، وانما أقول ان المترجم كان حريصا على نيل رضاء السلطة العليا في كل وقت ، وقد فصلنا ذلك بعض التفصيل في تاريخ الاستاذ الامام

(للترجمة بقية)

﴿ شيخ الازهر الجديد ﴾

لما توفي الشيخ البشري كثر القيل والقال في الازهر في ترشيح خلف له وسرى ذلك الى سائر معاهد العلم الديني التابعة للازهر والى غيرها واشتهر أن الازهريين رشحوا أربعة أشياخ كل منهم له حزب رشحه ، وسعى له سعيه ، وقد كتب بعضهم مقالات الى الجرائد يطعن فيها بعض، منها ما نشر ومنها مالم ينشر ، واتسع الوقت للخوض في ذلك

بأن البشري توفي قبيل عطلة عيد الاضحى ولم يتعين الخلف له الا بعد انتهائها فقد صدرت الارادة بتعين الشيخ محمد أبي الفضل الجيزاوي شيخ معهد الاسكندرية شيخا للازهر ورئيسا لمجلس المعاهد الدينية الاعلى في يوم الاثنين لاربع عشرة خلت من شهر ذي الحجة الحرام ، وهو أكبر علماء المالكية بعد البشري سنا ومن أشهر علماء الازهر في العلم والمحافظة على آداب الشيوخ وشمائلهم ، ويقال انه في العقد الثامن من العمر ، وقد سبق له الاشتغال بادارة الازهر إذ كان أحد أعضاء مجلس ادارته في مشيخة الشيخ حسونه النواوي ثم عين وكيلا للازهر وبعد قليل من الزمن عين شيخا لمعهد الاسكندرية. فنهنئه بأكبر منصب يرتقي اليه شيوخ العلم الديني بمصر ونسأل الله تعالى ان يوفقه ويسدده فيه ويجعل لاحياء علم السنة ومقاومة البدع أفضل حظ من عنايته

عبر التاريخ

ما قيل في فتح الانكليز لبغداد

قالت جريدة المقطم في فاتحة مقالة طويلة نشرت في صدر العدد الذي صدر في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٥ — ١٣ مارس سنة ١٩١٧

« قضي الامر في العراق وسقطت بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين ومباءة مجدهم وعنوان فخرهم ، واستولى البريطانيون على منبت أثلة المنصور والمهدي وهرون الرشيد والمأمون وموئل العلماء والشعراء والادباء في عصر الشرق الذهبي الحديث . أي ذكرى تهيج في خاطر العربي اذا ذكر اسم بغداد والزوراء ودار السلام ؟ بل أي مجد يتجلى لعينيه عند سماع اسمها من دولة عظيمة الاركان ، متينة البنيان ، قامت على العدل والنظام والعلم والامان ، وشعب ناهض ناشط لطلب العلم واتقان الصناعة وترويج التجارة ، وتوسيع نطاق الزراعة وبسط السيادة ، واضاءة مصباح العلم لتمزيق دياجير الظلام . بغداد دار العلم والمجد وبغداد مقر العظمة والثروة وبغداد عاصمة العرب وقاعدة الشرق

« هذا ارث مجيد ظل بيد الشرقيين اثني عشر قرنا شاهداً ناطقاً بعظمة أسلافهم يناوح خرائب بابل وآثار نينوى حتى صار أمره الى الاتحاديين فضاع منهم كما ضاع سواه ، وصارت بغداد في يد من يعرف قيمتها ويقدرها حق قدرها

هذا ميراث العرب الكرام أخذه الاتحاديون كما يأخذ الصبي الكرة وقذفوا به كما يقذف بها فأفلت من يدهم وهم يسيرون الجيوش الى بلدان أوربة فاتحين وثغور تركيا وكبار مدنها تسقط الواحدة بعد الاخرى . هذه سنة الله في خلقه وقد سخر الاتحاديين لانفاذ مشيئته وانزال قضائه »

ثم قال في فاتحة العدد الذي صدر في ٢٢ جمادى الاولى بعد كلام علل فيه تسمية الجرائد الانكليزية بغداد مدينة الشعر والخيال بأنهم أخذوا ذلك من كتاب الف ليلة وليلة الذي هو أشهر كتاب عند الانكليز بعد التوراة والانجيل :

« أما العرب فينظرون الى بغداد من وجهة أخرى وان لم يغفلوا وجهة الشعر والخيال فالعرب في مقدمة الامم التي تجل الشعر والشعراء، ولكن العرب يرون في بغداد القديمة عنوان مجد جنسهم، ورمزاً الى أكبر شأو بلغته حضارتهم، ويذكرون ان عصرها الاول كان عصرهم الذهبي إذ منها انبلج صبح العلم في العصور الحديثة فأضاء الشرق والغرب

« ان العرب يرون في بغداد الاولى مقر العلم والحكمة، وخزانة معارف الشرق، ومدرسته التي نبغ فيها العلماء والاطباء والفلاسفة والفلكيون والكيماويون والشعراء والكتاب و المؤرخون والمهندسون برعاية العباسيين وعناية أفاضل خلفائهم ولا سيما المأمون الذي كان عضد العلم وسند العلماء

« قال السر هنري رولنصن المؤرخ الشهير في كلامه عن بغداد ما نصه: [وقد نافست بغداد قرطبة في الآداب والعلم والصناعة والفنون فكان لهاتين المدينتين سيادة العالم من هذا القبيل . أما في التجارة والثروة فان قرطبة لم تبلغ شأو بغداد . وكانت بغداد عاصمة الاسلام الدينية والعاصمة السياسية لمعظم بلدانه لما كان الاسلام ركن حضارة الدنيا]

« هذه هي بغداد كما يراها العرب الذين يعرفون تاريخ قومهم، ويحفظون ذكر عظمة جنسهم ، ويتحسرون على أيام الرشيد والمأمون، ويتمنون لو اتيح للعرب ان ينهضوا مثل نهضتهم في ذلك العصر السعيد ، ويتعاونوا على رفع شأنهم باتقان العلم وتنشيط الصناعة والتفاني في تأييد المجموع

« كانت بغداد لسلطنة العرب كلندن اليوم لسلطنة البريطانيين ، فكانت مركز قوتهم، ومجمع علمهم، وركن صناعتهم، وسوق تجارتهم، ومجلس حكومتهم، وكان خلفاؤها

ينظرون في الجهات الاربع ويعلمون ان الرياح كيفما هبت فانها تهب عليهم من ولاياتهم وممالكهم حتى لقد قال الرشيد يخاطب السحابة « امطري حيث شئت فان خيرك يأتيني »

« ان بغداد صارت الآن للعرب مدينة الشعر والخيال اذ لا سبيل الا بهما الى تمثل عظمتها الماضية ، أما في عصر العرب الذهبي فقد كانت بغداد جامعة لابهة الملك وشرف العلم ومجد الصناعة وعظمة التجارة واتقان الفنون و براعة النظام، فكان الخيال والشعر فيها فكهة يلطفان من أخلاق أهلها وهم في طلب العلى جادون ، والى التقدم والارتقاء والنجاح ناشطون ، وفي ذلك يقول أحد شعرائهم :

بغداد أيتها الجياد فانها أنجى وأقرب للشؤون وأنجح

«ولله در ذلك المستشرق القائل[1] : [في بلاد سكانها من صميم العرب الذين عرفوا بالعزة والانفة والشمم ودانت لهم الاقطار، ففتحوا الممالك ودوخوا الامصار في غابر الاعصار ،وأنشأوا لهم في التاريخ مجداً خالداً، وذكراً باقياً، فذاع فضلهم، وطارت شهرتهم ، وتناقلت الركبان أخبارهم .... هناك جنة عدن وهناك جنات النعيم، كانت رافلة في حلل الهناء والرخاء أيام كانت انكلترة والمانية فيافي وقفاراً، وكان أهلهما غارقين في بحار الجهل يتخبطون في دياجي الظلام . بلادكم أيها العرب هي البلاد التي أزهرت فيها الحضارة وأينعت الفنون وأثمر الادب وعمرت دور العلم والفلسفة وهي البلاد التي انبعث منها نور الدين وألبست العالم ثوب الرفاهية والسعادة]

« ترى هل يكون للعرب نصيب من يقظة العالم بعد الحرب و يد في نهضته القادمة فيحل الجد محل الخيال، وتطلق العقول والقلوب مما أصابها من الفتور، وتنزل هذه الامة المنزلة التي تجدر بها في مجالس الشعوب؟ أو تظل تعود ببصرها القهقرى الى عصور مضت، وأيام انقضت، تتغذى بالذكرى، وتصعد الانفاس الحرّى» اه

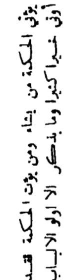
(١) أي في مقالة نشرت مترجمة في المقطم بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦

﴿ حجم المنار ﴾

اضطرنا انقطاع ورود الورق وغلاؤه المضاعف الفاحش الى تصغير حجمه رجاء الزيادة في أجزائه وهو ضرورة نتقدر بقدرها ، وعسى أن لا يطول أجلها .

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار



١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ المحرم ١٣٣٦ — ٢٢ العقرب (خ٢) ١٢٩٦ هـ ش ١٥ نوفمبر ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ حكم تارك الصلاة ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته . و بعد فأرجوكم تعريفنا على صفحات المنار الأغر عن حكم تارك الصلاة بغير عذر في نظر الشرع وهل الاحاديث التي وردت بخصوص ترك الصلاة تؤخذ على ظاهرها أو فيها مايحتمل التأويل كما يقال ؟ اما أعلم من الاحاديث الواردة في تارك الصلاة أو المتخلف عنها فهو الموضح بعدُ فان كان هناك أخرى أرجو التفصيل بايضاحها في الاجابة . قال صلى الله عليه وسلم :—

١ « بين العبد والكفر — وفي رواية الشرك — ترك الصلاة فاذا تركها فقد أشرك . وحوضي كما بين أيلة الى مكة أباريقه كعدد نجوم السماء له ميزابان من الجنة كلما نضب أمداه ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا وسيرده أقوام ذابلة شفاههم فلا يطعمون منه قطرة واحدة من كذب به اليوم لم يصب منه الشراب يومئذ »

٢ « العهد الذي بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (يريد طبعا العهد الذى بيننا و بين الكفار)

٣ « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »

٤ « الذي تفوته صلاة العصر كانما وتر أهله وماله »

٥ « والذي نفسي بيده لقد هممت ان آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف الى رجال فاحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم انه يجب عرقاسمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء »

فأرجو بعد النظر في هذه الاحاديث التكرم بتفهيمنا درجة صحتها وعما اذا كان في ظاهرها شيء يحتمل التأويل خصوصا في لفظة الكفر أو الشرك

هذا والسبب الذي ألجأني الى عرض سؤالي هذا على فضيلتكم هو ذلك التهاون الغريب في أمر الصلاة بين من يسمون أنفسهم مسلمين الآن وظنهم ان تاركها لايخرج عن كونه عاصيا بسيطا مثل باقي العصاة مفتوحة له أبواب التوبة في أي وقت شاء فيه الصلاة وذلك بالرغم مما ورد في أمرها في القرآن الكريم والاحاديث الشريفة من التشديد والوعيد . لذلك أرجو أن تكون الاجابة مفصلة الشرح لعلها تكون فصل الخطاب فيما عليه شبابنا المسلمون المتفرنجون من الحيرة في حكم تارك الصلاة بغير عذر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته　　الداعي

علي مهيب

بتفتيش عموم التلغرافات

(ج) يجد السائل في المجلد الثامن عشر من المنار مايغنيه عن تفصيل القول في هذه المسألة وهو رسالة للشيخ محمد أبي زيد من طلبة دار الدعوة والارشاد اسمها (البرهان على خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان) نشرت في ص ٥٠٥ و ٥٦٢ و٥٨٦ وما بعدها أورد فيها كثيرا من الآيات التي استدل بها على كفر من ذكر وبعض الاحاديث المؤيدة لدلالتها على ذلك ، وذكرنا فيما علقناه في حواشيها وما ذيلناها خلاف العلماء في المسألة والجمع بين الاقوال . وان أدري أيريد السائل الآن أن أتوسع في شرح المسألة واستيفاء ماورد فيها من النصوص لزيادة الايضاح وتكرار تذكير التاركين لهذه الفريضة التى هي عماد الاسلام ؟ أم لم يقرأ تلك الرسالة وماعلقناه عليها ؟ وقد يستدل بما أورده من الاحاديث وسؤاله عن غيرها انه لم يقرأ الرسالة ، على أنه من أشد قراء المنار عناية بهذه المسائل كما نظن ، فنحثه أولا على مراجعتها وقراءتها ونرشده الى كتابين جليلين في المسألة أحدهما

(كتاب الصلاة) لامام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، (وكتاب الصلاة وأحكام تاركها) لناصر السنة ابن القيم رحمه تعالى ، والكتابان مطبوعان معا . فاذا أشكل عليه بعد الاطلاع على ماذكر أمر فليسأل عنه

أما الحديث الاول مما أورده في السؤال فصدره الخاص بالصلاة في صحيح مسلم وأكثر كتب السنن والثاني رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي والنسائي والثالث والرابع والخامس في الصحيحين وغيرهما الا الثالث فقد رواه البخاري دون مسلم، ومما قيل في السادس انه في تهديد جماعة من المنافقين وأنه في صلاة الجمعة خاصة أو الجماعة مطلقا فالاحاديث التي أوردها في الموضوع كلها صحيحة . وقد ورد في معناها أحاديث أخرى

واني أذكر كلمة وجيزة في المسألة تفيد السائل فضل فائدة في المسألة وان كان يمكنه مراجعة المجلد الثامن عشر من المنار والاكتفاء بما فيه لانه من قدماء المشتركين الذين يحفظون المنار، وقد تكون ضرورية للذين اشتركوا في المجلد التاسع عشر والمجلد العشرين ومن يتعذر عليه مراجعة ما أحلنا السائل على مراجعته :

ان الكفر والظلم والفسق وما اشتق منها قد استعملت في لغة الكتاب والسنة استعمالا أعم وأوسع من الاستعمال الاصطلاحي الذي جرى عليه المتكلمون والفقهاء . فهؤلاء قد جعلوا الكفر مقابلا للايمان والاسلام فالمسلم الصحيح الايمان قد يكون عندهم فاسقا وظالما و يطلق عليه هذان اللقبان ولكن لا يطلق عليه لقب كافر . وفي لغة الكتاب والسنة تطلق هذه الالفاظ على ما يقابل الايمان والاسلام وعلى بعض كبائر المعاصي التي اختلف أئمة الفقهاء والمتكلمين في كفر مرتكبها بمعنى خروجه من ملة الاسلام كالصلاة، وكذا على ما أجمعوا على انه غير كفر بهذا المعنى كالنياحة على الميت . ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا « اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت » وأهل الاثر يتبعون النصوص في ذلك ويقولون بكفر كل من أسند اليه الكفر أو وصف به في الكتاب أو السنة وما كل كفر عندهم خروج من الملة، بل هنالك كفر دون كفر ، وهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين . وأهل المذاهب يتبعون مذاهبهم في كل مسألة فيفرقون بين النصوص

يؤلون بعضها ويأخذون ببعض اتباعا لمن قلدوهم لا للنصوص

والتحقيق الجامع بين النصوص ان من كان مؤمنا صحيح الايمان مسلما صادق الاسلام لا يخرجه عن ملة الاسلام تركه الصلاة كسلا أو ارتكابه لكبيرة من المنهيات بجهالة يتوب منها ولكن الايمان الصحيح هو إيمان الاذعان والخضوع الفعلي لاوامر الله ونواهيه الذي به يكون المؤمن مسلما . وقد يكون المرء مؤمنا غير مذعن كابليس ومن قال الله تعالى فيهم من أئمة الكفر (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ومن قال فيهم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وغير هؤلاء ، وهل يعقل أحد ينصف من نفسه ان يكون من أولئك المؤمنين المذعنين من يترك عماد الدين وأعظم أركان الاسلام بغير مبالاة ويصر على ذلك غير مكترث للآيات والاحاديث الكثيرة في الامر بها والترغيب فيها والبيان لفوائدها ومكانتها العليا من الدين والترهيب والزجر عن تركها والوعيد الشديد عليه وتسميته كفرا في أحاديث صحيحة ظاهرها ان المراد به كفر الاعتقاد لا كفر النعمة أو كفر العمل كما قيل ؟

وممن قال بكفر تارك الصلاة من أئمة السلف إمام الائمة علي كرم الله وجهه

وقد أول الجمهور الاحاديث الواردة في ذلك بما أشرنا الى بعضه آنفا وحملها بعضهم على الاستحلال ولا خلاف في كفر من استحل حراما مجمعا على تحريمه معلوما من الدين بالضرورة كترك الصلاة والزكاة من الفرائض وكفعل الزنا وشرب الخمر من المحظورات . واستحلال الشيء هو عده حلالا كما قال ابن منظور في لسان العرب ، فاذا كان المراد به الاستحلال بالفعل وهو أن يكون المحرم عند مرتكبه كالحلال في عدم تحرجه من فعله ولا احترامه لامر الله ونهيه حتى كانه لم يفعل شيئا فهذا هو الذي لا يعقل أن يصدر من مؤمن . وإن كان المراد اعتقاد أن الشرع أحله فهذا محال على نشأ بين المسلمين . ولا أعرف لإمكان الجمع بين الايمان بما جاء به محمد (ص) وبين ترك فريضة منه أو ارتكاب محرم الا صورة واحدة وهي الغرور بالاماني كالمغفرة والشفاعة وجعل الفاسق ذلك كالمقطوع به ، وقد كشفنا الشبهة عن وجه هذا الغرور مرارا في التفسير وغير التفسير والله أعلم

رحلة الحجاز

٥

عرفات وحدودها

كل من عرفة وعرفات (بفتح العين والراء فيهما) اسم لتلك البقعة الشريفة من الارض، التي هي من أشهر البقاع عند ألوف الالوف من البشر . وعرفات اسم مفرد ينون كأذرعات وليس جمعا لعرفة، وجوز ان يكون أشير بصيغة الجمع الى كون كل مكان أو قسم من تلك البقعة يتحقق فيه معنى التعارف أو التعرف الذي عللت به التسمية كما يأتي قريبا . ويحتمل ان يكون بعض قدماء العرب مدّ فتحة الفاء وأشبعها في الشعر ثم كثر فصار اسما مستقلا ، ونظيره قول الشاعر في عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون)

أبكاك دون الشعب من عرفات ... بمدفع آيات الى عرنات

وقول عمر بن أبي الكنات الحكمي المغني

عفت الدار بالهضاب اللواتي ... بين توز فملتقى عرنات

وظاهر عبارة لسان العرب انهما موضعان قال : وعرونة وعرنة موضعان وعرنات موضع دون عرفات الى أنصاب الحرم ، قال لبيد :

والفيل يوم عرنات كمكما ... اذ أزمع المعجم به ما أزمما اهـ

وأقول : ليس دون عرفة موضع يسمى عرنات غير بطن عرنة الذي يذكره جميع العلماء . وأخطأ من قال ان عرفة مولد ليس بعربي صحيح ومن قال انه اسم لليوم التاسع من ذي الحجة ، وانما يقال انه يوم عرفة بمعنى انه يوم الوقوف بها كما يقال يوم التروية وليس كيوم عاشوراء . وقد ورد اسم عرفة في الاحاديث الصحيحة علما للبقعة وكذا في كلام الصحابة وسيأتي شيء منها ، وعليه جرى العلماء والفقهاء فكلهم يطلقون اسم عرفة على تلك البقعة الشريفة، فلا يغترن أحد بعبارة القاموس الموهمة ولا بقول من توهم ذلك من المتأخرين وزعم انه مقتضى كلام الراغب . وانما قال الراغب « ويوم عرفة يوم الوقوف بها » أي بالبقعة المخصوصة التي اسمها عرفة وعرفات . قيل انها سميت بذلك لان آدم وحواء تعارفا بها بعد هبوطهما من الجنة، وقيل لقول جبريل لابراهيم عليهما السلام لما علمه المناسك وأراه المشاهد : أعرفت

أعرفت ؟ قال عرفت عرفت . وقيل لانها مقدسة معظمة كأنها عرّفت أي طيبت بالعطر . وقيل لان الناس يتعارفون فيها ، وقيل لتعرُّف العباد فيها الى الله تعالى بالعبادة والدعاء . والقولان الاولان يتوقفان على نقل صحيح ، والاخيران أظهر معنى ، و يعدون تعارف الناس هنالك من حكم الحج التي شرع لاجلها، والواقع ان التعارف بين الحجاج لا يتيسر في عرفة كما يتيسر في منى لان وقت عرفة قصير فان المجمع عليه منه يمتد من وقت الظهر الى وقت المغرب ولا يجزئ الوقوف قبل الزوال عند أحد من العلماء الا ماروي عن الامام أحمد من ان وقت عرفة من فجر يومها . ويجوز الوقوف في ليلة العاشر عند غير الشافعية ، فأنى يتيسر التعارف بين أفراد ذلك الجمع الكبير ، في ذلك الوقت القصير ، مع ما يشرع فيه من ذكر الله تعالى ودعائه ، المقصود في هذه المعاهد لذاته . وسيأتي للبحث تتمة

وحدود عرفة معروفة للناس بما يتناقلونه بالتواتر عن المواضع التي يحصل الفرض بالوقوف فيها . وذكر العلماء المتقدمون لها حدودا منها قول بعضهم : الحد الاول ينتهي الى جادة طريق المشرق ، والثاني ينتهي الى حافات الجبل الذي وراء أرضها ، والثالث ينتهي الى الحوائط (أي البساتين) التي تلي قرية عرنة وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة في عرفة ، والرابع الى وادي عرنة بضم العين وفتح الراء والنون ، وعرنة ونمرة (بفتح فكسر) ليستا من عرفة ولا من أرض الحرم والمالكية يجيزون الوقوف بعرنة ويحتج عليهم الجمهور بحديث « عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة ، ومزدلفة كلها موقف وارفعوا عن بطن محسر ، ومنى كلها منحر » رواه مسلم وغيره . ومحسر (بكسر السين المهملة مشددة) و بطن محسر وعرنة كل منهما واد فاصل بين ما قبله وما بعده من المشاعر ، فوادي عرنة فاصل بين عرفات ومزدلفة ، ووادي محسر فاصل بين المزدلفة ومنى .

وقالوا : حد الحرم من المأزمين (بكسر الزاي) وهو مضيق بين عرفة ومزدلفة وهناك علمان مبنيان في أول حدود عرفة جعلا علامة على حد الحرم فما كان شرقيهما من عرفة وما وراءها فهو من الحل ، وما كان قبلهما من جهة المغرب من بطن عرنة ومزدلفة ومنى فهو من الحرم ، ويوجد ميلان آخران في أول حد مزدلفة من جهة الغرب ، فما بين العلمين والميلين هو وادي عرنة .

وفي الجانب الجنوبي من العلمين مسجد نمرة المعروف بمسجد ابراهيم بقرب الطريق الممتد من منى الى الطائف ويسمى أيضا مسجد نمرة ومسجد عرنة . قال الغزالي : ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة اه وظاهر حديث نزول النبي (ص) بنمرة أنها أدنى عرنة لا كلها . وفي كتب اللغة أن نمرة هي الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمينك اذا خرجت من المأزمين تريد الموقف . قال شارح القاموس: كذا في التكملة . وقيل: الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نمرة على احد عشر ميلا اه وقد نقل هذا في معجم البلدان وفيه بعده : وقيل نمرة على احد عشر ميلا اه أي من مكة . فالتحقيق الذي عليه الجمهور ان المسجد لم يكن من عرفة ، وقول بعض الناس فيه « مسجد عرفة » بالفاء من باب ما جاور الشيء أعطي حكمه أو نسب اليه، ولذلك نسب بعضهم عرفة الى مكة وبعضهم الى منى . وقال بعضهم إن بعضه من عرفة وبعضه من عرنة ، وذلك بعد ان زيد فيه كما سيأتي

وقال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية في مناسك الحج بعد ذكر استحباب المبيت بمنى ليلة عرفة كما فعل النبي (ص) ما نصه : ويسيرون منها الى نمرة عن طريق ضب من يمين الطريق . ونمرة كانت قرية خارجة عن عرفات (أي فخربت كما صرح غيره) من جهة اليمين فيقيمون بها الى الزوال كما فعل النبي (ص) ثم يسيرون منها الى بطن الوادي وهو موضع النبي (ص) الذي صلى فيه الظهر والعصر وخطب ، وهو في حدود عرفة ببطن عرنة . وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم وإنما بني في أول دولة بني العباس اه المراد منه هنا

وقال الغزالي : في الاحياء وأما مسجد ابراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة . ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت هناك اه

قال الزبيدي عند شرح أول هذه العبارة من شرح الاحياء : وجدت بخط الامام الفقيه الشيخ شمس الدين بن الحريري ما نصه « قد وقع للفقهاء في نسبة هذا المسجد لابراهيم الخليل عليه السلام كلام وقد نسبه اليه جماعة منهم ابن كج وابن سراقة والبغوي والقاضي حسين والازرقي وتبعهم الشيخ النووي وجماعة من المتأخرين، وادعى الاسنوي انه خطأ وانما هو شخص اسمه ابراهيم من رءوس الدولة المتقدمة كما قاله

غير الاسنوي فالتبس بالخليل عليه السلام . ورد الاذرعي هذا بأن الازرقي من أعلم الناس بهذا وقد نسبه الى الخليل عليه السلام، قال وعلى تسليم أن يكون قد بناه من ذكر فلا يمتنع أن يكون منسوبا من صلاه الى الخليل عليه السلام إما لانه صلى هناك أو اتخذ مصلى للناس فنسب اليه » اه وأقول : نعم لا يمتنع ذلك عقلا ولكننا لا نثبته الا بنقل صحيح فأين هو ؟

وقال الزبيدي عند شرح آخر تلك العبارة : قال النووي في زوائد الروضة : الصواب ان نمرة ليست من عرفات وأما مسجد ابراهيم (عم) فقد قال الشافعي رحمه الله انه ليس من عرفة فلعله زيد بعده في آخره، وبين هذا المسجد وبين موقف النبي (ص) بالصخرات نحو ميل . قال إمام الحرمين وتطيف بعنعرجات عرفات جبال وجوهها المقبلة من عرفة اه

وقال صديقنا محمد لبيب بك البتانوني في الرحلة الحجازية التي ألفها في سنة ١٣٢٨ بعد وصفه لمنى وانتقاله الى وصف الطريق منها الى المزدلفة فعرفة ما نصه: ومن ثم يضيق الوادي ويسمى بوادي محسر حتى اذا وصل الى المزدلفة وهي على مسافة ساعتين من منى (؟) أخذ في الاتساع مرة أخرى . وهناك ترى على عينك المشعر الحرام الذي يجب الوقوف عنده في النزول من عرفة . وفي هذه الجهة مسجد على جبل قزح عمره السلطان قايتباي . ومن هناك يضيق الوادي ثانيا ويسمى بوادي عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون) حتى اذا قرب من مسجد نمرة (ويسمى مسجد عرفة أو مسجد ابراهيم) انفتحت ارجاؤه الى الشمال والجنوب .وهذا المسجد كبير قد أحاطت به البواكي [يعني الاروقة] في جهاته الاربع من داخله . وعمره قايتباي عمارة تشكر ، ونصفه الغربي (الذي الى مكة)في الحرم والنصف الآخر في الحل ويوسطه مجرى ماء يسير اليه زمن الحج من مجرى عين زبيدة . وفي شمال هذا المسجد بقليل الى الشرق ترى العلمين وهما عودان من البناء بعيدان عن بعضهما [أي أحدهما بعيد عن الآخر] بارتفاع خمسة أمتار في عرض نحو ثلاثة قد قيما في فضاء الوادي للدلالة على حدود عرفة من الغرب وهنالك تجد الجبل قد حلق على الوادي وقفله امامك من الشرق [أقفله أي سده] بشكل قوس كبير وهو ما يسمونه جبل عرفة . وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف على كرا . وفي طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الى الغرب يسمونه جبل الرحمة ، وسفحه الجنوبي هو حد عرفة من الشمال . اه

صفة جبل الرحمة بعرفات

قال ابن جبير الاندلسي في رحلته : « وعرفات بسيط من الارض مد البصر لو كان محشر الخلائق لوسعهم ، يحدق بذلك البسيط الافيح جبال كثيرة . وفي آخر ذلك البسيط جبل الرحمة وفيه وحوله موقف الناس ، والعلمان قبله بنحو الميلين فما أمام العلمين الى عرفات حل وما دونهما حرم ، وبمقربة منهما مما يلي عرفات بطن عرنة الذي أمر النبي (ص) بالارتفاع عنه — ثم قال — «وجبل الرحمة المذكور منقطع عن الجبال قائم وسط البسيط وهو كله حجارة منقطعة بعضها عن بعض . وكان صعب المرتقى فأحدث فيه جمال الدين (*المذكورة مآثره في هذا التقييد أدراجا وطيئة من أربع جهاته يصعد فيها بالدواب الموقورة وأنفق فيها مالا عظيما . وفي أعلى الجبل قبة تنسب الى أم سلمة (رض) ولا يعرف صحة ذلك وفي وسط القبة مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه . وحول ذلك المسجد المكرم سطح محدق به فسيح الساحة جميل المنظر يشرف منه على بسيط عرفات . وفي جهة القبلة منه جدار وقد نصبت فيه محاريب يصلي الناس فيها . وفي أسفل هذا الجبل المقدس عن يسار المستقبل للقبلة دار عتيقة البنيان في أعلاها غرف (وفي نسخة غرفة) لها طيقان تنسب الى آدم (ص) وعن يسار هذه الدار في استقبال القبلة الصخرة التي كان عندها موقف النبي (ص) وهي في جبل متطأمن »

أقول هذا الجبل هو جبل إلال (بوزن هلال) قال ابن دريد في وصف الحاج

ينوي التي فضلها رب العلى لما دحا تربتها على البنى [1]
حتى اذا قابلها استعبر لا يملك دمع العين من حيث جرى [2]
ثمت طاف وانثنى مستلما ثمت جاء المروتين فسعى [3]
ثمت راح في الملبين الى حيث تحجى المأزمين ومنى [4]
ثم أتى التعريف يقرو مخبتاً منازلا بين إلال فالنقا [5]

(* هو جمال الدين محمد الجواد الموصلي كان وزير صاحب الموصل وله في الحرمين والمشاعر عمارات عظيمة (١) البنى جمع بنية يشير الى أثر « دحا الله الارض دحواً من تحت الكعبة » وهو مروي عن عطاء وليس حديثا كما توهم ودحا الشيء رماه كشفه ونحاه قيل وبسطه (٢) استعبر جرت عبرته أي دمعته (٣) المروتان الصفا والمروة تغليب (٤) تحجى قصد وتعمد (٥) التعريف الوقوف بعرفة أي أتى مكان التعريف ويقرو يستقري ويتتبع منزلا بعد منزل ، ومخبتا خاضعا خاشعا ، والال الجبل ، والنقا تلال الرمل

موقف النبي (ص) بعرفة

اتفق الرواة على انه (ص) صلى الصبح يوم عرفة بمنى ورحل منها بعد طلوع الشمس حتى جاء نمرة فأقام بها الى وقت الزوال ثم جاء بطن الوادي فجمع بين الظهر والعصر ثم خطب الناس ثم راح فوقف على الموقف من عرفة ، وعلى أن المكان الذي وقف فيه وأشار اليه في الحديث هو المكان المعروف عند الصخرات . وقال « وقفت ههنا وعرفة كلها موقف » والمراد أنه لم يقف هنالك لمزية لذلك المكان على غيره في أداء النسك بل يصح الوقوف في كل موضع من عرفة . ولكن صار لذلك المكان مزية بوقوفه فيه فصار موقف الائمة ونوابهم الذين يحجون بالناس . وقد نقل الزبيدي في شرح الاحياء كلاما منصلا للمحب الطبري في ذلك المكان وفي جبل الرحمة قال

«وقد روى أبو الوليد الازرقي باسناده عن ابن عباس ان موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين الاجبل الثلاثة النبعة والنبيعة والنابت، وموقفه صلى الله عليه وسلم منها على النابت قال والنابت على النشزة التي خلف موقف الامام. وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضرس من الجبل النابت مضرس بين أحجار هناك نابتة من الجبل الذي يقال له الإلال ككتاب

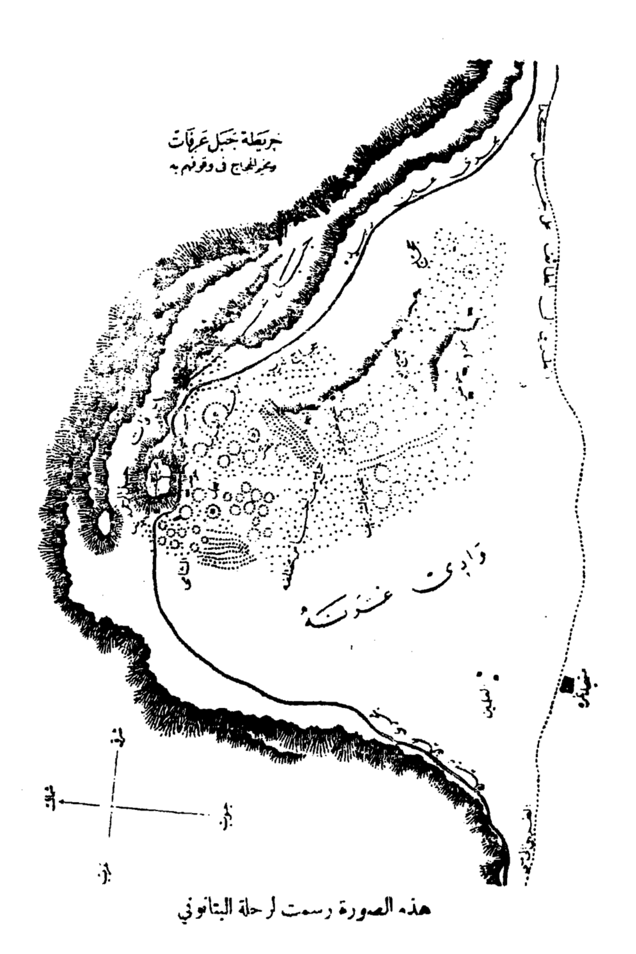
= (قال المحب الطبري) وعلى هذا يكون موقفه صلى الله عليه وسلم على الصخرات الكبار المفترشة في طرف الجبيلات الصغار التي كأنها الروابي عند الجبل الذي يعتني الناس بصعوده و يسمونه جبل الرحمة واسمه عند العرب إلال بالكسر ، وذكر الجوهري فيه الفتح والمحفوظ خلافه ، وهذا يرجح ضبط من ضبط قول جابر في حديثه الطويل « وجعل جبل المشاة بين يديه » بالجيم فإن الواقف كما وصفناه يكون هذا الجبل أعني إلالا بين يديه وهو جبل المشاة ، وذكر ابن حبيب ان إلالا جبل من الرمل يقف الناس به بعرفات عن يمين الامام، حكاه عنه أبو عمرو عثمان بن علي الانصاري في تعاليقه على الجوهري ، وذكر ابن ابي الصيف في بعض تعاليقه على الجوهري ان اسم جبل الرحمة الذي يقال له جبل المشاة كبكب

= (قال المحب الطبري) والمشهور في كبكب أنه اسم جبل بأعلى نعمان بقرب الثنايا عنده قوم يدعون الكباكبة نسبة اليه ، والمشهور في جبل الرحمة ما ذكرناه . اذا تقرر هذا فمن كان راكبا ينبغي أن يلابس بدابته الصخرات المذكورة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ، ومن كان راجلا وقف عليها أو عندها بحسب ما يتمكن من غير

ايذاء أحد ، ولا يثبت في الجبل الذي يعتني الناس بصعوده خبر ولا أثر (قال) وذكر شيخنا أبو عمرو ابن الصلاح في منسكه عن صاحب الحاوي أنه يقصد الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام، وعن محمد بن جرير الطبري أنه يستحب الوقوف على الجبل الذي عن يمين الامام يعني جبل الرحمة، والذي ذكره صاحب الحاوي لادلالة فيه على إثبات فضل لهذا الجبل فانه قال والذي نختار في الموقف أن يقصد نحو الجبل الذي عند الصخرات السود وهو الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام والموقف الذي وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الاجبل الثلاثة على النابت. ثم ساق ماأوردناه سابقا ثم قال وهذا أحب المواقف الينا للامام والناس

(قال المحب الطبري) وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء النابت الذي وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعرض في كلامه لجبل الرحمة بنفي ولا اثبات . وما فهمه رحمه الله انه جبل الرحمة غير مطابق وقوله وهو الجبل أراد سهله وهو من الاضداد يطلق على المكان المرتفع والمنخفض والنبي صلى الله عليه وسلم انما وقف عليه لكونه موقف الانبياء عليهم السلام، وكلام ابن جرير ظاهر الدلالة أنه أراد بالجبل الذى عن يمين الامام الجبل الذى وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو النابت كما تقدم بيانه والظاهر انهما أراداه بقولهما فيكونان قد أثبتا له شيئا من الفضل، ولا نعلم من ابن اخذا ذلك اذ لم يثبت في فضله خبر ولو ثبت له فضل فموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه وهو الذي خصه العلما بالذكر والفضل

ثم قال الطبري نقلا عن صاحب النهاية : في وسط عرفة جبل يقال له جبل الرحمة : ولا نسك في الرقي عليه وان كان يعتاده الناس. وقال غيره قد افتتنت العامة بهذا الجبل في زماننا واخطؤا في اشياء، منها (أنهم) جعلوا الجبل هو الاصل في الوقوف فهم بذكره لهجون، وعليه دون غيره معرجون ، حتى ربما اعتقد بعض العامة ان الوقوف لايصح بدون الرقي (فيه) ومنها احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف ، ومنها ايقادهم النيران عليه ليلة عرفة واهتمامهم لذلك باستصحاب الشموع من بلادهم واختلاط النساء بالرجال هنالك صعودا وهبوطا بالشمع الكثير الموقد، وانما حدث ذلك بعد انقراض السلف الصالح ، ومن كان متبعا آثار النبوة فلا يحصل بعرفة قبل دخول وقت الوقوف يأمر بذلك ويعين عليه وينهى عن مخالفته اه ما نقله الزبيدي



هذه الصورة رسمت لرحلة البتانوني



الحجاج على جبل الرحمة بعرفات

هذه الصورة رسمت لرحلة البتنوني

الحرب والصلح

كثر الخوض في حديث الصلح في السنة الماضية ، وقد كانت دول التحالف الجرماني هي التي بدأت بطلب فتح باب المفاوضة في الصلح وكلفت ألمانية الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية قبل انضمامه الى محاربيها أن يتوسط بين المتقاتلين في الصلح فكتب مذكرة في ذلك ردت عليها انكلترة أشد الرد ، ورفضتها كل الرفض ، وتبعها حلفاؤها بالطبع . ثم ان البابا أرسل رسالة الى جميع الدول المتقاتلة من الفريقين دعاهم فيها الى المبادرة الى حقن الدماء وعقد الصلح على قاعدة جعل قوة الحق الادبية بدلا من قوة الجيش المادية، وتحديد التسليح البري والبحري والجوي، وحرية البحار وحقوق الشعوب وعدم ضم شيء من أملاك بعضها الى بعض وعدم أخذ غرامة حربية وجعل التعويض عن الخراب بالتعاون — وقاعدة التحكيم الاجباري فيما يقع بين الدول من المسائل الخلافية . فلم يستحسن هذه المذكرة من دول التحالف البريطاني الا حكومة روسية المؤقتة التي سبقت الى اقتراح قاعدة « لاضم ولا غرامة » وقد رد الدكتور ولسن على المذكرة ردا طويلا وافقه عليه سائر الحلفاء أهم مافيه ان حكومة ألمانية الحاضرة حكومة أتقراطية لاتثق الحلفاء بعهودها فيعقدوا معها صلحا فالاساس الاول لقواعد الصلح عندهم تحويل هذه الحكومة الى دمقراطية تنطق باسم الشعب فان لم يبادر الالمان أنفسهم الى قلب حكومتهم وثل عرش آل هوهنزلرن المؤيد بالقوة العسكرية والاستعاضة عنها بحكومة دمقراطية فان الحلفاء هم الذين يفعلون ذلك بالقوة القاهرة ، وحينئذ يتم الصلح الحقيقي الذي يستريح به البشر من مصائب الحرب . وقد أيدت الحلفاء الرئيس في رده وأثنت جرائدها عليه[1] الا أن بعض الجرائد الانكليزية كالتيمس أنكرت منها تفرقة الرئيس بين الحكومة الالمانية والشعب الالماني اذ جعل وزر الحرب على الحكومة وحدها قالت « ولكن الشعب الالماني قابل الحرب بحماسة عظيمة وان لم يكن هو الذي أعلنها وقد وافق

(١) نشر رد الرئيس ولسن في مقطم ٣ ذي الحجة الماضي (٢١ سبتمبر) ونشرت نبذ من الجرائد الامريكية والانكليزية والفرنسية والطليانية في تأييده في ٤ ذي الحجة

نوابه على جميع الاعتمادات الحربية وقابلت صحافته العظائم الجرمانية بهتاف شديد»

ونقول ان الظاهر لنا أن الرئيس ولسون يرمي بتبرئة الشعب الالماني من تبعة الحرب واظهاره الاكتفاء باسقاط حكومته الامبراطورية الى إغرائه بثورة داخلية على حكومته الممتازة بكونها جهة الوحدة اقوتها وقوة أحلافها فان تم هذا تنتهي الحرب في أقرب زمن بأقل خسارة

أما دول التحالف الجرماني فقد قابلت مذكرة البابا بالابتهاج فأما ألمانية فقد أرسل وزير امبراطوريتها ردا جميلا الى وزير خارجية الفاتيكان بأمر مولاه الامبراطور بدأه بقوله « ان جلالته ينظر بعين الاحترام والشكر والسرور الى المساعي التي يبذلها قداسة البابا لتقصير أجل الحرب وتخفيف وطأتها » الخ وتبجح بأن مولاه مازال نصير السلم منذ تبوأ العرش وبأنه يوافق على ان الشروط التي قالها قداسته من الامور التي يجب أن تظهر في المفاوضات المقبلة وبأنه « ليس في العالم شعب يتمنى الصلح على أساس اصلاح ذات البين بين الامم و إحلال الاخاء والمساواة محل البغض أكثر من الشعب الالماني. (قال) فاذا أدركت الامم المشربة بهذه المبادي ان الاتفاق خير من الشقاق فانها تستطيع أن تسوي جميع المشاكل الحاضرة وتمنع وقوع الحروب في المستقبل بإنالة جميع الشعوب مايلزم لحياتها وسعادتها ، فعلى هذا الاساس وحده يحتمل أن يبرم الصلح الدائم الذي يقرب بين الامم و ينهض بالبشرية نهضة كبيرة من الوجهتين المعنوية والاقتصادية . وهذه الثقة هي تحملنا على الاعتقاد بأن أعداءنا يجدون في المبادي التي أعرب عنها قداسة البابا أساسا تمهيديا للصلح المقبل بشروط تلائم روح العدل وموقف أوروبا الحالي » اه بنص ترجمة المقطم (في ٩ ذي الحجة الماضي)

ورد امبراطور النمسة الجديد (كرلوس) بنفسه ردا مشربا بمنتهى التعظيم والاحترام والقبول لانه هو الامبراطور الكاثوليكي الوحيد ولكنه لم يفه بكلمة ما تدل على اعترافه بحقوق الامم والشعوب

وكذلك كان رد الدولة العثمانية على المذكرة بامضاء السلطان محمد رشاد ردا مشربا بالتعظيم والاحترام وصرح فيه بالموافقة على القواعد الاساسية التي اقترح ان يبني عليها الصلح والاستعداد لدرس الطرق الى تؤدي الى تسوية المشاكل الدولية

في إبان مفاوضات الصلح (قال) « وانا نصرح بذلك وأمام نظارنا الضمان الكافي على استقلال الامم وحريتها وارتقائها لاننا رأينا في اقتراح قداستكم أساسا متينا للصلح العمومي الدائم وطريقة حسنة لحقن الدماء »

وقال قبل ذلك « لقد أكرهنا على خوض غمار الحرب دفاعا عن حريتنا وارتقاء بلادنا . وهذه الغاية الشريفة هي الغاية الوحيدة التي نحارب الآن من أجلها والتي تكفل لنا المحافظة على حقوقنا واستقلالنا التام المطلق في بلادنا وعلى حدودنا القومية » اهـ من ترجمة المقطم التي نشرت في عدد ٨ المحرم — ٢٥ اكتوبر الماضي

وقد جزم ساسة الحلفاء بأن البابا لم يسع هذا السعي الى الصلح الى بتوسل ألمانية والنمسة اليه وان سبب ذلك الشعور بالضعف والعجز عن الاستمرار على القتال ، وان الغرض منه إغراء المائلين الى الصلح في بلاد أعدائهم من الاشتراكيين وغيرهم بحمل حكوماتهم على عقد الصلح ، فما من أمة محاربة الا وفيها كثير من محبي السلم ودعاته . أما رأي هؤلاء الاحلاف في مسألة الامم والشعوب فقد بيناه في الجزء الاول ، وأما مسألة الغرامة فقد صرحت جرائدهم ناقلة عن أقطاب ساستهم ان من أهم شروط الصلح عندهم أن يؤخذ من الجرمان عوض عن البلاد التي خربوها في بلجيكة وفرنسة والبلقان ، بعد جلائهم عن هذه البلاد كلها ، ومنها رد الالزاس واللورين الى فرنسة

وقد جاءت برقيات روتر في ٥ المحرم (٢٢ اكتوبر) بنص خطبة طويلة بليغة من خطب لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ألقاها على ملأ عظيم في لندن كان غرضه الاول منها الحث على الاقتصاد في جميع النفقات واستطرد فيها الى الكلام في مسألة الصلح فقال بعد التصريح بأنه لا يرى في جو السياسة شروطا تؤدي الى صلح وطيد الاركان « ولكن الشروط الوحيدة المحتملة الآن تؤدي الى هدنة مسلحة تفضي الى حرب أشد هولا من هذه . ان هذه الحرب مخيفة ولكن ما كشفته من الرزايا التي يحتمل وقوعها في البر والبحر والجو أشد هولا وأعظم رعبا ، فلهذا أطلب من الذين يلحون في عقد صلح مبتسر — اذا صح ان هنالك من يلح فيه — ان ينعموا النظر فيما يحتمل وقوعه اذا وقع صلح غير مرضٍ » ثم قال :

« يجب علينا في أثناء البحث في شروط الصلح ان نضع نصب عيوننا الغرض

العظيم من هذه الحرب فان المسألة ليست مسألة تعديل حدود أملاك الا حيث تقتضي حقوق القوميات هذا التعديل، ولا هي مسألة غرامات الا حيث تكون الغرامات للتعويض من ضرر، ولكنها في الدرجة الاولى مسألة القضاء على مبدإ فاسد باطل استعبد أوربة وأوقع الخوف في قلوب أهلها أو كاد لو أتيح له الفوز (هتاف)

« ان العدو الحقيقي هو روح الحرب الذي نشأ وترعرع في بروسيا، هذا الروح الذي يرمي الى جعل العالم مكاناً تتسلط فيه القوة البهيمية تسلطاً لاينازع فيه أحد، بدلا من عالم تسكنه دمقراطيات حرة مرتبطة معاً بعرى السلم الشريفة ، وقد أقيم لهذا الروح هيكل يعبد فيه في بتسدام[1] فلاسلم في العالم ولا حرية الا اذا دك هذا الهيكل وشتت شمل كهنته وألبسوا ثوب العار الى الابد (هتاف)

« وعلقت الرجاء باننا نتمكن في السنة الحالية من القضاء على هذه القوة الهائلة وكنا جميعاً ننتظر حركة حربية عظيمة من جميع الجهات تتجه الى العدو وتنيلنا هذه الامنية . ولكن تضعضع قوة روسيا الحربية الموقت — لاأقول انه خيب الآمال ولكنه أجل تحقق الرجاء على أن الزمان في جانبنا » اه المراد منه

[المنار] ان الحرب السياسية من قولية وعملية، أعظم من الحرب الآلية من برية وبحرية ، وقد ظهر من براعة البشر في الحرب القلمية، ماهو أدل على الحذق والذكاء من براعتهم في اختراع الآلات والاساليب الحربية ،ومن براعة الانكليز المعهودة في السياسة أن قذفوا الالمان بالدول والامم ، بازاء قذف غواصات الالمان لبواخرهم بالحمم ، حتى صار أعظم دول أمريكة الشمالية وأمريكة الجنوبية حربا لهم ، بل آذنتهم دول الصين بالحرب أيضا ، فصار عدد نفوس الامم المحاربة لهم بالذات و بالتبع زهاء ألف وخمسمائة مليون ، وهم لا يزيدون مع أحلافهم على مئة وخمسين مليونا ، وقد صرحت الجرائد بأن الجيش البريطاني المقاتل في الميدان الغربي وحده لا يقل عن ثلاثة ملايين ، وان الجيش الالماني المقاتل بالفعل لا يكاد يتجاوز أربعة ملايين . وصرحت مرارا بأن الانكليز وأحلافهم متفوقون على الجرمان في السلاح والذخائر وجميع مواد الحرب أضعافا كثيرة ، بل جاء في برقية لمكاتب

(١) المنار يعني الوزير بهذا الهيكل عرش ملك بروسية امبراطور الالمان

المقطم بباريس في ٣٠ مايو الماضي أن الجنرال ز .. ليدن قال في مقالة له « يظهر ان النمسة وبلغارية وتركية استنفدت جميع قواتها وصارت على آخر رمق ، وان هذه الدول الثلاث ما كانت لتثبت لولا همة ألمانية ونشاطها ، ولكنها ستتلاشى بنفاد قوتها وتطرد الوهن اليها » وقال عن الجيش الالماني « ان عدد فرقه كان في شهر ابريل الماضي مئتين وتسع فرق من المشاة وهذا العدد يساوي عدد المشاة من البريطانيين في ميدان فرنسة فللفرنسويين والانكليز التفوق على ألمانية » اه

نعم أنهم خسروا قوة روسية ولكن يقابلها انضمام الولايات المتحدة اليهم، وهذه الدولة أغنى دول الارض الآن ، وهي تقرض الحلفاء المال بمئات الملايين في كل شهر ، وتقدم لهم من الذخائر والاغذية والمواد الضرورية للحرب ما خفف به الحمل الثقيل عن عاتق الانكليز . ففي مقطم ٢١ المحرم (٧ نوفمبر) مقالة افتتاحية قال فيها : ان الحكومة البريطانية أقرضت حلفاءها ألفا ومئتي مليون من الجنيهات ، وهي تجود عليهم بالبواخر والفحم والصوف والقطن والزيت والفولاذ وغير ذلك من المواد الخام التي تكثر في بلادها وفي مستعمراتها . ثم ذكر ان لها في الميدان الغربي نحوا من ثلاثة ملايين مقاتل

هذا وان الاخلاق ركن من أعظم أركان الحرب لأن جميع أعمال البشر من آثار أخلاقهم ، فالصبر والثبات في الحرب واجتماع الكلمة خير من كثرة الجيوش، فتأمل تعليل النصر في النص الكريم (٢ : ٢٤٤ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) وقوله تعالى (٨ : إذا لقيتم فئة فاثبتوا — الى قوله — ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ومعنى كونه تعالى مع الصابرين ان سنته في خلقه قد جرت بجعل الصبر من أعظم أسباب الغلب والنصر، ولا سيما اذا صحبه الايمان بالله عز وجل والثقة به والتوكل عليه، وبمجموع ذلك فاز المسلمون من قبل فغلبوا الامم الكثيرة بالفئات القليلة

والصبر والثبات والتعاون من الاخلاق التي امتازت بها الامة الانكليزية على كثير من الامم منذ أجيال، لذلك كانت أخلاقهم أنفع لأحلافهم من أموالهم ومتاعهم، فلولاهم لم يثبت على حرب الالمان أحد، وهؤلاء الالمان أقران لهم وأقتال في ذلك، فحرب الاخلاق بينهما هي الجهاد الاكبر، وعليه المعول الاخير في النصر والظفر،

مختارات من الجرائد

﴿ الطعن في رئيس وزراء الانكليز ﴾

الطعن في العظماء والمصلحين في الامم سنة من سنن الاجتماع حوادثها كثيرة في التاريخ ، وقد اتهمت جريدتان من الجرائد الانكليزية مستر لويد جورج رئيس وزرائهم الذي أظهرت الحرب كفاءته وتفوقه على الاقران فزعمت انه فر من لندن الى فرنسة عند علمه باحدى غارات الطيارات الالمانية على العاصمة وقد كذبت الحكومة الجريدتين فلم تعتذرا عن كذبهما فرفع الوزير عليهما دعوى لسوء تأثير طعنهما في العامة. وقد عجبنا مما أظهرته الدعوى من كثرة ما سبق من الطعن في الوزير ، وهو موضع العبرة التي أردنا ضمها الى أمثالها من حوادث التاريخ . فقد جاء في مقطم ٢٤ المحرم ١٠ نوفمبر — من مقالة في شرح هذه القضية ما نصه :

« ولما عرضت القضية على المحكمة قال المحامي عن المستر لويد جورج ان موكله يقول انه لو كان ما عزته الجريدتان والشركة اليه طعنا شخصيا في شخصه فقط لرأى ان كرامته ومقامه كرئيس وزراء بريطانيا العظمى يقضيان عليه بأن يتغاضى عنه ويكتفي بتكذيبه في الصحف التي نشرته فان المستر لويد جورج استهدف في حياته السياسية لما لم يستهدف له سياسي آخر من الحملات والمطاعن الشخصية والسياسية فقابلها كما يجب على الساسة ان يقابلوها، أي انه عدها من الامور التي لا مناص للسياسي من الاستهداف لها في حياته السياسية . قال المحامي والمستر لويد جورج يعذرني اذا قلت ان خصومه ما كانوا يخرجون من مناضلته فائزين . على ان الذي يهم رئيس الوزارة في قضيتنا هذه هو سوء الوقع الذي يقع في نفوس الجمهور من اتهامه كذبا بالجبن ، فقد بلغه ان الناس ولا سيما في القسم الشرقي من لندن ساءهم خبر مغادرة كبير وزرائهم لندن للتخلص مما تعرضوا له، ولما كانت هذه التهمة كاذبة لجأ الرئيس الى المحاكم لينفي فيها على رؤوس الاشهاد هذه التهمة الباطلة ويطلع مواطنيه على الحقيقة »

ثم ذكر المقطم ان الوزير لما حضر المحكمة وحلف اليمين ألقى عليه المحامي أسئلة أجاب عنها ، منها السؤال الآتي مع جوابه :

س : ألم أفهم منك انه لو كان الطعن شخصيا موجها الى شخصك فقط لما رفعت هذه القضية؟
ج : كنت أكتفي بنفي الخبر الذي روته الجريدتان لاني لو سرت على قاعدة رفع القضايا على كل من يطعن فيّ لما أتيح لي ان أفعل شيئا آخر »

﴿ الاسرائيليون وفلسطين ﴾

توجهة برقية خصوصية للمقطم من مكاتبه بلندن أيدتها برقيات روتر

لندن الجمعة في ٩ نوفمبر الساعة ٣ بعد الظهر

ذكرت جريدة « جويش كرونكل » ان المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية كتب الى اللورد رتشلد يقول ما نصه : —

« يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر بعين الرضى والارتياح الى المشروع الذي يراد به ان ينشأ في فلسطين وطن قومي لشعب اليهود وتفرغ خير مساعيها لتسهيل ادراك هذا الغرض . ولكن ليكن معلوما انه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الاخرى وبمركزهم السياسي فيها »　　مكاتبكم بلندن

﴿ مظاهرة الصهيونيين لتحقيق أمانيهم في فلسطين ﴾

جاء في مقطم ١٦ المحرم — ١٣ نوفمبر ما نصه :

« قال وكيلنا الاسكندري أمس : أقام الاسرائيليون ولا سيما الصهيونيين منهم احتفالا كبيراً أمس في حديقة رشيد بالاسكندرية على إثر البيان الذي أبلغه المستر بلفور الى اللورد روتشلد في شأن تحقيق أماني الاسرائيليين بجعل فلسطين وطناً قومياً لهم . وقد ألقى بعض خطبائهم في هذا الاحتفال خطبا تناسب المقام فشكروا للحلفاء عامة وابريطانيا خاصة هذا الوعد الشريف آملين تحقيقه في القريب العاجل

ثم طاف المحتفلون وهم في أحسن نظام في شوارع المدينة الكبرى تتقدمهم الموسيقى وفرقة الكشافة الاسرائيلية وهم فرحون جذلون بتلك البشرى السارة هاتفون للحلفاء ولبريطانية العظمى بدوام النصر والظفر » اهـ

﴿ معركة غزة و نتائجها ﴾

نشر المقطم تحت هذا العنوان البرقية الآتية : باريس في ٨ نوفمبر

ان سقوط غزة من الحوادث التي يمكن أن تنشأ عنها نتائج عظيمة جدا والتي تعد مقدمة لافول نجم تركيا في الاماكن المقدسة وتحرير البلاد التي هي مهد الديانة المسيحية . وقد قطعت المواصلات التركية تماما مع القوات التي تحارب في بلاد العرب وصار مصير « المدينة » معروفا من الآن . وقد احتلت انكلترا حليفة ملك الحجاز كل العراق تقريباً وجنوبي بلاد فلسطين (هافاس)

عبر التاريخ

٢

ماقيل في سقوط بغداد

نشر المقطم في عدد ٢٨ جماد الاولى سنة ١٣٣٥ - ٢٢ مارس ١٩١٧ ترجمة منشور الجنرال مود الذي خاطب به أهل بغداد عقب دخولها فاتحا باسم ملكه واسم الشعوب التي يحكمها وقد بدأه ببيان أن غرضهم من الحرب كسر العدو واخراجه من البلاد فمجيء جيوشهم العراق لذلك لا « كما يأتي الغازي الفاتح والعدو الطامع » ثم ثنى بذكر تخريب الاجانب للبلاد من عهد هولاكو واستبدادهم فيها ثم قال :

« ان جلالة ملكي وشعوبه والامم العظيمة المحالفة له يرومون لكم السعادة والرخاء واحياء العصر القديم لما كان الخصب منتشرا في دياركم تضيء العالم بنبراس الآداب والعلم والفنون ولما كانت بغداد احدى عجائب الدنيا

« ان بين شعبكم واملاك ملكي علاقات مصلحية وثيقة فقد تعامل تجار بغداد وتجار بريطانيا العظمى منذ مئتي سنة بتمام المودة والصداقة وجنى الفريقان الربح أما الالمان والترك الذين نهبوكم فقد اتخذوا بغداد منذ ٢٠ سنة مقرا لمهاجمة قوة بريطانيا العظمى وحلفائها في ايران وجزيرة العرب، فلم يسع الحكومة البريطانية الا أن تكترث لما يقع في بلادكم الآن وفي مستقبل الايام، فان الواجب والمصلحة للشعب البريطاني وحلفائه يقضيان على الحكومة أن لا تسمح بان يتكرر في بغداد ما فعله الترك والالمان في إبان الحرب »

ثم خاطب أهل بغداد خاصة فذكر لهم أن حكومته يهمها يسرهم التجاري وسلامتهم من الظلم والجور مؤمنا اياهم من ارهاقها لهم بأحكام أجنبية عنهم قال: «بل هي ترجو أن تحقق آمال فلاسفتكم وحكمائكم وكتابكم فتزهو بغداد وتزهر وينشط أهلها ويتمتعون بثروتهم ومقتنياتهم في ظل النظام الذي يطابق شرائعكم المقدسة وأمانيكم القومية » وذكرهم ثانية بظلم الاجانب واستقلال الحجاز . وختم المنشور بدعوتهم الى الاشتراك في ادارة شؤونهم الملكية مع مندوبي بريطانيا العظمى الذين يصحبون الجيش البريطاني (قال) فتتحدوا مع بني جنسكم في الشمال الشرقي والجنوب والغرب على تحقيق آمال العرب

ثم نشر المقطم مقالة في عدد ٢٩ جمادى افتتحه بعبارة طويلة من مقالة لمستشرق بريطاني دعا العرب فيها الى اليقظة وطلب الحرية والاستقلال (هي المقالة التي نشرها المقطم في شهر سبتمبر من العام الماضي وأشار اليها في المقالة التي نقلنا عنه معظمها في آخر الجزء الماضي) هذا نصها :

« هل انحط العرب اليوم أو فسدت احسابهم وضعفت همتهم ؟ — كلا لا هذا ولا ذاك فهمتهم لا تزال كبيرة، واحسابهم لا تزال صحيحة وهم حافظون لانسابهم، وقد صانوا مازانهم به الله من قوة وبأس وهمة ونشاط ومضاء عقل واصالة رأي وشجاعة واقدام وأخلاق كريمة وسماحة وجود واحسان ، ولكني رأيتهم غارقين في بحور الفاقة ، وقد تولاهم التفرق واشتد بهم الانقسام فدانوا لسواهم وخضعوا . وبعدما كانوا سادة صاروا مسودين ، فهل يبقون بعد ان تضع الحرب أوزارها، كما كانوا لما أضرم أوارها

« تشتت شمل العرب ودالت دولتهم منذ عصفت في بلادهم عاصفة هولاكو المغولي واجتاحها السلجوقيون رعاة طوران فضاع استقلال العرب وباتوا رعية لسواهم، فذلوا بعد العز وافتقروا بعد الغنى وخيم الجهل على بلادهم بعد ما كانت مطلع شموس العلم والعرفان حتى طلع صبح اليوم الذي تفك فيه قيود الامم المقهورة، فهل يعتبر العرب بما يقع الآن في انحاء الدنيا ويجمعون كلمتهم ويبتغون الوحدة القومية لهم ولأبنائهم بعدهم

« لقد كان العرب أعداء أنفسهم، فأوسعوا مجال الانقسام بينهم ولولا ذلك لما تسلط عليهم شعب أدنى منهم وأحط، فالعرب لا تعوزهم الشجاعة ولا تنقصهم الاخلاق

الكريمة، وقد امتد ملكهم من بحر الروم الى سور الصين فضربت الامثال بنجدتهم، وتحدثت الامم بأسهم وشدتهم، ولا يزالون كما كانوا من أشد الناس نخوة وأعظمهم حمية، وهم كرمل البحر في الكثرة ، فكيف يرضون بالذل ولا يطمعون بالاستقلال ومساواة الشعوب العظيمة والتمتع بأطايب الحياة ورغد العيش والهناء

«لست أدعو العرب لان يكونوا سفاحين كالالمان ولا ظالمين كالترك، ولكنني أتمنى لهم ان يكونوا أحراراً في بلادهم، وان يطيبوا نفساً وعيشاً و يعودوا الى سابق مجدهم، فينيروا العالم بأنوار حكمتهم وعلمهم ، وفلسفتهم وصناعتهم ، كما فعل أسلافهم الكرام من قبلهم

« اني أسمع صوتاً ينادي من السماء و يقول : انهضوا ياأبناء عدنان ، و ياسلالة قحطان، وافيقوا من سنة النوم فقد غلبت عليكم الف عام »

ثم قفى المقطم على هذه النبذة بالتنويه بمنشور الجنرال مود والثناء عليه ، ولكنه هفا هفوة كبيرة في المقابلة بينه و بين ما خاطب به الحجاج أهل العراق ، اذ وصفهم بالنفاق والشقاق ، والفرق بين الحالين عظيم

﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

أرجأنا بقية هذه الترجمة الى جزء آخر

﴿ المطبوعات الجديدة ﴾

لدينا كثير من مطبوعات السنتين الماضيتين — على قلة المطبوعات في هذا الزمن — لم نفرغ للنظر في شيء منها لنبين مزيته، أما وقد طال الأمد فسنذكرها بالاختصار ، وأقل حقوق أصحابها الاعلان، ونبدأ بذكر صحيفتين مصريتين:

﴿ المجلة السلفية ﴾ « علمية أدبية اخلاقية تاريخية اجتماعية تصدر مرة في كل شهر، صاحبها ومديرها عبد الفتاح (افندي قتلان » سنتها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها ٢٠ قرشا في القطر المصري و٨ فرنكات في الخارج تدفع مقدما . وقد تمت سنتها الاولى فكانت ٢١٦ صفحة وأكثر ما نشر فيها مختارات من الكتب العربية للشيخ طاهر الجزائري. وهذا وجه تسميتها بالمجلة السلفية

﴿ الخال ﴾ جريدة اخبارية اقتصادية تمثيلية تاريخية تصدر ثلاث مرات في الاسبوع. صاحبها ومديرها خليل بك صادق وقيمة الاشتراك فيها مائة قرش في السنة. ويفاته ان يذكر في صفتها انها فكاهية فروح فكاهة صاحبها تتجلى في كل ماينشر فيها .

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق

٣٠ ربيع الاول ١٣٣٦ — ٢٢ الجدي (ش ١) ١٢٩٦ هـ ش ١٣ يناير ١٩١٨

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بماشاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها

(س ٩) من صاحب الامضاء الرمزي في سنغافوره

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

ماقول الاستاذ المرشد مولانا السيد محمد رشيد رضا أرشده الله ورضي عنه في حكم عمل الصور من الجص والاحجار والمعادن مجسمة — وفي حكم عملها بالحفر

أو القلم أو بآلة حبس الظل (الفوتغراف) غير مجسمة، هل هو جائز مطلقا أو في بعض الصور وما الدليل على ذلك ؟

وهل تقولون بحرمة ما صنع للعبادة والتعظيم فقط أم تذهبون الى كون التحريم خاصا بالزمن المتقدم خوفا من ان يكون ذريعة الى عبادة الصور اما الآن فلا يحرم لانسداد الذريعة ؟ وهل يدل على ذلك ترك الصحابة ماوجدوه في ايوان كسرى من الصور مع صلاتهم فيه لانها لمحض الزينة ام لا ؟ وما حكم اقتنائها ولو لحاجة والنظر ولو لضرورة عسر الاحتراز او لكونها عند من لا يحرمها ؟

افتونا على صفحات ناركم مأجورين ،ولا زلتم قبلة الافادة وللصواب موفقين، وبامداد الله معانين .   — حرره في سنغفوره —   د ه ن

(ج) سبق لنا قول وجيز في هذه المسألة وقتضت الحال الآن بسط المسألة بالتفصيل وهو يتوقف على ايراد الاحاديث الصحيحة الواردة فيها وملخص ما فهمه العلماء المشهورون منها . وقد استوفى الامام البخاري جل ذلك في كتاب اللباس من صحيحه فنعتمد في النقل على ما ورد فيه فنذكره بغير عزو اليه غالبا ونعزو ما ننقله عن غيره لزيادة فائدة فيه ونعتمد في تلخيص أقوال العلماء على ما أورده الحافظ ابن حجر في الفتح فانه أجمع الكتب التي نعرفها لذلك ولا مثاله، وان نقلنا شيئا عن كتاب آخر نعزوه اليه

﴿ الاحاديث الصحيحة في التصاوير والمصورين ﴾

١ — عن مسلم (هو ابن صبيح أبو الضحى واشتهر بكنيته) قال كنا مع مسروق في دار يسار بن نمير (هو مولى عمر بن الخطاب وروى عنه) فرأى في صفته (*) تماثيل فقال سمعت عبدالله (هو ابن مسعود) قال سمعت النبي (ص) يقول « ان أشد الناس عذابا عند الله المصورون » وفي رواية مسلم : كنت مع مسروق في بيت فيه تماثيل فقال مسروق هذه تماثيل كسرى فقلت لا هذا تماثيل مريم . ثم ذكر الحديث

(*) الصفة بضم الصاد وتشديد الفاء كالظلة وزنا ومعنى وتطلق على المكان المظلل بفناء الدار أو المسجد وعن الليث انها مكان كالبهو مظلل مستطيل

٢ — عن ابن عمر (رض) ان رسول الله (ص) قال « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم »

٣ — عن ابن عباس انه جاءه رجل فقال إني أصور هذه الصور فأفتني فيها فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « كل مصوّر في النار . يجعل له بكل صورة نفسا فتعذبه في جهنم » وقال فان كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له . ورواه مسلم وأحمد وفي بعض الروايات ان السائل رجل من أهل العراق أراه نجارا . وفي بعضها انه قال له انما معيشتي من صنعة يدي ، وانه عندما ذكر له الحديث انتفخ غيظا فرخص له بما ذكر . ونص المرفوع في رواية أخرى « من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » قال الحافظ بن حجر وفي رواية أبي سعيد ابن أبي الحسن « فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا » واستعمال حتى هنا نظير استعمالها في قوله تعالى (حتى يلج الجمل في سم الخياط) وكذا قولهم لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب . ثم ذكر ان هذا أمر تعجيز لا من تكليف ما لا يطاق . وانه استشكل في حق المسلم لانه يدل على الخلود وانه يتعين تأويله بارادة الزجر الشديد وأن ظاهره غير مراد . ه ما ذكره الحافظ ملخصا . وأقول الاولى ان يحمل على المشركين الذين يصنعون ما يعبد لعبادته كما يعلم مما يأتي

٤ — عن عمران بن حطان ان عائشة (رض) أخبرته ان النبي (ص) لم يكن يترك في بيته شيئا فيه تصاليب لا نقضه

التصاليب جمع تصليب وهو مصدر سمي به ما كان فيه صورة الصليب من ثوب أو غيره ، ونقضه أزاله ، والازالة تكون بنحو الطمس والحك والطخ والقطع . وقد ذكر البخاري هذا الحديث في (باب نقض الصور) وذكر الحافظ في وجه مطابقة الحديث للترجمة انه استنبط من نقض الصليب نقض الصورة التي تشترك مع الصليب في المعنى الذي هو سبب التحريم وهو عبادتهما من دون الله

٥ — عن أبي زرعة قال دخلت مع أبي هريرة دارا بالمدينة فرأى في أعلاها مصورا يصور فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة »

في هذه الرواية حذف علم من رواية أخرى وهو « قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق » الخ رواها مسلم . وفيها ان الدار دار مروان وفي رواية له : تبنى لسعيد أو لمروان . قال ابن بطال فهم أبو هريرة ان التصوير يتناول ماله ظل وما ليس له ظل فلهذا أنكر ما ينقش في الحيطان . يعني ابن بطال ان هذا الفهم غير صحيح من حيث ان التشبيه في الحديث القدسي لا ينطبق عليه فان الله تعالى خلق ذوات مائلة لا نقوشا في الحيطان ونحوها . ويمكن ان يقال أيضا إن صنع التماثيل ذات الظل التي شددوا فيها لا تعد من هذا الظلم الا اذا قصد صانعها أن يخلق كخلق الله ، وقد فسروا « ذهب يخلق » بقصد وهو رواية حديث ابن فضيل . ويؤيده حديث عائشة الآتي (وهو التاسع) اذ قال : يضاهون بخلق الله ، وفي رواية مسلم : يشبهون بخلق الله . وانما يكون هذا بالقصد .

٦ – عن ابن عباس عن أبي طلحة (رض) قال قال رسول الله (ص) « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير »

٧ – عن عبد الله بن عمر قال : وعد جبريل النبي (ص) فراث (أي أبطأ) عليه حتى اشتد على النبي (ص) فخرج فلقيه فشكا اليه ما وجد فقال « إنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب » هكذا أخرجه البخاري مختصرا . وهو عند مسلم من حديثي عائشة وميمونة أوضح وفي الاول ثم التفت فاذا جرو كلب تحت سريره فقال « ياعائشة متى دخل هذا الكلب ههنا ؟ فقالت والله ما دريت به ، فأمر به فأخرج فجاء جبريل الخ وفي الثاني : ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه فلما أمسى لقيه جبريل الخ وظاهر الحديثين ان امتناع جبريل كان بسبب وجود الكلب اذ ليس فيهما ذكر للصور ، وفي الاول انه رأى الكلب عرضا ولم يكن عالما بوجوده وفي الثاني انه كان عالما به وتذكره بعد ابطاء جبريل . وفيهما الخلاف بين السرير والفسطاط والاول معروف والثاني بيت من شعر دون السرادق وقال النووي أصله عمود الاخبية والمراد به في الحديث بعض حجال البيت . فيطابق حديث عائشة اه بالمعنى . وفي القصة حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود والنسائي والترمذي وصححه كابن حبان والحاكم وهو :

« أتاني جبريل فقال أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت الا أنه كان على الباب تماثيل وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان في البيت كلب . فمر برأس التمثال الذي على باب البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة ، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن ، ومر بالكلب فليخرج » ففعل رسول الله (ص) واذا الكلب جرو كان للحسن والحسين تحت نضد لهم . وفي رواية النسائي « إما ان تقطع رءوسها وما ان تجعل بسطا توطأ » والنضد بفتحتين ما ينضد من متاع البيت يجعل بعضه فوق بعض وما ينضد عليه ذلك المتاع من سرير وغيره فهو يطابق حديث عائشة من هذا الوجه

ظاهر هذا الحديث ان الواقعة كانت في بيت علي وفاطمة وظاهر حديث كل من عائشة وحفصة انها كانت في بيتها .

ومن الاضطراب في هذه الروايات ان حديث ابن عمر صريح في ان النبي (ص) خرج فلقي جبريل خارج البيت وظاهر حديث عائشة ان جبريل دخل البيت بعد اخراج الكلب ، وصرحت عائشة وحفصة بأنه (ص) أمر باخراج الكلب قبل لقاء جبريل بعد رؤيته أو تذكره وصرح أبو هريرة بأن جبريل هو الذي أخبره به واقترح عليه اخراجه ، وعادة العلماء ان يجمعوا بين أمثال هذه الروايات المتعارضة بتعدد الوقائع، وعليه يترجح أن يكون ما رواه أبو هريرة وقع أولا فعلم منه النبي (ص) ان جبريل لا يدخل مكانا فيه كلب ولذلك أمر باخراج الكلب بعد ذلك لما رآه أو تذكره لعلمه مما سبق انه هو سبب تأخر جبريل ولكن في حديثي عائشة وحفصة عند مسلم أن النبي (ص) لم يكن يعلم سبب تأخر جبريل عليه السلام لانه سأله عنه فقال في حديث عائشة « منعني الكلب الذي كان في بيتك إنا لا ندخل الخ

وذكر النووي في سبب الامتناع أربع علل (١) كثرة أكل الكلاب للنجاسات (٢) قبح رائحتها أي رائحة بعضها (٣) ان بعضها يسمى شيطانا وهو الاسود القبيح المنظر (٤) النهي عن اتخاذها ، ولهذا الاخير قال الخطابي ان الامتناع خاص بما نهي عنه دون المأذون فيه ككلب الماشية والزرع والصيد ، وخالفه النووي فقال بالتعميم في الكلاب ولكنه خص الملائكة بملائكة الرحمة

٨ — عن أنس (رض) قال كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال لها النبي (ص) «أميطي عني فانه لاتزال تصاويره تعرض لي في صلاتي» أميطي أي نحي وازيلي وفيه حذف المفعول ورواية مسلم « أزيليه »

٩ — عن عائشة (رض) قالت : قدم رسول الله (ص) من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيه تماثيل فلما رآه رسول الله (ص) هتكه وقال « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » قالت فجعلناه وسادة أو وسادتين

وفي رواية للبخاري في المظالم قالت فاتخذت منه نمرقتين فكانتا في البيت يجلس عليهما. وفي رواية لمسلم فجعلته مرفقتين فكان يرتفق بهما في البيت . وفي لفظ أحمد : فقطعته مرفقتين فلقد رأيته متكئا على إحداها وفيها صورة ، والنمرقة والمرفقة الوسادة كما سيأتي

١٠ — وعنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فقام النبي (ص) بالباب فلم يدخل (قالت) فقلت أتوب الى الله مما أذنبت . قال « ما هذه النمرقة ؟ قلت لتجلس عليها وتوسدها، قال « ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم ، وان الملائكة لاتدخل بيتا فيه الصور » وفي رواية مسلم « اشتريتها لك تقعد عليها وتوسدها . والفقرة المرفوعة منه « ان البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة »

١١ — وعنها قالت : قدم النبي (ص) من سفر وعلقت درنوكا فيه تماثيل فأمرني أن أنزعه فنزعته ، هذا لفظ البخاري . ولفظ مسلم : وقد سترت على بابي درنوكا فيه الخيل ذات الاجنحة. وفي لفظ آخر عنده : دخل النبي (ص) علي وقد سترت نمطا فيه تصاوير فنحاه فاتخذت منه وسادتين. وستور الدرنوك والنمط جنس واحد كما سيأتي

١٢ — عن بشر بن سعيد عن زيد بن خالد (الجهني الصحابي) عن ابي طلحة (زيد بن سهل الانصاري) صاحب رسول الله (ص) قال ان رسول الله (ص) قال « ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه الصورة » (وفي نسخة الصور وفي أخرى صور) قال بشر ثم اشتكى زيد (أي ابن خالد) فعدناه فاذا على بابه ستر فيه صورة (وفي نسخة صور) فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي (ص) (وكان مع بشر) : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الاول ؟ (وفي نسخة يوم أول) فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال « الا رقما في ثوب » قال الحافظ :في رواية عمرو بن الحارث:

فقال انه قال «الا رقما في ثوب» الا سمعته ؟ قلت لا، قال بلى قد ذكره . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي

١٣ — وروى مسلم وأبوداود عن زيدبن خالد عن أبي طلحة الانصاري قال سمعت رسول الله (ص) يقول « لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل » قال فأتيت عائشة فقلت ان هذا يخبرني ان النبي(ص) قال لاتدخل الملائكة... » الخ فهل سمعت رسول الله(ص) ذكر ذلك؟ فقالت لا ولكن سأحدثكم مارأيته فعل — رأيته خرج في غزاة فأخذت نمطا فسترته على الباب ، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه ، فجذبه حتى هتكه أوقطعه وقال « ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين » قالت فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفا فلم يعب ذلك علي

قالوا ان هذا النمط هو الذي فيه الخيل ذات الاجنحة كما تقدم آنفا من رواية أخرى عند مسلم وذكر النووي ان العلماء استدلوا به على منع ستر الحيطان وتنجيد البيوت بالثياب وهو منع كراهة تنزيه لا تحريم ، هذا هو الصحيح . ثم رد على من حرمه

وأقول : الظاهر أن هذا الحديث معارض لتلك الاحاديث اذ ليس فيه أنه أنكر الصور التي في النمط ويمكن ان يقال ان هذا وقع قبل امتناع جبريل من دخول البيت لوجود التماثيل والكلب فيه ، الا ان عائشة حدثت بهذا وبغيره بعد رسول الله (ص) فالمسألة مشكلة من هذا الوجه . ومثله حديث أنس عند البخاري (وهو الثامن مما أوردنا) ففيه أنه(ص) أمرها بإماطة القرام لان تصاويره تعرض له في صلاته ، فعلة الامر بازالته أنه يشغل نظر المصلي اليه، وجماهير الفقهاء متفقون على كراهة الصلاة الى مايشغل المصلي، ولا دليل فيه على انكار الصور أو تحريم اتخاذها . ومثله حديثها في الدرنوك (وهو الحادي عشر) ولكن ليس فيه تصريح بالعلة . ومثله حديثها عند مسلم في الثوب الممدود الى السهوة . وأما حديثها في القرام (وهو التاسع) وحديثها في النمرقة (وهو العاشر) فهما صريحان في إنكار اتخاذ الصور بتلك الهيئة . وقد استشكل ذلك العلماء وأجاب بعضهم عنه بتعدد الوقائع وبأن الصور في بعضها من غير ذوات الارواح وهي التي لم ينكرها وفي بعضها من ذوات الارواح كالطير والخيل وهي التي أنكرها . ويقال هنا أيضا ما قلناه في حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة ، وهو

أن عائشة كانت تحدث بذلك بعد رسول الله (ص) فلماذا كانت تذكر كل واقعة وحدها ولم تبين لكل سائل أو محدّث كل ما علمته في المسألة ؟ وهل يعقل ان ينكر النبي (ص) على عائشة عملا عملته في بيته فتزيله بأمره ثم تعود الى فعله ؟ كلا ان الروايات في هذه المسألة مضطربة ولم نر لاحد من العلماء قولا شافيا فيها

والذي نراه أقرب الى الوقوع ان عائشة كانت علقت على الجدار سترا فيه تصاوير للزينة فأنكر النبي (ص) ذلك من باب الارشاد الى ما يستحسن في تدبير المنزل وهو عدم إضاعة الثوب بوضعه على الجدار وضعا لا فائدة فيه لان الثياب لستر الابدان وزينتها لا لستر الحجر والطين . ويحتمل ان يكون هذا هو الذي وقع أمامه في صلاته وأنه علل أمره بازالته بكونه يشغل النظر في وقت الصلاة وبكونه اسرافا واضاعة للثوب وان عائشة ذكرت كل تعليل مرة في سياق كلام اقتضاه ، أو ذكرتهما معا وذكر الرواة كلا منهما في سياق اقتضاه ، ويحتمل ان يكون الحديثان في واقعتين علل الانكار في الاولى منهما بشغل النظر في الصلاة وان الستر كان في الثانية بحيث لا يراه في الصلاة ، وكل حديث في هذا الباب لم تنكر أو لم تذكر فيه التصاوير فهو محمول على تلك الواقعة أو الوقعتين . وأما الروايات التي فيها التصريح بانكار اتخاذ التصاوير بتلك الصفة فالاقرب انها في واقعة واحدة كانت بعد ما تقدم ، وانها علقت النمرقة في غيبته اذ كان مسافرا فلما عاد ورآها أنكر عليها وامتنع من دخول البيت حتى تنزعها فلما تابت دخل وهتكها بيده أي أزالها الا ان الإخبار بها كان في أوقات مختلفة فاختلف التعبير باللفظ والمعنى . ومن الاول القرام والنمط والدرنوك والنمرقة والوسادة والمرفقة (* ويدل على هذا الجمع قولها : أتوب الى الله

(*) القرام بالكسر ستر فيه نقوش وتصاوير . وقيل ثوب من صوف ملون يفرش في الهودج أو يغطى به . والنمط قال النووي في شرح مسلم المراد به هنا بساط ليف له خمل . والدرنوك بالضم كعصفور ثوب غليظ له خمل اذا فرش فهو بساط واذا علق فهو ستر . والنمرقة بضم النون والراء — وكسرهما لغة كما — الوسادة يجلس عليها وتوضع على الرحل تحت الراكب لالينها وتتوسد أيضا فتسمى وسادة والوسادة بتثليث الواو المخدة التي تتوسد في النوم أي يوضع عليها الرأس وتسمى مخدة بكسر الميم لانها يوضع عليها الخد عند النوم . وتسمى مرفقة ومرفقا بكسر الميم وفتح الفاء لانها يوضع عليها المرفق عند الاتكاء عليها، فاختلاف الاسماء لاختلاف الاستعمال =

مما أذنبت . فلولا النهي السابق لم يكن تعليقها النمرقة ذنبا تتوب منه . ولكن في بعض روايات الصحيح انها قالت : فما أذنبت . ولعل هذا غلط من بعض الرواة

١٤ — عن عائشة (رض) قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبي (ص) وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله (ص) اذا دخل يتقمعن منه (أي يستترن) فيسربهن (أي يرسلهن) اليّ فيلعبن معي . أخرجه البخاري في كتاب الادب من الصحيح

وقد حرف بعض المشددين في مسألة الصور هذا الحديث فزعم ان معنى قولها كنت ألعب بالبنات — كنت ألعب مع البنات . قال الحافظ في شرح الحديث : حكاه ابن التين عن الداودي ورده (قلت) ويرده ما أخرجه ابن عيينة في الجامع من رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عنه عن هشام بن عروة في هذا الحديث : وكن جواري يأتين فيلعبن معي . وفي رواية جرير عن هشام : كنت ألعب بالبنات وهن اللعب . أخرجه أبو عوانة وغيره . وأخرج أبو داود والنسائي من وجه آخر عن عائشة قالت : قدم رسول الله (ص) من غزوة تبوك أو خيبر — فذكر الحديث في هتكه الستر الذي نصبته على بابها قالت : فكشف ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال « ماهذا ياعائشة ؟ — قالت بناتي ، ورأى فيها فرسا مربوطا له جناحان فقال « ما هذا ؟ قلت فرس ، قال « فرس له جناحان ! » قلت ألم تسمع انه كان لسليمان خيل لها أجنحة ؟ فضحك . فهذا صريح في ان المراد باللعب غير الآدميات اهـ

١٥ — عن عائشة (رض) قالت لما اشتكى النبي (ص) — أي مرض مرض الموت — ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتيا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » أخرجه البخاري في أبواب المساجد وفي الجنائز وأخرجه مسلم في المساجد

= وقد كان يختلف المسمى بالكبر والصغر كما يختلف الآن وهو جنس واحد تحديد معناه أنه شبه كيس من نسيج يوضع فيه نحو قطن أو صوف أو ليف ويخاط عليه . ومنه مايصنع أولا وبالذات للنوم ومنه مايصنع للاتكاء أو الجلوس . ثم يستعمل لغير ذلك عند الحاجة

﴿ أقوال العلماء في فقه هذه الاحاديث ﴾

(١) قال الحافظ عقب ذكر حديث أبي هريرة المتقدم عن أحمد وأصحاب السنن ما نصه : وفي هذا الحديث ترجيح قول من ذهب الى ان الصورة التي تمنع الملائكة من دخول المكان التي تكون فيه هي ماتكون على هيئتها مرتفعة غير ممتهنة . فأما لو كانت ممتهنة أو غير ممتهنة لكنها غيرت عن هيئتها إما بقطعها من نصفها أو بقطع رأسها فلا امتناع

(٢) ثم قال الحافظ في إثر ما تقدم : وقال القرطبي ظاهر حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة الماضي قبل (وهو التاسع مما نقلناه عن البخاري) أن الملائكة لا تمتنع من دخول البيت الذي فيه صورة ان كانت رقما في الثوب ، وظاهر حديث عائشة المنع . ويجمع بينهما بأن يحمل حديث عائشة على الكراهة وحديث أبي طلحة على مطلق الجواز وهو لا ينافي الكراهة . (قال الحافظ) قلت وهو جمع حسن لكن الجمع الذي دل عليه حديث أبي هريرة أولى منه والله أعلم

(٣) قال الحافظ عند الكلام على حديث النمرقة : قال الرافعي وفي دخول البيت الذي فيه الصورة وجهان قال الاكثر يكره وقال أبو محمد يحرم . فلو كانت الصورة في ممر الدار لا داخل الدار كما في ظاهر الحمام أو دهليزها لا يمتنع الدخول . قال وكأن السبب فيه ان الصورة في الممر ممتهنة وفي المجلس مكرمة . (قلت) وقضية إطلاق نص المختصر وكلام الماوردي وابن الصباغ وغيرهما لافرق اه

(٤) اختلفوا في الملائكة التي لا تدخل بيتا فيه صورة ولا كلب فقيل هو على العموم وقيل هو خاص بملائكة الرحمة وتقدم عن النووي وصرح هؤلاء بأنه يستثنى منه الحفظة ، وقيل من نزل بالوحي خاصة كجبريل (قال الحافظ) وهذا نقل عن ابن وضاح والداودي وغيرهما وهو يستلزم اختصاص النهي بعهد النبي (ص) لان الوحي انقطع بعده وبانقطاعه انقطع نزولهم . وقيل التخصيص في الصفة أي لاتدخله الملائكة دخولهم بيت من لا كلب فيه

(٥) قال الحافظ : وأغرب ابن حبان فادعى ان هذا الحكم خاص بالنبي (ص)

قال وهو نظير الحديث الآخر « لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس » — قال — فانه محمول على رفقة فيها رسول الله (ص) اذ محال ان يخرج الحاج والمعتمر لقصد بيت الله عز وجل على رواحل لا تصحبها الملائكة وهم وفد الله انتهى وقد استبعد الحافظ هذا التأويل وقال انه لم يره لغيره

(٦) قال : وقد استشكل كون الملائكة لاتدخل المكان الذي فيه التصاوير مع قوله سبحانه وتعالى عند ذكر سليمان عليه السلام (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) وقد قال مجاهد كانت صورا من نحاس أخرجه الطبري . وقال قتادة كانت من خشب ومن زجاج . أخرجه عبد الرزاق . والجواب ان ذلك كان جائزا في تلك الشريعة وكانوا يعملون أشكال الانبياء والصالحين منهم على هيئتهم في العبادة ليتعبدوا كعبادتهم ، وقد قال أبو العالية لم يكن ذلك في شريعتهم حراما ثم جاء شرعنا بالنهي عنه . ويحتمل ان يقال ان التماثيل كانت على صورة النقوش لغير ذات الارواح ، واذا كان اللفظ محتملا لم يتعين الحمل على المعنى المشكل ، وقد ثبت في الصحيحين حديث عائشة في قصة الكنيسة التي كانت بأرض الحبشة وما فيها من التصاوير وانه (ص) قال « كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » فان ذلك يشعر بأنه لو كان جائزا في ذلك الشرع ما أطلق عليه (ص) ان الذي فعله شر الخلق ، فدل على ان فعل صور الحيوان فعل محدث أحدثه عباد الصور والله أعلم اه

أقول: لم يأت الحافظ رحمه الله بشيء يشفي في هذه المسألة والذي يظهر في حل الاشكال أن وجود التصاوير في مكان ليس مانعا ذاتيا لدخول الملائكة فيه ، اذ لو كان كذلك لم يختلف فيه حكم شرائع الانبياء عليهم السلام وأصل دين الله فيهم واحد وانما اختلفت شرائعهم بما يختلف ضره ونفعه وفساده وصلاحه باختلاف الزمان والمكان . وما ذكره الله تعالى من منته على نبيه سليمان عليه السلام في هذه المسألة دليل على ان عمل التماثيل له واتخاذه إياها في مبانيه لم يكن فيه مظنة عبادة ولا تشبه بالمشركين مذكر بعبادتهم مؤنس للمؤمن بها .

ومن العجيب أن يذكر الحافظ في تعليل ما كان يعمل لسليمان انه كان يعمل

له صور الانبياء والصالحين الخ وهذا هو أصل البلاء في عبادة الصور والتماثيل فقد روى البخاري وغيره ان أصنام قوم نوح وأوثانهم المذكورة في سورة نوح صارت الى العرب وان أسماءها كانت أسماء رجال صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت . ويؤيد هذا حديث عائشة في قصة الكنيسة وقد تقدم ، فالنصارى قد اتبعوا سنن سلفهم من الروم واليونان في اتخاذ الصور والتماثيل فكانوا يجعلون صور الانبياء والصالحين في المعابد وغيرها وهي التي ذمهم الرسول (ص) بها ولم يذمهم على اتخاذ صور الملوك والقوادوالوالدين والاولاد وغيرهم مما لا شبهة فيه على العبادة ولا دخل له في الدين . فمن العجيب ان يغفل المستنبط عن علة الشيء الصريحة ويتخذ له علة أخرى يفسر بها النصوص ليجمع بينها فيحمل الشيء على ضد المراد . على ان الحافظ ذكر حديث الكنيسة المصرح بالعلة الصحيحة ولكنه لم يرد به ماذكره قبله

وقد وقع مثل هـذا لبعض المؤلفين المقلدين في تشريف القبور بالبناء ووضع الستور عليها فحمل النهي عن ذلك في الاحاديث على مالم يقصد به تعظيم الميت الصالح أي لانه اضاعة للمال وأباح ما اتبع به الخلف الصالح سنن من قبلهم من بناء القبور الصالحين ووضع الستور عليها اذا كان المراد به تعظيمها قياسا على أستار الكعبة !! وهو قياس مصادم للنص مبطل له ناقض لعلته ذاهب بحكمته ، فان الخطر على أصل الدين وهو التوحيد انما هو في تعظيم قبور الصالحين لانه أدى عبادتها بالتعظيم والطواف والتمسح ودعاء الموتى ، و « الدعاء هو العبادة » كما ثبت في الحديث عند أحمد وأصحاب السنن وغيرهم . وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة مرارا

(٧) نقل الحافظ في شرح حديث عبد الله بن مسعود — وهو الاول مما أوردنا — عن الخطابي أقدم شراح البخاري انه قال فيه : إنما عظمت عقوبة المصور لان الصور كانت تعبد من دون الله ، ولان النظر اليها يفتن و بعض النفوس اليها تميل ، قال والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح اهـ

أقول : التعليل الاول هو الصحيح الذي يؤخذ من مجموع النصوص واقتصر عليه

المحققون، وأما دعوى الافتتان بجمالها وهذا لا يقع إلا نادرا فلا يبنى عليه مثل هذا الوعيد الشديد، وإنما يظهر وجهه إذا أريد به الافتتان الديني الذي كان عليه الكفار وهو يرجع الى التعليل الاول . ومن العجيب أن يجعل الميل والاستحسان لبعض خلق الله والسرور به مذموما شرعا ومقتضيا لتحريم الاستمتاع به وان لم يترتب عليه ترك فريضة ولا ارتكاب معصية . فليحرموا اذا النظر والتأمل في زينة الكواكب النيرات ، والجنات معروشات وغير معروشات ، وجمال رياض الازهار ، ومحاسن حدائق الاشجار ، وسماع خرير المياه ونغمات الاطيار، وغير ذلك من صنع الله(الذي أتقن كل شيء ٥ الذي أحسن كل شيء خلقه) وماذا يفعلون بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، لمن سأله عن حب الزينة في اللباس (ان الله جميل يحب الجمال) ؟ رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وغيرهما عن غيره أيضا

(٨) ثم قال بعد نقل ما تقدم عن الخطابي : وقيل يفرق بين العذاب والعقاب فالعذاب يطلق على ما يؤلم من قول أو فعل كالعتب والانكار والعقاب يختص بالفعل . فلا يلزم من كون المصور أشد الناس عذابا أن يكون أشد الناس عقوبة . هكذا ذكر الشريف المرتضى في [illegible] بالآية المشار اليها وعليها انبنى الاشكال ولم يكن هو عرج عليها فلهذا ارتضى التفرقة والله أعلم

(قال) واستدل به أبو علي الفارسي في التذكرة على تكفير المشبهة فحمل الحديث عليهم وأنهم المراد بقوله « المصورون » أي الذين يعتقدون ان لله صورة . وتعقب بالحديث الذي بعده في الباب بلفظ «ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون» وبحديث عائشة الآتي بعد بابين بلفظ « ان أصحاب هذه الصور يعذبون » وغير ذلك ، ولو سلم له استدلاله لم يرد عليه الاشكال المقدم ذكره — أي معارضة الآية للحديث — اهـ وحديث الباب الذي أشار اليه هو الثاني مما أوردنا

وأقول : كان يمكن لابي علي أن يجيب عن هذا لو أورد عليه بحمل حديث «ان أشد الناس عذابا عند الله المصورون » في الذين يجعلون لله تعالى صورة مماثلة لصور بعض المخلوقات، ويجيب عن معارضة الآية بتقدير «من أشد» ويقتضي بذلك من جعل التصوير ككفر آل فرعون مشاركا له في مثل عقابه ، ومعلوم من أصول الشريعة

المجمع عليها أي ماورد النص تسميته أكبر الكبائر هو دون أشد الكفر بالشرك بالله ومعاندة رسله ككفر آل فرعون ، اذ كل كبيرة من هذه الكبائر التي هي أعظم جرما من التصوير المحرم يجوز أن تغفر ولا يعذب صاحبها أصلا ، فكيف يجزم بأن المصورين أشد الناس أو من أشدهم عذابا كآل فرعون . وأما كونهم يعذبون فالامر فيه دون ذلك ، ولا سيما على قول من فرق بين العذاب والعقاب فلم يجعل كل عذاب عقابا

(٩) من أشد الفقهاء تشديدا في التصوير واتخاذ الصور أبو بكر بن العربي من المالكية والنووي من الشافعية . وقد جزما بتحريم التصوير مطلقا لخص الاول الاقوال في اتخاذ الصور فقال : حاصل مافي اتخاذ الصور أنها ان كانت ذات أجسام حرم بالاجماع وان كانت رقما فأربعة أقوال الاول يجوز مطلقا على ظاهر قوله في الحديث « الا رقما في ثوب » الثاني المنع مطلقا حتى الرقم الثالث ان كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وان قطعت الرأس أو تفرقت الاجزاء جاز — قال وهذا هو الاصح — الرابع ان كان مما يمتهن جاز وان كان معلقا لم يجز اه ونوزع في دعوى الاجماع فيما له ظل واستثنى الجمهور لعب البنات كما تقدم وفيه بحث سيأتي قريبا

(١٠) قال الحافظ في شرح حديث الدرنوك : ويستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ الصور اذا كانت مما لا ظل له وهي مع ذلك مما يوطأ ويداس أو يمتهن بالاستعمال كالمخاد والوسائد قال النووي : وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين . وهو قول الثوري ومالك وأبي حنيفة والشافعي ، ولا فرق في ذلك بين ما له ظل وما لا ظل له ، فان كان معلقا على حائط أو ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يعد ممتهنا فهو حرام . ثم ذكر الحافظ مؤاخذات فيما نقله النووي (منها) حكاية ابن العربي تحريم ماله ظل بالاجماع ، وقال ان محله في غير لعب البنات ، وان القرطبي حكى فيما لا يتخذ للابقاء كالفخار قولين أظهرهما المنع ، وجعل إلحاق ما يصنع من الحلوى بالفخار وبلعب البنات محل تأمل (ومنها) ان مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان معلقا الا ان يكون على جدار فيمنع . أي عملا بحديث « ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين »

(١١) قال النووي : وذهب بعض السلف الى ان الممنوع ما كان له ظل وأما لا ظل له فلا بأس باتخاذه مطلقا ، وهو مذهب باطل فان الستر الذي أنكره النبي (ص) كانت الصورة فيه بلا ظل بغير شك ومع ذلك فأمر بنزعه (قال الحافظ متعقبا للنووي) قلت المذهب المذكور نقله ابن أبي شيبة عن القاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه عن ابن عون قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته فرأيت في بيته حجلة فيها تصاوير القندس والعنقاء . ففي اطلاق كونه مذهبا باطلا نظر اذ يحتمل انه تمسك في ذلك بعموم قوله « الا رقما في ثوب » فأنه أعم من أن يكون معلقا أو مفروشا، وكأنه جعل انكار النبي (ص) على عائشة تعليق الستر المذكور مركبا من كونه مصورا ومن كونه ساترا للجدار . ويؤيده ماورد في بعض طرقه عند مسلم — وذكر تعليل الحديث المتقدم في ذلك وقال — فهذا يدل على انه كره ستر الجدار بالثوب المصور فلا يساويه الثوب الممتهن ولو كانت فيه صورة وكذلك الثوب الذي لا يستر به الجدار ، والقاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة وكان من أفضل أهل زمانه، وهو الذي روى حديث النمرقة فلولا أنه فهم الرخصة في مثل الحجلة ما استجاز استعمالها .

ثم رجح الحافظ ان الرخصة فيما يمتهن لا فيما كان منصوبا ونقل عن جماعة من علماء السلف القول بذلك ، منها ماروى عن عكرمة : كانوا يكرهون مانصب من التماثيل نصبا ولا يرون بأسا بما وطئته الاقدام ، وما روي من طريق عروة انه كان يتكئ على المرافق فيها تماثيل الطير والرجال اهـ

[المنار] القاسم بن محمد هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق (رض) أحد أئمة التابعين تربى في حجر عمته عائشة وتفقه بها وروى عن غيرها من الصحابة أيضا وممن أخذ عنه الزهري وربيعة شيخ الامام مالك وكثيرون . قال يحيى بن سعيد الانصاري : ماأدركنا بالمدينة أحدا نفضله على القاسم ، وعن أبي الزناد قال : مارأيت فقيها أعلم من القاسم ، وما رأيت أحدا أعلم بالسنة منه ، وقال سفيان بن عيينة : كان القاسم أعلم أهل زمانه ؛ وقال ابن سعيد : كان اماما فقيها ثقة رفيعا ورعا كثير الحديث ، وقال أيوب السختياني : مارأيت أحدا أفضل من القاسم . انتهى ملخصا من تذكرة الحفاظ .

(١٢) قال الخطابي في شرح حديث اللعب : ان اللعب بالبنات ليس كالتلهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد وانما أرخص لعائشة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ . قال الحافظ عقب نقله : وفي الجزم به نظر لكنه محتمل لان عائشة كانت في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة إما أكملتها أو جاوزتها أو قاربتها وأما في غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعا فيترجح رواية من قال في خيبر ويجمع بما قال الخطابي لان ذلك أولى من التعارض . اه

وأقول : ان هذا ليس بجمع اذ لو كانت لعب البنات محرمة لما أقر النبي (ص) عائشة وصواحبها على اللعب بها وان كن غير بالغات ولما تركها في بيته . والصواب أن هذه اللعب لا تدخل في عموم ما أنكره من الصور المعلقة بل هي أشبه بما أقره من الصور في الوسائد والمرافق في أن كلا منهما لا يشبه ما كان يعبد من الصور والتماثيل

(١٣) بعد كتابة ما تقدم كله راجعت ما كتبه الحافظ في شرح حديث كنيسة مارية في الحبشة المقارن في البخاري لحديث لعن أهل الكتاب لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد فاذا هو يقول في شرح الاول في باب هل تنبش قبور المشركين : وانما فعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان ان أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فاعبدوها . فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية الى ذلك، وفي الحديث دليل على تحريم التصوير وحمل بعضهم الوعيد على من كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاوثان وأما الآن فلا . وقد أطنب ابن دقيق العيد في رد ذلك كما سيأتي في كتاب اللباس اه

ثم قال في شرح الحديث الثاني في باب بناء المسجد على القبر : وقد تقدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية ان يصنع بالقبر ما صنع أولئك الذين لعنوا، وأما اذا أمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقا من يرى سد الذريعة وهو هنا متجه قوي اه

ويعني بما تقدم قوله في الكلام على ترجمة الباب السابق : ان الوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيما ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية وجرهم ذلك الى عبادتهم اه

(للفتوى بقية)

رحلة الحجاز

٦

صفة الوقوف بعرفات

بلغنا عرفات في وقت السحر فألفينا الخيام قد ضربت لنا وفرشت فنزلنا فيها ولما طلع النهار وجدنا أنفسنا بالقرب من مسجد الصخرات حيث كان موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ورأينا أكثر الحجاج في هذا الجانب من بسيط عرفات وسائر الجوانب والأجواز خالية وفي بعضها قليل من الحجاج ، ولبعض حجاج الاقطار مواضع خاصة يقفون فيها كل عام كما يرى القارئ في صورة الموقف من الفصل السابق . ويقف كثير من عرب الجزيرة في جبل الرحمة ويصعده كثير من حجاج الاقطار الاخرى كما علم مما تقدم . وكانت خيام الشريف في موضعها المعتاد من وسط ذلك البسيط وكان السبب في بعدها عن مسجد الصخرات وموقف الامام أن يسهل على أي فريق من الحجاج الوصول اليه للزيارة أو الشكوى في زمن قصير

واني بعد كتابة ماتقدم من وصف عرفات اطلعت على كتاب دليل الحج لمحمد باشا صادق المصري المهندس أحد ضباط أركان الحرب الذي طبع سنة ١٣١٣ فاذا فيه أن مساحة سطح البقعة المستوية من عرفات « كيلو متر مربع » أي نحو ألفي ذراع بذراع الآدمي — وهو من رؤس الاصابع الى المرفق — والذي يتراءى للنظر انه أوسع من ذلك وهذا المكان لايسع مئات الالوف من الحجاج ولكن كثيرا منهم يقفون في جبل الرحمة وفي غيره مما الى ذلك البسيط من الجبال، وجبل الرحمة يرى في المساء مكتظا بالحجاج من سفحه الى قنته . وارتفاعه نحو من ستين ذراعا (٣٠ متر) وطوله قريب من ستمائة ذراع (٣٠٠ متر) كما قال محمد صادق باشا . قال : وأعلى هذا الجبل سطح مستو مبلط بالحجر مربع في نحو عشرين مترا وفي وسطه مصطبة طولها سبعة أمتار في (عرض) سبعة وارتفاعها متر ونصف ، وفي ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه أربعة أمتار في عرض مترين يرى من أسفل الجبل

كمنار للطريق اهـ وأقول ان هذا منار لا كالمنار ولا يشترط في مسمى المنار لغة أن يوضع في أعلاه أو أثنائه نور وانما هو العلم الذي يهتدى به ، وهذا المنار يراه حجاج الآفاق من الجهات المختلفة

قد فاتنا لقلة الحجاج رؤية منظر من أعظم المناظر المؤثرة في النفس، المحركة لشعور الخشوع والعبودية في القلب، وهو رؤية تلك البقعة الشريفة غاصة بالشعوب الوافدة من جميع أقطار الارض، ملبين داعين، باكين خاشعين، يجأرون الى الله عز وجل على اختلاف لهجاتهم ، الناشئة عن اختلاف لغاتهم، يرددون الاذكار المأثورة بالعربية ، ويدعون الله ماشاؤا بلغاتهم المختلفة.

قال صديقنا محمد لبيب بك في رحلته بعد وصف عرفات والكلام على الوقوف : عند وصول الحجاج الى هذا الوادي ينزل ركب المحملين (أي المصري والشامي) بخيامهم قريبا من جبل الرحمة، يليهما مضارب الحجاج على اختلاف أجناسهم، وعلى سفح عرفة من عاليه الى جبل الرحمة ترى حجيج الاعراب محتشدين الى جوف الجبل بعضهم فوق بعض كالبنيان المرصوص . أما باقي الحجيج فانه ينصب الخيام في بطن الوادي الذي يزدحم اليه الناس حتى لاتكاد ترى فيه مكانا خاليا من واقف وقاعد وجمالهم وحميرهم مربوطة بجوارهم، وترى الكل في صعيد واحد حتى يتعذر على الانسان السير الى أي جهة أراد ولو لضرورة في نفسه ، ولو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادي عرفة الى أحذية أفقية [أي أمكنة متحاذية كالصفوف] يقسمها شارع رأسي ويخصص كل حذاء لسكنى جماعة من الحجيج وجمالهم من ورائهم . وتوضع لذلك علامات من البناء لا يتجاوزها الحجاج في وضع مضاربهم ، ولا الجمالة في ربط جمالهم ، ويعين لهذا النظام من يحفظه مع الدقة ، — لكان له شكر الله و الملائكة والناس أجمعين . وفي سعة الوادي مايضمن لدولته إقامة الكل على الراحة التامة ؛ لان هذا التزاحم انما سببه التقرب من مجرى الماء ومن السوق الذي تراه بجوار مسجد الصخرات (ويباع فيه بعض الاغذية الضرورية) وربما كان لتزاحمهم سبب آخر وهو خوفهم من الاعراب الذين يكون لهم من ذلك الرحاب عون على النهب والسلب ، و بسبب هذا التزاحم يضل الناس عن أمكنتهم

اذا تركوها لامر مّا ، ولذلك تراهم ينادون بعضهم [أي أنفسهم] إما بأسمائهم أو بألفاظ اصطلح عليها أهل كل جهة حتى اذا سمعها واحد منهم أجابه بصوت عال وقصد مصدر الصوت . وهذه الحركة لاتكاد تنقطع مدة الاقامة بعرفة . اه وأقول انا لم نشاهد شيئا من ذلك لقلة الحجاج ، وهذا يؤيد ماقلنا من قبل ان التعارف بين الشعوب في عرفة لا يتيسر

وذكر ابن جبير الاندلسي في رحلته ان الجمع الذي كان في عرفات في سنة حجه — وهي سنة ٥٧٩ — لاشبيه له الا الحشر، وان المحققين من الاشياخ المجاورين زعموا « أنهم لم يعاينوا قط في عرفات جمعا أحفل منه ، وانه مارؤي من عهد الرشيد الذي هو آخر من حج من الخلفاء جمع في الاسلام مثله . ثم قال : « فلما جمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين ، والى الله عزوجل في الرحمة متضرعين، والتكبير قد علا، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع، فما رُئِيَ يوم أكثر مدامع ، ولا قلوبا خواشع ، ولا أعناقا لهيبة الله خوانع خواضع، من ذلك اليوم . فما زال الناس على تلك الحالة والشمس تلفح وجوههم الى أن سقط قرصها وتمكن وقت المغرب وقد وصل أمير الحاج مع جملة من جنده الدارعين ووقفوا بمقربة من الصخرات عند المسجد الصغير المذكور وأخذ السرو اليمنيون مواقفهم بمنازلهم المعلومة لهم في جبال عرفات المتوارثة عن جدّ فجدّ من عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا تتعدى قبيلة على منزل أخرى، وكان المجتمع منهم في هذا العام عددا لم يجتمع قط مثله، وكذلك وصل الامير العراقي في جمع لم يصل قط مثله، ووصل معه من أمراء الاعاجم الخراسانيين، ومن النساء العقائل المعروفات بالخواتين (واحدتهن خاتون) ومن السيدات بنات الامراء كثير ومن سائر العجم عدد لا يحصى، فوقف الجميع وقد جعلوا قدوتهم في النفر الامام المالكي لان مذهب مالك رضي الله عنه يقتضي أن لا ينفر حتى يتمكن سقوط القرصة ويحين وقت المغرب، ومن السرو اليمنيين من نفر قبل ذلك . فلما أن حان الوقت أشار الامام المالكي بيديه ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعا ارتجت له الارض ورجفت الجبال، فياله موقفا ما أهول مرآه، وأرجى في النفوس عقباه ، جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه، ونعمده بنعماه، انه منعم كريم حنان منان » اه المراد منه

وقوفنا بعرفة وتأويل رؤيا صادقة

زرت في أثناء النهار الامير الشريف مع بعض الاخوان فجئت سرادقه راكبا فرسا لبعده عن موقفنا . ورأيت سوق عرفة وهي بقرب مجرى عين زبيدة كما يعلم من الصورة التي نشرناها . ولما رأيت مجرى عين زبيدة هنالك ووجدتها تنحدر بقوة في مجاريها الواسعة المبنية تذكرت رؤيا كنت رأيتها بمصر قبل ثورة الحجاز وكتبتها وذكرتها لكثير من الناس: رأيت في جمادى الأولى سنة ١٣٣٤ انني في مكة المكرمة ومعي رفيق لي فدخلنا المسجد الحرام ثم أردنا أن نخرج لحاجة لنا فسمعنا أذان العصر فقلت لرفيقي لا ينبغي لنا أن نخرج وقد أدركتنا الصلاة الا بعد أدائها في المسجد ، وبينا أنا جالس في المصلى بالقرب من الكعبة المعظمة رأيت الشريف حسينا أمير مكة جالسا أمامي من جهة يميني قريبا مني واعتقدت انه جاء ليصلي بالناس إماما ، فالتفت الي من جهة يساره وقال لي أبطأت علينا إننا منذ زمن ننتظر قدومك الينا . وبعد أن خرجنا — ولم أره صلى ولا اننا صلينا معه — رأيت معي بعض رجاله واننا ذاهبون بأمره الى أحد دوره — أي غير دار الامارة — لأكون فيها ضيفا عليه ، وبينا نحن نسير غربا جنوبيا رأيت في شارع واسع ممتد من الجنوب الى الشمال ماء غزيرا صافيا مندفعا بقوة في مجرى واسع مبني بالحجارة وله فرع الى الغرب وفرع الى الشرق ، فوقفت متعجبا من قوة جريان ذلك الماء وقلت في نفسي : اهذا ماء عين زبيدة ؟ ما سمعنا أحدا من الحجاج ذكره بهذا الوصف ، وهذه القوة في الجريان لا تكون الا بقوة دافعة كالكهربائية أو البخارية . ورأيت في الطريق داراً جديدة ممتازة بين دور مكة ببياضها من الخارج علمت انها خاصة بنساء الشريف . وخطر في بالي ان دار الضيافة التي خصصت لي سأكون فيها مع الشريف عبد الله أحد أنجال الامير

هذا ما رأيته في نومي قبل ثورة الحجاز بمدة أشهر ولما حدثت الثورة وأعلن الاستقلال خطر في بالي أنه ربما كان تأويل رؤياي إصلاح جديد تحيا به مكة ويمتد الى سائر الجهات كامتداد ذلك الماء الذي رأيته فان الله تعالى يقول (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ولما جئت مكة حاجا ظهر لي من تأويل الرؤيا أنه كان معي رفيق ، وأني كنت ضيفا للامير ، وانه رحب بي أحسن ترحيب وكان ينتظر مجيئي ،

وان دار الضيافة كانت في الجهة الغربية من الحرم الشريف ، وان الشريف عبدالله زارني في هذه الدار ، وانني رأيت دارا بيضاء قيل لي انها دار حرم الامير الخاص ، وان الناس تحدثوا بأنه سيبايع بالخلافة - والامامة الخاصة ، قد تؤول بالامامة العامة ، وكل منهما كان متوقعا ولم يقع وأما صدق الرؤيا في مسألة الماء فلم أشاهده في اليقظة على نحو مارأيته في النوم الا في عرفات ، فالمجرى المبني وطوله و امتداده يشبه الذي رأيت الا ان سرعة اندفاع الماء وقوته كانتا دون مارأيت في النوم ، والفرق يسير . فهذه الرؤيا من أوضح الرؤى وأجلاها تأويلا ، وهي حجة على الذين ينكرون الرؤى الصادقة

الحالة الروحية في الوقوف والنفر

ان الحالة الروحية لا تبلغ الكمال في عرفات ظاهرا و باطنا الا في أصيل ذلك اليوم العظيم ، ففي أول النهار يعرض لاكثر الناس شواغل تشغل حواسهم وجوارحهم وأفكارهم . منها ضروريات الاكل والشرب ، ومنها رؤية المناظر الجديدة من تلك البقعة الجامعة للشعوب الكثيرة مما يحيط بها من الجبال . فهذه المناظر تشغل كثيرا من الناس بصورتها وتشكلها في أول العهد برؤيتها ، عن معناها وحكمة كون السير اليها والوقوف فيها عبادة لله تعالى . وفي أثناء النهار يأكل الناس طعامهم ويستريح أكثرهم في خيامهم ومضاربهم أو في ظلال الجبال ولا سيما اذا كان الحر شديدا ، فاذا جاء وقت العصر جمعوا أمتعتهم وشدوا رحالهم وفرغوا قلوبهم للذكر والدعاء وذهبوا عند موقف الخطيب من جبل الرحمة ، حرصا على سماع الخطبة ، أو للاشتراك مع الالوف من اخوانهم في التكبير والتلبية ، وقد بينت في المناسك ان الشرع لم يجعل لعرفة ذكرا ولا دعاء خاصا بل ترك ذلك للافراد ، ولم يرد ان النبي (ص) كان يلبي بعرفة في الخطبة ولا في غير الخطبة ولكن صح انه كان يلبي بين المشاعر ذهابا وإيابا وهي منى ومزدلفة وعرفة . ودعا على ناقته بعرفة رافعا يديه ولم يرد في الصحاح نص ذكره ولا دعائه واستحب العلماء ذكرا مأثورا في الضحى فيه يقول « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير » روي عن عدة من الصحابة مرفوعا وانه خير مايقال

قضينا جل نهار عرفة بذكر الله والدعاء وتيسر لي والحمد لله الاغتسال فيه .
وصلينا الظهر والعصر جميعا في مسجد الصخرات ، ورأينا هنالك خطيب عرفة وهو نائب الشرع بمكة وقد صعد بناقته فاستوى على تلك الصخرة من جبل الرحمة ذات التاريخ الاسلامي العظيم وقد أحاط به الناس وازدحموا من حوله يسمعون منه أحكام المناسك، ومن دونه ومن فوقه في الجبل ألوف من الناس يشاهد بعضهم بعضا ويراهم من في السفح ومن في بسيط عرفات كلها لأن الجبل مدرّج يشبه ما يتخذ في بعض المدارس الكبرى من المقاعد ذات الدرج المقوّسة التي تسميها الفرنجة (تفياترو) وكلما لبى وكبر الخطيب لبى من حوله وكبروا وأشاروا بأطراف أرديتهم البيضاء أو مناديلهم ويتبعهم في التلبية والاشارة كل من هنالك من قمة الجبل الى سفحه، فيلبي سائر الناس ويكبرون، فيتموج بأصواتهم الهواء ، وترتج الجواء ، حتى تصل الى عنان السماء، بل تخترقها حاملة ذلك الذكر والثناء، والضرعة والدعاء، الى من استوى الى عرشه المجيد، وهو أقرب الى عبده من حبل الوريد . فياله من موقف ما أعظمه، وما أصدق من شبهه بيوم القيامة ، وقد يكون التشبيه على أكمله في ذلك المساء ، فانه وقت يكون فيه لكل مؤمن من الشغل بنفسه والتوجه الى ربه ما لا يعهد مثله في وقت من أوقات حياته، يشعر — والناس محيطون به من كل جانب — بأنه في خلوة لا يشغله فيها عن ربه شاغل، ولا يشوب خشوعه له وبكاءه من خشيته وسروره بمناجاته رياء ولا سمعة، بل لا يكاد يخطر بباله أن أحدا هنالك يرى أ[حدا] . فما أعجب شأن هذا الاجتماع العظيم الذي يجمع كل من شهده بإيمان وعرفان ، بين مزايا عبادة الخلوة وعبادة شعائر الاجتماع ، بل أقول ان له مزية على سائر الشعائر لا يعرفها لا من ذاقها

وقبيل الغروب أقبل الشريف أمير مكة بموكبه الحافل حتى صعد أدنى جبل الرحمة فكان قريبا من موقف الخطيب وتلاه ركب المحمل المصري . وحينئذ أطلقت المدافع ، وعزفت المعازف، (الموسيقى) واستعد الناس للدفع من عرفة، لاجل مبيت تلك الليلة بمزدلفة ، وبدأ الدفع بعد الغروب . فركبت السيدتان هودجهما ، وسار الرفيقان الكريمان والخدم معهما، وتفضل السيد الزواوي بارسال نجله السيد عبد الرحمن معهم وعهد اليه أن يذهب بهم الى منى ليلا بعد أداء أدنى ما يجب من المقام بمزدلفة

ويعبر عنه بالمبيت ، ورافقني هو فدفعنا معا على دابتين فقطعنا ذلك الطريق، في ذلك الوقت المعتدل اللطيف. ونحن نجأر الى الله تعالى بالتلبية والتكبير ، ولقد وصفنا تأثير التلبية في الطريق بين جدة ومكة ، وأين تأثير طريق مكة من تأثير عرفة ؟ وما أبعد الفرق بين حال المبتدئ بهذه العبادة — عبادة المناسك — الذي لم يذق منها الا طعم الاحرام والتلبية، وبين من شاهد بيت الله عزوجل وطاف به كثيرا وسعى بين الصفا والمروة متذكرا تلك الآيات البينات، ثم أقام ركن الحج الاكبر وهو الوقوف بعرفة فامتلأ قلبه إيمانا وعرفانا، وانثنى بين الالوف من الموحدين يكبر الله على هدايته تكبيرا ، ويكرر التلبية له تكريرا ؟

﴿ المبيت بمزدلفة وقصر الصلاة وجمعها ﴾

الالمام بمزدلفة ليلة النحر وذكر الله عند المشعر الحرام (أي فيها) واجب وجعله بعض علماء الاثر ركنا ، وقد ثبت في السنة التعجل بالضعفة كالنساء والصبيان بالافاضة من مزدلفة الى منى بعد غياب القمر . وأدنى الواجب الوقوف فيها ليلا لذكر الله تعالى وأما المبيت الى الصباح فهو سنة كما بينا في المناسك

نزلت مع السيد الزواوي بفناء مسجد المزدلفة فصليت هنالك المغرب والعشاء قصرا وجمعا . والسيد لا يقصر في عرفة ومزدلفة ولا يجمع لانه مكي شافعي ، والشافعية لا يجيزون القصر والجمع الا في السفر الطويل ، والحنفية يوجبون الجمع في المزدلفة لاجل النسك، والتحقيق عند أهل الحديث ان القصر عزيمة والجمع رخصة في كل سفر طويل أوقصير، وان الجمع في المشاعر أفضل للاتباع، وناهيك باتباعه صلى الله عليه وآله وسلم في أعمال حجة الوداع ، التي علم فيها الالوف المناسك وغير المناسك ، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب.

قال الحافظ ابن المنذر : أجمع أهل العلم على ان الامام يجمع بين الظهر والعصر بعرفة وكذلك من صلى مع الامام ، وذكر أصحاب الشافعي انه لا يجوز الجمع الا لمن بينه وبين وطنه ستة عشر فرسخا إلحاقا له بالقصر (قال) وليس بصحيح فان النبي (ص) جمع فجمع معه من حضره من المكيين وغيرهم ، ولم يأمرهم بترك الجمع

كما أمرهم بترك القصر فقال « اتموا فانا سفر » (١) ولو حرم الجمع لبينه لهم اذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة . قال ولم يبلغنا عن أحد من المتقدمين خلاف في الجمع بعرفة والمزدلفة بل وافق عليه من لا يرى الجمع في غيره اه

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في مناسك الحج بعد ان ذكر صلاة النبي (ص) الظهر والعصر جمع تقديم ببطن عرنة في حدود عرفة وخطبته هناك مانصه : ويصلي بعرفة والمزدلفة ومنى قصرا ، و يقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجمعون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خلف النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) ولم يأمر النبي (ص) ولا خلفاؤه أحدا من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى « أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ. ولكن المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في غزوة الفتح لما صلى بهم بمكة . وأما في حجه فانه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة وهناك كان يصلي بأصحابه، ثم لما خرج الى منى وعرفة خرج معه أهل مكة وغيرهم، ولما رجع من عرفة رجعوا معه؛ ولما صلى بمنى أيام منى صلوا معه ولم يقل لهم أتموا صلاتكم فانا قوم سفر (١) ولم يحد النبي صلى الله عليه وسلم السفر لا بمسافة ولا بزمان، ولم يكن بمنى أحد ساكنا في زمنه ولهذا قال « منى مناخ من سبق » ولكن قيل انها سكنت في خلافة عثمان وانه بسبب ذلك أتم عثمان الصلاة لانه كان يرى ان المسافر من يحمل الزاد والمزاد اه

وذكر المحقق ابن القيم في الهدي النبوي مثل ما تقدم عن المناسك مختصرا وزاد انه ليس على المسافر جمعة لان النبي (ص) لم يصلها يوم عرفة ولا في سفر آخر. وأقول ان عدم أمر النبي (ص) لاهل مكة بالاتمام في منى وما بعدها ينطبق على حديث أنس « كان رسول الله (ص) اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود وصرحوا ان الشاك في الاميال والفراسخ شعبة لا أنس . وقال الحافظ في الفتح ان هذا أصح حديث وأصرحه في المسألة

مكث السيد الزواوي معي قليلا في المزدلفة ثم ذهب الى منى وأوصى الخادم

---

(١) السفر بفتح السين وسكون الفاء جماعة المسافرين كالشرب جماعة الشاربين

باحضار دابتي في الصباح فنمت ساعات واستيقظت في وقت السحر. وقد سخر الله تعالى لي رفاقا من خير الناس بت بجوارهم وقد عرف الزواوي منهم رجلا مكيا اسمه الشيخ علي مؤمنة ، فلما استيقظت وجدتهم أيقاظا فطلبت منهم ماء فتوضأت وصليت الوتر احدى عشرة ركعة فلما أتممت صلاتي وجدتهم قد أحضروا الشاي وخصني كبيرهم بإبريق نظيف من نوع جيد منه وقدم لي معه صحنا فيه لوز مقشور وصحنا فيه هشة من الكعك المعروف بالقراقيش فأصبت من ذلك كله شاكرا لهم . وطفق كبيرهم يسألني أسئلة في السنة والاتباع والابتداع واختلاف العلماء والصوفية ويتلقى أجوبتي عنها بالقبول مسرورا بما جليتها به من الشرح والتفصيل . وهذا الرجل بخاري الاصل يعرف العربية وكنت توهمت انه داغستاني وقد ساح في كثير من البلاد ، وقد فهمت انه جاور في مكة المكرمة وأنه يخرج كل سنة منها الى عرفة ببعض أصحابه في الموسم مشاة ويعودون مشاة. وقد اختلف العلماء في أي الامرين أفضل في المناسك المشي أم الركوب فقيل المشي لانه أقرب الى التواضع وأعون على الدعاء ، وقيل بل الركوب تأسيا بالنبي (ص) فانه لم يفعل الا الافضل والا كل ، ويمكن أن يقال ان الافضل لاهل الآفاق وللضعفاء من أهل مكة الركوب وأن الاقوياء من المقيمين بمكة قد يكون المشي أفضل لهم من عدة وجوه منها مشاركة أهل الآفاق ببعض مشقة السفر وان ذلك لاينافي الاتباع

وقد سألت السيد الزواوي عن هذا الشيخ وعن رفيقه الخاص الشيخ علي مؤمنه وكلفته بعد عودتي أن يسأل عنهما فكتب الي إن الثاني نشأ من صغره محبا للعزلة والبعد عن كبراء الدنيا وهو على الدوام يخدم العلماء وأهل الطريق من الغرباء ومنهم الشيخ حسام الدين البخاري صاحبكم في المزدلفة : ويقول تلميذه الشيخ علي مؤمنة انه أقام في مصر مدة طويلة وخرج منها في العام الماضي مأمورا عليه (كذا) بالوصول الى مكة والاقامة بها هذا العام وهو الآن موجود في أحد اربطة البخارية بحارة جياد لا يخالط أحدا ، لايعرف ولا يعرف، مواظبا على الجمعة والجماعة كتلميذه الشيخ علي

ولما طلع الفجر صلينا مع الجماعة ثم ذهبنا حول المسجد نجمع الحصا لرمي الجمار فلما جمعناها ركبت دابتي وسرت وسار أصحابي مشاة قاصدين منى

﴿ الافاضة الى منى ورمي جمرة العقبة ﴾

أفضنا من مزدلفة ملبين مكبرين قبل طلوع الشمس عملا بالسنة، ومخالفة لما كان عليه عمل الجاهلية من تأخير الافاضة منها الى طلوعها . ومن السنة المبنية على سبب تاريخي هنالك الاسراع المعتدل في السير في بطن محسر لا فرق في ذلك من الماشي والراكب. وتقدم ان بطن محسر بتشديد الباء المكسورة هو الوادي الفاصل بين منى ومزدلفة . قال بعض العلماء ان حكمة الايضاع فيه ان أهل الجاهلية كانوا يقفون فيه ويذكرون مفاخر آبائهم ، ففي الاسراع فيه إظهار البراءة من ذلك . وقال بعضهم ان هذا المكان هو الذي أهلك الله تعالى فيه أصحاب الفيل الذين جاؤا من طريق اليمن لهدم بيته المحرم فاستحب الاسراع في الخروج منه لانه كان موضع سخط لله تعالى وعذابه لاولئك الظالمين المعتدين ، ويستحب مثل ذلك في كل مكان مثله كديار ثمود

ولما وصلنا الى منى قصدنا الجمرة الكبرى جمرة العقبة وكانت الشمس قد ارتفعت فرميناها بسبع حصيات نكبر مع كل حصاة. وفي مثل هذا الوقت رماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم راكبا ، وقد صح انه (ص) جعل البيت عن يمينه ومنى عن يساره ورمى . وانه كان يكبر مع كل حصاة ، وانه قال « اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا »

وبعد الرمي جئت الدار المعدة لنزولنا فيها فاذا هي من أعظم دور منى حسنا وسعة وهي لصديقنا الشيخ محمد نصيف ، فرأيت السيدتين في قسم النساء منها ؛ والرفيقين في قسم الرجال ، والجميع كما أحب ، وأعطيت لوكيل الخرج دراهم ووكلته بشراء النسك والذبح عني . وقد قصصت قليلا من شعر رأسي بيدي ، ولم يتيسر لي الاتيان بحلاق الى الدار لانني أريد الافاضة الى مكة لاجل طواف الركن . وفي حديث أنس عند مسلم انه (ص) أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق « خذ » وأشار الى جانبه الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس

ومتى شرع الحاج في رمي جمرة العقبة مكبرا تنقطع التلبية التي هي شعار الحج. ويستبدل بها التكبير الذي هو ذكر الله في العيد ، ومتى رماها وحلق شعر رأسه أو قصره حل له كل ما كان محرما في النسك الا ملامسة النساء فانها لا تحل الا بالتحلل الاخير بطواف الافاضة .

الحرب والصلح

عقدت الهدنة بين الروس وأعدائهم وألف الفريقان لجنة من مندوبي كل دولة منهما للبحث في شروط عقد الصلح، وفي عدد جريدة الاهرام الذي صدر في ١١ ربيع الاول ان وزير خارجية الالمان الذي رأس الجلسة الاولى جعل الغرض من الاجتماع اعادة الصلات الاقتصادية والادبية الى ما كانت عليه قبل الحرب. وان الوزير الروسي (كامنف) تلا برنامج حكومة الروس المعروف الذي تقترح جعله أساسا للصلح العام « وخلاصته ان يكون الصلح بلا ضم ولا غرامة. وان يعطى كل شعب تحكمه أمة أخرى الحرية والاستقلال اما بالاعتماد على رأيه بعد سحب القوة الغاصبة من بلاده. واما بالاعتماد على الرأي الذي أظهرته صحافة ذلك الشعب وجمعياته. و تعد حكومة روسية مواصلة القتال لتقسيم الشعوب الغنية لشعوب الصغيرة الفقيرة جريمة لا تغتفر »

ثم قالت الاهرام: « وقد جاءنا اليوم بيان أتم عن مطالب الروس (١) العدول عن كل ضم وفتح بالقوة (٢) اعادة استقلال البلاد التي اجتيحت (٣) منح كل عنصر الحق بان يختار الحكم الذي يريده (٤) تفادي عن ضرب الغرامة الحربية وتقرير التعويض على الافراد (٥) انشاء صندوق دولي من أموال الجميع لدفع التعويضات »

ثم ذكرت أمرا ثالثا أعلن في الجلسة وهو « رغبة الالمان بان يشترك جميع المتحاربين بمفاوضات الصلح حتى تقررت دعوة مندوبي فرنسا وانكلترة وايطالية والولايات المتحدة الى المفاوضات »

ومن الناس من يرتاب في اخلاص الدولة الالمانية في اظهار ارتياحها الى دخول جميع الحلفاء في مؤتمر الصلح ولا يرتابون في اخلاص لنمسة، ويرى هؤلاء ان ايعاز الاولى الى حكومة [البواشفيك] الروسية التي لم يعترف بها الحلفاء بأن تدعوهم الى الاشتراك معها في مفاوضات هذا الصلح في بلادها يراد به اضطرار الحلفاء الى الإباء والرفض ويؤيد ذلك ماقاله السنيور [أورلندو] رئيس وزارة ايطالية في خطابه بمجلس الشيوخ وهو: « انه قد حان الوقت لكشف الغطاء عن ألاعيب دولتي الوسط اللتين تبذلان كل وسيلة لشد عزائم شعوبهما ولتسويد صفحة خصومهما

بادعائهما انهما تريدان الصلح وان الحلفاء يرفضونه . فالحلفاء هم الذين يريدون الصلح وهم وحدهم يريدونه ولكنهم يريدونه على شكله الممكن ان يجعله صلحا عادلا شريفا دائما باتفاقات جلية صادقة . أما امبراطوريتا الوسط فانهما تتبعان خطة غريبة تطلبان بها من الحلفاء أن يعودوا الى مواصلتهما على يد حكومة لم يعترف بها الحلفاء لانها حكومة وقتية الى أن تجتمع الجمعية الدستورية ولان شطرا كبيراً من روسيا لم يعترف بها .

« هذا من حيث الشكل وأما من وجهة الجوهر في مقترح الصلح فان مندوب البولشفيك يظن أن باستطاعته أن يقول ان الشطرين الاولين من مقترحات الصلح مقبولان وهما أولا — اعادة الممالك التي فقدت استقلالها من جراء الحرب وثانيا — الجلاء عن الاراضي التي احتلت مع العدول عن الضم وانكم لترون ان في هذا القول ضلالا ففي الحقيقة ان الشطر الثالث المتعلق بالشعوب الخاضعة لامم ليست منها لم يقبله الالمان والنمسويون . (وضرب لذلك مثل أمانيهم القومية والالزاس واللورين)

« ثم رغب الخطيب في بيان ضرر العودة الى الحالة القديمة لانه ليس في هذا القول ضمانة اذا ما قبل الشرطان اللذان قال بهما البولشفيك أولا لان امبراطوريتي الوسط أعلنتا أنهما لاتنويان ازالة الاستقلال السياسي من البلاد التي احتلتاها فلفظة « الاستقلال السياسي » لاتنفي الاعتداء على الاستقلال الآخر كالاستقلال الاقتصادي مثلا . ولانها لاتتضمن أيضا عودة المملكة المستقلة الى جميع أراضيها كاملة . أضف الى ماتقدم ان لفظة « استقلال الشعوب » هي لفظة مبهمة لاتزيل الشكوك وما تضمره دولتا الوسط من المطامع فانهما تقولان أنهما لاتريدان ضما بالقوة ومعنى ذلك انهما تنويان ضما بغير القوة . فمتى اذن يمكن أن يوصف الضم بالقوة ؟ فالجواب على ذلك ان الامر معلق على وجود القوة وعلى شكل الخيار الذي يعرض على الشعوب الموجودة تحت نير الغازي أضف الى هـذا هل يعتبر الضم ضما عند مالا يمكن ذكر الضم بالقوة في المعاهدات الدولية . فالصيغة التي تعرضها دولتا الوسط صيغة مبهمة تحتمل الريب والشكوك وتدلنا على اننا لانزال بعيدين جدا عن المبدأ الاول الذي [illegible] كل ضم » اه المراد منه نقلا عن عدد ٤ يناير من الاهرام

وقد [illegible] البرقيات المنشورة بهذا التاريخ ان مفاوضات الصلح أوقفت لان

ألمانية تزعم أن شعوب الولايات أو الممالك الاربع التي انتزعتها من الروسية — وهي البولندية والكورلندية والتوانية والاستونية — قد جهرت برغبتها في الانضمام الى ألمانية فيجب أن تكون ألمانية ، وان الروس ينكرون عليها ذلك وان وزير خارجيتهم تروتسكي خطب في اللجنة المركزية لحزب العمال والجنديين فأنكر ذلك أشد الانكار لان اظهار الشعب الرغبة في مسألة الحكم لا يكون صحيحاً مع وجود الاحتلال الاجنبي والقوة العسكرية . وفي برقية لروتر من لندن وردت في ٢ يناير ان اللجنة أقرت الوزير الخطيب على خطابه ووضعت قرارا بفحواه قالت في آخره

« فنحن ندافع عما لبولندا ولتوانيا وكورلندا من الحق في بت مصيرها والحكم في مستقبلها بتمام الحرية ونقول لشعوب النمسا والمانيا وبلغاريا وتركيا اذ كروا ان التعجيل في عقد صلح ديمقراطي يتوقف عليكم فقد سالت دماؤكم وأصابكم الاعياء والجهد في حرب عديمة المثيل فلا تسمحوا لدعاة السلطة والفتح من النمسويين والالمان أن يحاربوا روسية الثورية لإخضاع بولندا ولتوانيا وكورلندا وأرمينية »

(المنار) قد سبق لنا فيما في الجزء الاول من هذا المجلد مثل ما قررته الروسية ورئيس الوزارة الايطالية اليوم في مسألة حرية الشعوب واختيارها لشكل الحكومة الذي ترضاه لنفسها . وبينا في الجزء الرابع — الذي قبل هذا — أهم مايشترط الحلفاء للصلح . وبعد كتابة ماتقدم واعداده للطبع جاءنا البرق بخطبة رئيس الوزارة البريطانية ثم بخطبة رئيس الولايات المتحدة وهما أصرح ما قاله الحلفاء في أسباب الحرب وشروط الصلح ويعد ناسخا لكل ما يخالفه «سيد القول ما يقول الرئيس» وسيعلم منهما حقيقة غرض الحكومة الالمانية وهل هي تريد الصلح حقيقة فيما تتخذه من الوسائل الصورية له كما قال، أم تريد به ايقاع الشقاق بين أعدائها كما قال رئيس الحكومة الايطالية، أو اقامة الحجة عليهم بأنهم هم طلاب الحرب والفتح كما يظن كثير من الناس . ولعل هذه الصراحة من الحلفاء تضطرها الى التصريح بشروط الصلح التي ترضاها فانها لم تصرح بشيء الا طلب حرية البحار . ونسأل الله تعالى ان ينصر الحق والعدل وحرية الشعوب المستضعفة على الباطل والظلم وقوة الاستبداد والاستعباد ويكشف عنها حجب الخداع والرياء . ان ربي سميع الدعاء .

(تنبيه) اضطررنا الى تأخير تتمة ترجمة الشيخ سليم البشري

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر ١٣٣٦ — ٢٢ الدلو (ش ٢) ١٢٩٦ هـ ش ١١ فبراير ١٩١٨

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه. وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها ﴾

تابع لما في الجزء الخامس

﴿ ملخص ما تقدم من الاحاديث والآثار وأقوال العلماء في شرحها وفقهها ﴾

أما الاحاديث فتلخص في سبع مسائل

(١) ان المصورين يعذبون يوم القيامة ويكلفون إحياء ما صنعوا تعجيزا ووصفهم بالظلم الشديد لقصدهم مضاهاة خلق الله

(٢) لعن المصور كما لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال فيهم انهم كانوا يصورون الصالحين منهم ويضعونها في معابدهم ووصفهم بأنهم شر الخلق

(٣) انكار نصب الستور التي فيها الصور والتماثيل وهتكها أي ازالتها

(٤) تعليل الانكار تارة بأننا لم نؤمر بكسوة الحجر والطين وتارة بكونها في المصلى تعرض للمصلي في صلاته وتارة بعدم دخول الملائكة بيتا فيه صورة أو كلب

(٥) اتخاذ الثياب التي فيها الصور وسائد ومرافق واستعمال النبي (ص) لها مع بقاء الصورة فيها كما صرح به في رواية الامام أحمد

(٦) ان تغيير الصورة الحيوانية عما تصور به أشبه بالشجر كقطع رأسها يبيح اتخاذها . وفي معناه فتوى ابن عباس للمصور العراقي

(٧) نقض التصاليب وإزالتها

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين في المسألة (فمنها) استعمال زيد بن خالد الصحابي للستر الذي فيه الصور وهو أحد رواة حديث « ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه صورة الا رقما في ثوب » فهو لم يشترط ان يكون الثوب الذي فيه الصورة مهانا

(ومنها) اتخاذ أحد أعاظم أئمة التابعين القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) الحجلة التي فيها تصاوير القندس والعنقاء ، وهو ربيب عمته عائشة الصديقة واعلم الناس بحديثها وفقهها وقد روى عنها حديث النمرقة

(ومنها) استعمال يسار بن نمير مولى عمر بن الخطاب (رض) وخازنه الصور في داره . وقد روى عن عمر وغيره وهو من الثقات كما قال ابن سعد وابن حبان

(ومنها) صنع الصور في دار مروان بن الحكم أو سعيد ابن العاص وكل منهما ولي امارة المدينة وكانا من التابعين روى الشيخان عن الاول ومسلم عن الثاني وهو خير من الاول . وقد انتقد على البخاري روايته عن مروان وأجابوا عنه بأنه ثقة في الحديث وإنما ذنو به عملية سببها السياسة أعاذنا الله من شرها وشر أهلها . وعمل مروان لا قيمة له في الاحتجاج الا أنه يدل على أن التصوير كان مستعملا في عصر الصحابة ولكن أبا هريرة أنكر مارآه في داره وكان من أعلم الصحابة بأحداث بني أمية وأخبر ببعضها قبل وقوعها . وكذلك أنكر ابن عباس على المصور العراقي تصويره للحيوان وافتاه بتصوير النبات

وأما أقوال العلماء في شرحها وفقهها فنهم من شدد فيه ومن خفف ، واشهر المشددين من محققي الفقهاء في القرون الوسطى أبو بكر ابن العربي والنووي فقد جزما بتحريم التصوير مطلقا وان كان الاصل ان ماحل اتخاذه واستعماله حل صنعه

وقال الاول : ان ما له ظل كالتماثيل ذات الاجسام يحرم اتخاذه بالاجماع ، وبين الحافظ ابن حجر ان حكاية الاجماع غير صحيحة لتصريح الجمهور بحل لعب البنات لصحة الحديث بذلك ، ونقل عن القرطبي حكاية قولين فيما لا يتخذ للابقاء كتماثيل الفخار وجعل الحاق ما يصنع من الحلوى بالفخار وبلعب البنات محل تأمل . وأقول ان تماثيل الحلوى التي تصنع بمصر في أيام الموالد أقل بقاء مما يصنع من الفخار لانها لا تلبث أن تؤكل وهي تؤخذ للاطفال كلعب البنات فالقول بحلها أظهر من

القول بحل ما يتخذ من الفخار ، وأما ما لا ظل له من الصور فحكيا في اتخاذه أربعة أقوال : ١ الجواز مطلقا ٢ المنع مطلقا ٣ تحريم ما كانت الصورة فيه تامة وجواز ما قطع رأسها أو تفرقت أجزاؤها ٤ جواز ما يمتهن دون كان معظما كالمعلق . وقد رجحا الثالث ورجح الحافظ ابن حجر الرابع .

وقد علم من هذا التفصيل كلام المحققين بالاجمال . ومن التفصيل فيه قول الحافظ : مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان معلقا الا ان يكون على جدار ، ومذهب القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) ان ما لا ظل له لا بأس باتخاذه مطلقا فقد صح انه كان في بيته بمكة حجلة فيها تصاوير كما تقدم ، ومنه حمل أبي علي الفارسي الوعيد بعذاب المصورين على المشبهة الذين يعتقدون ان لله تعالى صورة كصور خلقه تعالى عن ذلك ، وجعل الحافظ ابن حبان حديث امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة خاصا بالنبي (ص) وجعل بعضهم إياه خاصا بملائكة الوحي ومقتضاهما انه انقطع ، وجعله الكثيرون خاصا بملائكة الرحمة، وخصصه بعضهم بالصفة كما تقدم في ص ٢٢٩ ومنتهى التخفيف قول بعضهم ان الوعيد على تحريم التصوير خاص بمن كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاوثان وأما الآن فلا . ورده ابن دقيق العيد كما قال الحافظ في الفتح

والتحقيق ان الاصل في الوعيد على التصوير قسمان أحدهما لا يتحقق الا بالقصد وهو مضاهاة خلق الله كما تقدم في الكلام على الحديث . وثانيهما لا يشترط فيه قصد علة الحظر وهو كما يؤخذ من حديث كنيسة الحبشة ومما صرح به المحققون من المتقدمين والمتأخرين في شرحه وشرح غيره هو سد ذريعة عبادة صور الانبياء والصالحين وغيرهم ومثله الوعيد على بناء المساجد على القبور لا فرق بينهما البتة . فيأتي فيه ما قاله الحافظ في شرح الحديث من (باب بناء المسجد على القبر) من صحيح البخاري وهو كما في آخر ص ٢٣٥ من جزء المنار الماضي : وقد تقدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية أن يصنع بالقبر ما صنع أولئك الذين لعنوا . وأما اذا أمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقا من يرى سد الذريعة وهو هنا متجه قوي اه

ويمكن أن يقال ان سد الذرائع يختلف باختلاف الازمنة و باختلاف أنواع الصور

ولما كانت التماثيل والصور المعظمة في الجاهلية تعظيم العبادة هي صور ذات الانفس اذن ابن عباس (رض) للمصور الذي استفتاه بتصوير الشجر وما لا نفس له . ولما صارت صور ذات الانفس لمجرد الزينة وزالت مظنة العبادة اتخذ بعض أئمة السلف بعض الصور في بيوتهم كما ترك الصحابة الصور في ايوان كسرى. ولا نقول ان ذريعة تعظيم الصور تعظيم ديانة وعبادة قد زال في هذا الزمن وان علة التحريم انتفت كما قال من جعل التحريم كالمنسوخ لجعله خاصا بالعصر الاول ، اذ لا شك في أن تصوير الانبياء والاولياء وكل من يغلو في تعظيمه العوام أو اتخاذ تماثيل لهم قد يفضي الى العبادة . كما رأينا نظير ذلك في تعظيم قبور الصالحين الذي جاء مصداقا لحديث الصحيحين «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع» الخ ولكن الناس شددوا في سد ذريعة عبادة الصالحين بتعظيم صورهم وتساهلوا في سد ذريعة عبادتهم بتعظيم قبورهم ببناء المساجد عليها والطواف بها والتماس جلب النفع ودفع الضر بالتمسح بها ودعاء من دفن فيها .

ومن تأمل الاحاديث وآثار السلف في مسألة تشييد القبور وتجصيصها وحظر اتخاذها مساجد ووضع السرج والستور عليها، ومسألة التصوير واتخاذ الصور بجعلها في البيوت والستور ونحوها — يتجلى له أن علة النهي عن الامرين واحدة، ألا انها في القبور أشد وأعم ؛ وقد جمع الامر بازالتهما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الهياج الاسدي قال قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) « أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته » وفي رواية : أن لا أدع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته » باسناد الافعال الى ضمير المتكلم أي بعثني على أن لا أدع الخ . وطمس التمثال محو صورته التي يشبه بها الحي، ويحصل بتشويهه أو قطع رأسه دون ازالة عينه لان ذلك كاف في اخراجه عن صفة المعظم عبادة. وأما تسوية القبر فازالة عينه لان المراد بها تسويته بالارض أي جعله مساويا لها . ولكن أجاز الفقهاء رفع القبور قدر شبر كما رفع الصحابة قبر النبي(ص) وصاحبيه (رض) . وقدر بعض من رأى القبر الشريف من السلف ارتفاعه بأربعة أصابع ، نقله الحافظ في الفتح والظاهر انه اعتمده — وقال الشافعي في الام : رأيت الائمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى . قال النووي عند نقله في شرح مسلم ويؤيد

الهدم قوله « ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » اهـ .

وأما الخلف من العوام والحكام فخالفوا جميع الاحاديث والآثار في المسألة الاولى ولكنهم ظلوا يشددون المسألة الثانية الى أن عمت البلوى بها في هذا العصر فصاروا يتساهلون في أمر اتخاذ التصاوير للزينة وللانس بصور الاقربين والمحبين وصار العلماء يسمحون للمصورين بتصويرهم حتى أكابر شيوخ الازهر وقضاة الشرع والمفتين، ولكنهم لا يزالون يشددون في صناعة التصوير نفسها على كثرة منافعها وشدة الحاجة اليها في غير ما تساهل الجمهور في اتخاذه من أعمالها

سألني بعض العلماء البصراء في طرابلس الشام مرة عن التصوير اذ قلت انه يعد الآن من أركان العمران والحضارة هل له فائدة يعتد بها شرعاً فان ما فتن به الناس من زينة التصاوير ليس بالامر النافع الذي يرخص في هذه الصناعة لاجله ولو في غير ما يخشى عبادته أو تعظيمه تعظيماً دينياً ؟ فقلت له على البداهة ولم يكن قد سبق لي تفكر في حصر فوائد التصوير : إن له أنواعاً من الفوائد في حفظ اللغة وإيضاح كثير من العلوم والفنون وفي الاعمال العسكرية والادارية والسياسية وذكرت له من الامثلة على ذلك ما يأتي

(١) اننا نرى في كتب اللغة أسماء كثير من الاشياء كالنبات والحيوان وغيرهما غير مفسرة بما يعرف به المسمى من لم يكن يعرفه باسمه ذلك بل يقولون حيوان معروف أو طائر معروف وصاحب القاموس المحيط يكتفي بحرف م المختزل من كلمة معروف وهذا تقصير كبير في حفظ اللغة، ولو وضعت صورة الشيء عند اسمه كما كان يفعل قدماء المصريين وكما تفعل أمم الحضارة الآن لكان ذلك أحسن حفظ للغة ولا يغني عنه الوصف بالكلام لان بعض الاجناس تتشابه فلا يسهل التمييز بينها بقول بل يتعسر أو يتعذر وصف أي جنس من أجناس المخلوقات وصفاً يمكن أن يعرفه به كل من سمعه

(٢) يترتب على الجهل بأجناس بعض الحيوان جهل ما يتعلق بها من الاحكام الشرعية كأحكام ما يحل أكله منها وما لا يحل وأحكام جزاء الصيد على المحرم وغير ذلك

(٣) ان للتصوير فوائد عظيمة في علوم التاريخ الطبيعي والطب والتشريح الانساني والحيواني وفروع هذه العلوم قد صارت كثيرة في هذا العصر، ويتوقف إيضاح الحقائق فيها تأليفاً وتعليماً على الصور التي تظهر بها جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة

صحيحة ومريضة فاتقان هذه العلوم يتوقف عليها

(٤) للتصوير فوائد عظيمة في الاعمال الحربية، فلا يمكن لمن يتركه أو يقصر فيه أن يقاتل أعداءه بمثل ما يقاتلونه به ولا ان يعد لهم ما استطاع من قوة — فمنها تصوير المواقع والطرق والبلاد والجيوش وما لديها من السلاح والذخيرة ، ومنها تصوير من يشتبه في أمرهم ان يكونوا عيونا وجواسيس وتقتضي الحكمة ان يجعلوا تحت المراقبة . ومنها تصوير من يحتاج الى تحقيق شخصيتهم لئلا يشتبهوا بغيرهم ...

(٥) للتصوير فوائد عند حكومات هذا العصر في الاعمال السياسية والادارية كأعمال الجواسيس وحفظ الامن وغير ذلك وتفصيل ذلك يطول .

لا يقال ان المسلمين يمكن ان يستغنوا عن صناعة التصوير في التعليم والتأليف والاعمال الحربية وغيرها كما استغنى سلفهم فان هذا بمثابة القول باستغنائهم عن سلاح هذا العصر ومراكبه البحرية والهوائية كما استغنى عنها سلفهم ، وانما كان يصح هذا التشبيه لو كان ماذكر من المستحدثات موجودا في عصر السلف يستعمله خصومهم وهم يتركونه ولا يضرهم تركه . وهذا باطل لا يقول به أحد .

ولا يترتب على نوع ما من أنواع هذه التصاوير تذرع الى عبادة غير مشروعة ولا الى تعظيم ديني ولا يقصد بشيء منها مضاهاة خلق الله — فإما ان يؤخذ فيها بقول من يجعل الوعيد على التصوير خاصا بما ذكر من أول الامر كتصوير الصالحين ومن يخشى ان يفتتن الناس بصورهم وتماثيلهم وبما يقصد به مفسدة أخرى كالتحريض على المعاصي وهتك العورات ، واما أن يخص عمومها بأحكام الضرورة في بعضها وأحكام الحاجة التي تعد من المصلحة الراجحة في بعض آخر ، فان القاعدة في المحرم لذاته ان يباح للضرورة كأكل الميتة ولحم الخنزير، وفي المحرم لسد الذريعة ان يباح للمصلحة الراجحة كرؤية الطبيب للعورات وأبدن النساء الاجنبيات عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين .

فمن عرض مسألة التصوير واتخاذ الصور على هذه القواعد الشرعية علم منها أن دين الفطرة، الذي قرن كتابه ووصف بالحكمة، ورفع منه الحرج والعسر عن الامة ، لم يكن ليحرم صناعة نافعة في كثير من العلوم والاعمال ، ويحتاج اليها في حفظ الأمن

وفنون القتال ، وانما يحرم مافيه مفسدة أو ماكان ذريعة الى مفسدة ، ولا يبعد ان يقال ان أعمال المصورين في هذا العصر تعتريها الاحكام الخمسة — فاذا سألنا رؤساء الحكام وكبار القواد وأركان الحرب والاطباء وغيرهم من علماء الفنون التي هي من فروض الكفايات عن صناعة التصوير الشمسي واليدوي فقالوا ان منها ما هو ضروري يترتب على تركه ضرر عظيم ، ومنها ما فيه مصلحة راجحة ، ومنفعة مجربة — فمقتضى الاصول والقواعد تكون واجبة في بعض تلك الضرورات والمصالح . ومستحبة أو مندوبة فيما دونها من المنافع ، ومباحة فيما لا ضرر فيه ولا نفع ، ومكروهة فيما كان مظنة الضر ، وقد يتناقر يبا ماتكون فيه محرمة وهو ماحمل عليه النص ، فهذا ما أعلمه وأفهمه من نصوص الشرع وقواعده في هذه المسألة وهو يؤيد مانقلته عن بعض علماء السلف والخلف في التساهل فيها قولا وعملا ، والله أعلم

رحلة الحجاز

٧

طواف الافاضة

بعد ذلك ركبت دابتي وقصدت مكة المكرمة فطفت طواف الافاضة وهو طواف الركن الذي لا يتم الحج بدونه ، وفي أثناء طوافنا شرع أهل مكة في صلاة العيد ورأيت الامير يصلي معهم مأموما . وكان الرجال يصلون في الجهة الغربية من الكعبة المعظمة والنساء في الجهة الجنوبية وهن كثيرات جدا ، ثم سعينا بين الصفا والمروة وهو من أركان الحج وقد سعيت في هذه المرة ماشيا . وقد اختلفت الروايات : هل طاف النبي (ص) وأصحابه بين الصفا والمروة في حجة الوداع مرة أو مرتين ؟ ففي حديث جابر عند مسلم أنهم طافوا بينهما مرة واحدة قبل عرفة ، وفي حديث عائشة انهم طافوا مرتين أي عند القدوم و بعد طواف الافاضة ، ورجح المحققون من علماء الحديث رواية جابر وقالوا ان ماذكر في حديث عائشة مدرج من كلام الزهري لا من كلامها ، فمذهب المحدثين ان السعي لا يتكرر ، ويقول كثير من الفقهاء إن لكل نسك سعيا لا يسقطه السعي بعد طواف القدوم ، وأن السعي للعمرة لا يغني عن

السعي بعد طواف الافاضة للحج . ولم يصل النبي (ص) العيد يوم النحر بمكة ولا بمنى كما انه لم يصل الجمعة بعرفة لانه مسافر ولم يكن يصليهما في السفر، وقال بعض العلماء ان رمي جمرة العقبة للحاج كصلاة العيد لغيره فصلاة العيد لاتطلب منه وان كان مكيا . ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لإقامة السنة على الوجه الاكمل في حجة أخرى أو حجات كثيرة

هذا واني بعد الطواف والسعي جئت منزلنا بمكة واستحضرت حلاقا فأخذ شعر رأسي كله بالآلة المعروفة بالمكنة أخذا أقرب الى الحلق منه الى التقصير ثم عدت الى منى وقد تحللت من الحج تحللا كاملا ، ولله الحمد أولا وآخرا، واياه نسأل أن يجعله حجا مقبولا وسعيا مشكورا . وقد بقي من أعمال الحج التي لا يشترط فيها الاحرام—

رمي بقية الجمار وذبائح النسك

الجمار بالكسر والجمرات بالتحريك جمع جمرة وهي في أصل اللغة واحدة الجمر من النار، والحصاة، والقبيلة التي تصبر لقراع القبائل، وكل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا ولا ينضمون الى أحد . قيل سميت جمرات المناسك بمنى بهذا الاسم لانها ترمى بالجمار أي الحصى وقيل لانها مجمع الحصى التي ترمى شبهت باجتماع القبيلة على من ناوأها . وقال أبو العباس أصلها من جمرته ودهرته اذا نحيته ، والتجمير رمي الجمار والمجمر (كالمعظم) موضع رمي الجمار . فأما جمرة العقبة فهي في عقبة منى التي ينحدر منها السائر الى مكة على جانب الطريق ، وأما الجمرة الوسطى والصغرى فهما في وسط الطريق الذي يشق منى نصفين وتعرف مواقعهما من صورة منى (خريطتها) وفي موضع كل من الوسطى والصغرى بناء يقرب من شكل المنارة أو المسلة قليل الارتفاع حوله حظيرة مستديرة، وكانت دارنا عند الجمرة الوسطى من جهة الشمال وهي أفسح دار هنالك .

وقد بينا كيفية رمي الجمار وحكمته في مناسك الحج كما بينا حكمة ذبائح النسك .وكنا نذبح كل يوم من أيام منى فنأخذ حاجتنا ليومنا ونتصدق بالباقي . وقد كانت الذبائح في السنين الخالية تزيد على حاجة أهل البلاد ومن حولهم من الاعراب لكثرتها وأما في هذا العام فهي لا تكاد تكفي فقراء الحرم

الحالة السياسية فى الحجاز

في أواخر سنة ١٣٣٤

أتممنا بفضل الله مناسكنا ، فنحمد الله تعالى ونسأله ان يتقبل منا ، واذ فرغنا من حديث المناسك. فيحسن ان نتم فوائد هذه الرحلة بما يمكن بيانه. لآن من أخبار الحجاز الاجتماعية والسياسية، التي تعد من أعظم الاحداث التاريخية، ثم ببعض الطرف الادبية، من المختارات الشعرية، ونبدأ بذكر انشاء الحكومة الجديدة في مكة المكرمة فنقول:

لما شعر بالاستعداد لتأليف هذه الحكومة أصحابنا اللاجئون اليها ، الذين يعدون من أصحاب الشأن أو العمل فيها ، اختلفت آراؤهم فيما ينتظر أن تكون عليه، وما ينبغي أن يكون مسلكهم في هذه الحال على كل تقدير يتصوره الذهن، وقد استحسنوا ان يجتمعوا ليلا ويكاشفوني بآرائهم ويتعرفوا رأيي «والمستشار مؤتمن» ففعلوا . ومما يعد من الغريب عند كثير من الناس ان ما كان يجول في أذهان أهل البلاد المختلفة بمكة في هذه المسألة هو عين ما كان يجول في أذهان أهل مصر من الآراء والظنون . ثم ماذا كان ؟

علمنا يوم الخميس سابع ذي الحجة انه قد تألفت فيها حكومة جديدة. على الوجه الذي نشر بعد الحج في العدد السابع عشر من جريدة القبلة بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ وهذا نصه:

(الحكومة العربية الجديدة)

« ما أزفت الساعة السادسة من نهار الخميس الماضي سابع ذي الحجة حتى اكتظت دار الحكومة بأكابر العرب وعليتهم انتظاراً لتشريف رجال الحكومة العربية الجديدة ولما كانت الساعة السابعة وصل صاحب السمو الامير عبد الله ومعه سائر الوكلاء فصدحت الموسيقى بالسلام الشريف وأخذت الجنود النظامية المرصوصة على جانبي الطريق السلام العسكري . ولما استقر بحضراتهم المكان في ندوة الحكومة قرئ المرسوم الشريف الصادر من جلالة سيدنا المليك المعظم الى حضرة العلامة المفضال الشيخ عبد الله سراج بتعيينه قاضياً للقضاة ووكيلا لرئاسة الوكلاء وتعيين زملائه حضرات الوكلاء العظام . وهذه صورة المرسوم الشريف :

﴿ المرسوم الشريف بتأليف هيئة الوكلاء ﴾

حضرة العالم الكامل الشيخ عبد الله سراج

انه لما كانت مصالح الرعايا وانتظام شؤون المجتمع وتوفر أسباب العمران لا بد لها من دواوين يتوزع عليها النظر في الحكومة وما هو في معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة، ويتعين بها أساس الوظائف الذي تبنى عليه المسؤلية وتكوين حكومة لبلادنا المحروسة . وبالنظر الى ما تحققناه فيكم من الكفاءة والاستقامة ، عزمنا بعد الاستعانة بالله عز وجل على توجيه منصب قاضي القضاة لعهدتكم وتعيينكم وكيلا عن رئيس الوكلاء العظام ، وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الذوات الآتية أسماؤهم، وهم ولدنا عبد الله بن الحسين لوكالة الخارجية ويكون وكيلا عن وكيل الداخلية، وعبد العزيز بن علي رئيس أركان حرب ووكيلا عن وكيل رياسة الجند مع ترفيع درجته عن رتبته الحاضرة، والشيخ علي مالكي وكيلا للمعارف والشيخ يوسف ابن سالم رئيس البلدية سابقاً وكيلا للمنافع العمومية ،والشيخ محمد أمين مدير الحرم الشريف سابقاً وكيلا للاوقاف مع بقائه في نظارة أمور الحرم وكلما يتعلق بوظيفته الشريفة، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن باناجه وكيلا للمالية . وذلك لما توسمناه من درايتهم واستعدادهم للسهر على مصالح البلاد وأهلها على ما يرضي الله ، واننا ننتظر منكم المبادرة الى تأسيس الدوائر والدواوين الرسمية وتعيين العمال والموظفين لها وأرجو الله سبحانه أن يجعلنا مظهر توفيقه وهداه ، في كل ما يحبه يرضاه

في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٤ هـ　　　شريف مكة وأميرها

حسين

ثم تلي مرسوم شريف آخر بتأليف مجلس الشيوخ الاعلى وهذا نصه :

﴿ المرسوم الشريف بتأسيس مجلس الشيوخ الأعلى ﴾

وكيل رئيس الوكلاء وقاضي القضاة مولانا وفقه الله

بما أننا قد استنسبنا تعيين هيئة أطلقنا عليها اسم (مجلس الشيوخ) وجعلنا وظيفة هذا المجلس النظر في كل ما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على أعمال الدوائر

والدوائر الرسمية وإبداء لرأي فيما تعرضه الدوائر على مقام وكيل رئيس الوكلاء وسيقرر فيما بعد صلاحية هذا المجلس العالي ، فقد جعلنا رئيساً له جناب الفاضل الاجل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد صالح الشيبي . وأعضاءه حضرات الافاضل الاجلاء مفتي الشافعية السيد عبد الله بن محمد صالح لزواوي ومفتي المالكية الشيخ عابد بن حسين والشيخ عبد القادر بن علي الشيبي ونائب الحرم السيد ابراهيم بن علي ووكيل شيخ السادة السيد محمد بن علوي السقاف والشيخ عبدالله علي رضا والشيخ علي بن عبدالله الشرباصي والشيخ أبو بكر بن محمد خوقير وذوي السيادة والشرف حمزة بن عبد الله الفعر وفتن بن محسن وسليمان بن أحمد بن سعيد وناصر ابن شكر ولتبليغهم ماذكر اقتضى تحريره ؟

في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤

اهـ مانقل عن جريدة القبلة شريف مكة وأميرها

حسين

ولما علم الناس بتأليف الحكومة الجديدة كان حديثها شغلهم الشاغل وكانوا ينتظرون أن يسمعوا يوم الجمعة ثامن الشهر شيئاً جديداً في تعيين شكلها، واستحسن بعض الاخوان الذين رأوا مارأوا من اكرام الامير مثواي أن أطلب التشرف بمقابلة خاصة أتوسل بها الى عرض ماعرفوا وحمدوا من رأيي في شكل هذه الحكومة ففعلت، نلت الحظوة في أول الليل على سطح في أحد جوانب قصر الامارة، وتوسلت بذكر ماتم من تأليف مجلس الوكلاء الى السؤال عن شكل الحكومة كيف يكون ؟ فتفضل الامير بتواضعه المعهود قائلا : هذا مانحب ان نأخذ رأيكم فيه . فذكرت رأيي مفصلا تفصيلا، ولكنني لم أسمع كلمة ولا رأيت اشارة تدل على استحسان ولا على انكار ، ثم استأذنت وانصرفت.

قلت ان جمهور الناس من المكيين والحجاج كانوا ينتظرون أن يسمعوا يوم الجمعة شيئاً جديداً فلم يسمعوا ، وكان من صلى الجمعة في المسجد الحرام من المصريين على مقربة من المنبر يلقون السمع الى الخطيب عند الدعاء، فسمعوه بآذانهم يدعو للسلطان محمد رشاد ، وخرج الناس من المسجد الحرام، ولم يقع ماكانوا يتوقعون من المبايعة بالخلافة بين الركن والمقام ، فزال بذلك مازال من الظنون والاوهام .

ثم عاد الناس الى الحديث في هذه المسألة في مساء يوم العيد بمنى وأشيع ان

المبايعة يحتمل أن تكون ضحوة غد في أثناء الاحتفال المعتاد في سرادق الامير ، ذلك بأن العادة قد مضت بأن تكون ضحوة اليوم الاول من أيام منى موعد تهنئة الامير الشريف بالعيد وإتمام المناسك فكان يحضر لديه والي الحجاز وقائد الجند فيه وأمير الحج الشامي والمصري وكبار الشرفاء والعلماء وكبراء رجال الحكومة ووجهاء مكة المكرمة والحجاج و يتلى الفرمان السلطاني الذي يعهد فيه الى الشريف بالنظر في شؤون إقامة الحج وحفظه في الحجاز ... ويخلع الوالي على الامير الخلعة السلطانية .

ولما أشيع ما أشيع جاءني أولئك الاصحاب ليلا للمذاكرة في الامر وبعد طول التشاور فيه اقترحوا عليّ أن أذهب الى مخيم الامارة لاستكشاف الحقيقة إذ قيل ان جمهور رجال الحكومة الجديدة وشرفاء مكة ووجهاءها يرون وجوب المبايعة بالخلافة وإن سيدنا الامير مخالف لهم في ذلك ويرى ترك ذلك الى جماعة المسلمين في سائر الاقطار، وقد بين هذا المعنى بعد ذلك في بعض المنشورات الهاشمية. ولما كان منزلنا بعيدا عن مخيم الامارة وكان الاخوان يعلمون ان الامير لا يسهر كثيرا جاؤني بجواد كريم فركبته وأسرعت الى السرادق الخاص فقيل لي إن سيدنا قد نام وسألت عن نجله الامير عبد الله فقيل انه قد نام أيضا، فعدت أدراجي الى اخواني فأخبرتهم بذلك وانصرفنا الى مضاجعنا .

بت ليلتي أفكر في هذه المسألة ولم يبق لي من أعمال النسك ما يشغل قلبي عنها، وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قيل لي في هذه الليلة عن رأي الامير دون من حوله، وقد أكبرته لذلك، وكان أعجبني من منشوريه الاولين جعل عداوته لفئة الاتحاديين المتغلبة لا الشعب التركي ولا الدولة العثمانية أيضا — وكذلك كانت الثورة في أول عهدها — وكنت أرى ان مبارزتها العداوة لهذه الفئة المتغلبة قد يقف بغي زعمائها على العرب عند حد ما اجترح جمال باشا من الموبقات التي هي شر لدولته وكذا لجمعيته لا خير لها كما توهم، وان نفع الحركة الحجازية محصور في هذه الفائدة المرجوة ، وفي إغاثة جيران بيت الله من المجاعة والملكة الحجيفة، وفي الاحتياط لما يجب اذا سقطت الدولة، وأرى انه يجب السعي لتحقيق ذلك بدون ارتكاب إثم يربي شره على خيره، وكنت أشرت الى رأيي هذا والى حسن ظني في الامير الشريف في مقال المحاورة الذي نشر في المنار قبل الحج وقبل العزم عليه

ذلك ما بت أفكر فيه، ولما أصبحنا أسرع الناس الى مكان الاحتفال مشرقين

وتأخرت الى الضحوة الكبرى فألفيت سرادق الامارة غاصا بالناس وكذا الفجوة التي أمامه ولولم يزني بعض من يعرفني هنالك لما تيسر لي اختراق ذلك الجم الكثيف، والنفوذ الى المجلس الهاشمي الشريف ، ولكن رآني من فرج لي فرجة بين الناس دخلت منها الى أن بلغت الحلقة الكبيرة وجلست على كرسي أخلي لي فيها، وكان الناس من مصريين ومكيين قد شرعوا في إلقاء الخطب والقصائد في التهاني والادعية، فرأيت أن ألقي خطبة في بيان الحقيقة التي عرفتها بالبحث والاختبار ، والآراء التي أنتجتها تلك الافكار، أشير فيها الى آراء الناس من الحجازيين والآفاقيين وكنت قد بلوت أخبارهم ، واكتنهت معرفتهم وانكارهم، وأذكر مالديّ من الرأي في المسألة الحجازية وما يشترط في ذلك بقدر ما يسعه المقام، فلما فرغ من كان يتكلم قبل مجيئي استأذنت فأذن لي فقمت وقلت ما ملخصه كما نشر في جريدة القبلة

وكل مايوضع فيمابين الاهلة هكذا ( ) فهو من قبل جريدة القبلة كما هو ظاهر الا الآيتين الكريمتين : في أولها فهما من أصل الخطبة

خطبتنا السياسية فى منى

أيها المسلمون الكرام ، من سكان حرم الله وحجاج بيته الحرام ، انكم تعلمون أن الاسلام دين سيادة وسلطة ، وأن شريعته أنزلت ليقيم أحكامها أهله ، لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم) على التأويل المشهور للآية وتعلمون أن الله تعالى قد جعل هذا الدين عربيا اذ أنزل القرآن الذي هو أصله وأساسه باللغة العربية على لسان النبي الامي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقد بين الله تعالى ذلك بقوله (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) فهذه الآية أخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عربيا، لانها مصرحة بأن حكم هذا الدين عربي ، مع العلم بأن كتابه المتعبد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومهبط وحيه ومشرق نوره، وكان أهلها هم السابقين الى تلقيه والاهتداء به، ثم تبعهم فيه غيرهم من عرب الحجاز فسائر هذه الجزيرة العربية . ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها ، فامتد في الجيل الاول منهم حتى عم نوره الشرق والغرب ، وأروا

الامم باقامة أحكامه من العدل والرحمة ما لم يعرفوا ولم يسمعوا له نظيرا كما اعترف بذلك المنصفون من الافرنج وغيرهم

ثم طرأ الضعف على السلطة الاسلامية بتفرق الوحدة العربية الكافلة لها، وتغلغل الاعاجم في الدول الاسلامية التي تعددت بسبب ضعف سلطة الخلافة . فبعد ان كانت الفتوحات الاسلامية في مد لاجزر معه، صارت دول الطوائف الاسلامية بين مد وجزر، وقوة وضعف، حتى وصلت الدولة العثمانية منها الى درجة عالية ، ومكانة سامية ، من القوة الحربية وسعة الفتح والتغلب ، فسر بها المسلمون ورضي بعض حكامهم المستقلين بسيادتها طوعا واختيارا، كما دخل بعضهم تحتها اضطرارا، وقد كان امراء مكة المعظام أهل بيت سيدنا هذا (وأشار الخطيب الى جلالة مولانا الامير) في مقدمة من أيد هذه الدولة واعترفوا بسلطتها وسيادتها، لاجل جمع كلمة المسلمين بها، واعلاء شأن الشريعة الاسلامية بنفوذها (هنا قال جلالة سيدنا للخطيب صدقت)

ثم ان هذه الدولة قد سرى اليها الضعف ودب اليها الوهن من زهاء ثلاثة قرون. وانني أذكر لكم بعض الشواهد على ذلك من تاريخها الرسمي منذ مئة سنة ونيف

ان محمد علي باشا الذي كان واليا للدولة على مصر قد زحف على سورية ففتحها، ثم على الاناضول فتوغل فيها، ولولا أن الدولة الانكليزية أكرهته على الرجوع الى مصر لاستولى على بلاد الدولة كلها . وكان ذلك على عهد السلطان محمود الذي كان يعد مصلحا في الدولة ومجددا لها بقضائه على عسكر الانكشارية المختل وادخاله نظام الجندية الاوربي في الدولة

تولى السلطان محمود السلطنة في سنة ١٢٢٣ وتوفي سنة ١٢٥٥ فخلفه السلطان عبد المجيد الذي صرح في خطابه عند اعلان « التنظيمات الخيرية » في كلخانة بأن الضعف والخلل قد طرأ علي الدولة منذ ١٥٠ سنة وأنه لا بد من تلافي خطر ذلك بالنظام الذي أعلنه بتدبير أساطين الدولة في عهده . ولكن ذلك النظام لم يعد لى الدولة قوتها، ولا أنقذها من الخطر الذي كان يخشى عليها. ودليل ذلك أن أركان الدولة قد خلعوا أخاه السلطان عبد العزيز الذي خلفه سنة ١٢٧٧ وقتلوه أو ألجأوه الى بخع نفسه بيده سنة ١٢٩٣ بحجة أن استبداده كان حائلا دون اصلاح الدولة وتجديد شبابها . وولوا بعده السلطان مرادا ولم يلبثوا أن خلعوه في تلك السنة وولوا

بعده السلطان عبد الحميد الذي كان عاهدهم على العمل بالقانون الاساسي الذي قلدوا فيه الدول الاوروبية ظنا منهم بأنهم لا يمتزون الا بما اعتزت به من الحكم النيابي

وأما سيرة السلطان عبدالحميد فهي معروفة عندكم لان العهد بها قريب ، وقد خلعته جمعية الاتحاد والترقي بقوة جند الدولة واعتقلته، وتولت الجمعية السيطرة على الدولة بعده ، فماذا كان من أمرها ؟ هل كانت خيرا من أولئك السلاطين المظالم الذين لم يقدروا أن يصلحوا ملكهم الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ؟ كلا ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أو شاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلانيك وشركاؤهم في النمسة وألمانية أقوى أنصارهم ولذلك نرى أكبر همهم جمع المال . فلا هم على دين هذه الدولة فيغاروا عليه ، بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها

واذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا في الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ أصيبت بالضعف الى أن أصيبت بهم

ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية ، ثم رأينا دولة البلغار — التي كانت ولاية من ولايات الدولة ولم يتم لها الاستقلال الا في عهدهم — قد كسرت جيوش الدولة وكادت مدافعها في شطلجه تمزق مسامع أهل الآستانة . وكان السبب الحسي لذلك قلة ما عند الجيش العثماني من المؤنة والذخيرة والدواب وسائر أسباب الحرب

وقد خسرت الدولة في عهدهم المشؤم من الممالك مالم تخسر مثله في عدة أجيال: خسرت البوسنه والهرسك ببيع الجمعية اياها للنمسة، وطرابلس الغرب وبرقة ببيعها اياها لإيطالية ، ومكدونية وألبانية وكريت وجزائر الارخبيل، ونسكت عما خسرته في هذه الحرب من الولايات — فقد أضاعوا نصف الدولة في بضع سنين، وحملوها فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعة قرون . ثم عمدوا الى الامة ، فأفقروها كما أفقروا الدولة . فهذا هو الاصلاح الذي خلعوا لاجل القيام به سلطان الدولة وخليفتها عبد الحميد وحجروا على خلفه من بعده

فيا أيها المسلمون الغيورون المبصرون ! اذا كان قد ثبت من تاريخ الدولة الرسمي بما ذكرته لكم من شواهده أنها كانت ضعيفة يخشى عليها الزوال قبل هذه الارزاء والمصائب التي منيت بها بشؤم هذه الجمعية ، فكيف يكون حالها الآن وقد اصطلت بنار هذه الحرب ، وتعرضت لعداوة أكبر دول الارض ؟

ان سواد المسلمين الاعظم يغارون على هذه الدولة و يتمنون لها دوام الاستقلال وكمال القوة للسبب الذي بيناه في فاتحة الكلام، ولكن يقل في المسلمين من يعرف حقيقة حالها وكنه الخطر الحائق بها . و يقل فيمن يعرف ذلك من يسعى لتدارك ما يترتب على هذا الخطر اذا وقع من فقد الاسلام لما بقي من أحكام شريعته ، وحرمان المسلمين من آخر ما كان لهم من الاستقلال السياسي على علاته

لم نر أحدا من زعماء المسلمين وكبرائهم قدر الحال الخطرة التي وصل اليها الاسلام قدرها وانبرى لتداركها الا هذا الرجل العظيم — أمير مكة وشريفها — فانه . أى أن الدولة — وهو من أعلم أهلها بحالها — قد أمست على شفا جرف، وأن ملاحدة الاتحاديين قد اتخذوا الاحكام العرفية والقوة العسكرية ذريعة للتنكيل بالامة العربية بتقتيل رجال الفكر والعمل ومصادرة أموال أهل الثروة منها حتى لا يبقى فيها رجاء في عامل ولا في عمل، فانتدب لتدارك الخطب ومصارعة الخطر بنفسه الكريمة وأنفس أنجاله النجباء . ولو استطاع أن ينقذ الدولة نفسها من الخطر لفعل، ولو بذل في ذلك دمه ودم هؤلاء الأنجال الكرام (هنا قال الامير حفظه الله تعالى للخطيب صدقت)

لكن العمل لانقاذ الدولة نفسها من الخطر قد أصبح فوق طاقته وطاقة غيره (... صدقت) فرأى أن يبدأ بالمستطاع وهو انقاذ الحجاز مهد الاسلام ومشرق نوره مما نزل به من البلاء والشقاء، ثم انقاذ غيره مما يمكن انقاذه من البلاد العربية؛ ليكون ذلك بيئة لحفظ الاستقلال الاسلامي وعدم زواله بما يخشى و يتوقع أن يحل بالدولة العثمانية والعياذ بالله تعالى (... صدقت)

لا يخفى على ذي بصيرة ان الاتحاديين ماحشروا الالوف من جيوشهم في الحجاز الا بنية سيئة لانهم يعلمون كما نعلم أن أعداءهم الحلفاء لا يحاولون الاستيلاء على الحجاز ولا يحاربون أهله، فكان من المعقول ان يرسلوا تلك الجيوش الى قتال

أعدائهم الروس وانقاذ ما فتحوه من الولايات التركية ، ولكن التنكيل بالعرب أهم عندهم من دفع الروس عن عقر دارهم . ولو تم لهم ما أرادوا لرأينا من فظائعهم في الحجاز ما هو أشد من فظائعهم في الشام (... صدقت)

نعم ان الحلفاء لا يحاربون الحجاز ولكن وجود الجيوش الاتحادية فيه ألجأهم الى ضرب الحصر البحري على ثغوره فضاقت المعيشة على أهله حتى باعوا حليهم وأثاثهم وأبواب بيوتهم وخشب سقفها ولو طال عليهم أمد ذلك سنة أخرى لا كلتهم المجاعة وما يتبعها عادة من الاوبئة (... صدقت)

أعلن سيدنا هذا استقلال العرب في الحجاز — والحاجة قد اشتدت اليه حتى وصلت الى حد الضرورة - وما كان يوجد في الامة العربية ولا الامة الاسلامية كلها من آتاه الله من البصيرة والشجاعة والثقة بالله والتوكل عليه ما ينهض به للقيام بهذا العبء العظيم ،ولولا ثقته بالله وتوكله عليه لما تجرأ على ذلك لاننا كنا نعلم أنه لا يوجد في الحجاز قوة عسكرية ولا ثروة مالية يعتمد عليها في مثل هذا العمل (تصديق ..)

كنا نعلم انه لا يوجد في الدنيا كلها مكان يصلح لتأسيس دولة اسلامية تخلف الدولة العثمانية اذا وقع بها ما نخشاه عليها الا جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد العربية لما خص الله تعالى به هذه البقعة وأهلها من الخصائص ، ولا يعقل ان يحفظ استقلال الاسلام في مثل بلاد الافغان إن هو زال من مهده وموطن نشأته ومحل اقامة شعائره . انفردت هذه البقاع الطاهرة المقدسة بأنها أجدر بقاع العالم الاسلامي لاقامة استقلاله . وكذلك انفرد سيدها وأميرها في هذا العصر بالنهوض بما يجب من العمل والاستعداد لتجديد هذا الاستقلال . فكان له بعمله أكبر منة في اعناق أهل هذه البلاد وفي اعناق جميع المسلمين الذين يشعرون بأن أمر هذا الاستقلال هو أهم المصالح العامة الدينية والاجتماعية . ولكن منهم من فقد هذا الشعور

أيها الحجازيون ان من يكفر منكم لهذا الرجل المصلح المنقذ هذه النعمة فهو أكفر الناس للنعم . أيها المسلمون يجب ان تعلموا ان هذا العمل أعظم خدمة للاسلام في هذا الزمن . فان الدولة العثمانية ان سلمت من السقوط وحفظ استقلالها لم يكن استقلال العرب في الحجاز وغيره مانعا من ذلك ولا من تعاضد العرب والترك مع

حفظ حقوق كل منهم . وان سقطت وفقدت استقلالها لم يكن هذا الاستقلال هو السبب فيه ولكنه يكون سبباً لحفظ استقلال الحكم الاسلامي في أشرف بقاع الاسلام، بل لا يغيب عن أذهانكم انه لولا اعلان هذا الاستقلال لترتب على سقوط الدولة العثمانية وقوع حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم غنيمة في أيدي الدول الفاتحة . فان تركوهما بعد ذلك لنا كان لهم منة التصدق بهما علينا . والا كانا تحت سيادتهم والعياذ بالله تعالى . وبهذا يتبين لكم ان هذا العمل العظيم، الذي قام به هذا الزعيم العظيم ، قد أنقذ الحرمين الشريفين وما حولهما من هذا الخطر الجسيم . ووضع أقوى أساس لحفظ الاستقلال الاسلامي بانشاء دولة جديدة له . فله بهذا أكبر منة على جميع المسلمين . وما أقول هذا تملقا له ولا مدحا شعرياً، وانما هو الحقيقة البيضاء الناصعة بينتها لكم بالايجاز الذي يحتمله المقام والسلام اهـ الخطبة

قالت جريدة القبلة مقفية على هذه الخطبة ، : « وبعد أن جلس (أي الخطيب) أثنى عليه جلالة سيدنا أيده الله بروح من عنده وقال للناس انه لم يره الا منذ أيام قليلة » ونزيد عليها أنه قد صرح بأنني عبرت في المسألة عن فكره ورأيه ولم يسبق له مكاشفتي به وانه لم يرني الا منذ أيام قليلة، وهو صادق فيما قال ، واني ما كنت أرجو أن يرضيه خطابي إلا من باب حسن الظن فيه الذي استنبطته مما كنت أعلم من سوءنية جمال باشا وأعوانه، ومن منشور به الدالين على قيامه بما قام به في الحجاز لاجل الداعية التي وصلت الى حد الاضطرار ، وانها ضرورة تقدر بقدرها ، وهذا هو الحكم الشرعي في مثلها ، وقد جعلتها مقدمة للسعي الى ذلك .

وأقول ان وقع الخطبة قد كان حسنا في سمع الجمهور ، وكانت موضع حديث الناس وثنائهم، حدثني بذلك الكثيرون في منى ثم في مكة ، وقد علمت أنها جمعت بين إرضاء الفريقين المتعارضين في الرأي — فريق المتشائمين من ثورة الحجاز الخائفين ان تكون سببا لضعف الدولة العثمانية وزوالها ، على حين لا استعداد لانشاء دولة اسلامية تحل محلها ، وفريق المتفائلين الذين يرجون ان تكون مبدأ دولة عربية مستقلة تحيا بها حضارة العرب الزاهية الزاهرة ، حتى ان أصحاب فكرة المبايعة كانوا يرجون عند سماع الخطبة أن تكون مقدمة للمبايعة .

زارني بعد نزولنا من منى الى مكة الشيخ عبد الملك الخطيب أحد أدباء مكة المقربين من الحضرة الهاشمية — وقد تقدم ذكره في هذه الرحلة — فكان جل حديثه الثناء على الخطبة، وقال انني كنت في الحضرة الهاشمية أذكر محاسنها وأنوه بها وان سيدنا وافقني على ذلك وساهمني فيه، ثم ذكر انه كان ينقصها شيء واحد، قلت بل ينقصها عندي أشياء ولكن الوقت لم يكن يتسع لا كثر مما قيل، قال: لم أعن ان في الخطبة نفسها نقصا بل هي كاملة، وانما كان ينقصها ان تكون مقدمة للمبايعة، فلو انك بعد إتمامها مددت يدك وبايعت سيدنا لاتبعك الناس وكان أمرا مفعولا، قلت ان هذا ليس من رأيي ولا من حقي، وما يؤمنني ان يقال لي ما قيل لذلك الشاعر الذي قال

وخذا النوم من عيوني فاني قد خلعت الكرى على العشاق

فقيل له خلعت ما لا تملك على من لا يقبل ؟ وبهذا حولت المباحثة السياسية إلى مفاكهة أدبية

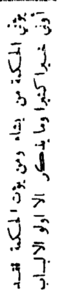
هذا — وانني قد تشرفت بعد ذلك بحديث مع الحضرة الهاشمية في موضوع الخطبة، فكان مما قال الامير ان المسألة الجوهرية في الخطبة هي ان الدولة العثمانية على خطر وأنا موافق لك على هذا الرأي من قبل الحركة ولكن أكثر الناس أو المسلمين لا يعقلون ذلك. وقد عرضت عليه في هذه الجلسة شيئا من خلاصة رأيي في المسألة العربية، وما يجب اتخاذه من الاحتياط في مسألة الدولة، على الوجه الذي أشرت اليه في خاتمة الخطبة، فأظهر لي الاستحسان، وأحال على الزمان، وقراء المنار يعرفون رأيي مما بسطته في المقالة التاريخية (المسألة العربية) التي نشرتها في الجزء الاول من المجلد العشرين، ومنه ان الثورة الحجازية قد أدت وظيفتها، وأفادت ما رجوناه منها. فأنقذ الحجاز، وأوقفت بغي البغاة، وأحمد الله انني كنت أسعى الى تنفيذ هذه المقاصد، على تلك القواعد، وانني الآن معتزل لاعمال السياسة وأهلها، منتظر حكم العزيز الحكيم في أمر أمتي والشعوب كلها.

﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

بقي مما ينبغي أن يذكر في ترجمته ما انفرد به دون أمثاله من شيوخ الازهر كانكاره كتابة على الدولة العثمانية الفتك بالارمن في أطنة — وكرثاسته لاحتفال اللجنة السورية التي عقدت في دار التمثيل الاميرية لاعانة طلبة العلم السوريين في الازهر — تلك اللجنة التي قال في حدها بحق انها مسيحية ليس فيها الا مسلم واحد تسعى لاعانة مسلمين ليس فيهم نصراني واحد — وغير ذلك من الامور المدنية العصرية، ولم يتيسر لنا جمع ما كتب في ذلك بوقته من الجرائد، ولم يذكره أحد في ترجمته

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٦ — ٢١ الحمل (ر ١) ١٢٩٦ هـ ش ١١ إبريل ١٩١٨

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ التمثيل العربي ﴾

﴿ اشتغال المرأة المسلمة به وتمثيل قصص الانبياء ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

جمعتني النوادي بطائفة من المتعلمين الذين قلما يخلو مجلسهم من البحث وبأية مناسبة دار بيننا ذكر التمثيل العربي وبسطنا على بساط بحثنا (١) المرأة المسلمة والتمثيل (٢) تمثيل روايات الانبياء عليهم السلام عموما وخاتمهم خصوصا فقرّ رأي فريق منا على جواز ذلك كله اذ لا تتم أدوار التمثيل وفصوله لا بالمرأة فاذا جوزنا التمثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح التمثيل . وأي مانع يمنع تمثيل روايات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عموما وخاتمهم خصوصا وهو لم يخرج عن كونه درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعاظ وقل من يصادفه أو يجد له أثرا ، ومنع فريق آخر كل ذلك وعده نوعا من التقليد الافرنجي الذي يستحوذ على بعض البسطاء فيعدونه مفتاح تمدن الامة في حين أنه شر عليها وعلى أخلاقها الذاتية . فهذ ما كان من الفريقين أما أنا كاتب هذه السطور فقد أعلنت الحيدة حتى أسترشد برشدكم أو أستنير بفتيا مناركم والسلام

كاتبه

محمد محمد سعفان

طالب بمدرسة القضاء الشرعي

(ج) قلت هدانا الله وإياك محجة الصواب في الحكم .وعصمنا أن نقفو ما ليس لنا به علم : ان بعض الاندية جمعك بطائفة من المتعلمين البحاثين ، وانهم ذكروا « التمثيل العربي » فاختلفوا في جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، وفي جواز تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وخاتمهم خاصة ، فقالت طائفة منهم بجواز الامرين ، وعللوا الاول « بأن أدوار التمثيل وفصوله لاتتم الا بالمرأة فاذا جوزنا التمثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح التمثيل »وعللوا الثاني بأنه « درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعاظ وقل من يصادفه أو يجد له أثرا » وقالت طائفة أخرى بمنع الامرين وعدوه من التقليد الافرنجي الضار ، الذي يغتر به الاغرار ، وقلت انك وقفت حتى تستفتي المنار ، فهاك ما أفهمه في المسألتين بالاختصار :

لم يأت فريق المجيزين بشيء من العلم ، يدل على ماجزموا به من الحكم ، فان سلمنا لهم ان التمثيل لايتم الا بالمرأة — لا نسلم لهم ان جوازه يستلزم جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، بل نسألهم ماذا يعنون بهذا التمام ؟ وهل يعتد به شرعا ؟ ولماذا لا يستغنى فيه بالمرأة غير المسلمة التي تستبيح من أعماله مالا يباح للمسلمة ؟ وبأي حجة جعلوا القول بجواز التمثيل الذي ينقصه وجود المرأة المسلمة أصلا بنوا عليه القول بجواز اشتغالها بالتمثيل ؟ وهل يعدو التمثيل المطلق ان يكون مباحا أو مستحبا بشرط خلوه من فعل الحرام وذرائع الفساد ، واشتماله على الوعظ النافع والارشاد ؟ أوليس الصواب أن يقال — والامر كذلك — ان التمثيل الذي يتوقف على قيام المرأة المسلمة ببعض أعماله على الوجه المعروف في دور التمثيل بمصر غير جائز ، لان ماتوقف على غير الجائز فهو غير جائز ، أو لان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ؟

ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل المعروف يشتمل على منكرات محرمة (منها) ظهورها على أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالرأس والنحر وأعالي الصدر والذرعين والعضدين ، وتحريم هذا مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا حاجة الى ذكر النصوص فيه ، (ومنها) الاشتراك مع الرجال الممثلين في أعمال تذكر في التمثيل وان لم تكن من لوازمه في كل قصة كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير حائل (ومنها) غير ذلك من المنكرات التي تشتمل عليها بعض القصص دون بعض

كالتشبه بالرجال ، وتمثيل وقائع العشق والغرام المحرم بما فيه من الاعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته . ولا أنكر انه يمكن للكاتب العالم بأحكام الشرع وآدابه أن يكتب قصة تمثيلية يودع بعض فصولها أعمالا شريفة وأقوالا نافعة اذا مثلتها امرأة مسلمة تبرز في دار التمثيل غير متبرجة بزينة ولا مبدية لشيء مما حرم الله ابداءه من بدنها ، ولا آتية بشيء من أعمال الفساد ولا من ذرائعه ، فان تمثيلها يكون بهذه الشروط مباحا أو مستحبا . مثال ذلك أن تؤلف قصة في الترغيب في الحرب للدفاع عن الحقيقة وحماية البلاد عند وجوبها باعتداء الاعداء عليها ، ويذكر فيها ماروي عن الخنساء رضي الله عنها في حث أبنائها على القتال بالنظم والنثر . فمن ذا الذي يتجرأ على القول بتحريم ظهور امرأة تمثل الخنساء في مثل تلك الحال ، التي هي مثال الفضيلة والكمال ؟ ولكن امكان وضع مثل هذه القصة — وهو من الممكنات التي لم تقع — لا يبنى عليه القول باطلاق جواز ما هو واقع من التمثيل المشتمل على ماذكرنا وما لم نذكر من المنكرات المحرمة والمكروهة شرعا

وأما تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد عللوه بأنه درس وعظ مؤثر ، يعنون ان كل ماكان كذلك فهو جائز ، وهذه الكلية المطوية ممنوعة ، وتلك المقدمة الصريحة غير متعينة ، فان هذه القصص قد توضع وضعا منفرا ، فلا تكون وعظا مؤثرا ، وان من الوعظ المؤثر في النفوس مايكون كله أو بعضه باطلا ، وكذبا وبدعا ، أو مشتملا على مفسدة أو ذريعة اليها ، ويشترط في جواز الوعظ ان يكون حقا لا مفسدة فيه ولا ذريعة الى مفسدة . وبناء على هذا الاصل ننظر في هذه المسألة من وجوه

(أحدها) ان العرف الاسلامي العام يعد تمثيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام إهانة لهم أو مزريا بقدرهم ، ومما أعهد من الوقائع في ذلك أن بعض النصارى كانوا أرادوا أن يمثلوا قصة يوسف عليه السلام في بعض المدن السورية فهاج المسلمون لذلك وحاولوا منعهم بالقوة ، ورفع الامر الى الآستانة فصدرت ارادة السلطان عبد الحميد بمنع تمثيل تلك القصة وأمثالها . فان قيل ان بعض مسلمي مصر كأولئك المتعلمين القائلين بالجواز لا يعدون ذلك اهانة ولا ازراء اذ لا يخفى على مسلم ان اهانة

الانبياء أو لازرائه بهم أقل ما يقال فيه انه من كبائر المعاصي وقد يكون كفرا صريحا وردة عن الاسلام — نقول انما العبرة في العرف بالجمهور الذي تربى على آداب الاسلام وأحكامه لا بالافراد القلائل ومن غلبت عليهم التقاليد الافرنجية، حتى صاروا يفضلونها على الآداب الاسلامية ، كذلك القاضي الاهلي الذي حكم ببراءة استاذ مدرسة أميرية غازل امرأة محصنة وتصباها ، وكاشفها بافتتانه بجمالها ، حتى هجره الرقاد ، وواصله السهاد ، فشكت المحصنة هذه الوقاحة الى زوجها فرفع الزوج الامر الى قاضي العقوبات ، طالبا تعزير ذلك المعادي المفتات ، فكان رأي القاضي ان منازلة المحصنات الحسان وتصبيهن ، بمثل ذلك الكلام الذي يفسدهن على أزواجهن ، لا يقتضي سجنا ولا غرامة ، ولا تأنيبا ولا ملامة ، لانه إظهار لحب الحسن والجمال ، وهو من ترقي الذوق وآيات الكمال ، ولكن ما رآه هذا القاضي المتفرنج حسنا وكمالا ، رآه السواد الاعظم من المسلمين نقصا قبيحا ، وأنكروه عليه في الجرائد حتى منعتها مراقبة المطبوعات من التمادي في الانكار ، واستأنف الزوج الحكم فنقضه الاستئناف ، وحكم بأن كلام ذلك الاستاذ جريمة منافية للآداب . ولو حاول بعض أجراء التمثيل تمثيل قصة أحد الرسل الكرام ، عليهم الصلاة والسلام . لرأوا من انكار العلماء والجرائد ما لا يخطر ببال أولئك الافراد الذين يرون جوازه ، ولو وقع مثل ذلك في بلد لم تدال أهله سيطرة الحكام لما كان الا مثار للفتنة ، وتصدي الناس لصد الممثلين بالقوة ، بل يغلب على ظني ان أكثر الناس يعدون تمثيل الامراء والسلاطين ، وكبار رجال العلم والدين ، مما يزري بمقامهم ، ويضع من قدرهم . وان أحدا من هؤلاء الكبراء لا يرضى لنفسه ذلك .

(الوجه الثاني) ان أكثر الممثلين لهذه القصص من سواد العامة ، وأرقاهم في الصناعة لا يرتقي الى مقام الخاصة ، فان فرضنا أن جمهور أهل العرف لا يرون تمثيل الانبياء إزراء بهم على اطلاقه ، أفلا يعدون من الازراء والاخلال بما يجب لهم من التعظيم أن يسمى (السي فلان) أو (الخواجه فلان) ابراهيم خليل الله أو موسى كليم الله أو عيسى روح الله أو محمدا خاتم رسل الله ؟ فيقال له في دار التمثيل يارسول الله ، قولك في كذا . . . فيقول كذا . . . ولا يبعد بعد ذلك ان يخاطبه بعض

الخلفاء بهذا اللقب في غير وقت لتمثيل على سبيل الحكاية، أو من باب التهكم والزراية، كأن يراه بعضهم يرتكب إثما فيقول له : مدد يارسول الله ! ألا ان اباحة تمثيل هؤلاء الناس للانبياء قد تؤدي الى مثل هذا، وكفى به مانعا لو لم يكن ثم غيره

(الوجه الثالث) تمثيل الرسول في حالة أو هيئة تزري بمقامه ولو في أنفس العوام وذلك محظور وان كان تمثيلا لشيء وقع . مثل ذلك ان يمثل بعض هؤلاء الممثلين المعروفين يوسف الصديق عليه السلام بهيئة بدوي مملوك تراوده سيدته عن نفسه وتقد قميصه من دبر، ثم يمثله مسجونا مع المجرمين . ويتجلى النظر في هذا الوجه ببيان مسألة من أعظم المسائل التي يغفل عنها أمثال أولئك الباحثين الذين ذكرهم المستفتي ، وهي ان الرسل عليهم الصلاة والسلام بشر ميزهم الله تعالى بما خصهم به من الوحي ، وهداية الخلق الى الحق ، وقد كانت بشريتهم حجابا على أعين الكافرين حال دون ادراك خصوصيتهم، فأنكروا ان يكون الرسول بشرا مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ، وروي عن المسيح عليه السلام ان النبي لا يهان الا في وطنه وقومه ، وقال بعض العلماء في هذا المعنى : أزهد الناس في الولي أهله وجيرانه . أي لانهم قلما يرون منه الا ما هو مشارك لهم فيه من الصفات والعادات. وأما ما يمتاز به من دقائق الورع والتقوى والمعرفة بالله تعالى فمنه ما هو سلبي لا يفطنون له ، ومنه ما هو خفي لا يدركونه ؛ ولذلك احتيج في إيمان أكثر الناس بالرسل قبل الارتقاء العقلي الى الآيات الكونية، وبعده الى الآيات العلمية ،(كالقرآن الحكيم من الامي) والذين يؤمنون بالرسل من بعدهم يسمعون من أخبار آياتهم وخصائصهم وفضائلهم أكثر مما يسمعون من أخبار عاداتهم وصفاتهم البشرية، وبذلك يكون تعظيمهم وإجلالهم لهم غير مشوب بما يضعف الايمان بهم من تصور شؤونهم البشرية. على ان الواجب ان يعرفوا منها ما يحول دون الغلو في التعظيم والاطراء الذي يرتفع به الغلاة الانبياء الى مقام الربوبية والالهية ، والتفريط في ذلك كالافراط . فتمثيل أحوال الانبياء وشؤونهم البشرية بصفة تعد زراية عليهم ، ازدراء بهم أو مفضية الى ضعف الايمان والاخلال بالتعظيم المشروع – مفسدة من المفاسد التي يحظرها الشرع ، فكيف اذا أضيف اليها كون التمثيل في حد ذاته يعد في العرف العام تنقيصا

أو اخلالا ما يجب من التكريم - وكون الممثلين من عوام الناس ، وقد علمت ما في هذا كله

(الوجه الرابع) ان من خصائص القصص التمثيلية الكذب ، وان الكذب على الانبياء ليس كالكذب على غيرهم ، فاذا جاز أن يسند الى أسماء لا مسميات لها كلام تقصد به العظة والفائدة كما يحكون مثل ذلك عن ألسنة الطير والوحش وهو ما احتج به الحريري في فاتحة مقاماته على جواز وضعه لها ، واذا صح ان يقاس على ذلك اسناد مثل ذلك الكلام الى أناس معروفين من الملوك وغيرهم فيما لا ضرر فيه ولا افساد في التاريخ ولا غيره من الحقائق — اذا جاز ما ذكر وصح القياس فلا يظهر جواز مثله في الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، على أن في المسألة نصا خاصا لا محل للقياس مع وروده ، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « ان كذبا عليّ ليس ككذب على أحد ، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما من حديث سعيد بن زيد ، وروي عجزه — وهو من كذب عليّ الخ — متواترا ، وروى أحمد من حديث عمر مرفوعا « من كذب عليّ فهو في النار » وهو مطلق لم يقيد بالتعمد واسناده صحيح . وقياس الكذب على غيره من اخوانه الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام جلي فهو أقرب من قياس الكذب على الرسل على الكذب على العجماوات الذي احتج به الحريري وأشار الى اتفاق العلماء على جوازه . والكذب عليهم يشمل ما يحكى عنهم من أقوال لم يقولوها ، وما يسند اليهم من أعمال لم يعملوها

فان قيل انه يمكن وضع قصة لبعض الرسل يلتزم فيها الصدق في كل ما يحكى عنه أو يسند اليه ، قلنا ان النقل الذي يعتد به عند المسلمين هو نقل الكتاب والسنة ، ولا يوجد قصة من قصص الانبياء في القرآن يمكن فيها ذلك الا قصة يوسف وكذا قصة موسى وقصة سليمان مع ملكة سبأ اذا جعل التطويل فيهن في غير الحكاية عنهم . والأولى هي التي يرغب فيها الممثلون . ويرجى ان يقبل على حضور تمثيلها الكثيرون ، وفيها من النظر الخاص ما بيناه في الوجه الثالث . وأما السنة فليس في اخبارها المرفوعة ولا الموقوفة ما يبلغ ان يكون قصة تصلح للتمثيل الا وقائع السيرة المحمدية الشريفة ،

والعلماء بها لا يكاد أحد منهم يقدم على جمع طائفة منها وجعلها قصة تمثيلية . واذا فتح هذا الباب ووجد منهم من يدخله على سبيل الندور لا يلبث ان يسبقه اليه كثير من الجاهلين بالسنة المتفنين لوضع هذه القصص بالاسلوب الذي يرغب فيه الجمهور فيضعون من قصص الانبياء المشتملة على الكذب ما يكون أروج عند طلاب الكسب بالتمثيل ، فيكون وضع الصحيح ذريعة الى هذه المفسدة

فعلم من هذه الوجوه ان جواز تمثيل قصة رسول من رسل الله عليهم السلام يتوقف على اجتناب جميع ما ذكر من المفاسد وذرائعها بحيث يرى من يعتد بمعرفتهم وعرفهم من المسلمين انه لا يعد ازراء بهم ، ولا منافيا لما يجب من تعظيم قدرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى من اهتدى بهم .

رحلة الحجاز

٨

أيام منى ولياليها وأقوال الشعراء فيها

نصوص الشرع في أيام منى

قال عز وجل (وَاذكُرُوا اللهَ في أيامٍ معدوداتٍ فمَنْ تعجَّلَ في يومين فلا إثمَ عليهِ ، ومَنْ تأخرَ فلا إثم عليه لمَنِ اتقى، واتقُوا اللهَ واعلمُوا أنكم اليه تُحشرون) أجمع العلماء على أن الايام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى التي تسمى أيام التشريق . قيل إن سبب تسميتها بذلك أنهم يشرّقون فيها لحوم الاضاحي أي يقددونها ويبرزونها للشمس . وقيل لان الهدايا والضحايا لم تكن تنحر فيها الا بعد شروق الشمس ، وقيل هو مأخوذ من قول الجاهلية : أشرق ثبير ، كيما نغير . أي ادخل ياثبير في الشروق لكي نسرع في الدفع الى منى للنحر ، ذلك بأنهم كانوا لا يفيضون من المزدلفة الى منى الا بعد شروق الشمس ووقوعها على جبل ثبير أعظم تلك الجبال ، فأمرنا بمخالفتهم بالافاضة قبل الشروق . وقيل

لانها أيام تشريق لصلاة يوم النحر فصارت تبعاً له ، وأطلقوا التشريق على صلاة العيد وسموا مصلى العيد مشرّقاً . والجمهور على ان هذه الايام هي الثلاثة التي تلي يوم عيد النحر وأدخله بعضهم فيها ، ولكن تخيير المتقي بين التعجل في يومين أو التأخر انما هو في أيام مني الثلاثة التي بعد يوم العيد .

ووصفت أيام منى الثلاثة أو الاربعة بالمعلومات في قوله عز وجل في الحجاج (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) وتطلق الايام المعلومات على أيام عشر ذي الحجة الاوائل أو التسع التي آخرها يوم عرفة .

روى أحمد ومسلم والنسائي عن أبي نبيشة الهذلي قال قال رسول الله (ص) « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وفي رواية ضعيفة عند غيرهم زيادة « وبعال » بعد شرب . والبعال والمباعلة الملاعبة بين البعلين (الزوجين) ومعناها صحيح فانه يحل في أيام منى كل ما كان محرما بالاحرام حتى التغشي ، وانما يحلّ بعد طواف الافاضة الذي تتم به أركان النسك كلها . والمراد بالاكل الاكل من لحوم الاضاحي المطلوب بقوله تعالى (فكلوا منها) وغيرها من الطيبات ، فان هذه الايام أيام عيد وسرور شرع فيها الجمع بين التمتع باللذات المباحة حتى اللهو بالحراب وسماع الغناء وبين ذكر الله تعالى وشكره على إنعامه بها وبالتوفيق لاقامة النسك .

وشعار هذه الايام من الذكر التكبير ويستحب رفع الصوت به والاشتراك فيه عقب الصلوات وفي عامة الاوقات والامكنة فقد روى سعيد بن منصور وأبو عبيد ان عمر (ص) كان يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الاسواق حتى ترتج منى تكبيرا » وذكره البخاري في الصحيح تعليقا . وأصح ماورد في صيغته ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان قال « كبروا : الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا » وروي عن الصحابة والتابعين التكبير ثلاثا ومرتين وزيادة التهليل. والظاهر ان النبي (ص) لم يأمر الناس بصيغة مخصوصة في التكبير والذكر في العيدين وأيام منى كما انه لم يأمرهم بأذكار وأدعية معينة في الطواف والسعي والوقوف بعرفة

يأتي كل فرد أو جماعة بما شاؤا ، فلا بأس اذا بما استحدث الناس من الذكر وصيغ التكبير مما لم يرد عن السلف وان أشار بعض العلماء الى استنكاره لذلك كأنه يراه من البدع باستحداث صفة لعبادة تعد من الشعائر ، وهو ما سماه بعضهم بالبدعة الاضافية . وانما يتجه هذا اذا التزموه جهرا بغير زيادة ولا نقصان ، و يتأكد إنكاره اذا صار بحيث تظن العامة انه واجب أو مندوب بهذا الوصف . وقد ذكر الامام الشافعي في الام أن التكبير المشروع في العيدين هو كلمة « الله أكبر » وان التثليث في بدئه مستحب وان لكل أحد ان يزيد من الذكر ماشاء

وكذلك التكبير والدعاء والتضرع عند رمي الجمار ، يرمي كل جمرة بسبع حصيات مكبرا مع كل حصاة ويقف عند الاولى والوسطى فيطيل القيام يدعو ويتضرع ولا يطيل عند جمرة العقبة . هكذا كان يفعل النبي (ص) وروي تقدير قيامه (ص) عند الجمرتين الا بقدر سورة البقرة

وكانت ذبائح النبي (ص) في حجة الوداع مئة من الابل جاء بثلاث وستين منها معه من المدينة وجاء علي كرم الله وجهه بالباقي من اليمن وقد نحر النبي (ص) ٦٣ بيده الكريمة فكانت اشارة الى سني حياته الشريفة وأمر عليا فنحر الباقي .وأمره (ص) بأخذ بضعة (بفتح الباء قطعة) من كل بدنة فجعلت في قدر فطبخت فأكل هو وعلي منها وشربا من مرقها

كلمة تاريخية أدبية في أيام منى

سمعنا من الشريف في منى كلمة جديرة بالحفظ والتدوين ، قال : كانت أيام منى أول الاسلام من أطيب أيام الحياة — أي لما تقدم بيانه من الجمع بين اللذات الروحية والبدنية والاجتماعية — فلما قربت المواصلات بين الاقطار الاسلامية البعيدة صار ينتقل الوباء الى الحجاز مع الحجاج الموبوئين فيكون أشد فتكه عند اجتماع الناس في منى ، فصارت أيام منى أيام غم وكدر يتعثر الناس فيها بالموتى في كل مكان ، وتعد الحكومة لها الالوف الكثيرة من الاكفان ، ونحمد الله انه لم يمت فيها خد في هذا العام ، لا بمرض وبائي ولا بمرض عادي اه بالمعنى

أقول من الشواهد المؤيدة لهذه الكلمة التاريخية كثرة ذكر منى في أشعار المتقدمين الغزلية والتغزل بالنساء عند رمي الجمار فيها، وندرة مثل ذلك في غيرها من المشاعر، وعند غير رمي الجمار من الشعائر، ذلك بأن ما تقدم لنا شرحه من تأثير الاحرام ولباسه في القلب وتأثير رؤية المشاعر العظام والطواف بها والوقوف فيها أيضا — كل ذلك مما يصرف الحاج عن كل ما عداه، ولا يدع في قلبه فراغا واسعا لغير ذكر الله، لا ذكر الحسان، ولا ذكر الاهل والولد والاخوان، فالتجلي الالهي في جميع المشاعر، أثناء اداء جميع المناسك، تجلي هيبة وجلال، الا منى فان التجلي فيها تجلي انس وجمال، ولا تنس ما ذكرناه آنفا من تحلل الحاج فيها من الاحرام، واستباحته ما كان محرما من الاعمال، وكونها أيام عيد يستحب فيها التمتع بالطيبات، وزد على ذلك أن لياليها هي الليالي التي يكمل فيها نور القمر، وأن هواءها اللطيف يحبب اليك السمر،

رفقا بها يا أيها الزاجر ... قد لاح سلع وبدا حاجر
وخلها تسحب أرسانها ... على الرُّبا لا راعها ذاعر
واذكر أحاديث ليالي منى ... لاعدم المذكور والذاكر

•

لهف نفسي لليال سلفت ... آه لو ترجع هاتيك الليالي
لا تقل لي بمنى تعطى المنى ... بمنى كان من القوم انفصالي

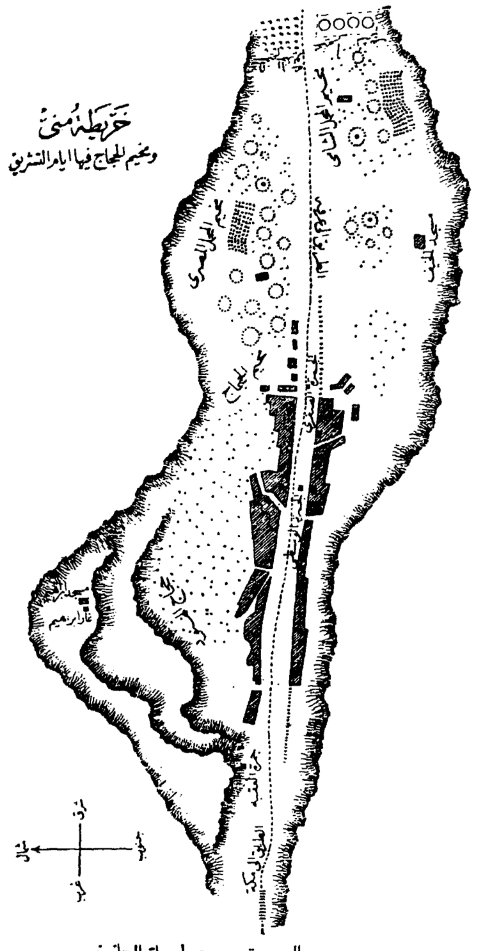
•

صحبي مضوا فدامعي ... منهلة في اثر صحبي
ما فوّق الهجران سهـ ... ـما فانثنى عن قصد قلبي
كلا ولا نادى الجوى ... الا وكنت انا الملبي
ولقد وقفت على منى ... لولا المنى لقضيت نحبي

وأشعار الشعراء بالتغزل بالنساء في منى ورميهن الجمار كثيرة من أحسنها قول الشريف الرضي وهو من التغزل الخيالي النزيه

من مُعيدٌ لي ايا مي بجزع السمُرات (١)
وليالٍ بجَمْعٍ ومنًى والجمرات (٢)
وظباء حاليات كظباء عاطلات (٣)
رائحات في جلابيـ ب الدجا مخمرات (٤)
راميات بالعيون الـ نجل قبل الحصيات
ألعقر القلب راحوا أم لعقر البدنات (٥)
كيف أودعت فؤادي أعينا غير ثقات
أيها القانص ما أحـ سنت صيد الظبيات
فاتك الشربُ وما زُوِّدت غير الحسرات
ياوقوفا ما وقفنـ في ظلال السامات (٦)
موقفا يجمع فتيا ن الهوى والفتيات
نشاكى ما عنانا بكلام العبرات

(١) الجزع بكسر الجيم وسكون الزاي منعطف الوادي ومنحناه والسمرات جمع سمرة وهي شجرة السمر بفتح السين وضم الميم وهي من شجر العضاه أي ذي الشوك وشوكها قصير وورقها صغير ولها برم أي ثمر أصفر يؤكل (٢) جمع اسم المزدلفة وذكر في هذه الرحلة (٣) حاليات مزينات بالحلي وهن الظبيات بالمجاز وعاطلات غير متحليات وهن الظبيات بالحقيقة (٤) الدجا سواد الليل مع غيم يمنع رؤية القمر والنجوم . يعني يخرجن ليلا لرمي الجمار وغير الرمي من حاجهن فيكون الدجا ساترا لهن كالجلابيب حالة كونهن مختمرات بخمرهن مبالغة في الستر (٥) ذكر ضمير راحوا وقلما يأتي في الفصيح الا لنكتة كثيرة في الكلام على امرأة ابراهيم (ص) في سورة هود وارادة إذهاب الرجس عن نساء النبي (ص) في سورة الأحزاب لشمول الخطاب للخليلين في الخطابين ولعل الشاعر هنا يعني انهن يخرجن مع رجالهن (٦) السلمات جمع سلمة بفتحتين وهو من شجر العضاه كالسمر ويكثر في جزيرة العرب ، والخطاب للرجال الذين تفيأوا في ظلال شجر السلم مدة وقوف أولئك النساء يتشاكون معهن الجوى بكلام العبرات اي الدموع الدال على ما في القلوب



هده الصورة رسمت لرحلة البتانوني



نظرٌ يشتَـالُ منا كل عين بقَذاة (١)
كم نأى بالنفر عنا من غزال ومهاة (٢)
آه من جيدٍ الى الدا ر كثير اللفتات (٣)
وغرامٍ غير ماض بلقاء غير آت
فسقى بطن منى والـ خيف صوبُ الغاديات (٤)
وزمانا نائمَ العذ ال مأمونَ الوُشاة
في ليـال كاللثالي بالغواني مُقمرات
غرست عندي غرسَ الـ شوق ممرورَ الجناة (٥)
أين راقٍ لغرامي وطبيبٌ لشَكاتي (٦)

---

(١) يعني ان كل عين من أعين فتيان الهوى والفتيات تذرف العبرات في موقفها ذاك حتى كان فيها قذاة تستنبط دموعها وهي مايقع في العين من عصفة تبن وغيرها (٢) المهاة البقرة الوحشية تشبه بها المرأة النجلاء لسعة عينيها وحسنهما ، وأشار بغزال ومهاة الى فتيان الهوى والفتيات الذين وصف موقفهن عند الوداع كما علم من ذكره النفر هنا وهو الدفع من منى (٣) المراد بالدار دار منى (٤) بطن منى واديها والخيف سفح جبالها أي سقاها كلها مايصوب وينسكب من المطر في الغداة أي أول النهار . فالغاديات جمع غادية وهي السحابة التي تنشأ أول النهار . أو المطرة فيه (٥) الجناة ما يجني من الثمر والظاهر انه أراد بالممرور المرّ — ضد الحلو — وفعل المرارة لازم لا مفعول له ، وانما الممرور من غلبت عليه المرة وهي بالكسر ما يسمى الصفراء أو السوداء من اخلاط البدن . والشريف من أئمة اللغة فلا بد ان يكون لاستعماله مخرج اذا صحت الرواية عنه وان لم يكن استعماله حجة في اللغة (٦) الشكاة بالفتح ما يشكى من مرض عرض أو ألم ألمّ . سأل ماعزّ فلا يوجد وهو الراقي لغرامه والطبيب لسقامه ، وانما احتاج الغرام للراقي دون الطبيب لأنه وجد نفسي روحي يحتاج الى المسكنات الروحية وان وهمية . والاستفهام استفهام توجع ويأس

ومن التغزل الخيالي في منى وغيرها من معاهد النسك وأعماله ما قاله أبو محمد عبد الله بن محمد التنوخي في قصيدته التي مدح بها ثقة الدولة يوسف بن محمد بن الحسين القضاعي صاحب صقلية الروم وهو :

ولما التقينا محرمين وسيرنا ... بلبيك ربًّا والركائب تعسف (١)

نظرت اليها والمطي كأنما ... غوار بها منها معاطس رعّف (٢)

فقالت أما منكن من يعرف الفتى ... فقد رابني من طول ما يتشوف (٣)

أراه اذا سرنا يسير حذاءنا ... ونوقف أخفاف المطي فيوقف

فقلت لتربيها أبلغاها بأنني ... بها مستهام قالتا نتلطف (٤)

وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا ... منًى والمنى في خيفه ليس تخلف (٥)

تفاءلت في أن تبذلي طارف الوفا ... بأن عن لي منك البنان المطرف (٦)

وفي عرفات ما يخبر أنني ... بعارفة من عطف قلبك أسعف (٧)

(١) قوله وسيرنا بلبيك ربا . معناه ان سيرهم ملابس ومصحوب بالتلبية المعروفة. وعسف الركائب خبطها في السير على غير هدى لعله لشدة الزحام أو في السرى، يقال بات فلان يعسف الليل اذا خبطه في ابتغاء طلبته (٢) الغوارب جمع غارب وهو الكاهل أو ما بين السنام والعنق، والمعاطس الأنوف والرعف الرواعف أي التي يسيل منها الدم، والمراد ان الغوارب جرحت من طول السير والاقتاب عليها حتى كان منها أنوفا راعفة (٣) رابه أوقعه في الريبة وهي الشك والتهمة، والتشوف الى الشيء التطلع اليه، أي ان تطلعه وإدمانه النظر الينا حملني اتهمه بأنه يتعمد ذلك لأمر ما في نفسه ثم صرحت بذلك تشوف لصواحبها بسيره حذاءهم اذ سرن ووقوفه اذا وقفن (٤) الترب بكسر التاء وسكون الراء اللدة وهي بالكسر من ولد معك فترباها رفيقتان لها من سنها والمستهام من جعله الحب كالهائم في الفلوات لا يهتدي سبيلا الى النجاة (٥) شرع يستميلها بالتفاؤل بنيل مودتها مستنبطا له من أسماء الامكنة وغيرها على طريق العيافة التي ستذكر في الأبيات، وبدأ بذكر منى لجعلها فالا بنيل المنى وهو جمع منية (بوزن غرف وغرفة) ومعناه ما يتمنى وقد تقدم ان خيف منى سفح جبلها (٦) طارف الوفاء حديثه وجديده والبنان الاصابع وقد يخص بالعقد العليا منها واحدتها بنانة والمطرف المخضوب بالحناء (٧) العارفة المعروف في المعاملة المراد من حديث « من أسدى اليكم معروفا فكافئوه » والاسعاف بالحاجة قضاؤها

وأما دماء الهَدْي فهي هُدى لنا　　يدوم ورأي في الهوى يتألف (١)
وتقبيلُ ركنِ البيت إقبالُ دولة　　لنا وزمانٍ بالمودة يعطف
فأوصلتنا ما قلته فتبسمت　　وقالت أحاديثُ العيافة زُخرف (٢)
بعيشي ألم أخبركما أنه فتى　　على لفظه بُرْدُ الكلام المفوَّف (٣)
فلا تأمننا ما استطعتما كيد نسقه　　وقو لا تستدري أينا اليومَ أعيف (٤)
اذا كنت ترجو في منى الفوز بالمنى　　ففي الخيف من إعراضنا نتخوَّف
وقد أنذر الإحرام أن وصالنا　　حرام وأنَّا عن مزارك نصدِف (٥)
وهذا وقذفي بالحصى لك مخبر　　بأن النوى بي عن ديارك تقذف (٦)
وحاذر نِفاري ليلة النفر انه　　سريع ، فقل من بالعيافة أعرف (٧)

---

(١) الهدي بالفتح ما يهدى الى الحرم من الانعام وهي ذبائح النسك والهدى بضم ففتح الدلالة على المطلوب بلطف والايصال اليه كذلك وهو ضد الضلال والمراد ان كلمة الهدي بالفتح فأل دال على تواصل دائم لنا (٢) العيافة التفاؤل أو التشاؤم بحركات الطير ومساقطها وأسمائها . هذا هو الاصل ثم توسعوا فيه بمثل ما ترى في هذه الابيات والزخرف الزينة والتزويق تعني انها من زخرف الكلام لا من الحقائق كقوله تعالى (يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وفي حديث قبيصة عند أبي داود « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » أي من الخرافات كالكهانة والسحر والحديث صحيح السند (٣) البرد الثوب المخطط والمفوف الرقيق : وتعني به لطافة كلامه وحسنه وكونه ينم عما وراءه (٤) أعيف اسم تفضيل من العيافة . يقال عاف الطير يعيفها اذا زجرها وتطير بها وهو ما تقدم آنفا (٥) نصدف نعرض (٦) أي وقذفي بالحصا في رمي الجمار مخبر لك بأن النوى أي البعد أو وجهة السفر (وهي مؤنثة) ترمي بي في مكان بعيد عن ديارك (٧) النفار والنفور مصدر نفر (من باب نصر وضرب) وهو الشرود بسبب مزعج ومنه نفار الظبي والدابة والنفر للقتال . والنفر التفرق . ويوم النفر وليلة النفر هو يوم ينفر الحاج من منى وهو ثاني أيام التشريق لمن تعجل ويسمى النفر الاول وثالثها لمن تاخر ويسمى النفر الثاني

فلم أر مثلينا خليليْ مودة لكلٍّ لسان ذو غرارين مُرهَفُ[1]

ومما قيل في أيام منى ولياليها ما رواه صاحب الأغاني عن معبد المغني الذي يضرب به المثل قال أتيت أبا السائب المخزومي — وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة — فلما رآني تجوّز أي خفف الصلاة وقال ما معك من مبكيات ابن سريج ؟ قلت له :

ولهن بالبيت العتيق لُبانة والبيت يعرفهن لو يتكلم
لو كان حيًّا قبلهن ظعائنا حيا الحطيمُ وجوههن وزمزم
لبثوا ثلاث منى بمنزل غبطة وهمو على سفرٍ لعمرك ماهمو
متجاورين بغير دار إقامة لو قد أجدَّ تفرق لم يندموا

فقال لي غنه فغنيته ثم قام يصلي فأطال ثم تجوز إلي فقال ما معك من مطرياته ومشجياته ؟ فقلت قوله

لسنا نبالي حين ندرك حاجة ما بات أو ظل المطي معقلا

فقال لي غنه فغنيته ثم صلى وتجوز الي وقال ما معك من مرقصاته ؟ فقلت

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج أفتنَّ ذا هوى[2]

فقال كما أنت حتى أمر لهذا بركعتين

وأما التغزل في نساء معروفات في وقائع ومشاهد كانت هنالك فكثيرة، لزير النساء الشهير عمر بن أبي ربيعة الشاعر القرشي كثير — منها قوله في أيام منى

ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفها وموقفي وكلانا ثَمَّ ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو سَنَن[3]

---

(١) أي لكل منا لسان ذو حدين مرهف من أرهف السيف اذا رقق حده ، ويعني بغراري اللسان قدرته على جعل الكلام الواحد على وجهين متقابلين متضادين كجعل أعمال النسك ومواضعه للتفاؤل وللتشاؤم فهو كالسيف ذي الحدين

(٢) الشعر لعمر بن أبي ربيعة وأنما لابن جريج الصوت . والتجمير رمي الجمار وأفتن بالهمزة كفتن من الفتنة وهو لغة نجد وفي نسخة ديوان عمر المطبوعة أفلتن

(٣) السنن بالفتح الطرق وهي مجاري الدمع

بالله قولي له في غير معتبة   ماذا أردت بطول المكث في اليمن
ان كنت تطلب دينا أو رضيت بها   فما أخذت بترك الحج من ثمن

قال ابن سريج المغني ما ظننت ان الله عز وجل ينفع أحدا بشعر عمر ابن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشدا ينشد قوله: بالله قولي له — البيتين — فحركني ذلك على الرجوع الى مكة فخرجت مع الحجاج وحججت

وقد كان عمر مفتونا بالنساء وحديثهن ولم تكن هيبة بيت الله وسائر المشاعر الشريفة لتصرفه عن مغازلتهن حتى في أثناء أداء المناسك لانه وهو مكي قد ألفها واعتادها والآفاقيون أشد هيبة وخشوعا هنالك من الحرميين في الغالب. ومما روي عنه في كتاب الاغاني أنه بينما كان يطوف رأى امرأة من أجمل النساء فوقعت في قلبه فدنا منها فكلمها فلم تلتفت اليه. فعاودها في الليلة الثانية فقالت اليك عني يا هذا فانك في حرم الله وفي أيام عظيمة الحرمة فألح عليها يكلمها حتى خافت ان يشهرها. فلما كان في الليلة الثالثة جاءت بأخيها معها الى الطواف فلما رأى عمر أخاها معها عدل عنها فتمثلت بقول جرير

تعدو الذئاب على من لا كلاب له   وتتقي صولة المستأسد الضاري

وروي ان المنصور حدث بهذا الخبر فقال: وددت انه لم تبق فتاة في خدرها الا سمعت بهذا الحديث. أقول وهو شاهد على حكمة الشرع في حظر السفر على المرأة الا مع ذي محرم. هذا وان شعر عمر يوهم انه كان من أفسق الفساق ولكن روى صاحب الاغاني عنه انه حلف في مرض موته بالله انه ماركب فاحشة قط ولا كشف ثوبا عن حرام قط، وحلف مرة بعتق كل مملوك له على ذلك وكان له في الحوك وحده سبعون عبدا.

ومما روي عن غير عمر في هذا الباب تشبيب النميري بزينب الثقفية. ذلك أن يوسف بن الحكم الثقفي والد الحجاج المشهور كان قد اعتل في بلده (الطائف) فنذرت بنته زينب لتحجن ماشية ان عوفي، فعوفي فخرجت في نسوة فقطعن بطن وَجّ (أي بطن وادي وج) وهو ثلاث مئة ذراع في يوم جعلته مرحلة لثقل بدنها ولم تقطع مابين مكة والطائف الا في شهر، وكان محمد بن عبدالله النميري الطائفي يهواها فقال في حجها أبياتا منها:

تضوّع مسكا بطنُ نعمان إذ مشت ... به زينب في نسوة عطرات [1]
تهادَين ما بين المحصب من منى ... وأقبلن لا شعثا ولا غبرات [2]
أعان الذي فوقَ السموات عرشه ... مواشي بالبطحاء مؤتجرات [3]
مررن بوجٍ ثم رحن عشية ... يلبين للرحمن معتمرات
يخبئن أطراف البنان من التقى ... ويقتلن بالالحاظ مقتدرات [4]
وليست كأخرى أوسعت جيب درعها ... وأبدت بنان الكف للجمرات
وعلت بنان المسك وحفا مُرَجَّلا ... على مثل بدر لاح في الظلمات [5]
وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت ... برؤيتها مَن راح من عرفات

وقد أراد الحجاج ان يفتك بالنميري لتشبيبه بأخته لولا أن منعه منه عبد الملك وكتب اليه ان لاسبيل له عليه على أنه ما وصفها هي وصواحبها الا بالتقى

وعلى ذكر أبيات النميري فيمن توسع جيب درعها وترفع يدها عند رمي الجمار لبرق ساعدها ، وتتراءى يوم جمع أي عند انصراف الناس منها صباحا الى منى لتفتن من أفاض اليها من عرفات — على ذكرها نقول لاعجب اذا وجد في النساء المفتونات بجمالهن من تحب ان تظهر جمالها في تلك المعاهد الشريفة كما وجد في الرجال مثل عمر بن أبي ربيعة الذي يخرج الى الحج ليغازل النساء ، ولكن هذا نادر وأكثر الشعر فيه تخيل ، ومنه قول العرجي الشاعر من أبيات كانوا يتغنون بها :

أماطت كساء الخز عن حُرّ وجهها ... وأدنت على الخدين بُرد امهلهلا [6]
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ... ولكن ليقتلن البريء المغفلا [7]

روى أبو الفرج عن عبدالله بن عمر العمري قال : خرجت حاجا فرأيت امرأة جميلة

---

(1) تضوع فاحت رائحته وبطن نعمان أي وادي نعمان وهو بين الطائف ومكة ويروى حرف القافية خفرات والخفر شدة الحياء (2) المحصب موضع بين مكة ومنى (3) مؤتجرات طالبات الاجر (4) ويروى يخمرن بدل يخبئن والمصراع الثاني * ويخرجن جنح الليل معتجرات أي متلفعات بالمعاجر على رءوسهن (5) البنان بكسر الباء جمع بنة بالفتح وهي الرائحة الطيبة والعل متابعة الشيء وأصله متابعة السقي . والوحف الشعر الكثير الحسن والمرجل من الترجيل وهو تسريح الشعر بالمرجل أي المشط . أي وعلت روائح المسك منها شعرا اثيثا حسنا مرجلا فوق وجه يلوح بينه كالبدر في الظلمات (6) البرد الضم ثوب مخطط والمهلهل الرقيق النسج والواهي أي برد لا يستر الوجه لرقته ولعله من الهلل بالتحريك وهو نسيج العنكبوت (7) الحسبة بالضم والاحتساب في العمل اعتداده ذخرا عند الله . والمغفل من لا فطنة له فيتقي فتنة النساء

تتكلم بكلام رفثت فيه فأدنيت ناقتي منها ثم قلت لها يا أمة الله ألست حاجة؟ اما تخافين الله؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسنا ثم قالت: تأمل يا عمي فانني ممن عنى العرجي بقوله

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال فقلت لها : فاني أسأل الله أن لا يعذب هذا الوجه بالنار . قال وبلغ ذلك سعيد ابن المسيب فقال : أما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها : اعزبي قبحك الله ، ولكنه ظرف عباد الحجاز (قال أبو الفرج) ورويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار — وذكر حكاية أخرى في معناها فيها ان أبا حازم قال لاصحابه: أدعوا الله لهذه الصورة الحسنة ان لا يعذبها بالنار . وأبو حازم من كبار عباد التابعين . وكان عباد العراق ولا سيما أهل البصرة منهم مشهورين بالشدة في العبادة والزهد ومنهم خرج أكابر الصوفية

وانا نختم هذا السياق بخبر أبي نواس فاسق الشعراء فقد روي أنه كان يهوى جارية لاحد الثقفيين بالبصرة اسمها جنان وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة تروي الاشعار وتعرف الاخبار فقيل له يوما انها عزمت على الحج فقال أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا ان أقامت على عزمتها ، ثم سبقها الى الخروج وقال بعد عودته:

ألم تر أنني أفنيت عمري بمطلبها ومطلبها عسير

فلما لم أجد سببا اليها يقربني وأعيتني الامور

حججت وقلت قد حجت جنان فيجمعني وإياها المسير

وروى صاحب الاغاني من خبر حجه عمن شهده وقد أحرم أنه لما جنه الليل جعل يلبي بشعر ويحدو به ويطرب فغنى به كل من سمعه وهو قوله

إلهنا ما أعدلك مليك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك لبيك إن الحمد لك

والملك لا شريك لك والليل لما أن حلك

والسابحات في الفلك على مجاري المنسلك

ما خاب عبد أملك أنت له حيث سلك

لولاك يارب هلك كل نبي وملك

وكل من أهل لك سبح أو لبى فلك

يامخطئا ما أغفلك عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك لبيك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك والعز لاشريك لك

والعبرة في هذه الوقائع والاشعار من وجوه (منها) أنه يدل على أنه لا يمكن أن يجتمع النساء والرجال الكثيرون في مكان ينظر بعضهم الى بعض الا ويكون لمغازلة النساء بالكلام أو بالنظر نصيب فيه كما قال عمر بن أبي ربيعة في أبيات مقصورة

ومن مالئ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

واذا كانت معاهد الحج لم تخل من المغازلة والتغزل في أول عصر الحضارة الاسلامية وأول العهد بتحجب النساء والدين لم يزل في قوة سلطانه على الارواح حتى ان أشد المترفين اسرافا في الخلاعة ومغازلة النساء لم يرتكب في عمره فاحشة فما ظنك في غير هؤلاء وأمثالهم وفي أهل هذا الزمان في غير تلك المعاهد؟ قال لي بعض القسيسين قد مات الدين ولا يقصد الناس المعبد الا لمغازلة النساء

(ومنها) ان أقوال الشعراء في معاهد الحج وأيامه وأعماله مما يشوق القلوب الى تلك البلاد كما وقع لابن سريج في لحن ولاجله كتبت هذا الفصل من الرحلة واني وجدت نفسي في أيام كتابتي لهذا الشعر فيه شديدة الشوق الى الحجاز ومشاعره وليالي عرفة والمزدلفة ومنى ، على انني است من المغازلة والغزل في شيء ، ولم أر هنالك ولم أسمع عن أحد شيئا من ذلك ولله الحمد

ولكنني أذكر في الكلام على هذه العبرة كلمتين لفاضلين مصريين كانا معنا في الحجاز (احدهما) قول أتقى الرجلين وأحسنهما تدينا وهو محصن انه رأى في منى امرأة في نافذة دار مقابلة للدار التي كان فيها نحل منظراً تنظر فيه فتوهم أنها تنظر اليه فشتغل قلبه بذلك مدة وجوده في منى (والثانية) قول الآخر وهو أعزب: انني لم أر في الحجاز امرأة وسيمة يشتهي المرء ان يعيد اليها طرفه فهل هؤلاء من نساء العرب اللواتي شبب بهن الشعراء ذلك التشبيب الفاتن الذي يخيل لقارئه انهن أجمل نساء الارض ؟ وياليت شعري كيف كان يكون غزلهم وتشبيبهم لو كان في نسائهم من الجمال ما نعهد في الآستانة وغيرها ؟

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ شعبان ١٣٣٦ — ١٨ الجوزاء (ر ٣) ١٢٩٦ ﻫ ش ٩ مايو ١٩١٨

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

يكثر ذكر المتفرنجين في المنار وغيره، والتفرنج مشتق من اسم الافرنج أو الفرنجة، وهذه الصيغة تبنى لمعان (منها) التكلف كتجلد فلان وتشجع وتخشع وتجرع الشراب اذا تكلف الجلد والشجاعة والخشوع وشرب مايكره و (منها) تحصيل الشيء بالتدريج كتعلم الحساب. وكل من هذين المعنيين ظاهر في استعمال كلمة التفرنج وما يشتق منها، فالمتفرنجون هم الذين يقلدون الافرنج فيما يستحسنون من العادات وغيرها بالتكلف أولا ثم يتوسعون في ذلك بالتدريج، حتى انتقل بعضهم من التقليد في مشخصات الامم التي تقوى بها روابطها كالعادات في الازياء والاكل والشرب وآداب المجالس الى ما هو من مقوماتها التي تبقى ببقائها وتفنى بفنائها كاللغة والدين والشريعة وأصول الآداب والروابط الاجتماعية المنزلية والقومية

وهؤلاء المتفرنجون فريقان (أحدهما) من كان تفرنجهم أثر التعليم العصري والتربية الافرنجية التي حببت اليهم مالقنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل أن يلقنوا ما لأمتهم من ذلك ويتربوا عليه كما يجب فكانوا كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

(وثانيهما) من يتفرنجون تقليداً للفريق الاول من قومهم الحكام والاغنياء تقربا اليهم، وانتظاما في سلكهم، وتمتعا بمثل زينتهم ولذتهم، فهم مقلدة المقلدين، بغير شبهة ولا دليل، انما كان سبب فشو هذا التفرنج في المسلمين المدارس الافرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية، التي أنشئت لتقليد الافرنج في تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضع الحاجة، على حين كان العلم بمقومات الامة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسي والاجتماعي، وما بقي منه أمسى مشوبا بما ليس منه من البدع والدخيل، وساءت طريقة تعليمه وأهملت فكرة التربية عليه بالتخلق والعمل، وقد قلت في المنار غير مرة انني لا أعرف في الدنيا مدرسة تعلم فيها اللغة العربية التعليم الفطري الذي به تكون ملكة في ألسنة المتعلمين بحيث يفهمون كلامها الفصيح في كل كتاب، ويقدرون على الاتيان به محاورة وخطابة وكتابة

بغير تكلف، كا تعلم اللغات الافرنجية في بلاد أهلها، ولا على مقربة من ذلك كما تعلم في بلادنا ؛ ولا أعرف مدرسة يعلم فيها الاسلام تعليما يفهم به كتابه وسنته وما فيهما من العقائد والاحكام والحكم والآداب فهما صحيحا يتمكن به المتعلمون من بيانه بالقول والكتابة، واثبات قضاياه والدفاع عنه بالدليل والحجة، ولا مكانا يربى فيه النشء على أخلاقه وآدابه العالية ، وانما المدارس الاسلامية التي تدرس فيها العربية والدين معاهد تعالج فيها كتب في فنون العربية والعلوم الشرعية مما صنف بعد ضعف العلم الاستقلالي أو موته قلما يوجد فيها من وضع الائمة المجتهدين شيء، ولكن يقرأ في بعضها قليل من كتب التفسير والحديث بقصد التبرك الذي لا يعقل معناه لا بقصد الاهتداء. وكل ما يقرأ من الكتب في مدارس البلاد العربية يفسر باللغة العامية، وفي مدارس البلاد الاعجمية (كالهند والفرس والترك) يترجم بلغاتها

في أثناء هوي الامة الاسلامية في هذه الهاوية من الجهل من عدة قرون كان الافرنج يصعدون في مراقي العلم الاستقلالي والتربية الاجتماعية على علم ونظام، يهتدون فيه بسنن الله في خلق الانسان والاكوان، وقد جعلوا لكل علم وكل فن ولكل صناعة وعمل جماعات تعنى بترقيته واتقانه، حتى إن الجمعيات الدينية فيهم تملك ألوف الالوف من النقود الذهبية . ولكن كان جل ارتقائهم في العلوم والفنون المادية والمالية والحربية وطرق استعمار الممالك واستخدام الشعوب لمنافعهم، وأقله في الفضائل الدينية والادبية التي ترجح الحق على القوة، والعقل على الشهوة، حتى خاف عاقبة ذلك عليهم حكماؤهم وعقلاؤهم، وقال أكبر وأشهر فيلسوف اجتماعي فيهم وهو هربرت سبنسر، لاكبر وأشهر حكيم فينا وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده — ما معناه : ان ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية على أوربة ستدعها (أي تدفعها بعنف) الى حرب مجتاحة ليظهر أي أممها الاقوى فيسود العالم .

« إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وانه ليبغي أن رآه قوي واستعلى ، وان مظاهر الغنى والقوة لغرارة خداعة ، فالفقراء يعظمون الاغنياء وان منعوهم رفدهم ، وهضموهم حقهم ، والضعفاء يخضعون للاقوياء وان أرهقوهم عسرا ، واستذلوهم عدوانا وظلما، ولا يزال بعض الشعوب على أرث منا من سلفهم الذين عبدوا الملوك واتخذوهم

آلهة وأربابا، وان زالت تلك الدعوى وعفت مظاهرها الباطلة، فيظهر أثر هذا الارث في كثير من أفرادها ، وان تبوءوا مقاعد الرياسة فيها ، واما ولوع الامم المغلوبة على أمرها بتقليد الغالبين في كل ما يسهل التقليد فيه من العادات وشؤون الحياة ، فهو سنة من أظهر سنن الاجتماع ، وقد بسط الكلام فيها حكيمنا ابن خلدون في مقدمته فهي لاتخفى على قراء العربية ، الذين يعنون بالامور الاجتماعية ، والتقليد في الامم كالتقليد في الافراد هو توطين انفس المقلد على ان يكون تابعا للمقلد في بعض ثمرات اجتهاده ، غير طامع في مساواته ، فهو يستلزم تعظيمه له واحتقاره لنفسه وقومه

ان المقلد لا ينفك مرتكسا في الضعف يخبط في ليل دجوجي

قد يشتبه أمر بعض المتفرنجين بما يدعو اليه المصلحون من الاعتبار بما أوتي الافرنج من العلوم والفنون وما اتقنوا من الاعمال، والبحث في أسباب ذلك وطرقه، والاستقلال في اقتباس ما تحتاج اليه أمتهم منه، لتقوى به وتكون أمة عزيزة قوية مثل أممهم، وانما تقوى الامة اذا حافظت على ما كانت به أمة كاللغة والآداب والعادات والشرائع التي تمتاز بها، واذا كان بعض العادات ما لا ضار افينبغي ازالته وتغييره بالحكمة والموعظة الحسنة، والتربية العملية النافعة ، بشرط ان لا يشوب ذلك شيء من تحقير الامة في أنفس أهلها، ولا اذلالها باشعارها باستعلاء غيرها عليها، وان لا تحمل على تقليد أجنبي عنها، وانما تلقن الحكمة مع اقناعها بفضلها ونفعها، و بأنها يجب ان تكون أحق بها وأهلها، كما ورد في حديث أبي هريرة عند الترمذي «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»، ومن المتفرنجين من يدعي هذا الاصلاح، و يتوهم أنه صادق لانه لا يميز بين الاصلاح والافساد ، ومنهم من يدعيه بمحض الكذب والرياء ، (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا و يشهد الله مافي قلبه وهو ألد الخصام ٭ واذا تولى سعى في الارض ليفسد و يهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)

ان الفرق بين المتفرنج المقلد و بين المصلح المستقل مما يخفى على غير العارفين بالحقائق ، ومن هؤلاء العارفين لورد كرومر الذي كان عميد انكلترة في مصر، فقد بين في كتابه مصر الحديثة من فضائح المتفرنجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا ، وان كان لم يكتبه لاجلنا ، ولا نحن عرفنا كيف نستفيد منه ، وقد أشار الى

مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون لقومهم من شؤون الحضارة بما قاله في أحد تقاريره عن مصر عند ذكر وفاة الاستاذ الامام ، وهو ان الشيخ وحزبه المعتدل يشترطون في ذلك المحافظة على أصول الاسلام، خلافاً لمن لا يبالون في هذه السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الامة التي نشأوا فيها . ولا يرجى من أجنبي غير مسلم أن يقول في كلمة استطرادية أكثر من هذا في بلد له السيطرة على حكومته ، وجل من تعتمد عليهم حكومته من رجالها هم المتفرنجون كما بين ذلك اللورد نفسه في كتابه (عباس الثاني)

المتفرنجون أصناف فمنهم المعتدلون والغلاة ، ومن الغلاة المارقون من الدين الذين يحاربون أصوله وفروعه ، وينفثون سموم الكفر والفسق في أهله ، والمارقون الذين لا يحبون أن يعرف حالهم ، فلا يتكلمون في أهل الدين ولا يحبون أن يتكلم هؤلاء فيهم ، اما لاعتقادهم ان فشو الكفر مفسدة تزيد أمتهم ضعفاً وفساداً ، وإما لكراهتهم للخوض في أمثال هذه المسائل وما تجره من القيل والقال، ومن المعتدلين الثابتون على عقيدتهم التي نشأوا عليها، والذين لهم ضرب من الآراء الجديدة فيها، وانما تفرنج هؤلاء في أبدانهم، لا في عقلهم ووجدانهم، ولا نحاول استقصاء مايكون به التفرنج وأصناف أهله في أفراده بل نقول بالاجمال انه قسمان صوري ومعنوي، ظاهري و باطني، والمعنوي الباطني ، يستلزم الصوري الظاهري، وأما هذا فلا يستلزم ذلك ولكنه يؤثر فيه بعض التأثير، فكل منهما يمد الآخر في ذلك وفي غيره ويستمد منه ، لذلك ترى بين أصحاب كل قسم من التعارف والتآلف ما لا تجده بينهم وبين المخالفين لكل منهم ، فهو لذلك يسري في الامة سريانا تدريجيا لا يشعر به الجمهور ، وانما يفطن له الافراد من العارفين بشؤون الاجتماع المراقبين لسير الامم وتقلبها وما يطرأ عليها من التغيير

أما ما يشعر به الجمهور و يتألم له من بعض شذوذ الغلاة من هؤلاء المتفرنجين وجهر بعضهم في انكار ما عليه الامة من العقائد أو العادات المحترمة فمثله فيه كمثل العامي الجاهل الذي يصاب بالداء الافرنجي، يتألم لكل قرحة تعرض له من أثر الداء ويطلب لها الدواء ، ولكنه لا يعرف خطر الداء في عامة بدنه ، ولا فعله في

تسميم دمه ، ولا يطلب له العلاج في غير أوقات التألم من الاعراض الحادثة ، ولا يصبر على تناول الادوية التي يرجى أن تنقي دمه من ذلك السم في الزمن الطويل

ترى هذا الجمهور الذي ضربنا له المثل يصيح ويشكو قولا وكتابة عند كل صوت يجهر بمخالفة دينه وآدابه وعاداته: فلان كفر ، فلان فجر، وأما العالم بشؤون الاجتماع فهو كالعالم بالطب أو بحفظ الصحة كلاهما يهتم بالعلل المادية وأسبابها والعلاج الذي يستأصلها لا بأعراضها الذي تظهر تارة وتخفى أخرى . ويا ليت الجمهور يتبع الطبيب الاجتماعي الذي يستصرخه عند كل صيحة تؤلمه من مهاجميه في عقائده أو غيرها من مقوماته الملية كما يتبع مريض البدن طبيب الابدان ، اذاً لسهل التوقي من خطر هؤلاء الذين تقطعت الاسباب وانفصمت العرى التي تربطهم بأمتهم، وتعذر عليهم الاتصال بأمة أخرى يكونون أعضاء حية فيها، ففقد جمهورهم الشعور بالحياة القومية والملية، فأمسى لا يهتم الا بلذاته الشخصية، ومنها أن يكون محترما مكرما بين من يعيش معهم، فهو يدعوهم الى أن يكونوا مثله مدعيا ان ذلك خير لهم، كما انه يكون عونا لكل ذي سلطان عليهم ، يساعده على كل ما يريده منهم ، ومن دون هذا الجمهور أفراد يعز عليهم أن لا يكون لهم أمة، فهم لشدة حاجتهم الى الامة التي انفصلوا منها في الباطن يريدون أن يجذبوها اليهم ويجعلوها أمة أخرى بمقومات ومشخصات مذبذبة لا هي اسلامية صحيحة ، ولا هي أفرنجية خالصة، ليكونوا أعضاء رئيسة لها في هذا الخلق الجديد المتخيل، بعد ان صاروا فيها كالاعضاء الاثرية أو زوائد الاظفار والاشعار التي جرت العادة بقصها والقائها ، وهؤلاء الافراد الذين يفكرون في تكوين الامم قليلون ، ولكن الذين يلغطون بهذه الالفاظ كثيرون، ولم يظهر في متفرنجينا فرد صلح لتكوين أسرة صالحة، أو تأسيس جمعية نافعة ، فأين هم من افناء أمة كبيرة وإعادتها خلقا جديدا ؟ لا أنهم بضعف الامة في نفسها، وبمساعدة القوى الغريبة لهم عليها ، ليستطيعون شيئا من الهدم دون البناء، ومن الاماتة دون الاحياء

قلنا ان جمهور المسلمين يشكو ويتألم من كل صوت يسمعه من هؤلاء الذين يدعون ارادة إصلاحه واحيائه، وانما يشكو من أعراض الداء لا من سمه وأسبابه، ونقول أيضا انه كلما سمع صوتا منكرا من تلك الاصوات ، يفزع الى من يثق بهم،

من العلماء والكتاب : انصروا الدين ، ردوا على الملحدين ، ويقنعه كل ما يقال ويكتب بعنوان الرد ، وإن كان من قبيل الطعن والسب

وقد سمعنا في هذه الأيام صوتاً من هذه الأصوات ، ولولا حالة الحرب وما اقتضته من الرقابة على المطبوعات ، لكان جهر الشكوى منه ، أضعاف ما عهد في مثله ، ذلك صوت رجل من أعضاء النيابة ، تجنى على جمهور عظيم من رجال القضاء [illegible] الخطابة ، ثم طبع في رسالة ، ووزع على الناس كافة ، موضوعه وضع [illegible] الإصلاح [illegible] قانون الأحوال الشخصية [illegible] الشريعة الإسلامية ، وقد رغب إليه بعض الفضلاء في [illegible] في [illegible] ذلك بمجرد اطلاعه عليه ، و[illegible] في [illegible] شرعية ، ولا نقول في شخص واضعه شيئاً دون أن نعرض [illegible] في نفسه ، ومن عرف الحق عرف أهله ، وموعدنا الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

نقد ذكرى المولد النبوي

لصاحب الامضاء الرمزي

(الموضع الأول) في صفحة (ه ي من المقدمة حققتم أن عمل الموالد بالشكل المعروف بدعة وانكم تتحامون عن عمل شيء باسم المولد فأحسنتم وأجدتم . ثم ذكرتم أن البكري دعاكم فتوسلتم بإجابة الدعوة الى تنفيذ فكرة استبدال الضار من الموالد بالنافع — فهل هذه الفكرة غيرت حكم هذه البدعة وأخرجتكم من المحدثين ؟ لا أظن ذلك بل لا أرى وضع المولد يليق بأمثالكم — القائمين بالاصلاح ومحاربة البدع وخصوصاً على الصورة التي طبع عليها مختوماً كل فصل منه بالصلاة البتراء فلو اكتفيتم بنشره في المنار مع الارشاد الى جعل تلاوته بصورة الخطابة لربما كان أنسب ، وعن الصورة المألوفة أبعد

(الموضع الثاني) في أول الصفحة الرابعة من ذكرى المولد ذكرتم ما نصه: كيف

*) في الاصل صاحفة في كل موضع من الرسالة فابدلت في المطبعة بصفحة

كان اصطفاء الله تعالى لهذه الاصول من الامة العربية ، الذي ثبت في صحيح مسلم وغيره من كتب السنة السنية ، و بماذا امتاز قوم خاتم الرسل الخ . العبارة في ذوقي السقيم غير مستقيمة ولم يظهر لي صلاحية شيء مما بعدها للجواب عن « كيف كان » وجعله جواب عن « و بماذا امتاز » فحذف السؤال الاول والاقتصار على الثاني لعله أظهر

(الموضع الثالث) في الصفحة الخامسة قولكم : أيام كانت الامم مرهقة بالاثرة والاناتية والاتين من ثقل الضرائب الخ لعل الاولى حذف لفظ والانين او ابداله بلفظ وتئن ليصح العطف أو ليكون أوضح

(الموضع الرابع) في الصفحة السابعة قولكم : أما اصطفاء الله الكنانة فيفسره الخ وقولكم : وأما حج العرب اليه فهو دليل الخ لعل الاولى : اصطفاء الله الكنانة يعلم مما كانت تحفظه العرب من اخبارها الخ وحج العرب اليه دليل الخ بحذف لفظ أما ولفظ فهو

(الموضع الخامس) في الصفحة الثامنة ذكرتم بالحواشي تفسير الندوة بالشورى وخصصتموها باجالة الرأي بعد البعثة للائتمار به صلى الله عليه وآله وسلم هكذا والمعروف ان الندوة محل الشورى مطلقا وان الذي بناه قصي وجعل بابه للكعبة كما نقلتموه في الصفحة نفسها عن ابن اسحاق . وكذلك فسرتم اللواء براية قريش وانه كان يسمى العقاب والمعروف ان العقاب اسم راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في القاموس صفحة ١٠٧ .

(الموضع السادس) قولكم في الصفحة التاسعة « كان ذلك كله من ارتقاء قريش واستعداد العرب للاسلام، ولكن هذه القوى المعنوية كلها وجهت لمعاداته عليه وآله أفضل الصلاة والسلام » لعل حذف هذه العبارة المشعرة بغاية الهجو والموهمة ان جميع قريش وجهوا جميع قواهم لمقاومته أولى واليق لان السياق في مدح قريش وشرح المزايا التي فضلوا واستعدوا بها للاصلاح الروحي والمدني ولان الواقع خلاف ذلك فليس كل قريش وجهوا قواهم لمعاداته صلى الله عليه وآله وسلم اذ منهم السابقون للاسلام مع اخفائه لمصلحة الذب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كابي طالب رضي الله عنه ومنهم السابقون له المتحملون لمشاق التعذيب كآل ياسر ومنهم

السابقون القائمون بنصرته صلى الله عليه وآله وسلم ونشر دعوته، والذب عن حوزته، المؤثرون له صلى الله عليه وآله وسلم على أنفسهم، القائمون بمساعدته بكل ما في وسعهم، كحمزة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم من أجلاء الصحابة الذين هجروا وطنهم رغبة في صحبته وملازمة خدمته صلى الله عليه وآله وسلم بل منهم مع عدم اسلامه في أول البعثة من تحمل مشاق الحصر مع بني هاشم في الشعب ايثارا لنصرته صلى الله عليه وآله وسلم ومساعدته. على ان الاسلام ما اعتز ودخل في طور القوة والمنعة الا بعد اسلام من تأخر منهم ؛ فكانوا القائمين بنصرته ونشر دعوته صلى الله عليه وآله وسلم، الباذلين أرواحهم في حماية بيضته في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم و بعد وفاته ، وسيبقون ان شاء الله كذلك الى قيام الساعة. ولعل الحكمة في ذلك رفع التهمة عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم. ولله در العلامة الشيخ عبد العزيز الزمزمي حيث أشار في همزيته لذلك فقال

خيرة الله من قريش وما أد	راك من هم مكانة وعلاء
نسب بالعلا علا فنرات	درر الافق تحتها حصباء
شرف شامخ الذرى وفخار	ثابت صبر الجبال هباء
أنزل الله في قريش لايلاف	قريش فزادهم آلاء
شرف الله قدرهم بنبي	خالقوا من نجاره شرفاء
واصطفاهم لاجله واجتباهم	فغدوا سادة به نجباء
ذب عنهم صونا لهم ورعاهم	وحماهم ممن نوى الاسواء
أظهر الله فضلهم من قديم	بحديث في فضلهم عنه جاء
ثم لما جاء النبي اليهم	أبطأوا عنه لا قلى وجفاء
كيف يجفونه وقد الف الله	عليها ضبابها والظباء
لكن الله وحده قد تولى	نصره حفلة به واعتناء
لو تولوه داخل الشك قوما	عاينوا حزب نصره القرباء
فقضى الله ما قضاه الى ان	شاد أركان دينه والبناء
دخلوا فيه مرعبين فصاروا	فيه للناس قادة رؤساء

جعل المصطفى الامامة فيهم اذ رآهم لجودها أكفاء
ورثوا الامر بعده فأقاموا إعوجاجا من العدا وانحناء

(الموضع السابع) في الصفحة العاشرة قولكم فجملة ما امتاز به آله صلى الله عليه وآله وسلم الخ . لعل ثبوت بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة لا يصح قبل الاسلام ولا بعده . أما قبل الاسلام فلمنافاته ما قدمتموه من أن الندوة واللواء والسفارة والاعنة والقبة من المناصب المختصة بهم ، وكلها من الامور الحربية ، ولمنافاته أيضا ما قدمتموه من أن كنانة كان مثابة التحالف ، وأن مالكا وقصيا ملكا العرب، فهل الرياسة غير هذا ؟ وأما بعد الاسلام فلمنافاته ما هو معلوم من حملهم لألوية القتال وقيادة الجيوش لمحاربة الاعداء في بدر وأحد وخيبر وحنين، بل لم تدر رحى الحرب في المدارك المشهورة الا على محور الآل ، فهم قطب رحاها بلا جدال ، وهم الثابتون معه صلى الله عليه وآله وسلم في المواضع التي فر فيها الابطال . فهل الامور الحربية التي بعدوا عنها غير هذا ؟ ولله در أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي حيث يقول كما نقله في الاستيعاب

لقد علمت قريش غير فخر بأنا نحن أجودهم حصانا
وأكثرهم دروعا سابغات وأمضاهم اذا طعنوا سنانا
وأرفعهم لدى الضراء عنهم وأبينهم اذا نطقوا لسانا

وقولكم في الصفحة المذكورة واذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام الخ تغلب الغير عليهم في الرياسة بعد الاسلام لا يستلزم بعدهم عنها وعدم استحقاقها، والا لنافى ما تواتر عن علي وابنيه الحسن والحسين من قيامهم بطلب الخلافة واحتجاجهم على من قاومهم بالبراهين ومحاربتهم الطاغية معاوية وأذنابه ، وانضمام الصحابة الا من شذ الى علي وابنيه عليهم السلام

ربما يقال ان الدليل على ذلك كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يولي غيرهم ويتركهم فالجواب عن ذلك ان التولية منه صلى الله عليه وآله وسلم لاشخاص كعمرو بن العاص وعدم توليته لآخرين كأبي بكر وعمر لا يمكن أن يكونا دليلا على استحقاق الأول للخلافة وعدم استحقاق الآخرين لان ذلك من وقائع

الاحوال المطروقة باحتمال أن يكون كل من التولية وعدمها لمقاصد مهمة. فمن مقاصد التولية تأليف قلب المولى أو استجلاب ود عشيرته (ومنها) ازالة نفور الناس عنه لاستنذارهم له من حيث تلطخه بحمئة عداوة النبي والمسلمين (ومنها) قصد ابعاده للسلامة من دسائسه (لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) ومن مقاصد عدم التولية لاشخاص قيامهم بحراسة النبي والذب عن حوزته ومساعدته (ومنها) قيامهم بتلقي أحكام الشريعة ليبلغوها للامة وخصوصاً آل بيته، فهم هالة طلعته، وثقات أمته، وهم العدول المنصوص اتفاقهم ، المشهود بأنهم والقرآن في قرن الى قيام الساعة ، رضوان الله عليهم أجمعين

وقولكم في آخر الصفحة فهو أنفى للشبهة عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم قد يقال انه لو كان فيما ذكر محل شبهة لكان لتفضيلهم والامر بالصلاة عليهم وفرض مودتهم وموالاتهم وفرض الخمس لهم أكبر شبهة وأعظم تهمة وليس الامر كذلك والله أعلم

(الموضع الثامن) في الصفحة الثالثة عشرة ذكرتم بعض أولاد عبد المطلب والمقام يقتضي استيعابهم لان الاقتصار في محل البيان يوهم الحصر وزيادة سطر لا تطول به القصة

(الموضع التاسع) في الصفحة الثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم لقي من قومه أشد الجحود والايذاء الخ لعل الاولى : من زعماء قومه الذين أشقاهم الله فصدوه عن تبليغ دعوة ربه ومنهم عمه أبو لهب القائل الخ لما قدمناه من قيام كثير من قومه بمساعدته وإجابة دعوته

(الموضع العاشر) في الصفحة الحادية والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو الناس أن يحموه للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قريش أحد الخ لعل الاولى : كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه ليقوم بهذا الامر فحال زعماء الشرك دون ذلك محاولة لاطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يتم نوره فهدى الله للايمان به ستة نفر من أهل يثرب الخ لما تقدم أيضا

(الموضع الحادي عشر) في الصفحة السابعة والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم ثبت وحده في يوم أحد الخ والذي أذكره انه ثبت معه بضعة نفر من

قريش وبني هاشم وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها اشعارا بمزايا الاصطفاء التي ذكرتموها

(الموضع الثاني عشر) في الصفحة الحادية والاربعين ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء التبليغ عشر سنين والمشهور انها بضع عشرة سنة . ثم ذكرتم في الصفحة الثانية والاربعين حال الاسلام في تلك المدة وما لاقاه صلى الله عليه وآله وسلم مع السابقين من المؤمنين وصبرهم على الاضطهاد الخ ثم دخول الاسلام في عهد الحرية الخ ولم تذكروا دخوله في عهد القوة والمنعة بعد فتح مكة بدخول قريش واتباع العرب لهم مع ان ذلك هو مظهر مزايا الاصطفاء فلعل إلحاقها يكون في المستقبل ان شاء الله تعالى

(الموضع الثالث عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم في الحواشي حديث الثقلين ثم قلتم: وفسر زيد أهل بيته بمن تحرم عليهم الصدقة الخ ثم قلتم ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام الخ وظاهر تقديمكم تفسير زيد والتعبير في مقابله بلفظ يقول آخرون يشعر باعتماد ما قاله زيد رضي الله عنه . ولعل الصواب ما يقوله الآخرون كما حققه شيخ مشايخنا العلامة مولانا السيد أبو بكر ابن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي في كتابه رشفة الصادي

ولعل ملخص ما حققه العلامة ابن شهاب ان المراد بأهل البيت في آية التطهير علي وفاطمة والحسن والحسين عند جمهور العلماء وأكابر أئمة الحديث المعتمد بروايتهم ودرايتهم وان الادلة تضافرت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمصير الى تفسير من أنزلت عليه الآية متعين

دعوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم

فمن ذلك ما أخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت في بيتي نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم بكساء ثم قال هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه

عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها على منامة عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادعي لي زوجك وابنيك حسنا وحسينا فبينما هم يأكلون اذ نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انما يريد الله) الآية فأخذ النبي بفضلة كسائه فغشاهم اياه ثم أخرج يده من الكساء فألوى بها الى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالها ثلاث مرات . قالت أم سلمة فأدخلت رأسي في الستر فقلت يارسول وأنا معكم فقال « انك الى خير » مرتين . وذكر ابن كثير والسمهودي طرقا كثيرة لحديث أم سلمة هذا وأخرج الامام أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة ما يقاربه في المعنى. وكذلك روي عن واثلة ابن الاسقع ما يقاربه — الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على ان المراد بأهل البيت من ذكر . ولا التفات لمن خالف ذلك ، ولا يمنع هذا الحصر دخول أولاد من ذكر وذرياتهم الى آخر الابد في هذا المعنى المراد شمول لفظ أهل البيت لمن سيوجد منهم — كشمول لفظ الامة لمن سيوجد منها لاسيما والاحاديث مصرحة بذلك كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » الى أن قال « وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وكقوله عليه وآله الصلاة والسلام « أهل بيتي أمان لاهل الارض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض » الى غير ذلك من الاحاديث والاخبار الدالة قطعا على ان هذه السلالة الطاهرة هم أهل البيت المطهرون وانهم المرادون بكل ما ورد في فضل أهل البيت من الآيات والاحاديث وأنهم عدول هذه الامة وانهم لن يفارقوا الكتاب الى يوم القيامة، وانهم أحد الثقلين المؤمور بالتمسك بهما، وقد أجمعت الامة على ذلك الا باختصاره وبعد وجود النص بعدم ادخال أم سلمة بل وعائشة في رواية هل يمكن تفسيره بما يشمل آل العباس وخصوصا والحديث في الحض على التمسك بأهل البيت فهل يعقل ان نحض على التمسك ببني العباس وسيرهم معلومة لدى العام والخاص

(الموضع الرابع عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم انهم (أي الآل)

كانوا أحفظ الناس لهديه صلى الله عليه وآله وسلم وانه لا يخلو عصر من طائفة أو أفراد من الهداة المصلحين منهم وان فتن الكثير منهم بغلاة المحبين الخ واهل المناسب وان فتن بعضهم واغتر بشرف نسبه وترك العلم والاعمال النافعة غافلا عن قول جده علي الخ لان اثبات الفتنة للاكثرية ينافي آية التطهير كما لا يخفى . ثم ذكرتم في حديث الثقلين رواية عن أبي هريرة وأن فيها ابدال لفظ العترة بلفظ السنة، وأن لا معارضة بينها الخ يظهر للعاجز ان رواية الابدال المذكورة على حذف مضاف أي حملة سنتي فتكون مخصصة للرواية الاولى كما ان الاولى مخصصة للثانية فالمعنى حملة سنتي الذين هم من عترتي ، أو عترتي حملة سنتي ، وأيضا يظهر أن المراد بالطائفة من أمته التي لا تزال ظاهرة على الحق قوامة على أمر الله الى أن تقوم الساعة هم عترته الحاملون لسنته والله أعلم

من ملاكه سلخ جمادى الاولى سنة ١٣٣٦

ن . هـ . د

رحلة الحجاز

٩

النفر من منى الى مكة

لما كان يوم النفر رمينا الجمرات لآخر مرة وفي الاصيل شددنا الرحال ونفرنا من منى هابطين الى مكة المكرمة حامدين لله شاكرين له ما وفقنا لاتمام مناسكنا ، راجين من فضله وإحسانه أن يكون حجا مبرورا، وسعيا مشكورا ، وعملا مثابا ، ودعاؤنا مستجابا ، ويالله ما أحلى الشعور الذي يستولي على المرء في أثناء هذا النفر ، فانه على فراقه لذلك المعهد القدسي الذي وصفنا في الفصل السابق ماله في النفس من عظيم الانس تراه يفارقه قرير العين مطمئن القلب جم السرور فرحا بفضل الله ورحمته ، وذلك شأن الانسان بعد إتمام كل عمل من الاعمال النافعة التي يهتم بأمرها ، يفرح في عاقبة إتمامه بقدر ما كان من عنايته به وتعبه فيه ، وبقدر مكانة العمل نفسه من نفسه ، وما يرجو من فائدته ونفعه ، سواء كان ذلك في دنياه أو دينه ، فمن لم

يأل جهداً في أداء المناسك أفاض من منى وهو بحيث وصفنا من الغبطة الروحية ، والسكينة والطمأنينة ، التي يعبر عنها بعض الناس براحة الضمير ، ومن قصر في شيء من تلك الاعمال ولو بترك العزيمة والافضل خالج غبطته وطمأنينته بعض التمني ولوم النفس : ليتني فعلت كذا ، وسأفعل كذا في حج آخر ان شاء الله تعالى . كما تمنى بعض رفاقنا لو باتوا الليل كله في المزدلفة معي

المقام بمكة بعد الحج

قد كنت أرجأت أمورا مما أنوي عمله في مكة الى ما بعد الحج (منها) ماأشرت اليه قبل من زيارة جميع الذين تفضلوا بزيارتي ولم تيسر لي زيارتهم قبل الحج (ومنها) زيارة كثير من المعاهد التاريخية والآثار النبوية في مكة وضواحيها الذي أشاأن أخلط ذلك بأعمال النسك كما يفعل بعض العوام الذين يعدون بعض ذلك من أعمال النسك أو من الاعمال المطلوبة شرعا ولو لغير النسك، ولا يطلب شيء من ذلك شرعا ، لا وجوبا ولا ندباء الا من كانت له نية صالحة في شيء من ذلك وجاء به على وجه يعرفه الشرع ولا ينكره . (ومنها) شراء أشياء كثيرة مما يباع في مكة بعضها لانفسنا وبعضها لاجل اهدائه لاصدقائنا (ومنها) وهو أهمها شرح ما عندنا من الحقائق في الحالة السياسية الحاضرة لمن يجب شرحها له بعد أن كنا فتحنا أبواب بعض مسائلها فكان الحديث في أكثرها اجماليا ولا يغني فيها الا البيان والتفصيل

لم نلبث أن بدا لنا ما لم نكن نحتسب وفاجأنا ركب المحمل المصري بسفره يوم الخميس ١٤ ذي الحجة من مكة المكرمة الى جدة ، وعلمنا انه قرر ركوب البحر في ثاني يوم وصوله اليها ، ولو سافرنا معه لما أمكننا أن ندرك شيئا مما نريد من مكة ، فعزمنا على التخلف عنه يوما واحداً وهو منتهى ما نملك من التأخير ، وما ذا عسى يغني عنا اليوم الواحد مما كنا نقدر له أسبوعا كاملا لا نستكثره عليه ؟ على اننا أدركنا في ذلك اليوم بتوفيق الله تعالى وعناية المحبين ما لا يدرك الا في أيام ، فابتعنا بعض ما نحب من الحلي والحلل من منسوجات الهند الموضونة وغير الموضونة وبعض منسوجات الشام وبلاد الترك والصين وغير ذلك مما يشتري مثله الحجاج عادة ، وكان الفضل في شراء ذلك في وقت قصير مع أمن غبن التجار لنا فيه لصديقنا الشيخ

حسين باسلامه وهو من أشهر أدباء مكة وتجارها ، وقد تركنا ما كنا نبغي من الزيارات بأنواعها ، ولكن الله تعالى منّ علينا بما هو خير منها كلها ، وهو التشرف بدخول بيته العتيق المعظم والصلاة والدعاء فيه

دخول الكعبة المعظمة

دخلت المسجد الحرام في وقت الضحى من يوم الجمعة (١٥ ذي الحجة) فوجدت باب البيت العتيق المعظم مفتوحا وفيه بعض شبان آل الشيبي الكرام فرأيت الفرصة سانحة للتشرف بالدخول فيه والوقت هادئ لا يكدر صفوه احتفال ولا ازدحام ، وكان يرافقني الشيخ حسين باسلامه فبلغ من هنالك من الشيبيين رغبتي فقابلوها بالقبول والارتياح ، فتوضأت من بئر زمزم وأدلى الشيبيون لي السلم، فصعدت فدخلت متذكرا دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، متمثلاً حاله في ذلك اليوم العظيم يوم الفتح ، ففاجأني من الهيبة والخشوع والبكاء ما لم يسبق له نظير ، ووقفت زمنا لا أستطيع فيه الاحرام بالصلاة ولا النطق بالتكبير ، وقد ذكر لي رفيقي باسلامه في هذه الحال المكان الذي صلى فيه صفوة الله من خلقه وعينه بالاشارة على حسب ما بينه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري فصليت فيه ركعتين هما أرجى ما أحتسبه عند الله تعالى من التطوع ، ثم صليت في كل جهة من الجهات الثلاث الاخرى ركعتين

ودخول الكعبة ليس من مناسك الحج خلافا لماحكاه القرطبي عن بعض العلماء، واختلفت الرواية في دخول النبي (ص) البيت وصلاته فيه. والتحقيق الذي جمع به بين الروايات الصحيحة المتعارضة أنه دخله في عام الفتح لافي حجه ولا في عمرته، وأنه صلى فيه ركعتين بين العمودين المقدمين جاعلا الباب وراءه و بينه و بين الجدار الذي صلى اليه ثلاثة أذرع بذراع الآدمي تقريبا لا تحديدا ، وليس من السنة تتبع المواضع التي صلى فيها النبي (ص) للصلاة فيها ، ولا مواقفه في النسك كما تقدم في الكلام على موقفه في عرفات ، وكذا سائر عباداته، ولم يرو عن أحد من علماء الصحابة انه فعل شيئا من ذلك الا عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) فهو فعل غير مشروع وغير ممنوع، الا أن يؤتى به على وجه يكون به بدعة وهو جعله كالمشروع بالتزامه أو

بالاجتماع عليه كالشمائر، فاذا خلا من شبهة البدعة كان كبير الفائدة لذي اللب ، لما فيه من حسن الذكر الذي يخشع له القلب، ولعله لم يشرع لئلا يترتب عليه الحرج الشديد بالتزاحم واتعذر فعله على العدد الكثير كما لو أراد كل حاج أن يقف حيث وقف (ص) ولسد ذريعة الشرك اذ يخشى على ضعيف العلم بالدين أن يغلو فيه فيجعل للرسول شركة في العبادة التي يتتبع آثاره فيها (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وانما ذلك بتوجيه الوجه واسلامه اليه وحده في العبادة

﴿ وداع الامير وصفاته ﴾

علمت ان أمثل الاوقات لوداع الامير ما بعد صلاة الجمعة فقصدت عقب الصلاة حجرته التي يصلي فيها وهي في جدار الحرم الجنوبي فألفيته جالسا في القسم الخارجي من الحجرة وفي حضرته بعض الكبراء وفي مقدمتهم رئيس الوكلاء والشيخ محمد صالح الشيبي الكبير رئيس مجلس الشيوخ، وكان معي السيد عبدالله الزواوي وكيل المجلس، وعلمنا انه كان في القسم الداخلي حيث صلوا الجمعة بجله الشريف عبدالله وكيل الخارجية مع بعض الناس. فلما دخلت على الامير تلقاني بالحفاوة والاكرام، فاستلمت يده لتقبيلها فحاول تواضعه التمنع من ذلك ، ولما جلسنا تفضل بكلمات من المجاملة كادت تذيبني خجلا ، ونكتفي من كلامه بما دون الاطراء الذي تقتضي الحال حذفه وهو قوله موجها الخطاب للحاضرين : هذا فلان ... صاحب المنار كلكم تعرفونه وتعرفون ماله من الغيرة والاخلاص والجهاد في خدمة الاسلام .. وهو قد جاءنا في هذا العام حاجا.. وكنا نتمنى أن يبقى عندنا ولكنه صاحب عمل كبير في مصر وهو قد رأى وعرف كل شيء عندنا وظهر له اننا الى الآن لم نقف امام عتبة عمل من الاعمال (وكان ذكر في سياق حديثه ما ينوي من ضروب الاصلاح العلمي والعملي) التي لابد لنا منها، وأن همنا محصور في اخراج المتغلبة من بلادنا ولا يتم ذلك الا بفتح المدينة المنورة فمتى تم لنا ذلك وأردنا البدء بالاصلاح الذي نبغيه فاننا نرجو من غيرته أن لا تمنعه أعماله في مصر من اجابتنا الى ما نطلبه من معاونته وارشاده، وهو الآن يقدر أن يخدم حركتنا في مصر أكثر مما يخدمها هنا لو أقام بيننا

فلما أتم كلامه شكرت له ما أراه مبالغة في حسن الظن والمجاملة ، وذكرت ان

هذا التواضع عن كمال الرفعة قد أخجلني حتى عقد لساني ولم يبق لي الا أن أقول إنني أعد نفسي كجندي صغير مستعد في كل آن لخدمة دينه وأمته بالاخلاص ، وأعاهدكم امام بيت الله تعالى على انني لا أدعي الى عمل أستطيعه في خدمتهما الا وأبذل فيه كل جهدي مادمت معتقدا أنه حق، وانه لا يثنيني عن ذلك منفعة شخصية ولا أهل ولا ولد، فانني نشأت على العمل بما يوجبه عليّ اعتقادي ويطمئن اليه قلبي. ثم قمنا وتقدمت لوداعه، ومحاولة تقبيل يده فأخذ بيدي وتوجه بي الى بيت الله عزوجل من حيث يرى من نافذة المكان وقال : أسأل رب هذا البيت ان يجمعنا ولا يجعل هذا آخر العهد بيننا . ثم ودعت الحاضرين وانصرفت حامدا شاكرا

صفات الامير وشمائله

قد آن أن أذكر في هذه الرحلة بعض ما علمته واستنبطته من صفات هذا الامير الجليل ومزاياه التي يوافق ذكرها مقتضى الحال فأقول: انه حوى جل أخلاق ملوك الشرق وأمرائه العظماء ، وانفرد بصفات ورثها من أجداده الشرفاء، فمن ذلك قرى الضيوف واجازة الوفود، وعزة النفس والثقة بها والاعتماد عليها، والثبات والاصرار على ما يأخذ به ويجري عليه فقد تتزلزل الجبال دونه ولا يتزلزل، وشدة الحذر، وسوء الظن الذي عد من أزكى الفطن ، حتى كأن نصب عينيه قول الشاعر

وانما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعول في الدنيا على رجل .

ولذلك تراه ينظر في كل شيء من شؤونه الخاصة، وشؤون البلاد العامة، حتى أمور المنزل وشؤون الضيوف والوفود ونفقاتهم ، ومصالح البدو وصلاتهم ، وقد أعطاه الله تعالى قوة غريبة فهو يشتغل بالنظر في ذلك كله عامة النهار ولا يشكو مللا ولا تعبا ، وقد كلمته في مسألة الاشتغال بالجزئيات ووجوب نوطها ببعض العمال ، وجعل وقته الثمين خاصا بالمصالح العامة والامور الكلية ، ووضع نظام لذلك ، فقال ان هذا ضروري لا مندوحة عنه ونحن لا نزال نجري على نظامنا القديم، والتحول عنه الى غيره لا يتأتى الا في زمن غير قصير، قلت نعم وانما الغرض وضع النظام له والبدء فيه

ومن أخلاقه وشمائله توخي التواضع في القول والفعل ، مع المحافظة على الوقار وابهة الملك ، والادب العالي في مخاطبة الجليس ومجاملته ، مع الاشارة الى ما تقتضي

الحال من معارضته ، وهو على آدابه وتواضعه شديد الوطأة على المجرمين والمخالفين السياسيين، يأخذهم بأشد العقاب الذي يرهب كل من تحدثه نفسه بأن يعمل على شاكلتهم ، لا يخاف في ذلك لومة لائم ، (ومنها) العفة والنزاهة فهو مقتصد في تمتعه بالطيبات ، عزوف النفس عن الانهماك في الشهوات ، (ومنها) الشجاعة والاقدام على مكافحة الاخطار ، لا يخاف الموت على نفسه ولا على ولده ، ولذلك جعل أنجاله الاربعة قوادا لجيوشه ، يكافحون المهالك بأيديهم ، ويناطحون الموت بنواصيهم ،

وهو يحب وطنه (الحجاز) حبا عظيما ، ويكرم الحفاة العراة من أعرابه تكريما ، وطالما نوهنا بما علمنا من براعته في سياستهم وحفظ الامن بينهم، وقد رأيناه يقضي في مقابلتهم عدة ساعات من كل نهار، وهم يدمرون عليه بما اعتادوا من الحرية والاستقلال

أما معارفه وآراؤه في السياسة والامور الاجتماعية فليس الخوض فيها من مقتضى الحال في هذا الوقت ، ولم يكن يسهل العلم بتفصيلها من المذاكرات القليلة التي دارت بيني وبينه وان كنت كلمته فيها بحرية واستقلال قلما يكلمه بمثلهما أحد ، لانه قليل الكلام لا يطيل المراجعة والحوار في المسائل ليعلم كنه غوره فيها ، ولكن الزمان سيبين كنه ذلك كله بما يظهر من تصرفه في شؤونها .وقد وقفت منه على آراء سيكون لها أعظم شأن في سياسته (منها) يأسه من الدولة العثمانية ولولا هذا اليأس لما أقدم على ما أقدم عليه، كما أشرت الى ذلك في خطبتي السياسية بمنى بين يديه ، ثم انه كلمني في هذا الموضوع بعد النزول من منى، وعده من الامور التي عبرت فيها بالخطبة عن رأيه قبل الوقوف عليه (ومنها) انه له ثقة بالدولة البريطانية وتقديرا لقوتها وعظمتها لا حد لها ، ولا سلطان لشيء عليهما ، (ومنها) ان ماشاهده من التطور والتحول في سياسة الدولة العثمانية وافضاء ذلك الى جعلها كالكرة في أيدي جمعية الاتحاد والترقي قد ضاعف مافي فطرته وتربيته من كراهة الآراء والافكار التي نشأ عنها ذلك الفساد، وشدة الحذر من أصحاب أمثال هذه الآراء والافكار، وقد ذكرت في هذه الرحلة ما كان أعجبني ووافق رأيي من خطته السياسية التي أفصح عنها في منشوراته ، وأشرت الى ما طرأ بعد ذلك من التحول فيها فلا أعيده ، وانما أقول انه جاء موافقا لما ذكرت هنا من آرائه الراسخة فظهر ان التجارب لا تزيدها الا رسوخا وثباتا

وانني أختم الكلام بتكرار الشكر والثناء على حسن ضيافته لي واكرامه إياي، فقد غمرني بكرمه وجوده، وكان من دقة لطفه وكمال ذوقه في ذلك أن جعله بطريقة لا مجال للاعتذار عن قبول شيء منه ، وقد كنت قلت أول مقدمي لبعض المقربين منه كلاما عن عادتي التي شرحتها في المنار عند رحلتي الى الهند ، وهي انني لا أقبل أن تشاب خدمتي للعلم والملة والأمة بشيء من شوائب المنافع الشخصية، حتى انني كنت أعلن في تلك الرحلة انني لا أقبل الهدية.. ورجوت أن يتلطف في تبليغ ذلك وان أدري أفعل أم لا ، ولكنني بعد شد الرحال وعند ارادة الركوب وصلت الي جائزة سنية ، أو هدية هاشمية ، أردت أن أكلم من جاء بهـا في شأنها فقال هكذا أمرت وأنا لا أعلم شيئا الا انني عبد مأمور أمرني سيدنا فنفذت أمره، وانصرف، فعجبت من هذا اللطف الدقيق ، والذوق السليم ،

طواف الوداع وتوديع الاخوان

في أثناء اشتغال وكيل الخرج وأعوانه بشد الرحال، طفت أنا ومن معي الآل والصحب طواف الوداع، وكان ذلك بعـد العصر ، وكنا قصدنا ان نركب في ذلك الوقت ، ولكن لم يتيسر لنا الركوب الا عند قرب غروب الشمس ، وودعنا قبـل الخروج كثير من الاخوان والمحبين ، وركبنا وركب معنا بعض الاصـدقاء مشيعين ، وفي مقدمتهـم السيد الزواوي الكبير ونجله السيد عبد الرحمن والشيخ حسين باسلامه ومطوفنا ونجله ، وخرج معهم الاخ الرفيق الشيخ خالد ، أما سائر الرفاق والاهل فقـد ركبوا في الشقادف من أول الامر ، وأما أنا فركبت البغلة التي أرسلت الي من الاصـطبل الهاشمي مع اثنين حجاب الامـير مشيا أمامي بملابسهما الرسمية، حتى اذا ماخرجنا من مكة المكرمة وبلغنا المكان المعروف بقهوة المعلم — وقد ذكرناه في الكلام على دخولنا مكة حرسها الله تعالى — ألفينا هنالك صاحب السيادة الشريف شرف حاكم مكة (القائم مقام الامير فيها) بالانتظار مع بعض رجاله وقد أنفذ للتوديع من قبل الحضرة الهاشمية نائبا عنها ، وعلمنا انه خرج منذ وقت العصر لانه هو الوقت الذي عين لخروجنا ولم يتيسر لنا الخروج فيه، فنزلنا وجلسنا معه قليلا واعتذرنا له عن تأخيرنا وشكرنا له هذا الانتظار الطويل ،

ثم صلينا المغرب مع المودعين جماعة وأتبعتها أنا والرفيقان بالعشاء مجموعة معها جمع تقديم ، ثم ودعنا السادة المشيعين، وركبنا الرواحل وسرنا باسم الله قافلين ، والحمد لله رب العالمين

ذيل لمباحث الحج في الصدقات وفقراء الحرم

انني عند توديع السيد الزواوي قلت له قد بقي معي في الكيس خمسة عشر جنيها انكليزيا من النقود المخصصة للصدقة في الحرم لم يتيسر لي انفاقها فانا أوكلك في في توزيعها على المستحقين ، من أهل الصلاح والمروءة المتعففين ، وأعطيته اياها ، فأرسل الي بعد عودتي الى مصر ورقة فيها أسماء من صرفها لهم ، ومقدار ما أعطى كلا منهم ، وعليها أختامهم . وبهذه المناسبة نقول كلمة في فقراء الحرم والصدقة فيه وفي غيره ومايتعلق بذلك كبحث السؤال

ان الفقراء المتسولين أول من يستقبل الحجاج قبل دخول مكة وآخر من يشيعهم عند الخروج منها عائدين الى بلادهم، وكذلك شأنهم عند الخروج من مكة الى منى فعرفات وعند العودة من منى بعد انقضاء أيامها. وأكثر هؤلاء المتسولين من صغار الصبيان والبنات ، يقل فيهم المراهقون والمراهقات ، فتراهم يحيطون بالحجاج من كل جانب ، رافعين أيديهم الى مقدم الهوادج، وألسنتهم تكرر الادعية المناسبة للاوقات ، فيذكرون في أدعيتهم قبل دخول مكة وعند الخروج الى عرفة أداء الحج وقبوله والعودة بالسلامة ، وبعد الحج زيارة النبي (ص) والوقوف بشباك حجرته الطاهرة ، ومنهم من يربط كوزا من الزنك ونحوه بطرف خشبة كالعصا ويرفعها حتى تكون بين يدي الراكب فيكون ما يوضع في كل كوز خالصا لحامله ، وأما الصغار الذين لايحملون هذه الكيزان فما يرضخ لهم يرمى على الارض فيستبقون لالتقاطه فيكون حظ النشيط القوي منهم أضعاف حظ الخامل والضعيف ،

السؤال محرم في الاسلام لاتبيحه الا الحاجة الشديدة أو الضرورة التي تبيح كثيرا من المحظورات كأكل الميتة ولحم الخنزير ، لانه ذل يدعو اليه الكسل وحب البطالة والاتكال على أوساخ الناس ، والضرورات عوارض تعرض لبعض الناس أحيانا وهي تقدر بقدرها شرعا ، وليس من شأنها أن تكون ملازمة للكثيرين من

الاصحاء القادرين على الكسب بحيث تبيح لهم أن يجعلوا السؤال حرفة يكون عليها مدار رزقهم، كما هو شأن أكثر السائلين في كل البلاد، بل يكون بعض هؤلاء غنيا شرعا تجب عليه الزكاة ، وقد يتأثل السائمة والعقار ، واذا كان السؤال لغير ضرورة معصية محرمة وكانت الاعانة على المعصية معصية فعلى المسلم العارف باحكام الاسلام أن لا يرضخ بشيء لمن يعلم من حاله أنه قد اتخذ السؤال حرفة له ، ولا لمن يعلم أيضا انه غير مضطر الى ما يسأله ، بان كان يمكنه أن يستغني عنه ، والمجهول حاله في ذلك موضع تردد ونظر ، وأما من يعلم الانسان أو يظن من حاله انه يسأل عن ضرورة ولاغنى له عما يسأله ولا وصول له اليه بغير السؤال فلامندوحة للواجد عن مواساته والرضوخ له من مال الله تعالى ، وقد يصل ذلك الى درجة الوجوب، كأن تعلم أن فلانا مضطر ولا يعلم بحاله أحد يرجى أن يزيل اضطراره سواك وأنت قادر على ذلك ، ومثل هذه الصورة تقع للافراد القليلين وقلما تقع للكثير من الناس الا في أزمنة المجاعات العامة

اني قلما أعطي أحدا من السائلين الكثيرين في الشوارع بمصر ، ولما رأيت هؤلاء السائلين خارج مكة عند قدومي اليها — وأنا لم أنس ما كان بلغنا ونحن في مصر من خبر العسرة والضيق في الحجاز وما سمعته مؤكدا لذلك في جدة — وجدتني مندفعا لاعطاء كل من سألني ، ولما نفد ما كان في كيسي من الدراهم المعدة لنفقة الطريق من جدة الى مكة أذنت الرفيق الذي صحبني من جدة بأن يعطي من يعلم انه لم يأخذ مني ويحصي ما ينفقه لارده له بعد الاجتماع بالآل الذين كانوا يحملون نفقتنا في رحالهم . وكنت أردت أن أجري على هذه الطريقة مع السائلين في الحرم الشريف، ثم صدني عن ذلك انهم صاروا يجتمعون علي بكثرة عند الدخول ويحيطون بي بحيث يتعذر توزيع ما في اليد أو الجيب عليهم فكنت أنثره على بعد فيتركونني ويتهافتون، عليه ثم تركت ذلك لما فيه من المشقة والشهرة ورأيت الراحة في الاخفاء . ولكن رفيقي محمد نجيب أفندي ظل يتحمل التعب والعناء في توزيع الصدقة على هؤلاء المتسولين في داخل الحرم وخارجه وله صبر طويل على ذلك .

ومن غريب ما رأينا من دلائل البؤس والجوع في الفقراء الملازمين للحرم ان بعض

الناس جاء بشيء من الحبوب لحمام الحرم فاختطفوه وصار بعض السودانيين من الدكرور يأخذون منه ويضعونه في أفواههم ويمضغونه متغذين به كالدواب . وقد جرينا نحن على عادة الناس بالرضخ بالقليل للواحد من هؤلاء المتسولين بحيث كان صرف الجنيه الواحد يوزع على المئة أو المئات منهم، وإنما تطيب النفس بما هو أكثر من ذلك للذين يتعرضون ولا يسألون ، والذين اذا سألوا يتجملون ولا يلحفون ، وإنما ذكرنا هذا البحث وما وقع لنا من التجربة فيه ليستفيد منه غير العالم بما ذكرنا من الاحكام ، وغير الواقف على ما وقفنا عليه من التجارب ، ونسأل الله أن لا يجعل فيه شيئا من الرياء وشهوة الشهرة ، على أن صدقتنا مما ينبغي أن يستحيا من ذكره، فهي والحق يقال دون ما أنعم الله به علينا ، وما من أحد يحج ايمانا واحتسابا الا ويتصدق في الحج بحسب سعته لان الاعمال الصالحة يضاعف أجرها في ذلك الزمان وذلك المكان ، ومنهم من ينفقون هنالك فوق جميع ما يملك من المال، ولكن المتصدق العالم المخلص يجد عناء عظيما في تحري المستحقين الصادقين ، من أهل الايمان واليقين ، والصلاح في الدين، يجد هذا العناء في وطنه الذي يقيم فيه، فكيف حاله فى بلد يجهل حال أهليه ، وقد كثر الكفر والابتداع في الارض ، وظهر الفساد فى البر والبحر ؟ وليس هذا محل شرح هذه المسألة بالاسباب، وقد ألممنا بها من قبل فى المنار

القفول من مكة الى جدة

اننا لما ودعنا المشيعين الكرام وامتطينا الرواحل اخترت ان يكون محمد افندي هو الصاحب بالجنب لي ، وان يركب وكيل الخرج مع الاستاذ الشيخ خالد ، وكان المناسب أن يركب الاستاذ معي لما بيننا من التعادل والتوازن في الجسم، وطول الصحبة مع التوافق في التربية والرأي ، فإننا تعارفنا من أوائل العهد بقدمي الى مصر، ولا أزال أهدي اليه المنار من ذلك العهد الى اليوم ، ولا أرى منه الا الوفاق والثناء والشكر، وإنما اخترت التفرق في الرواحل لثلاثة أسباب ترجح ما ذكرت من الجامعتين الجسمية والروحية بيننا (أحدها) ان في تفرقنا عدلا بين الراحلتين في التخفيف عليهما ، لان تعادلنا في الجسامة ، يقابله تعادل صاحبينا في النحافة ؛ (ثانيها) ان كلا منا يحتاج الى خدمة رفيقه في الراحلة ، ومحمد أفندي يرغب في

خدمتي لاني استاذه في الدين ، فلا يبقى لخدمة الاستاذ الا وكيل الخرج (ثالثها) ان صاحبي أجدر بالاستفادة مني لانه اعتاد منذ كان تلميذا الرجوع الي في أمور دينه، فصرت لعلمي بشؤونه أقدر على افادته وإفتائه في أمره ، وصاحب الاستاذ أجدر بالاستفادة منه لانه ما فتئ مشتغلا بوعظ العوام وارشادهم ، وقد حيل بيني وبين ذلك في مصر فلم يقع لي فيها الا مرارا قليلة في السنين الاولى من هجرتي ، وأما في هذه السنين الاخيرة فلم يأخذ عني فيها الا بعض المدرسين وأذكياء طلاب العلم ، وكان من لوازم هذه القسمة بيني وبين صديقي إنني كنت أحسن حظا منه إذ كان صاحبي من الاتقياء المتعلمين في مدارس الحكومة حتى العالية فيها ، العارفين بأخلاق الناس وشؤونهم بطول اختباره وتجاربه في خدمة الحكومة المصرية، وصاحبه من العوام ، على انه كان يمكنه ان يستفيد من اختباره لشؤون الحجاز وأصناف الحجاج ما لا يعرف الا من أمثاله المتمرسين بهذا الامر

سرينا منفردين ليس معنا رفاق من المصريين ولا غيرهم ممن نعرف، ولكننا وجدنا في الطريق عددا ليس بقليل من حجاج المغاربة منهم المشاة والركبان، وقد بلغنا بحرة في وقت السحر فعرّسنا فيها ،[1] وكان الجوع قد بلغ منا لاننا لم نتعش قبل خروجنا من مكة فأكلنا مما حملنا من الزاد، وكان جله من لحم خروف أهداه الي بعض المحبين لم نر مثله في طراوة لحمه ولينه ودسمه، لا في الحجاز ولا في غيره، وهو ليس من ضأن الحجاز . ثم نمنا قليلا اذ استيقظنا بعد طلوع الفجر فأدركنا صلاته بفضل الله تعالى

لم أر من بحرة في الماضي بها ليلا قادما من جدة الى مكة الا ما على جانبي الطريق العام من المنازل التي يسمونها القهاوي وهي خاصة بالرجال ، وأكثر من ينزل فيها الرجال الذين لا يستغنون عما فيها من الطعام وشراب الشاي والقهوة، وما يحتاجون اليه من الخدمة ، أو الذين يريدون الاستراحة قليلا وان كان معهم كل ما يحتاجون اليه ، وكنت حينئذ من هذا الفريق كما تقدم ، وفي هذه المرة نزلنا في المنازل التي يسمونها العشش وهي وراء تلك القهوات، وقد رأيتها فوق ما كنت أحسب — رأيتها دورا في كل دار بيوت من العيدان وبيت خلاء لها حائط منها يفصلها عن غيرها

(١) التعريس نزول المسافرين في آخر الليل للاستراحة

من الدور بحيث يكون النساء في كل منها في ستر تام غير معرضات لأعين أهل الدور المجاورة لها ، نزلت مع الوالدة والشقيقة في دار ، ونزل رفاقنا في دار بجانبها ، ومكثنا هنالك الى ضحوة النهار ، وقد نفد ما حملنا من مكة من الماء ، فجاءنا وكيل الخرج بماء كدر غير عذب ، فسألناه ألا يوجد ماء تقي عذب في هذه الارض ؟ قال بلى ولكنه غال لا يكفينا لملء ما معنا من أواني الشرب أقل من ريال ، فأمرناه بأن يأتينا بقدر الكفاية منه ، فجاءنا بماء لايفضل الاول الا بمضاعفة ثمنه ، فكانت هذه كبرى سيئاته ، جعلها خاتمة لخدمته ، فكانت سبب حرمانه مما كنت أنوي أن أجعله علاوة له على الاجرة الوافية التي خصصها له الامير ، وما كان يصيبه كل يوم بعد كفايته وكفاية أهله من فضل النفقة المعينة ، وما أخذه من ذبائح نسكنا التي وكلناه بالتصرف فيها ، وقد سبق له مثل هذه السيئة معنا بمنى ، جاءنا بماء كدر لولا أن تداركنا أنفسنا بالبحث عن ماء تقي وفقنا له لما سلم أحد منا من مرض النزلة الشعبية التي ظهرت أعراضها في بعضنا ، ولكننا غفرنا له تلك . وأما هذه فلم نستطع تداركها ، وسوء الخاتمة لا يغفر فنسأله تعالى أن يحسن خاتمتنا .

هذا واننا قد قاسينا من الظمإ في بقية يومنا وعامة ليلتنا بين بحرة وجدة مالم نعرف له نظيرا في تاريخ حياتنا ، فكنا نبل أفواهنا من ذلك الماء عند الضرورة ، وحاولت الاستغناء عنه بمص رب السوس فلم يغن شيئا . وفي هذه الحالة تذكرت ما كنت عازما على استصحابه من مصر فأنسانيه الشيطان وهو السكر الليموني أي الممزوج بحامض الليمون ، فأوصي كل مسافر الى تلك البلاد وأمثالها ان يحمل معه شيئا منه

وصلنا الى جدة قبيل الفجر فنزلنا في دار صديقنا الشيخ محمد أفندي نصيف وكيل الامارة الجليلة وقد نمنا بعد صلاة الفجر ساعات قليلة ، وبعد الاستيقاظ طلبت ماء سخنا للاستحمام فاغتسلت وغيرت ثياب الطريق وعلمنا ان أكثر الحجاج المصريين نزلوا الى السفينتين اللتين جاءوا فيهما فتبعناهم وزودنا صديقنا بأحسن الزاد ، ونزل معنا هو وبعض الاصدقاء في زورق البلدية البخاري الى سفينتنا التي جئنا فيها (النجيلة) مشيعين ، وكان هذا آخر عهدنا بأرض الحجاز ، فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالعودة اليها مرارا كثيرة حاجين ومعتمرين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصائب الحرب

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

يشتغل بأعمال هذه الحرب — حرب المدنية — عشرات ألوف الالوف من الرجال ومئات الالوف من النساء كان أكثرهم يشتغل بأعمال الزراعة والصناعة والتجارة فيكثرون من نتاج الارض ، ومن ايصال حاج بعض الناس الى بعض ، فيعم به الرخاء وغضارة العيش ، ويزداد المال في أيدي الناس ، وقد قدر عدد قتلى المعارك في أربع سنين بعشرة آلاف الف وعدد المشوهين من الجراح بخمسة وعشرين أو ٣٠ الف الف وحل محلهم مثلهم أو أكثر منهم ، فتضاعفت خسارة البشر بالحرمان من فوائد أعمالهم ، فنقصت الاموال والثمرات بنقص الانفس ، ثم بهلاك الكثير منهما ومن الانفس بحرب الغواصات التي ابتدعتها مبتدعة أكثر رزايا التدمير والتقتيل — ألمانية — فقد رقت صناعة هذه السفن الغواصة حتى صارت تحمل المدافع ، وتقطع تحت الماء ألوفا من الاميال والفراسخ ، وحيثما التقت بسفينة تحمل عروض التجارة ، أو تنقل الناس من بلد الى آخر ، أرسلت عليها وابلا من قذائف المدافع أو سهاما من الطوربيل ، فجعلتها كعصف مأكول ، لا تفرق بين سفن المحاربين وسفن الامم التي على الحياد ، ولا بين حاملة الجنود وعدد الحرب وحاملة العروض وأهل السلم من الرجال والنساء والاولاد ، أرادت بذلك أن تحرم انكلترة وأحلافها من ثمرات سيادة البحار ، بعد ان شدد هؤلاء عليها خناق الحصار ، فآذت الامم كلها ، وأكثرت من عدد أعدائها

كانت جوائح الغواصات سببا في اشتداد الضيق وامتداد الغلاء الفاحش الى جميع أقطار الارض. وقد كان هذا القطر المصري في السنتين الاولى والثانية من سني الحرب أقل الاقطار غلاء وأكثرها رخاء لان أرضه زراعية خصبة يمكنها أن تنتج من الاقوات ما يزيد عن حاجة أهلها، وكان المخزون فيه مما يرد اليه من الخارج كالفحم

الحجري والانسجة والمواد والادوات اللازمة للزراعة والصناعة كثيرا وثمنه معتدلا، وقد غلا ثمن القطن منذ السنة الثانية فربحت البلاد عشرات من الملايين قضت منها كثيرا من ديونها . فلما اشتد حرب الغواصات قل كل ما يرد من الخارج وتضاعفت أثمانه أضعافا ، وتبع ذلك غلاء غلات البلاد ومواردها حتى بلغ ثمن اردب القمح في الشتاء الماضي خمسة جنيهات ، ويباع الآن الرطل المصري من السمن بأربعة عشر قرشا وخمسة عشر ، وبلغ ثمن أقة زيت الزيتون أربعين قرشا فصار مساويا للسمن بعد اشتداد غلاء السمن وكان قد زاد عنه، الا أنه قد ورد منه أخيرا على الاسكندرية عدة قناطير من كريت فنزل الثمن قليلا . ورطل اللحم البلدي يباع في القاهرة بثمانية أو تسعة قروش ، وأقة العنب بيعت بأربعة قروش فخمسة فستة ، وقس عليه سائر الفاكهة

وقد سعرت الحكومة المصرية أكثر مواد الغذاء ، فكان تسعيرها اياها سببا لزيادة الغلاء، ولم نر أهل هذه البلاد اتفقوا على مخالفة الحكومة وعدم الاكتراث لها بشيء كما فعلوا في تسعير الاقوات . فمن الثابت انها لم تنقض من ثمن شيء الا وزادوا فيه عما كانوا يبيعونه به قبل تسعيرها إياه، اللهم الا زيت البترول فهو الذي استطاعت الحكومة أن تنفذ أمرها فيه تنفيذا مطردا . وقد كان ثمن رطل اللحم قبل تسعيره ٦ قروش أو ٦ ونصف قرش فلما رفعته الحكومة الى هذا القدر ارتقى سعره كما علمت . وكان ثمن رطل السمن ٩ فصار بعد جعلها اياه نحوا من ذلك يزهاء ضعفيه . وكان ثمن أقة زيت القطن المكرر كثمن رطل السمن فصار شأنه شأن السمن في التسعير والغلاء . وقس على ذلك سائر الاشياء

وأما مايرد الى القطر من الخارج فقد تضاعفت أثمانه الى ماشاءت أطماع تجاره التي لاحد لها ، فتضاعف ربحهم وعظمت ثروتهم ، وكلما غلوا في الغلاء ، غلا أهل الغنم والثراء في الشراء، وقد بلغنا ان أغنى أمم الارض من الاوربيين والامريكيين ترك موسروها في أثناء هذه الحرب جميع ما يعد في العرف من الكماليات، واكتفى الاغنياء منهم بالحاجيات، ومن دونهم بالضروريات، حتى ترك أكثرهم شرب الخمور التي كان بعضهم يعدها ضرورية، وكسدت عندهم تجارة الترف والزينة، وشذ أغنياء هذا القطر، فاشتد تباريهم في اتخاذ الحلي والحلل، وتنافسهم في الاثاث والرياش، وأرهق من دونهم من أهل الطبقة الوسطى عسرا ، فنسأله تعالى أن يجعل لهم مع هذا العسر يسرا .

تقريظ المطبوعات الجديدة

ان الاضطرار الى تقليل صحائف المنار على كثرة مواده دون تقريظ المطبوعات الجديدة في هذه السنة وما قبلها ، أو التنويه بذكرها للإعلام بها ، وذلك حق لاصحابها على من يهدونها اليهم من أصحاب الصحف الدورية حقه العرف ، وأوجبه التعاون على نشر العلم، ولقراء هذه الصحف من الحق على أصحابها أن يعلموهم عما يتجدد في صناعة المطبوعات، من الصحف والمصنفات، ويبينوا لهم قيمتها المعنوية قبل بيان قيمتها المالية ، بالتقريظ الصحيح ، والنقد النزيه، وانا نحب أن نؤدي الحقين ، ونقوم بواجب النصح للفريقين ، ولكن يتعذر علينا تارة ويتعسر تارة قراءة ما يهدى الينا من هذه المطبوعات أو قراءة طائفة من كل منها ، تكفي لصحة الحكم في أمرها ، ولا نحب أن نكون كمن ينظر في فهرس الكتاب فيختار منه ما يظن أن فيه تقصيرا أو خطأ فيراجعه وينتقد منه مايراه محلاً للانتقاد، أو يختار موضعاً يوافق رأيه فينقله ويخصه بالثناء ، ولا كمن يثني على كل كتاب يهدي اليه ثناء مجملا ، أو ينشر ما يرسله اليه صاحب الكتاب اطراء مفصلا، وخير من هذا وذاك أن يعرف صاحب الصحيفة بالكتاب تعريفا تاريخيا بذكره وذكر اسمه واسم مؤلفه وموضوعه ووصف حجمه وورقه وطبعه، وهو ما نجري عليه أحيانا ، وقد نزيد عليه بيان قيمته المعنوية أحياناً ، وان من الكتب ما يعرف الجمهور قدره في الجملة بمجرد ذكره أو وصفه . واننا نراجع الآن ما أهدي الينا في هذه المدة ونذكر ما يقع في يدنا منه فيما بقي من أجزاء منار هذا المجلد

﴿ جرجي زيدان ١٨٦١—١٩١٤ ﴾ « ترجمة حياته، مراثي الشعراء والكتاب حفلات التأبين ، أقوال الجرائد والمجلات في الرجل وآثاره » نشر هذا الكتاب اميل افندي زيدان نجل جرجي بك زيدان ووارث الهلال من بعده مؤلفاً من ١٤٧ ص بحجم الهلال مطبوعاً بمطبعة الهلال في سنة ١٩١٥ وهذا الكتاب مستغن عن الوصف والتقريظ

﴿ مبادىء علم السياسة ﴾ كتاب لخصه سليم افندي عبد الاحد الكاتب

المشهور من بعض الكتب الانكليزية لمجلة الهلال فطبعته بمطبعتها في سنة ١٩١٥ وجعلته ملحقا للسنة الثالثة والعشرين من مجلة الهلال . وهو ثلاثة أقسام (أولها) في الدولة — حقيقتها ونشوئها وسلطتها وصلتها بغيرها وأنواع الدول في القديم والحديث (ثانيها) نظام الحكومة — سلطتها بأنواعها وأنظمتها وسياستها وادارتها وأحزابها وغير ذلك (ثالثها) الحكومة والاجتماع، وفيه ذكر المذاهب الفردية والاشتراكية والانظمة الحاضرة . أما حاجة اللغة العربية الى مثل هذا الكتاب فشديدة لكثرة القراء الذين يهتمون بالامور السياسية وقلة ما في اللغة من موادها . وأما طبع الكتاب فنظيف وورقه جيد ، وصفحاته ١٣٠ بشكل المنار والهلال

﴿ خلق المرأة ﴾ كتاب ألفه بالفرنسية هنري ماريون الذي كان أستاذاً في كلية الآداب بباريس وترجمه بالعربية اميل افندي زيدان صاحب الهلال وجعله ملحقا للسنة السادسة والعشرين . وقد طالعته كله فألفيت كاتبه من أعدل الكتاب الاوربيين في هذا الموضوع ، وأرجو أن أكتب شيئا في بيان ما استفدته منه ، وقد طبع بمطبعة الهلال طبعا حسنا ولكن على ورق غير جيد — والعذر قلة الورق وكثرة الثمن — وصفحاته ١١٩

﴿ الصبي — بحث في الاخلاق والتربية في قالب روائي ﴾

كتاب الفته فتاة انكليزية اسمها (ماري كورلي) وعني بترجمته بالعربية عبد العزيز افندي صدقي من موظفي وزارة المعارف والتزم طبعه نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف وقد طبع الجزء الاول منه في العام الماضي في ١٢٨ صفحة

أما المترجم فشاب نبيه يتوخى أن ينفع بلاده بما يترجم وليس ممن لاهم لهم من الترجمة أو التأليف الا الكسب فيختارون ما يلذ للجمهور لا ما ينفعه ، وعبارته حسنة ولكن فيها ما فيها من ضعف أساليب الجرائد وغلطها ، وذلك ما يعز أن يسلم منه كاتب عصري ، وهو على ما أظن غير مغرور بها على علمه بأنها تفضل عبارات اكثر مترجمي القصص التي تنشر في هذه الايام، بل يحب الترقي والكمال في الترجمة والانشاء ، ولا طريق لذلك الا عرض ما يترجم وينشئ لنقد بعض علماء اللغة والادب ومتأنقي الكتاب قبل نشره أو بعده ولو بالجمل والجزاء

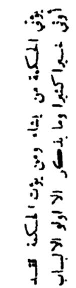
وأما غرضه من ترجمة هذه القصة فقد بينه في مقدمتها وهو اكمال ما ينقص البلاد من القصص الجدية الجامعة بين لذة المطالعة والفائدة النافعة في تربية الاسرة، وقد شرح ذلك شرحا جميلا في صفحتين ونصف صفحة

تصفحت هذا الجزء فألفيته مفيدا كما قال المترجم ولكن البلاد ليست فارغة خالية من مثله كما ادعى ، كيف وقد طبع فيها كتاب (التربية الاستقلالية) مرتين وأوشكت نسخ الطبعة الاخيرة أن تنفد ، وهو اذا قوبل بما ظهر من كتاب (الصبي) يظهر انه أعم فائدة وأفضل ، وأسلم من لغو القصص وأبعد ، ومما أعجبني من الفوائد التي انفرد بها كتاب الصبي أو خالف فيها غيره بيان كراهة الشعب الانكليزي لتعليم أولاده وتربيتهم في مدارس أجنبية. فان مؤلف كتاب التربية الاستقلالية (اميل القرن التاسع عشر) — وهو فرنسي — قد استحسن أن يربى الطفل الفرنسي في البلاد الانكليزية لان التربية فيها أفضل، وأن يعلم ويربى فى بلاده اذا صار يافعا، لينشأ فرنسيا وطنيا صادقا، ثم يكمل علومه فى البلاد الالمانية، لان العلوم العالية أرقى فيها وأكمل . وأما مؤلفة كتاب الصبي أو قصته فهي تقول فى التعليم فى المدارس الاجنبية ما قال مالك فى الخمر ، وتجعلها أدهى من الساعة وأمر ، فقد ذكرت أن أم (الصبي) الجاهلة ، التي جعلتها مثلاً للتربية الفاسدة، قد اختارت له مدرسة أجنبية، يتعلم فيها من اللغات والعلوم العقلية والجسمية، ما يؤهله لكل عمل فى الحياة ، على قلة الاجرة والنفقات ، ثم ذكرت أن الصبي ارتاع لهذا الاختيار الذي يخرجه عن كونه انكليزيا «اذ كان وجدانه يحدثه أن المدارس الاجنبية تبدل جنسيته وأخلاقه» ثم قالت إن الصبي ذكر ذلك لشيخ كبير مختبر يعرف البلاد الاجنبية فحذره من ذلك وأنذره سوء عاقبته بقوله : إن المدارس الاجنبيــة لا تخرّج انكليزيا مطلقا ، انك تذهب الى الخارج شابا ظريفا مؤدبا كما أنت الآن ، ولكنك لا تعود بتلك الصفات ، ستعود وقد تعلمت الكذب والنفاق والمخادعة ، فمند ما تتحدث تنهق كالحمير ، وعند ما تسير تقفز كالضفادع ، وسوف تخاف من الماء البارد . ولا يمكن الناظر الى وجهك أن يقول انك انسان حي، انك أجنبي ممسوخ حقير ، هذا ما ستكونه. اه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٣٠ شوال ١٣٣٦ — ١٤ الاسد (ص٢) ١٢٩٦ هـ ش ٧ يوليو ١٩١٨

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (١)

لما وصل الينا هذا النقد في بريد الشرق الأقصى كان أول ما خطر في بالنا قبل أن نقرأه أنه يجب علينا اذا وجدناه كله أو جله صحيحاً أن نشهد لصديقنا الناقد بالتدقيق والتحقيق وانه بزّ فيهما علماء مصر وغير مصر من البلاد الاسلامية التي اطلع كثير من علمائها على كتاب (ذكرى المولد النبوي) فلم يروا فيه بعض ما رآه هو من الخطأ، ثم قرأنا النقد فرأينا أكثره خطأ محضاً، وأقله ماله وجه أو شبهة، وها نحن أولاء نبين ذلك بما يحتمله المقام من التفصيل، مع اتقاء ما يمل من التطويل

(الموضع الاول — تأليف الكتاب هل هو بدعة)

قد غفل الناقد عما حررناه في المقدمة من كون البدعة في احتفال المولد انما هي مجموع ما يعمله الناس من خلط العبادات الدينية باحتفالات الزينة واللهو — الخ ماذكر في صفحة ي من المقدمة، وقد صرحنا فيها بأن قراءة قصة المولد عبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية لا ينكر منها الا جعلها من الشعائر الدينية الموهمة انها مشروعة أي بالتوقيت والاجتماع وغير ذلك . فغفل عن ذلك وجعل هذا العمل العلمي المفرد، عين ذلك المجموع المركب، ومن العجيب انه ادعى اننا ختمنا كل فصل من ذكرى المولد بما سماه الصلاة البتراء. غافلا عن كون أهم فصوله وهو فصل تبليغ الدعوة لم يختم بصلاة بتراء ولا غير بتراء، وكذلك فصل مناهضة الدعوة، والجاء الرسول (ص) الى الهجرة، ومثلهما الخاتمة

أما قولي في آخر تلك الصفحة انني كنت أتحامى كتابة قصة للمولد لما ذكرت من الاسباب الثلاث فهو حكاية عن رأيي في هذه المسألة في السنين الخالية، وأما

(١) يحسن أن يراجع النقد في الجزء الثامن عند كل موضع من المواضع

ما أنفذته إثر ما كان من المذاكرة بيني و بين البكري فهو ما ترجح عندي بعد ذلك وهو كتابة مصنف وجيز في خلاصة تاريخ المصطفى (ص) وسيرته ، وحقيقة دعوته، وكليات دينه وشريعته ، يكون دعوة الى الاسلام ، وردّا لما فشا في قصص الموالد من الاباطيل والاوهام ، وأن أنشره مع بيان ما به تكون قراءته فريضة أو فضيلة محمودة، وما يكون به بدعة مذمومة، فتكون بذلك فوائد نشره مضاعفة، واني أعتقد أن هذا العمل واجب شرعا ولو فصلت أدلتي على ذلك لما خفيت على أحد ولكن لاحاجة الى هذا التفصيل

على أن آخر عبارة الناقد لهذا الموضع تفيد اجازة هذا التأليف ونشره في المنار، اذ حصرت النقد في طبعه منفردا وختم فصوله بالصلاة البتراء، ويعني بها ما ترك فيها الصلاة على الآل ، لانه فيما يظهر ينكر ذلك ويراه بدعة محظورة ، ويلتزم قرن الصلاة على النبي (ص) بالصلاة على الآل ولو فيما ينقله عن غيره كما يراه قراء نقده فيما نقله عن ذكرى المولد، وهذا من التحريف في النقل ولا يخفى حكمه. ونحن لاننكر أن الصلاة على الآل تبعا للصلاة على النبي (ص) مشروعة في الصلاة،وكذا في خارجها ، ونحن نفعلها في التشهد من الصلوات دائما وفي غيره احيانا ، ولم يقم عندنا دليل على التزامها ولم يصح عندنا نقل عن السلف من الصحابة وعلماء التابعين ولا أئمة آل البيت بذلك ، وانما تلتزمها فرقة الشيعة وقليل من غيرهم، والتزامها أقرب الى البدعة من تركه ، لان الاصل في البدعة مخالفة ما كان عليه أهل الصدر الاول بشرطه ، وأما طبع الكتاب وحده فهو كطبعه في المنار ، والناقد نفسه يقترح أن يطبع مرة أخرى يراعى فيها ما رأى تنقيحه في نقده كما تقدم آنفا

(الموضع الثاني — الفرق بين الامتياز وما به الاصطفاء)

سألنا في الكتاب : كيف كان اصطفاء الله تعالى لتلك البطون من العرب، وبم امتازوا على غيرهم حتى كانت أمتهم بهم أفضل الامم، وأشد استعدادا لذلك الاصلاح الكامل العام ، الذي جاء به صفوة البشر منهم عليه أفضل الصلاة والسلام؟ وأجبنا عن ذلك بما شهدت به التواريخ العامة من امتياز الامة العربية على سائر الامم من بدء التاريخ الى عصر الاصلاح الاعظم بالبعثة المحمدية، وبما عرف في تاريخ العرب

أنفسهم من امتياز كنانة فيهم وامتياز قريش في آل كنانة وامتياز بني هاشم في قريش - فعلم بهذا أن اصطفاء كل بطن منهم كان بما امتاز به من المزايا والصفات والاحوال التي كان عليها ، وأن ذلك كان إعدادا لهم، لجعل صفوة الاصفياء في خير بطن منهم ، ولقيامهم بدعوته ، ونشرهم لهدايته ، ولم يتأمل الناقد ذلك فوقع فيما وقع فيه مما لم يخطر لغيره من الكتاب وعلماء اللغة عندنا ببال ، اذ لم يفطن لكون ما به الامتياز هو سبب الاصطفاء أو نفس الاصطفاء

(الموضع الثالث — انكار عطف واقتراح آخر)

أنكر الناقد علينا في جملة « كانت الامم مرهقة بالاثرة والانانية والانين من ثقل الضرائب » من الصفحة الخامسة ان عطف الانين على الاثرة غير صحيح أو غير واضح واقترح حذفه أو وضع فعل الانين المضارع موضع المصدر ، قال ليصح العطف أو ليكون أوضح ، ونقول ان لانكاره دون اقتراحه وجها وجيها ولكنه لم يبينه ، وهو ان الباء في قولنا « بالاثرة » للسببية أو للآلة وكل من الاثرة والانانية سبب للرهق الذي أرهقته تلك الامم أو آلة له ، وأما الانين فهو أثر السبب أو الآلة وليس منه ، والوجه ان يقال « تأن » بغير عطف

(الموضع الرابع - أما وجوابها)

بيناوجوه اصطفاء كنانة وقريش وبني هاشم على غيرهم من العرب بأسلوب أما وأما — فانكر الناقد ذلك في كنانة بجعله هنا خلاف الاولى ، زاعما ان الاولى حذف أما وجوابها ، وبدء الكلام هكذا : اصطفاء الله لكنانة يعلم مما كانت تحفظه العرب الخ ولم يبين وجه هذه الاولوية فندعها الى القراء يحكمون فيها بعلمهم وذوقهم

(الموضع الخامس — ندوة قريش ورايتها « العقاب »)

زعم الناقد اننا في هامش الصفحة الثامنة فسرنا الندوة بالشورى وخصصناها باجالة الرأي للائتمار بالنبي (ص) بعد البعثة، وان المعروف ما ذكرناه عنها في صلب الكتاب، وقد فهم ذلك من قولنا « التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للائتمار به (ص) » وبديهي أن وصفها بذلك لا يدل على مافهمه من التخصيص وانما تلك غفلة ظاهرة منه

وأما انكاره قولنا ان العقاب راية قريش وقوله إن المعروف انها راية النبي

(ص) كما في القاموس، فما كان له ان يرسله بدون مراجعة لكتب التاريخ والحديث اذ كلمة القاموس وحدها لا تكفي للفصل في مثل هـذه المسألة وهو يعلم ان مافي القاموس مشهور لا يعرف عامة الناس غيره لذكره في السيرة النبوية ، وأشعار الشعراء كقول صاحب الهمزية

فغدا ناظرا بعيني عقاب في غزاة لها العقاب لواء

فكان ينبغي له — والامر ماذكرنا — ان يقول ان مجيء هذه العبارة من صاحب المنار على خلاف المشهور لا بد له من أصل، ثم يراجع لعله يقف على هذا الاصل ويحكم فيه حكمه .

أشهر معاني العقاب (بضم العين) أنه طائر من الجوارح التي تصيد (ومنها) الحرب نقله في اللسان عن كراع (ومنها) العلم الضخم نقله الجمهور، قال في اللسان والعقاب الذي يعقد للولاة شبه بالعقاب الطائر وهي مؤنثة أيضا . ونقل صاحب العقد الفريد في كتاب النسب عن ابن المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي أن الذين انتهى اليهم الشرف من قريش فوصلهم بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبطن كان لكل منهم منصب ومكرمة من المكارم التي كانت لقريش — وهي التي ذكرناها في الصفحة ٨ — قال : فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقي الحجيج في الجاهلية وبقي له ذلك في الاسلام، ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش واذا كانت عند أحد أخرجها اذا حميت الحرب فاذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب واذا لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه اه المراد منه .

ويؤخذ من كلام علماء التاريخ والعاديات أن طائر العقاب شعار قديم للعرب وقد عبر بعضهم عنه بالصقر وانما الصقر في اللغة اسم لكل مايصيد من جوارح الطير فالظاهر ان قريشا سمت راية الحرب الكبرى بالعقاب من ذلك . وأما كون رايته (ص) تسمى العقاب فلم يثبت في حديث صحيح ، ويحتمل أن يكون سبب هذا القول ان بعضهم أطلق هذا اللفظ على رايته الكبرى بمعناه اللغوي العام الذي هو العلم الضخم ففهم آخرون من الاطلاق ان العقاب اسم علم لها . وقد لخص الحافظ ابن حجر في شرح (باب ما قيل في لواء النبي (ص)) من صحيح البخاري ماورد في كتب السنة في

ذلك وحكي هذا القول بصيغة التمريض والتضعيف . وقد رأينا أن نذكر عبارته برمتها لانها فصل الخطاب في مسألة هذا الباب قال :

« اللواء بكسر اللام والمد هي الراية ويسمى أيضاً العلم وكان الاصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه . وقال أبو بكر بن العربي : اللواء غير الراية ، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح . وقيل اللواء دون الراية . وقيل اللواء العلم الضخم والعلم علامة لمحل الامير يدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب . وجنح الترمذي الى التفرقة فترجم بالالوية وأورد حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض . ثم ترجم للرايات وأورد حديث البراء أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء مربعة من نمرة وحديث ابن عباس كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض أخرجه الترمذي وابن ماجه وأخرج الحديث أبو داود والنسائي أيضاً ومثله لابن عدي من حديث أبي هريرة ولابي يعلى من حديث بريدة ، وروى أبو داود من طريق سماك عن رجل من قومه عن آخر منهم: رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء ، ويجمع بينها باختلاف الاوقات . وروى أبو يعلى عن أنس رفعه « ان الله أكرم أمتي بالالوية » واسناده ضعيف ، ولابي الشيخ من حديث ابن عباس كان مكتوبا على رايته لا اله الا الله محمد رسول الله وسنده واه . وقيل كانت له راية تسمى العقاب سوداء مربعة وراية تسمى الراية البيضاء وربما جعل فيها شيء أسود » اه

(الموضع السادس — توجيه قوى قريش لمعاداته «ص»)

أنكر الناقد قولنا في الصفحة التاسعة ان قوى قريش المعنوية وجهت كلها لمعاداته (ص) بأنها مشعرة بغاية الهجو وموهمة أن جميع قريش وجهوا جميع قواهم لمقاومته (ص) و بأن هذا مخالف للسياق وللواقع ، ثم نوه بفضل قريش بما نوه به

ونقول في الجواب (أولا) ان ما يتضمنه الكلام من هجو فهو خاص بجاهلية قريش التي ذمها الله ورسوله والمؤمنون ، فقد فعلوا ما فعلوا وهم مشركون ، وما زال أكثرهم مشركين أكثر مدة البعثة ، وما صاروا يدخلون في الاسلام أفواجا الا بعد فتح مكة ، ويأس من بقي من زعمائهم بعد الحرب من الرياسة ، وأي جرم أجدر بالذم والهجو

مما فعلوا من إيذاء الله ورسوله وفتنة المؤمنين واخراجهم من ديارهم، وقتالهم في دار هجرتهم، وذلك لا يقتضي ذم المؤمنين منهم ولو بعد الايذاء، فقد كان خالد بن الوليد أشد كانهم نكاية في قتال المسلمين، ثم صار أشدهم نكاية وبلاء في قتال أعدائهم الكافرين، (وثانيا) ان ما كان من كفر أكثرهم وايذائهم لا ينافي ما ذكرنا من استعداد جمهورهم للاسلام بما ذكرنا من مزاياهم ؛ فان سبب الكفر والايذاء كبرياء الرؤساء المعروفين وحيلولتهم بين الرسول وبين الجمهور وتقليد الدهماء واتباعهم لهم؛ ولذلك كان صلح الحديبية فتحا مبينا بظهور ذلك الاستعداد فيهم وفي غيرهم من العرب عند ما صاروا يجتمعون بالمسلمين ويسمعون منهم القرآن وصفة الاسلام كما بينا ذلك في ص ٣٩و٤٠ من ذكرى المولد، ومن الدلائل على هذا حديث جابر مرفوعا عند أحمد ومسلم «الناس تبع لقريش في الخير والشر » وحديث أبي هريرة مرفوعا عند البخاري «خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا» (وثالثا) ان العبارة لا تدل بطريق الحقيقة ولا المجاز ولا الكناية على ان جميع أفراد قريش وجهوا جميع قواهم لمعاداته (ص) وانما هي صريحة في توجيه قوى القوم المعنوية التي هي جاههم ومكانتهم الدينية والادبية في العرب الى مقاومته (ص) وانما تكون هذه القوى للهيئة الاجتماعية والجمهور الاعظم الذي يمثله الزعماء ، وهذا هو الذي حصل فلا مجال فيه للجدال والمراء ، ولم يكن الذين آمنوا به (ص) من قريش قبل الهجرة بقادرين على حماية الدعوة ، ولا حماية الرسول وضعفاء المؤمنين من الاذى والفتنة، بل كان أكثرهم محتاجا الى من يحميه ويجيره من جمهور قريش أصحاب الجاه والثروة والعظمة ،

وقد أراد الناقد ان يكثر عدد السابقين الاولين من قريش الى الاسلام، ونصر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فجعلهم ثلاثة أزواج : (١) السابقون الى الاسلام مع اخفائه ومثل له بأبي طالب، وقد ثبت في حديث الصحيحين ان أبا طالب مات على شركه وانه أدنى أهل النار عذابا لدفاعه عن الرسول (ص) وحياطته له وان كان بباعث القرابة والعصبية ، و (٢) السابقون المتحملون لمشاق التعذيب ومثل له بآل ياسر وليسوا من قريش وانما هم عنسيون من اليمن، ولم يذكره ذكرهم بما كانوا يقاسونه من تعذيب قريش لهم ، وعجز جميع المؤمنين عن اغاثتهم والدفع عنهم ، حتى ان

النبي (ص) كان يمر بهم فيقول «صبرا يا آل ياسر موعدكم الجنة » و(٣) السابقون القائمون بنصرته ونشر دعوته (قال) كحمزة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم ، وتمثيله بذكر هؤلاء صحيح ولكنهم كانوا عددا قليلا لم يقدروا على حماية أنفسهم وحماية الدعوة بل أخرجهم جمهور قريش القوي مع الرسول (ص) وسائر المؤمنين من ديارهم بغير حق كما شهد الله تعالى في سورة الانفال والحج والممتحنة. وماذكره من فضائل قريش في نقده لهذه العبارة من حق و باطل - دون ماذكرناه نحن في هذه الرسالة بحق ، ولا نناقشه الا في قوله ان الاسلام ماعتز ودخل في طور القوة والمنعة الا بعد اسلام من تأخر منهم ، ففيه نظر ، بل هو غلط ، فان الاسلام قد اعتز وقوي بدخول الانصار فيه وان كان فضل السابقين الاولين من المهاجرين على الانصار معروفا لا ينكر ، في كونهم الاساس الاول والركن الاعظم ، ولكن أخانا الناقد الفاضل أحد أفراد عصبية جديدة ذات نزعة عصبية للعلويين من قريش ، و بهذه النزعة استصغر ما استكبره واستعظمه جماهير المطامين على ذكرى المولد النبوي من فضائل قريش عامة والعلويين منهم خاصة بحق ، ولنا في هذه العصبية كلام نقوله بعد

ثم اننا نبرأ الى الله مما نقله عن الزمزمي في همزيته وهو زعمه أن قريشا لم تبطيء بالايمان بغضا وجفاء بل امتنعوا من تولي الرسول (ص) لئلا يشك فيه من يرى نصر القرباء له ، بل أخروا ذلك الى أن تولى الله نصر دينه فلما كان ذلك دخلوا فيه وصاروا رؤساء له ، فهذا الزعم مخالف لما علم بالضرورة من الكتاب والسنة و كتب السيرة النبوية كلها ، فالظاهر منه ان الناظم يريد ان السواد الاعظم من قريش آمنوا بالنبي (ص) باطنا وكتموا اسلامهم لعلمهم بأن الله سينصر رسوله و يعز دينه بغير سبب ولا أحد من المؤمنين من غيرهم (اذ الظاهر أن هذا الرجل وأمثاله ينكرون فضل الانصار الثابت بشهادة الله ورسوله لهم بالايواء والنصر أو يصغرونه أو يخفونه) فأحبوا أن لا يكون اظهارهم للاسلام شبهة على نصره بالخوارق فأخروه لذلك؟ وماذا يقول في الايذاء والفتنة قبل الهجرة وفي سيرهم من مكة الى المدينة لاجل قتال النبي (ص) والمؤمنين بعدها ؟

هذا واننا ننوي تنقيح عبارات من كتاب (ذكرى المولد النبوي) عند اعادة طبعه منها الاشارة في هذه العبارة التي نرد نقد الناقد لها ، نريد أن نحذفها ونقول « ولكن قواها (أو قوى قريش) كلها وجهت لمعاداته عليه أفضل الصلاة والسلام » بدل « ولكن

هذه القوى كلها، فان هذه الاشارة وقعت بعد كلام ليس مرادا منها، والناقد لم يلمح ذلك

(الموضع السابع — بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة)

قلنا في الصفحة العاشرة في بيان فذلكة ما امتاز به بنوهاشم آل الرسول (ص) على سائر قومه من قريش: ان جملة ذلك الاخلاق العلية، والفواضل العملية والفضائل النفسية ، والبعد عن الاثرة والامور الحربية ، ولذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام .. فرد علينا الناقد بقوله : لعل ثبوت بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة لا يصح قبل الاسلام ولا بعده ، واستدل على الاول بما كان من المناصب الحربية لقريش قبل الاسلام وبما ذكرنا من امتياز كنانة ومالك وقصي في العرب ، وعلى الثاني بحمل الآل لالوية القتال وقيادة الجيوش في بدر وأحد وخيبر وحنين الخ

وأقول في الجواب انني أجل الناقد الفاضل عن ان يكون سوء الفهم ، هو الحامل له على هذا النقد ، كما يتبادر الى كل من قرأه وقرأ الاصل ، وأكاد أجزم بأن سببه نزعة العصبية التي أشرت اليها آنفا ، فهي التي ألقت الى وهمه أن العبارة تدل بجملتها على عدم استعداد آل البيت النبوي عليهم السلام للرياسة والملك، ومايلزمهما من أمور الحرب، فأراد أن يرد على ذلك نغفل عن أصل العبارة وعن معنى الآل ، وأخذ يستدل على اصالتهم في الامور الحربية وعنايتهم بأمرها ، بما كان لغيرهم من قريش من مناصبها ، وبما كان من الرياسة والملك لبعض أصول قريش وأجدادهم كمالك بن النضر وكنانة ! ولم يكن لبني هاشم من تلك المناصب والرياسات التي ذكرها شيء ، انما كانت لهم سقاية الحاج فحسب ، وكان يتولاها العباس ، الذي لا يعده الناقد ولا ذريته من الآل ، أعني الذين وردت الاحاديث في فضلهم وتحريم الصدقة عليهم، فأما الندوة واللواء، فكانت لبني عبد الدار ، وقيل ان الندوة والمشورة كانت لبني أسد ، وأما السفارة فكانتا في بني عدي وتولاها قبل الاسلام عمر بن الخطاب (رض) وتفسير هذه المناصب يعلم من هامش ص ١٠ من ذكرى المولد

ثم انه غفل عن جعلنا امتياز بني هاشم بالاخلاق والفضائل دون الحرب ، وحب الاثرة والكبر ، علة لغلبة غيرهم إياهم على الرياسة الدنيوية حتى بعد الاسلام ، ولم يفهم نكتة هذه الغاية « حتى بعد الاسلام » والمراد منها ظاهر وهو ان الاسلام زاد

في امتيازهم وتفضيلهم ، فكان مقتضى ذلك أن يقدموا على غيرهم، في كل ما يساوون غيرهم في الاستعداد له ، ونبهنا الى حكمة ذلك . وهذا الغالب يصدق ولو لم يكن الا لبني أمية ، اذ العبارة لا تدل على انهم يغلبون في كل زمان وكل مكان ، على انهم غلبوا في أكثر الازمنة والامكنة، هذا هو الواقع الذي لامراء فيه .

على انني اطلقت ضمير لآل في قولي « غلبوا » ولم يكن لاحد منهم صورة في ذهني الا العلويين وما كان من زهد أئمتهم في الدنيا ورياستها ، وما قابل ذلك من أثرة غيرهم وتكالبهم عليها ، وظلمهم إياهم، اتمق القلوب بهم ، فأطلقت العام وأنا أريد منه الخاص ، والعبارة صادقة في كل حال ، لا تنقضها خلافة العباسيين من الهاشميين الذين لا يعدهم الناقد من آل الرسول

ثم ان نفينا لجعل العناية بأمور الحرب من مزايا بني هاشم التي فضلوا بها سائر قريش لا يقتضي أن يكونوا جبناء يفرون منها، أو بلداء لا يحسنون التصرف فيها، اذا هم اضطروا اليها، فالحرب في نفسها شر، لا يبيحه الا جعله دافعاً لمفسدة هي شر منه، واقامة مصلحة تصغر في جانبها هذه المفسدة، كما يعلم من أول ما نزل في الاذن للمؤمنين في القتال، وذلك قوله تعالى في سورة الحج (٢٢: ٣٧ أُذِنَ للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وان اللهَ على نصرهم لقديرٌ ٣٨ الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ الا أن يقولوا ربُّنا الله، ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضهم ببعضٍ لهدمت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرنَّ اللهُ مَن ينصرهُ ان الله لقويٌّ عزيز (٤٢) الذين ان مكنّاهم في الارض أقاموا الصلاةَ وآتوُا الزكاةَ وأَمَروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الامور)

فبنو هاشم لم يكونوا يحبون الحرب للرياسة والكسب، كغيرهم من العرب وغير العرب، ولم يوقدوا لذلك نار حرب قط، وقد كانت حرب الرسول (ص) كلها دفاعاً عن الحق وأهله ، وتأميناً لحرية الدين ودعوته ، ولكنه كان أشجع الناس وأثبتهم في مواقف القتال، ويليه (ص) في ذلك عمه حمزة وابن عمه عليّ المرتضى (رضي الله عنهما) والشجعان من بني هاشم لا يحصون عددا ، ولكن الشجاعة شيء وحب الحرب للرياسة شيء آخر ، وفي كلامه هنا مآخذ أخرى سيعلم بعضها من الرد على بعض المواضع الآتية ، على انه لا غرض لنا في مناقشته في كل ما أخطأ فيه.

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

٢

﴿ قاعدة اصلاح قانون الاحوال الشخصية ﴾

كان من أمر الحكومة المصرية بعد اعلان انكلترة حمايتها عليها، وإلغائها منصب القاضي الشرعي الاكبر الذي كان يعين من قبل الدولة العثمانية عليها، أنها شرعت في أمر كان انفاذه في أيام ذلك القاضي متعذرا، وهو تأليف لجنة من علماء الازهر وبعض المدرسين في مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة الحقوق يرأسها وزير الحقانية لوضع قانون للاحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج وما يتعلق به كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة، تستمد مواده من فقه المذاهب الاربعة المشهورة ولا تتقيد بمذهب الحنفية وحده، بل يجعل القانون الذي كان وضعه قدري باشا الحنفي هو الاصل، ويؤخذ من فقه المذاهب الاخرى ما تراه اللجنة أيسر وأكثر انطباقا على مصلحة الناس في هذا العصر. وطالما تمنى طلاب الاصلاح في هذا القطر وغيره مثل هذا التيسير، ولكن ما جرت عليه الحكومة المصرية منتقد من وجوه أخرى بيناها في مقال لم يتيسر لنا نشره، وقد كاشفنا ببعضها بعض أولي الشأن، وأهمها جعل الاحكام الشرعية قانونا وما يترتب على ذلك، فالقانون اذا أطلق في هذا المقام ينصرف في العرف الى ما يقابل الشرع من الاحكام، ويتوقف الحكم به على اقرار مجلس الوزراء اياه، وصدور أمر الحاكم العام (الدكريتو أو المرسوم السلطاني) به، ويلزم من ذلك جعله تشريعا جديداً من هذه الحكومة يحكم به باسمها على أنها هي الواضعة له، وينفذه وزير من وزرائها لا يشترط أن يكون مسلما، وكون القضاة يطبقون الحكم على ما يفهمون من نصوصه وان كانت سقيمة لا تدل على ما قصدته اللجنة دلالة واضحة (قد اطلعنا على بعض ما وضع من هذا القانون فوجدنا فيه عبارات كثيرة في غاية الضعف والركاكة) وكونه سيشرح كما شرح غيره من القوانين فتستنبط الاحكام من عبارته (النص الحرفي) فيستعين بشرحه القضاة ووكلاء الدعاوي على فهم المراد منه والعمل بما يفهمون من ذلك، ولما كنت منتقدا لهذا الوضع بهذه الصورة لم أبين

رأيي في مواده عند ما أرسل الي وزير الحقانية الجزء الاول الذي تم منه كما أرسله الى كثير من علماء الشرع والقضاة والمحامين من شرعيين وأهليين ، لان ابداء الرأي في ذلك يتضمن اقرار أصل العمل والموافقة عليه ، واست مقرا له ولا موافقاً

وقد انتقد كثير من أهل العلم بعض مواد هذا القانون في الجرائد واقترح بعض من أرسل اليهم ما تم منه اقتراحات عرضت على اللجنة العلمية المشتغلة بوضعه، وعلمت أن بعض المحامين الاهليين اقترحوا على وزير الحقانية اغتنام هذه الفرصة لابطال تعدد الزوجات وتقييد أحكام الطلاق بنحو ماكان اقترحه قاسم بك أمين فيما كتبه في المسألة التي يسمونها تحرير المرأة ، ولا أدري أعرضت أمثال هذه الاقتراحات على اللجنة أم التزمت الوزارة عرض ما هو منصوص في كتب المذاهب الاربعة ؟

وقد كثر بحث المتفرنجين وخاصة علماء الحقوق منهم في مسألة قانون الاحكام الشخصية، وحديثهم في وجوب جعله مطابقا لآراء الذين يسمونهم الفئة الراقية — يعني المتفرنجة — وقد عني بهذه المسألة أحمد افندي صفوت وكيل نيابة (الدلنجات) فألف فيها رسالة خرج فيها عن الموضوع الى ما هو أعم منه وأكبر ، وأهم وأخطر ، وهو نسخ نصوص الشريعة الاسلامية كلها وابطال قواعدها وأصولها التي هي موضوع علم أصول الفقه، ووضع أصول أخرى لها يراها الواضع مرقية لهذه الامة الاسلامية من حضيض الهمجية القديمة التي كان عليها سلف المسلمين وخلفهم بزعمه ووهمه، الى قنة الترقي المدني الجديد الذي صعدت اليه الامة المصرية أو الفئة الراقية منها، التي يجب عنده أو ينتظر ان يتبعها غيرها. وقد ألقى هذه الرسالة بصفة خطبة - أو محاضرة كما سماها — على جمهور كبير من هذه الفئة بقاعة المحامين بالاسكندرية (في ٥ اكتوبر سنة ١٩١٧) تحت رئاسة المحامي انطون بك سلامة. ثم طبعت ووزعت على الناس، وألقي الي نسخة منها، فوجب علي الرد عليها شرعا، وذلك ما رغب ويرغب فيه كثير من محسني الظن بي كما بينت ذلك في مقالة الجزء الذي قبل هذا

ان مواضع النقد والبحث في هذه الرسالة (أو المحاضرة) ثلاثة أهمها . القواعد الجديدة التي وضعها هذا الباحث لنسخ الشريعة الاسلامية بهدم أصولها القديمة كلها. ويليه المسائل المراد اصلاحها من قانون الاحكام الشخصية وهي أربعة ذكرها مجملة في ص ٥ (١) حرية المتعاقدين ولزومية العقد على الطرفين (٢) عدم التناقض مع قاعدة الحرية

الشخصية المقررة في قانون العقوبات (٣) رسمية عقد الزواج والطلاق (٤) تسهيل اجراءات الدعوى . ويلي هذين مسائل متفرقة في موضوع الترقي الذي يدعيه هو وأمثاله ، ويطلب تغيير أصول الشريعة وفروعها لاجله . ونبدأ بالاول الاهم فنبين رأيه في أصول الشريعة وقواعده التي وضعها الشيخ وتتبعها بنقدها العلمي الشرعي فنقول:

أصول الشريعة ورأيه فيها

قال في أول الصفحة ٢١ ما نصه: « أصول الشريعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس. (أما القياس) فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الاصول الاخرى » يعني انهم سيقيسون على الاصول التي يشرعونها بأنفسهم بناء على ان لهم حق التشريع في الاحكام الشخصية كالاحكام المدنية والعقوبية التي تشرع الحكومة فيها ما تشاء بارشاد المسيطرين عليها كما سيأتي بيانه، ومنها ما يأخذونه عن قوانين الافرنج كما هيه. مثال ذلك قاعدة الحرية الشخصية المقررة في قانون العقوبات ، ومن أحكامها ان الانثى متى تجاوزت السنة الرابعة عشرة يجوز لها ان تعاشر من تشاء بلا قيد ولا شرط ولا رباط شرعي، وليس لوالدها حق ارجاعها عن فيها لداره، كما صرح بهذا مؤلف الرسالة في الصفحة الثامنة وغيرها . وكما انه لا يجوز لوالد بنت الخامسة عشرة فما فوقها ان يردها ويمنعها عن غيها اذا اختارت ان تكون خدنا لاحد الفساق،أو بغيا تعرض نفسها للزنا في المواخير والاسواق، كذلك لا يجوز لقاضي الشرع ولا للسلطان أو نائبه ان يردها عن هذا الحق الذي حقه لها القانون ، ولماذا ؟ لان القانون أباحه . أما ما أباحه الله في كتابه فلكل حاكم ان يحرمه عندهم كما سيأتي قريبا

قال : (وأما الاجماع) وحجتهم فيه حديث «لا تجتمع أمتي على ضلال » فنقسمه الى قسمين إما اجماع العلماء أو حكم ولي الامر السابق (كذا) وعلى حسب قواعد نظامنا القضائي لا نتقيد برأي مهما أجمع عليه الشراح الا ان نوافق على اجماعهم . وأما ما يقرره الحاكم بصفته صاحب السلطة التشريعية فيمكن لخلفه ان يلغيه طبقا لقاعدة ان السلطة التشريعية تملك ان تلغي ما تقرره طبعا لا تأثير لشخصية الحاكم» (كذا) وقد استشهد لهذه القاعدة بأن لكل سلطان ان يلغي ما وضعه من قبله، وجعل إلغاء الاجماع من هذا القبيل ، ثم قال ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضاء منهم

بتحكيم السابقين (قال) « ونحن الآن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » أي انه يرفض أحكام جميع المسلمين من السلف والخلف، ولكنه ادعى أنه يتقيد بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فانظر كيف يتقيد بذلك ! قال في ص ٢٢

= ﴿ السنة ﴾ أريد أن أبحث القرآن من قبل لان حكم اتباع السنة ناتج من حكم القرآن

« القرآن بصفته كتاب الله قد أودع فيه كل حكم شاء ان يفرض على كافة المسلمين في جميع العالم اتباعه، فالذي ترك ولم ينزل في القرآن ترك ليكون للفرد حرية التصرف فيه ولولي الامر الرأي في تقييده بحسب ما يراه لازما لمصلحة الجمهور. فالرسول بصفته ولي الامر حاكم الامة وقاضيها كان اذا سئل عن أمر حكم فيه وهذه الاحكام اما صدرت في مسائل فردية خاصة فتقيدت بها واما صدرت من الرسول لتكون قاعدة وحكماً عاماً وفي هذه الحالة تكون بمثابة قانون صدر من صاحب السلطة التشريعية ونفس هذه السلطة يملكها الحاكم في كل زمن بعده فيملك الغاء ما تقرر بمقتضاها

« واذاً استنتج ان السنة اما انها تخصصت بحوادث فردية فصارت أحكاما قضائية في طبيعتها، واما تعممت في شكل قواعد وقوانين فصارت تشريعا صادراً من ولي الامر لزمنه، واذا ظهر من بعد اللاحقين من أولياء الامر مصلحة الناس في تغييرها أو إلغائها كان ذلك ولا حرج . وهذا كله خاص بالاحكام المدنية فقط دون الدينية . ولا يناقض في شيء قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وقوله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » اذ اننا اذا رأينا لزوما الخروج عن السنة لمصلحة فلا يكون ذلك غير طاعة بل شيئا آخر . وبديهي ان الرسول لو كان في هذا العصر لاختلفت سنته فيه ولو لم يسأل ما أبدى حكماً

= ﴿ الكتاب ﴾ قلت في الكلام عن السنة ان الله أودع الكتاب كل حكم شاء ان يفرض على كافة المسلمين في كل زمان اتباعه . فيكون الكتاب بذلك مقيداً للمسلمين فيما أمر. وبهذه المناسبة أعيد القول ان ليس لاي حكم لم يرد في الكتاب حكم الفرض الواجب العمل به . وما زاد عن الكتاب من سنة أو اجماع حكمه الجواز اذا شاء قام به الفرد وان لم ير مصلحة في ذلك فله العدول عنه

« والاحكام الواردة في القرآن عدا المبادئ الاصولية العامة على ثلاثة أقسام

(١) ماحرم عمله (٢) ما أوجب عمله (٣) ما أجيز »

ثم بين أن حكم القسم الاول أن لا يتعرض له ولا يحكم بشيء يخالفه في مرماه، كتحريم الأم والاخت والجمع بين خمس أزواج. ومرمى الشيء غرضه، والمراد أن يعتبر الغرض من الحكم لا الحكم نفسه فهو اذا كالقسم الثاني. وحكم القسم الثاني ان يبقى منه ماتتحقق به الحكمة المقصودة منه. ومثل له بإلغاء العدة والاشهاد على عقد الزواج. وبين أن حكمة العدة براءة الرحم من الحمل وحكمة الاشهاد إعلان الزواج (قال) « فلا حرج في ان نصل الى الغرض المقصود من أفيد الطرق وأخصرها » وعدّ جعل العقد رسميا مغنيا عن الاشهاد، ومرور أكثر مدة الحمل على الطلاق مغنيا عن التقيد بالتربص ثلاثة قروء. أي ومثل ذلك ما اذا علم عدم الحمل بالاطلاع على ما في الرحم بالاشعة التي تشف الجسم (أي تجعله شفافا) كالاشعة المعروفة بأشعة رونتجن، فبذلك يمكن إلغاء العدة على قاعدته. ثم قال بعد التمثيل الذي ذكرناه بالمعنى « وبذلك ينقض وجوب التقييد بالمعاني الحرفية للالفاظ القانونية الواردة في القرآن » وأما حكم الثالث وهو ما جعله القرآن جائزا كتعدد الزوجات فهو ان الانسان مخير فيه ولكن لكل حكومة ان تحرم منه بالقوانين الوضعية ما تشاء

- هذا رأي أحمد افندي صفوت في أصول الشريعة الاسلامية ذكرناه بقوله ويقترحه بصفته مسلما، وهو هدم لاصول الشريعة كلها لا يوافقه عليه مسلم في الارض وهو مسلم، وسنبين ذلك بالدليل في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

السيد الهمام - آل رضا

في آخر الساعة الثانية بعد النصف من ليلة الخميس لثمان بقين من شهر ذي القعدة الحرام الحال (الموافق لحلول الشمس في الدرجة الخامسة من برج السنبلة سنة ١٢٩٦ هـ ش — ٢٩ اغسطس) قد وهب الله جل ثناؤه لصاحب هذه المجلة غلاما سويا أزهر اللون جميل الخلق كأخيه (محمد شفيع) الا انه أوسع غرة وأنحف بنية، فسميناه الهمام (بضم الهاء وتخفيف الميم) فنحمد الله ونشكره على ماحبانا به من مزيد نعمه ونسأله تعالى أن يجعل له أوفر نصيب من اسمه، حتى يكون قرة عين لنا ولامته وقومه، ومثل ذلك لاخيه وأخته، (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما)





قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٣٠ ذي الحجة ١٣٣٦ — ١٢ الميزان (خ ١) ١٢٩٧ هـ ش ٦ اكتوبر ١٩١٨

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (*

(الموضع الثامن — أولاد عبد المطلب)

أنكر الناقد ذكرنا في (ص ١٣) بعض أولاد عبد المطلب دون بعض وقال ان المقام يقتضي استيعابهم لان الاقتصار في محل البيان يوهم الحصر . ونجيب عن ذلك بأن المقام لا يقتضي استيعاب ذكرهم لان الكتاب ليس في تاريخ بني هاشم وانما هو خلاصة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته وكليات دينه ومزايا ملته، وذكرنا من أولاد عبد المطلب والده (ص) وأعمامه الذين لهم شأن عظيم في سيرته وهم أبو طالب والعباس وحمزة (رض) ولكن العبارة قد توهم غير المطلع على تاريخهم ان هؤلاء جميع ولد عبد المطلب ولذلك نقحنا العبارة في نسختنا الخاصة التي يعتمد عليها في الطبعة الثانية هكذا « وولد لعبد المطلب أولاد كثيرون أشهرهم أبو طالب والعباس وحمزة

---

*) تابع لما في ج ٩ ويراجع النقد المردود عليه هنا في ص ٣٤٩ ج ٨

وعبد الله » . وما الحاجة الى ذكر كبراء المشركين الضالين بعد سكوتنا عن ذكر أشهرهم أبي لهب؟

﴿ الموضع التاسع — ما لقي (ص) من جحود قومه وإيذائهم ﴾

أنكر الناقد علينا اسناد الجحود والايذاء الى قوم الرسول (ص) واقترح ان يصحح بقوله : فلقي أشد الجحود والايذاء من زعماء قومه الذين أشقاهم الله . واحتج على ذلك بما قدمه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته (ص) ونجيب عن هذا بما أجبنا به عن ذلك الذي قدمه وأهمه أننا اهتدينا في هذا التعبير بالقرآن المجيد فقد قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل زعماء قومك. ولهذا الاستعمال نظائر فيه وفي كلام العرب، ولا يعقل ان يشترط في لغة ما أن لا يسند الى القوم الا ما يفعله كل فرد من أفرادهم اذ لا يمكن العلم بهذا الا في قوم محصورين عملوا عملا شاهده منهم من أخبر عنهم وذلك نادر، وانما المعروف انه يسند الى القوم ما يفعله الجمهور وان أنكره من لا يؤثر انكاره لضعفهم أو قلتهم، وكذا ما يفعله البعض ولم ينكره الجمهور كقتل اليهود للانبياء وعقر ثمود للناقة. وتفصيل الرد على هذه المسألة يعلم مما يأتي في الكلام على الموضع العاشر والموضع الحادي عشر

﴿ الموضع العاشر — حمايته (ص) للقيام بالدعوة ﴾

أنكر الناقد علينا قولنا في (ص ٣١) أنه (ص) كان يدعو الناس لحمايته للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قريش أحد، واقترح أن تصحح العبارة أو تنقح بقوله : كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه للقيام بهذا الامر فحال زعماء الشرك دون ذلك الخ وهذا وما قبله من تلك العصبية، وغرضه ان ينزه قريشا مما ذكر ويسنده الى زعماء الشرك على الابهام، والجواب عنه يعلم مما تقدم بالاجمال، وأما التفصيل فهو في كتب الحديث والسيرة النبوية أيها راجع القارئ يجد فيه ان قريشا اشتد إيذائها للرسول (ص) بعد هلاك عمه أبي طالب وانه خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه — وهذه عبارة ابن هشام عن ابن اسحق — وانه كان يعرض نفسه على القبائل فيردونه حتى أجابه وفود الانصار (رض) وفي حديث عمرو بن مسلمة عند البخاري ان العرب كانت تقول دعوه وقومه فان ظهر عليهم

فهو نبي صادق. ولو كان فيمن آمن من قومه قوة ومنعة لما احتاج الى ذلك، بل كان كان يدعو القبائل الى الاسلام فقط . وهذا أمر مشهور متفق عليه ولم نر قبل هـذا النقد الغريب أحدا بلغت منه العصبية لقريش حتى في شر ماكانت عليه في جاهليتها هذا المبلغ ، وسنزيد هذا بيانا في الرد على الموضع الآتي =

﴿ الموضع الحادي عشر — ثباته (ص) في أحد ومن ثبت معه ﴾

قلنا في الـكلام على شجاعته وثباته عليه الصلاة والسلام من (ص ٣٧) انه ثبت وحده يوم أحد. فأنكر الناقد علينا ذلك وقال انه « يذكر انه ثبت معه بضعة نفر من قريش وبني هاشم (قال) وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها أشعارا بمزايا الاصطفاء التي ذكرتموها اه

والجواب ان الاحاديث الصحيحة تثبت انه (ص) انفرد بالثبات في الغزوتين بالذات وثبت معه أفراد بالتبع ، فالاولى ان يعطف يوم أحد على يوم حنين أو يكتفي بالثاني فانه ثابت في الصحيح بلفظه فلا غروان يذكر في مثل هذا السياق ، وان قيدوه بما سيأتي للجمع بين الروايات ، ففي بعض ألفاظ حديث أنس من صحيح البخاري انه « لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع النبي (ص) عشرة آلاف من الطلقاء (هم الذين أسلموا في مكة يوم الفتح) فأدبروا عنه حتى (بقي وحده) فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما: التفت عن يمينه فقال: يا معشر الانصار ؟ قالوا لبيك يا رسول الله نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الانصار : قالوا لبيك يارسول الله نحن معك» الحديث ، ويؤيده حديث البراء في الصحيحين وهو انه سئل : أوليتم مع النبي (ص) يوم حنين؟ فقال أما النبي (ص) فلا — الحديث — وفي رواية : أفررتم عن رسول الله (ص) يوم حنين فقال : لكن رسول الله (ص) لم يفر ... وفي رواية انه سئل : أتوليت يوم حنين ؟ قال: أما أنا فأشهد على النبي(ص) انه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبو سفيان ابن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء » الحديث . وأبو سفيان هـذا هو ابن عمه (ص) الحارث بن عبد المطلب وكان خرج الى النبي (ص) وهو قادم الى مكة فاتحا فأسلم وحسن اسلامه . وروى ابن أبي شيبة من مرسل الحكم

ابن عتيبة أنه لما فر الناس يوم حنين لم يبق معه (ص) الا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي والعباس بين يديه وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الايسر قال وليس يقبل نحوه أحد الا قتل . واختلفت الروايات فيمن ثبتوا معه على أقوال: ٩ أو ١٠ أو ١٢ أو ٨٠ أو دون ١٠٠ أو ١٠٠ بضعة وثلاثون من المهاجرين والباقون من الانصار وهذا الاخير تفصيل رواية أبي نعيم في دلائل النبوة و يروى عن العباس (رض) الله عنه انه أنشد في ذلك

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا
وعاشرنا وافى الحمام بنفسه ... لما مسه في الله لا يتوجع

قال الحافظ في الفتح واهل هذا هو الثبت ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعد فيمن لم ينهزم وكان أول من ولى وانهزم الطلقاء من قريش الذين دخلوا الاسلام يوم الفتح وما كلهم بصادق . وقال العلماء ما كل من ولى يومئذ كان فارا من القتال بل منهم من كان متحرفا لقتال أو متحيزا الى جهة أو فئة لاجل القتال، و بعضهم جرفه التيار وهو لايدري أين ذهب ، وقالوا في الجمع بين رواية ثباته وحده ورواية ثبات القليل معه ان هؤلاء كانوا في خدمته وكان هو المهاجم وحده وهم يتبعونه من ورائه حيث توجه فتوجه الى قتال المشركين ولما رأى ما رأى من اختلاط الحابل بالنابل نادى الانصار فلبوه فكان النصر بهم وان كان فضل المهاجرين وثباتهم لاينكر ، وكانت مزية بني هاشم ان اكثر العشرة أو الاثنى عشر الذين ثبتوا معه أولا منهم . وكان منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعثمان بن طلحة وما لبث جمهور الصادقين أن تبينوا الامر فصاروا يتراجعون

وقد ثبت في الصحيحين وغيرها ان النبي (ص) لما حاز الغنائم العظيمة في هذه الغزوة قسمها في قريش بين المهاجرين الذين أسلموا قبل الفتح والطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح ولم يعط الانصار شيئا فوجد بعضهم لذلك فقال بعضهم اذا كانت شديدة فنحن ندعى و يعطي الغنيمة غيرنا . وقال بعضهم يغفر الله لرسول الله (ص) يعطي قريشاً و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. فجمعهم (ص) في قبة أدم (جلد) وسألهم عما بلغه عنهم فسكت بعضهم وقال فقهاؤهم : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم

يقولوا شيئاً وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا كيت وكيت. فقال (ص) « اني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم — وفي رواية ان قريشاً حديث عهد [1] بجاهلية ومصيبة واني أردت أن أجبرهم وأتألفهم — أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله (ص) الى بيوتكم ؟ قالوا بلى . وفي رواية انه خطبهم فذكرهم فضل الله به عليهم بالهداية والتأليف بينهم والغنى ثم قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي (ص) الى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا وسلكت الانصار شعبا لاخترت وادي الانصار وشعبها، الانصار شعار والناس دثار» الخ وقد بين العلامة ابن القيم الحكم في غزوة حنين في الهزيمة ثم في النصر وقسمة الغنائم ومنها انه (ص) لم يعط كبار المهاجرين من الغنيمة كالانصار، فيراجع في زاد المعاد ولخصه الحافظ في الفتح

وأما ثباته وحده (ص) يوم أحد فهو ظاهر قوله تعالى (اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) فقد اتفقوا على انه نزل في هزيمتهم يومئذ قال الحسن البصري: فروا منهزمين في شعب شديد لا يلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم « اليّ عباد الله الي عباد الله» ولا يلوي عليه أحد. وروي نحوه عن ابن عباس وعطية الصوفي وقتادة الا الجملة الاخيرة فقد انفرد بها الحسن . وقد اختلفت الروايات فيمن ثبت معه (ص) وظاهر بعض الروايات الصحيحة أن الناس تولوا فلم يبق مع النبي (ص) غير أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري يناضل عنه فكان ثباته معه لاجله فيصح ان يقال انه (ص) ثبت وحده يومئذ لان ثباته كان بشجاعته الذاتية وثبات أبي طلحة لانه رآه ثابتا فوجب عليه ان يناضل عنه بسهامه ولما رآه غيره فعلوا مثل فعله، فقد كان سبب الهزيمة الاكبر اشاعة قتل النبي (ص) ولم يلبث أن تراجع الناس اليه لما علموا ببقائه فداه أبي وأمي (ص) فالسابقون الى ذلك عدوا من الثابتين معه واختلف في عددهم لان كل راو ذكر من رآه أو علم بوجوده معه فلا تنافي بين رواياتهم، ففي حديث أنس عند البخاري: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ص) وأبو طلحة بين يدي النبي (ص) مجوّب (أي مترس) عليه بجحفة له وكان أبو طلحة

(١) كذا في النسخ الصحيحة واعتمد بعضهم ان أصله حديثو عهد

رجلا راميا شديد النزع (أي رمي السهم) كسر يومئذ قوسين أوثلاثا وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول «أنثرها لابي طلحة» (قال) و يشرف النبي (ص) ينظر الى القوم فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لاتشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم (هي أم أنس) وانهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما [1] تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم [2] ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة اما مرتين واما ثلاثا

وفي حديثه عند مسلم انه (ص) أفرد في سبعة من الانصار ورجلين من قريش يعني طلحة وسعدا . وفي حديث عائشة عند أبي داود الطيالسي قالت كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : كان ذلك اليوم كله لطلحة قال كنت أول من فاء (أي رجع) فرأيت رجلا يقاتل عن رسول الله (ص) قال فقلت كن طلحة (قلت) حيث فاتني يكون رجل من قومي و بيني و بينه رجل من المشركين فاذا هو أبو عبيدة فانتهينا الى رسول الله (ص) فقال « دونكما صاحبكما » يريد طلحة فاذا هو قد قطعت أصبعه الخ . وفي الصحيح التنويه بسعد بن أبي وقاص فانه كان يناضل عنه (ص) وهو يقول له « أرم فداك أبي وأمي » روى البخاري هذا عنه ، وروى عن علي كرم الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله (ص) يجمع أبويه لاحد غير سعد . يعني في الفداء . وروى عن أبي عثمان النهدي انه لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك الايام التي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد . أي طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وهما حدثا أبا عثمان النهدي بذلك ، وروى الحاكم عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها قال : لما جال الناس يوم أحد تلك الجولة تنحيت فقلت اذود عن نفسي فاما أن أنجو واما ان أستشهد فاذا رجل محمر وجهه وقد كاد المشركون ان يركبوه فملأ يده من الحصى فرماهم .. واذا بيني و بينه المقداد فأردت أن أسأله عن الرجل فقال لي ياسعد هذا رسول الله (ص) يدعوك فقمت وكأنه لم يصبني شيء من الاذى وأجلسني أمامه وجعلت أرمي فذكر الحديث اه من الفتح وفيه اختصار وقد نقله دحلان في سيرته عن المستدرك بزيادة واختلاف في بعض الجمل ومن الزيادة

(١) الخدم جمع خدمة وهي الخلاخيل وقيل الخدمة أصل الساق . والسوق جمع ساق

(٢) أي ترفعان قرب الماء بخفة وسرعة على ظهورهما وتسقيان الجرحى بصبه في أفواههم

أن الرجل المحمر لما رمى المشركين بالحصى تراجعوا عنه الى الجبل ففعل ذلك مرارا.
فظاهر هذا الحديث انه لما جاء سعد لم يكن عنده غير المقداد وما يدرينا ان المقداد لم يكن معه من أول الامر،

قال الحافظ في شرح حديث أبي عثمان النهدي من الفتح : وعند ابن عائذ من مرسل المطلب بن عبد الله بن حنطب ان الصحابة تفرقوا عن رسول الله (ص) حتى بقي معه اثنا عشر رجلا من الانصار. والنسائي والبيهقي في الدلائل من طريق عمارة ابن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال تفرق الناس عن النبي (ص) يوم أحد و بقي معه احد عشر رجلا من الانصار وطلحة[1] واسناده جيد وهو كحديث أنس الا أن فيه زيادة أربعة فلعلهم جاؤا بعد ذلك، وعن محمد بن سعد انه ثبت معه ١٤ رجلا ٧ من المهاجرين منهم أبو بكر. و٧ من الانصار . ويجمع بينه وبين حديث الباب (أي حديث أبي عثمان النهدي) بأن سعدا جاءهم بعد ذلك كما في حديثه الذي قدمته في الحديث الخامس (أي حديث أرم فداك أبي وأمي) وان المذكور من الانصار استشهدوا كلهم فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء بعدهم من جاء . وأما المقداد فيحتمل ان يكون استمر مشتغلا بالقتال ، وسيأتي بيان ما جرى لطلحة بعد هذا. وذكر الواقدي في المغازي انه ثبت يوم أحد من المهاجرين سبعة أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة، ومن الانصار أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وقيل ان سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة بدل الاخيرين، فان ثبت حمل على أنهم ثبتوا في الجملة ، وما تقدم فيمن حضر عنده (ص) أولا فأولا والله أعلم اهـ كلام الحافظ في الجمع بين الاقوال ..

فعلم مما تقدم ان منقبة الثبات مع النبي (ص) يوم احد خاصة بمن علموا بموقفه ودافعوا عنه قبل ان يتراجع الجيش وانها لم تكن للمهاجرين وحدهم بل كان للانصار

---

(١) هو ابن عبيد الله وملخص تتمة الحديث أن النبي «ص» قال لما لحقهم المشركون وهو يصعد في الجبل « ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله ، فقال « كما أنت يا طلحه » فاستأذنه رجل من الانصار فأذن له فقاتل حتى قتل . فاعاد «ص» القول فلباه طلحة فقال له كما قال أولا فاستأذن أنصاري آخر فأذن له، وما زال يعيد ذلك ويحبس طلحة حتى لم يبق معه غيره فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله . وفي رواية شلت أصبعه أو أصبعاه وأنه جرح بضعة وثلاثين جرحا

الحفظ العظيم منها، وانه لم يكن مع المهاجرين أحد من بني هاشم غير علي كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين

﴿ الموضع الـ ١٢ — مدة اقامته (ص) بمكة بعد التبليغ ﴾

قال الناقد : ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء التبليغ عشر سنين والمشهور انها بضع عشرة سنة اه

ونقول ان هذه العبارة أظهر هفواته وأغربها فما ذكرناه هو المنصوص في كتب الحديث والسير، وما ذكره وادعى أنه المشهور لم يقل به أحد . وانما وقع الخلاف في الروايات الواردة في مدة اقامته بعد البعثة لا بعد التبليغ بين عشر وثلاث عشرة وجمع بينهما المحققون بأن المدة بين بدء الوحي وفترته وبين الامر بالتبليغ ثلاث سنين والمدة من بدء الامر بالتبليغ الى وقت الهجرة عشر سنين، بين ذلك الامام احمد في تاريخه وغيره من المحدثين واعتمده ابن اسحق وغيره من أصحاب السير . فهل بلغ من الناقد الفاضل التعصب لمكة كاهلها أن حفظ المدة من ابتداء الوحي بالرؤيا الصادقة الى وقت الهجرة حفظا إجماليا ثم نسي تحديدها وصفتها فجعلها بضعة عشر عاما من أول التبليغ، وعلى هذا يحتمل ان تكون سبع عشرة سنة أو تسع عشرة سنة وان تضاف اليها مدة الفترة فتكون ٢٢ سنة !! ومن المشهور الذي يحفظه العوام وصبيان المكاتب في مدارس الناقد الفاضل كغيرها ان النبي (ص) بعث على رأس الاربعين وتوفي في ربيع الاول من السنة الحادية عشرة للهجرة عن ٦٣ سنة، فسبحان من لا ينسى ولا يذهل

وقد أضاف النـاقد الى هذا الموضع مسألة أخرى فادعى اننا لم نذكر في الكتاب دخول الاسلام في عهد القوة والمنعة بعد فتح مكة بدخول قريش فيه واتباع العرب لهم، ورجا ان نذكر ذلك في المستقبل لانه مظهر مزايا الاصطفاء . ونجيب بأننا ذكرناه بالاجمال، ولا يتسع هذا المختصر للتفصيل

ونحب أن نصرح لاخينا الناقد الفاضل بأن كتاب ذكرى المولد النبوي لم يوضع لشرح حديث الاصطفاء ومناقب قريش وبني هاشم فنذكر فيه كل مايتعلق بذلك من تاريخهم في الجاهلية والاسلام وانما شرحنا الحديث شرحا لم نطلع لاحد على مثله لبيان حكمة بعثة النبي (ص) في خير بيت من بيوت الامة العربية « للرد بقية »

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

٣

الاسلام وأصول الشريعة

قد علم مما تقدم في المقالتين الاوليين ان من المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة الاسلامية كلها والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بآرائهم ، وان استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أمم أخرى مخالفة للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم، وان من هؤلاء المتفرنجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد دينهم وهدم شرعهم الذي هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الاصلاح ، وان أغرب أحوالهم المتناقضة أن بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعي امكان الجمع بينه وبين نبذ أصوله كلها استهجانا لها بزعم انها وضعت لقوم لم يرتقوا الى الكمال الانساني الذي ارتقى اليه هؤلاء المتفرنجون ، ومن أهم أصوله اباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الاخدان لكل عذراء تجاوزت السنة الرابعة عشرة أي صارت بنيتها مستعدة لهذا التمتع المفسد للصحة الجالب للادواء القاتلة المقلل لنسل الامة المشوه لآدابها الموقع للعداوة والبغضاء بين أفرادها وأسرها

جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التي نردعليها في هذه المقالات بما تقدم بيانه في المقالة الثانية مع الوعد بالرد عليه واننا نبدأ الرد بكلمة وجيزة في بيان ما يناسب المقام من تعريف ما يكون به المسلم مسلما ليعلم هل يمكن الجمع بين الاسلام وبين ما جاء به ودعا اليه أحمد صفوت أفندي من حيث هو مسلم وان كنا قد بينا هذا في المنار من عهد قريب لئلا يقع بعض الجاهلين فيما يعده جميع المسلمين كفرا وهو لا يدري فنقول

الاسلام والكفر

ان الاسلام الصحيح عبارة عن الاذعان النفسي والخضوع الفعلي لجميع ماجاء به محمد خاتم النبيين والمرسلين (ص) عن الله تعالى مع الاعتقاد الجازم بأن كل ذلك حق وخير وان كل ما يخالفه باطل وشر ، سواء كان ذلك الجزم بدليل قطعي أو اقناعي

أو بغير دليل كما هو رأي الجمهور في صحة ايمان المقلدين. فمن أذعن بالفعل ظاهراً وهو غير مؤمن بما ذكر فهو منافق، ومن اعتقد وأيقن ولم يذعن فهو جاحد مجاهر، كما قال تعالى في قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وان الاذعان والخضوع لبعض ما جاء به الرسول دون بعض كفر كالايمان ببعضه دون بعض، قال تعالى فيمن خالفوا بعض أحكام كتابهم الدنيوية (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) ولذلك أجمع أهل الحل والعقد من الصحابة بعد التشاور على قتال مانعي الزكاة وعدوهم مرتدين عن الاسلام. وليس منه مخالفة بعض الاوامر والنواهي بجهل أو تأول أو جهالة كغلبة غضب أو شهوة مع الاذعان النفسي في عامة الاحوال، والعملي فيما سوى هذه الشواذ، فان الجاهل يرجع اذا زال جهله بالعلم الصحيح، والفاسق يتوب اذا زالت جهالته بذكر الله وتذكر الوعد والوعيد (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)

فهذا هو الاسلام الذي لا يعتد المسلمون بدين من خالفه ولا يعدونه منهم، فلا يرثونه ولا يرثهم، ولا يحل لهم ان يزوجوه مسلمة منهم، ولا أن يدفنوه في مقابرهم. ثم ان ما جاء به الرسول قسمان قطعي الرواية والدلالة وغير قطعي، وقد بينا حكم كل منهما في تفسير الجزء الماضي من المنار. ومن القطعي المعلوم من الدين بالضرورة ان محمداً (ص) خاتم النبيين ويلزمه أن شرع الاسلام باق ما بقي البشر لا ينسخه شيء، وقد أمر الرسول (ص) من كان في عصره من المسلمين ان يبلغوا من بعدهم، ولم يفرق أحد من سلف المسلمين وخلفهم بين من بلغتهم دعوته (ص) منه في عصره، ومن بلغته من غيره بعده. فمن يدعي الاسلام ويزعم ان ما جاء به الرسول من أحكام الشرع لم يكلف اتباعه فيه كله الا الذين كانوا في زمنه لانه كان حاكمهم، وأن من بعدهم لا يكلفون الا اتباع ما تشرعه لهم حكامهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم، وانه لا فرق بين هؤلاء الحكام وبين الرسول في كونهم شارعين يجب اتباع أحكام شرعهم في الامور الشخصية والمدنية والتأديبية على سواء وينسخ المتأخر منهم ما شرعه من قبله — من يدعي ما ذكر — فقد جاء بدين جديد معارض لدين الاسلام مع انتحاله لاسمه،

ولا يعتد أحد باسلامه الا من استجاب له وقبل دعوته، كما فعلت فرق الباطنية قديما وحديثا فانهم حرفوا أصول الاسلام وفروعه وشرعوا من الدين مالم يأذن به الله فلم يعتد المسلمون بانتحالهم لقب الاسلام في الظاهر بل سموهم بأسماء أخرى كالاسماعيلية والدروز والنصيرية والبابية والبهائية ، ولم يبح مسلم سني ولا شيعي ولا خارجي أكل ذبائحهم ولا تزويجهم ولا التزوج منهم ، لانهم أبعد عن الاسلام من أهل الكتاب الذين يبيح السواد الاعظم من المسلمين أكل ذبائحهم والتزوج منهم ، فكيف بالتوارث الذي لا يحل بين المسلمين وأهل الكتاب ؟ فيجب على قائل ذلك القول وعلى من صدقه أن يرجعوا عنه اذ قد قالوه عن جهل بحقيقة الاسلام، وعسى ان يكونوا قد فعلوا ، فنحن أحرص الناس على عدم اخراج أحد ينتمي للاسلام من حظيرته ، وانما نبين الحقيقة عند الحاجة في نفسها، ولا نحكم على شخص معين بها ولا بلوازمها، وانما نعين الاشخاص على الحكم على أنفسهم ، وعلى معرفة حكم الله فيمن يعرفون حالهم ، سواء كان في مسألة الشارع والتشريع أو في غيرها . ومن الاصول المجمع عليها بين المسلمين أن لاحكم لغير الله بعد وورود شرعه، وسيأتي الكلام في ذلك ومن كان في قلبه شبهة من ذلك القول الناقض لهذا الاصل فيجب عليه ان يبحث حتى يزيلها. و يطمئن قلبه بوجوب اتباع الرسول (ص) في جميع ما ثبت عنه من أمر الشرع وسنرد الشبهات التي ذكرها احمد افندي صفوت في بحث الكتاب والسنة

بعد هذه المقدمة التي وفينا فيها بوعدنا في آخر المقالة الثانية . نبدأ بنقل كلام أحمد أفندي صفوت على الترتيب الذي ذكرناه في تلك المقالة فنقول :

القياس من أصول الشريعة

القياس ليس من الاصول التي أجمع عليها المسلمون بل الفقهاء فيه فريقان أحدهما يثبته وهم الجمهور ومنهم المقتصد فيه والقائل بانه ضرورة تقدر بقدرها ، ومنهم المقتصد فيه والمبالغ في التوسع، وثانيهما ينكره وهم الظاهرية. وقد بينا حجج الفريقين وتحقيق الحق في ذلك في تفسير قوله تعالى (٥:١٠٤ يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم) الآية[1] والقياسيون لم يقولوا بالقياس الا بما ظهر لهم من

(١) براجع في المجلد ١٨ من لمنار وفي ج ٧ من التفسير وهو بحث يستغرق ٧٥ صفحة

الدليل عليه من الكتاب والسنة. والظاهرية لم ينفوا القياس الا لاعتقادهم أن نصوص الكتاب والسنة وقواعدهما مغنية عنه

وأما غلاة المتفرنجين فانهم يردون القياس لانه مبني على كتاب الله وسنة رسوله لا لانهم يستغنون عنه بنصوصهما كالظاهرية من علماء السنة ، بل هم يرغبون عنهما بالذات وعنه بالتبع لهما ، ويستبدلون بأصولها وأحكامهما أحكاماً أخرى يقيسون عليها ، صرح بذلك أحمد افندي صفوت في خطابه كما نقلناه في المقالة الثانية عن ص ٢١ من رسالته ، قال

« أما القياس فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الاصول الاخرى » أي الاصول التي تشرعها لهم حكوماتهم كاصل الحرية الشخصية في القانون المصري ، وتقدم بيان ذلك والتمثيل له في المقالة الثانية ، ولا نطيل القول في هذه المسألة لانها غير مقصودة لذاتها، ولان رده القياس الفقهي ليس لدليل شرعي ولا عقلي على فساده ولا لكونه ينافي الحق والعدل ، وسيأتي له ذكر في الكلام بعد .

الاجماع من أصول الشريعة

قد اختلف علماء أصول الفقه الاسلامي في الاجماع الاصطلاحي الذي عرفوه بقولهم « هو اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على أمر من الامور » فقال بعضهم بعدم امكانه و بعضهم بعدم امكان العلم به و بعضهم بعدم امكان نقله الى من يحتج به و بعضهم بعدم كونه حجة ، والامام أحمد والظاهرية لا يحتجون الا باجماع الصحابة ، ويستدل العلماء الذين يحتجون بالاجماع الاصطلاحي — وهم جمهور سائر المذاهب — بآيات من القرآن وأحاديث فهموا منها اثبات حجية الاجماع أدناها مرتبة في الرواية حديث ابن عمر « لن تجتمع أمتي على الضلالة » كما رواه الطبراني في الكبير عنه ، أو « لا تجتمع أمتي على ضلالة ، ويد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ الى النار » كما رواه الترمذي عنه ، وقد نوزعوا في دلالة ما استدلوا به على اجماعهم الاصطلاحي . وقد حررنا بحث الاجماع ومايقوم الدليل عليه منه في تفسير قوله تعالى (٤ : ٥٨ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وبينا هنالك ان أصول الشريعة الاسلامية أصح

وأعدل وأفضل من جميع أصول الحكومات الشوروية التي يسمونها في عرف هذا العصر بالنيابية و بالدمقراطية [1]

وأما غلاة المتفرنجين فيردون اجماع المسلمين من الصحابة وغيرهم بغير علم ولا فهم لانهم يرغبون عن كل ماهو اسلامي قديما كان أو حديثا الى قواعد تشريعهم الجديد الذي نذكر بعض مسائله في الاحكام الشخصية من هذا البحث لا لمخالفة لاجماع للعدل أو للمصلحة فشأنهم فيه شأنهم في القياس كما تقدم آنفا

قال اسلامبولي حمد افندي صفوت في خطابه المعهود : [وأما الاجماع وحجتهم فيه حديث « لا تجتمع أمتي على ضلال [2] » فنقسمه الى قسمين اما اجماع العلماء أو حكم ولي الامر السابق وبحسب قواعد نظامنا القضائي لانتقيد برأي مهما أجمع عليه الشراح الى أن نوافق على اجماعهم] اه فجعل حكم ولي الامر السابق داخلا في معنى الاجماع وما هو منه في شيء ، وفسر اجماع العلماء بما يتفق عليه شراح كتب الفقه من الآراء — كما هو المتبادر من عبارته — وهذا الاطلاق باطل كما علم من تعريف الاجماع الذي ذكرناه آنفا . ثم انه زعم ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضاء منهم بحكم السابقين (قال) « ونحن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » فهو بعد قوله ان علماء المسلمين يستدلون على حجية الاجماع بالحديث الذي ذكره ولم ينازع في دلالته على ذلك برفضه بصفته مسلما ويدعى أن المتأخرين وحدهم هم الذين جعلوه حجة . وذلك دليل على انه لا يعرف معنى الاجماع ولا تاريخه ، وانه لا يفهم معنى ما يقوله وما يكتبه بالعربية ، دع ما فيه من الخطأ والغلط اللغوي ، فهو اذا لا يرفض شيئا من أصول الشريعة — دع فروعها التي هي تبع لها في الرفض — لانه لادليل عليه ، ولا لأن دليله معارض بما هو أقوى منه ، ولا لانه غير مطابق لمصلحة المسلمين في هذا العصر ، وان كان هو وأمثاله يزعمون ذلك بغير علم ، بل لانه يستبدل بما شرع الله وبكل ما يبنى عليه ما يشرعه الناس وان اختلف في كل قطر اسلامي باختلاف أفكار الشارعين أصحاب

---

[1] يراجع ذلك في مجلدي المنار ١٣ و ١٤ وفي الجزء الخامس من التفسير

[2] صوابه ضلالة كما تقدم آنفا

السلطة والنفوذ فيه بحيث يكون للمسلمين عشرات من الشرائع في أحكام الزواج والطلاق وما يتبعهما وفي سائر الاحكام حتى يخرجوا عن كونهم أمة واحدة كما سماهم الله تعالى . ومن يرفض أصول الشريعة الاسلامية وجميع أحكام أهلها من المتقدمين والمتأخرين لما ذكرنا من العلة كيف يبالي بتفريق شمل الامة وتقطيع جميع الروابط والمقومات التي كانت بها أمة؟ ومن كان بمكانه من الاسلام والعلم بمصالح أهله ما ذكرنا فهل يستبعد منه أن يعد هذا الافساد اصلاحا وطنيا كما نسمع من أفواه هؤلاء المتفرنجين كثيرا ونرى مثله فيما يكتبون أحيانا؟

قلنا ان فريق الغلاة من هؤلاء المتفرنجين يرفضون الاجماع وهو اتفاق علماء الشرع المستقلين من المسلمين لانه اجماع المسلمين ، وما ذلك الا انهم مرقوا من دينهم ولا يحبون ان يبقى لهم به صلة ما بل يحاولون افساد عقيدة كل من استطاعوا فتنته من أهل هذا الدين كما يفعل أمثالهم من دعاة الاديان أو دعاة الالحاد

قلنا انهم يرفضون القياس الاسلامي أيضا لانه يستند على نصوص الكتاب والسنة التي لا يدينون بهما ولكنهم يجيزون القياس على ما يستحسنون من نصوص القوانين الوضعية . كما انهم يستحسنون العمل بما يتفق عليه علماء هذه القوانين من أي ملة كانوا ، ومن قبل رأي الافراد من قوم فهو أجدر بقبول رأي الجماهير منهم

وقلنا انهم لا يرفضون ذلك بدليل عقلي ولا شرعي فيكون موضوع المناقشة بيننا وبينهم كما وقع بين من قبلنا من سلفنا كالظاهرية والقياسية ونفاة الاجماع الاصولي على اطلاقه ومثبتيه وكما يقع الآن بين المستقلين في الفهم منا .

وأما غير الغلاة المرتدين من المتفرنجين فيوجد فيهم من يجد في صدره حرجا من الفقه الاسلامي اذ يرى كثيرا من فروعه غير معقولة أو غير عادلة ويرى ان قائليها لاحجة لهم عليها غير أقيسة لهم يعتقد أنها آراء لهم أو مفهومات لعبارات كتب مذهبهم لا يظهر لها أصل من نصوص الكتاب والسنة ، أو دعوى اجماع لم يثبت باتفاق المحدثين والمؤرخين على نقله ، ولا حجة على جمله كالنص الذي لا سبيل الى نقضه،

ويوجد فيهم من قد ينكر كون القياس حجة ، أو من ينكر كثيرا مما ذكروا له مسالك العلة ، ومن ينكر حجية الاجماع أو إمكانه أو امكان العلم به ، وأكثر منهم من ينكر كونه حجة دائمة باقية كالكتاب والسنة ، وكون آراء الفقهاء الاجتهادية

شرعاً ثابتا يجب العمل به وان ظهر لنا من النصوص خلافـه ، أو ثبت بالتجربة ضرره في مصالح الامة الشخصية أو المنزلية ، أو شئونها الاجتماعية والسياسية

ويوجد فيهم وفي غيرهم من مستقلي الفكر من يظنون بادي الرأي ان أكثر أحكام الفقه القضائية والسياسية آراء المجتهدين إن كانت كلها أو جلها موافقة للمصلحة في الزمن الذي وضعت فيه فقد صارت غير موافقة لمصلحة المسلمين أنفسهم في هذا الزمن

وفي كل فريق ممن ذكرنا مقتصد في نقده لهذا الفقه ومسرف ، ومستدل ومقلد ، ومن المستدلين الواسع الاطلاع ، والحافظ لقليل مما ينتقد من الاحكام ، ومنها بعض الاحكام الشخصية التي ألفت اللجنة المعهودة لاجلها . ومن يراجع مجلد المنار الرابع يرى فيه مناظرة في نقد الفقه الاسلامي بين كاتبين من أشهر الكتاب المعتدلين

وقد مر على أول بحث حضرته بمصر في هذه المسألة زهاء عشرين سنة وكان في دار سعد زغلول (باشا) ولم أنس كلمة قالها ثم قاسم بك أمين لمن ذكر في الامثلة المنتقدة مسألة الربا وهي : ان تحريم الربا منصوص في القرآن وكل ما نص في القرآن يجب أن يؤخذ بالتسليم من غير بحث، وإنما نبحث في أقوال الفقهاء.اهـ وبعد هذا بسنة أو سنتين زرت الاستاذ الامام في يوم عيد فألفيته في مكتبه داخل الدار مع أحمد فتحي زغلول (باشا) محتجبا عن جماهير المهنئين الذين يجلسون في حجرة الاستقبال ريثما يشربون القهوة وينصرفون، فلما جلست اليهما وجدتهما يبحثان في مسألة الاجماع ورأيت الاستاذ يوافق جليسه في بعض ماينكره من مباحث هذه المسألة، فقلت لهما اني أفهم في الاجماع معنى آخر غير المشهور في كتب الاصول وهو اتفاق أهل الحل والعقد كلهم أو أكثرهم مجتمعين على ما لانص عليه من الامور المتعلقة بمصالح الامة القضائية أو السياسية سواء كان في استنباط الاحكام لها أو في تنفيذها وأرى ان ذلك ينطبق على ادلة الاجماع ويوافق عمل السلف كجمع الخلفاء الراشدين أهل العلم والرأي للتشاور فيما لم يرد فيه نص من الكتاب ولم تجر به سنة نبوية ، وفي مبايعة الخلفاء . فقال الاستاذ ان هذا المعنى صحيح لا اشكال فيه ولا اعتراض عليه واستحسنه أحمد فتحي غاية الاستحسان . وقد بينت هذا المعنى بعد ذلك بما كتبته في المقالة الثالثة عشرة وهي المقالة الاخيرة من مقالات (محاورات المصلح والمقلد) في بحث الوحدة

الاسلامية في السياسة والقضاء المنشورة في مجلد المنار الرابع وقد اطلع عليه الاستاذ الامام يومئذ فأعجبه، ثم زدته بيانا في تفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) المنشور في أواخر المجلد الثالث عشر وأوائل المجلد الرابع عشر من المنار بعد ان نقلت عن الاستاذ الامام قوله انه اهتدى اليه بعد البحث في المسألة والتفكر فيها عدة سنين . وانه كان يظن انه لم يسبق اليه حتى رأي النيسابوري صرح به في تفسيره. وقد ذكرت هنالك ان النيسابوري أخذه عن الرازي وزاده بيانا ثم أيدت قولهما ووضحته بكلام السعد التفتازاني في مسألة انعقاد المبايعة بالإمامة. وقد حققت في المسألة ان الاجماع في الاسلام في معنى مجالس نواب الامة في القوانين الافرنجية الا انه أكمل منها. والقياس وهو ركن الاجتهاد للافراد منهم وعندهم أيضا يجري عليه القضاة ووكلاء الدعاوي وشراح القوانين، فالقوم قد اقتبسوا من أصول الفقه الاسلامي وفروعه ما ارتقت به قوانينهم ونحن أهملنا وقصرنا ورضينا بالجهل الذي هو التقليد حتى صار أهل شرعنا ينفرون و يفرون منه و يقلدون الافرنج أو يجتهدون في قوانينهم، ولو لم يحرمهم علماء السوء الجامدون وأمراء الجهل الظالمون من الاجتهاد في شرعهم ، لما فروا الى شرائع الاجانب وقوانينهم ،

ألا انه لا علاج لردة بعض المرتدين، ولا بتداع كثير من المبتدعين ولا لضعف سائر المتفرنجين الذين لا يزالون مؤمنين، الا سلوك سبيل الاستقلال في فهم الشرع، و بيان مكانته من المساواة والعدل، وموافقته لمصالح الناس، من جميع الاجناس، وشرح معنى قولنا انه أعظم مقومات هذه الامة تبقى ببقائه وتزول بزواله، وتفصيل ما يتبع ذلك من مقاصد الذين ربوا هؤلاء المتفرنجين على كراهته، وهم لا يشعرون بعلة ذلك ولا بعاقبته، فاذا ظل صنف الفقهاء والمتكلمين منا على جمودهم ، وايجاب تقليد ما اختاره المؤلفون المتأخرون الذين يعالجون مصنفاتهم ، فسيغلبهم هؤلاء المتفرنجون واعوانهم على هدم ما بقي من شرعهم ودينهم، بل يجعلونهم أعوانا لهم على هذا الهدم ، على جهل بذلك أو على علم ، وها نحن أولاء نرى مبدأ تشريع جديد ، ووضع طريف يابس بتليد ، يصيح بجانبيه مثل هذا الصوت الشديد، الذي أوجب هذا الرد العتيد، وقد رأينا من أصحاب العمائم من نصر ذلك القصد الخفي ، ولم نر منهم من أنكر هذا الصوت الجلي فأين الغيرة على الدين ؟ انا نراها تظهر على أشدها في تضليل من يدعو الى هداية

الكتاب والسنة ولم ير لها أثرا في تخطئة من يدعو الى ترك كل من الكتاب والسنة فان كان ذنب الاول انه يؤثر الاجتهاد على التقليد، فالثاني يهدم كلا من الاجتهاد والتقليد، وزال اعتذار الجامدين على التقليد بأن كلمة الدهماء مجتمعة عليه. فصار سببا للتفرق في الدين والارتداد عنه

واذا كان الاجماع — وهو ما يقرر باجتهاد جماعة أهل الحل والعقد — والقياس — وهو ما يستنبطه بالاجتهاد أفراد أهل العلم ، هما أرقى ما اقتبسه منا الافرنج ، وسبقنا اليهما ثابت بالنقل والعقل، وظهر انه لا علة لرفض من يرفضهما من المتفرنجين المارقين، الا كونهما من هداية الدين ، وتقييدهما بنصوص الكتاب والسنة ، وكونهما من آثار أئمة هذه الامة ، فننتقل الى الكلام معهم في أصلي الكتاب والسنة ، لنتبين هل ينبذونهما لذاتهما ، أم لعلل يستنكرونها فيهما ، وموعدنا في ذلك المقالة الرابعة

الشيخ عبد الكريم سلمان

في أثناء شهر شعبان من هذا العام فجع القطر المصري بعالم من أنفع علمائه، وأديب من أبرع أدبائه ، وكاتب من أبلغ كتابه ، وقاض من أعدل قضاته ، أحد أعضاء النهضة لاصلاحية الجمالية (الشيخ عبد الكريم سلمان) تغمده الله برحمته

ولد الفقيد في قرية (جنبواي) احدى قرى مديرية البحيرة من أبوين كريمي الاخلاق، أما الوالد فألباني الاصل، وأما الوالدة فعربية المحتد، وكان بين بيته وبيت الاستاذ الامام تعارف أهل الجوار ، فلما جاورا في الازهر تعاشرا معاشرة الاهل لا الطلاب، ولما خرجا الى ميدان العمل تعاونا تعاون أخلاء الاصحاب ، المتفقين في الآراء والمقاصد والآداب ، وعاشا ما عاشا متوادين موادة اللدات والاتراب ، ثم ما فرق الموت بينهما مدة التفاوت في العمر حتى جمع بينهما تحت التراب ، فعسى أن يكون هذا مصليا لذلك المجلي الى دار الثواب، وأن يجمعنا الله بهما في دار الكرامة يوم المآب

لعل الشيخ عبد الكريم كان أذكى ذهنا من الاستاذ الامام، ولكن هذا فاقه في الجد والاجتهاد ، وتسديد سهام الارادة الى كل مراده، والعادة أن أكثر الاذكياء يكونون قليلي العناية والاجتهاد في الاعمال العقلية التي تو كل الى رأيهم واختيارهم

(كطلب العلم في مثل الازهر) والسبب الخفي لذلك انهم لا يشعرون بما يشعر به من دونهم في الذكاء الى التعب في التحصيل ، الا من كان له من نفسه حافز يحفزه الى مقصد عظيم ، وكان الاستاذ الامام من هؤلاء فانه طلب العلم بباعث ديني قوي نماه في قلبه سلوك طريق التصوف قبله كما فصلناه في ترجمته فكان وهو يسكن مع الشيخ عبد الكريم في حجرة واحدة يقضي جل ليلته في المطالعة ويحاول الشيخ عبد الكريم هو وغيره أن يحملوه على مشاركتهم في سمرهم وما يلهون به فيه فيعييهم ذلك منه ، ولو كان الشيخ عبد الكريم مثل جده وعزيمته لكان للامة منه نابغة طار صيته في الاقطار ، وبلغ من الشهرة ما تبلغه شمس النهار ، على أنه مشى الهوينا فسبق الاقران ، فكان الاستاذ الامام البدء من مريدي السيد جمال الدين وكان هو الثنيان (١)

كان أول عمل تولاه الاستاذ الامام هو رئاسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وادارة المطبوعات فكان الشيخ عبد الكريم عضده الاول في قلم محرريها ثم كان خلفه بعد اعتزاله العمل باعتقاله مع زعماء العرابيين إثر احتلال الانكليز لمصر ، فوضع اسم (عبد الكريم سلمان) في ذيل الجريدة موضع اسم (محمد عبده) وظل في عمله هذا الى أن ألغي القسم الادبي من الجريدة واستغني عن عمله في المطبوعات بعد عودة الاستاذ الامام من منفاه

ولما شرع الاستاذ بعد استقراره بمصر في اصلاح التعليم في الجامع الازهر كان الشيخ عبد الكريم ساعده الايمن في ذلك من أول العمل الى آخره ، وهو هو مؤلف كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر — في عشر سنين) كتبه عقب استقالتهما من مجلس ادارة الازهر وطبعناه ونشرناه قبيل وفاة الاستاذ الامام ، بعد اطلاعه عليه واجازته له ، ومنه يعلم قيمة عمل الشيخين في اقامة هذا الركن العظيم من أركان الاصلاح الاسلامي ، وعبارته تشهد لهما بما كانا عليه من الاخلاص والتواضع والبعد عن التبجح والدعوى

فكفى الشيخ عبد الكريم فضلا وكرامة ان كان عشيرا ووديدا للاستاذ الامام في أول نشأته العلمية وعضوا عاملا معه في النهضة الاصلاحية الاولى التي توسل اليها

(١) تطلق العرب كلمة البدء على السيد الاول في السيادة والتقدم والثنيان على التالي له في ذلك قال الشاعر في تفضيل قومه على غيرهم

ثنيانا ان أتاهم كان بدءهم وبدؤهم ان اتانا كان ثنيانا

بادارة المطبوعات ، وفي الحركة الاصلاحية الثانية التي توسل اليها باصلاح التعليم في الازهر، وتفصيل ذلك في سيرة الاستاذ الامام. وقد تخرج مع الاستاذ الامام على يد السيد جمال الدين كثير من الازهريين في الافكار والكتابة والخطابة كان في مقدمتهم ابراهيم بك اللقاني، واشتغل معهما في المطبوعات أفراد منهم أشهرهم من الاحياء سعد باشا زغلول وابراهيم بك الهلباوي ومن الموتى سيد افندي وفا ، ولكن ترك كل أولئك زي العلم الديني ،واستبدلوا به الزي الافرنجي العثماني،فكان اكثرهم بعد الثورة العرابية محامين في المحاكم الاهلية، ولم يجد الاستاذ الامام من يشتغل معه في الاصلاح بعد العودة الى مصر الا من حافظ على الزي الازهري وهو الشيخ عبد الكريم . وبهذا يعلم تأثير تغيير الزي في الشؤون الاجتماعية

بعد خروج الفقيد من خدمة المطبوعات جعل عضوا (قاضيا) في المحكمة الشرعية العليا فكان فيها قدوة صالحة في تحري العدل. والاستقلال في الرأي،ومن آيات ماوصفناه به من شدة الذكاء انه ولي القضاء بمذهب الحنفية في المحكمة العليا الاستئنافية وهو شافعي لم يتمرن على الاعمال والاحكام القضائية في المحاكم الابتدائية فلم يعجزه أن يضرب مع أكبر القضاة بكل سهم، ويكون سباقاً الى اصابة الحق والعدل في الحكم ، وكان له من الشهرة في المحكمة ماهو جدير به . نعم انه كان قد سبق له دراسة بعض كتب الحنفية في الفروع والاصول كما شهد له الشيخ عبد القادر الرافعي وغيره من كبار فقهائهم

ولئن وجد في زمن الفقيد أفراد يساهمونه في فضيلة استقلال القضاء ، وآحاد يجارونه في حلبة الادب والانشاء، وآخرون يسبقونه بالتوسع في بعض العلوم ، أو الاغراب في بعض شوارد الفنون ، فقد كاد يكون نسيج وحده في أفضل مايتفاضل فيه الناس، بعد ما يتعلق بالباطن من معرفة الله . وكمال الايمان والاخلاص، أعني مكارم الاخلاق ، وما يلزمها من محاسن الاعمال والآداب ، فقد كان ممتازاً بالوفاء لاخوانه والاخلاص لاخدانه وخلانه ، والمروءة والنجدة في قضاء حاجات قاصديه، وان لم يكونوا من أصحابه ومحبيه، وأما أصحابه فكان أسبقهم الى عيادة مريضهم، وتشييع ميتهم، واصلاح ذات بينهم، وتهنئتهم بكل نعمة تحدث لهم، وكثيرا ما يسافر من بلد الى آخر للسعي بين متقاضيين ،والتأليف بين متباغضين،وازالة الجفاء بين أسرتين،

وكان له من الحذق في الاستعتاب ما يسل به السخائم ، ومن اللطف في العتاب ما يستخرج به الحفائظ، فلا تكاد تتماصى حية على رقيته، أو تأبى عقدة أن تنحل بنفثه

ومن سوء حظ المسلمين ان أسرع اليه اليأس من صلاح حالهم ، فأقعده في آخر عمره عن مساعدة أعمال الاصلاح العام لهم ، وقد كان الاستاذ الامام عناه بقوله لي في أول العهد بمقدمي الى مصر : ان لي أملا كاملا وهنا رجل آخر له نصف أمل . ثم لم يلبث هذا النصف أن ذهبت به وقائع الايام ، حتى كان يصرح بذلك ويحتج علي وعلى الاستاذ الامام ، قائلا سترى ما ينتهي اليه أملكما في هذه الامة الميتة ، وما يبلغه اصلاحكما من هذه الشعوب الفاسدة ، وله كلمة في هذا المعنى قالها لاستاذنا الشيخ حسين الجسر ، ألبسها كعادته ثوب الدعابة والهزل ، وقد كنا بدار الاستاذ الامام ، نتحدث فيما أشيع من رغبة الامة اليابانية في التدين بدين الاسلام ، قال الشيخ حسين الجسر : اذاً يرجى ان يعود الى الاسلام مجده ، قال الفقيد دعهم فإني أخشى اذا صاروا منا ، أن نفسدهم قبل ان يصلحونا . ذكرت هذا في ترجمة الرجل لما فيه من العبرة المحزنة . والى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

كان الفقيد طويل القامة عظيم الجثة قوي البنية فاعتراه منذ سنتين مرض في المعدة طال عهده وما نقه منه الا وقد ذهب سمنه ، وهزل بدنه ، وضعف قلبه ، حتى توفي فجأة بسكتة قلبية ، وكان يعزى أصدقاءه آل محمود في بلدة الرحمانية ، فنقلت جثته الى مصر ، وصلي عليه في الجامع الازهر ، ودفن بجوار صديقه الاستاذ الامام ، تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ، وقد حضر تشييع جنازته وليالي مأتمه من لا يحصى من العلماء والوجهاء ووفود البلاد من الوجهين البحري والقبلي ، مظهرين لمكانته العالية من أنفسهم ومعزين لنجله المهذب حسان افندي ، وللفقيد مقالات كثيرة في موضوعات شتى متفرقة في الصحف — كالوقائع المصرية ومجلة الآداب وجريدتي المؤيد والمقطم ، ولكن يقل فيها ما هو موقع منه أو معزو اليه ، وفي الاستطاعة جمع طائفة كبيرة منها ان وجد من يعنى بذلك . فعسى أن يأذن نجله بذلك لمن شاء ، جاعلا له حق طبعه ونشره ، لاحياء ذكرى والده وحفظ أثره .

حسن جلال باشا

كان حسن باشا جلال المتوفى في ١٨ جمادى الاولى الماضي من رجال العلم والعمل والفضيلة ومكارم الاخلاق الاسلامية، ففي سيرته من العبرة وحسن الاسوة ما يتوخى المنار نشره، ولم يكن تركنا الترجمته عقب موته تعمدا كتركنا تراجم أكثر من يموت من أرباب المناصب والرتب العلمية، والمظاهر الدنيوية العارين مما يتوخاه المنار، وإنما تركناها لان ما نعلمه من سيرته قليل مجمل، وكان محمد توفيق افندي أبو طالب رئيس كتاب محكمة مصر الاهلية قد أخبرنا بأنه شرع في كتابة ترجمة له، فانتظرنا صدورها للاخذ عنها وأكثر ما نرويه خلاصة منها

ولد الفقيد بمصر لاربع خلون من شعبان سنة ١٢٧١ ولما بلغ سن التعليم أدخل في مدرسة خليل آغا فكان لاول من طلبتها في جميع فصولها فمهد له ذلك دخول مدرسة دار العلوم التي أنشئت في سنة ١٢٧٨ بطريق الاستثناء لفقده بعض شروطها، فمني وجد الى ان حصل ما كان ينقصه منها، وفي سنة ١٢٩٢ جعل مدرسا بالمدرسة التجهيزية بعد أداء الامتحان المشترط لذلك، وفي سنة ١٢٩٥ اختير لتدريس اللغة العربية لابناء فاضل باشا فرافقهم الى سويسرة وتعلم فيها اللغة الفرنسية، وكان يتردد فيها على وزير مصر الشهير مصطفى رياض باشا دون جميع من هنالك من المصريين (اذ كانوا يجتنبون لقاءه لمغاضبته للخديو اسماعيل باشا) فلما اعتزل اسماعيل وولي توفيق وعاد رياض الى وزارة مصر أرسل الفقيد الى أوربة لتحصيل علم الحقوق على نفقة الحكومة فنال شهادة الحقوق وعاد الى مصر فخدم القضاء مساعدا للنيابة فقاضيا فوكيلا لبعض المحاكم فرئيسا لعدة منها آخرها محكمة الاسكندرية تولاها عشر سنين ونصف سنة فمستشارا في محكمة الاستئناف وكان آخر راتبه الشهري فيها مائة جنيه .

ومن خدمته للعلم انه كان عضوا في المجلس الاعلى للازهر والمعاهد الدينية وعضوا في اللجنة الادارية لمدرسة القضاء الشرعي

هذه السيرة الرسمية التي تتلع لتحصيل مثلها اعناق أكثر المتعلمين ليست مما نعنى بذكر أصحابها في المنار وانما فضل الرجل عندنا في سيرته العملية وأخلاقه وآدابه الدينية التي فضل بها الجم الغفير من أمثاله رجال القضاء، وممن يعد فوقهم في المنصب والجاه كالوزراء والامراء،

كان الرجل محافظا على أوامر دينه ونواهيه من سن الصبا الى سن الشيخوخة لم يفتتن

في شبابه بمعاصي الشهوات، ولا في كهولته بمنكرات العظمة والكبرياء ، ولا في شيخوخته بدناءة الطمع والحرص على المال، ولم تزلزل الاقامة في البلاد الاوربية ، ما نشأ عليه من الآداب الاسلامية، ولم تفسد عليه عفته وورعه، ولم تحوله عن زيه الملي ولا عاداته، حتى إنه كان يتورع عن أكل ذبائح النصارى لكثرة الملاحدة فيهم، ويذهب من محل اقامته الى جزار يهودي في مكان بعيد يشتري منه اللحم ويعالجه لنفسه

وروى أبو طالب عن بعض عشرائه من شبان المصريين طلاب علم الحقوق في فرنسة أنهم أغروا به امرأة بارعة الجمال لتراوده عن نفسه ، وجعلوا لها عشرة جنيهات ان هي فتنته عن عفته، فجاءت حجرته متبرجة بما استطاعت من زينة، وطرقت الباب ففتح لها، وسألها قبل الدخول عن حاجتها ؟ فضحكت ضحكة دل ومداعبة ، ورأرأت رأرأة مغازلة وملاعبة ، وحاولت الدخول عليه ، ومدت يدها اليه . فدفعها بعنف وأغلق دونها الباب ، فرجعت خائبة تجهر بالهجر والسباب .

ومما رواه من سيرته أنه كان أبر الناس بوالديه وأوصلهم لرحمه، وأحفاهم باخوانه وأصدقائه، وأشدهم عناية بكل من له عهد وصلة به، مرضت والدته بمصر أيام كان مقيما في الاسكندرية رئيسا لمحكمتها فكان يعودها كل أسبوع حاملا معه ملاءات فراشها كاملة النظافة والكي ويتولى ترتيب ذلك وفرشه بيده ، وكان وهو يطلب الحقوق بأوربة يرسل اليه في كل شهر جزءا من راتبه. وبلغني أنه كان ينفق ثلث الراتب ويرسل اليها الثلث ويجعل الثلث الثالث للكتب ، وما زال محبا للكتب باحثا عن نفائسها المخطوطة طول عمره، وكنت أراه في أواخر عمره يختلف الى صغار باعة الكتب ويجلس عندهم باحثا عما عسام التقطوه من بعض التركات ، أو أصحاب الحاجات

قال أبو طالب : وكان وفيا بالعهد فقد عرف في (قنا) يوم ولي القضاء فيها بدالا مصريا متوسط الحال كان يشتري منه حاجته فلما عاد اليها وهو مستشار سأل عنه فقيل له ان حالته ضعفت وتجارته كسدت وهو الآن يبيع المراوح، فلم يمنعه ذلك من زيارته وتعهد شأنه كلما ذهب الى قنا ، ولا تسل عن اغتباط ذلك البدال بمثل هذه الزيارة فانها كانت أشهى اليه من رد ثروته بل شبابه عليه اه

وأفضل ما يؤثر من مناقبه مبالغته في الاستقلال والعدل في القضاء حتى انه لم يكن يقبل

شفاعة ولا حديثا في قضية رفعت اليه ولا في ترقية عامل تحت رياسته كأنه لم يكن يكلم أحدا من أصدقائه القضاة ولا غيرهم في مثل ذلك. وقد اشتهر بذلك حتى لم يكن أحد من أقرانه ولا ممن فوقه في المناصب يطمع أن يكلمه في شيء من ذلك، وله مواقف ووقائع تؤثر في ذلك ذكر بعضها أبو طالب. ويعجبني ماقاله في إثر هذه المناقب، وهو:

« ولقد أغفلت التوسع في حياة الفقيد القضائية وذكر الحوادث التي اتفقت له دلالة على مبلغ ما كان عليه من الفقه في القضاء والعدل والشجاعة مكتفيا بأن المعاصرين أحاطوا بكل هذه الاحوال ويلوح لي أن كتابة تاريخ المعاصر بالتفصيل فيه من الصعوبة ما لا يظهر لاول وهلة ولذلك قصرت على هذا الالماع اليسير

« وما كنت لاطمع أن يكون كل المصريين كحسن باشا جلال فهذا من المحال قطعا ولا أرجو أن يكون واحد في الالف كذلك بل الذي آمله أن يتصفح هذه الورقات بامعان وأن لا يستصغروا شأن الحوادث التي سقتها هنا مثالا من أخلاقه عسى أن يحتذي حذوه ويهتدي بهديه نفر من الامة ليعملوا كما عمل امل الله يبعث فيها الحياة الحقيقية التي لا يظهرها الا مثل هذه الاخلاق فان الذي يعيش الآن بين ظهراني المصريين لا يمكنه أن يتجاهل العلماء المديدين في كل علم وفن، فمصر ليست فقيرة من هذا النوع، اذ للقضاء رجال وللطب آخرون وللهندسة والزراعة مثلهم ولكل مطلب من مطالب الحياة قوم يشغلهم شأنه، وما ينقص المصريين الاشيء واحد وهو الاخلاق، فان ذوي الاخلاق الفاضلة قليلون بالنسبة لمجموع الامة ومدارسها ومعاهدها، واني على قدر معلوماتي القاصرة لا أرى بابا لهذه الإخلاق الا النفس التي بين جنبي كل حي من الامة فما عليه الا أن يروضها على الفضائل التي شاعت في الكتب وتداولتها ألسن الصغار وغفلت عنها عقولهم. فان أصغر كتاب مدرسي فيه بيان لاصول الفضائل، ولو مرنت النفوس مرانا حقيقيا عليها لتغيرت الاحوال تغيرا عظيما في وقت قصير. أما ما نعيش الآن فيه من حيث الاخلاق وآداب المعاملات فما يعجز عن وصفه أكبر كاتب بليغ، واني ليحزنني جدا أن أجهل مصدر هذا الداء الوبيل الذي تفشى تفشيا مزعجا فان ابن عشر سنين يبرز في النفاق والمداهنة على ابن الستين، فنحن نتقدم فيها ولكنه تقدم معكوس، لان كل من أتقن

هذا النفاق عد ظريفا كيسا، وقد عم جمود الاحساس والعواطف كثيرا من هذه الطبقات في هذه الامة ذات المجد القديم والتاريخ العظيم التي تحتاج الى شيء بسيط حتى تكون من أرقى الامم وذلك باعتدال أبنائهم في أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم بلا افراط ولا تفريط لان الحالة الوسطى تكاد تكون معدومة وقد ضاعت الحياة فيها

وفي النفس حاجات وفيك فطانة   سكوني بيان عندها وخطاب

« وعندي ان اصلاح شأن هذه الامة التي سهلت طباعها وزكت نفوسها ولان جانبها وسهل قيادها لا يأتي الا بحسن اختيار العاملين من أبنائها من أصغر عامل عمومي وهو الخفير الى أكبر موظف وهو الوزير، فما كل النفوس بصالحة للخدمة العامة التي تتطلب صفات خاصة تظهر في صاحبها من أول نشأته، فاذا صح انتقاء هؤلاء أصبحت مصر في زمن قليل فردوس الارض لان هذه الامة سريعة التقليد لحكامها. اه المراد

[المنار] لقد هدى هذا الكاتب الى ما يجب من العبرة في هذه السيرة الحسنة بعبارة تدل على انه عني بتهذيب أخلاقه وتربية نفسه حتى ظن أن ذلك يسير على أكثر الناس المتعلمين. وهيهات هيهات، إنهم عن السمع لمعزولون، وعن الحاجة الى تزكية النفس لغافلون، وهذا التعليم المعروف لا يزيدهم الا غفلة واعراضا عنها، ولن يكون ذلك الا بانقلاب يتغير به نظام التربية والتعليم ويكون أمرهما موكولا الى أصحاب الفضيلة والحكمة من الامة، وأين هم ؟ وكيف السبيل الى تفويض الامر اليهم ؟ وأما اختيار أمثالهم لاعمال الحكومة فمن يقدر عليه ويعنى بتنفيذه، ههنا محل التأمل للمتأملين.

﴿ التحول في ميادين الحرب وقرب أجل الصلح ﴾

هجم الالمان في أول فصل الربيع من هذا العام على الجيوش الانكليزية في شمال الميدان الغربي هجوما لم يسبق له نظير كانوا يضربون به جميع خطوط القتال بمدافعهم في وقت واحد ويمطرون البلاد الواقعة وراء هذه الخطوط وابلا من مدافعهم الى مسافة ٢٨ ميلا وكان غرضهم الفصل بين الجيوش الانكليزية وبين الفرنسية والاميركية للتمكن من سحق الاولى والتفرغ بعدها للاخرى أو تخضع لطلب الصلح بلا شرط ولا قيد. وما كاد يتم لهم مبدأ ما يحاولونه حتى حدث في خطة

دول الاحلاف أعظم حادث انعقد الاجماع على وجوبه من قبل لولا ماعارضه من تقدم المانع على المقتضي وهو توحيد القيادة لجميع جيوش دولهم، وبذلك تمكن الفرنسيس من وصل ما انقطع من التواصل ومزج الجيوش بعضها ببعض. ثم هجم الالمان هجومين آخرين عظيمين بلغ من تقدمهم بهما أن قطعوا نهر المارن وصاروا على مقربة من باريس التي كانوا يضربونها كل يوم بمدافع بعيدة المرمى. وكان الناس يتوقعون زحفهم عليها في الاسبوع الثاني من شهر شوال وهو الثالث من شهر يوليو (تموز) لان وزراء الاحلاف كانوا يصرحون بأن تفوق الالمان عليهم في العَدد والعُدد عظيم وأن الخطر لا يزول الا اذا انقضى فصل الصيف وحالت أمطار الخريف دون استمرار شدة القتال وهم ثابتون مصابرون لعدوهم، فاذا تم ذلك لهم زال الخطر ودالت الدولة لهم بكثرة الجيوش الامريكية التي ستكون في صيف السنة القابلة مساوية لجميع الجيش الالماني

بينا ينتظر الناس ذلك اذا فاجأهم خبر شروع الالمان في التقهقر المنظم من جنوب المارن الى شماله ثم من جنوب الاين الى شماله وكان يظن أن ذلك لخطة حربية يعقبها هجوم أشد مما قبله ، ولما استمر التقهقر ظن قوم أنهم يقصدون خط هندنبرج ليشتوا فيه كما فعلوا في العام الماضي، وأنهم في أثناء ذلك يجمعون جيشا من الحكومات الروسية التي آذنت الاحلاف بالحرب ، وظن آخرون أن سبب التقهقر اتفاق سري على الصلح ، وقوى هذا الظن مانقلته البرقيات عن طلعت باشا من أنه قال عقب اجتماع سياسي مع رجال الدولتين الجرمانيتين : إنه لم يبق لاستمرار الحرب فائدة وإن الصلح سيعقد قبل حلول فصل الشتاء من هذا العام . ثم ما زال الالمان يتقهقرون والاحلاف يتأثرونهم ويحتلون البلاد التي يغادرونها حتى آخر الشهر وقد ظهر في برلين وغيرها مبادي انقلاب سياسي ربما كان هو السبب الباطن للارتداد والانكماش

وأما الترك فكانوا يدافعون دفاع المستميت عن كل بقعة أخذها الروس من بلادهم التركية أو الانكليز من بلاد العرب في العراق وفلسطين حتى اذا جاء هذا الشهر فاجأتنا الانباء بأن الجيش الانكليزي في فلسطين شرع يزحف في الاغوار والانجاد، من تلك الارض الحصينة الخالية من الماء، فاستولى في ١٢ ذي الحجة (١٨ سبتمبر) على خطوط الترك الامامية في جلجلة والطيرة وطول كرم وفي ١٣ منه تقدم حتى بلغ العفولة

وفي ١٤ منه بلغ بيسان وجنين ونابلس والسامرة وماجا ٢٠ ١٧ منه الا واحتلوا حيفا وتبعتها عكا وفي ١٩ منه احتلوا طبرية وسمخ وعمان وبلغ عدد من أسروا من الجيش التركي أربعين ألفا ولم نسمع في أثناء ذلك بمقاومة تؤثر، ولا بعدد من القتلى يذكر، وما زالوا يوغلون في ولايتي سورية وبيروت شمالا من الجانب الغربي، ويحاذيهم جيش الامير فيصل العربي من الجانب الشرقي، حتى دخلوا دمشق في ٣٠ منه وكان الترك قد أجلوا عنها وتألفت فيها حكومة موقتة

ولا شك في أن الترك قد قرروا ترك سورية كلها لاهلها والانكماش الى بلادهم التركية تمهيدا لطلب الصلح . واذا يئس الاتحاديون من ولاياتهم العربية فانهم يفضلون بيعها لاعدائهم أو تركها لهم غنيمة باردة على ابقائها لاهلها العرب كما معروف عنهم، ولكن الامر لم يبق في أيديهم، فهم قد قتلوا أنفسهم وقطعوا أوصال سلطتهم (امبراطوريتهم) بسيف العصبية الجنسية الذي سلوه على غير الترك من الاجناس

أما أخبار الصلح ومقدماته فأولها ان النمسة نشرت في ثاني ذي الحجة مذكرة رسمية في عاصمتها بينت فيها انها أرسلت الى الدول المتحاربة اقتراحا تدعوهم فيه الى ارسال مندوبين من كل منهم الى بلد من البلاد التي على الحياد للمفاوضة السرية في أمر الصلح وتمهيد السبيل الى الاتفاق الممكن في ذلك . وفي ٢١ منه علمنا أن الحكومة البلغارية طلبت الصلح وعقد الهدنة، وأن رئيس وزارة هذه الحكومة عرض الامر على معتمد الولايات المتحدة فأشار عليه بوجوب قبول شروط الحلفاء للهدنة بدون بحث لأنهم يريدون بالشدة فيها الأمن من كل خطر في المستقبل ولكنهم يراعون في شروط الصلح العدل والانصاف على قواعد الجنسية، فقبل نصحه. ووردت البرقيات أيضا ان المعتمد نفسه سافر الى مركز قيادة الحلفاء وحضر توقيع الهدنة وان الترك سيحذون حذو البلغار

ولم ينقض اليوم الأخير من ذي الحجة الا والبرقيات العامة تتلاقى في جواء ارجاء العالم بأن الدولة الالمانية نفسها خاطبت الرئيس (ولسن) برغبتها ورغبة حليفتيها النمسة والتركية في الصلح على الاصول والشروط التي وضعها هو . فسبحان محول الاحوال ، ونسأله أن يحول حالنا الى أحسن حال

﴿ تصحيح أغلاط ﴾ سقط جملة من التفسير موضعها أواخر السطر ٢٠ ص ٢٦١ من المجلد التاسع عشر فينبغي أن تكتب بإزاء موضعها من الحاشية وهذا نصها :

﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ أي وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه في الدنيا من كون معبوداتهم تشفع لهم عند الله، أو ضلت المعبودات نفسها عنهم فلم تهتد الى الشفاعة لهم سبيلا. وغلب ما لا يعقل منها كالاصنام فعبر عنها بما التقبيح ولان أكثرهم ما كان يعبد في عامة أوقاته غيرها .

جملة « أو نفع أصاب حبيبا دعوا له » في س٢١ ص٣٣٢ م٢٠ محلها قبل جملة « أو ضر أصاب عدوا دعوا عليه » في س ٢٢ بعده

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٨	٢٥	عيال	الاعيال	٣٨٦	٢٢	خمسة	أربعة
٣٤٢	٣٠	مافي	على مافي	«	٢٣	سماؤهم	أسماؤهم
٣٤٢	٢١	ليفسد	ليفسد فيها	«	٢٤	بشر وادريس ولوط	البشر وادريس
٣٦٦	٢	دون	حال دون	٣٨٢	١٧	مهتدقا	مهتديا
٣٧٦	٦	الاحكام	من الاحكام	٣٩٠	٧	مخلف	مختلف
٣٧٩	٦	واذا	واذ	٣٩٤	٨	وأحمد والترمذي	والترمذي

خاتمة المجلد العشرين

بحمد الله نختم المجلد العشرين من المنار، وله الحمد والشكر على نعمة التوفيق والثبات، وقد جعلنا أجزاء هذا المجلد عشرة كاجزاء المجلد الذي قبله، ولكنا اضطررنا الى تصغير حجمها من الجزء الخامس وما بعده، لان الحرب اشتد غليان سعرها، وجميع الاشياء اشتد غلاء سعرها وقد ذكرنا في أول خاتمة المجلد السابق أن ما كنا نشتريه من الورق بمئة صار ما سعره ٤٠٠ أو ٥٠٠ ونقول في هذه الخاتمة انه تضاعف بعد ذلك الى ١٠٠٠ بل الى ١٦٠٠ السعر الاول فقد علمناه بأنفسنا، وأما السعر الآخر فبما نقل الينا، وقد غلت أثمان سائر الاشياء أيضا حتى الاغذية الوطنية التي بينا ثمنها في الجزء الثامن فلنا العذر في تصغير حجم المنار مع عدم الزيادة في قيمة الاشتراك، وقد فعل مثل فعلنا أصحاب الجرائد والمجلات في جميع الآفاق

هذا وقد اخرنا البدء بهذا الجزء الاخير الى شهر ذي الحجة، كما أخرنا ما قبله من أجزائه[1] وأجزاء ماقبله من سني الحرب فأدغمنا في سنيها الاربع سنة من سني المنار اذ لم نصدر في هذه السنين الاربع الا ثلاثة مجلدات، وبذلك وافقت مجلدات المنار عدد

(١) قد صدر ماقبله في أواخر ذي القعدة كما علم من آخر خبر في الجزء التاسع

سنيه الشمسية في الجملة ، وذلك ما توقعناه في خاتمة المجلد التاسع عشر من تأثير استمرار الحرب، فقد صدر أول عدد من سنة المنار الاولى في ٢٢ شوال من سنة ١٣١٥ و يوافق ذلك منتصف الشهر الاول من سنة ١٨٩٨ الميلادية . فعلى هذا يكون قد تم لنا المجلد العشرون في السنة العشرين الميلادية ولكن قبل تمامها

والمرجو أن يتم الصلح العام بين الامم المتحاربة في العام الذي نستقبله، وان يتيسر لنا فيه أن نزيد في حجم المجلد الحادي والعشرين، وان كان لا يرجى أن يعود ثمن الورق الى ما كان عليه قبل الحرب الا بعد سنين، فان عود الرخص الى المصنوعات انما يكون بالتدريج البطيء

الانتقاد على المنار

ورد علينا في هذا العام ذلك الانتقاد الطويل على (ذكرى المولد النبوي) وقد نشرناه برمته في الجزء الثامن والرد عليه في التاسع والعاشر و بقي له بقية تنشر في السنة الجديدة

وورد علينا انتقاد آخر لمسألة أبوي النبوي صلى الله عليه وآله وسلم وعمه أبي طالب التي ذكرت استطرادا في الكلام على أبي ابراهيم الخليل (ص) من هذا المجلد. فالناقد ممن يجزمون بنجاة الابوين الشريفين وأبي طالب خلافا لما روي في الصحيحين وغيرهما، وكل ماذكره في مسألة الابوين قد تقدم في بحثنا، وأما ايمان أبي طالب فانتقد علينا عدم ذكر ماورد في ايمانه من الروايات الضعيفة ولم يكن الكلام في تاريخه فنستوفي كل ماجاء فيه، وانما كان في بيان حكمة ماورد في كتاب الله وحديث رسوله الصحيح في معنى التصريح بكفر أبي ابراهيم (ص) وقد صرحنا بحظر اعتداء بيان النصوص وحكمها وأحكامها في ذلك الى ما يعد ايذاء للرسول (ص) أو لاحد من أهل البيت الذين من ذريتهم، وان أقوى ما يستدل به على نجاة الابوين الشريفين في الآخرة وأرجاه هو ما ورد في امتحان الله تعالى لاهل الفترة في الآخرة ونجاة بعضهم به، ومن أجدر منهما بذلك؟ ونتمنى أن نجد أدلة أقوى من هذا، فان وجدنا شيئا نشرناه مغبوطين ، والا سكتنا مؤمنين مفوضين ، ولا نرتاح الى الرد على المنكرين ، فحسبنا بيان ما ظهر لنا أنه الحق المبين، وهو خلاف ما نهوى فما نحن للهوى بمتبعين، (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد العشرين ﴾

ما وضع بين قوسين فهو عنوان في الاصل


Bibliotheca Alexandrina
0551743